

الجامعـــــة الإسلاميـــــة- غـــزة
عمـــادة الدراســـات العليـــا
كليــــة أصـــــول الـــديـــــن
قسم العقيــدة والمــذاهب المعاصــرة

موقف الشيعة الاثنا عشرية من الصفات الإلهية

(عرض ونقد)

إعداد الباحث

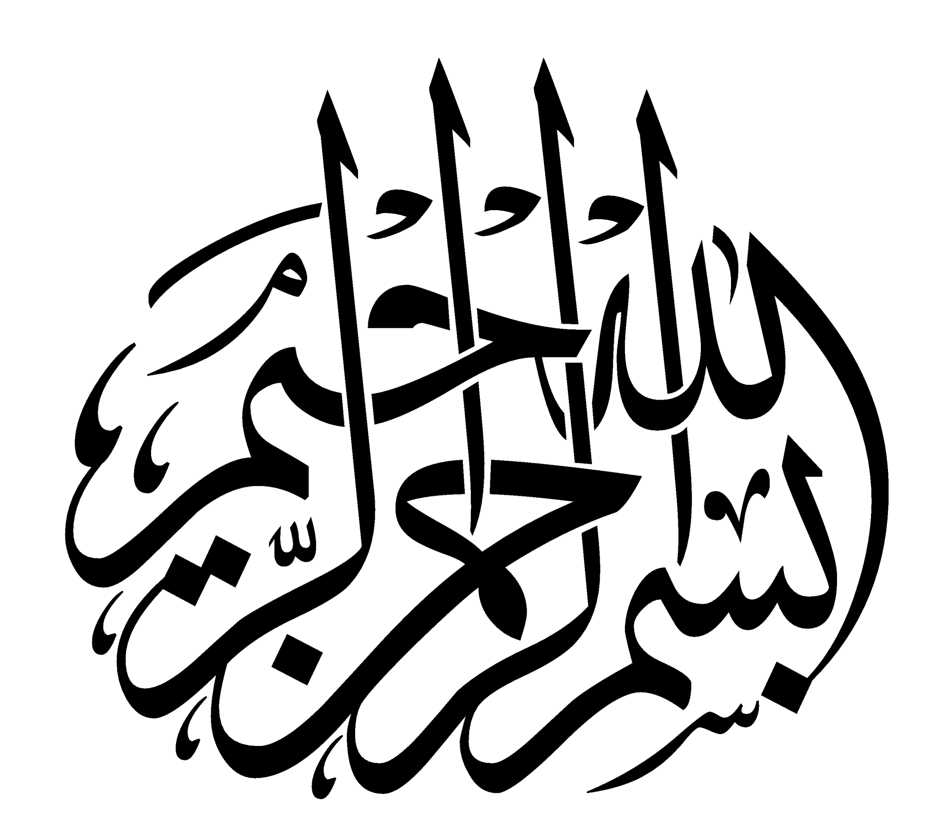
حسام بن محمد عطا بن إسماعيل كردية

إشراف

الأستاذ الدكتور صالح بن حسين الرقب

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير
في العقيدة والمذاهب المعاصرة بالجامعة الإسلامية بغزة

١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آَتَيْنَاهُ آَيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الغَاوِينَ(١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ القَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا فَاقْصُصِ القَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ(١٧٦) سَاءَ مَثَلًا القَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ(١٧٧) مَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ المُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ(١٧٨) وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الجِنِّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آَذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الغَافِلُونَ(١٧٩) وَللهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(١٨٠) وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ(١٨١) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ(١٨٢) وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ(١٨٣) أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ(١٨٤) أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ(١٨٥)﴾.

{الأعراف: ١٧٥-١٨٥}.

الإهداء

إلى والدي الكريمين .... براً وإخلاصاً

إلى زوجتي العزيزة .... شكراً وعرفاً

إلى إخوتي وأخواتي .... احتراماً وتقدراً

إلى أبنائي .... حباً وأملاً

إلى أصدقائي .... إخلاصاً ووفاءً

إلى كل من علمني حرفاً أو أسدى لي معروفاً

أهدي عملي هذا...

الباحث

شكر وتقدير

يقول الله تبارك وتعالى في محكم تنزيله:**[وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ]** {النمل:٤٠} ويقول النبي ﷺ:" لا يشكر الله من لا يشكر الناس"[(١)]. فبناءً على هذين المبدأين العظيمين فإن من الواجب المتحتم علي، بعد أن منّ الله عليَّ وتفضّل تبارك وتعالى من إتمام هذا العمل، الذي أرجو أن يكون خالصاً لوجهه الكريم سبحانه وتعالى، إلاّ أن أشكر الباري عز وجل شكراً جزيلاً، وأحمده حمداً كثيراً على نعمه وآلائه التي لا تُعَدُّ ولا تُحْصَى، وعلى إعانته تبارك وتعالى وتوفيقه وتسديده لي في هذا العمل الذي أرجو أن يكون مقبولاً عنده عز وجل.

كما أتوجه بالشكر الجزيل الوافر إلى والديَّ العظيمين اللذين مهما قلت فلن أوفيهما حقّهما من الشكر والامتنان، ولا أملك إلاّ أن أدعو لهما كما أمر الله عز وجل: **[رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا]** {الإسراء:٢٤} .

وأتوجه بالشكر الجزيل إلى أستاذي فضيلة الأستاذ الدكتور: صالح حسين الرقب المشرف على الرسالة، الذي لم يتوآنى في تقديم التوجيه السديد، والملاحظة الدقيقة النافعة، حيث كان يرعاها ويتعهدها بتوجيهاته المفيدة، منذ كانت فكرة حتى نضجت وكملت، فبذل قصارى جهده بكل إخلاص بإعادة النظر في كل ما أكتب لكي تخرج هذه الرسالة على أكمل وجه، سليمة قيّمة يعم نفعها على الباحثين والدارسين، فجزاه الله أحسن ما يجزي به عباده المخلصين وتقبل منه جهده وإخلاصه.

ولا أنسى أن أتوجه بالشكر الجزيل والثناء الحسن لكل من الأساتذة الكرام أعضاء لجنة المناقشة، كل من:

عميد كلية أصول الدين الدكتور: محمد بخيت.

والدكتور: يحيي الدجني.

وذلك على تفضلهما بقبول مناقشة هذا البحث ، ليثرياه بالملاحظات والتوجيهات السديدة.

وأختم بطاقات الشكر لكل من أعانني على إتمام هذا البحث، بإسداء نصح، أو دلالة على مرجع أو غير ذلك، وأخص منهم:

- أختي الغالية الأستاذة غادة مسلم. لما بذلته من جهد في مراجعة الرسالة وتدقيقها لغوياً.
- زوجتي العزيزة على ما قامت به من جهد ومشاركة في كتابة البحث وتنسيقه.

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: الأدب، باب: في شكر المعروف، حديث رقم: ٤٨١١، ٥٢٤/٤، قال الألباني: حديث صحيح.

- إلى كل من الأخوة ، عبد اللطيف العكلوك، وحسن بظاظو، والمنهـدس محمـد أبـو كميـل ، والمهندس نعيم الأدغم ، وجميع الأخوة زملاء العمل والدراسة، الذين كان لهم الدور الكبير فـي تشجيعي وإمدادي بما يلزم لإتمام هذا البحث.

... وأخيراً فما كان في هذا البحث من صواب فمن الله وحده، وما كان من خطـأ فمـن نفسـي والشيطان، وأستغفر الله منه، وأسأل الله جل وعلا أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وذخراً لـي يوم الدين، وأن ينفع به من كتبه وقرأه، وآخر دعواي أن الحمد لله رب العالمين.

المقدمة :

الحمد لله الذي جعل في كل زمان بقايا من أهل العلم، يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصّرون بكتاب الله أهل العمى، وينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، الذين عقدوا ألوية البدعة، وأطلقوا عقال الفتنة، المخالفون للكتاب، المختلفون في الكتاب، المجمعون على مفارقة الكتاب، يقولون على الله، وفي الله، وفي كتاب الله بغير علم، يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون جُهال الناس بما يشبهون عليهم، فنعوذ بالله من فتن المضلين[1]،والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيد الخلق أجمعين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.أما بعد ...

يعد توحيد الأسماء والصفات الأساس الثالث من أسس التوحيد، وهو من أهم مباحث علم التوحيد إذ إن العباد لا يمكن أن يعرفوا ربهم حق المعرفة إلا إذا تعرفوا عليه من خلال النصوص التي وردت في الكتاب والسنة والتي فصلت وبينت ووضحت أسماءه وصفاته بما لا يدع مجالاً للزيادة أو النقصان، ولقد تعرض هذا الأساس منذ أن جهر به النبي ﷺ إلى يومنا الحاضر لكثير من الهجمات من أصحاب القلوب الزائغة التي أرادت أن تحرفه عن ما أخبر به الله عن نفسه وما أخبر به المصطفى ﷺ عن الله عز وجل ، فألحدوا بأسمائه الحسنى وصفاته العلا، قال تعالى:﴿ وَللهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ {الأعراف: ١٨٠}.

ومن هؤلاء الذين ألحدوا بأسمائه الحسنى وصفاته العلا، فرقة من أكابر الفرق التي شقت عصا الإسلام وأبت إلا مفارقته، ألا وهي فرقة الشيعة الاثنا عشرية ، فمنذ نشأة هذه الفرقة إلى يومنا هذا وهم يحاولون بشتى الطرق صرف المؤمنين عن التوحيد الذي جاءت رسل الله مخبرة به وأنزلت من أجله الكتب، وأنشأت الدليل على ذلك فانظر إلى المراحل التي مرت بها هذه الفرقة، تجد أنهم أول من أظهر التشبيه في الملة الإسلامية، وأول من تسبب في تفشي التعطيل بسبب ما أظهروه من بدعة التشبيه، وآخر من دام على التعطيل، ولا يزالون يدعون الناس إليه.

فلا ضير عند هذه الفرقة أن يجتمع التشبيه بالتعطيل، والخرافة بالعقل، ما دامت الأسس التي بنوا عليها دينهم مفارقة كتاب الله ومخالفة سنة رسوله ﷺ، واحتواء كل صاحب هوى وبدعة أراد أن يفارق أهل السنة والجماعة، فكان من الطبيعي أن تحمل هذه الفرقة في ثناياها أهواء نحل متباينة، وأن تموج بها آراء وأفكار أصحاب الديانات المختلفة.

---

(١) هذه هي جزء من خطبة الإمام أحمد رحمه الله في كتابه الرد على الجهمية والزنادقة الذي صنفه في محبسه ورأيت مناسبتها لهذا الموضوع... انظر: الرد على الجهمية والزنادقة: الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، أبو عبد الله ، تحقيق: محمد حسن راشد، ، الناشر: المطبعة السلفية، القاهرة، ص١٣، ١٤.

وبالرغم من هذه التناقضات التي وقعوا بها في صفات الله، وانفصام تاريخهم العقدي فيها إلى فترتين متناقضتين، إلا أنهم لا يتورعون من نسبة تلك المعتقدات إلى أئمة آل البيت.

ومن هنا فإن الدراسة العلمية لبيان موقف الشيعة الاثنا عشرية من الصفات الإلهية، إنما هي دراسة واقعية، تعالج أمراً ملموساً يصب في خدمة الإسلام والمسلمين، وخاصة وأن الأمة في حاجة لمثل هذه الدراسة لتوضيح معتقد الشيعة في صفات الله، وتناقشها وفق منهج أهل السنة والجماعة القائم على قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ للهِ شُهَدَاءَ بِالقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآَنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ {المائدة:٨} .

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية هذا الموضوع في أنه يتحدث عن أصل من أصول معتقد الشيعة الاثنا عشرية وهي مسألة الصفات الإلهية حيث لم تفرد فيها دراسة خاصة تناقش ذلك المعتقد وتوضحه وتبين فساده و تكمن أهمية البحث في النقاط التالية:

١. هذا الموضوع فيه تبصرة للناس بحقائق عقيدة الشيعة الاثنا عشرية في مسألة الصفات الإلهية ومن ثم حقيقة ما افتروه وألفوه من أحاديث على آل بيت النبي ﷺ من نفيهم للصفات الإلهية وتأويلها والذي من خلاله يتم نسف كل أصول معتقدهم الفاسد.

٢. بيان منهج الشيعة في صفات الله تعالى، من خلال عرض موقفهم من صفات الله وعرض أدلتهم التي اعتمدوا عليها بصيغة سهلة بعيدة عن طرقهم الفلسفية المعقدة، ثم مناقشتها من خلال منهج أهل السنة والجماعة.

٣. بيان أن المنهج الذي سلكته الشيعة في نفي الصفات عن الله تعالى ما هو في الأصل إلا منهج المعتزلة لا علاقة لأئمة آل البيت به لا من قريب ولا من بعيد.

سبب اختيار الموضوع:

تعد الأسباب التالية هي من أهم الأسباب التي دفعت الباحث لاختيار الموضوع للبحث:

١. من خلال مطالعة الباحث للكتب التي تحدثت عن عقائد الشيعة وجدها لم تستوعب الموضوع من جميع جوانبه العلمية سواء في بيان معتقد الشيعة الاثنا عشرية في صفات الله أو في الأصول التي بنى عليها الشيعة تلك المعتقدات والرد عليهم وفق منهج أهل السنة والجماعة في الرد على الخصوم.

٢. يريد الباحث من خلال هذا البحث أن يبين تناقض مذهب الشيعة الذي يزعم أصحابه أنه المذهب الحق، وذلك بمعرفة ضلالات الشيعة المتقدمين في التشبيه والتجسيم ، وضلالات الشيعة المتأخرين في النفي والتعطيل، والذي لا يمكن معه بأي حال من الأحوال إلا الطعن في أحدهما إما الطعن في المتقدمين المجسمة أو المتأخرين المعطلة، وفي ذلك خدمة للإسلام والمسلمين.

٣. إنَّ معرفة ضلالات وبدع الشيعة الاثنا عشرية وخاصة في مسألة الصفات الإلهية يعصم المسلم من الانحراف ويكون قد تحصن من تدليس تلك الفرقة ولبس الحق بالباطل كما قال سبحانه وتعالى عن أهل الكتاب:﴿ يَا أَهْلَ الكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الحَقَّ بِالبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾{آل عمران:٧١} .

منهج البحث وطبيعة العمل فيه:

استخدم الباحث في هذه الدراسة المنهج الوصفي النقدي للنصوص باعتباره أنسب المناهج لمثل هذا الموضوع وذلك عن طريق عرض تلك النصوص على الكتاب والسنة وأقوال السلف، كذلك استخدم المنهج التاريخي لبيان كيف نشأت تلك المعتقدات وتطورت عبر القرون.

أما عن طبيعة المنهج المتبع في كتابة الرسالة ، فقد قام الباحث بما يلي:

١. أخذ النصوص من مظانها أي من كتبهم ومجلاتهم.

٢. عرض الآراء والمعتقدات ومن ثم مناقشتها وفق منهج أهل السنة والجماعة.

٣. عند ذكر المصدر والمرجع لأول مرة أكتبه كاملاً أي أذكر اسم الكتاب:....... ، المؤلف.......، تحقيق:........، الطبعة:.......، الناشر:....... ، الدولة:......، سنة النشر، وبعد ذلك أكتب اسم الكتاب واسم المؤلف ورقم الصفحة مختصراً.

٤. عزو الآيات القرآنية إلى مظانها بذكر اسم السورة مع ذكر رقم الآية في المتن دون الحاشية.

٥. إن كان الحديث في الصحيحين اكتفى بتخريجه منهما ، وإن كان في غيرهما أخرجه من كتب السنة الأخرى، مع بيان الحكم عليه.

٦. المنهج في توثيق نصوص الأحاديث، هو ذكر اسم الكتاب الذي أورد الحديث ثم ذكر الباب ورقم الحديث.

٧. قمت بتوثيق الآثار والروايات الواردة من طرف الإثناعشرية والمنسوب لأئمة آل البيت بعزوها إلى مصادرهم الأصلية عندهم، وذلك بذكر اسم المصنف ، ثم اسم المؤلف ، ثم اسم الكتاب – إن وجد–، ثم ذكر الباب –إن وجد– ، ثم رقم الرواية – إن وجد–، ثم الجزء والصفحة. مع بيان حكم علماء الشيعة على تلك الروايات إن وجد له حكم، مع العلم بأن منهج علماء الشيعة في الحكم على تلك الروايات منهج مضطرب ومتناقض وغير قائم على أسس علمية صحيحة نستطيع من خلالها تمييز الصحيح من غيره.

٨. اتبعت الأصول العلمية المتعارف عليها للبحث والتوثيق.

٩. الترجمة لأغلب أعلام البحث، عند أول ذكر له غالباً.

١٠. التعريف ببعض الفرق والجماعات الواردة في البحث، عند أول ذكر لها غالباً.

١١. عمل فهارس للآيات، والأحاديث، والأعلام، والفرق، والمصادر والمراجع، والموضوعات.

١٢. رتبت فهرس الآيات حسب السور، ثم رتبت الآيات حسب رقمهما في السورة تصاعدياً.

١٣. رتبت فهرس الأحاديث، وفهرس الأعلام. وفهرس الفرق والمذاهب، وفهرس المصطلحات، وفهرس المصادر والمراجع، ترتيباً هجائياً.

الدراسات السابقة:

هناك العديد من الأبحاث التي تناولت في ثناياها مسألة الصفات الإلهية عند الشيعة الإثنا عشرية، كان من أبرزها ما يلي:

أولاً: الرسائل العلمية.

١. "**أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية**" [١]، تناول فيه الباحث عقيدة الشيعة في صفات الله وتطورها بدءاً من التشبيه ووصولاً إلى التعطيل.

٢. " **الفكر الكلامي الاثنا عشري خلال القرن الخامس هجري دراسة مقارنة** "[٢]، تناول فيه الباحث في أحد فصوله حول نفي الشيعة للصفات الإلهية.

٣. " **تأثير المعتزلة بالخوارج والشيعة أسبابه ومظاهره**" [٣] تناول فيه الباحث مظاهر تأثير المعتزلة في الشيعة لا سيما مسألة الصفات بشيء من الإجمال و كذلك تناول أسباب ذلك التأثير.

٤. "**الصلة بين التشيع والاعتزال**" [٤] تطرق فيه الباحث عن صلة التاريخية والعقدية بين الشيعة والمعتزلة منذ بدايتها، وتناول بعض مسائل التي وافق الشيعة المعتزلة ومنها مسألة الصفات الإلهية بعدة صفحات.

٥. "**الصفات الإلهية عند الفرق الإسلامية عبر عصور التاريخ**" تطرق فيه الباحث نفي الشيعة من للصفات الإلهية .

ثانياً: الكتب والتراكمات العلمية.

ألف شيخ الإسلام ابن تيمية كتاب منهاج السنة النبوية للرد على عقائد الشيعة الاثنا عشرية، تناول من خلاله عقيدة الشيعة في التعطيل وبين انحراف الشيعة المتقدمين الذين قالوا بالتشبيه والمتأخرين الذين قالوا بالتعطيل عن أئمة آل البيت، ويعتبر هذا الكتاب من أهم المصادر التي استفدت منه في موضوع رسالتي.

---

(١) رسالة دكتوراة : للباحث ناصر بن عبد الله القفاري، تقدم بها لنيل درجة الدكتوراة من قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، من جامعة الإمام محمد بن سعود.

(٢) رسالة دكتوراة : للباحث مصعب الخير الإدريسي تقدم بها لنيل درجة الدكتوراة من قسم الفلسفة الإسلامية ، من جامعة القاهرة.

(٣) رسالة ماجستير ، تقدم بها الباحث لنيل درجة الماجستير من قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، من جامعة الإمام محمد بن سعود، عام ١٤١٩هـ.

(٤) رسالة ماجستير : للباحث : محمد منور الجدعاني، تقدم بها الباحث لنيل درجة الماجستير من قسم العقيدة من جامعة أم القرى، عام ١٤١٩هـ.

ثالثاً: الأبحاث العلمية.

فقد قام مشرف الرسالة الدكتور صالح الرقب بعمل بحثين ترقية تناول موقف الشيعة من الصفات الإلهية هما:

- موقف الشيعة من صفات الله عرض ونقد.
- موقف الشيعة من صفات الله الذاتية.

وبالرغم من تناول هذه الأبحاث مسألة الصفات الإلهية عند الشيعة الاثنا عشرية إلا أنَّها لم تستوعب الموضوع من جميع جوانبه العلمية، فبعضها بَيّنْ موقف الشيعة من الصفات الإلهية بشكل مقتضب أثناء حديثه عن الصلة بين الشيعة والمعتزلة في عدة صفحات، وبعضها الآخر تناول الموضوع من أحد جوانبه العلمية، ومن هنا تأتي هذه الدراسة لتشمل جميع جوانب الموضوع العلمية وتخصص له دراسة خاصة به، وذلك من خلال عرض تلك المعتقدات والأراء ومن ثم نقدها وفق منهج أهل السنة والجماعة ، ومن خلال بيان كيف نشأت تلك المعتقدات وتطور عبر القرون، و كذلك بيان المصادر التي بني عليها الشيعة موقفهم من الصفات الإلهية، وبيان أدلتهم على نفي صفات الله تعالى.

خطة البحث:

وضع الباحث خطة لهذا البحث، فجعله في مقدمة، وفصل تمهيدي، وثلاثة أبواب وخاتمة، وذلك على النحو التالي:-

الباب الأول: نشأة الشيعة الاثنا عشرية وأصول دينهم.

الفصل الأول: نشأة الشية الإثنا عشرية.

المبحث الأول: تعريف الشيعة الاثنا عشرية وألقابهم.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف الشيعة الاثنا عشرية.

المطلب الثاني: أسماء وألقاب الشيعة الاثنا عشرية.

المبحث الثاني: نشأة الشيعة

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : رأي علماء الشيعة في نشأتهم.

المطلب الثاني : رأي علماء الفرق في نشأة الشيعة.

المبحث الثالث: المبحث الثالث: الفرق التي خرجت من الشيعة قديماً وحديثاً.

المطلب الأول: الفرق التي خرجت من الشيعة قديماً:

المطلب الثاني: الفرق التي خرجت من الشيعة الاثنا عشرية حديثاً:

المطلب الثالث: أسباب تفرق الشيعة.

المبحث الثالث: أبرز الكتب الرئيسة عند الشيعة الاثنا عشرية.

المطلب الأول: الكتب الأربعة المتقدمة التي ظهرت في القرن الرابع هجري.

الفصل الثالث: المصدر الثالث العقل

المبحث الأول: منزلة العقل عند الشيعة.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: العقل في اللغة واصطلاح أهل السنة.

المطلب الثاني: منزلة العقل في الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة.

المطلب الثالث: منزلة العقل عند الاثنا عشرية.

المبحث الثاني: رد النقل عند تعارضه مع العقل.

الباب الرابع: أدلة الشيعة الاثنا عشرية في نفي الصفات

الفصل الأول: الأدلة النقلية

المبحث الأول: الأدلة من القرآن الكريم.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أدلة الشيعة على نفي الصفات من القرآن الكريم.

المطلب الثاني: المناقشة.

المبحث الثاني: الأدلة من السنة.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أدلة الشيعة على نفي الصفات من السنة.

المطلب الثاني: المناقشة.

الفصل الثاني: الأدلة العقلية

المبحث الأول: إثبات الصفات يؤدي إلى القول بتعدد القدماء.

المبحث الثاني: إثبات الصفات يؤدي إلى التجسيم والتشبيه.

المبحث الثالث: إثبات الصفات يؤدي إلى التركيب والتكثر في الذات الإلهية.

الخاتمة وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

الفهارس:

وضعت فهارس للآيات، والأحاديث النبوية، والأعلام، والفرق والمذاهب، والمراجع والمصـــادر، والموضوعات.

الباب الأول
نشأة الشيعة الاثنا عشرية وأصول دينهم

الفصل الأول : نشأة الشيعة الاثنا عشرية.

المبحث الأول: تعريف الشيعة الاثنا عشرية وألقابهم.

المطلب الأول: الشيعة في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني: أسماء وألقاب الشيعة الاثنا عشرية.

المبحث الثاني: نشأة الشيعة.

المطلب الأول: رأي علماء الشيعة في نشأتهم.

المطلب الثاني: رأي علماء الفرق في نشأة الشيعة.

المبحث الثالث: الفرق التي خرجت من الشيعة قديماً وحديثاً.

المطلب الأول: الفرق التي خرجت من الشيعة قديماً.

المطلب الثاني: الفرق التي خرجت من الشيعة الاثنا عشرية حديثاً.

المطلب الثالث: أسباب تفرق الشيعة.

المبحث الرابع : أبرز الكتب الرئيسة عند الشيعة الاثنا عشرية.

المطلب الأول: الكتب الأربعة المتقدمة التي ظهرت في القرن الرابع هجري.

المطلب الثاني: الكتب الأربعة المتأخرة التي ظهرت في القرن الحادي عشر هجري وما بعده.

الفصل الثاني: أصول دين الشيعة الاثنا عشرية.

المبحث الأول: التوحيد.

المبحث الثاني: الإمامة.

المطلب الأول: الإمامة بالنص والتعيين والوصية من الله تعالى.

المطلب الثاني: عصمة الأئمة.

المطلب الثالث: الغيبة والرجعة.

المبحث الثالث: العدل.

المبحث الرابع: النبوة.

المبحث الخامس: المعاد.

الفصل الأول
نشأة الشيعة الاثنا عشرية

المبحث الأول: **تعريف الشيعة الاثنا عشرية وألقابهم**.

المطلب الأول: الشيعة في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني: أسماء وألقاب الشيعة الاثنا عشرية.

المبحث الثاني: **نشأة الشيعة**.

المطلب الأول: رأي علماء الشيعة في نشأتهم.

المطلب الثاني: رأي علماء الفرق في نشأة الشيعة.

المبحث الثالث: **الفرق التي خرجت من الشيعة قديماً وحديثاً**.

المطلب الأول: الفرق التي خرجت من الشيعة قديماً.

المطلب الثاني: الفرق التي خرجت من الشيعة حديثاً.

المطلب الرابع: أسباب تفرق الشيعة.

المبحث الرابع: **أبرز الكتب الرئيسة عند الشيعة الاثنا عشرية** .

المطلب الأول: الكتب الأربعة المتقدمة التي ظهرت في القرن الرابع هجري.

المطلب الثاني: الكتب الأربعة المتأخرة التي ظهرت في القرن الحادي عشر هجري.

المبحث الأول

تعريف الشيعة الاثنا عشرية وألقابهم.

تعد فرقة الشيعة الاثنا عشرية أكبر الفرق المعاصرة التي تدعي الانتساب إلى الإسلام، وهي من أوائل من شق عصا الإسلام وخرج عن منهج أهل السنة والجماعة، واسم الشيعة في بادئ الأمر كان لقباً يطلق على أيَّة مجموعة تلتف حول قائدها، غير أن التشيع تغير على ضوء ما مر به من أحداث عبر القرون حتى أصبح مفهوم التشيع:" الاعتقاد بآراء وأفكار معينة"[1]، ولقد ذهب العلماء والباحثون إلى تعريف الشيعة والتشيع على حسب ما مر به من أطوار نشأته، ومراحل تطوره العقدي.

يقول د. ناصر القفاري:" إن تعريف الشيعة مرتبط أساساً بأطوار نشأتهم، ومراحل التطور العقدي لهم، وذلك أن من الملحوظ أن عقائد الشيعة وأفكارها في تغير وتطور مستمر، فالتشيع في العصر الأول غير التشيع فيما بعده"[2].

وفيما يلي بيان لمفهوم الشيعة في اللغة والاصطلاح:-

المطلب الأول: الشيعة في اللغة والاصطلاح:-

أولاً: الشيعة في اللغة:-

الشيعة في الأصل من:" شاع يشيعُ شيعاً وشيوعاً ومشاعاً وشيعوعةً، وشيعة الرجل أتباعه وأنصاره والفرقة على حدة ويقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث وقد غلب هذا الاسم على كل من يتولى عليا وأهل بيته، حتى صار اسما لهم خاصا"[3].

يقول ابن دريد[4]:" فلان من شيعة فلان أي: ممن يرى رأيه، وشيعت الرجل على الأمر تشييعاً إذا أعنته عليه وإذا مالأته عليه"[5].

---

(١) هوية التشيع: د. أحمد الوائلي، الطبعة: الثالثة، الناشر: دار الصفوة، بيروت – لبنان، ١٤١٤هـ -١٩٩٤م، ص١١.

(٢) أصول مذهب الشيعة الأمامية الاثنا عشرية عرض ونقد: د. ناصر بن عبد الله بن علي القفاري، الطبعة: الثالثة، الناشر: دار الرضا، الجيزة ، ١٤١٨هـ، ٥٣/١.

(٣) القاموس المحيط: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي الشيرازي، الطبعة: الثالثة المطبعة الأميرية، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، مادة شيع ٤٦/٣، و انظر: لسان العرب :الإمام جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري الإفريقي المصري ، تحقيق :عامر أحمد حيدر، الطبعة: الأولى ،الناشر: دار الكتب العلمية ، بيروت- لبنان، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣ م ، ١٨٨/٨-١٨٩، وانظر مختار الصحاح ،الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، ضبط وتصحيح: أحمد شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م، ص١٨٦، ومعجم مقاييس اللغة : أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق عبد السلام هارون، الناشر: دار الفكر ، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م، مادة شيع ٢٣٥/٣.

(٤) ابن دريد: محمد بن الحسن بن دريد الأزدي أبو بكر، من أئمة اللغة والأدب يقال أن ابن دريد أشعر العلماء وأعلم الشعراء ولد في البصرة عام ٢٢٣هـ وتوفي في بغداد عام ٣٢١هـ، من مؤلفاته: جمهرة اللغة، وتقويم اللسان.(انظر: الأعلام قاموس التراجم: خير الدين الزركلي، الطبعة:الخامسة عشرة، الناشر:دار العلم للملايين، بيروت ، ٢٠٠٢م، ٨٠/٦)

(٥) انظر: جمهرة اللغة، محمد بن الحسن بن دريد الأزدي البصري، الطبعة الأولى، الناشر: دار صادر، ١٣٤٥هـ، ٦٣/٣

وقال الزبيدي[١]:" كل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة، وقال الأزهري، معنى الشيعة الذين يتبع بعضهم بعضاً، وكل من عاون إنساناً وتحزب له فهو له شيعة، وأصل ذلك من المشايعة وهي المطاوعة والمتابعة"[٢].

إذاً الشيعة في اللغة:

تأتي بمعنى: الأتباع، والأنصار، والموافقة بالرأي، والاجتماع على الأمر، أو الإعانة والممالأة عليه ثم غلب هذا الاسم على كل من يزعم أنه يتولى علياً وأهل بيته.

ولقد وردت لفظة الشيعة في القرآن الكريم في اثني عشر موضعاً[٣]، وهي تدور حول ثلاث معاني كما جاء في المعجم الوسيط[٤]:

١. الفرقة والجماعة[٥]: قال تعالى:﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام:١٥٩]، وقال سبحانه:﴿ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا﴾[مريم:٦٩].

٢. الأهل والأتباع[٦]: قال تعالى:﴿ وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾ [الصَّفات:٨٣]، وقال سبحانه:﴿ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ﴾ [القصص:١٥].

٣. الأمثال والنظائر[٧]: قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ [القمر:٥١] ، وقال سبحانه: ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ﴾ [سبأ:٥٤].

---

(١) الزبيدي: محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي، أبو الفيض، الملقب بمرتضى،علامة باللغة والحديث والرجال والأنساب، من كبار المصنفين. أصله من واسط في العراق وولد في الهند عام ١١٤٥هـ ونشأ في زبيد باليمن ثم رحل إلى الحجاز، وأقام بمصر وتوفي بالطاعون بها عام ١٢٠٥هـ، له عدة مؤلفات منها : تاج العروس ، إتحاف السادة المتقين وغيرها من المصنفات. (انظر: الأعلام: الزركلي، ٧/٧٠).

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضي الحسيني الزبيدي، تحقيق: عبد الحليم الطحاوي، الناشر: مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ٢١/٣٠٢.

(٣) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٢هـ–٢٠٠١م، ص٤٩٠.

(٤) المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى وآخرون، تحقيق: مجمع اللغة، الطبعة: الرابعة، الناشر: مكتبة الشروق الدولية، جمهورية مصر العربية ، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م، ١/٥٠٣.

(٥) انظر تفسير الآية ١٥٩ من سورة الأنعام:الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي تحقيق: هشام سمير البخاري، الناشر: دار عالم الكتب، الرياض ، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ–٢٠٠٣م، ٧/١٥٠، وتفسير القرآن العظيم : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ–١٩٩٩م، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ٣/٣٧٧.

(٦) انظر تفسير الآية٨٣ من سورة الصافات: الجامع لأحكام القرآن: القرطبي،١٨/٤٩، وتفسير القرآن العظيم: ابن كثير،٧/٢٣

(٧) انظر تفسير الآية ٥١ من سورة القمر :الجامع لأحكام القرآن: محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي ، ١٧/١٤٩، و تفسير القرآن العظيم : للإمام إسماعيل بن كثير، ٧/٤٨٦.

ثانياً: الشيعة في الاصطلاح:

تدور أغلب تعريفات العلماء للشيعة حول أحقية علي ﷺ وأولاده بالإمامة على اختلاف بينهم في مدى سعة هذه التعاريف وضيقها، وأهم هذه التعاريف في الآتي:-

١. **تعريف علماء الشيعة للشيعة:**

أ- يعرف شيخ الشيعة القمي[(١)] الشيعة بقوله: "الشيعة هم فرقة علي بن أبي طالب المسمون شيعة علي في زمان النبي ﷺ، وبعده، معروفون بانقطاعهم إليه والقول بإمامته"[(٢)]، وإلى مثل هذا التعريف يذهب النوبختي[(٣)] في تعريفه للشيعة[(٤)].

ب- بينما يرى شيخهم المفيد[(٥)] بأن لفظ الشيعة يطلق على:" أتباع أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه على سبيل الولاء والاعتقاد بإمامته بعد الرسول صلوات الله عليه وآله بلا فصل، ونفي الإمامة عمن تقدمه في مقام الخلافة، وجعل الاعتقاد متبوعاً لهم، غير تابع لأحد منهم على وجه الاقتداء".[(٦)]

ت- ويذهب النجاشي[(٧)] إلى تعريف الشيعة بقوله:" الشيعة الذين إذا اختلف الناس عن رسول الله أخذوا

---

(١) القمي: سعد بن عبد الله القمي أبو القاسم هو عند الشيعة جليل القدر، واسع الأخبار، من أهل قم، له كثير من التصنيف من كتبه: الضياء في الإمامة، ومقالات الإمامية ، مناقب الرواة . توفي سنة ٣٠١هـ، وقيل ٢٩٩هـ، (انظر معجم المؤلفين ، عمر كحالة ١/ ٢١١- ٢١٢، مكتبة المثنى، بيروت -لبنان ، وانظر: الفهرست، محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق:جواد القيومي، الطبعة الأولى ، الناشر: مؤسسة الفقاهة، قم، ١٤١٧هـ، ص١٣٥، وانظر: الأعلام: الزركلي، ٨٦/٣).

(٢) فرق الشيعة: الحسن بن موسى النوبختي وسعد بن عبد الله القمي، تحقيق: د.عبد المنعم الحنفي، الطبعة: الأولى، الناشر: دار الرشيد، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م، ص١٥.

(٣) النوبختي: الحسن بن موسى بن الحسن بن محمد النوبختي، أبو محمد، متكلم شيعي، و فيلسوف ، توفي بعد الثلاثمائة هجري، له مصنفات كثيرة منها: فرق الشيعة، وحدوث العالم ، والآراء والديانات لم يتمه، قال عنه الطوسي: كان إمامياً حسن الاعتقاد، (انظر: الفهرست: الطوسي، ص٩٦، ورجال الطوسي:أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي ، تحقيق: جواد القيومي، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، ١٤١٥هـ، ص٤٢١، الأعلام: الزركلي، ٢٢٤/٢)

(٤) فرق الشيعة: الحسن بن موسى النوبختي وسعد بن عبد الله القمي، ص١٥.

(٥) المفيد: محمد بن محمد بن النعمان بن عبد السلام العكبري أبو عبد الله، الملقب بالمفيد ويعرف بابن المعلم، نال في زعمهم شرف مكاتبة مهديهم المنتظر، ومن جملة متكلمي الشيعة انتهت إليه رئاسة الاثنا عشرية، وقد كان له نفوذ في الدولة البويهية ولد في عام ٣٣٨هـ وتوفي ببغداد سنة ٤١٣هـ، وله قريب من مائتي مصنف منها، الإيضاح في الإمامة ، كتاب النقض على ابن قتيبة،(انظر: رجال النجاشي: أبو العباس أحمد بن على النجاشي، تحقيق: موسى الشبيري الزنجاني، الطبعة: الخامسة، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسي بقم، قم، ص ٣٩٩-٤٠٣، والفهرست: الطوسي، ص ٢٣٨، ومعجم المؤلفين ، عمر كحالة ،١١/ ٣٠٦- ٣٠٧ ، الأعلام : الزركلي، ٢١/٧).

(٦) أوائل المقالات في المذاهب والمختارات: محمد بن محمد بن النعمان الملقب بالمفيد ، تحقيق إبراهيم الأنصاري الزنجاني، الطبعة:الثانية، الناشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٤هـ -١٩٩٣م، ص ٣٥.

(٧) النجاشي: أحمد بن علي بن أحمد بن العباس بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله النجاشي ويعرف بابن الكوفي، مؤرخ إمامي من أهل بغداد ولد عام ٣٧٢هـ وتوفي بمطير آباد عام ٤٥٠هـ، صاحب كتاب الرجال المشهور من تصانيفه: كتاب الرجال ، كتاب الجمعة، (انظر معجم المؤلفين ، عمر كحالة ، ٣١٧/١، وأعيان الشيعة ، محسن العاملي ، ٣٠/٣، والأعلام : الزركلي ، ١٧٢/١).

بقول علي وإذا اختلف الناس عن علي أخذوا بقول جعفر بن محمد"[١].

ث- ونختم أقوال علماء الشيعة بما قاله محمد جواد مغنية[٢] بأنّ لفظ الشيعة:" علم على من يؤمن بأن علياً هو الخليفة بنص النبي ﷺ"[٣].

ومن الجدير ذكره هنا أن كل تعريفات علماء الشيعة السابقة تركز على أحقية علي في الإمامة دون أي ذكر لبقية عقائد الشيعة الأخرى والتي يعد من لم يؤمن بواحدة منها كافراً وليس شيعياً كعدد الأئمة وتعيينهم ،والعصمة، والغيبة والرجعة...إلخ.

٢. تعريف علماء الفرق للشيعة:

أ- ذهب أبو الحسن الأشعري[٤] إلى أن اسم الشيعة أطلق على من شايع علياً ﷺ ، وقدمه على جميع الصحابة رضي الله عنهم [٥].

ب- بينما ذهب الشهرستاني[٦] إلى أن الشيعة هم الذين شايعوا علياً ﷺ على الخصوص، واعتقدوا بإمامته وخلافته نصاً ووصية، إما جلياً أو خفياً، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده..."[٧].

---

(١) رجال النجاشي: أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن العباس النجاشي ، تحقيق: موسى الشبيري الزنجاني، الطبعة: الخامسة ، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، بقم ، ١٤١٦هـ، ص١٢.

(٢) محمد جواد بن محمود مغنية : من أبرز علماء شيعة لبنان ، ولد سنة ١٣٢٢هـ، في قرية طير دبا من جبل عامل ، درس على شيوخ قريته ثم سافر إلى النجف ، ودرس على يد الخوئي ثم عاد إلى جبل عامل ، وعين قاضياً شرعياً في بيروت ثم رئيساً للمحكمة الشرعية العليا ، له العديد من المصنفات أهمها : الشيعة في الميزان ، وفي ظلال نهج البلاغة ، الفقه على المذاهب الخمسة، وفقه الإمام جعفر الصادق ، توفي في شهر محرم سنة ١٤٠٠هـ. (انظر أعيان الشيعة: محسن أمين ، تحقيق حسن الأمين، الناشر: دار التعارف للمطبوعات، بيروت – لبنان، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، ٢٠٥/٩).

(٣) الشيعة في الميزان: محمد جواد مغنية، الطبعة: الرابعة، الناشر: دار التعارف للمطبوعات، بيروت- لبنان، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، ص ١٥.

(٤) أبو الحسن الأشعري: علي بن إسماعيل بن إسحاق ، من نسل الصحابي أبي موسى الأشعري مؤسس مذهب الأشاعرة كان من الأئمة المتكلمين المجتهدين ، وقيل أنه رجع نهاية حياته عن المذهب الأشعري متبعاً طريق السلف ، ولد في البصرة سنة ٢٦٠هـ ، وتوفي ببغداد سنة ٣٢٤هـ ، له نحو ثلاثمائة مصنف منها : مقالات الإسلاميين ، والإبانة عن أصول الديانة ...إلخ، (انظر: الأعلام ، الزركلي ، ٢٦٣/٤).

(٥) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين: أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، الطبعة الثانية، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت ،١٣٨٩هـ -١٩٦٩م، ٦٥/١ .

(٦) الشهرستاني: محمد بن عبد الكريم بن أحمد ، أبو الفتوح الشهرستاني ، فيلسوف ، متكلم ، كان بصيراً بأديان الأمم ، ومذاهب الفلاسفة، ولد بشهرستان سنة ٤٧٩هـ ، وانتقل إلى بغداد ، وأقام بها ثلاث سنين ثم عاد إلى بلده وتوفي بها سنة ٥٤٨هـ له مصنفات عديد من أشهرها : الملل والنحل، ونهاية الإقدام في علم الكلام ،(انظر: الأعلام: الزركلي ، ٢١٥/٦).

(٧) انظر: الملل والنحل: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، تحقيق:محمد سيد كيلاني، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، ١٤٠٤هـ،١٦٢/١.

ت- ويعرف الشريف الجرجاني[1] الشيعة بأنهم الذين شايعوا علياً، وقالوا بإمامته بعد رسول الله ﷺ وأن الإمامة لا تخرج عنه وعن أولاده"[2].

ث- بينما يعرف ابن حزم[3] الشيعة بقوله:"ومن وافق الشيعة في أن علياً رضي الله عنه أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ، وأحقهم بالإمامة وولده من بعده فهو شيعي، وإن خالفهم فيما عدا ذلك مما اختلف فيه المسلمون، فإن خالفهم فيما ذكرنا فليس شيعياً"[4].

وقد رجّح تعريف ابن حزم عدد من كُتاب الشيعة منهم الكاتب الشيعي السيد طالب الخرساني، حيث ذكر سبب اختياره على غيره من التعريفات فقال:" ومما حدانا إلى تفضيل تعريف ابن حزم هو أن الاعتراف بأفضلية الإمام علي عليه السلام على الناس بعد رسول الله ﷺ ، وأنه الإمام والخليفة بعده، وأن الإمامة في ذريته من فاطمة عليها السلام هو أساس التشيع وجوهره "[5].

المطلب الثاني: أسماء وألقاب الشيعة الاثنا عشرية .

أطلقت على فرقة الشيعة الاثنا عشرية عدة ألقاب مع تعاقب السنين والقرون، لكل لقب سبب في التسمية، منها من ترضى به الشيعة الاثنا عشرية ، وأخرى ترفضها ،أو تتأول معناه، وهي:

أولاً: الشيعة.

لقب الشيعة في الأصل يطلق على فرق الشيعة كلها، ولكن هذا المصطلح اليوم إذا أطلق فإنه ينصرف إلى طائفة الاثنا عشرية وذلك لأنها أكبر فرق الشيعة المعاصرة، ولشهرة كل فرقة من فرق الشيعة الأخرى باسم خاص لها[6].

---

(١) الشريف الجرجاني: على بن محمد بن على ، المعروف بالشريف الجرجاني ، فيلسوف ، من كبار العلماء بالعربية، ولد في تاكو سنة ٧٤٠هـ ، وتوفي في شيراز سنة ٨١٦هـ، له نحو خمسين مصنفاً منها التعريفات ، وشرح مواقف الإيجي، (انظر: الأعلام، الرزكلي ، ٧/٥).

(٢) التعريفات: على بن محمد الشريف الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت –لبنان، ١٤٠٥هـ، ص١٧١.

(٣) ابن حزم: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري ، أبو محمد ، علامة الأندلس في عصره، وأحد أئمة الإسلام، كان في الأندلس خلق كثير ينتسبون إلى مذهبه يقال لهم الحزمية، ولد بقرطبة سنة ٣٨٤هـ كانت له ولاية فزهد فيها وانصرف إلى التأليف والعلم ، فكان من صدور الباحثين فقيهاً حافظاً يستنبط الأحكام من الكتاب والسنة ، بعيداً عن المصانعة ، وانتقد الكثير من العلماء والفقهاء ، فتعاونوا على بغضه ، وأجمعوا على تضليله ، وحذروا سلاطينهم من فتنته، ونهوا عوامهم من الدنو منه ، فأقصته الملوك وطاردته ، فرحل إلى البادية ليلة من بلاد الأندلس وتوفي بها سنة ٤٥٦هـ ، تصل مؤلفاته نحو ٤٠٠مجلد ، من أشهرها الفصل في الملل والأهواء والنحل ، والمحلى ، وجمهرة الأنساب...،(انظر: الأعلام، الزركلي، ٢٥٤/٤-٢٥٦).

(٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل: أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري، تحقيق: محمد إبراهيم نصير، وعبد الرحمن عميرة، الطبعة الثانية ، الناشر: دار الجليل، بيروت، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م ،٢٧١/٢.

(٥) نشأة التشيع: السيد طالب الخرساني، الطبعة الأولى، الناشر: انتشارات الشريف الرضي، ١٤١٢هـ- ١٩٩١م، ص٢٢

(٦) انظر: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية ، د. ناصر القفاري، ٩٩/١-١٠٠.

ولقد ذُكر في تعريف الشيعة سابقاً سبب تسميتهم بهذا الاسم، وأنه كان في البداية متابعة ونصـــرة لعلي ﷺ ، ومن ثم صار هذا الاسم لدلالة على الفرقة(١).

ثانياً: الاثنا عشرية:

يعد هذا اللقب متأخراً من حيث الظهور عن ألقاب الشيعة الأخرى، فقد ظهر في القـــرن الثالـــث الهجري في حدود سنة ٢٦٠هـــ، بعد ميلاد فكرة غيبة الإمام الثاني عشر – المزعوم -، التي تعتقد الشيعة أنه اختبأ في سرداب في دار أبيه، (بسُرَّ مَنْ رأى)، ومن ثم سوف يعود في آخر الزمان ، أما بالنســـبة للقب نفسه فهو يعود إلى الاثنا عشر إماماً التي تعتقد الشيعة الاثنا عشرية بأنهم الأئمة الحق المنصـــوص عليهم ، وما سواهم ليسو بأئمة، سواء كانوا من نسل علي أو من غيره.

قال الشيعي محمد جواد مغنية:" الاثنا عشرية نعت يطلق على الشيعة الإمامية القائلة باثني عشـــر إماماً تعينهم بأسمائهم" (٢)

ولكل إمام من الأئمة الاثنا عشر لقب عرف به واشتهر عند الشيعة، وهم كالتالي (٣):

١. الإمام الأول: عليّ بن أبي طالب ﷺ ويلقبونه بالمرتضي، وكنيته أبو الحسن، ولد ســـنة ٢٣ قبـــل الهجرة ، وقتله الضال المضل عبد الرحمن بن ملجم في مسجد الكوفة سنة ٤٠هـــ .

٢. الإمام الثاني: الحسن بن عليّ بن أبي طالب ﷺ، ويلقبونه بالمجتبي ، وقيل بالزكي، أبـــو محمـــد ، ولد سنة ٢هـــ وتوفي سنة ٥٠هـــ .

٣. الإمام الثالث: الحسين بن عليّ بن أبي طالب ﷺ ويلقبونه بالشهيد ، وكنيته أبو عبد الله ، ولد سنة ٣هـــ ، واستشهد سنة ٦١هـــ.

٤. الإمام الرابع: علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ويلقبون بالسَجْاد ، وقيل بـــزين العابـــدين، وكنيته أبو محمد ، ولد سنة ٣٨هـــ ، وتوفي سنة ٩٥هـــ.

٥. الإمام الخامس: محمد بن علي بن الحسين ويلقبونه بالباقر ، وكنيته أبو جعفر ولد ســـنة ٥٧هـــــ وتوفي سنة ١١٤هـــ.

٦. الإمام السادس: جعفر بن محمد بن علي، ويلقبونه بالصادق ، وكنيته أبـــو عبـــد الله ، ولـــد ســـنة ٨٣هـــ ، توفي سنة ١٤٨هـــ.

---

(١) انظر: ص ٣ من هذا البحث .

(٢) الاثنا عشرية وأهل البيت: محمد جواد مغنية، ص١٥ ، نقلاً عن الوشيعة في كشف شنائع وضلالات الشيعة : د. صالح الرقب، الطبعة الأولى ، ١٤٢٤هـــ –٢٠٠٣م، ص ١٤، وانظر: الصلة بين التشيع والاعتزال: محمـــد حامـــد بـــن منـــور الجدعاني ، ١٤١٩هـــ ،٩١/١.

(٣)انظر: الشيعة في الميزان: محمد جواد مغنية، ص ٣٣٥، وص٢١٤،ص ٢٥٤، وانظر: التشيع من رئي التسنن: محمـــد رضا المدرسي اليزدي ، ترجمة عبد الرحيم الحمراني، الطبعة الأولى ، الناشر: صحيفة المعرفة ، نينـــوى ، ١٤٢٦هـــــ ، ص٩٣ وما بعدها ، حقيقة التشيع ونشأته : الاستاذ صباح البياتي ، ص١٣٧، سلسلة الرحلة إلى الثقلـــين ، إعـــداد مركـــز الأبحاث العقائدية ، المكتبة العقائدية، وفرق معاصرة تنسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها: د. غالـــب بـــن علـــي عواجي، الطبعة الرابعة،الناشر: المكتبة العصرية الذهبية ، ١٤٢٢هـــ – ٢٠٠١م ،١/ ٣٤٩.

٧. الإمام السابع: موسي بن جعفر بن محمد، ويلقبونه بالكاظم ، وكنيته أبو إبراهيم ، ولد سنة ١٢٨هـ وتوفي سنة ١٨٣هـ.

٨. الإمام الثامن: على بن موسي بن جعفر ويلقبونه بالرضا ، وكنيته أبو الحسن ، ولد سنة ١٤٨هـ وتوفي سنة ٢٠٣هـ.

٩. الإمام التاسع: محمد الجواد بن على بن موسي ويلقبونه بالتقي ، وقيل بالجواد، وكنيته أبو جعفر ولد سنة ١٩٥هـ ، وتوفي سنة ٢٢٠هـ.

١٠. الإمام العاشر: على بن محمد بن على، ويلقبونه بالنقي وقيل الهادي ، وكنيته أبو الحسن، ولد سنة ٢١٢هـ ، وتوفي سنة ٢٥٤هـ.

١١. الإمام الحادي عشر: الحسن بن على بن محمد ويلقبونه بالزكي ، وقيل العسكري ، وكنيته أبو محمد ، ولد سنة ٢٣٢هـ وتوفي سنة ٢٦٠هـ.

١٢. الإمام الثاني عشر والأخير: محمد بن الحسن العسكري ويلقبونه بالمهدي ، وقيل بالحجة القائم المنتظر ،وكنيته أبو القاسم ، وهو الحجة الغائب زعم أنه ولد في سنة ٢٥٦هـ ، وغاب غيبة صغرى سنة ٢٦٠هـ ، وغيبة كبرى سنة ٣٢٩هـ ولم يعد إلى الآن!!.

ثالثاً: الإمامية.

أُطلق اسم الإمامية على الشيعة الاثنا عشرية لاعتقادهم أن الإمامة ركن من أركان الدين فلا يصح إيمان المرء إلا بهذا الاعتقاد، ولأجل ذلك أكثروا من إيراد مسألة الإمامة في كتبهم وجعلوها أساساً في تعاليمهم وبحوثهم.

يقول شيخ الشيعة المفيد:" الإمامية علم على من دان بوجوب الإمامة ووجودها في كل زمان، أوجب النص الجلي، والعصمة والكمال لكل إمام، ثم حصر الإمامة في ولد الحسين بن علي، وساقها إلى الرضا علي بن موسى"(١).

ويذكر الشيرازي عن سبب تسميتهم بالإمامية فيقول:" للاهتمام بالإمامة في تعاليمهم كما هو واقع بحوثهم، و لأنهم يعتقدون بإمامة علي – أمير المؤمنين– وأولاده الأحد عشر" (٢).

ويقول محمد آل كاشف الغطاء(٣):" إن أهم ما امتازت به الشيعة عن سائر فرق المسلمين هو: القول بإمامة الأئمة الاثنا عشر، وبه سميت هذه الطائفة إمامية إذ ليس كل الشيعة تقول بذلك "(٤)

---

(١) أوائل المقالات في المذاهب والمختارات: المفيد، ص ٣٨.

(٢) قضية الشيعة: الشيرازي، ص ٣، نقلاً عن فرق معاصرة: غالب عواجي، ٣٥٣/١ .

(٣) محمد آل كاشف الغطاء: هو محمد حسين بن على بن الرضا بن موسى بن جعفر كاشف الغطاء النجفي ، مجتهد إمامي وأديب انتهت إليه رئاسة المذهب بعد وفاة أخيه أحمد بن على وهو من أهل النجف ولد عام ١٢٩٤هـ – وتوفي عام ١٣٧٣هـ، وهو من زعماء الثورات الوطنية في العراق، من مصنفاته : الدين والإسلام، وأصل الشيعة وأصولها .(انظر : الأعلام : الزركلي ، ١٠٦/٦-١٠٧.)

(٤) أصل الشيعة وأصولها: محمد حسين آل كاشف الغطاء ، تحقيق علاء آل جعفر، الطبعة: الأولى، الناشر: يد للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م، ص٢١٣.

رابعاً : الرافضة.

أطلقت هذه التسمية على الرافضة لأسباب كثيرة منها:.

١- **لرفضهم مناصرة زيد بن على بن الحسين بعد أن خرج على هشام بن عبد الملك ،وأظهر توليه لأبي بكر وعمر.**

فيذكر الرازي[١]إنما سموا بالروافض لأن زيد بن على بن الحسين بن على بن أبي طالب خرج على هشام بن عبد الملك ، فطعن معسكره في أبي بكر وعمر فمنعهم من ذلك فرفضوه ولم يبق معه إلا مائتا فارس فقال لهم – أي زيد بن علي– رفضتموني، قالوا نعم فبقي عليهم هذا الاسم[٢].

٢- **لطعنهم في إمامة أبي بكر، وعمر، وعثمان رضي الله عنهم أو شتمهم أو سبهم،** قال عبد الله بن أحمد بن حنبل:" قلت لأبي: من الرافضة ؟، قال: الذي يسب أبا بكر وعمر رحمهما الله"[٣].

يقول الدكتور محمد عمارة: "الرافضة في عرف أهل السُنة والجماعة بمذاهبهم ومدارسهم المختلفة هم الشيعة ، الذين سُموا بذلك لرفضهم شرعية خلافة أبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان رضي الله عنهم، ومن ثم رفضوا شرعية التاريخ الإسلامي، انطلاقاً من دعواهم وجود نَصْ وتعيين إلهي للإمام على بن أبي طالب ﷺ إماماً للمسلمين وخليفة لهم"[٤]. وهذا ما يرتضيه علامتهم المعاصر محمد باقر الصدر ويؤكده السيد طالب الحسيني[٥].

٣- "**وقيل إن المغيرة بن سعيد هو الذي سماهم بهذا الاسم** ، وذلك أنه لما ادعى أن ابن الحنفية هو القائم المنتظر وأنه حيٌّ لم يمت، برئت منه الشيعة ورفضته"[٦].

---

(١) الرازي: محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، أبو عبد الله، فخر الدين الرازي: الإمام المفسر. أوحد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل. وهو قرشي النسب. أصله من طبرستان، ومولده في الري عام ٥٤٤هـ وتوفي في هراة عام ٦٠٦هـ له من التصانيف الكثيرة منها: مفاتيح الغيب ، ومعالم أصول الدين ، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين ، (انظر: الأعلام: الزركلي ، ٣١٣/٦).

(٢) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين: فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر الخطيب الرازي، تحقيق: علي سامي النشار، الناشر: دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ١٤٠٢هـ، ص٥٢، وانظر: مجموع الفتاوى: تقي الدين أحمد بن تيمية الحراني، تحقيق: أنور الباز وعامر الجزار، الطبعة الثالثة، الناشر: دار الوفاء، ١٤٢٦هـ– ٢٠٠٥م، ٣٦/١٣.

(٣) السنة: لأبي بكر أحمد بن محمد ابن هارون بن يزيد الخلال، تحقيق د. عطية الزهراني، الطبعة الأولى، الناشر: دار الراية للنشر والتوزيع، ١٤١٠هـ–١٩٨٩م،٤٩٢/٣، ومجموع الفتاوى:ابن تيمية، ٤/ ٤٣٥، ومنهاج السنة: ابن تيمية،٣٥/١

(٤) الوسيط في المذاهب والمصطلحات الإسلامية: د.محمد عمارة، الناشر:نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة،٢٠٠٠م، ص٧٣.

(٥) التشيع ظاهرة طبيعية في إطار الدعوة الإسلامية: محمد باقر الصدر ، الناشر: مكتبة الخانجي ، القاهرة، ١٣٩٧هـ–١٩٧٧م، ص٧٧ وهامشها.

(٦) اليمانيات المسلولة: زين العابدين بن يوسف الكوراني، تحقيق د. المرابط محمد يسلم المجتمعي، الطبعة الأولى ، الناشر: مكتبة الإمام البخاري ١٤٢١هـ– ٢٠٠٠م، ص١٩٧.

٤- **تذكر كتب الاثنا عشرية أن الله سبحانه وتعالى هو من سماهم بالرافضة**، فقد أورد المجلسي[١] في كتابه البحار باباً سماه باب فضل الرافضة ومدح التسمية به، ذكر فيه أربع أحاديث من أحاديثهم في مدح التسمية [٢]، فمن هذه الأحاديث:

ما رواه المجلسي عن سليمان الأعمش أنه قال:" دخلت على أبي عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام قلت: جعلت فداك إن الناس يسمونا روافض، وما الروافض ؟ فقال: والله ما هم سموكموه، ولكن الله سماكم به في التوراة والإنجيل على لسان موسى ولسان عيسى عليهما السلام وذلك أن سبعين رجلاً من قوم فرعون رفضوا فرعون ودخلوا في دين موسى فسماهم الله تعالى الرافضة، وأوحى إلى موسى أن أثبت لهم في التوراة حتى يملكوه على لسان محمد صلى الله عليه وآله"[٣].

هذه أبرز ألقاب الشيعة الاثنا عشرية التي أطلقت عليهم، غير أن هناك ألقاب أخرى أطلقوها على أنفسهم أو تسموا بها لكنها ليست بذات الشهرة كالألقاب السابقة منها :

- **القطعية** : لأنهم قطعوا على موت موسى بن جعفر الصادق[٤].
- **الجعفرية:** نسبة إلى جعفر الصادق الإمام السادس عندهم، ولأخذهم عنه فروع الدين كما يزعمون[٥] وهذه تسمية فقهية كما يقال عند أهل السنة - شافعية وحنابلة-.
- **أصحاب الانتظار:** وذلك لأنهم يقولون بأن الإمام بعد الحسن العسكري ولده محمد بن الحسن العسكري وهو الإمام الغائب الذي ينتظرون خروجه[٦].
- **الخاصة:** وهو لقب يطلقه شيوخ الشيعة على طائفتهم ويلقبون أهل السنة والجماعة بالعامة[٧]

---

(١) المجلسي: محمد باقر بن محمد تقي المجلسي الثاني الأصفهاني، شيعي ولد في أصفهان سنة ١٠٣٧هـ وتوفي فيها سنة ١١١٠هـ، له تصانيف كثير منها: كتاب بحار الأنوار ، والتوحيد الاحتجاجات والمناظرات ، ومرآة العقول في شرح أخبار الرسول ، قال عنه الحر العاملي :" عالم ، فاضل ، ماهر ، مدقق ، علامة ، فهامة ، فقيه ، متكلم ، محدث ، ثقة ، جامع للمحاسن والفضائل" (انظر: أمل الأمل، محمد بن محسن الحر العاملي ، تحقيق السيد أحمد الحسيني، مطبعة الآداب، ٢٤٨/٢-٢٤٩، وانظر: الذريعة إلى تصانيف الشيعة : أغا برزك الطهراني، ١٨٩/٢، ومعجم المؤلفين، عمر كحالة، ٩١/٩).

(٢) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: محمد باقر المجلسي ، تحقيق إبراهيم الميانجي و محمد الباقر البهبودي، الطبعة الثانية ، الناشر: مؤسسة الوفاء ، بيروت - لبنان ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.٩٦/٦٥.

(٣) المصدر السابق: باب فضل الرافضة ومدح التسمية بها، حديث رقم:٣، ٩٧/٦٥.

(٤) انظر: مقالات الإسلاميين: أبو الحسن الأشعري، ٩٠/١-٩١، والفرق بين الفرق: عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي ، تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد ، الناشر: مكتبة محمد صبيح وأولاده، القاهرة - مصر ، ص٦٤.

(٥) انظر: إسلام بلا مذاهب :د.مصطفى الشكعة، ص١٩٠.

(٦) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين: فخر الدين الرازي، ص ٥٥-٥٦.

(٧) أصول مذهب الشيعة الاثنا عشرية : د.ناصر القفاري، ١١٠/١.

المبحث الثاني
نشأة الشيعة

إن الشيعة كفرقة وجماعة بأصولها وعقائدها لم تظهر فجأة بين عشية وضحاها وإنما مرت بأطوار مختلفة وانقسامات وتشعبت إلى فرق كثيرة بحسب هذه الأطوار، فقد ذهب علماء أهل السنة والجماعة إلى أن نشأة التشيع كاسم أطلق على فرقة معينة طارئة في التاريخ الإسلامي، ويربطون ظهوره مع ظهور الخلاف بين المسلمين على اختلاف بينهم في التوقيت، بينما ذهب علماء الشيعة إلى محاولة ربط نشأة التشيع مع بعثة الرسل والأنبياء والقول بأن التشيع قديم في التاريخ الإسلامي، وبالعموم فإنه يمكن تلخيص هذه الآراء في المطلبين التاليين:

المطلب الأول: رأي علماء الشيعة في نشأة الشيعة.

الرأي الأول: إنّ التشيع قديم ولد مع بعثة الأنبياء، وأنه ما من نبي إلا وقد دعاه الله إلى ولاية علي ﷺ.

فقد وضع أصحاب كتب الروايات من الاثنا عشرية الكثير من الأساطير التي تقول بأن التشيع ولد قبل بعثة الأنبياء، وأنه ما من نبي إلا وأخذ منه الولاء للأئمة، فمن هذه الروايات:

١. ما رواه الكليني[(١)] بسنده عن أبي الحسن قال:" ولاية علي عليه السلام مكتوبة في جميع صحف الأنبياء، ولن يبعث الله رسولاً إلا بنبوة محمد ﷺ، ووصية عليّ عليه السلام"[(٢)].

٢. وروى كذلك عن أبي جعفر عليه السلام قال:" إن الله خلق الخلق... ثم دعاهم إلى الإقرار بالنبيين فأقر بعضهم وأنكر بعضهم ثم دعاهم إلى ولايتنا فأقر بها والله من أَحَبَّ، وأنكرها من أَبْغَض وهو قوله ﴿ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ ﴾ [الأعراف:١٠١]... "[(٣)].

٣. وروى الطبرسي في مستدركه عن أبي عبد الله قال:" ولايتنا ولاية الله لم يبعث نبي قط إلا بها"[(٤)].

---

(١) الكليني: محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي البغدادي يعد عند الشيعة من أوثق الناس في الحديث وأثبتهم جليل القدر عندهم له عدة مصنفات منها تفسير الرؤيا ، رسائل الأئمة توفي سنة ٣٢٨هـ ودفن بباب الكوفة ،(انظر أعيان الشيعة : محسن أمين العاملي ١٠ /٩٩)، ولمعرفة المزيد عنه انظر: ص٤٦ من هذا البحث.

(٢) أصول الكافي: أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني، تحقيق: علي أكبر الغفاري ، الطبعة: الخامسة ، الناشر : دار الكتب الإسلامية ، طهران ، ١٣٨٨هـ ، باب فيه نتف وجوامع من الرواية في الولاية، حديث رقم:٦ ،٤٣٧/١، الحديث ضعيف ومرسل، بل إن جميع أحاديث هذا الباب عدها المجلسي من الأحاديث الضعيفة أو المرسلة، (انظر: كسر الصنم: لآية الله العظمى أبو الفضل بن رضا البرقعي، نقله إلى العربية: عبد الرحيم ملا زاده البلوشي، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، الناشر: دار البيارق، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، ص٢٩٢).

(٣) أصول الكافي: الكليني، باب فيه نتف وجوامع من الرواية في الولاية، حديث رقم:٢ ،٤٣٧/١ الحديث ضعيف، (انظر: كسر الصنم: البرقعي، ص٢٩٢-٢٩٣) .

(٤) مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل: حسين النوري الطبرسي، تحقيق : مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ، الطبعة الأولى ، بيروت ، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م، ٢/ ١٩٥.

٤. وروى المجلسي في بحار الأنوار: أنّ رسول الله ﷺ قال- كما يزعمون-:يا علي ، ما بعث الله نبياً إلا وقد دعاه إلى ولايتك طائعاً أو كارهاً"[١].

٥. وكذلك روى عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده -عليهم السلام- قال: قال رسول الله ﷺ :" إن الله تبارك وتعالى عرض ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام على أهل السماوات وأهل الأرض فقبلوها ما خلا يونس بن متى فعاقبه الله وحبسه في بطن الحوت لإنكاره ولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام حتى قبلها، فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين لإنكاري ولاية علي بن أبي طالب" [٢].

٦. وروى العاملي في فصوله عن أبي جعفر أنه قال:" إن الله تبارك وتعالى حين خلق الخلق، خلق ماء عذبا وماء مالحا أجاجا فامتزج الماءان، فاخذ طينا من أديم الأرض فعركه عركا شديدا، فقال لأصحاب اليمين :وهم كالذر يدبون إلى الجنة بسلام، وقال لأصحاب الشمال: إلى النار ولا أبالي، ثم قال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف:١٧٢] ، ثم أخذ الميثاق على النبيين فقال: ألست بربكم وأن هذا رسولي وأن هذا علي أمير المؤمنين ؟ قالوا : بلى فثبتت لهم النبوة[٣].

والروايات في ذلك المعنى كثيرة بلغت حد التواتر، فقد ذكر الحر العاملي[٤] بأن رواياتهم التي تقول: إن الله حين خلق الخلق أخذ الميثاق من الأنبياء تزيد عن حد التواتر حيث بلغت أكثر من ألف رواية[٥].

---

(١) بحار الأنوار: محمد باقر المجلسي، كتاب النبوة، الباب الأول معنى النبوة وعلة بعثة الأنبياء..حديث رقم:٦٩، ٦٠/١١.

(٢) المصدر السابق: باب أن دعاء الأنبياء استجيب بالتوسل والاستشفاع بهم صلوات الله عليهم أجمعين، حديث رقم:١٦، ٣٣٣/٢٦ و له عدة روايات أخرى، ٤٠١/١٤، ٤٦/ ٥٢/٣٩،٦١ ، وانظر: تفسير نور الثقلين:عبد على جمعة العروسي الحويزي، تحقيق: هاشم الرسولي المحلاتي، الناشر: مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع، قم ، ١٤١٢هـ ، ٤٤٩/٣ ، ومدينة معاجز الأئمة الاثنا عشر ودلائل الحجج على البشر: السيد هاشم البحراني ، تحقيق ونشر:مؤسسة المعارف الإسلامية ، الطبعة الأولى ، قم، ١٤١٣هـ، ٢٢٩/٢.

(٣) الفصول المهمة في أصول الأئمة: محمد بن الحسن الحر العاملي، تحقيق: محمد بن محمد القائيني، الطبعة الأولى، الناشر: مؤسسة معارف إسلامي إمام رضا ، قم، ١٤١٨هـ ، ٤٢٠/١.

(٤) الحر العاملي: محمد بن الحسن بن على بن محمد الملقب بالحر العاملي ، فقيه إمامي ومؤرخ ، ولد في قرية مشغر في لبنان عام ١٠٣٣هـ وتوفي في طوس بخرسان عام ١١٠٤هـ، له من التصانيف الشيء الكثير أشهرها : وسائل الشيعة ، الفصول المهمة في أصول الأئمة ، وصفه الشيعة بأنه :شيخ المحدثين ، وأفضل المتبحرين، العالم ، الفقيه ، النبيه ، المحدث ، المتبحر ، الورع ، الثقة، الجليل أبو المكارم والفضائل، صاحب المصنفات المفيدة، (انظر: الكنى والألقاب: عباس القمي ، تقديم محمد هادي الأميني، الناشر: مكتبة الصدر، طهران، انظر: الأعلام : الزركلي ، ٩٠/٦).

(٥) الفصول المهمة في أصول الأئمة: الحر العاملي ، ١/ ٤٢٥.

المناقشة:

هذا الرأي من التهافت والسخافة الذي يكفي في الرد عليه سرد تلك الأكاذيب من هذه الأساطير، فالمرء يتعجب من عقول هؤلاء كيف نسجت تلك الأكاذيب ثم صدقتها ولا يزالون يدافعون عنها مع أنها تتعارض مع أصل بعثة الرسل وعصمتهم ، يقول سبحانه وتعالى:﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء:٢٥]، وقال سبحانه وتعالى :﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل:٣٦] ، فما من رسول إلا وبعث إلى قومه بالتوحيد لا بالإقرار بالولاية.

وقال سبحانه وتعالى:﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آَدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ(١٧٢) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آَبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴾[الأعراف: ١٧٢-١٧٣] ، فهذه الآية التي أخذ الله فيها الميثاق على الخلائق ليس فيها ذكر النبي ﷺ ولا الأمير كما يزعم الشيعة وإنما فيها قوله تعالى:﴿ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آَبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ ﴾ فدل على أنه ميثاق التوحيد خاصة، ليس فيه ميثاق النبوة فكيف ما دونها(١).

يقول الإمام ابن تيمية(٢) راداً عليهم:" هذا كلام المجانين، فإن أولئك– الأنبياء – ماتوا قبل أن يخلق الله علياً فكيف يكون أميراً عليهم؟!، وغاية ما يمكن أن يكون أميراً على أهل زمانه، أما الإمارة على من خلق قبله، وعلى من يخلق بعده، فهذا من كذب من لا يعقل ما يقول، ولا يستحي مما يقول"(٣).

كما وتساءل ابن تيمية عن ذكر ولاية علي في كتب الأنبياء السابقين ؟، فقد استطاع العلماء أن يُخرجوا ذكر النبي ﷺ منها، فأين ذكر ولاية علي فيها، وعن هؤلاء الذين أسلموا من أهل الكتاب لمَ لم يذكر أحد منهم أنه ذُكر عندهم، وكيف يجوز أن يقال إنَّ الأنبياء بعثوا بالإقرار بولاية علي ولم يذكروا ذلك لأممهم ولا نقله أحد منهم ؟!(٤).

---

(١) منهاج السنة النبوية: أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق : د. محمد رشاد سالم ، الطبعة الأولى، الناشر: مؤسسة قرطبة ، ١٤٠٦هـ -١٩٨٦م، ٢٩٠/٧.

(٢) ابن تيمية: هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم، الخضر النميري الحراني الدمشقي الحنبلي، ولد في حران، وتحول به أبوه إلى دمشق فنبغ واشتهر، وأفتى ودرس وهو دون العشرين، مات معتقلا بقلعة دمشق، فخرجت دمشق كلها في جنازته، عني بالحديث ونسخ الأجزاء ودار على الشيوخ ، وبرع في الرجال وعلل الحديث وفقهه، وفي علوم الإسلام، وعلم الكلام ،وغير ذلك، له مصنفات كثيرة تبلغ ثلاث مئة مجلد، منها: درء تعارض العقل والنقل، و منهاج السنة النبوية، وبيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، ومجموعة الرسائل والمسائل، ومجموع فتاوى ابن تيمية، توفي عام ٧٢٨ هـ. (انظر: الأعلام: الزركلي، ١٤٤/١).

(٣) منهاج السنة النبوية: ابن تيمية، ٢٩٠/٧.

(٤) انظر: المصدر السابق، ١٧٠/٧.

وانظر إلى تلك المفارقات في الغلو في الأئمة وإثبات عصمتهم، وتلك الإهانات لأنبياء الله فجميع الخلق يقبل بولاية علي إلا نبي الله يونس فيعاقبه على ذلك فيحبسه في بطن الحوت، ويكره أنبياءه على الإيمان بولاية علي، وغيرهم من البشر يؤمن بولايته، فسبحان الله أهل السماوات والأرض يطيعون الله وأنبيائه يعصونه، فهل قُلبت الموازين عند الرافضة؟!، أليس هذا دليلاً على أن واضعي هذه الأساطير هم قوم قد فرغت عقولهم ونفوسهم من العلم والإيمان[1].

الرأي الثاني: إنّ التشيع نشأ في عهد الرسول ﷺ.

ذهب جمع من علماء الشيعة إلى أن النبي ﷺ هو الذي ألقى بذرة التشيع في مكة وقام برعايته[2]، بل هو الشيعي الأول ، وتزعم هذا القول مجموعة من علماء الشيعة لكي يثبتوا أن التشيع كان بمباركة الرسول ﷺ وإشرافه وأن التشيع والإسلام وجهان لمسمى واحد ، وممن تزعم هذا القول النوبختي والقمي والشيرازي من علماء الشيعة القدامى والخميني ومحسن الأمين العاملي ومحمد جواد مغنية و هاشم معروف ومحمد الحسني ومحمد باقر الصدر ومحمد حسين المظفر والشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء من المعاصرين [3]، فقد زعموا أن :" النبي ﷺ هو أول من حرض الناس على اتباع علي ﷺ ، وذلك يوم أن نزل عليه قوله تعالى:[وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ] {الشعراء:٢١٤} دعا النبي ﷺ بني عبد المطلب كي يبين لهم إنه رسول الله ليتبعوه: فقال أيكم يؤازرني على هذا الأمر، على أن يكون أخي ووصيي، وخليفتي فيكم، فلما لم يجبه إلى ما أراد غير علي ﷺ قال لهم الرسول ﷺ: هذا أخي ووارثي ووزيري ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا" [4].

يقول القمي: "فأول الفرق الشيعة، وهي فرقة علي بن أبي طالب المسمون شيعة علي في زمان النبي ﷺ، وبعده، معروفون بانقطاعهم إليه والقول بإمامته، منهم المقداد بن الأسود الكندي، وسلمان الفارسي، وأبو ذر جندب بن جنادة الغفاري، وعمار بن ياسر المذحجي،... وهم أول من سموا باسم التشيع من هذه الأمة"[5].

---

(١) انظر:أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية : د. ناصر القفاري ، ٦١/١.

(٢) انظر: أصل الشيعة وأصولها : محمد آلكاشف الغطاء، تحقيق : علاء آل جعفر ، الطبعة الأولى ، الناشر : مؤسسة الإمام علي ، ١٤١٥هـ ، ص ١٨٤، تاريخ الفقه الجعفري: هاشم معروف ، ص ١٠٥، هوية التشيع: أحمد الوائلي ، ص٢٧ ، تاريخ الشيعة : محمد حسين المظفر ، ص١٨ ، بحث حول الولاية : محمد باقر الصدر، الطبعة الثانية ، الناشر : دار التعارف للمطبوعات ، بيروت –لبنان ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ،ص٦٩-٧٠.

(٣) انظر: فرق معاصرة: د. غالب بن علي عواجي،١/ ٣١٠، والوشيعة كشف شنائع عقائد الشيعة: د صالح الرقب، ص٥

(٤) انظر: بحار الأنوار: المجلسي،حديث رقم ٤٦، ٢٥٢/٣٨، وانظر: إلى استدلالات الشيعة لهذه الرواية في الشيعة في الميزان: محمد جواد مغنية، ص١٧، وفي ظلال الوحي :علي فضل الله الحسيني، ، مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت- لبنان ، ص٢١-٢٢، و نشأة التشيع :السيد طالب الخرساني ، ص ٢٦.

(٥) المقالات والفرق : سعد بن عبد الله القمي، ص١٥.

ويذكر محمد آل كاشف الغطاء: "إن أول من وضع بذرة التشيع في الإسلام هو صاحب الشريعة الإسلامية ، وهذا يعنى أن بذرة التشيع وضعت مع بذرة الإسلام ،جنبا إلى جنب وسواء بسواء "(١).

ويقول محمد حسين المظفر(٢):" فكانت الدعوة لأبي الحسن تمشي جنباً إلى جنب مع الدعوة للشهادتين" (٣).

ويقول علامتهم المعاصر محمد باقر الصدر(٤):" نستطيع القول بكل تأكيد أن الرسولﷺ قد قام بعملية الإعداد الرسالي التربوي والفكري لعلي بن أبي طالب عليه السلام منذ صدع بالوحي، وكان ﷺ يضع الخطوات العملية من أجل بلوغ الغاية المتوخاة من ذلك، وهي تولي علي لمهمة القيادة الاجتماعية والسياسية بعده مباشرة" (٥) ، ويضيف قائلا :" وهكذا وجد التشيع لا كظاهرة طارئة على مسرح الأحداث، بل كنتيجة ضرورية لطبيعة تكون الدعوة وحاجاتها وظروفها الأصلية التي كانت تفرض على الإسلام أن يلد التشيع" (٦)

ويقول محمد جواد مغنية:" إن النبي هو الذي بعث عقيدة التشيع، وأوجدها ودعا إلى حب علي وولائه، وأول من أطلق لفظ الشيعة على أتباعه ومريديه ولولاه لم يكن للشيعة والتشيع عين ولا أثر"(٧).

المناقشة:

يعتبر هذا الرأي مما خالف فيه علماء الشيعة النقل والعقل وأحداث التاريخ:

أما من خلال النقل:

فيقول الله تبارك وتعالى:﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** ﴾ [آل عمران:١٠٣] .وقال سبحانه: ﴿ **وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ**

---

(١) أصل الشيعة وأصولها، محمد حسين آل كاشف الغطاء، تحقيق علاء آل جعفر، الطبعة الأولى، الناشر: مؤسسة الإمام علي للطباعة والنشر، ١٤١٥هـ، ص ١٨٤ ، وانظر: الشيعة في التاريخ : محسن العاملي ، ص٢٥-٢٦.

(٢) هو محمد حسين بن محمد بن عبد الله ،من آل مظفر، ولد عام ١٣١٢هـ وتوفي عام١٣٨١هـ، من شيوخ الشيعة في النجف بالعراق عالم بالأدب والتاريخ، وهو ثالث إخوته، له تصانيف كثيرة منها : الإمام الصادق ، تاريخ الشيعة ، وعقائد الشيعة، ومؤمن الطاق، (انظر: الأعلام، للزركلي، ١٠٧/٦).

(٣) نشأة التشيع : سيد طالب الخرساني ، ص ٢٦.

(٤) هو محمد باقر بن حيدر بن إسماعيل الصدر ولد بالكاظمية عام ١٣٥٣هـ وتوفي عام ١٤٠٠هـ قال عنه محسن الآمين:" منذ أيام دراسته الأولى عرف بالنبوغ المبكر، واتسم حضوره العلمي حتى في فترة التلمذة بالأصالة والحرية والفكرية ،وصل إلى مرتبة الأساتذة الكبار في النجف ، وهو مؤسس مدرسة فكرية إسلامية أصيلة تماماً ، اتسمت بالشمول من حيث المشكلات التي عنيت بها وميادين البحث ، من كتبه: فلسفتنا، والأسس المنطقية للاستقراء..." (أعيان الشيعة : محسن الأمين، تحقيق حسن الأمين، الناشر: دار التعارف للمطبوعات، بيروت ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ١٨٤/٩.)

(٥) بحث حول الولاية : محمد باقر الصدر ، ص٦٦.

(٦) المصدر السابق : ص٦٩-٧٠.

(٧) الشيعة في الميزان : محمد جواد مغنية ، ص ١٧.

﴿وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران:١٠٥] .وقال سبحانه: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ(٣١) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ(٣٢)﴾ [الرُّوم:٣١-٣٢] ،فهذه الآيات دلت دلالة صريحة على النهي عن التفرق واتباع الهوى وأوصت بالاجتماع على كتاب الله، وبينت أنّ الإسلام جاء لجمع هذه الأمة على كلمة سواء لا ليفرقها شيعاً وأحزاباً، وقد نفت تلك الآيات وجود فرقة أو جماعة أخرى داخل الإسلام بل عدت التفرق علامة من علامات الشرك، فما يقوله الشيعة إن بذرة التشيع وضعت مع بذرة الإسلام يبين أن التشيع غير الإسلام والله سبحانه وتعالى يقول ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآَخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران:٨٥].

كذلك قال تعالى: ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ [الحج:٧٨]والمعنى عند الجمهور أن الله سماهم المسلمين من قبل نزول القرآن وفي القرآن[١].وقال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران:١٩]، فهذه مجموعة أخرى من الآيات دلت أن الدين هو الإسلام لا التشيع ولا غيره [٢]، وأن النبي ﷺ جاء ليجمع الله به القلوب ويزيل ببعثته العداوات والخصومات والمناحرات التي كانت قائمة بين القبائل ليكون الجميع جنداً لله ودعاة إلى الله لا إلى فلان أو فلان[٣].

أضف إلى ذلك أن الشيعة ليس لهم مستند على ما ذهبوا إليه سواء في كتاب الله أو في سنة رسوله ﷺ الصحيحة، وكل الروايات التي تروى وتعتمد عليها الشيعة في إثبات هذا الرأي إما روايات موضوعة مكذوبة أو لهم فيها تأويل فاسد زائغ عن الحق مثل الرواية التي استدلوا بها سابقاً[٤] [٥].

ولقد أفاض الإمام ابن تيمية رحمه الله في بيان كذب ما وضعه الشيعة من روايات، فقد بين رحمه الله كذب الرواية السابقة التي استدلوا بها من عدة وجوه منها[٦]:

١. إن الذي ذكروه في سبب نزول آية الشعراء ليس في شيء من كتب المسلمين التي يستفيدون منها علم النقل: لا في الصحاح ولا في المساند والسنن والمغازي والتفسير التي يذكر فيها الإسناد الذي يحتج به، وإذا كان في بعض كتب التفسير التي ينقل منها الصحيح والضعيف، فلابد من بيان أن هذا المنقول من قسم الصحيح دون الضعيف.

---

(١) منهاج السنة: ابن تيمية، ١٧/١.

(٢) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: د. سامي النشار، ١٤/٢- ١٥.

(٣) الصلة بين التشيع والاعتزال: محمد حامد الجدعاني، ٤٧/١.

(٤) انظر: ص١٦ من هذا البحث.

(٥) لمزيد من الروايات التي وضعها علماء الاثنا عشرية، والتي ضبطها علماء أهل السنة في كتب الموضوعات ،انظر: الموضوعات، الإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، الطبعة الأولى، الناشر: محمد عبد المحسن صاحب المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م، ٣٣٨/١، والفوائد المجموعة في الأحاديث الضعيفة والموضوعة: محمد بن على الشوكاني، تحقيق رضوان جامع رضوان، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ٤٣٣/٢، وتنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة: لأبي الحسن على بن محمد بن عراق الكناني، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف وعبد الله محمد الصديق، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان ،٣٥١/١.

(٦) منهاج السنة النبوية في نقض الشيعة القدرية: تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، تحقيق محمد رشاد سالم ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ -١٩٨٦م، ٢٩٩/٧-٣١٢.

٢. والحديث كذب عند أهل المعرفة بالحديث ، فما من عالم يعرف الحديث إلا وهو يعلم أنـــه كـــذب موضوع ، ولهذا لم يروه أحد منهم في الكتب التي يرجع إليها في المنقولات ، لأن أدنى من لـــه معرفـــة بالحديث يعلم أن هذا كذب، وقد رواه ابن جرير والبغوى بإسناد فيه عبد الغفار بن القاسم بن فهـــد ، أبـــو مريم الكوفي ، وهو مجمع على تركه ، كذبه سماك بن حرب وأبو داود ، وقال أحمد : ليس بثقة ، عامـــة أحاديثه بواطيل. قال يحيى: ليس بشئ. قال ابن المديني: كان يضع الحديث. وقال النسائي وأبـــو حـــاتم : متروك الحديث. وقال ابن حبان البستي: كان عبد الغفار بن قاسم يشرب الخمر حتى يسكر، وهو مع ذلك يقلب بالأخبار، لا يجوز الاحتجاج به، وتركه أحمد ويحيى.

٣. إن الذي في الصحاح من نزول هذه الآية غير الذي ذهبوا إليه –من الولاية– ، ففي الصحيحين عن ابن عمر وأبي هريرة أنه: لما نزلت هذه الآية ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء:٢١٤] ، دعا رسول ﷺ قريشا فاجتمعوا فعم وخص فقال يا بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار يا بني مرة بن كعب أنقـــذوا أنفسكم من النار يا بني عبد شمس أنقذوا أنفسكم من النار يا بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار يا بنـــي هاشم أنقذوا أنفسكم من النار يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار يا فاطمة أنقذي نفسك مـــن النـــار فإني لا أملك لكم من الله شيئا ..."[١].

أما من خلال العقل:

فالأدلة العقلية على فساد هذا الرأي كثيرة، أكتفي بذكر واحدة منها، وهو لو صح هـــذا الـــرأي لكان فيه قدح في النبوة وكتاب الله ، وذلك لأن فرقة الشيعة انفردت بعقائد ظهرت مع تعاقب السنين فهـــل كان دين الله ناقص أم لم يبلغ رسوله الأمين أمته بها !، وكذلك لم يذكر القرآن تلك العقائد واضحة جليـــة وخاصة الإمامة وهي من أركان الدين –عند الشيعة– بينما ذكر أموراً أقل أهمية منها كـــالحيض والتـــيمم والوضوء وغيرها، ويلزم من قولهم بأن القرآن الكريم فيه نقص وتحريف ، وهذا ما تحاول بعض الشيعة المعاصرين نفيه عنها فإن قالوا بأن كتاب الله غير محرف بطل هذا الرأي من أساسه، وهـــذا مـــا قـــرره الشيخ موسى جار الله بقول:" إنَّ هذه المقالة من الشيعة مغالطة فاحشة خرجت عن حدود كل أدب وإنهـــا افتراء على النبي وتحريف للآيات ولعب بالكلمات، أي حبة بَذَرَ النبي ﷺ حتى انبتت سنابل اللعن والتكفير وسنابل عقيدة التحريف بأيدي منافقي الصحابة، وأن وفاق الأمة ضلال وأن الرشاد في خلافهـــا، حتـــى توارت العقيدة الحقة في لج من ضلال الشيعة الجم! "[٢].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب [وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ]، حديث رقم:(٤٧٧١)، و مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب في قوله عز وجل [وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ]، حديث رقم:(٢٠٤).

(٢) الوشيعة في نقد عقائد الشيعة: موسى جار الله ، الطبعة الأولى ، الناشـــر: ســـهيل أكـــاديمي ، لاهـــور – باكســـتان، ١٣٩٩هـــ - ١٩٧٩م، المقدمة- مه- .

أما من خلال أحداث التاريخ:

فإن التاريخ المتواتر يحدثنا بأنه لم يكن في عهد رسول الله ﷺ ولا في عهد الخليفتين أبي بكر وعمر فرقة أو جماعة تسمى الشيعة، فلو كان لبذرة الشيعة وجود في عهد النبي ﷺ لحدثنا التاريخ عن شجرتها ولظهرت جلية في عهد أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما.

بل إن الصحابة الذين زعموا أنهم كانوا شيعة علي ﷺ في عهد الرسول قد حدثنا التاريخ أنهم كانوا عمال مخلصين لأبي بكر وعمر، فقد كان عمار عاملاً لعمر بن الخطاب في الكوفة، وسلمان الفارسي في المدائن فكيف يكونوا من شيعة علي ﷺ ، و هم عمال مخلصين لأعدائه ولا يظهرون البراءة من الشيخين ولا السب لهم كما يفعل الشيعة اليوم[١].

وقد وجد من علماء الشيعة المعاصرين من يقر بهذه الحقيقة التاريخية الثابتة، فيذكر محمد أمين الزين[٢] أن لفظ الشيعة قد أهمل بعد أن تمت الخلافة لأبي بكر وصار المسلمون فرقة واحدة إلى أواخر أيام الخليفة الثالث[٣]

ويقول شيخهم المعاصر محمد حسين آل كاشف الغطاء:" ولم يكن للشيعة والتشيع – في عهد أبي بكر وعمر– مجال للظهور لأن الإسلام كان يجري على مناهجه القويمة"[٤].

ونحن نقول إنه أهمل لأنه لم يوجد أصلاً إذ كيف يهمل ولا يظهر والحكومة كافرة في نظر الشيعة وكما هو متواتر في كتبهم وهل يعقل أن يكون المسلمون شيعاً في عهد الرسول ﷺ وفرقة واحدة في عهد الخلفاء الثلاثة[٥].

وفي الحقيقة إن السبب الحقيقي لنشأة هذا الرأي هو أن علماء المسلمين أرجع التشيع في نشأته وجذوره إلى أصول أجنبية – فارسية ويهودية –، لذلك قام الشيعة بمحاولة إعطاء التشيع صفة الشرعية، والرد على دعوى خصومهم، فادعوا هذه الدعوى، وحاولوا تأييدها وإثباتها بكل وسيلة، ووضعوا في ذلك روايات كثيرة، نسبوها زوراً وبهتاناً إلى رسول الله ﷺ وأئمة آل البيت[٦] .

---

(١) انظر: مصادر التلقي وأصول الاستدلال العقدية عند الإمامية الاثنا عشرية عرض ونقد ، إيمان بنت صالح بن سلم العلواني، رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى، ١٤٢٧هـ.

(٢) محمد حسين الزين: هو محمد حسين بن عبد الكريم الخزرجي العاملي، ولد في مدينة النجف عام ١٣١٦هـ وتوفي في في جبل عامل جنوبي لبنان ، له العديد من المؤلفات ، منها: الشيعة في التاريخ ، ونظرات في الفقه ، وتوضيح الأصول اللفظية.(انظر: موقع النجف الأشرف عاصمة الثقافة الإسلامية، www.alnajaf2012.com).

(٣) انظر: الشيعة في التاريخ : محمد حسين الزين ، الناشر: مكتبة النجاح ، ص٢٧-٣٠.

(٤) أصل الشيعة وأصولها ، محمد حسين آل كاشف الغطاء، ص١٩٦.

(٥) أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية : د. ناصر القفاري ، ٦٦/١.

(٦) انظر: المصدر السابق، ٦٥/١.

المطلب الثاني: رأي علماء الفرق في نشأة الشيعة:

أرجع أغلب علماء الفرق نشأة التشيع إلى ظهور الخلاف بين المسلمين، فكلما احتدم الخلاف، وازدادت الشقة بينهم كان هناك رأي من أراء العلماء يربط بين صلة ذلك الخلاف بنشأة التشيع:

١. فيرى أحمد أمين أن التشيع نشأ بعد أول خلاف بين المسلمين بعد وفاة الرسول ﷺ [١].

غير أن هذا الرأي يعتبر ضعيف جداً، إذ لم يسجل التاريخ أن أحداً من الصحابة قال بأحقية أهل بيت النبي ﷺ بالخلافة، كذلك اجتماع الصحابة جميعاً على إمامة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم بما فيهم آل بيت النبي ﷺ.

٢. بينما يرى ابن حزم أن التشيع نشأ بعد استشهاد عثمان ﷺ، واختلاف المسلمين في الإمامة[٢].

٣. تتابعت أقوال العلماء في نشأة التشيع بعد استشهاد أمير المؤمنين عثمان ﷺ، فمنهم من يرى أن التشيع ظهر بعد معركة الجمل[٣]، ومنهم من قال أنه ظهر بعد معركة صفين [٤]، بينما ذهب آخرون إلى أن التشيع بعد استشهاد الحسين ﷺ أصبح له طابع خاص[٥]، فكانت لكل حادثة من الأحداث التي أُفجعت بها الأمة رأي من أراء العلماء يرجح فيه ظهور التشيع.

وهذا يقودنا إلى أن ظهور التشيع كان مرتبط ارتباطاً وثيقاً بظهور الخلاف بين المسلمين وخاصة اختلافهم على الإمامة، فقد أرجع أكثر العلماء نشأة التشيع إثر احتدام الخلاف بين المسلمين بعد استشهاد عثمان ﷺ على اختلاف بينهم في التوقيت، مما يوصلنا إلى نتيجة بأن الذي أجج الخلاف بين المسلمين وحرض الناس على قتل عثمان بن عفان ﷺ هو نفسه من أسس لفكرة التشيع وأظهرها بين الناس لهدم الإسلام وتخريبه من الداخل، فهذه الشخصية التي قادت جموع المنافقين لقتل عثمان ﷺ كما يحدثنا التاريخ هي نفسها التي أظهرت عقائد الشيعة الموجود اليوم.

يقول الدكتور محمد الغبان متحدثاً عن أحداث فتنة مقتل عثمان:" والذي تصوره أحداث الفتنة أن إشعالها تم من خلال تخطيط دقيق منظم، مما يؤكد أن وراءها جماعة منظمة، تهدف إلى إشعالها ، وتحقيقاً لمصالحها الدنيئة ، وإضعافاً لقوة أعدائها ، ومن المبالغة عزو ذلك كله إلى فرد واحد ولا شك أن لهذه الجماعة السرية ممثلين ووجهاء، كان من أبرزهم عبد الله بن سبأ اليهودي"[٦].

---

(١) انظر: فجر الإسلام: أحمد أمين، الطبعة الأولى، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ٢٠٠٦م ، ص ٢٢٦.

(٢) الفصل في الملل والنحل: ابن حزم الظاهري، ٢/٢١٣ ، ٢١٦.

(٣) انظر: الفهرست: محمد بن إسحاق بن محمد بن إسحاق إبن النديم، اعتنى بها وعلق عليها إبراهيم رمضان ،الطبعة الأولى، الناشر:دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان ، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م، ص ٢١٧، ص٢٢٣.

(٤) انظر: الشيعة والتشيع فرق وتاريخ ،إحسان إلهي ظهير، ص١٤، الطبعة الأولى، لاهور- باكستان ، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م ، وانظر : مختصر التحفة الاثنا عشرية ، ص٥.

(٥) انظر: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، د. على سامي النشار، الطبعة الثامنة، الناشر: دار المعارف، ٢/٢١.

(٦) فتنة مقتل عثمان بن عفان ﷺ ، د. محمد عبد الله الغبان، الطبعة الأولى ، الناشر: مكتبة العبيكان، الرياض ، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م، ص١١٨.

الرأي الراجح: إن التشيع ظهر مع ظهور عبد الله بن سبأ اليهودي:

من المعلوم أن نشأة أي جماعة من الجماعات تحتاج إلى مؤسس لها وقائد يقود تلك الجماعة لتحقيق أهدافها، ومن خلال مراجعة كتب الفرق والتاريخ التي تحدثت عن الشيعة وأحداث الفتنة بين الصحابة، نجد أن المؤسس الأول لفرقة الشيعة والمظهر الأول لعقائد تلك الفرقة هو عبد الله بن سبأ، فقد ظهر ابن سبأ في أواخر عهد عثمان رضي الله عنه وكان ممن شارك في قتله[1]، ومن ثم أظهر نفس العقائد التي تعتقدها الشيعة اليوم حيث يذكر العلماء أنه أول من قال بفرض إمامة علي وأظهر الطعن في أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم و أول من قال بالرجعة للإمام[2]، فقد أجمع كثير من العلماء أن ابن سبأ كان له دوراً بارزاً في تكوين فكرة التشيع.

فيذكر ابن جرير الطبري رحمه الله أن عبد الله بن سبأ كان يهودياً ، تظاهر بالإسلام في عهد الخليفة عثمان ﷺ، وعمل على تأليب الناس على الخروج عليه حتى تم له مراده باستشهاد عثمان ﷺ[3].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية إن:" أصل الرفض من المنافقين الزنادقة فإنه ابتدعه ابن سبأ الزنديق وأظهر الغلو في علي بدعوى الإمامة والنص عليه وادعى العصمة له"[4]

ويقول ابن أبي العز الحنفي: "إن أصل الرفض إنما أحدثه منافق زنديق قصده إبطال دين الإسلام والقدح في رسول الله ﷺ، كما ذكر ذلك العلماء فإن عبد الله بن سبأ لما أظهر الإسلام ، أراد أن يفسد الإسلام بمكره وخبثه كما فعل بولس بدين النصرانية ، فأظهر التنسك ، ثم أظهر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، حتى سعى في فتنة عثمان وقتله ، ثم لما قدم على الكوفة أظهر الغلو في علي والنصرة له ، ليتمكن بذلك من أغراضه" [5].

فقد رسم ابن سبأ الخطوط العريضة لإظهار تيار المنافقين بثوبه الجديد ظاهره حب آل البيت ونصرتهم وباطنه الكيد للإسلام والمسلمين وفرقتهم.

- **موقف الشيعة من عبد الله بن سبأ.**

أجمعت الشيعة الاثنا عشرية على نفي الانتساب إلى عبد الله بن سبأ وارتباط نشأتهم وعقائدهم به، فكما رأينا سابقاً كيف سعوا جاهدين لربط نشأتهم بالنبي ﷺ، وربط عقائدهم مع بداية خلق الخلق، ووضعوا من أجل إثبات ذلك الآلاف من الروايات، ولكن الخلاف وقع بينهم على كيفية إنكار الانتساب إليه، فيقول الدكتور الشيعي نور الدين الهاشمي متحدثاً عن هذا الخلاف:" إن مسألة عبد الله بن سبأ لم

---

(١) الحركات الباطنية في العالم الإسلامي: د. محمد أحمد الخطيب، الطبعة الأولى، الناشر: مكتبة الأقصى، عمان – الأردن، ١٤٠٦هـ– ١٩٨٦م، ص ٢٠، وانظر: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية، د. ناصر القفاري، ٧١/١-٧٢

(٢) انظر : مجموع الفتاوى : ابن تيمية ، ٤٣٥/٤.

(٣) تاريخ الطبري تاريخ الرسل والملوك: لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الثانية، الناشر: دار المعارف بمصر، القاهرة، أحداث سنة خمس وثلاثين، ٣٤٠/٤-٣٤١ .

(٤) مجموع الفتاوى: ابن تيمية، ٤٣٥/٤.

(٥) شرح الطحاوية في العقيدة السلفية: علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي، تحقيق أحمد شاكر ، الطبعة الأولى، الناشر: مكتبة دار التراث ، القاهرة ، ١٤١٨هـ، ص ٤٢١.

تكن محل اختلاف بين السنة والشيعة فقط، بل حتى داخل المنظومة الفكرية الشيعية نفسها، فقد نفى البعض وجود هذه الشخصية على الإطلاق، باعتبارها إحدى موضوعات سيف بن عمر باعتباره هو الراوي الذي أورد له الطبري مروياته وبعدها كان تاريخ الطبري هو المرجع لكل المؤرخين فيما بعد. وقد مثل هذا الخط في أوجه العلامة مرتضى العسكري في كتابه أسطورة ابن سبأ، وقد رأينا الإمام الخوئي أيضاً قد مال إلى هذا القول في معجم الرجال[١] "[٢].

وعلى كل حال فإن للإثنا عشرية في مسألة وجود عبد الله بن سبأ من عدمها رأيين هما:

الرأي الأول: إثبات وجود عبد الله بن سبأ مع إنكار الانتساب إليه.

فقد ذهب أصحاب كتب الروايات وشيوخ الشيعة الأوائل، إلى الإقرار بوجود شخصية عبد الله بن سبأ، ولكن نفوا انتسابهم له، ورووا العديد من الروايات التي تفيد بلعن الأئمة له وتظهر غلوه في الإمام علي ﷺ وتأليهه له، ثم تبع تلك الروايات أقوال شيوخهم حتى تكاد ترى إجماع أوائل الشيعة على ثبوت شخصية عبد الله بن سبأ، ولتوضيح ذلك نورد هنا بعض من رواياتهم وأقوال علمائهم التي تثبت شخصية ابن سبأ وتظهر بعضاً من عقائده.

١. الروايات الواردة في عبد الله بن سبأ وغلوه.

روى الكشي[٣] بسنده إلى أبي جعفر محمد الباقر قوله: إنَّ عبد الله بن سبأ كان يدعي النبوة، ويزعم أن أمير المؤمنين – عليه السلام – هو الله، تعالى عن ذلك علواً كبيراً[٤].

وروي عن ابن سنان عن أبي عبد الله أنه قال:" إنّا أهل بيت صادقون لا نخلو من كذاب يكذب علينا ويسقط صدقنا بكذبه علينا عند الناس، كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أصدق البرية لهجة، وكان مسيلمة يكذب عليه، وكان أمير المؤمنين عليه السلام أصدق من برأ الله بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وكان الذي يكذب عليه ويعمل في تكذيب صدقه بما يفترى عليه من الكذب عبد الله بن سبأ لعنه الله.."[٥] .

---

(١) انظر: معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة، أبو القاسم الموسوي الخوئي، الطبعة الخامسة، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م،٢٠٧/١١.

(٢) تاريخ الشيعة بين المؤرخ والحقيقة: الدكتور نور الدين الهاشمي ، سلسلة الرحلة إلى الثقلين ، الناشر: مركز الأبحاث العقائدية، ص١٤٢-١٤٣.

(٣) الكشي: هو محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي ، أبو عمرو ، توفي نحو ٣٤٠ هـ ، نسبته إلى " كش " من بلاد ما وراء النهر ، أخذ عن العياشي بسمرقند ، قال النجاشي الإمامي عنه:" كان ثقة ً عينًا ، روى عن الضعفاء كثيرًا، وصحب العياشي ، وأخذ عنه ، وتخرج عليه ، وفي داره التي كانت مرتعًا للشيعة وأهل العلم ، له كتاب الرجال، كثير العلم. (انظر: رجال النجاشي :النجاشي ، ص ٣٧٢ ، و الأعلام : للزركلي، ص ٣١١).

(٤) اختيار معرفة الرجال، المعروف برجال الكشي: الشيخ الطوسي، تحقيق: مهدي الرجائي، الناشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ١٤٠٤هـ، ٣٢٣/١.

(٥) المصدر السابق:٣٢٤/١، وبحار الأنوار: المجلسي، باب نفي الغلو في النبي والأئمة ...، حديث رقم:١، ٢٦٣/٢٥.

وروي عن زرارة أنه قال:" قلت للصادق عليه السلام: إن رجلاً من ولد عبد الله بن سبأ يقول بالتفويض، فقال: وما التفويض؟ قلت: إن الله تبارك وتعالى خلق محمداً وعلياً صلوات الله عليهما ففوض إليهما فخلقا ورزقا وأماتا وأحييا، ..."[١] .

كما وأفرد المجلسي في كتابه بحار الأنوار باباً أسماه نفي الغلو في النبي و الأئمة[٢] ، ذكر فيه عدة روايات تثبت وجود عبد الله بن سبأ وغلوه منها ما رواه عن أبي جعفر عليه السلام أن عبد الله بن سبا كان يدعي النبوة ويزعم أن أمير المؤمنين عليه السلام هو الله، تعالى عن ذلك، فبلغ ذلك أمير المؤمنين عليه السلام فدعاه وسأله فأقر بذلك وقال: نعم أنت هو، وقد كان ألقي في روعي أنك أنت الله وأني نبي. فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: ويلك قد سخر منك الشيطان فارجع عن هذا ثكلتك أمك وتب، فأبى فحبسه واستتابه ثلاثة أيام فلم يتب فأحرقه بالنار،..."[٣] [٤].

٢. الأقوال الواردة من علماء الشيعة في عبد الله بن سبأ ومعتقداته.

أ- نقل القمي (ت ٣٠١هـ) أن:"عبد الله بن سبأ أول من أظهر الطعن على أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة، وتبرأ منهم، وادعى أن علياً أمره بذلك"[٥].

ب- وتحدث النوبختي (ت ٣١٠هـ) عن أخبار ابن سبأ فذكر أنه:" لما بلغ ابن سبأ نعي علي بالمدائن، قال للذي نعاه: كذبت لو جئتنا بدماغه في سبعين صرة وأقمت على قتله سبعين عدلاً لعلمنا أنه لم يمت ولم يقتل، ولا يموت حتى يملك الأرض[٦].

ت- وقال الكشي (ت ٣٤٠هـ):" وذكر بعض أهل العلم أن عبد الله بن سبأ كان يهودياً فأسلم ووالى علياً عليه السلام، وكان يقول وهو على يهوديته في يوشع بن نون وصي موسى بالغلو، فقال في إسلامه بعد وفاة رسول الله ﷺ في علي عليه السلام مثل ذلك. وكان أول من شهر بالقول بفرض إمامة علي وأظهر البراءة من أعدائه وكاشف مخالفيه وكفرهم، فمن هاهنا قال من خالف الشيعة أصل التشيع مأخوذ من اليهودية"[٧].

ث- ذكر أبو جعفر الصدوق بن بابويه القمي[٨](ت ٣٨١هـ)، موقف ابن سبأ وهو يعترض على علي رضي الله عنه في رفع اليدين إلى السماء أثناء الدعاء[٩].

(١) بحار الأنوار: المجلسي، باب نفي الغلو في النبي والأئمة ...، فصل في بيان التفويض ومعانيه، ٢٥/٣٤٣-٣٤٤.

(٢) انظر: المصدر السابق ، باب نفي الغلو في النبي والأئمة ...، ٢٥/٢٦١ وما بعدها .

(٣) المصدر السابق نفسه: باب نفي الغلو في النبي والأئمة ...، حديث رقم:٣٩، ٢٥/٢٨٦.

(٤) انظر: للمزيد عن أخبار عبد الله بن سبأ بحار الأنوار: المجلسي، ٢٥/،٢٦٣، ٢٨٦، ٢٨٧، ٣٤٣، ٤١/٣١٨،٨٢،٢١٤

(٥) المقالات والفرق: القمي ، ص٢٠.

(٦) فرق الشيعة: الحسن بن النوبختي، الناشر: دار الأضواء للطباعة والنشر، بيروت – لبنان ، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، ص٢٣.

(٧) اختيار معرفة الرجال، المعروف برجال الكشي: الشيخ الطوسي ، ١/٣٢٤

(٨) الصدوق: محمد بن علي بن الحسين بن موسى ابن بابويه القمي أبي جعفر ، قال النجاشي عنه: " شيخنا وفقيهنا ، ووجه الطائفة بخراسان ، وكان ورد بغداد سنة ٣٥٥هـ ، وسمع منه شيوخ الطائفة وهو حدث السن .وله كتب كثيرة، منها: كتاب التوحيد، كتاب النبوة،(انظر معجم رجال الحديث: السيد الخوئي، ١٧-٣٤٠).

(٩) انظر: من لا يحضره الفقيه: الصدوق، تحقيق: على أكبر غفاري، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي ، ١/٣٢٥.

ج- وجاء عند الشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ) ذكر الغلاة من المتظاهرين بالإسلام - يقصد السبئية - الذين نسبوا أمير المؤمنين علي والأئمة من ذريته إلى الإلوهية والنبوة، فحكم فيهم أمير المؤمنين بالقتل والتحريق بالنار[١].

ح- وقال أبو جعفر الطوسي[٢](ت ٤٦٠هـ)أن:" ابن سبأ رجع إلى الكفر وأظهر الغلو"[٣].

الرأي الثاني: إنكار وجود عبد الله بن سبأ.

ذهب عدد من علماء الشيعة المعاصرين إلى إنكار وجود عبد الله بن سبأ واعتباره شخصية وهمية أسطورية وضعها القصاص والكذابون لتزجية فراغ الناس، ولمحاربة الشيعة وأتباعهم.

فيقول شيخ الشيعة محمد آل كاشف الغطاء:" أنه لا يستبعد أن يكون هو - أي عبد الله بن سبأ - ومجنون بني عامر وأبو هلال...، وأمثالهم أحاديث خرافية وضعها القصاص لتزجية الفراغ وشغل أوقات الناس"[٤].

ويقول الشيعي أسعد وحيد القاسم بعد أن اعتبر شخصية ابن سبأ أسطورة:" وكيف يقبل أن يحكم على طائفة كبرى من المسلمين بالاعتماد على روايات آحاد ثبت كذب أصحابها، ويهمل ما تواتر عن رسول الله ﷺ من أحاديث عكس ذلك ؟ وإنه لمن أكبر مهازل التاريخ أن ينسب التشيع إلى رجل أسطوري - عبد الله بن سبأ - زاعمين نشره لفكرة علي الوصي"[٥].

وقد ذهب علامة الشيعة المعاصر مرتضى العسكري إلى تأليف كتاب أسماه عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى، زعم فيه بأن واضع أسطورة عبد الله بن سبأ هو الراوي سيف بن عمر التميمي، وأنه قد وضع مثل هذه الأساطير تفسيراً للأحداث التي وقعت في عصر عثمان وضد من ناوأه -علي بن أبي طالب ﷺ-.

---

(١) انظر: تصحيح اعتقادات الإمامية: محمد بن محمد بن النعمان المفيد ، ص١٣١، تحقيق: حسين دركاهي، الطبعة: الثانية، الناشر: دار المفيد للطباعة والنشر ، بيروت- لبنان ، ١٤١٤هـ -١٩٩٣م.

(٢) محمد بن الحسين بن على الطوسي: جليل القدرعند الشيعة ملقب بشيخ الطائفة، ولد عام ٣٨٥هـ بطوس في رمضان، وهاجر إلى العراق فهبط بغداد، أخذ الكلام والأصول عن الشيخ المفيد رأس الامامية، وتوفي في محرم سنة ٤٦٠ هـ، من تصانيفه الكثيرة: التبيان في تفسير القرآن، الاستبصار فيما اختلف من الأخبار، النهاية في مجرد الفقه والفتاوى، (انظر معجم المؤلفين :عمر كحالة ، ٢٠٢/٩).

(٣) تهذيب الأحكام: أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق: حسن الموسوي الخرساني، الطبعة الرابعة ، الناشر: دار الكتب الإسلامية، طهران، ٣٢٢/٢.

(٤) أصل الشيعة وأصوله : محمد آل كاشف الغطاء، ص١٨١.

(٥) حقيقة الشيعة الاثنا عشرية: أسعد وحيد القاسم، الطبعة: الأولى، الناشر: دار الزهراء للطباعة والنشر ، مهر -قم، ١٤١٢هـ -١٩٩٢م، ص٦٨.

وهذا ملخص للنتائج التي توصل إليها مرتضى العسكري من خلال بحثه عن شخصية ابن سبأ[1].

١. زعم مرتضى العسكري بأن الروايات التي جاء فيها ذكر ابن سبأ قد جاءت من طرف الراوي سيف بن عمر التميمي الذي طعن فيه جمع من العلماء.

٢. اعتبر العسكري بأن الراوي سيف بن عمر التميمي قد وضع أسطورة ابن سبأ، ونشر بالإضافة إليها الخرافات في عقائد المسلمين وحرف الأسماء، مثل تحريفه عبد الله ابن وهب السبائي إلى عبد الله بن سبأ، وتحريف السبئية من الدلالة على الانتساب إلى قبائل قحطان إلى الدلالة على الفرقة المذهبية التي اختلق أسطورتها، ومن ثم تطور مدلول اللفظ بين الناس، و منهم أخذ به أصحاب الملل والفرق ما كتبوا عنها.

٣. نقل كبار العلماء مثل الطبري هذه الأسطورة وخفي على علماء الشيعة والسنة على مدى العصور تحريف سيف بن عمر في ابن سبأ والسبئية واختلاقه أخبارهما.

٤. بينما كانت السبئية في النصوص الصحيحة وفي ما وضعه سيف بن عمر واختلق؛ تدلّ على من يعتقد بأنّ عليّا أحقّ بالخلافة، أو أنّه وأولاده أحق بها، وإذا بها في أوائل القرن الرابع تدلّ على من يعتقد بألوهية عليّ بن أبي طالب.

٥. بعد اشتهار أسطورة سيف بن عمر في كل مكان، أصبح عبد اللّه بن سبأ من قبيل الأبطال الأسطوريين الذين تحوك الشعوب حولهم من خيالها أساطير لا تقف عند حدّ، ولمّا كان أهل الملل والنحل يسجّلون العقائد السائدة في المجتمع كان يلزمهم الرجوع إلى المجتمع لتسجيل ما يعتقدون، وإلى الكتب لنقل المدوّن فيها عنهم. لهذا رجعوا إلى الناس وأخذوا منهم ما كانوا يعتقدونه عن السبئية في عصر الإمام، ولمّا كان الناس لا يقفون عند حدّ في ما يتخيّلون عن السبئية فقد تنامت الأسطورة وتكثّرت في كتب أهل الملل والنحل تبعا لتناميها وتكثّرها عند الناس، وكان من عادة القصّاصين الشعبيين في المجتمع الإسلامي يومذاك وضع أسانيد لأساطيرهم تقليداً للرواة والمحدّثين، لذلك اخترعوا أسانيد لبعض تلك الأساطير.

٦. من كتب أهل الملل والنحل انتقلت الأسطورة بأسانيدها إلى سائر الكتب، ومن الجائز تسرّب بعضها إلى رجال الكشّي الذي فيه أغلاط كثيرة وروى عن الضعفاء وكذلك أستاذه العياشي الذي كان يروي عن الضعفاء كثيراً وكان يسمع حديث العامة – أهل السنة– فأكثر منه.

٧. لم يقتصر ذلك التأثير على كتاب رجال الكشّي وحده، بل أوشك أن يعم جميع الكتب الشيعية.

---

(١) انظر: عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى: مرتضى العسكري، الطبعة السادسة، الناشر: نشر التوحيد، ١٤١٣-١٩٩٢م، ٣٧٠/٢ وما بعدها.

المناقشة:

لقد خالف مرتضى العسكري وأصحاب هذا الرأي إجماع أوائل الشيعة على ثبوت شخصية ابن سبأ، وما نقلته رواياتهم من لعن الأئمة له، هذا فضلاً على ما أثبتته كتب أهل السنة من روايات صحيحة بأسانيدها المختلفة على ثبوت شخصية ابن سبأ ودوره في إزكاء الفتنة وظهور عقائد الشيعة على يده.

ولقد تنبه بعض الباحثين إلى خطأ ما ذهب إليه مرتضى العسكري من أن شخصية عبد الله بن سبأ شخصية وهمية أسطورية، وكتبوا في الرد عليه صفحات علمية قوية، منهم: الدكتور سعدي الهاشمي، في محاضرته التي طبعت تحت عنوان عبد الله بن سبأ حقيقة لا خيال [1]، فقد أثبت فيها أن ابن سبأ حقيقة؛ في كتب أهل السنة والشيعة معاً، عازياً كل معلومة إلى مصادرها من كتبهم.

وبما أن أصحاب هذا الرأي ذهبوا إلى نفي شخصية ابن سبأ من خلال دراسة الروايات التي جاءت من طرف سيف بن عمر التميمي الذي ضعفه بعض العلماء فإن الرد عليهم يتمحور حول بيان ضعف تلك الدراسة وتهافتها وهذا ما نبينه في التالي:

١. لقد اعتمد مرتضى العسكري في تضعيف سيف بن عمر على تضعيف بعض علماء الحديث له وهنا يجب التفريق بين تضعيف العلماء لسيف بن عمر كراوي للحديث و رواي للأخبار فالأول -كراوي لحديث- تبنى عليه أمور تشريعية ويتصل بأصل من أصول الشريعة، بينما يختلف الأمر في رواية الأخبار التاريخية، فهي وإن كانت مهمة، إلا أنها لا تصل أهميتها إلى درجة الأحاديث النبوية[2]، وإذا ما دققنا النظر في رأي علماء الجرح والتعديل التي جرحت سيفاً كمحدث نجدها وثقته كمؤرخاً، فهذا الإمام الذهبي يقول عنه:" كان سيفاً إخبارياًعارفاً"[3]، وقال ابن حجر عنه:" ضعيف في الحديث عمدة في التاريخ"[4]فإذا كان هذا موقف العلماء من سيف فلماذا نأخذ ببعض الأقوال ونترك البعض الآخر؟.

٢. إنّ المنهج الذي سلكه مرتضى العسكري وغيره من علماء الشيعة، منهج فاسد ضعيف في إثبات الحقائق ونفي الأساطير، فقد اعتمد فيه على مصادر محدودة، ونفى ما لم تذكره تلك المصادر، متوهم وموهماً أنه قد حصر روايات التاريخ الإسلامي كلها، ومن ثم نفى هذه الشخصية لعدم وجودها في روايات موثوقة فيما اطلع عليه من مصادر، وهذا منهج ضعيف، والنتيجة المبنية عليه فاسدة غير صحيحة، حيث إن هناك روايات موثقة تثبت هذه الشخصية، بل وتزودنا ببعض التفاصيل عنها[5]، من هذه الروايات:

---

(١) انظر: عبد الله بن سبأ حقيقة لا خيال: د. سعد الهاشمي ، الناشر: مكتبة الدار ، المدينة المنورة ، ١٤٠٦هـ.

(٢) انظر: عبد الله بن سبأ اليهودي اليماني بين الحقيقة والخيال: د.سامي عطا حسن، الناشر جامعة آل البيت ، المملكة الأردنية الهاشمية، المفرق، ص٩.

(٣) انظر: ميزان الاعتدال: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: علي معوض وعادل الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، ١٩٩٥م، ٣/٣٥٣.

(٤) انظر: تقريب التهذيب: أحمد بن على بن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، الناشر: دار المعرفة، بيروت، ١/٣٤٤.

(٥) انظر: فتنة مقتل عثمان: محمد عبد الله الغبان ، ١/١٢٠.

ما رواه أبو إسحاق الفزاري بإسناد صحيح إلى سويد بن غلفة :" أنه دخل على علي في إمارته ، فقال : إني مررت بنفر ، يذكرون أبا بكر وعمر ، يرون أنك تضمر لهما مثل ذلك، منهم عبد الله بن سبأ ، وكان عبد الله بن سبأ أول من أظهر ذلك فقال علي: مالي ولهذا الخبيث الأسود، ثم قال: معاذ الله أن أضمر لهما إلا حسن الجميل ، ثم أرسل إلى عبد الله بن سبأ، فسيره إلى المدائن، وقال: لا يساكنني في بلدة أبداً ، ثم نهض إلى المنبر، حتى اجتمع الناس، فذكر القصة في ثنائه عليهما بقوله: ألا ولا يبلغني عن أحد يفضلني عليهما إلا جلدته حد المفتري" [1] ولو لم تكن إلا هذه الرواية لكفت لأن جميع رواتها ثقات ، فكيف إذا كان هناك روايات أخرى لم ترد من طرف سيف بن عمر التميمي.

وما رواه ابن عساكر من طريق حجية بن عدي الكندي ، قال:" رأيت علياً كرم الله وجهه وهو على المنبر وهو يقول : من يعذرني من هذا الحميت الأسود ؛ الذي يكذب على الله وعلى رسوله ؟ – يعني : ابن الأسود– لولا أن لا يزال يخرج علي عصابة تنعى علي دمه كما ادُّعيت عليَّ دماءُ أهل النهر لجعلت منهم ركاماً "[2].

ولهذه الرواية شاهد رواه البخاري في صحيحه عن عكرمة قال: أتي علي بزنادقة فاحرقهم ، فبلغ ذلك ابن عباس ،فقال : لو كنت أنا لم أحرقهم ؛ لنهي رسول الله ﷺ ، لا تعذبوا بعذاب الله ، ولقتلتهم لقول رسول الله ﷺ : من بدل دينه فاقتلوه"[3]

فهذه الروايات وغيرها الكثير، ممن رواها غير سيف بن عمر التميمي والتي أفرد لها الدكتور محمد بن عبد الله الغبّان، مبحثاً خاصاً لها في كتابه فتنة مقتل عثمان[4]، نجد أنها تتفق على إثبات شخصية عبد الله بن سبأ، بل وتؤكد على وجود السبئية الذين ادعوا ألوهية علي ﷺ والتي بدورها تنسف ما توهمه مرتضى العسكري والشيعة من بعده من أن ابن سبأ شخصية وهمية وتجعل ما كتبه لا يساوي الحبر الذي كتب عليه.

٣. النتائج الأخرى التي توصل إليها مرتضى العسكري في كتابه عبد الله بن سبأ تحمل في طياتها القدح والطعن في رواياتهم وعلمائهم وتخطئهم فيما أثبتوه، فقد ذكر بأن علمائهم كانوا عالة على غيرهم يتلقون منهم الروايات والأخبار دون تحقيق أو تدقيق، وأنهم بقوا على هذه الحالة على مدى العصور حتى جاء مرتضى العسكري فبين ذلك الخطأ وأزال ما خفي عنهم !!.

---

(١) لسان الميزان: أحمد بن على بن حجر ، تحقيق: دائرة المعارف النظامية، الناشر: مؤسسة العلمي للمطبوعات ، بيروت ، ١٤٠٦هـ –١٩٨٦م، ٢٨٩/٣، قال ابن حجر: الإسناد صحيح ؛ رجاله كلهم ثقات.

(٢) تاريخ مدينة دمشق: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ، ابن عساكر، تحقيق: محب الدين أبو سعيد بن غرامة العمري، الناشر: دار الفكر ، بيروت، ١٩٩٥، ٨/٢٩.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم وإثم من أشرك بالله وعقوبته في الدنيا والآخرة ، حديث رقم:(٦٩٢٢).

(٤) انظر: فتنة مقتل عثمان بن عفان ، د. محمد بن عبد الله الغبّان، ١١٥/١– ١٢٥ .

٤. كذلك لم يكتف بتخطئة علمائهم، بل ذهب إلى تخطئة معظم كتب الروايات المعتمدة عندهم التي جاء فيها ذكر ابن سبأ واتهم أصحابها بنقل الأخبار الضعيفة، وتسرب روايات أهل السنة لها ،خاصة كتاب رجال الكشي حيث وصف صاحب هذا الكتاب وشيخه العياشي بأنهما كانا يرويان عن الضعفاء.

ولقد أصاب الدكتور سعد الهاشمي بقوله :"وبهذه النقول والنصوص الواضحة المنقولة من كتب القوم – الشيعة– تتضح لنا حقيقة شخصية ابن سبأ اليهودي، ومن طعن من الشيعة في ذلك فقد طعن في كتبهم التي نقلت لعنات الأئمة المعصومين – عندهم – على هذا اليهودي ابن سبأ ولا يجوز ولا يتصور أن تخرج اللعنات من المعصوم على مجهول، وكذلك لا يجوز في معتقد القوم تكذيب المعصوم".[١]

٥. أمام تهافت هذا الرأي اضطر بعض علماء الشيعة إلى الإقرار بأن محاولات أقرانهم من علماء الشيعة قد باءت بالفشل، فيقول عالمهم المعاصر جعفر مرتضى العاملي بأن:" محاولة نفي وجوده –ابن سبأ–، فإنها لم يحالفها التوفيق، حيث إن الاستدلالات على ذلك كانت غير قادرة على إثبات هذا الأمر، كما أن الإشكالات على الروايات المثبتة لوجوده لم تكن كافية لإسقاط تلك الروايات"[٢].

لكل ما سبق يتبين مدى تهافت ما ذهب إليه الشيعة المعاصرين من إنكارهم لشخصية ابن سبأ أو التشكيك فيها، ويتبين أنهم ما أنكروا ذلك إلا محاولة فاشلة منهم لستر حقيقة ارتباط الرافضة باليهود وأنها مستمدة منهم، فإن جل عقائد الرافضة تدل على ذلك يعرف ذلك من يقارن بينها ، وبين عقائد اليهود أدنى مقارنة [٣].

خلاصة القول في نشأة التشيع:

يتضح مما سبق أن التشيع ظهر بعد استشهاد عثمان ﷺ بمعناه اللغوي الأتباع إثر الخلاف بين معاوية وعلي رضي الله عنهما ، ثم استغل ابن سبأ ومن معه عاطفة الناس حول علي ﷺ فغالى فيه حتى اتخذ التشيع بعداً عقائدياً خاصاً بعيداً عن إجماع اعتقاد المسلمين، فبذرة التشيع رأت النور علي يد ابن سبأ اليهودي بعد الخلاف على الإمامة وأخذ القصاص إثر استشهاد أمير المؤمنين عثمان ﷺ ومن ثم ترعرعت بعد استشهاد أمير المؤمنين علي ﷺ حتى كمُل ظهورها كعقيدة ومذهب فكري وسياسي بعد استشهاد الحسين ﷺ في موقعة كربلاء، غذى شجرتها المنافقين والدخلاء على الإسلام أمثال عبد الله بن سبأ اليهودي حتى تشعبت فرق وجماعات تجتمع حول دعوى حب آل بيت رسول الله ﷺ ونصرتهم وهم أبعد الناس عنهم[٤].

---

(١) ابن سبأ حقيقة لا خيال:د. سعد الهاشمي ، ص٧٦.

(٢) مختصر مفيد الأسئلة وأجوبة في الدين والعقيدة : السيد جعفر مرتضى العاملي، الطبعة الأولى ،الناشر: المركز الإسلامي للدراسات ، ١٤٢٣–٢٠٠٢م، سؤال ٥٣٥، (المكتبة الشاملة الشيعية).

(٣) فتنة مقتل عثمان بن عفان: د. محمد بن عبد الله الغبّان، ١١٨/١.

(٤) انظر: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية: د. ناصر القفاري، ٨٠/١.

المبحث الثالث

الفرق التي خرجت من الشيعة قديماً وحديثاً.

تميزت فرقة الشيعة عن سائر الفرق الأخرى بكثرة تفرقها واختلافها حيث إن اختلافات الشيعة أكثر من اختلافات الفرق كلها[1]،ولقد تعددت أقوال العلماء والباحثين في بيان الفرق التي خرجت من الشيعة قديماً وحديثاً، ويعد هذا الأمر طبيعياً إذ إنَّ أصحاب البدع والأهواء لا يمكن أن يجمعهم رأي، فيتفرقون لأتفه الأسباب كلٌ يزعم أنه على الحق وخصمه من فرقته الأم على ضلال، وفي المطلبين التاليين نبين أهم تلك الفرق التي خرجت من الشيعة في القديم والحديث.

المطلب الأول: الفرق التي خرجت من الشيعة قديماً:

يرى كل من أبي الحسن الأشعري ومرتضى اليماني أن فرق الشيعة الرئيسية ثلاثة وهم:" الغالية ، والرافضة الإمامية ، والزيدية"[2]، وباقي فرق الشيعة هي فروع عنها.

بينما عَدَّهم الإمام البغدادي أربعة أصناف، وهم: " زيدية، وإمامية، وكيسانية، وغلاة"، والباقي فروعاً لهم[3].

ويذهب الشهرستاني أن عدد فرق الشيعة الرئيسية خمس فرق وهي: كيسانية ، وزيدية ، وإمامية ، وغلاة ، وإسماعيلية، والباقي فروعاً لهم[4].

بينما تذكر كتب الفرق عند الاثنا عشرية أن عدد فرق الشيعة قد وصل كما في المقالات والفرق للقمي، وفرق الشيعة للنوبختي إلى ما يربو على ستين فرقة، يذكر النوبختي أن الاثنا عشرية افترقت إلى أربع عشرة فرقة بعد وفاة الحسن العسكري سنة (٢٦٠هـ)[5].

وما يهمنا في هذا البحث أن نبين الفرق التي خرجت من الشيعة ولا زال لها وجود، لذا فسأقتصر على التعريف بالفرق التي لها وجود اليوم، وهي أربع فرق غير فرقة الشيعة الاثنا عشرية:

١- الزيدية:-

٢- الإسماعيلية:-

٣- النصيرية:-

٤- الدروز:-.

---

(١) انظر: الملل والنحل: الشهرستاني ، ١/١٦٥، والحور العين عن كتب العلم الشرائف دون النساء العفائف، أبوسعيد نشوان الحميري ، تحقيق:كمال مصطفي ، الطبعة: الثانية ، الناشر: دار أزال للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت –لبنان ، ١٩٨٥م، ص٢٣٢.

(٢) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبو الحسن الأشعري، ١/٦٥، والمنية والأمل في شرح الملل والنحل: مرتضى اليماني، ص٢٣.

(٣) انظر: الفرق بين الفرق :للبغدادي ، ص٢١.

(٤) انظر: الملل والنحل: للشهرستاني ، ١/١٤٧.

(٥) فرق الشيعة: الحسن بن موسى النوبختي و سعد بن عبد الله القمي، ص٩٦-١٠٩.

أولاً : الزيدية:

ظهرت الزيدية في النصف الثاني من القرن الهجري الأول، وقد خرجت هي والرافضة الإمامية من بيت واحد، واتخذ كل منهما طريقاً خاصاً، وكان لكل منهما تلاميذ وأتباع، فالزيدية تنسب إلى زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ﷺ وأمُه أمَة أهداها المختار إلى علي زين العابدين فأنجبت زيداً، وقد ولد سنة ٨٠هـ تقريبا في المدينة، واستشهد سنة إحدي وعشرين ومائة "،أيام هشام بن عبد الملك وقيل سنة اثنتين وعشرين ومائة [١].

والزيدية فرقة من أقرب فرق الشيعة إلى أهل السنة، وأكثرهم اعتدالاً فهي لم ترفع الأئمة إلى مرتبة النبوة، بل اعتبروهم كسائر الناس، ولكنهم أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ، ولم يكفروا أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ وخصوصاً من بايعهم علىّ ﷺ واعترف بإمامتهم[٢] ،ولم يتعرضوا لهم بالشتم والسب، وإنما اتخذوا موقفاً منهم، بل إن زيد لم يكن شيعيا على الإطلاق، ولم تكن حركته للشيعة، بل هي حركة استهدفت الخروج على الإمام الظالم، وأن دعوته كانت إلى الكتاب والسُنة وإحياء السُنن ومحاربة البدع والمنكرات، وقد خلت دعوته من المفاهيم الشيعية كالوصية والنص والحق الإلهي للأئمة [٣].

غير أن الزيدية ما لبثت بعد موت زيد أن انقسمت إلى قسمين:

١- **القسم الأول:** وهم المتبعون لأقوال زيد ، وهؤلاء لا يُعدُون من الرافضة ويعترفون بإمامة الشيخين أبي بكر و عمر رضي الله عنهم، وهم أقرب إلى أهل السنة والجماعة.

٢- **القسم الثاني:** وهؤلاء هم الرافضة ، لأنهم يرفضون إمامة الشيخين أبو بكر و عمر ويَسُبونهما ويُكفِرونهما[٤]، وتعد فرقة الجارودية[٥] من أبرز فرق الزيدية التي ذهبت لذلك[٦].

و يوجد من فرق الزيدية اليوم فرقة الجارودية[٧]، وأكثرهم موجودون باليمن الآن[٨].

---

(١) انظر: مروج الذهب ومعادن الجوهر، أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودي، ١٨٩/٢، الطبعة الثانية، الناشر: الشركة العالمية للكتاب، بيروت- لبنان، ١٩٩٠م.

(٢) دراسات في الفرق والمذاهب القديمة المعاصرة: عبد الله أمين، الطبعة الأولى ، الناشر: دار الحقيقة للطباعة والنشر ، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م ، ص١٩٨.

(٣) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: د. سامي النشار ، ١٥٧/٢-١٥٨.

(٤) تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد و تاريخ المذاهب الفقهية: محمد أبو زهرة، الناشر: دار الفكر العربي، ص٤٤.

(٥) الجارودية: أتباع أبي الجارود زياد بن المنذر الكوفي الهمداني، حيث تزعم هذه الفرقة أن النبي ﷺ ، نص على علي بالوصف لا بالتسمية ، فكان هو الإمام من بعده وأن الناس ضلوا وكفروا بتركهم الاقتداء به ، وقد خالف أبو الجارود في هذه المقالة إمامة زيد بن علي فإنه لم يعتقد هذا الاعتقاد ، انظر : الملل والنحل:الشهرستاني، ١٥٧/١، الفرق بين الفرق : عبد القاهر البغدادي ص٣٠، مقالات الإسلامين: أبو الحسن الأشعري، ١٤١/١.

(٦) انظر: الملل والنحل : الشهرستاني ، ١٥٧/١.

(٧) الحور العين :نشوان الحميري، ص٢٠٨.

(٨) انظر: الفرق الكلامية الإسلامية : د.علي عبد الفتاح المغربي، الطبعة الأولى، الناشر: مكتبة وهبي للطباعة والنشر، القاهرة ١٤٠٧هـ-١٩٨٢م، ص ١٧٤، وتاريخ المذاهب الإسلامية: محمد أبو زهرة، ص٤٤.

ثانياً: الإسماعيلية:

تعد الإسماعيلية ثاني أكبر فرق الشيعة، وهي أساس الفرق الباطنية التي خرجت من رحم الشيعة وعملت على هدم الإسلام من الداخل ، سميت بهذا الاسم نسبة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق لزعمهم الانتساب إليه، حينما انقسمت الشيعة على نفسها بعد وفاة جعفر الصادق ، فهم يعتقدون أن جعفر الصادق نص على إمامة إسماعيل من بعده، وأوصى له بها [1]، رغم أن علماء النسب مجمعون على أن إسماعيل مات في حياة والده سنة (١٤٣هـ)، لكن الإسماعيليين يزعمون أن إسماعيل لم يمت في حياة والده، بل إن أباه قد جعله وصيه، ولخوفه عليه من الخليفة العباسي احتال لإخفائه عنه فكتب محضراً بوفاته وأشهد عليه عامل المنصور العباسي بالمدينة المنورة، وفي نفس الوقت توجّه إسماعيل سراً إلى السلمية[2].

وظهور هذه الفرقة كان على يد ميمون القداح بعد أن أرسى معلمه أبو الخطاب دعائم الباطنية عموماً ، فاتخذ القداح من إسماعيل بن جعفر وابنه محمد وسيلة لتحقيق أهدافه وغاياته الحاقدة لتدمير الإسلام وعقائده، وعلى هذا الطريق سار أحفاده وتلاميذه في تأسيس دولة في المغرب وتأجيج الثورات في المشرق عرفت باسم القرامطة [3].

أما مذهب الإسماعيلية فهو كما يقول الغزالي وغيره إنه مذهب ظاهره الرفض، وباطنه الكفر المحض، ومحصول قولهم تعطيل الصانع وإبطال النبوة والعبادات وإنكار البعث، ولكنهم لا يظهرون هذا في أول أمرهم. ولهم مراتب في الدعوة، وحقيقة المذهب لا تعطى إلا لمن وصل إلى الدرجة الأخيرة يتطلعون في الجملة لنفي الصانع فإنهم لو قالوا إنه معدوم لم يقبل منهم بل منعوا الناس من تسميته موجوداً وهو عين النفي مع تغيير العبارة لكنهم تحذقوا فسموا هذا النفي تنزيهاً وسموا مناقضه تشبيهاً حتى تميل القلوب إلى قبوله[4].

---

(١) انظر: الفرق بين الفرق: عبد القاهر البغدادي ، ص ٦٢، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين: محمد بن عمر بن الحسين الرازي أبو عبد الله، ص٥٤، والتبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين: طاهر بن محمد الإسفراييني ، تحقيق كمال يوسف الحوت عالم الكتب – بيروت ،الطبعة الأولى، ١٩٨٣م، ص٣٨.

(٢) انظر: الملل والنحل: الشهرستاني، ١/١٩١-١٩٢.

(٣) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين : محمد بن عمر بن الحسين الرازي ،ص٥٤ ، وانظر: الحركات الباطنية في العالم الإسلامي: د. محمد أحمد الخطيب، ص٥٩.

(٤) انظر: فضائح الباطنية: محمد بن محمد أبوحامد الغزالي، تحقيق عبد الرحمن بدوي، الناشر مؤسسة دار الكتاب الثقافية، ص ٣٧ وما بعدها، الملل والنحل: الشهرستاني، ١/١٩١-١٩٢، و الفرق بين الفرق: عبد القاهر البغدادي، ص٢٩٤-٢٩٥.

يطلق على الإسماعيلية عدة ألقاب وأسماء، منهـا الباطنيـة[١]، والسـبعية [٢]، والقرامطـة[٣]، والمزدكية، والتعليمية، والملحدة، المباركية، الإباحية، الزنداقية،...إلى غير ذلك[٤]، وهـم لا يحبـون أن يلقبوا بغير الإسماعيلية، إذ يقولون نحن إسماعيلية لأنَّا تميزنا عـن فـرق الشـيعة بهـذا الاسـم وهـذا الشخص[٥].

والإسماعيلية تفرقت منذ نشأتها إلى عدة فرق، ويوجد في عصرنا الحاضر منها فرقتان هي:

١. **الإسماعيلية المستعلية أو البهرة[٦].**
٢. **الإسماعيلية النزارية أو الأغاخانية[٧].**

ومن الجدير بالملاحظة أن الإسماعيليين منذ سنة ١٢٣٣هـ ، يحاولون الامتداد والدعوة لمذهبهم على حساب الإسلام في كثير من البلاد التي يجهل أهلها تعاليم الإسلام الصحيحة، وكل هذا كان بتشـجيع من الدول الاستعمارية وخاصة بريطانيا، الذين رأوا في الإسماعيلية وسيلة توقف خطر الإسـلام عـنهم ،فهم يتوغلون في كينيا وأوغندا ولهم نشاط في الولايات المتحدة الأمريكية، كذلك لهم مراكز ضخمة فـي دار السلام عاصمة كينيا، أما في البلاد العربية فقد أخذ يروج لأفكارهم كل من مصطفى غالب، وعارف تامر، ولهم العديد من المؤلفات عن الإسماعيلية وحركاتها [٨].

---

(١) الباطنية: لقولهم بباطن الكتاب، أي أن لظواهر القرآن والأخبار بواطن تجرى في الظواهر مجرى اللب مـن القشـر، انظر: لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية: شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي ،الطبعة: الثانية، الناشر: مؤسسة الخافقين ومكتبتها، دمشق، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ ،٨٣/١ ، و الحركات الباطنية في العالم الإسلامي : د. محمد أحمد الخطيب ، ص٥٨.

(٢) السبعية : لاعتقادهم أن أدوار الإمامة سبعة ، فمحمد بن إسماعيل انتهى دور الإمامة له ، وأنه للإمامـة أدوار سـبعة تستمر في نسبه وعقبه ، (تلبيس إبليس:جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن على الجوزي ، الطبعة الأولى ، الناشر : دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ١٤٢١هـ–٢٠٠١م، ص٩٢، انظر: الحركات الباطنية في العـالم الإسـلامي: د. محمد أحمد الخطيب ، ص٥٨).

(٣) القرامطة: نسبة إلى مؤسس الفرقة حمدان قرمط ويعرفون بهذا اللقب في العراق.(انظر: تلبيس إبليس: جمـال الـدين أبو الفرج عبد الرحمن بن على الجوزي، ص٩٤).

(٤) انظر: الملل والنحل: الشهرستاني، ١٩٢/١.

(٥) المصدر السابق: ١٩٢/١، وانظر: تلبيس إبليس: أبو الفرج الجوزي، ص١١٧-١٢١.

(٦) البهرة : نسبة إلى أول معتنق أفكار هذه الطائفة من التجار في الهند وذلك أن مجموعة من الإسماعيلية دعـوا تجـار الهند الوثنين إلى معتقدهم فآمنوا بها ، وهم يعتقدون بألوهية الأئمة ، موجودون في الهند ، تعاليمهم سرية ولهـم عبـاداتهم الخاصة، (انظر الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، ناصر القفاري وناصر العقل ، دار الصميع ، الريـاض ،الطبعـة الأولى، ١٤١٣هـ ، ص ١٣١، وانظر : الحركات الباطنية في العالم الإسلامي: محمد الخطيب ،ص ٧٠-٧١).

(٧) الأغاخانية : نسبة إلى زعيمهم حسن علي شاه الملقب بالأغاخان ظهرت في القرن التاسع عشـر مـيلادي ،يقولـون بإلوهية أغاخان وكذلك ألوهية علي ﷺ ، يسكنون في الباكستان والهند ودول أخرى ، لهم علاقـة بالاسـتعمار الإنجليـزي ويؤيدونه، (انظر: الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة: د.ناصر القفاري و ناصر العقل، ص ١٣٢، والحركات الباطنية في العالم الإسلامي: محمد أحمد الخطيب ص ٧٩).

(٨) الحركات الباطنية في العالم الإسلامي: محمد أحمد الخطيب ، ص ٨٢.

ثالثاً: النصيرية:

هي إحدى فرق الشيعة الباطنية الغلاة، ظهرت في القرن الثالث للهجرة، وانشقت عن فرقة الاثنا عشرية، تنتسب هذه الطائفة إلى زعيمهم محمد بن نصير النميري، وكنيته أبو شعيب، كان من الشيعة الاثنا عشرية، وأصله من فارس، ثم انفصل عنهم إثر نزاع بينه وبينهم على ثبوت صفة الباب له، حيث ادعى أنه الباب إلى المهدي المنتظر فلم تقرّ له الإمامية بذلك فانفصل عنهم وكوّن له طائفة وقد ظل زعيماً لطائفته إلى أن هلك سنة ٢٦٠هـ، وبعضهم يذكر أنه هلك في سنة ٢٧٠هـ، و يقول علماء الفرق بأنه كان مولى للحسن العسكري- الإمام الحادي عشر - و كان للحسن العسكري موقف شديد منه ومن آرائه الكفرية(١).

ولقد أصبح مذهبه فيما بعد من أعمق المذاهب في الوثنية والغلو في البشر، فقد ادعى ربوبية أبي الحسن العسكري، وزعم أنه نبي ورسول بعثه أبو الحسن (٢).

وبعد وفاة ابن نصير تناوب على زعامة النصيرية عدة أشخاص أثروا المذهب النصيري بأفكارهم وتنوع المعتقدات وتعدد الطرق والآراء، كان من أبرزهم أبو محمد الجنبلاني، وتلميذه الحسين بن حمدان الخصيبي ،ويعتبر الشيخ الأعظم عندهم .

تعتقد النصيرية بإلوهية علي بن أبي طالب ﷺ غير أنهم مختلفون في مكان حلول علي بعد أن ترك ثوبه الآدمي ، فمنهم من قال في القمر وآخرون قالوا في الشمس ، كذلك يعتقدون بتناسخ الأرواح وإنكار البعث والنشور والجنة والنار والقول بقدم العالم ، ولهم عباداتهم الخاصة بهم(٣).

وقد أفاض شيخ الإسلام ابن تيمية في الكلام عليهم في رسالته المشهورة عن النصيرية لما سئل عن حكمهم(٤)، حيث قال:" هؤلاء القوم المسمون بالنصيرية هم وسائر أصناف القرامطة الباطنية أكفر من اليهود والنصارى ، بل وأكفر من كثير من المشركين وضررهم على أمة محمد ﷺ أعظم من ضرر الكفار المحاربين مثل كفار التتار والفرنج وغيرهم فإن هؤلاء يتظاهرون عند جهال المسلمين بالتشيع ، وموالاة أهل البيت ، وهم في الحقيقة لا يؤمنون بالله ولا برسوله ولا بكتابه، ولا ثواب ولا عقاب ، ولا جنة ولا نار"(٥) .

يتواجد النصيريون في سوريا وتركيا وفي كردستان العراق(٦).

---

(١) انظر: المصدر السابق، ص٣٢١ ، وانظر: الملل والنحل: الشهرستاني ،١٨٨/١، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين: الفخر الرازي، ص٦١ وفرق معاصرة: د. غالب عواجي ، ٥٣٣/٢.

(٢) انظر: فرق الشيعة: النوبختي والقمي، ص٩٥.

(٣) انظر: الفرق بين الفرق : البغدادي،ص ٢٥٥-٢٥٦، والحركات الباطنية في العالم الإسلامي: محمد أحمد الخطيب، ص٣٢٢- ٣٢٣.

(٤) مجموع الفتاوى:تقي الدين أحمد بن تيمية الحراني، تحقيق: عامر الجزار وأنور الباز ، الطبعة الثالثة، الناشر: دار الوفاء ، ١٤٢٦هـ -٢٠٠٥م، ١٤٩/٣٥-١٦١.

(٥) المصدر السابق: ١٥٠/٣٥.

(٦) الحركات الباطنية في العالم الإسلامي :محمد أحمد الخطيب ، ص ٣٢٢.

رابعاً : الدروز.

هي فرقة باطنية انشقت عن الإسماعيلية في عصر الدولة العبيدية[1]، واتخذت لها مبادئ مخالفة في ظاهرها لمبادئ الإسماعيلية، وإن كانوا متفقين في الباطن، وهم من غلاة الباطنية يألهون الحاكم بأمره العبيدي، الذي أنشأ لهم مركزاً للدعوة الإسماعيلية فالتفوا حوله وزينوا له فكرة الإلوهية التي كانت تعتلج في صدره[2]، وقد بدأت الدعوة الجهرية وبشكل واضح لإلوهية الحاكم عام ٤٠٨هـ، على يد ثلاثة من دعاة الإسماعيلية وهم حمزة بن على الزوزني، ومحمد بن إسماعيل الدرزي المعروف بهشكتين، والحسن بن حيدرة الفرغاني، وقد اتفق حمزة مع دعاته ألا يجهر أحد أو يكشف عن حقيقة المذهب إلا بعد تلقي الأوامر منه، ولكن الدرزي قد تسرع في إعلان ألوهية الحاكم، مما أغضب حمزة عليه وأثار الناس ضده ، ففر إلى الشام وهناك دعا إلى مذهبه وظهرت الفرقة الدرزية التي ارتبطت باسمه على الرغم من أنهم يلعنونه لأنه خرج عن تعاليم حمزة الذي دبر لقتله سنة ٤١١ هـ[3].

يقول الإمام ابن تيمية:" وأما الدرزية فأتباع هشتكين الدرزي؛ وكان من موالي الحاكم أرسله إلى أهل وادي تيم الله بن ثعلبة فدعاهم إلى إلهية الحاكم ويسمونه الباري العلام ويحلفون به وهم من الإسماعيلية القائلين بأن محمد بن إسماعيل نسخ شريعة محمد بن عبد الله وهم أعظم كفرًا من الغالية يقولون بقدم العالم وإنكار المعاد وإنكار واجبات الإسلام ومحرماته وهم من القرامطة الباطنية الذين هم أكفر من اليهود والنصارى ومشركي العرب وغايتهم أن يكونوا فلاسفة على مذهب أرسطو وأمثاله أو مجوسا. وقولهم مركب من قول الفلاسفة والمجوس ويظهرون التشيع نفاقا "[4].

وعقائد الدروز خليط من عدة أديان وأفكار كما أنهم يؤمنون بسرية أفكارهم فلا ينشرونها بين الناس، ولا يعلمونها لأبنائهم إلا إذا بلغوا سن الأربعين، وبالعموم فإنهم يعتقدون بإلوهية الحاكم بأمر الله، وفي رجعته آخر الزمان ، وينكرون الأنبياء والرسل جميعاً ، غير أنهم ينتسبون ظاهراً إلى الإسلام، ويتظاهرون أمام المسلمين بأنهم مسلمون ، وذلك لأنهم عاشوا في وسط إسلامي ودولة مسلمة [5].

قال شيخ الإسلام في الحكم عليهم:" كفر هؤلاء مما لا يختلف فيه المسلمون، بل من شك في كفرهم فهو كافر مثلهم، لا هم بمنزلة أهل الكتاب ولا المشركين، بل هم الكفرة الضالون فلا يباح أكل طعامهم، وتسبى نساؤهم وتؤخذ أموالهم، فإنهم زنادقة مرتدون لا تقبل توبتهم؛ بل يقتلون أينما ثقفوا..."[6].

يتواجد الدروز اليوم في سوريا ولبنان وفلسطين[7].

---

(١) نسبة إلى عبد الله بن ميمون القداح الذي أسس الدولة العبيدية في المغرب سنة ٢٩٦هـ ، ثم امتد نفوذهم إلى مصر وصارت عاصمة لهم. فرق معاصرة :د. غالب عواجي ، ٥٩١/٢.

(٢) الحركات الباطنية في العالم الإسلامي: د.محمد أحمد الخطيب، ص١٩٩.

(٣) انظر: المصدر السابق ، ص٢٠٧ و ص ٢٠٨ .

(٤) مجموع الفتاوى : ابن تيمية ، ١٦١/٣٥-١٦٢.

(٥) الحركات الباطنية في العالم الإسلامي: محمد احمد الخطيب، ص٢١٤، و فرق معاصرة: د.غالب عواجي، ٦٠١/١

(٦) مجموع الفتاوى : ابن تيمية ، ١٦٢/٣٥.

(٧) فرق معاصرة : د. غالب عواجي، ٦٠٧/٢.

المطلب الثاني: الفرق التي خرجت من الشيعة الاثنا عشرية حديثاً:

تجددت الانقسامات بين صفوف الشيعة حديثاً على المصادر التي يتلقى منها أصول الديانة الشيعية، بالرغم من محاولات شيوخ الشيعة الأوائل لجم هذه الانقسامات[1]، ففي أواخر القرن العاشر الهجري قام محمد أمين الاستربادي[2]، الموسوم بالإخباري الصلب، بفتح باب الطعن على أصوليين الشيعة وأكثر في كتابه الفوائد المدنية في التشنيع عليهم، ووصفهم بتخريب الدين [3]، فانقسمت الشيعة على يديه إلى قسمين:

أ- **أخباريه:** وهم أصحاب الحديث الذين يتبعون أخبار الأئمة ويسلمون لها دون نقاش، ويعتبرونها أدلة قاطعة، وهم ينكرون الإجماع ، ودليل العقل ، بل لا يأخذون بظواهر القرآن، بل يعمدون إلى تفسيرها المنسوب لأئمتهم، ولا يرون حاجة إلى أصول الفقه، ولا يرون صحته، ويرون أن ما في كتب الأخبار

---

(١) تركت وفاة الحسن العسكري دون أن يخلف له عقب، أثراً كبيراً بين صفوف الشيعة إذ اختلفوا إلى ما يربوا أربعة عشر فرقة حول تعيين الإمام، ذهبت الاثنا عشرية من بينها إلى الزعم بأن للحسن العسكري ولداً كان قد أخفى مولده لشدة طلب السلطان له ، واعتبروا أنه غاب وجعلوا له سفراء ليستأثروا بالأموال التي تجبى للإمام من سذج الناس، فلما تطاول الزمان ولم يخرج ذلك الغائب واختلفت الشيعة على من يتولى السفارة للإمام وظهر الشك بين صفوف أتباعهم حول حقيقة وجود الإمام، اضطر شيوخ الشيعة إلى الزعم بأن الإمام قد غاب غيبة كبرى عن جميع البشر حتى عن سفراءه، وقالوا بأن الإمام قد أعطى النيابة لهم في فترة غيبته الكبرى ليفتوا الناس بما شاءوا، ولكن سرعان ما تجدد الاختلاف بين مشايخ الشيعة على الأصول التي تؤخذ منها أصول دينهم ومعتقداتهم، وزاد الانشقاق بينهم بعد أن حدث الاتصال بين الشيعة والمعتزلة وتأثر عدد من شيوخ الشيعة بآراء المعتزلة ومعتقداتهم ، فانقسم الشيعة إلى أصولية وإخبارية ووصل بهم الحد إلى تكفير بعضهم بعضاً وإلى الاقتتال بالسيف كما أفاد بذلك الشهرستاني، فجاء شيخهم المفيد فحاول الجمع بين التيارين، وعمل على إرساء دعائم جديدة للفكر الشيعي، فيتحدث الشيعي هبة الدين الحسني عن وضع الشيعة آن ذاك وجهود المفيد قائلاً:" لقد كان المفيد مفيداً حقا، مفيداً في القول والعمل ، مفيداً في الافتكار و الابتكار...، توجهت إليه جماعة الإمامية وانقادوا لرئاسته الدينية يوم كانت بغداد تموج بالفتن ، وقد أكلت قواهم المحن، والشيعة يومئذ شيع وأحزاب تمزقت شر ممزق ، وتفرقت إلى ميمية وعينية وغلاة ومخمسة وزيدية وإسماعيلية وو، فجمع المفيد بحسن سياسته آراءهم إلى الوسط الذي يرجع إليه الغالي ، ويلحق به التالي" ، ويقول الشيعي عبد الهادي الفضلي عن جهود المفيد في رأب صدع الانشقاق بينهم :" وبسبب ما رآه من بوادر انشقاق الصف الشيعي العلمي إلى هذين الاتجاهين ، بما يحمل أولهما من جمود قد يعوق مسيرة التطور الفكري التشريعي ، وما يحمل ثانيهما من انطلاق تجاوز حدود الدائرة المذهبية لهذا وذاك رأى أن يسلك طريق البين بين ، فلا جمود. يحمل، ولا انطلاق ، ولكن أمر بين الأمرين" (انظر: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية : د. ناصر القفاري ، ٨٣١/٣،و تصحيح اعتقادات الإمامية ، الشيخ المفيد ، تقديم بعنوان الشيخ المفيد وتصحيح الاعتقادات ، بقلم : هبة الدين الحسيني الشهير بالشهرستاني ، ص٢٤، والاجتهاد دراسة فقهية لظاهرة الاجتهاد الشرعي: عبد الهادي الفضلي، الطبعة الأولى، مؤسسة الغدير ، بيروت ، ١٤٢١هـ، ص٣٦).

(٢) ذهب عدد من علماء الشيعة إلى أن الاسترابادي هو أول من قسم الإمامية إلى أصولية وإخبارية، انظر: لؤلؤة البحرين: يوسف البحريني، تحقيق وتعليق محمد بحر العلوم، الطبعة الثانية، الناشر:دار الأضواء، بيروت، ١٤٠٦هـ، ص١١٣.

(٣) انظر: مصادر التلقي وأصول الاستدلال العقدية عند الإمامية الاثنا عشرية ، إيمان صالح العلواني، ص ٣٥، ١٤٢٧هـ

الأربعة عند الشيعة وهي: (الكافي، والتهذيب، والاستبصار، ومن لا يحضره الفقيه) كلها صحيحة قطعية الصدور عن الأئمة[1].

ب- **أصولية:** وهم في مقابل الإخباريين، وهم القائلون بالاجتهاد، واستنباط الأحكام الشرعية من الأدلة الأربعة – الكتاب والسنة والإجماع والعقل ، فهم كما تسموا في كتبهم أهل النظر والاستدلال أو المجتهدون[2].

يقول شهيد الشيعة مرتضى مطهري متحدثاً عن هذا الاختلاف:" قبل أربعة قرون تقريبا ظهرت بيننا نحن الإمامية فرقة باسم الفرقة الإخبارية، وهي في قبال الأصولية القائلة بالاجتهاد ، وقد سيطرت على أفكار الناس ما يقارب القرنين أو الثلاثة قرون، ولم تترك عملا شنيعا إلا وارتكبته من إشعال حربٍ وقتل وأمثالهما ، أما اليوم فإن عدد الإخباريين قليل جدا ...، هذا هو التيار الإخباري وتعصبه الأحمق اللامحدود الذي جعل أصحابه يعتبرون الصحيح والضعيف من الأحاديث على حدٍّ سواء ، إنّه تيار فكري خطر ظهر في دنيا الإسلام، وتمخض عن جمود فكري لا زلنا نعاني من تبعاته إذ سرت عدواه إلى أوساطنا "[3].

ويتحدث محمد رضا المظفر[4] عن حالة الشيعة في القرن الثاني عشر قائلاً:" مضي القرن الثاني عشر للهجرة على العتبات المقدسة في العراق، بل على أكثر المدن الشيعية في إيران التي فيها مركز الدراسة الدينية العالية - كأصفهان ، وشيراز ، وخراسان - وتطغى فيه ظاهرتان غريبتان على السلوك الديني ، الأولى: النزعة الصوفية التي جرَّت إلى مغالاة فرقة الكشفية والثانية: النزعة الإخبارية ، وهذه الأخيرة خاصة ظهرت في ذلك القرن قوية مسيطرة على التفكير الدراسي ، وتدعو إلى نفسها بصراحة لا هوادة فيها ، حتى أن الطالب الديني في مدينة كربلاء خاصة أصبح يجاهر بتطرفه ويغالي ، فلا يحمل مؤلفات العلماء الأصوليين إلا بمنديل ، خشية أن تنجس يده من ملامسة حتى جلدها الجاف...،ومن جهة أخرى يحدث رد فعل لهذا الغلو ، فينكر على الناس أن يركنوا إلى العقل ، وتفكيره ، ويلتجأ إلى تفسير التعبد بما جاء به الشارع المقدس بمعنى الاقتصار على الأخبار الواردة في الكتب الموثوق بها في كل شيء ، والجمود على

---

(١) انظر: تأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة أسبابه ومظاهره : عبد اللطيف بن عبد القادر الحفظي، الطبعة الأولى، الناشر: دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع، جدة، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م ، ص٤٦١، وانظر: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية: د. ناصر القفاري، ١/١١٦، ومصادر التلقي وأصول الاستدلال العقدية عند الإمامية الاثنا عشرية : إيمان بنت صالح بن سالم العلواني ، ١٤٢٧هـ، ص٣٠.

(٢) المصادر السابقة: نفسها.

(٣) إعلام الخَلف بمن قال بتحريف القرآن من أعلام السّلف: أبو عمر صادق العلائي ، الناشر:دار الأمير، ص ١٨.

(٤) هو محمد رضا بن محمد بن عبد الله بن أحمد من آل المظفر، فقيه إمامي، ولد في النجف عام ١٣٢٢هـ وتوفي عام ١٣٨٤هـ، اشتغل بتدريس الفقه والأصول والفلسفة فكان عميد كلية الفقه في النجف بالعراق، من مؤلفاته: أصول الفقه، عقائد الإمامية، وكتاب المنطق، (انظر: الأعلام، للزركلي، ٦/١٢٧، وانظر: مقدمة كتاب عقائد الإمامية: تقديم حامد حنفي داود، ص٢).

ظواهرها ... ، وهكذا تنشأ فكرة " الإخبارية الحديثة " إلى أول من دعا إليها، أو غالى في الدعوة إليها المولى أمين الدين الاسترابادي"(١) .

وفي مطلع القرن الثالث عشر، بلغ الصراع أوجّه بين الإخباريين والأصوليين ، وصدرت الفتاوى بتكفير رأس الإخباريين في ذلك الوقت محمد الإخباري والذي بموته انفرط عقد الفرقة الإخبارية وتفرقت إلى عدة فرق:

الأولى: الشيخية – الأحمدية– .

وهم أتباع الشيخ أحمد الإحسائي (المولود سنة ١١٦٦هـ، والمتوفى سنة ١٢٤١هـ)، ويعتبر من كبار علماء الإمامية وهو باطني من الغلاة، وله أفكار خارجة عن الإسلام يظهر فيها الاعتقاد بالحلول، والتناسخ ، والاتحاد(٢)، صدرت بحقه عدة فتاوى من العلماء الأصوليين، تكفره بسبب نظرياته حول المعاد، والأئمة(٣).

الثانية: الرشتية.

وهم أتباع كاظم بن قاسم الرشتي تلميذ الإحسائي مؤسس الشيخية والقائم مقامه من بعده، والآخذ بنهجه مع زيادة في الغلو والتطرف، وسميت بالكشفية لما ينسب إلى زعيمها من الكشف والإلهام ، جاهر بآرائه التي اعتبرها علماء النجف آراء شاذة عن التفكير العقائدي الاثني عشري، فخلق صراعًا مع مدرسة النجف من نوع جديد ، يختلف عن الصراع الذي واجهته هذه المدرسة مع الإخباريين ، فقد كان الصراع مع الإخباريين يتركز بالجدل على شرعية وجود المجتهد وعدمه، أما الصراع " الشيخي " الجديد ، فقد ركن إلى جانب آخر، يعتمد على الغلو في مراتب الأئمة المعصومين ، الأمر الذي أبعدهم عن واقع الفكر الاثني عشري ، وقربهم إلى الفكر الإسماعيلي ، والاعتقاد الصوفي(٤) .

---

(١) جامع السعادات: المقدمة، محمد مهدي التراقي، تحقيق وتعليق محمد كلانتر، تقديم محمد رضا المظفر، الناشر: مطبعة النعمان للطباعة والنشر ، النجف، ١/٨-١٠ .

(٢) فرق معاصرة: د. غالب عواجي ، ٢/٦٤٣-٦٤٤ .

(٣) انظر: طرائف المقال في معرفة طبقات الرجال: علي أصغر بن محمد شفيع للبروجردي، تحقيق مهدي الرجائي، الطبعة الأولى، الناشر: مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم، ١/٦١ ، هامش رقم ٣؛ وانظر : مصادر التلقي وأصول الاستدلال العقدية عند الإمامية الاثنا عشرية ، إيمان صالح العلواني ، ص ٤٢.

(٤) انظر: مصادر التلقي أصول الاستدلال العقدية عند الإمامية الاثنا عشرية ، إيمان صالح العلواني ، ص٤٣، وانظر: فرق معاصرة: د. غالب عواجي، ٢/٦٤٧.

وقد خرج من الشيخية **البابية**[١]، و**البهائية**[٢] وهاتان الفرقتان لا تزال لهم أتباع في عصرنا الحاضر ومراكز خاصة بهم في العديد من دول العالم، غير أن تلك الفرق تعد صغيرة نسبياً إذا ما قورنت بفرقة الاثنا عشرية الأم.

يقول الدكتور غالب عواجي عن هذه الفرق:" والواقع أن البابية والبهائية والشيخية والرشتية حلقات متصلة بعضها بالبعض الآخر وتعتبر الشيخية والرشتية هي النواة الأولى للبابية ، كما تعتبر البابية هي الدرجة الأولى للبهائية"[٣].

الثالثة: القزلباشية.

وهم صوفية متشيعة من أتباع الصفويين، ولفظ القزلباش معناه الرؤوس الحمر، لتغطية رؤوسهم بشعار أحمر، وهو عبارة عن قلنسوة يلبسونها كشعار لهم، وقد زعم الإمامي محسن الأمين أن القزلباش لقب للاثنى عشرية في بعض البلدان، ولعله أراد التستر على كثرة فرق طائفته [٤] .

هذه أبرز الفرق التي خرجت حديثاً عن الشيعة الاثنا عشرية، غير أن هناك فرق أخرى خرجت منها أو تشعبت من تلك الفرق، إلا أنها أقل حجماً وتأثيراً من هذه الفرق ، ومن الجدير بالذكر أن هذه الكثرة من الفرق التي خرجت من الشيعة الاثنا عشرية دفعت محمد رضا المظفر إلى إيجاد المبررات لها قائلاً :"وطغيان نزعة التصوف من جهة ، ونزعة الإخبارية من جهة أخرى في هذا القرن بالخصوص، مما يدعو إلى التفكير والعجب، وليس بأيدينا من المصادر ما يكفي للجزم بأسباب ذلك، أغلب الظن أنَّ أهم الأسباب التي نستطيع الوثوق بها هو الوضع السياسي ، والاجتماعي اللذان آلت إليهما البلاد الإسلامية في ذلك القرن ، من نحو التفكك ، واختلال الأمن في جميع أطراف البلاد ، والحروب الطاحنة بين الأمراء ، والدول ، لا سيما بين الحكومتين الإيرانية، والعثمانية ، وبين الإيرانية ، والأفغانية ، تلك الحروب التي اصطبغت على الأكثر بصبغة مذهبية وهذا كله مما يسبب البلبلة في الأفكار والاتجاهات"[٥] .

---

(١) البابية: نسبة إلى الميرزا علي محمد الشيرازي، الملقب" باب المهدي " المولود سنة ١٢٣٥ والهالك سنة ١٢٦٥ ، كان يتردد على مجالس كاظم الرشتي ويدرس أفكاره وآراء الشيخية وقع اختيار الرشتي على الميرزا ليجعل منه المهدي المنتظر ،ثم ما لبث أن ادعى نبوته ، حبس في قلعة ماه كو ،وأعدم مع عدد من كبار أتباعه المسجونين معه صبيحة يوم الأثنين ٢٧/شعبان /١٢٦٥هـ-١٨٤٩م.(انظر: فرق معاصرة : د. غالب عواجي ، ٦٤٨/١-٦٥٤٩).

(٢) البهائية: نسبة إلى البهاء حسين علي ابن عباس برزك النوري المازندراني ، المولود بإيران سنة ١٢٣٣ ، والهالك سنة ١٣٠٩ هـ ، اعتنق البابية سنة ١٢٦٠هـ ، وبعد هلاك زعيم البابية ، بدء بالصدوع بأفكاره فادعى ألوهيته ، و قامت دعوة البهائية على أساس أنه ليس لله وجود مطلق بأسمائه وصفاته التي وصف بها نفسه في كتب أنبيائه بل إن وجوده تعالى مفتقر إلى مظاهر أمره الذين جاؤوا ليبشروا بمظهره الأبهى الذي لقبوه ببهاء الله –اسمه حسين علي المازندراني– ، (انظر: فرق معاصرة : د. غالب عواجي ، ٦٦٣/١وما بعدها).

(٣) المصدر السابق، ٦٤٣/٢.

(٤) انظر: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية: د. ناصر القفاري ، ١١٣/١، هامش رقم ٢.

(٥) مقدمة جامع السعادات: محمد مهدي النراقي ، ٨/١-١٠

بينما ذهب أخرون إلى نفي انتساب كثير من الفرق التي خرجت من الشيعة إليها، فيرى الشيعي محمد جواد مغنية أن الضابط الصحيح لتقسيم فرق الشيعة يرتكز على تفسير معنى التشيع" بأنه الإيمان بوجود النص من النبي ﷺ على علي بالخلافة مع عدم المغالاة فيه، ولا في أحد أبنائه...، بعد أن قلنا هذا ينحصر الخلاف بين فرقهم في عدد الأئمة وأعيانهم فقط، لا في أصل النص، ولا في نفي الغلو" [١]، وعلى هذا التفسير فإنه يخرج كل فرق الغلاة والزيدية من الشيعة.

ويقول محمد حسين آل كاشف الغطاء:" إن نسبة غلاة الشيعة إلى الشيعة ظلم فاحش وخطأ وأنهم ليسوا إلا ملاحدة كالقرامطة ونظائرهم"[٢].

ويقول محمد الحسين العاملي:" ولقد أسرف البعض في إطلاق اسم الشيعة على فِرق خرجت عن التشيّع والإسلام معاً، وقد باد أكثرها. وكأنّه ما عرف عقائد الشيعة القويمة، أو أنّه عرفها ولكنّه عدَّ تلك الفِرق الضالّة في عداد الشيعة؛ لغاية في نفس يعقوب"[٣].

وفي الحقيقة ما حملته هذه الطائفة من موروث فاسد، حمل في طياته بذور نحل مختلفة وأهواء متباينة يجد فيها كل صاحب هوى وغلو وبدعة ، بغيته ومرامه لتحقيق أهدافه الخبيثة، والذي يزيد في التأكيد على ذلك أن هذه الفرق خرجت من التيار الإخباري لهذه الطائفة، والأفكار التي نادت بها تعد استنساخ مطور لما جاءت به تلك الموروثات، ولا يبعد أن تظهر فرق أخرى من الاثنا عشرية طالما بقيت هذه الموروثات متداولة بين الشيعة ومحط العناية بها.

المطلب الثالث: أسباب تفرق الشيعة:

الباحث في فرق الشيعة يتبين له أن بدعة الإمامة هي السبب الرئيسي والمحوري في تفرق الشيعة، ولقد تفرعت من هذه البدعة عدة أسباب ساهمت ولا تزال تساهم في تفرقهم، وهذه الأسباب نوضحها في الآتي:

١. **اختلافهم حول تعيين الأئمة.**

يذكر الشهرستاني أن سبب كثرة فرق الشيعة يعود إلى اختلافهم في تعيين الأئمة وعددهم ، فلهم عند وفاة كل إمام تعدية ومقالة، ومذهب، وخبط[٤].

ولقد صنف النوبختي كتابه فرق الشيعة على حسب وفاة كل إمام ، فعند موت كل إمام نجده يذكر أعداد وأصناف من الفرق الجديدة التي لم تكن سابقاً[٥].

---

(١) الشيعة في الميزان: محمد جواد مغنية ، ص ٣٣.

(٢) أصل الشيعة وأصولها: محمد آل كاشف الغطاء ، ص١٧٣.

(٣) الشيعة في التاريخ: محمد الحسين العاملي، ص٣٠.

(٤) الملل والنحل : الشهرستاني، ١٤٧/١.

(٥) انظر: فرق الشيعة: النوبختي ، و ص٢٨ وما بعدها.

٢. **تأويلاتهم المتعددة والمختلفة لروايات أئمتهم والكذب عليهم:**

وهذا السبب ذكرته كتب روايات الاثنا عشرية، فقد روى المجلسي في كتابه بحار الأنوار عن المفضل بن عمر قال:" سمعت أبا عبد الله عليه السلام يوما ودخل عليه الفيض بن المختار، فذكر له آية من كتاب الله عز وجل تأولها أبو عبد الله عليه السلام فقال له الفيض: جعلني الله فداك ما هذا الاختلاف الذي بين شيعتكم؟ قال: وأي الاختلاف يا فيض؟ فقال له الفيض: إني لأجلس في حلقهم بالكوفة فأكاد أشك في اختلافهم في حديثهم، فقال أبوعبد الله عليه السلام: أجل هو كما ذكرت يا فيض، إن الناس أولعوا بالكذب علينا إن الله افترض عليهم لا يريد منهم غيره وإني أحدث أحدهم بالحديث فلا يخرج من عندي حتى يتأوله على غير تأويله، وذلك أنهم لا يطلبون بحديثنا وبحبنا ما عند الله وإنما يطلبون به الدنيا، وكل يحب أن يدعي رأسا" (١).

٣. **القول على أئمة آل البيت بما تهوى قلوبهم وعدم تحري النصوص الصحيحة.**

وفي ذلك روى المجلسي في بحاره عن مالك الجهني قال: كنا بالمدينة حين أجليت الشيعة وصاروا فرقا فتنحينا عن المدينة ناحية ثم خلونا فجعلنا نذكر فضائلهم – أي آل البيت– وما قالت الشيعة إلى أن خطر ببالنا الربوبية، فما شعرنا بشيء إذا نحن بأبي عبد الله عليه السلام واقف على حمار فلم ندر من أين جاء. فقال: يا مالك ويا خالد ! متى أحدثتما الكلام في الربوبية ؟ فقلنا: ما خطر ببالنا إلا الساعة، فقال: اعلما أن لنا ربا يكلأنا بالليل والنهار نعبده، يا مالك و يا خالد قولوا فينا ما شئتم، واجعلونا مخلوقين، فكررها علينا مرارا وهو واقف على حماره(٢).

في حديث آخر نسبوه إلى أمير المؤمنين أنه قال:" أنا عبد الله وخليفته على عباده، لا تجعلونا أربابا، وقولوا في فضلنا ما شئتم، فإنكم لا تبلغون كنه ما فينا، ولا نهايته"(٣).

فبوجود مثل هذه الروايات التي شرعت القول على الأئمة بما تهوى القلوب، وعدم وجود ضابط لما يقال على الأئمة، سَهل على أصحاب الأهواء والبدع بالصدوع ببدعهم وأهوائهم وهذا ما زاد في اضطراب هذه الفرقة وفرقتها عبر القرون، قال تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءهُمْ﴾[محمد:١٤].

٤. **استيعابهم جل الآراء والعقائد التي قالت بها الفرق الشيعية الأخرى.**

فقد كانت الاثنا عشرية بمثابة النهر الذي انسكبت فيها كل الجداول والروافد الشيعية المختلفة، فالفرق الشيعية القديمة لم تفن كما يقال بل إن أكثرها باق يطل علينا من خلال الفكر الاثنا عشري(٤)، وكثير من الفرق التي خرجت من الشيعة قديماً وحديثاً، وادعت الإلوهية لعلي أو أولاده أو لأصحابها إنما

---

(١) بحار الأنوار: المجلسي ،باب علل اختلاف الأخبار وكيفية الجمع بينها والعمل بها ....، حديث رقم: ٥٨، ٢٤٦/٢.

(٢) بحار الأنوار: المجلسي ، باب نفي الغلو في النبي والأئمة، حديث رقم: ٤٦، ٢٨٩/٢٥.

(٣) مستدرك سفينة البحار: على النمازي الشاهرودي، تحقيق: حسن بن على النمازي، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي ، ١٤١٩هـ، ٥٣/٧.

(٤) انظر: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية ، د. ناصر القفاري، ١١٤/١-١١٥.

وجدت ذلك في الغلو الذي تبنته الاثنا عشرية في الأئمة، فقد أعطى الاثنا عشرية صفة الإلوهية والربوبية للأئمة وإن لم يسموهم بها ،وهذا ما سيتضح عند عرض عقائد الشيعة في المبحث القادم[١] ومن خلال صفحات البحث الأخرى.

يقول الدكتور ناصر القفاري:" من خلال تتبعي لنصوص الاثنا عشرية التي تنسبها وترويها في كتبها المعتمدة وجدت أنها تحمل في ثناياها بذور نحل مختلفة وأهواء متباينة يجد فيها كل صاحب هوى وغلو وبدعة، بغيته ومرامه فهي قد اتسعت بحكم معتقد التقية، وكثرة الكذب والافتراء على الأئمة ، وانضواء الملحدين والمتآمرين في صفوفهم، وعجز شيوخ الشيعة عن تنقية المذهب مما علق به من كيد الملحدين عبر القرون، وفقدان الموازين الصحيحة الثابتة لتمحيص الروايات وتحقيقها اتسعت بسبب ذلك وغيره لاحتواء تلك البذور السامة وذلك الركام الهائل من الأخبار المظلمة"[٢].

٥. انتظار الشيعة الطويل لخروج غائبهم المنتظر:

يقول المستشرق دوايت رونلدس:" ويظهر للمدقق في دراسة الإسلام في إيران أن تعاليم الشيخية والبابية والأزلية والبهائية كلها ترجع بالأصل إلى انتظار الشيعة الطويل لعودة الإمام الثاني عشر، وأن الجهود التي بذلتها الفرق المذكورة، كانت حركات جماعات غير مقتنعة بالاستمرار على تولى الأئمة القدماء"[٣].

وفي الحقيقة إن هذا التفرق والاختلاف الكبير الذي سببته بدعة الإمامة، ليدل على بطلان مذهبهم وعلى بطلان النص الذي ينسبونه – زوراً وبهتانا – إلى رسول الله ﷺ في علي والأئمة من بعده إذ لو كان هذا النص من عند الله لما كان هذا الاختلاف الذي يدل دلالة واضحة على أنه من أساطيرهم[٤]، يقول الله تعالى:﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء:٨٢].

---

(١) انظر: ص ٦٦ وما بعدها من البحث .

(٢) أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية: د. ناصر القفاري، ١/١١٤-١١٥

(٣) عقيدة الشيعة: دوايت م. رونلدس، تعريب ع . م، الطبعة الأولى، الناشر: مؤسسة المفيد للطباعة والنشر ، بيروت ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، ص٣٥٨.

(٤) الصلة بين التشيع والاعتزال: محمد الجدعاني،١/٦٠، وانظر: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية:د.ناصر القفاري ، ١/٩٢.

المبحث الرابع
أبرز الكتب الرئيسة عند الشيعة الاثنا عشرية

لم تظهر كتب الشيعة من أول عصر ظهرت فيه تلك الفرقة، لأن الكتب تبدأ بـالظهور بعـد أن تستقر العقائد و يتم وضوحها لدى معتنقيها، فالكتب توضع لتأيد هذه العقائد والدعوة لها، فلم تستقر عقائـد تلك الفرقة نسبياً إلا بعد القرن الثالث هجري وبالتحديد في منتصف القرن الثالث هجري بعد وفاة الحسـن العسكري، وذلك أن الشيعة بعد موت كل إمام يحدث عندهم تفرق جديد وظهور أراء وعقائد جديـدة لـم تكن في أسلافهم ، فظهرت في القرن الرابع هجري أربع كتب في الحديث اعتمدتها الشـيعة فـي إثبـات عقائدها .

يقول الشيعي حسن الصدر[1] :" استقر أمر الإمامية على أربعمائة مصنف سموها أصولا فكـان عليها اعتمادهم، فتداعت الحال إلى ذهاب معظم تلك الأصول، ولخصها جماعة في كتب خاصة تقريبـا على المتناول. وأحسن ما جمع منها الكافي، والتهذيب، والاستبصار، ومن لا يحضره الفقيه"[2]

ويقول محمد جواد مغنية:" وعند الإمامية كتب أربعة للمحمدين الثلاثة : محمد الكليني ، ومحمـد الصدوق، ومحمد الطوسي، وهي الاستبصار، ومن لا يحضره الفقية، والكافي، والتهذيب، وهـذه الكتـب عند الشيعة تشبه الصحاح عند السنة"[3].

بينما في عصرنا الحاضر اعتمدت الشيعة الاثنا عشرية ثمانية كتب يوجد بهـا مظـان الحـديث والتي يسمونها الجوامع الثمانية.

يقول محمد صالح الحائري المازندراني وهو عالم شيعي معاصر:" وأما صحاح الإماميـة فهـي ثمانية للمحدثين السبعة، أربعة منها لمحمدين الثلاثة الأوائل ، وثلاثة بعدها للمحمدين الثلاثـة الأواخـر ، وثامنها لمحمد الحسين المرحوم المعاصر النوري ، صاحب المؤلفات الكثيرة المطبوعة ..."[4].

وفيما يلي بيان لتلك الكتب:

---

(١) هو حسن بن هادي بن محمد علي أخي صدر الدين بن صالح بن محمد الحسيني المعروف بحسن الصدر، ولد بالكاظمية سنة ١٢٧٢ هـ ، ومات ببغداد سنة ١٣٥٤ هـ ، وهو والد محمد الصدر من أعيان العراق ، من أسرة كبيرة أصلها من جبـل عامل ، سكنت أصفهان ، وانتقل بعضها إلى العراق ، فقيه ، أصولي ، متكلم ، ، له مصنفات كثيرة تجاوزت المائـة ، منهـا : نهاية الدراية ، رسالة في الرد على الوهابية ، سبيل الرشاد ، الشيعة وفنون الإسلام، (انظر: الأعـلام: الزركلـي، ٢/٢٢٤-٢٢٥،و معجم المؤلفين: عمر كحالة، ٣/٢٩٩).

(٢) نهاية الدراية : حسن الصدر ، تحقيق ماجد الغرباوي ، الناشر: نشر المشعر ، قم ، ص١٢١-١٢٢.

(٣) الشيعة في الميزان : محمد جواد مغنية ، ص٢٧٠.

(٤) مقالة: بعنوان منهاج عملي للتقريب إلى إخواننا المسلمين ، نشرت في مجلة رسالة الإسلام الصادرة عن دار التقريـب بين المذاهب بالقاهرة ، السنة الثالثة ، العدد الرابع ، ص٤٣٠.

المطلب الأول: الكتب الأربعة المتقدمة التي ظهرت في القرن الرابع هجري.

أولاً: كتاب الكافي: لأبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني المتوفي سنة ٣٢٨هـ:

مكث الكليني في تأليف الكافي مدة عشرين سنة(١)، وقد كتبه الكليني في فترة الغيبة الصغرى التي بواسطتها يجد طريقاً إلى تحقيق منقولاته(٢)، وقيل إنه عرضه على القائم ــ الغائب الموهوم ــ كما يزعمون فقال: كاف لشيعتنا، صنفه الكليني في ٣٤ كتاب و٣٢٦باباً ، وبلغت أحاديثه ١٦١٩٩ حديثاً،وقد طبع عدة طبعات.

والكتاب ينقسم إلى ثلاث أقسام: أصول الكافي – في العقائد –، وفروع الكافي– في الفقه– ، وكتاب الروضة في التاريخ والسير(٣).

وقد بلغت عناية الشيعة بكتاب الكافي عناية فائقة، فقد شرح عدة مرات منها :

- مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول لمحمد باقر المجلسي.
- شرح أصول الكافي لمحمد صالح المازندراني .

كما ويعتبر الكافي أعظم كتاب من بين كتب الشيعة ومصدر هام من مصادر أصولهم وفروعه، ويعتقد الشيعة أنه أصح الكتب الأربعة المعتمدة وأوثق من كتاب صحيح البخاري، وفيما يلي نبذة من أقوال علماء الشيعة في الكافي وصاحبه:-

١. ثناء علماء الشيعة على كتاب الكافي:

قال الكليني يمدح كتابه:" وقلت إنك تحب أن يكون عندك كتاب كاف يجمع فنون علم الدين ما يكتفي به المتعلم ويرجع إليه المسترشد ويأخذ منه من يريد علم الدين والعمل به بالآثار الصحيحة عن الصادقين"(٤)

وقال شيخهم المفيد الذي أدرك الكليني:" الكافي من أجل كتب الشيعة، وأكثرها فائدة "(٥).

---

(١) أهمية الحديث عند الشيعة: الشيخ آقا مجتبى العراقي، الطبعة الأولى، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٢١هـ،ص٨

(٢) الكافي: المقدمة ، ص٢٨.، فقد كان الكليني حياً زمن وكلاء إمامهم الغائب الأربعة ، فقد توفي آخر الوكلاء سنة ٣٢٩هـ ، وتوفي الكليني سنة ٣٢٨هـ ، وهذا يعني أن الكليني صنف رواياته في زمن الوكلاء، مما يجعل كل ما كتبه صحيح لأنه يجد طريقاً إلى تحقيق منقولاته وتصديق مصنفاته من خلال عرضها على الغائب، انظر: كليات في علم الرجال: جعفر السبحاني الطبعة الثالثة، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي، قم ، ص٣٦٦-٣٦٧.

(٣) انظر: الكافي: الكليني، المقدمة.

(٤) انظر :الكافي: الكليني، المقدمة، ص ٢٤.

(٥) دراسات في الحديث والمحدثين: هاشم الحسني، الطبعة الثانية، الناشر: دار التعارف للمطبوعات، بيروت– لبنان، ص١٣٢

ويقول حسين النوري الطبرسي[١]:"الكافي بين الكتب الأربعة كالشمس بين النجوم وإذا تأمل المنصف استغنى عن ملاحظة حال آحاد رجال السند المودعة فيه وتورثه الوثوق ويحصل له الاطمئنان بصدورها وثبوتها وصحتها"[٢].

وقال محمد أمين الاسترابادي[٣] في فوائده المدنية :" وقد سمعنا عن مشايخنا وعلمائنا أنه لم يصنف في الإسلام كتاب يوازيه ، أو يدانيه"[٤].

ويقول عبد الحسين شرف الدين[٥]:" وأحسن ما جمع منها الكتب الأربعة التي هي مرجع الإمامية في أصولهم وفروعهم من الصدر الأول إلى هذا الزمان وهي الكافي والتهذيب والاستبصار ومن لا يحضره الفقيه، وهي متواترة ومضامينها مقطوع بصحتها والكافي أقدمها وأعظمها وأحسنها وأتقنها"[٦].

وقال الفيض الكاشاني[٧] في معرض ثنائه على الكتب الأربعة:" الكافي أشرفها وأوثقها وأتمها وأجمعها لاشتماله على الأصول من بينها ، وخلوه من الفضول وشينها"[٨].

وقال علي أكبر غفاري:" اتفق أهل الإمامة وجمهور الشيعة ، على تفضيل هذا الكتاب والأخذ به ، والثقة بخبره ، والاكتفاء بأحكامه وهم مجمعون على الإقرار بارتفاع درجته وعلو قدره على أنه القطب الذي عليه مدار روايات الثقات المعروفين بالضبط والإتقان إلى اليوم"[٩].

---

(١) حسين بن محمد تقي الدين بن محمد بن علي النوري الطبرسي ولد سنة ١٢٥٤هـ وتوفي سنة ١٣٢٠هـ ، محدث ، عارف بالرجال والسير والتاريخ والكتب، له تصانيف كثيرة منها: مواقع النجوم ومرسلة الدر المنظوم ، وكشف الأستار عن وجه الغائب عن الإبصار ، (انظر معجم المؤلفين عمر كحالة ، ٤/٤٦).

(٢) خاتمة مستدرك الوسائل: حسين النوري الطبرسي ، تحقيق مؤسسة آل البيت لإحياء التراث ، الطبعة الأولى ، الناشر: مؤسسة آل البيت، قم، إيران، ١٤١٦هـ، ٣/٤٦٣.

(٣) هو محمد أمين بن محمد شريف الاسترابادي جاور مكة وتوفي فيها عام ١٠٣٦هـ ، قال عنه الإمامي الحر العاملي: " فاضل، محقق، ماهر، متكلم، فقيه، محدث، ثقة، جليل، له كتب منها: الفوائد المدنية، وذكر فيها أنه شرع في شرح أصول الكافي ، وشرح تهذيب الاستبصار" (أمل الآمل: الحر العاملي ،٢/٢٤٦) و(انظر: معجم المؤلفين: عمر كحالة، ٩/٧٩-٨٠).

(٤) خاتمة مستدرك الوسائل: حسين نوري الطبرسي ، ٣/٤٦٥، والكنى والألقاب : عباس القمي ، ٣/١٢٠.

(٥) هو عبد الحسين شرف الدين الموسوي ، ولد بالمشهد الكاظمي عام ١٢٩٠هـ، وأخذ عن طائفة من علماء الشيعة بالعراق، وقدم لبنان وأصبح مرجع الشيعة في لبنان وأسس الكلية الجعفرية فيها، وتوفي بيروت في الثامن من جمادي الآخرة عام ١٣٧٧هـ ودفن بالنجف ، من آثاره المراجعات وهي أسئلة وجهها سليم البشري إليه فأجاب عليها ، وكذلك كتاب أبوهريرة، والفصول المهمة في تأليف الأمة، (انظر: معجم المؤلفين: عمر كحالة، ٥/٨٧).

(٦) المراجعات: عبد الحسين شرف الدين الموسوي، تحقيق حسين الراضي، الطبعة الثانية ، الناشر: دار صادق ، بيروت، ١٤٠٢هـ -١٩٨٢م، ص٣٣٥ ،مراجعة رقم ١١٠.

(٧) الفيض الكاشاني: محمد بن مرتضى المدعو بمحسن الكاشاني :عند الشيعة عالما ، متكلما ،محدثا ، فقيها ، مات سنة ١٠٩١م، له تصانيف كثيرة منها : كتاب الوافي جمع الكتب الأربعة مع شرح أحاديثها المشكلة ، وكتاب سفينة النجاة في طريقة العمل ، وتفاسير ثلاثة ،(انظر: معجم رجال الحديث : السيد الخوئي، ١٨/٢٢٦-٢٢٧).

(٨) الكافي: المقدمة ، ص٢٧.

(٩) المصدر السابق نفسه: المقدمة، ص٢٦.

٢. ثناء علماء الشيعة على الكليني:

قال النجاشي[١] في ترجمة الكليني :" محمد بن يعقوب بن إسحاق أبو جعفر الكليني وكان خاله علان الكليني الرازي شيخ أصحابنا في وقته بالري ووجههم ، وكان أوثق الناس في الحديث وأثبتهم ، صنف الكتاب الكبير المعروف بالكافي في عشرين سنة"[٢]

وقال المحقق الشيعي على بن حسين الكركي[٣] مثنياً على الكليني:" الشيخ الإمام السعيد الحافظ المحدث الثقة، جامع أحاديث أهل البيت عليهم السلام أبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني، صاحب الكتاب الكبير في الحديث المسمى بالكافي، الذي لم يعمل مثله..، وقد جمع هذا الكتاب من الأحاديث الشرعية، والأسرار الربانية ما لا يوجد في غيره، وهذا الشيخ يروي عمن لا يتناهى كثرة من علماء أهل البيت عليهم السلام ورجالهم ومحدثيهم "[٤].

وقال محمد حسين الطباطبائي[٥] عنه:" هو أول عالم شيعي، استخرج ورتب الموضوعات الفقهية والإعتقادية من الروايات الشيعية التي كانت مدونة في الأصول[٦]...، ويعتبر هذا الكتاب من أشهر كتب الحديث التي عرفت في عالم التشيع"[٧]

---

(١) النجاشي: وهو أحمد بن على بن أحمد بن العباس بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله النجاشي الأسدي، أبو العباس ، يعرف بابن الكوفي ، من أهل بغداد ، مؤرخ شيعي، صاحب كتاب الرجال المشهور في تراجم رواة الإمامية، وله كتب أخرى منها كتاب الجمعة والكوفة وما فيها من الآثار.(انظر: الأعلام للزركلي، ١٧٢/١، معجم المؤلفين: عمر كحالة، ٣١٧/١).

(٢) فهرست أسماء مصنفي الشيعة المشتهر برجال النجاشي: أبو العباس احمد بن على بن احمد بن العباس النجاشي، تحقيق : موسى الشبيري الزنجاني، الطبعة الخامسة، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي، ص ٣٧٧، رقم ١٠٢٦. وانظر: كليات في علم الرجال : الشيخ جعفر السبحاني، ص٣٥٦.

(٣) هو على بن الحسين بن عبد العالي الكركي، العاملي، أبو الحسن المعروف بالمحقق الثاني، والمحقق الكركي، عالم وفقيه شيعي توفي عام ٩٤٠هـ، له عدة تصانيف منها: الرسالة الجعفرية، الرضاع، جامع المقاصد في شرح القواعد، قال عنه الحر العاملي:" كان فاضلاً ، فقيهاً محققاً ، محدثاً ، متكلماً ، عبداً من المشايخ الأجلاء"(أمل الآمل: الحر العاملي، ١١٠/١)، (وانظر: معجم المؤلفين: عمر كحالة، ٧٤/٧).

(٤) الكافي: المقدمة ، ص٢٧.

(٥) هو محمد حسين الطباطبائي، ولد سنة ١٣٢١هـ في مدينة تبريز في إيران ، رحل إلى النجف الأشرف سنة ١٣٤٤ واكتسب من خلالها مختلف العلوم الإسلامية ، وذاعت شهرته في إيران بعدها هاجر إلى مدينة قم ، وكان محاضراً في الحوزة العلمية فيها اشتهر بتدريس التفسير والحكمة والمعارف الإسلامية، من مؤلفاته تفسير الميزان، مبادئ الفلسفة وطريقة المثالية، الشيعة في الإسلام، (انظر: مقدمة الشيعة في الإسلام، جعفر بهاء الدين، ص٨-١١).

(٦) الأصول: هو ما جمعه المحدث من روايات أهل البيت في مصنف خاص، (انظر: الشيعة في الإسلام، محمد حسين الطباطبائي ، ترجمة جعفر بهاء الدين ، ص٨٩).

(٧) الشيعة في الإسلام : محمد حسين الطباطبائي ، ص٨٩.

ثانياً: كتاب من لا يحضره الفقيه، لشيخهم الصدوق محمد بن على ابن الحسين بن بابويه المتوفي سنة ٣٨١هـ:

تعده الشيعة من أصح الكتب الحديثية وأتقنها بعد الكافي، قال ابن بابويه يصف كتابه:" ولم أقصد فيه قصد المصنفين في إيراد جميع ما رووه ، بل قصدت إلى إيراد ما أفتي به ، واحكم بصحته، وأعتقد فيه أنه حجة فيما بيني وبين ربي تقدس ذكره، وتعالت قدرته وجميع ما فيه مستخرج من كتب مشهورة عليها المعول ، وإليها المرجع "[١].

وقد ذكر صدوقهم في مقدمة كتابه أنّه ألّفه بحذف الأسانيد لئلا تكثر طرقه[٢]، وقد اشتمل على ٦٦٦ باباً أولها باب الطهارة وآخرها باب النوادر، وبلغت أحاديثه (٥٩٩٨) [٣].

- **ثناء علماء الشيعة على الكتاب ومؤلفه:**

قال الطوسي مثنياً على ابن بابويه:" محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي جليل القدر يكنى أبا جعفر ، كان جليلا حافظا للأحاديث بصيرا بالرجال ناقدا للأخبار، لم ير في القميين مثله في حفظه وكثرة علمه، له نحو من ثلاثمائة مصنف"[٤].

وقال المجلسي:" محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي أبو جعفر الصدوق، أمره في العلم والفهم والثقافة والفقاهة والجلالة والوثاقة وكثرة التصنيف وجودة التأليف فوق أن تحيطه الأقلام ويحويه البيان، وقد بالغ في إطرائه والثناء عليه كل من تأخر عنه، وفي مقدمتهم الرجالي الكبير النجاشي حيث قال في فهرسه : محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي أبو جعفر نزيل الري، شيخنا وفقيهنا ووجه الطائفة بخرسان، وكان ورد بغداد سنة خمس وخمسين وثلاثمائة وسمع منه شيوخ الطائفة وهو حدث السن وله كتب كثيرة منها كتاب التوحيد ، وكتاب النبوة ...[٥]" [٦].

ثالثاً :كتاب تهذيب الأحكام لشيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن بن على الطوسي المتوفي سنة٤٦٠هـ:

وقد ألفه الطوسي لمعالجة التناقض والاختلاف الواقع في رواياتهم، وبلغت أبوابه (٣٩٣) باباً ، تبلغ أحاديثه نحو (١٣٩٥٠) حديثاً [٧].

---

(١) من لا يحضره الفقيه :الصدوق، تحقيق على أكبر غفاري ، الطبعة الثانية ، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي، المقدمة.

(٢) انظر:من لا يحضره الفقيه:الشيخ الصدوق، المقدمة، وكليات في علم الرجال : جعفر السبحاني ، ص٣٨٠.

(٣) أصول الحديث : عبد الهادي الفضلي، الطبعة الثانية ، الناشر: مؤسسة ام القرى للتحقيق والنشر، ١٤١٦هـ، ص ٥٣.

(٤) الفهرست: أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق: جواد القيومي ، الطبعة الأولى ، الناشر: مؤسسة نشر الفقاهة ، ، ص٢٣٧ ، رقم ٧١٠.

(٥) رجال النجاشي: أبو العباس أحمد بن على النجاشي ، ص٣٨٩، ترجمة رقم ١٠٤٩.

(٦) بحار الأنوار: المجلسي، المقدمة، ١/ ٦٨ .

(٧) أصول الحديث: عبد الهادي الفضلي، ص ٥٥.

رابعاً : كتاب الاستبصار فيما اختلف من الأخبار، للطوسي:

صرح الطوسي بأنه ألفه لاختصار كتابه تهذيب الأحكام[1]، ويقع الكتاب في ثلاثة أجزاء، جزآن منه في العبادات، والثالث في بقية أبواب الفقه، وبلغت أبوابه (٣٩٣) باباً، وحصر المؤلف أحاديثه بـ(٥٥١١) [2].

- **ثناء علماء الشيعة على الكتابين ومؤلفهما:**

قال العلامة الحلي:" محمد بن الحسن بن علي الطوسي أبو جعفر شيخ الإمامية قدس الله روحه رئيس الطائفة جليل القدر عظيم المنزلة ثقة عين صدوق عارف بالأخبار والرجال والفقه والأصول والكلام والأدب، وجميع الفضائل تنسب إليه، وصنف في كل فنون الإسلام، وهو المهذب للعقائد في الأصول والفروع، والجامع لكمالات النفس في العلم و العمل"[3].

قال المجلسي:" الشيخ الطوسي هو أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي ، شيخ الطائفة، وفقيه الأمة، المجمع على وثاقته، وتبحره في العلوم والفنون"[4] .

وقال أغا برزك الطهراني مثنياً على كتاب الاستبصار:" هو أحد الكتب الأربعة والمجاميع الحديثية التي عليها مدار استنباط الأحكام الشرعية عند الفقهاء الاثنا عشرية منذ عصر المؤلف حتى اليوم"[5] .

المطلب الثاني: الكتب الأربعة المتأخرة والتي ظهرت في القرن الحادي عشر وما بعده.

أولاً: الوافي، لمحمد بن مرتضى المدعو بمحسن الكاشاني والملقب بالفيض المتوفي سنة (١٠٩١هـ).

ويقع في ثلاث مجلدات كبار جمع فيه أحاديث الكتب الأربعة المتقدمة بالإضافة إلى أحاديث أخرى مع شيء من الشرح والتعليق ، وطبع في إيران، وبلغت أبوابه (٢٧٣) باباً، ويحتوي على نحو خمسين ألف حديث[6].

قال الكاشاني في مقدمته:" بذلت جهدي في أن لا يشذ عنه حديث ولا إسناد يحتاج إلى بيان شرحاً مختصرا، وأوردت بتقريب الشرح أحاديث مهمة من غيرها من الكتب والأصول"[7].

---

(١) الإستبصار فيما اختلف من الأخبار: أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي ، تحقيق : حسن الموسوي الخرسان، الطبعة الرابعة، الناشر: دار الكتب الإسلامية – طهران ١٣٩٠هـ ، ٤/ ٣٤٣.

(٢) أصول الحديث : عبد الهادي الفضلي، ص ٥٦.

(٣) رجال ابن داود :الحسن بن على بن داود الحلي ، تحقيق : محمد صادق بحر العلوم، الناشر: منشورات مطبعة الحيدرية ، النجف ، قم –إيران، ١٣٩٢هـ –١٩٧٢م، ص ١٦٩، رقم ١٣٥٥.

(٤) بحار الأنوار: المجلسي، المقدمة ،١/ ٩١.

(٥) الذريعة إلى تصانيف الشيعة: أغا برزك الطهراني ، ١٤/٢.

(٦) أصول الحديث: عبد الهادي الفضلي، ص٥٨.

(٧) المصدر السابق.

- **ثناء الشيعة على الكتاب ومؤلفه:**

قال الحر العاملي:" المولي الجليل محمد بن مرتضي المدعو بمحسن الكاشاني كان فاضلاً عالمـاً ماهراً حكيماً متكلماً محدثاً فقيها شاعرا أديبا حسن التصنيف من المعاصرين له كتب منها : كتاب الـوافي جمع الكتب الأربعة مع شرح أحاديثها المشكلة .. وكتاب سفينة النجاة في طريق العمل، وتفاسير ثلاثـة: كبير، وصغير، ومتوسط، وكتاب عين اليقين، وكتاب حق اليقين وكتاب علم اليقين"[١].

وقال الأردبيلي[٢]:" محسن بن المرتضي الكاشاني رحمه الله تعالى العلامـة المحقـق المـدقق، جليل القدر عظيم الشأن رفيع المنزلة فاضل كامل أديب متبحر في جميع العلوم له قريبا من مائة تـأليف منها كتاب تفسير الصافي .. كتاب علم اليقين" [٣].

وقال الخونساري عنه:" وأمره في الفضل وفي الفهم والنبالة في الفروع والأصـول والإحاطـة بمراتب المعقول والمنقول وكثرة التأليف والتصنيف مع جودة التعبير والتصريف ، أشهر من أن يخفـي في هذه الطائفة على أحد إلى منتهى الأبد[٤].

ثانياً: بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، لمحمد باقر بـن محمـد تقـي الملقـب بالمجلسي المتوفي سنة (١١١٠هـ).

قال عنه الشيعة بأنه أجمع كتاب في فنون الحديث، جمعه مؤلفه من الكتب المعتمدة عندهم يحتوي على ٧٠ كتاب من كتب الشيعة الحديثية [٥]، وهو كتاب مليء بروايات التحريف والطعـن فـي القـرآن والصحابة والغلو في أهل البيت رضي الله عنهم.

طبع في إيران في خمسة وعشرين مجلداً ثم طبع على الحروف في ١١٠مجلدات خصص الثلاثة الأخيرة منه لفهرسته التفصيلي المعنون بهداية الأخيار إلى فهرس بحار الأنوار[٦].

- **ثناء الشيعة على الكتاب ومؤلفه:**

قال آغا برزك الطهراني مثنياً على الكتاب:" هو الجامع الذي لم يكتب قبله ولا بعده جامع مثله ، لاشتماله مع جمع الأخبار على تحقيقات دقيقة وبيانات وشروح لها ، غالباً لا توجد في غيره، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء"[٧].

---

(١) أمل الآمل: محمد بن الحسن الحر العاملي ، تحقيق : أحمد الحسيني ، الناشر : دار الكتاب الإسلامي ، ٣٠٥/٢ .

(٢) الأردبيلي:هو محمد بن على الأردبيلي الغروي الحائري، عالم بالتراجم شيعي ،من أهل أردبيل بإيران، أقام في أصفهان . وأخذ عن المجلسي وقرأ عليه، وأجـازه المجلسـي سـنة ١٠٩٨هــ، تـوفي عـام ١١٠٠هـــ(انظـر: الأعـلام، للزركلي،٢٩٥/٦).

(٣) جامع الرواة وإزاحة الاشتباه عن الطرق والإسناد: محمد بن على الأردبيلي الغروي الحائري ، الناشر : مكتبة آيـة الله العظمى المرعشي النجفي ، قم –إيران ، ١٤٠٣هـ، ٤٢/٢ .

(٤) روضات الجنات: محمد باقر الخوانساري، الناشر: الدار الإسلامية، بيروت ، ١٤١١هـ – ١٩٩١م ، ٧٣/٦.

(٥) أصول الحديث: عبد الهادي الفضلي، ص٥٩

(٦) المصدر السابق :ص٦٠

(٧) الذريعة إلى تصانيف الشيعة: أغا برزك الطهراني، ١٦/٣. والمصدر السابق.

وقال الأردبيلي:" محمد باقر بن محمد تقي بن المقصود علي الملقب بالمجلسي، مد ظله العالي، أستاذنا وشيخنا وشيخ الإسلام والمسلمين، خاتم المجتهدين الإمام العلامة المحقق المدقق جليل القدر عظيم الشأن رفيع المنزلة وحيد عصره فريد دهره ثقة ثبت عين كثير العلم جيد التصانيف، وأمره في علو قدره وعظم شأنه وسمو رتبته وتبحره في العلوم العقلية والنقلية ودقة نظره وإصابة رأيه وثقته وإمامته وعدالته أشهر من أن تذكر وفوق ما يحوم حوله العبارة... له كتب نفيسة جيدة قد أجازني دام بقاؤه وتأييده أن أروي عنه جميعها منها: كتاب بحار الأنوار المشتمل على جل أخبار الأئمة الأطهار وشرحها كتاب كبير قريب من ألف ألف بيت "[١].

وقال الحر العاملي:" مولانا الجليل محمد باقر بن مولانا محمد تقي المجلسي، عالم فاضل ماهر محقق مدقق علامة فهامة فقيه متكلم محدث ثقة جامع للمحاسن والفضائل جليل القدر، عظيم الشأن أطال الله بقاءه. له مؤلفات كثيرة مفيدة منها : كتاب بحار الأنوار في أخبار الأئمة الأطهار يجمع أحاديث كتب الحديث كلها إلا الكتب الأربعة ونهج البلاغة فلا ينقل منها إلا قليلا مع حسن الترتيب وشرح المشكلات وهو خمسة وعشرون مجلدا، وكتاب جلاء العيون، وكتاب حياة القلوب"[٢].

وقال يوسف البحراني[٣] موثقاً المجلسي:" وهذا الشيخ كان إماما في وقته في علم الحديث وسائر العلوم شيخ الإسلام بدار السلطنة أصفهان ، رئيسا فيها بالرئاستين الدينية والدنيوية إماما في الجمعة والجماعة وهو الذي روج الحديث ونشره لاسيما في الديار العجمية ... ولشيخنا المذكور من المصنفات كتاب بحار الأنوار الذي جمع فيه جميع العلوم وهو يشتمل على مجلدات وكتب"[٤].

وفي كتابه الحدائق الناضرة قال:" ولقد وفق الله تعالى شيخنا غواص" بحار الأنوار"إلى استخراج كنوز تلك الآثار فجمعها في جامعه المشهور ب " البحار "بعد التقاطها من جميع الأقطار...، وقد جمع فيه أخباراً جمة من الأصول المندرسة ، وأظهر كنوزًا من الأحكام كانت بمرور الأيام منطمسة..."[٥] .

ثالثاً: وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة لمحمد بن الحسن للحر العاملي المتوفى سنة (١١٠٤هـ).

هو أجمع كتاب لأحاديث الأحكام عندهم، جمع فيه مؤلفه رواياتهم والتي تبلغ (٣٥٨٥٠) رواية، من كتب الأصحاب المعتبرة حيث بلغت ٨٠ كتاب غير الكتب الأربعة، بينما ذكر الشيرازي بأن الكتب

---

(١) جامع الرواة وإزاحة الاشتباه عن الطرق والإسناد: محمد بن على الأردبيلي ٧٨/٢-٧٩.

(٢) أمل الآمل : محمد بن الحسن الحر العاملي ٢٤٨/٢ .

(٣) البحراني: هو يوسف بن أحمد بن إبراهيم الدرازي البحراني، من آل عصفور: فقيه إمامي، غزير العلم ، من أهل " البحرين " ولد عام ١١٠٧هـ وتوفي بكربلاء عام ١١٨٦هـ، من كتبه الكشكول، و الدرة النجفية من الملتقطات اليوسفية و الحدائق الناضرة ، لؤلؤة البحرين.(انظر: الاعلام: الزركلي، ٢١٥/٨)، قال عنه البرجرودي الإمامي:" من أجلاء هذه الطائفة، كان إخبارياً حسن التصانيف والإنصاف..."(طرائف المقال: البرجرودي، ٦٣/١)

(٤) لؤلؤة البحرين: يوسف البحراني، ص ٥٥-٥٦.

(٥) الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة: يوسف البحراني، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي، ١/ المقدمة الثانية.

التي نقل منها الحر العاملي تزيد عن ١٨٠كتاب [١]،طبع في ثلاثة مجلدات عدة مرات، ثم طبع أخيراً بتصحيح وتعليق بعض شيوخهم في عشرين مجلداً، وهو يشبه الكافي في طول مدة جمعه حيث جمعه في عشرين عاماً[٢].

- **ثناء الشيعة على الكتاب ومؤلفه:**

قال يوسف البحراني:" الشيخ محمد بن الحسن بن علي بن الحسين الحر العاملي المشغري .. كان عالما فاضلا محدثا إخبارياً .. له كتب منها الجواهر السنية في الأحاديث القدسية ، وهو أول ما ألفه ولم يجمعها أحد قبله، والصحيفة الثانية من أدعية علي بن الحسين عليه السلام الخارجة من الصحيفة الكاملة ، وكتاب تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة ست مجلدات .. وله كتاب أمل الآمل في علماء جبل عامل وفيه أسماء علمائنا المتأخرين أيضا وله رسالة في الرجعة سماها الإيقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة" [٣].

وقال الأردبيلي:" محمد بن الحسن الحر العاملي ساكن المشهد المقدسي الرضوي الشيخ الإمام العلامة المحقق المدقق جليل القدر رفيع المنزلة عظيم الشأن عالم فاضل كامل متبحر في العلوم لاتحصي فضائله ومناقبه .. له كتب كثيرة منها كتاب وسائل الشيعة كتاب كبير ، وكتاب هداية الأمة وكتاب بداية الهداية وكتاب فوائد الطوسية وغيرها من الكتب"[٤].

رابعاً: مستدرك الوسائل ومستنبط الدلائل لميرزا حسين النوري الطبرسي المتوفي سنة (١٣٢٠هـ):

فيه زهاء ثلاث وعشرين ألف حديث استدركها مؤلفه على كتاب وسائل الشيعة للحر العاملي، ورتبه ترتيب الوسائل [٥].

- **ثناء الشيعة على الكتاب ومؤلفه:**

قال أغا بزرك الطهراني:"أصبح كتاب المستدرك كسائر المجاميع الحديثية المتأخرة في أنه يجب على المجتهدين الفحول أن يطلعوا عليها ويرجعوا إليها في استنباط الأحكام، وقد أذعن بذلك جل علمائنا المعاصرون" ، ثم استشهد ببعض أقوال شيوخهم المعاصرين باعتماد المستدرك كمصدر من مصادرهم الأساسية[٦].

---

(١) أصول الحديث: عبد الهادي الفضيلي ، ص٥٨.

(٢) المصدر السابق.

(٣) لؤلؤة البحرين: يوسف البحراني ، ص ٧٢ - ٧٤ .

(٤) جامع الرواة وإزاحة الاشتباهات عن الطرق والإسناد: محمد علي الأردبيلي ، ٩٠/٢ .

(٥) أصول الحديث: عبد الهادي الفضلي ص٦١.

(٦) الذريعة إلى تصانيف الشيعة : آغا برزك الطهراني، ١١٠/٢-١١١ .

وقال محسن الأمين[١] مثنياً على مؤلف المستدرك:" كان عالما فاضلا محدثاً متبحراً في علمي الحديث والرجال عارفا بالسير والتاريخ منقباً فاحصاً زاهداً عابداً لم تفته صلاة الليل وكان وحيد عصره في الإحاطة والاطلاع على الأخبار والآثار والكتب"[٢].

وقال عنه عباس القمي[٣]في ترجمته:" شيخنا الأجل ثقة الإسلام الحاج ميرزا حسين الطبرسي شيخ الاسلام والمسلمين مروج علوم الأنبياء والمرسلين الثقة الجليل والعالم النبيل المتبحر الخبير والمحدث الناقد البصير ناشر الآثار وجامع شمل الأخبار صاحب التصانيف الكثيرة الشهيرة والعلوم الغزيرة الباهر بالرواية والدراية والرافع لخميس المكارم أعظم راية وهو أشهر من أن يذكر وفوق ما تحوم حوله العبارة"[٤] .

هذه أهم كتب الشيعة المعتمدة رأينا فيها مدى توثيقهم لتلك الكتب وثنائهم على أصحابها وخاصة كتاب الكافي، مما يشعر بصحة كل ما جاء فيها، غير أنه هناك علماء من الشيعة المعاصرين – الأصوليين– قالوا بأن أحاديث الكتب الثمانية المذكورة ليست كلها صحيحة وإنما فيها الصحيح والموثوق والحسن والضعيف، وأنها محط دراسة وأنه لا يوجد عندهم كتاب للحديث الصحيح[٥].

فيقول جعفر السبحاني عن كتاب الكافي:" إن كتاب الكافي كتاب جدير بالعناية ، ويعد أكبر المراجع وأوسعها للمجتهدين، وليست رواياته قطعية الصدور فضلاً عن كونها متواترة أو مستفيضة...، بل هو كتاب شامل للصحيح والسقيم ، فيجب على المجتهد المستنبط تمييز الصحيح عن الضعيف"[٦]

ولقد حاول بعض علمائهم كالمجلسي والبهبودي الحكم على رواياتهم مثل الحكم على كتاب الكافي والذي يعد أوثق الكتب عندهم كما ذكرنا سابقاً، فوقعوا في تناقضات كثيرة فما صححه المجلسي،

---

(١) هو محسن بن عبد الكريم بن علي بن محمد الامين، الحسيني العاملي ثم الدمشقي ، من مجتهدي الشيعة الامامية في بلاد الشام. له شعر، واشتغال بالتراجم. ولد في قرية شقراء من أعمال مرج عيون، بجبل عامل، وتعلم بها ثم في النجف بالعراق وعاد إلى سورية، فاستقر في دمشق سنة ١٣١٩ وعمل في التدريس والوعظ ثم الافتاء. وتوفي في دمشق عام ١٣٧١هـ، كان مكثرا من التأليف: يجمع ما تفرق من آثار الامامية وسيرهم، ويؤلف في فقههم، ويذب عنهم، ويناقش، وقد يهاجم، من كتبه أعيان الشيعة ، الرحيق المختوم.(انظر: الأعلام: للزركلي، ٢٨٧/٥، ومعجم المؤلفين: عمر كحالة، ١٨٣/٨).

(٢) أعيان الشيعة: محسن الأمين، تحقيق: حسن الأمين ، الناشر : دار التعارف للمطبوعات ، بيروت – لبنان ، ١٤٣/٦.

(٣) هو عباس بن محمد رضا القمي: باحث إمامي، من العلماء بالتراجم والتاريخ. ولد بالنجف عام ١٢٩٤هـ وتوفي فيها عام ١٣٥٩هـ، عاش مدة طويلة في طهران.من كتبه : هدية الاحباب في ذكر المعروفين بالكنى والألقاب والأنساب ، والفوائد الرضوية في أحوال علماء المذهب الجعفرية ، وسفينة بحار الأنوار ومدينة الحكم والآثار.(انظر: الأعلام، للزركلي،٢٦٥/٣).

(٤) الكني والألقاب: عباس القمي ، ٤٤٤/٢.

(٥) انظر: أضواء على الصحيحين: محمد صادق النجمة، ترجمة الشيخ يحيى كمالي البحراني، الطبعة الأولى ، الناشر: إسلام مؤسسة المعارف ، قم ، إيران ، ١٤١٩هـ، ص ١٨٣-١٨٤ .

(٦) كليات في علم الرجال: جعفر السبحاني ، ص٣٧٥.

ضعفه البهبودي في الغالب[١]، وهذا التناقض في الحكم على الروايات أو الاختلاف فيها سيتضح جلياً من خلال هذا البحث.

ويرجع سبب عدم وجود كتاب صحيح لديهم، كي لا يكون حجة عليهم عند بيان فساد معتقـدهم، وكل ما عندهم أن العلماء عاكفون على تصحيح تلك الروايات ، فيقول شيخهم محمد صادق النجمـي:" إن تخريج حديث ما في كتاب للشيعة ليس دليلاً على صحته ، وليس معياراً وملاكاً للقبول عندهم"[٢]، لـذلك لن ينتهي تصحيح هذه الكتب والحكم عليها إلى الأبد.

غير أن من الأسباب التي تفرض وجود إمام في نظرهم عصمة هذا الدين من التناقضات وحـلاً للخلافات، فعلى ذلك يجب أن يكون كل ما رووه عن آل البيت صحيح –وهذا ما ذهب إليـه الإخبـاريون منهم– لأن بعض من مؤلفي هذه الكتب عاصر الغيبة الصغرى لإمامهم الموهوم وقد كان سـفراؤه بـين أظهرهم، وإلا فإن العقل السليم يحكم بكذب ما ادعوه في الإمامة، أضف إلى ذلك تتابع خروج الأئمة حتى القرن الثالث هجري والذي يعد القرن الذهبي للتدوين، أغاب عن أولئـك الأئمـة ضـبط وتـدوين هـذه الروايات، فإن كانوا قد ضبطوا ودونوا هذه الروايات فأين هي، أم يقولون أن أعداء آل البيت أتلفوهـا[٣]، فلما لم تتلف هذه الروايات الموجودة بين أيدينا ، خاصة و أن عدداً من مؤلفيها حازوا على شرف ملاقـاة غائبهم المنتظر، كل ذلك يقودنا إلى أن تلك الروايات من اختراع عقول علماء الشيعة الأوائل، لا علاقـة لآل البيت بها .

---

(١) أصول الكافي تحقيق المجلسي والبهبودي : عبد الرحمن دمشقية، ص١.المكتبية الشاملة ، مكتبة الرافضة مؤلفات الشيخ عبد الرحمن دمشقية.

(٢) انظر: أضواء على الصحيحين: محمد صادق النجمة ، ص ١٨٣.

(٣) انظر: دراسات في علم الدراية: على أكبر غفاري ، ص ٢٦.

الفصل الثاني
أصول دين الشيعة الاثنا عشرية

المبحث الأول: **التوحيد**.

المطلب الأول: مفهوم التوحيد عند الاثنا عشرية.

المطلب الثاني: أقسام التوحيد عند الاثنا عشرية.

المطلب الثالث: المناقشة.

المبحث الثاني: **الإمامة**.

المطلب الأول: الإمامة بالنص والتعيين والوصية من الله تعالى.

المطلب الثاني: عصمة الأئمة.

المطلب الثالث: الغيبة والرجعة.

المطلب الرابع: المناقشة.

المبحث الثالث: **العدل**.

المبحث الرابع: **النبوة**.

المبحث الخامس: **المعاد**.

الفصل الثاني
أصول الدين عند الشيعة الاثنا عشرية

منذ أن أرسى عبد الله بن سبأ أصول الفكر الشيعي، ونادى بفرض الإمامة والنص عليها من قبل الله سبحانه وتعالى، وطعن في الصحابة ﷺ، وأوصى بالغلو في أئمة آل البيت والظهور بثوب المحب لهم، وأتباعه يهذبون المذهب ويطورونه ويضيفون إليه ما يلزم من عقائد جديدة تدعم تلك الأصول، فمع تعاقب الأحداث والسنين تطورت عقائد الشيعة تبعاً لما حملته تلك الأحداث، فقالوا بعصمة الأئمة وجعلوا أقوالهم وأفعالهم وحي من الله يجب أن يطاع، ولما تناقضت أقوال الأئمة وأفعالهم قالوا بالبداء على الله ، وقالوا بأن أفعالهم كانت تقية وجعلوها من عقائدهم التي أوصوا أتباعهم بها، ثم ما لبث أن انفرط عقد تولي الأئمة بموت الإمام الحادي عشر دون نسل، فاستولدوا له ولداً، قالوا بغيبته وجعلوا له سفراء، فلما كثر مدعو السفارة وطالت مدة غيبته دون أن يظهر وشك الناس في حقيقة وجوده، قالوا بغيبته غيبة كبرى وبذلك عادوا إلى ما زعمه شيخهم ابن سبأ في علي ﷺ بعد استشهاده ، فظهرت عقيدة الغيبة والرجعة، وبعد أن خلا الزمان من إمام، استلم شيوخ الشيعة النيابة عنه، وبدأت عقائد الشيعة بالاستقرار نوعاً ما بفضل انتهاء عهد تولي الأئمة وحلول بدلاً منه نيابة شيوخ الشيعة عنه، وبدأ التأصيل لتلك العقائد والدفاع عنها، غير أن ما يميز هذه الفترة كثرة تناقضاتهم واختلافاتهم في مسائل الدين لا سيما في مسائل التوحيد، حتى جاء شيخ الشيعة المفيد ، فعمل على الجمع بين تيارات الشيعة المختلفة بفضل ما كان يتمتع به من نفوذ ومكانة في الدولة البهوية[1]، وقام بتجديد نظريات الشيعة الإمامية وتصحيحها[2]، وجارى المعتزلة في أصولهم الخمسة، وقسم أصول دين الشيعة إلى خمسة أصول[3]، فاستحسن شيوخ الشيعة صنيعه وتبعه تلامذته بالمنادى بتلك الأصول، وأصبح للشيعة أصول دين يعلموها لأتباعهم وينادون بها.

فهذا شيخ الطائفة الطوسي يوصي أتباعه فيقول لهم:" إذا سألك سائل وقال لك: ما الإيمان ؟ فقل: هو التصديق بالله وبالرسول وبما جاء به الرسول والأئمة عليهم السلام . كل ذلك بالدليل، لا بالتقليد، وهو مركب على خمسة أركان، من عرفها فهو مؤمن، ومن جهلها كان كافراً، وهي: التوحيد، والعدل، والنبوة، والإمامة، والمعاد"[4].

وقال محقق الشيعة علي بن الحسين الكركي:" يجب على كل مكلف حر وعبد، ذكر وأنثى، أن يعرف الأصول الخمسة التي هي أركان الإيمان، وهي: التوحيد، والعدل، والنبوة، والإمامة، والمعاد،

---

(١) انظر: تصحيح اعتقادات الإمامية : الشيخ المفيد ، تقديم هبة الدين الحسيني ، ص٢٤.

(٢) انظر : النكت الاعتقادية : محمد بن محمد بن النعمان المفيد ، تحقيق : رضا المختار ، الطبعة الثانية ، الناشر: دارر المفيد للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت لبنان ، ١٤١٤هـ -١٩٩٣م، ص١-٤٧، وانظر: كتاب تصحيح اعتقادات الإمامية : له

(٣) انظر : إلى تقسيم أصول الدين إلى خمسة في فصول كتاب النكت الاعتقادية ورسائل أخرى ، الشيخ المفيد ، تحقيق رضا المختاري ، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية ، بيروت -لبنان ن ١٤١٤هـ -١٩٩٣م.

(٤) الرسائل العشر: الشيخ الطوسي، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي، قم، إيران، ص١٠٣

بالدليل لا بالتقليد. ومن جهل شيئا من ذلك لم ينتظم في سلك المؤمنين، استحق العقاب الدائم مع الكافرين"[١].

ويقول علامة الشيعة الحلي عن علم الأصول عند الشيعة:" علم الأصول، وهو ما يبحث فيه عن وحدانية الله تعالى، وصفته وعدله ونبوة الأنبياء، والإقرار بما جاء به النبي ﷺ، وإمامة الأئمة عليهم السلام، والمعاد، وقال: أجمع العلماء كافة على وجوب معرفة الله تعالى، وصفاته الثبوتية والسلبية، وما يصح عليه وما يمتنع عنه والنبوة والإمامة والمعاد"[٢].

ويقول عالم الشيعة المعاصر محمد حسين آل كاشف:" والإسلام والإيمان مترادفان، ويطلقان على معنى أعم يعتمد على ثلاثة أركان: التوحيد، والنبوة، والمعاد...، يطلقان أيضاً على معنى أخص يعتمد على تلك الأركان الثلاثة وركن رابع وهو العمل بالدعائم التي بني الإسلام عليها ....فهذه الأركان الأربعة هي أصول الإسلام والإيمان بالمعنى الأخص عند جمهور المسلمين .ولكن الشيعة الإمامية زادوا ركناً خامساً وهو: الاعتقاد بالإمامة "[٣].

وعلى ذلك فإن أصول الدين عند الشيعة الاثنا عشرية خمسة هي: التوحيد والإمامة و العدل والنبوة والمعاد، وفي المباحث التالية بيان لهذه الأصول:-

(١) رسائل الكركي: المحقق الكركي، تحقيق محمد الحسون ، إشراف السيد محمود المرعشي ، الطبعة الأولى ، الناشر: مكتبة آية الله العظمة المرعشي النجفي ، قم ، ١٤٠٩هـ، ٥٩/١.

(٢) النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر: أبو منصور جمال الدين الحسن بن يوسف الحلي، شرح وتحقيق: المقداد السيوري، الطبعة الثانية، الناشر دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ١٤١٧هـ–١٩٩٦م،ص١٧

(٣) انظر : أصل الشيعة وأصولها : محمد حسين آل كاشف الغطاء ، تحقيق علاء آل جعفر، يد للطباعة والنشر ،الطبعة الأولى: ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م بيروت، ص٢١١-٢١٢.

المبحث الأول:

التوحيـد.

سار علماء الشيعة المتأخرين في تعريف التوحيد وبيان أقسامه على نهج المعتزلة، واقتبسوا نفس آرائهم في التوحيد وإثبات وحدانيته سبحانه وتعالى واستخدموا قواعدهم العقلية الفاسدة وعدوا ذلك تنزيهاً لله سبحانه وتعالى(1)، إلا أن هذا التوحيد ما لبث أن تلوث ببدعة الإمامة، وغلوهم في أئمتهم، فقد أشرك الاثنا عشرية أئمتهم مع الله في ربوبيته وإلوهيته وأعطوهم صفات الإلوهية، فكانوا ممن جمع بين النقيضين، تشدد في الإثبات والمعرفة بما لم يخبر به الله عن نفسه، وتساهل في القصد والطلب حتى قصد وطلب غيره سبحانه وتعالى، وفيما يلي بيان مفهومهم في التوحيد وأقسامه.

المطلب الأول: مفهوم التوحيد عند الاثنا عشرية:

يعرف صدوق الشيعة ابن بابويه التوحيد بقوله:" فأما توحيد الله تعالى ذكره : فهو توحيده بصفاته العلى ، وأسمائه الحسنى كان كذلك إلهاً واحداً لا شريك له ولا شبيه...، فمن لم يعرف الله عز وجل متوحداً بأوصافه العلى وأسمائه الحسنى ولم يقر بتوحيده بأوصافه العلى، فهو غير موحد "(2).

وعرفه الشريف المرتضى(3) فقال:" العلم بأن الله تعالى لا يشاركه فيما يوصف به على الحد الذي يوصف به غيره والإقرار بذلك إذا أمكن الإقرار"(4) .

ويوضح محمد رضا المظفر عقيدة الشيعة في التوحيد بقوله:" نعتقد أن الله تعالى واحد أحد ليس كمثله شيء، قديم لم يزل ولا يزال، هو الأول والآخر، عليم حكيم عادل حي قادر غني سميع بصير، ولا يوصف بما توصف به المخلوقات، فليس هو بجسم ولا صورة، وليس جوهرا ولا عرضا، وليس له ثقل أو خفة، ولا حركة أو سكون، ولا مكان ولا زمان، ولا يشار إليه. كما لا ند له، ولا شبه، ولا ضد، ولا صاحبة له ولا ولد، ولا شريك، ولم يكن له كفوا أحد. لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار(5).

---

(1) انظر: تأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة أسبابه ومظاهره: عبد اللطيف بن عبد القادر الحفظي، ص ٤٧٥،٤٧٦ ، ٤٨١.

(2) التوحيد : أبو جعفر محمد علي بن الحسين بن بابويه القمي، تحقيق: هاشم الحسيني المطهراني ، الناشر: منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية ، قم ، ص٨٦.

(3) الشريف المرتضى: علي بن الحسين بن موسي بن محمد بن إبراهيم، أبو القاسم، من أحفاد الحسين بن علي بن أبي طالب: نقيب الطالبيين، وأحد الأئمة في علم الكلام والأدب والشعر. يقول بالاعتزال. ولد ببغداد سنة ٣٥٥هـ وتوفي فيها عام: ٤٣٦هـ. له تصانيف كثيرة، منها: الغرر والدرر يعرف بأمالي المرتضى، الشافي في الإمامة ، والانتصار، وإنقاذ البشر من الجبر والقدر، والرسائل ، كثير من مترجميه يرون أنه هو جامع " نهج البلاغة لا أخوه الشريف الرضي، قال الذهبي: وهو – أي المرتضى – المتهم بوضع كتاب نهج البلاغة، ومن طالعه جزم بأنه مكذوب على أمير المؤمنين.(انظر: الأعلام ، للزركلي، ٢٧٩٩/٤).

(4) رسائل الشريف المرتضى: الشريف المرتضى، تقديم السيد أحمد الحسيني، الناشر:منشورات دار القرآن الكريم، قم، ١٤٠٥هـ، الحدود والحقائق حرف التاء، ٢٦٦/٢.

(5) عقائد الإمامية: محمد رضا المظفر، تقديم : د. حامد حنفي داود، الناشر: انتشارات أنصاريان، قم – إيران، ص ٣٧.

وفي موضع أخر يقول:" يجب توحيد الله تعالى من جميع الجهات، فكما يجب توحيده في الذات ونعتقد بأنّه واحد في ذاته ووجوب وجوده، كذلك يجب ثانياً توحيده في الصفات، وذلك بالاعتقاد بأنّ صفاته عين ذاته ، وبالاعتقاد بأنه لا شبه له في صفاته الذاتية؛ فهو في العلم والقدرة لا نظير له، وفي الخلق والرزق لا شريك له، وفي كلّ كمال لا ندَّ له وكذلك يجب ثالثاً توحيده في العبادة؛ فلا تجوز عبادة غيره بوجه من الوجوه، وكذا إشراكه في العبادة في أيّ نوع من أنواع العبادة؛ واجبة أو غير واجبة، في الصلاة وغيرها من العبادات"[١]

أما عالمهم الزنجاني فيقول:" فعقيدة الشيعة أن الله واجب الوجود بذاته ولذاته وفي ذاته منزه عن التجسيم والحلول والتركيب والنقائص ومستجمع لجميع صفات الكمال...، وأن صفاته الحقيقية عين ذاته"[٢].

وتنسب الشيعة إلى الخليفة علي بن أبي طالب ﷺ أنه قال في التوحيد :"أول الدين معرفته، وكمال معرفته توحيده ، وكمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه، بشهادة كل صفة أنها غير الموصوف، فمن وصف الله فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثناه، ومن ثناه فقد جزأه، ومن جزأه فقد جهله"[٣].

هذا هو مفهوم التوحيد عند الشيعة يتبين من خلاله أنهم عطلوا الباري سبحانه وتعالى عن صفاته اللائقة به، لأنهم فهموا أن التوحيد يكون في نفي الصفات عن الله جل وعلا، وأن إثبات الصفات لله تعالى فيه تكثير وتشبيه للذات الإلهية ونفي للتوحيد وبالتالي الوقوع في الشرك[٤]، حتى قال نعمة الله الجزائري[٥] :" لا نفي للتشبيه مع إثبات الصفات الزائدة له تعالى"[٦] وهذا التعطيل سيتضح جلياً من خلال بيان أقسام التوحيد.

---

(١) المصدر السابق ، ص ٣٦.

(٢) عقائد الإمامية الاثنا عشرية: إبراهيم الموسوي الزنجاني، الطبعة الخامسة ، قم ، أيران ، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م، ٢٥/١.

(٣) بحار الأنوار: المجلسي، باب جوامع التوحيد ، حديث رقم: ٥، ٢٤٧/٤.

(٤) انظر:رسائل الشريف المرتضى: الشريف المرتضى، ٢٨٥/١-٢٨٦.

(٥) هو نعمة الله بن عبد الله بن محمد الحسيني الموسوي الجزائري ، الشوشتري، الشيعي ،ولد في قرية " الصباغية " من قرى الجزائر سنة ١٠٥٠هـ وتوفي سنة ١١١٢هـ، تتلمذ على يد السبزواري ، والخوانساري ، والحر العاملي ، والنائيني ، والكاشاني ، وقرأ على المجلسي شطرا وافيًا من العلوم العقلية ، والنقلية ، له أكثر من ٥٠ كتابًا منها : الأنوار النعمانية ، زهر الربيع ، أنيس الفريد في شرح التوحيد ، ونور البراهين، (انظر: معجم المؤلفين: عمر كحالة، ١١٠/١٣ ، تلامذة المجلسي: أحمد الحسيني، الناشر: مكتبة آية الله المرعشي، الطبعة الأولى، قم ، ١٤١٠هـ، ص١٣٩).

(٦) نور البراهين: نعمة الله الجزائري، تحقيق: مهدي الرجائي، الطبعة الأولى، الناشر:مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٧هـ، ١١٨/١.

المطلب الثاني: أقسام التوحيد عند الاثنا عشرية:

تعددت تقسيمات الاثنا عشرية للتوحيد:

فمنهم من قسم التوحيد إلى قسمين، تأثراً بالتقسيم الذي ارتضاه أبو هاشم الجبائي[١].

فيقول الشيعي سديد الدين الحمصي:" يوصف تبارك وتعالى بأنه واحد ويعني به أنه لا يتصور أن يكون معه من يستحق العبادة سواه ويعني أنه لا ذات يشاركه فيما يستحقه من الصفات الذاتية نفياً وإثباتاً ويعني به أنه لا يتجزأ ولا يتبعض تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا"[٢] .

وإلى ذلك ذهب عالمهم عبد الله شبر[٣] بقوله:" والمراد من التوحيد معنيان: أحداهما عدم الجزئية، والثاني عدم الشريك "[٤] فهو هنا يجعل توحيد الله على قسمين: القسم الأول : أنه يختص بصفات لا يشاركه فيها غيره. القسم الثاني: أنه لا يتجزأ ولا يتبعض.

ومنهم من قسمه إلى ثلاث أقسام: جرياً على ما سار عليه أبو علي الجبائي[٥] ، وهي في الحقيقة لا تخرج عن كونها توسيعاً وبسطاً لهذين القسمين السابقين[٦].

فيقول محمد جعفر شمس الدين:" وتوحيد الله على ثلاثة أنحاء:" توحيده في الوجود بمعنى نفي الشريك له، وتوحيده في الذات بمعنى نفي التركيب عنه، وتوحيده في الصفات بمعنى نفي الشبيه له"[٧]

ويقول جواد علي كيسار:" إنّ الحديث عندما يجري عن توحيد الله سبحانه فهو تارة يدور عن الوحدة الذاتية التي تقع فيها الوحدة كصفة للذات، بما يعني أن ذاته واحدة، وثانية عن التوحيد الصفاتي بما يدلّ على أنّ كلّ ما في الوجود إن هو إلا فعله، وهو ما يصطلح عليه بالتوحيد الأفعالي..، كما أن للتوحيد الأفعالي أقساماً متعددة ، منها توحيد الخالقية ، والتوحيد في التشريع، وتوحيده في الرازقية، وهكذا إلى بقية صنوف التوحيد الأفعالي"[٨].

---

(١) المغني في أبواب التوحيد والعدل: القاضي عبد الجبار، تحقيق: طه حسين وأخرون، ٢٤١/٤.

(٢) المنقذ من التقليد: سديد الدين الحمصي ، ١٣١/١.

(٣) عبد الله بن محمد رضا آل شبر الحسيني الكاظمي ، فقيه شيعي ومحدث إخباري و متكلم ، ولد عام ١١٨٨هـ وتفي في عام ١٢٤٢هـ، من مؤلفاته الكثيرة : جامع الإحكام في الإخبار في عشرين جزءا ، الحق اليقين في أصول الدين ، الجواهر المضيئة في الفقه ، شرح منهج البلاغة ، ورسالة في النجوم.(انظر: معجم المؤلفين: عمر كحالة ، ١١٨/٦-١١٩).

(٤) حق اليقين في معرفة أصول الدين: عبد الله شبر، الطبعة الأولى، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، ١٤١٨هـ -١٩٩٧م، ٣٢/١.

(٥) المغني في أبواب التوحيد والعدل: القاضي عبد الجبار، ٢٤١/٤.

(٦) انظر: الصلة بين التشيع والاعتزال: محمد الجدعاني، ١١١/٢.

(٧) دراسات في العقيدة الإسلامية: محمد جعفر شمس الدين، الطبعة: الثانية ، ١٩٧٩م ، ص١٣٥.

(٨) التوحيد بحوث تحليلية في مراتبه ومعطياته: جواد على كيسار، ٤٨/١ بتصرف.

منهم من يقسم التوحيد إلى أربعة أقسام، يقول إبراهيم الزنجاني:" إن مراتب التوحيد أربع، توحيد الذات وتوحيد الصفات و توحيد الأفعال ، وتوحيد الآثار". فتوحيد الآثار هو ما أخذوه عن الإمام فهو سيد الموحدين والعارفين"(١) .

"وهم وإن جعلوا القسمة ثنائية أو ثلاثية أو رباعية أو أكثر من ذلك أو عبروا عن توحيد الآثار بالتوحيد العبادي، إلا أن المعتبر في التوحيد عندهم هو أن الله تعالى لا يشاركه فيما يستحقه من الصفات الذاتية نفياً أو إثباتا أحد لأنه لا ثاني له ولا مثيل ولا نظير ولا شبيه له"(٢) ، وأما توحيد الإلهية والعبادة الذي هو أهم أنواع التوحيد فلا يذكرونه إلا قليلاً وإذ أشاروا إليه فليس لأنه أهم أنواع التوحيد، بل إنهم إذا تعرضوا له في كتبهم فإنهم لا يجعلون الشرك فيه شركاً مخرجاً من الملة لكون من وقع فيه لم يعتقد ألوهية معبوده، واستقلاله في فعله دون الله جل وعلا(٣) ، ومن هنا كان مذهبهم مليئاً بالوثنيات تبعاً لذلك الفهم و لتلك الآثار المروية عن أئمتهم.

المطلب الثالث: المناقشة:-

من خلال ما سبق نجد أن الاثنا عشرية تقتصر في تعريف التوحيد على توحيد الله بالأسماء والصفات وجعل الشرك في عدم توحيده في أسمائه وصفاته على طريقة أهل الكلام، لأنه كما يقولون:"إن لم يتوحد بها كان له شريك وشبيه"(٤)، و أهملوا باقي أنواع التوحيد أو ردها إلى توحيد الصفات، والمدقق في أقوال علماء الشيعة السابقة يجد أنهم قد اقتبسوا نفس آراء المعتزلة في التوحيد حذو القذة بالقذة(٥)، فهذا القاضي عبد الجبار(٦) يعرف التوحيد فيقول:" هو العلم بأن الله تعالى واحد لا يشاركه غيره فيما يستحق من الصفات نفياً وإثباتاً على الحد الذي يستحقه والإقرار به"(٧) .

وينقل القاضي عبد الجبار تقسيم أبو على الجبائي للتوحيد قائلاً:" قال شيخنا أبو علي إن القديم يوصف بأنه واحد على وجوه ثلاثة:أحدها بمعنى أنه لا يتجزأ ولا يتبعض، وهذا هو المراد بقولنا في الجوهر إنه واحد، وهذا الوجه ليس بمدح له لمشاركة سائر الأشياء له فيه، والثاني بمعنى أنه متفرد بالقدم

---

(١) عقائد الإمامية الاثنا عشرية : الزنجاني، ص ٢٤.

(٢) الصلة بين التشيع والاعتزال: محمد الجدعاني،١١١/١، وانظر: الإلهيات لجعفر السبحاني، ٣٥٧/١، وخلاصة علم الكلام: عبد الهادي الفضلي، ص٧٨.

(٣) انظر: الصلة بين التشيع والاعتزال: محمد الجدعاني، ١١٢/٢، وانظر: التوحيد والشرك في القرآن الكريم: جعفر السبحاني، ص٧٩-٨٠، ١٤١٦هـ.

(٤) التوحيد: ابن بابويه الصدوق، ص ٨٧، وانظر: عقائد الإمامية الاثنا عشرية: إبراهيم الموسوي الزنجاني ، ٢٥/١.

(٥) انظر : الصلة بين التشيع والاعتزال: محمد الجدعاني، ١٠٨/٢.

(٦) القاضي عبد الجبار: هو عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمذاني الأسد أبادي، أبو الحسين، أصولي شافعي المذهب. كان شيخ المعتزلة في عصره. وهم يلقبونه قاضي القضاة، ولا يطلقون هذا اللقب على غيره، ولي القضاء بالري، ومات فيها. له تصانيف كثيرة، منها: تنزيه القرآن عن المطاعن وشرح الأصول الخمسة والمغني في أبواب التوحيد والعدل، وتثبيت دلائل النبوة، توفي سنة ٤١٥هـ.(انظر: سير أعلام النبلاء: الذهبي، ٢٤٤/١٧، والأعلام: للزركلي، ٢٧٣/٣).

(٧) شرح الأصول الخمسة : القاضي عبد الجبار ، ص١٢٨.

لا ثاني له، والثالث أنه متفرد بسائر ما يستحقه من الصفات النفسية مع كونه قادرا لنفسه، وعالما لنفسه، وحيا لنفسه. وعلى هذين الوجهين يمدح بوصفنا له بأنه واحد لاختصاصه بذلك دون غيره."(١).

بينما الذي ذهب إليه القاضي عبد الجبار تقسيم أبو هاشم للتوحيد والذي قسمه إلى قسمين: الأول بمعنى أنه لا يتجزأ ، والثاني: بمعنى أنه يختص بصفات لا يشاركه فيها غيره(٢) .

هذا التطابق بين أقوال الشيعة والمعتزلة في تعريف التوحيد وأقسامه ألا يدل على أن هذا المعتقد ليس من أقوال أئمة آل البيت كما يزعمون؟، بل إنه من أراء المعتزلة وأقوالهم الكلامية، وثبوت العلاقة والصلة بين الشيعة والمعتزلة وتتلمذ شيوخ الشيعة على أيدي المعتزلة سيأتي الحديث عنها بالتفصيل في الفصول القادمة.

وبالعموم أينما كان مصدر تلقي هذا المعتقد، فإن علماء أهل السنة والجماعة ناقشوا هذا التوحيد قبل أن يتوصل إليه الشيعة وبعد أن توصلوا إليه، وبينوا فساده من عدة وجوه، وأنه ليس هو التوحيد الذي أنزله الله في الكتاب ولا الذي جاء به رسول الله صلوات الله عليهم ، وهذا ما نوضحه في الوجوه التالية:

الوجه الأول: من خلال بيان الوجه الصحيح في مفهوم التوحيد وأقسامه.

التوحيد كما بينه الله في كتابه، وبينه النبي ﷺ في سنته، ونص عليه علماء أهل السنة والجماعة، هو: إفراد الله تعالى بالعبادة، مع الجزم بانفراده في ذاته وصفاته وأفعاله، فلا نظير له ولا مثيل(٣)، وهو نوعان:

١. **توحيد في الإثبات والمعرفة:** وهو إثبات حقيقة ذات الرب تعالى وصفاته وأفعاله وأسمائه ليس كمثله شيء في ذلك كله، وهو يشمل توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات .

٢. **توحيد في القصد والطلب:** ويتضمن توحيد الله تعالى في إلوهيته وهو استحقاق أن يعبد وحده لا شريك له(٤).

وهذه الأنواع متلازمة لا ينفك أحدها عن الآخر ، فلا يكفي للمرء الدخول في الإسلام ما لم يأت بأنواع التوحيد الأخرى.

فتوحيد الإلوهية: هو إفراد الله سبحانه وتعالى بأفعال العبادة: كالدعاء، والخوف، و الرجاء، والصلاة، والحج، وغيرها من الأمور التي يتقرب بها العبد إلى الله سبحانه وتعالى، قال تعالى:﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ** ﴾ [النحل:٣٦](٥).

---

(١) المغني في أبواب التوحيد والعدل: القاضي عبد الجبار، ٢٤١/٤.

(٢) المصدر السابق.

(٣) انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري: الحافظ أحمد بن على بن حجر العسقلاني ، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز وآخرون، الناشر: دار المعرفة ، بيروت، ١٣٧٩هـ،٣٥٧/١٣.

(٤) انظر: بيان تلبيس الجهمية: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، الناشر: مطبعة الحكومة، الطبعة الأولى، ١٣٩٢هـ، مكة المكرمة، ٤٧٩/١، وشرح العقيدة الطحاوية: ابن أبي العز الحنفي ، ص٣٠.

(٥) انظر: شرح العقيدة الطحاوية: ابن أبي العز الحنفي، ص١٩-٢٠.

وهو أول واجب على العبد كما قال عليه الصلاة والسلام : " أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله "(١)، وكذلك فهو آخر ما يجب على العبد كما قال عليه الصلاة والسلام :"من كان أخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة"(٢).

أما توحيد الربوبية: هو إفراد الله سبحانه وتعالى بالملك والخلق والتدبير ، فيؤمن العبد بأنه سبحانه الخالق الرازق المحي المميت النافع الضار ، المالك المدبر له الخلق والأمر كله(٣).

وأما توحيد الأسماء والصفات: داخل تحت توحيد الربوبية، وهو إثبات ما أثبته الله سبحانه وتعالى لنفسه من الصفات والأسماء من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تمثيل ولا تكييف، وكذا نفي ما نفاه الله سبحانه وتعالى عن نفسه(٤).

ومن هنا فالتوحيد عند الاثنا عشرية بأقسامه الأربعة ليس فيه إشارة إلى توحيد الإلوهية، وإذا أشاروا إليه فليس لأنه أهم أنواع التوحيد، كذلك عدّ ما ورد من الآثار المروية عن الأئمة مرتبة رابعة من مراتب التوحيد، جعل مذهبهم مليئاً بالوثنيات تبعاً لتلك الآثار حيث جعلوا الأئمة هم الواسطة بين الله وخلقه، وجعلوهم أيضاً هداة للناس، وربطوا قبول الدعاء بذكر أسمائهم، والاستغاثة بهم، والحج إلى قبورهم والطواف بها، والصلاة عند الأضرحة واتخاذ قبورهم قبلة، وجعل الحج إليها أعظم من الحج إلى بيت الله جل وعلا إلى غير ذلك من غلوهم وإشراكهم (٥). والذي سنفرد له وجهاً نبين فيه نماذج من تلك الشركيات التي وقعوا بها نتيجة مفهومهم الفاسد من التوحيد ومغالاتهم في أئمة آل البيت.

الوجه الثاني: من خلال بيان ما في أقوالهم من حق وباطل:-

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:" كثير من أهل الكلام يقول: التوحيد له ثلاث معان وهو: واحد في ذاته لا قسيم له أو لا جزء له، وواحد في صفاته لا شبيه له، وواحد في أفعاله لا شريك له، وهذا المعنى الذي تتناوله هذه العبارة فيها ما يوافق ما جاء به الرسول ﷺ وفيها ما يخالف ما جاء به الرسول وليس الحق الذي فيها هو الغاية التي جاء بها الرسول بل التوحيد الذي أمر به أمر يتضمن الحق الذي في هذا

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ ...، حديث رقم : (٧٢٨٤)، و مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولو : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، حديث رقم:(٢١) .

(٢) رواه أبو داود في سننه، كتاب الجنائز، باب التلقين، عن معاذ بن جبل، حديث رقم:(٣١١٨)، ١٥٩/٣، قال الألباني: حديث صحيح.

(٣) انظر: شرح الطحاوية في العقيدة السلفية: ابن أبي العز الحنفي، ص٢١.

(٤) انظر: شرح العقيدة الطحاوية : ابن أبي العز الحنفي ، ص٢٠ ، ولوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية: محمد بن أمحمد السفاريني، الطبعة الثانية ، الناشر: مؤسسة الخافقين ، دمشق، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، ١٢٨/١-١٢٩، تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد : سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، تحقيق: أسامة بن عطا بن عثمان العتيبي، الطبعة الأولى، الناشر: دار الصميعي للنشر والتوزيع١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م ،١٢٠/١-١٢١.

(٥) انظر: أصول مذهب الشيعة الاثنا عشرية : د. ناصر القفاري ، ٤٤١/٢-٥٢٤.

الكلام وزيادة أخري فهذا من الكلام الذي لبس فيه الحق بالباطل وكتم الحق، وذلك أن الرجل لو أقر بما يستحقه الرب تعالي من الصفات ونزهه عن كل ما ينزه عنه وأقر بأنه وحده خالق كل شيء لم يكن موحداً بل ولا مؤمنا حتى يشهد أن لا إله إلا الله فيقر بأن الله وحده هو الإله المستحق للعبادة ويلتزم بعبادة الله وحده لا شريك له"[1].

ولقد كان مشركو العرب مقرين بالتوحيد الذي ذهبت إليه الشيعة، ولكن كانوا يجحدون استحقاق الله تعالى للعبادة والطاعة، خالصة له تعالى لا يشاركه فيها أحد من الموجودات.

"قال تعالى:﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف:١٠٦] ، قال طائفة من السلف: تسألهم من خلق السماوات والأرض فيقولون الله وهم مع هذا يعبدون غيره[2].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ لِمَنِ الأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ(٨٤) سَيَقُولُونَ للهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ(٨٥) قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ(٨٦) سَيَقُولُونَ للهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ(٨٧) قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ(٨٨) سَيَقُولُونَ للهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ(٨٩) ﴾ [المؤمنون:٨٤-٨٩] ...، فليس كل من أقر أن الله رب كل شيء وخالقه يكون عابداً له دون ما سواه، داعياً له دون سواه راجيا له خائفا منه دون ما سواه يوالي فيه ويعادي فيه ويطيع رسله ويأمر بما أمر به وينهى عما نهي عنه"[3]، وهذا ما فعلته الشيعة حين جعلت من أئمتها أرباباً من دون الله أوجبوا لهم الطاعة.

الوجه الثالث: بيان فساد مفهوم الشيعة للتوحيد من خلال النقل – الكتاب والسنة-:

تريد الشيعة بلفظ التوحيد: نفي الصفات عن الباري عز وجل وأنه ما لا صفة له ولا يعلم منه شيء دون شيء ولا يرى، وهذا التوحيد لم يأت به الوحي ولا جاء به الرسول ، وإنما التوحيد الذي جاء به الرسول يتضمن إثبات الإلهية لله وحده بأن يشهد أن لا إله إلا هو ولا يعبد إلا إياه ولا يتوكل إلا عليه ولا يوالي إلا له ولا يعادي إلا فيه ولا يعمل إلا لأجله وذلك يتضمن إثبات ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات[4]، وهذا ثابت في نصوص القرآن الكريم والسنة:

قال تعالي:﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٦٣]وقال تعالى ﴿ وَقَالَ اللهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [النحل:٥١]، وقال تعالى:﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ [المؤمنون:١١٧] ، وقال تعالى: ﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزُّخرف:٤٥].

---

(١) درء تعارض العقل والنقل: ابن تيمية ، تحقيق د. محمد رشاد سالم، الطبعة الثانية، الناشر: دار الكنوز الأدبية ، الرياض، ١٣٩١هـ ١/٢٢٥.

(٢) المصدر السابق: ١/٢٢٥.

(٣) المصدر السابق نفسه.

(٤) انظر: المصدر السابق نفسه ، ١/٢٢٤.

وأخبر سبحانه وتعالى عن كل نبي من الأنبياء أنهم دعوا الناس إلي عبادة الله وحده لا شريك له، فقال تعالي: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ العَدَاوَةُ وَالبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ المَصِيرُ﴾ [الممتحنة:٤] ، وقال تعالى عن المشركين: ﴿ أَجَعَلَ الآَلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص:٥] وقال تعالى:﴿ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي القُرْآَنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾ [الإسراء:٤٦]، وقال تعالى:﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآَخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الزُّمر:٤٥]، وقال تعالى:﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَسْتَكْبِرُونَ(٣٥) وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آَلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ(٣٦) ﴾[الصَّفات:٣٥-٣٦] ونظير هذا في القرآن كثير.

ولقد أهل النبي ﷺ بالتوحيد لمّا حج واعتمر، بينما كانت العرب تهل في الجاهلية بقولهم : لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك. فقد جاء في السنة عن جابر بن عبد الله قال :" فأهل رسول الله ﷺ بالتوحيد: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك"[١][٢]

يضاف إلى ذلك كله بأنه ليس للشيعة أي دليل من الكتاب والسنة الصحيحة على ما زعموا من مرادهم من التوحيد، وما جاءوا به من ألفاظ مبتدعة لا أصل لها في الشرع، وما لديهم سوى روايات مزورة منسوبة إلى أئمة آل البيت، وهذا ما أقرَّ به أحد الشيعة المعاصرين بقوله:" يعلن البحث الفلسفي صراحة : أنه لم يكتشف الوحدة الحقة الحقيقية من القرآن إلا بمعونة روايات أئمة أهل البيت "[٣]، وقد صرحت به روايات الشيعة حيث نسب إلى أبي عبد الله عليه السلام أنه قال:" لولانا ما عرف الله"[٤] وهذا يعني أن الله سبحانه وتعالى لم يبين للناس التوحيد الذي أنزل الرسل من أجله، وكذلك النبي ﷺ لم يستطع أن يكشف عن التوحيد الحقيقي للصحابة رضوان الله عليهم ولم يبينه لهم هذا فضلاً على أن يبلغه للناس، حتى جاءت روايات الشيعة التي ألفوها على أئمة آل البيت لتصرف الآيات عما أنزلت عليه وتخبر عن التوحيد الحقيقي بزعمهم!! سبحانك اللهم هذا بهتان عظيم.

الوجه الثالث: بيان فساد مفهوم الشيعة من التوحيد بدلالة الإجماع:

إن مفهوم التوحيد الذي ذهبت إليه الشيعة مفهوم فلسفي مبتدع، فقولهم في تعريف التوحيد بنفي التكثر والتركيب، ونفي الجزء والتبعيض ونحو ذلك يتضمن مصطلحات فلسفية مبتدعة في الدين ، حيث لم يتكلم بها أحد من السلف ، ولم يرد عن الصحابة الذين عاصروا التنزيل أن قالوا بمثل هذه المبتدعات ، بل لم ينقل عن أحد منهم أن نفى الصفات من أجل إثبات وحدانيته جل وعلا ، بل الوارد عنهم إثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه، أو ما أثبته له رسوله ﷺ، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تشبيه، ولا

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه : كتاب الحج ، باب التلبية وصفاتها، حديث رقم:(١١٨٤).

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل: ابن تيمية، ٢٢٤/١.

(٣) التوحيد بحوث تحليلية في مراتبه ومعطياته : جواد علي كيسار ، ٥٥/١.

(٤) بحار الأنوار: المجلسي، باب أنهم عليهم السلام خزان الله على علمه وحملة عرشه، حديث رقم: ١٠، ١٠٧/٢٦.

تمثيل، قال الإمام ابن تيمية: "مقصود المسلمين: أن الأسماء المذكورة في القرآن والسنة وكلام المؤمنين، المتفق عليه بمدح أو ذم، تعرف مسميات تلك الأسماء حتى يعطوها حقها، ومن المعلوم بالاضطرار أن اسم الواحد في كلام الله لم يقصد به سلب الصفات، وسلب إدراكه بالحواس، ولا نفي الحد والقدر، ونحو ذلك من المعاني التي ابتدع نفيها الجهمية واتباعها، ولا يوجد نفيها في كتاب ولا سنة، ولا عن صاحب، ولا أئمة المسلمين."[1].

وفي موضع أخر يقول الإمام ابن تيمية:" ومن المعلوم أن التوحيد الذي بعث الله به رسوله وأنزل به كتابه هو ما دل عليه الكتاب والسنة والإجماع مثل عبادة الله وحده لا شريك له فمن عبد غيره كان مشركا ولم يكن موحداً وإن أقر أنه خالق كل شيء كما قال تعالى:﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف:١٠٦] ، وقال تعالى:﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾ [العنكبوت:٦١]، وقال تعالى:﴿قُلْ لِمَنِ الأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ * سَيَقُولُونَ للهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [المؤمنون:٨٤-٨٥] ، وقال تعالى:﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [البقرة:١٦٣] ، وقال تعالى:﴿وَقَالَ اللهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [النحل:٥١] وأمثال هذه الآيات، وأما تفسير التوحيد بما يستلزم نفي الصفات أو نفي علوه على العرش بل بما يستلزم نفي ما هو أعم من ذلك فهو شيء ابتدعته الجهمية لم ينطق به كتاب ولا سنة ولا إمام وكذلك جعل التشبيه ضد التوحيد وتفسير التشبيه بما فيه إثبات الصفات هو أيضا باطل فإن التوحيد نقيضه الإشراك بالله تعالى والتمثيل له بخلقه"[2].

الوجه الرابع : بيان فساده بدلالة العقل.

إن قول الشيعة بأن الله واحد لا قسيم له في ذاته ، قد اتفقت العقول والفطر السليمة على تنزيه الله تعالى عنه، ولا يوجد شخص من طوائف الأمة المشهورة يقول به ، فالقول به من الكفر الصريح الذي لا يحتاج إلى بيان[3] ، أما الواحد الذي زعمته الشيعة مجرداً من الصفات بحجة أنه يقبل الانقسام والتركيب والتبعيض، وإثبات الصفات له يؤدي إلى قبوله ذلك، فإن العقلاء وأهل الفطر السليمة يجمعون على إنكاره ونفيه، ويقولون: بأنه أمر لا يعقل، وليس له وجود في الواقع الخارجي، وإنما هو أمر يقدره الذهن فحسب، فوجوده في الأذهان لا في الأعيان، إذ ليس في الأعيان شيء موجود دون أن يتصف بصفات تميزه عن غيره، أو يكون له قدر، أو لا يتميز منه شيء عن شيء، بحيث يمكن أن لا يرى ولا يدرك، ولا يحاط به"[4].

يقول الإمام ابن تيمية: "فهذا الواحد الذي وصفوه يقول لهم فيه أكثر العقلاء وأهل الفطر السليمة: إنه أمر لا يعقل، ولا له وجود في الخارج؛ وإنما هو أمر مقدر في الذهن ليس في الخارج شيء موجود لا

---

(١) بيان تلبيس الجهمية: ابن تيمية، ٤٨٤/١.

(٢) المصدر السابق، ١٣٣/١.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى، ٤٢٧/٥-٤٢٨.

(٤) بيان تلبيس الجهمية، ابن تيمية، ٤٨٣/١-٤٨٤، وانظر: درء تعارض العقل والنقل:ابن تيمية، ١١٦/٧

يكون له صفات ولا قدر ولا يتميز منه شيء عن شيء؛ بحيث يمكن أن لا يرى ولا يدرك ولا يحاط به وإن سماه المسمي جسما. وأيضا فإن التوحيد إثبات لشيء هو واحد، فلا بد أن يكون له في نفسه حقيقة ثبوتية يختص بها ويتميز بها عما سواه، حتى يصح أنه ليس كمثله شيء في تلك الأمور الثبوتية، ولا مجرد عدم المثل إذا لم يفد ثبوت أمر وجودي كان صفة للعدم، فنفي المثل والشريك يقتضي ما هو على حقيقة يستحق بها واحدا"(١).

كذلك يقال للشيعة هب أن ما تذكرون من مفهومكم للتوحيد صحيح والذي تضمن نفي الصفات عن الله تعالى، فعلى هذا لا يكون الدين القيم قد بين التوحيد الحق، وحينئذ نقول لكم: إن التوحيد الذي تدعون إليه هو من أعظم الإلحاد في أسماء الرب وصفاته وأفعاله ، وهو حقيقة الكفر وتعطيل العالم عن صانعه. وتعطيل الصانع الذي أثبتوه عن صفات كماله. فشرك عباد الأصنام والأوثان والشمس والقمر والكواكب خير من توحيدكم بكثير، فإنه شرك في الإلهية مع إثبات صانع العالم وصفاته وأفعاله وقدرته ومشئيته وعلمه بالكليات والجزئيات ، وتوحيد الشيعة تعطيل لربوبيته وإلوهيته وسائر صفاته وهذا التوحيد ملازم لأعظم أنواع الشرك"(٢).

الوجه الخامس: بيان فساده من خلال بيان بعض من مظاهر الشرك التي وقع فيها الاثنا عشرية:

تسبب المفهوم الخاطئ الذي تبنته الشيعة في التوحيد، و غلوهم في أئمة آل البيت انحرافهم عن التوحيد الصحيح الذي بينه الله في كتابه وجاءت به رسل الله ، فقد اعتبروا الآثار المروية عن الأئمة نوعاً من أنوا ع التوحيد، مما أدى بهم إلى الوقوع في جميع أصناف الشرك سواء الشرك في توحيد الإلوهية أو الربوبية أو الأسماء والصفات تبعاً لما جاء في تلك الآثار، فمظاهر هذا الشرك تملأ صفحات كتب الاثنا عشرية، بل إنهم يتقربون به إلى الله تعالى ، وهنا نذكر نبذة قصيرة عنها وهي كالتالي:

أولاً: مظاهر الشرك في توحيد الإلوهية:

أجاز علماء الاثنا عشرية التبرك والتوسل والصلاة عند قبور المقبورين، وكذلك بناء الأضرحة والمشاهد عليها، فأفرغوا المساجد من مضمونها ومحتواها بصرفهم العبادة عند قبور موتاهم وجعلوا لذلك فضائل وأجور عظيمة وأوجبوا من خلالها زيارة تلك الأضرحة وكفروا تاركها(٣)، ولم يقفوا إلى هذا الحد ، بل صرفوا الدعاء إلى أئمتهم فتراهم يلهجون بالدعاء بأسمائهم- يا حسين ويا علي – وربطوا قبول الدعاء بالدعاء بأسمائهم والتوسل بهم، وقد عمد هؤلاء الغلاة إلى تغذية هذا الشرك، وإحاطته بهالة من

(١) المصدر السابق، ٤٨٣/١.

(٢) انظر: الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ابن قيم الجوزية، تحقيق: د.على بن محمد الدخيل الله، الناشر: دار العاصمة، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م، ١١١١/٣.

(٣) انظر: روايات ذلك التكفير في بحار الأنوار: المجلسي، باب أن زيارته- الحسين- واجبة مفترضة مأمور بها ، وما ورد من الذم و التأنيب والتوعد على تركها ، ١/١٠١-١١، وتهذيب الأحكام : الطوسي، ١٤/٢، ووسائل الشيعة: الحر العاملي، ٣٣٣/١٠-٣٣٧.

التعظيم والتقديس، فصنفت الكتب، والرسائل، والمناسك، والأحاديث المكذوبة، حتى يتسم بصفة الشرعية، وجعله من مراتب التوحيد.

فقد أفرد المجلسي في موسوعته بحار الأنوار كتاب لزيارة القبور سماه كتاب المزار شمل ضمنه روايات أخذت ثلاث أجزاء من موسوعته[١]، وفي وسائل الشيعة للحر العاملي بلغت عدد أبواب المزار مائة وستة أبواب[٢]...إلى غير ذلك من المصنفات التي أفرد أصحابها أبواباً عدة تتعلق بتعظيم المشاهد والقبور ، ومناجاة الأئمة بأدعية تتضمن تأليههم[٣].

كما وألفت في الزيارات والمناسك كتب مستقلة مثل كتاب مناسك المزار لشيخهم المفيد[٤][٥] وهذه نبذة من تلك الروايات:

روى صدوق الشيعة في كتابه عيون أخبار الرضا عن موسى بن عمران النخعي قال قلت لعلي بن محمد عليه السلام :" علمني يا ابن رسول الله قولاً أقوله بليغاً كاملاً إذا زرت واحداً منكم فقال: إذا صرت إلى الباب فقف واشهد الشهادتين وأنت على غسل فإذا دخلت القبر فقف وقل : الله أكبر ثلاثين مرة ، ثم امش قليلاً وعليك السكينة والوقار وقارب بين خطاك ثم قف وكبر الله عز وجل ثلاثين مرة ثم ادن من القبر وقل يا ولي الله إن بيني وبين الله ذنوباً لا يأتي عليها إلا رضاكم فبحق من ائتمنكم على سره واسترعاكم أمر خلقه وقرن طاعتكم بطاعته، لما استوهبتم ذنوبي وكنتم شفعائي إني لكم مطيع من أطاعكم فقد أطاع الله ومن عصاكم عصى الله ومن أحبكم فقد أحب الله ومن أبغضكم فقد أبغض الله، اللهم إني لو وجدت شفعاء أقرب إليك من محمد وأهل بيته الأخيار الأئمة الأبرار لجعلتهم شفعائي فبحقهم الذي أوجبت لهم عليك، أسألك أن تدخلني في جملة العارفين بهم وبحقهم وفي زمرة المرجوين لشفاعتهم إنك أرحم الراحمين"[٦].

بينما عقد القمي فصلاً في كتابه الباقيات الصالحات في كيفية صلاة الاستغاثة بفاطمة البتول فيقول: إذا كانت لك حاجة وضاق صدرك فصل ركعتين، ثم اسجد وقل مائة مرة: يا مولاتي يا فاطمة

---

(١) بحار الأنوار: المجلسي، ١٠٠/٩٧ وما بعدها.

(٢) وسائل الشيعة: الحر العاملي ، ١٠/ ٢٥١ وما بعدها.

(٣) انظر: من لا يحضره الفقيه : الصدوق ، ٥٧٥/٢ وما بعدها ، وتهذيب الأحكام: الطوسي، ٣/٦-١١٦.

(٤) مناسك المزار: محمد بن النعمان ابن المعلم المفيد ، تحقيق : آية الله السيد محمد باقر الأبطحي، الطبعة الثانية، الناشر: دار المفيد للطباعة والنشر، ١١٤هـ -١٩٩٣م.

(٥) قال شيخ الإسلام ابن تيمية عن كتاب المفيد – مناسك المزار-:" وقد صنف شيخهم ابن النعمان المعروف عندهم بالمفيد كتاباً سماه مناسك المشاهد، جعل قبور المخلوقين تحج كما تحج الكعبة البيت الحرام الذي جعله الله قياماً للناس" منهاج السنة النبوية: ابن تيمية ، ٤٧٦/١.

(٦) عيون أخبار الرضا : الصدوق ، ٣٠٥/١-٣٠٩، تحقيق الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت لبنان، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.

أغيثيني، ثم ضع خدك الأيمن على الأرض وقلها مائة مرة، ثم الأيسر كذلك، ثم عد إلى السجود وقلها مائة وعشر مرات، واذكر حاجتك تقضى [١].

وروى المجلسي في بحاره عن أبي جعفر محمد بن علي قال:" من دعا الله بنا أفلح ، ومن دعاه بغيرنا هلك واستهلك"[٢].

وكذلك روى المجلسي في بحاره تحت عنوان:" باب أن دعاء الأنبياء استجيب بالتوسل والاستشفاع بهم "[٣] ستة عشر رواية تفيد استشفاع الأنبياء بالنبي والأئمة ليستجاب دعائهم منها ما نسبه إلى ابن عباس أنه قال:" سألت النبي عن الكلمات التي تلقاه آدم من ربه فتاب عليه ، قال : سأله بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين إلا تبت علي ، فتاب عليه"[٤].

هذا جانب من رواياتهم أما عن أقوال علمائهم فيقول عالمهم محمد آل كاشف الغطاء:" نعم، التبرك بهم –أي بالأموات–، والتوسل إلى الله بكرامتهم ومنزلتهم عند الله، والصلاة عند مراقدهم لله، كله جائز، وليس من العبادة لهم بل العبادة لله، وفرق واضح بين الصلاة لهم والصلاة لله عند قبورهم"[٥].

يقول شيخهم محمد رضا المظفر معلقاً على تلك العبادات :" والغرض من إقامة هذه الأعمال ليست من نوع الشرك في العبادة كما يتوهمه البعض وليس المقصود منها عبادة الأئمة وإنما المقصود منها إحياء أمرهم وتجديد ذكرهم وتعظيم شعائر الله فيهم ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب، فكل هذه الأعمال صالحة ثبت من الشرع استحبابها ، فإذا جاء الإنسان متقرباً بها إلى الله تعالى طالباً مرضاته، استحق الثواب منه ونال جزاءه"[٦].

أما الشيعي محمّد جواد البلاغي فقد ذهب ليقيم الأدلة على جواز التبرك والتوسل والصلاة وبناء المساجد على تلك القبور والدعاء بأسماء أصحابها فيقول:" وأمّا زيارة القبور والتمسّح بها وتقبيلها والتبرّك بها، فليس من ذلك في شيء كما هو واضحٌ، بل ليس فيها شيء من الخضوع فضلا عن كونها غاية الخضوع" [٧] وفي موضع آخر يقول :" لكنّ التوسّل بغير الله سبحانه، والاستغاثة، والاستشفاع ، ليس بمعنى التشريك في أفعال الله تعالى، بل الغرض أن يفعل اللهُ فِعلَه ويقضي الحاجة ببركتهم وشفاعتهم، حيث إنّهم مقرَّبون لديه، مكرمون عنده، ولا مانع من أن يكونوا سبباً ووسيلة لجريان

---

(١) الباقيات الصالحات: القمي، ص٨٢.

(٢) بحار الأنوار: المجلسي، باب أن الناس لا يهتدون إلا بهم ، وأنهم الوسائل بين الخلق وبين الله ، وأنه لا يدخل الجنة إلا من عرفهم، حديث رقم:١٠، ١٠٢/٢٣.

(٣) المصدر السابق: ٣١٩/٢٦.

(٤) المصدر السابق نفسه، باب أن دعاء الأنبياء استجيب بالتوسل والاستشفاع بهم، حديث رقم: ٤، ٣٢٤/٢٦.

(٥) أصل الشيعة وأصولها: محمد حسين آل كاشف الغطاء ، تحقيق علاء آل جعفر، الناشر: يد للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى ،١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، بيروت ،ص٢٢٠.

(٦) عقائد الإمامية: محمد رضا المظفر، مركز الأبحاث العقائدية، ص٣٠.

(٧) أربع رسائل مسألة في البَداء نسمات الهدى ونفحات المهديّ البلاغ المبين الردّ على الوهّابيّة : محمّد جواد البلاغي ، تصحيح السيد محمد علي الحكيم ، مركز الأبحاث العقائدية .

فيضـــه"[١] ، ويضيف قائلاً :" اعلم أنّ البناء على قبور الأنبياء والعباد المصطَفين تعظيمٌ لشعائر الله، وهو من تقوى القلوب، ومن الســنن الحســنة.، حيث إنّه احترامٌ لصاحب القبر، وباعثٌ على زيارته، وعلـــى عبادة الله عزّ وجلّ ــ بالصلاة والقراءة والذِكر وغيرها ــ عنده، وملجأٌ للزائرين والغربــاء والمســاكين والتالين والمصلّين.، بل هو إعــلاء لشأن الدِين"[٢] .

يقول الدكتور ناصر القفاري:" إن الشرك قد ألبس في مصادر الشيعة المعتمــدة ثــوب الحــق، وأصبح هو الدين، وهذا هو الخطر الأكبر، والداء الأعظم. لقد عقدت أمهات كتبهم أبوابًا كثيرة ضــمنتها مئات من الروايات تجسد الشرك وترسي قواعده، وألفت في هذا كتبٌ مستقلة جمعت من الشر فـــي هــذا السبيل فأوعت"[٣] .

ويقول الإمام ابن تيمية متحدثاً عن غلو الرافضة في الرسل والأئمة:" وكذلك الرافضة غلوا فـــي الرسل بل في الأئمة حتى اتخذوهم أربابا من دون الله فتركوا عبادة الله وحده لا شريك له التي أمرهم بها الرسل وكذبوا الرسل فيما أخبر به من توبة الأنبياء واستغفارهم، فتجدهم يعطلون المساجد التي أمر الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه فلا يصلون فيها جمعة ولا جماعة وليس لها عندهم كبير حرمة، وإن صلوا فيهـــا صلوا فيها وحدانا ويعظمون المشاهد المبنية على القبور فيعكفون عليها مشابهة للمشركين ويحجون إليهـــا كما يحج الحاج إلى البيت العتيق ومنهم من يجعل الحج إليها أعظم من الحج إلى الكعبة بل يسبون مـــن لا يستغني بالحج إليها عن الحج الذي فرضه الله على عباده ومن لا يستغنى بها عن الجمعة والجماعة وهــذا من جنس دين النصارى والمشركين الذين يفضلون عبادة الأوثان على عبادة الرحمن"[٤].

فالرافضة بدلوا دين الله فعمروا المشاهد وعطلوا المساجد مضاهاة للمشركين ومخالفة للمـــؤمنين، قال تعالى:﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف:٢٩] لم يقل عند كل مشهد وقال: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ [التوبة:١٧]. وقال تعالى:﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آَمَنَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآَخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآَتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة:١٨] ولم يقـــل إنما يعمر مشاهد الله بل عمار المشاهد يخشون بها غير الله ويرجون غير الله[٥].

وقد ثبت في الصحاح عن النبي ﷺ أنه قال: لعن الله اليهود والنصارى اتخــذوا قبــور أنبيــائهم مساجد"[٦]، وقال ﷺ قبل أن يموت بخمس:" إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ألا فلا تتخــذوا

---

(١) المصدر السابق: ص٢٣٤.

(٢) المصدر السابق نفسه: ص ٢٤٧.

(٣) أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية:د. ناصر القفاري، ٥٠٥/٢

(٤) منهاج السنة النبوية: ابن تيمية، ٤٧٣/١.

(٥) المصدر السابق، ٤٧٨/١.

(٦) متفق عليه :أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز ، باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور...، حديث رقـم: (١٣٣٠)، ومسلم في صحيحه ، كتاب المساجد ، باب النهي عن بناء المساجد على القبور، حديث رقم:(٥٢٩).

القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك"[١]، وقالﷺ:" إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد[٢]. وقال:" اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد [٣]. وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال:" لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها"[٤]، وقد ثبت في صحيح مسلم وغيره عن أبي الهياج الأسدي قال لي علي بن أبي طالب ﷺ ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ أن لا أدع قبرا مشرفا إلا سويته ولا تمثالا إلا طمسته "[٥] فقرن بين طمس التماثيل وتسوية القبور المشرفة لأن كليهما ذريعة إلى الشرك.

وقد علم بالنقل المتواتر بل علم بالاضطرار من دين الإسلام أن رسول الله ﷺ شرع لأمته عمارة المساجد بالصلوات والاجتماع للصلوات الخمس ولصلاة الجمعة والعيدين وغير ذلك وأنه لم يشرع لأمته أن يبنوا على قبر نبي ولا رجل صالح لا من أهل البيت ولا غيرهم لا مسجدا ولا مشهدا ولم يكن على عهده ﷺ في الإسلام مشهد مبني على قبر وكذلك على عهد خلفائه الراشدين وأصحابه الثلاثة وعلي بن أبي طالب ومعاوية لم يكن على عهدهم مشهد مبني لا على قبر نبي ولا غيره، لا على قبر إبراهيم الخليل ولا على غيره[٦].

ثانياً: مظاهر الشرك في توحيد الربوبية:

غالت الاثنا عشرية في تعظيم الأئمة فأضفت عليهم هالة قدسية أشركتهم مع الله في ربوبيته، حين زعموا أنَّ للإمام خلافة تكوينية على ذرات الكون[٧]، وحين جعلوهم يحلون ما شاءوا ويحرمون ما شاءوا[٨]، فقد زعم الكليني في كافيه أن الله سبحانه وتعالى" خلق محمداً و علياً وفاطمة فمكثوا ألف دهر ثم خلق جميع الأشياء فأشهدهم خلقها وأجرى طاعتهم عليها وفوض أمورهم إليهم ، فهم يحلون ما يشاءون ويحرمون ما يشاءون"[٩].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب المساجد، باب النهي عن بناء المساجد على القبور، حديث رقم:(٥٣٢).

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه ، كتاب الصلاة، باب ما يكره للمصلي وما لايكره، حديث رقم: (٢٣٢٥) ،٩٤/٦، قال شعيب الأرنوؤط إسناده صحيح.وأخرجه الإمام أحمد في مسنده، حديث رقم:(٣٨٤٤)، ٣٩٤/٦.

(٣) أخرجه مالك في الموطأ ، كتاب الصلاة، جامع الصلاة، حديث رقم:(٥٩٣)، ٢٤١/٢، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ، حديث رقم:(٧٣٥٨)، ٣١٤/١٢، إسناده قوي، فيه حمزة بن المغيرة ، قال عنه ابن معين : ليس به بأس، وذكره ابن حبان في الثقات، وباقي رجاله ثقات رجال الصحيح.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الجنائز، باب النهي عن الجلوس على القبر والصلاة عليه، حديث رقم: (٩٧٢).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الجنائز، باب الأمر بتسوية القبر، حديث رقم: (٩٦٩).

(٦) منهاج السنة النبوية: ابن تيمية، ٤٧٩/١.

(٧) انظر: الحكومة الإسلامية، الخميني ، ص٥٢.

(٨) انظر: أصول الكافي: الكليني، ٤٤١/١.

(٩) المصدر السابق، أبواب التاريخ، باب بلد النبي ﷺ ووفاته ، حديث رقم:٥، ٤٤١/١ ، وبحار الأنوار: المجلسي ، فصل في بيان التفويض ومعانيه، حديث رقم: ٢٤، ٣٤٠/٢٥. الحديث مكذوب ، قال الشيعي البرقعي: فيه الراوي محمد بن سنان الكذاب، (انظر: كسر الصنم : آية الله العظمى أبو الفضل ابن الرضا البرقعي، ص٢٩٧).

كما وعقد الكليني في الكافي باب بعنوان:" أن الأرض كلها للإمام" [1]، جاء فيه: عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: "أما علمت أن الدنيا والآخرة للإمام يضعها حيث يشاء ويدفعها إلى من يشاء، جائز له ذلك من الله"[2].

وعن سماعة بن مهران قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فأرعدت السماء وأبرقت ، فقال أبوعبد الله عليه السلام : أما إنه ما كان من هذا الرعد ومن هذا البرق فإنه من أمر صاحبكم، قلت : من صاحبنا ؟ قال: أمير المؤمنين عليه السلام"[3].

وروى المجلسي في بحاره عن أبي جعفر قال:" من أحللنا له شيئاً أصابه من أعمال الظالمين فهو حلال لأن الأئمة منا مفوض إليهم ، فما أحلوا فهو حلال ، وما حرموا فهو حرام"[4] .

كما وجعلوا للأئمة من المعجزات حتى أصبحوا كرب العالمين – تعالى الله عما يقولون علواً كبيرا– من إحياء الأموات والخلق والرزق...إلخ، حتى إن أحدهم ألف كتاب سماه مدينة معاجز الأئمة[5] ضمنه الآلاف من الأكاذيب كل ذلك لإثبات إمامتهم[6].

بينما يطلع علينا إمامهم الخميني[7] ليقول لنا:" إن للإمام مقاماً محموداً، ودرجة سامية، وخلافة تكوينية تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون، وإن من ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا مقاماً لا يبلغه ملك مقرب، ولا نبي مرسل. وبموجب ما لدينا من الروايات والأحاديث"[8].

فإذا كان من ضروريات مذهب الشيعة أن مقام الأئمة أعلى من مقام الملائكة والمرسلين وأن جميع ذرات الكون خاضعة لهم، فعلى ذلك لم يبق للأئمة إلا أن يكونوا أرباب من دون الله.

---

(١) انظر: أصول الكافي:الكليني، باب أن الأرض كلها للإمام عليه السلام، ١/٤٠٧–٤١٠.

(٢) المصدر السابق، باب أن الأرض كلها للإمام عليه السلام، حديث رقم: ٤،١/٤٠٩.قال البرقعي جميع أحاديث هذا الباب كانوا من الوضاعين الذين لعنوهم الأئمة (انظر: كسر الصنم : البرقعي، ص٢٨١).

(٣) الاختصاص: المفيد، ص٣٢٧، بحار الأنوار: المجلسي ، باب أنهم عليهم السلام سخر لهم السحاب ويسر لهم الأسباب، حديث رقم:٣، ٣٣/٢٧.

(٤) بحار الأنوار: المجلسي ، فصل في بيان التفويض ومعانيه، حديث رقم:١٢، ٣٣٤/٢٥.

(٥) مدينة المعاجر: هاشم البحراني، تحقيق عزة الله المولائي الهمداني، الطبعة الأولى، الناشر مؤسسة النشر الإسلامي، قم ، إيران، ١٤١٣هـ.

(٦) لبيان نتف من المعجزات التي نسبوها للأئمة انظر: بحار الأنوار : باب جوامع معجزاته –على– ١٧/٤٢، وباب ما ورد من غرائب معجزاته: ٥٠/٤٢–٥٦، وباب ما ظهر عند الضريح المقدس من المعجزات والكرامات: ٣١١/٤٢–٣٣٩.

(٧) الخميني: هو الآغا روح بن مصطفى الخميني ، ولد في العشرين من جمادي الثانية سنة ١٣٢٠ هـ في مدينة خمين في إيران، درس بالنجف وسامراء ، وعاد إلى خمين ، ومن ثم انتقل إلى قم بعد نقل الحوزة العلمية إليها ، وبدأ في تدريس الفلسفة والعلوم العقلية ، وانتقلت إليه المرجعية الدينية بعد وفاة البروجردي، سجن لمدة ثمانية أشهر في سجون إيران، مما أدى إلى قيام ثورة شعبية ، فاضطرت الحكومة أن تطلق سراحه، فما أن خرج حتى اخذ بتحريض الشعب ضد حكومة البهلوي إلى أن أطاح بها وقامت الجمهورية في إيران ، وتوفي سنة ١٤٠٩ هـ في مدينة طهران ودفن بها . تزيد مصنفاته على ثلاثين مصنفاً ، منها :كشف الأسرار ، وكتاب الأربعين.(انظر: مستدركات أعيان الشيعة: محسن أمين ، ٨٠/٣–٨٣).

(٨) الحكومة الإسلامية: الخميني ، بدون طبعة وبدون دار نشر، ص٥٢.

لقد شابه اعتقاد الشيعة في أئمتهم ومشايخهم اعتقاد النصارى في رؤسائهم فالجميع اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله سبحانه[1] ، قال تعالى:﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة:٣١] .

ومن ادعى أنَّ له إماماً يحل ما يشاء ويحرم ما يشاء وأنَّ له السلطة على الأرض والسموات يفعل بها ما يشاء فقد دخل في قوله تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الشُّورى:٢١] وهو مشرك مع الله غيره وإنّ ادعى غير ذلك من الدعاوي وربط ذلك بأنه قربى لله لا أنه شرك في ربوبيته.

قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران:١٨٩] ،وقال سبحانه: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة:١٠٧] ، فهو سبحانه تفرد بالملك والرزق والتدبير لا شريك له، فكيف تدّعي هذه الزمرة ما لا سلطان للبشر عليه، وتعطي الأئمة ما هو من مقتضيات ربوبية الله سبحانه، ما لهم بذلك برهان إلا اتباع ما تمليه شياطينهم، وتسطره زنادقتهم، ومن العجب أنهم يعطون أئمتهم ملك الله وعلمه وحقوقه وأفعاله... ويقولون: إن ذلك من الله أو جائز له ذلك من الله ، فهل هذا إلا مجرد تستر على الإلحاد، ومحاولة لإخفاء الهدف الخطير الذي تسعى إليه شياطينهم في تأليه الأئمة، وإضفاء صفات الربوبية عليهم[2].

ثالثاً: مظاهر الشرك في توحيد الأسماء والصفات:

لقد جاء الاثنا عشرية ببدعة ثالثة أحدثوها في أمة محمد ﷺ لم يسبقهم إليها أحد ، حين زعموا أن الأئمة هم أسماء الله ومظاهر صفاته، فأسماء الله سبحانه التي ذكرها في كتابه هي –على حد زعمهم– عبارة عن الأئمة الاثنا عشر وهذا يتضمن تعطيل الله من أسمائه الحسنى وإعطاءها بعض البشر، وصفات الله التي وصف بها نفسه ووصفه بها رسوله ﷺ أعطوها للأئمة وعطلوا الله سبحانه وتعالى من صفاته، فشابهوا النصارى في ذلك بأن شبهوا المخلوق بالخالق[3]، ومظاهر هذا النوع من الشرك كثيرة تطفح بها كتب الروايات المعتمدة عندهم يضاف إليها أقوال علمائهم ، نذكر منها على سبيل المثال ما يلي:

روى الكليني في أصوله عن أبي عبد الله –عليه السلام– في قوله تعالى:" ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:١٨٠]قال: نحن والله الأسماء الحسنى التي لا يقبل الله من العباد عملاً إلا بمعرفتنا"[4].

---

(١) أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية : د. ناصر القفاري، ٤٨٥/٢.

(٢) المصدر السابق: ٥١٣/٢.

(٣) انظر:المصدر السابق، ٥٥٦/٢.

(٤) أصول الكافي: الكليني، كتاب التوحيد ، باب النوادر، حديث رقم ٤، ١٤٣/١–١٤٤.قال البرقعي: الحديث سنده ضعيف لوجود سهل بن زياد الغالي الكذاب.(انظر: كسر الصنم: البرقعي، ص٦٦).

قال شارح الكافي تعليقاً على هذه الرواية: كما أن الاسم يدل على المسمى ويكون علامة له كذلك هم عليهم السلام يدلون على الله يدلون الناس عليه سبحانه وهم علامة لمحاسن صفاته وأفعاله وآثاره"[١] .

ونسب إلى الإمام الرضا أنه قال: " إذا نزلت بكم شدة فاستعينوا بنا على الله وهو قول الله : "ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها" قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: نحن والله الأسماء الحسنى الذي لا يقبل من أحد إلا بمعرفتنا قال فادعوه بها[٢]

وكذلك روى الكليني بسنده أن أمير المؤمنين علياً قال: "أنا عين الله، وأنا يد الله، وأنا جنب الله، وأنا باب الله[٣].

وعن أبي جعفر أنه قال: "نحن وجه الله نتقلب في الأرض بين أظهركم، ونحن عين الله في خلقه، ويده المبسوطة بالرحمة على عباده، عرفنا من عرفنا وجهلنا من جهلنا"[٤].

وعن أبي عبد الله أنه قال :" إنَّ الله خلقنا فأحسن صورنا وجعلنا عينه في عباده ، ولسانه الناطق في خلقه ، ويده المبسوطة على عباده بالرأفة والرحمة ، ووجهه الذي يؤتى منه وبابه الذي يدل عليه، وخزانه في سمائه وأرضه ، بنا أثمرت الأشجار وأينعت الثمار ، وجرت الأنهار، وبنا ينزل غيث السماء وينبت عشب الأرض وبعبادتنا عبد الله ولولانا ما عبد الله "[٥]

وعن أبي عبد الله قال:" كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول : أنا علم الله وأنا قلب الله الواعي ، ولسان الله الناطق ، وعين الله الناظر، وأنا جنب الله ، ويد الله"[٦]

ولقد ذكر المجلسي في بحاره ستاً وثلاثين رواية تقول أن الأئمة هم وجه الله ويد الله وجنب الله[٧]

كما وعقد الكليني في كتابه الكافي باباً أعطى صفة العلم الإلهي للأئمة سماه:" باب أن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم شيء"[٨] ذكر فيه ست روايات تفيد بهذا الشرك ، كما وأفرد المجلسي في كتابه بحار الأنوار باباً مشابهاً لما أفرده الكليني : بعنوان : باب أنهم لا يحجب عنهم

---

(١) أصول الكافي: الكليني ، ١٤٤/١، هامش رقم ١.

(٢) مستدرك وسائل الشيعة: الميرزا النوري، باب استحباب التوسل في الدعاء بمحمد وآل محمد عليهم السلام، حديث رقم : ٥٧٦٠، ٢٢٩/٥.

(٣) أصول الكافي: الكليني، باب النوادر، حديث رقم:٨ ، ١٤٥/١، قال عنه البرقعي: الحديث سنده مرسل.(انظر: كسر الصنم: البرقعي، ص٦٦).

(٤) المصدر السابق، باب النوادر، حديث رقم:٣ ،١ /١٤٣.قال عنه البرقعي: الحديث صحيح مع أن رجاله ثقات لكنهم يروون أحياناً الخرافات.(كسر الصنم: البرقعي، ص٦٦).

(٥) المصدر السابق نفسه، باب النوادر، حديث رقم:٥ ، ١٤٤/١، والتوحيد: ابن بابويه الصدوق باب معنى السبع المثاني حديث رقم: ٧ ، ص١٥١-١٥٢.قال البرقعي: الحديث سنده مرفوع (كسر الصنم: البرقعي، ص٦٦).

(٦) بصائر الدرجات: محمد حسن الصفار، تحقيق: الحاج ميرزا حسن كوجه باغي، الناشر: منشورات الأعلمي، طهران، ١٤٠٤هـ ، ص٨٤.

(٧) انظر: بحار الأنوار: المجلسي، ١٩١/٢٤-٢٠٣.

(٨) أصول الكافي: الكليني ، ٢٦٠/١-٢٦٢.

علم السماء والأرض والجنة والنار وأنه عرض عليهم ملكوت السموات والأرض ويعلمون ما كان وما يكون إلى يوم القيامة" [١] ذكر فيه اثنان وعشرين رواية بهذا الخصوص فمن هذه الروايات:

ما نسب إلى أبي عبد الله أنه قال:" إني لأعلم ما في السموات وما في الأرض وأعلم ما في الجنة وأعلم ما في النار ، وأعلم ما كان وما يكون..."[٢].

وما نسب إلى أبي جعفر أنه قال: سئل علي عليه السلام عن علم النبي ﷺ فقال : علم النبي علم جميع النبيين ، وعلم ما كان وعلم ما هو كائن إلى قيام الساعة، ثم قال: والذي نفسي بيده إني لأعلم علم النبي ﷺ وعلم ما كان وعلم ما هو كائن فيما بيني وبين قيام الساعة"[٣]

كما وعقد الكليني في أصوله باباً آخر بعنوان أنّ:" الأئمة ولاة أمر الله وخزنة علمه"[٤] وإلى ذلك ذهب المجلسي فأفرد باب بعنوان:" أنهم عليهم السلام خزان الله على علمه وحملة عرشه"[٥].

نسب فيه لأبي جعفر أنه قال:" نحن خزان علم الله، ونحن تراجمه وحي الله ونحن الحجة البالغة على من دون السماء ومن فوق الأرض"[٦].

وتبعاً لهذه الروايات ذهب علماء الشيعة، فيقول شيخ الشيعة المفيد:" إن الأئمة من آل محمد عليهم السلام قد كانوا يعرفون ضمائر بعض العباد ويعرفون ما يكون قبل كونه، وليس ذلك بواجب في صفاتهم ولا شرطاً في إمامتهم، وإنما أكرمهم الله تعالى به وأعلمهم إياه للطف في طاعتهم والتسجيل بإمامتهم ، وليس ذلك بواجب عقلاً ، ولكنه وجب لهم من جهة السماع..."[٧]

ويؤكد الشيعي غلام رضا كاردان على علم الأئمة الغيب في خضم رده على أهل السنة ، مستدلاً بقوله تعالى:﴿ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة:٧٩] بعد أن أكد أن الأئمة هم المطهرون قائلاً: ولهذا السبب فإن اعتقاد الشيعة بأن للأئمة –عليهم السلام– علماً واسعاً من قبل الله عز وجل ليس بعيداً عن الآيات القرآنية المجيدة، كما أن الأدلة القاطعة قائمة على ذلك"[٨] .

---

(١) بحار الأنوار: المجلسي، ١٠٩/٢٦-١١٧.

(٢) أصول الكافي: الكليني، باب أن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم الشيء صلوات الله عليهم، حديث رقم:٢، ٢٦١/١. قال البرقعي: جميع أحاديث هذا الباب ضعيفة ومجهولة (انظر: كسر الصنم: البرقعي، ص١٩٧-١٩٨).

(٣) بحار الأنوار: المجلسي، باب أنهم عليهم السلام لا يحجب عنهم علم السماء والأرض والجنة والنار، وأنه عرض عليهم ملكوت السماوات والأرض ، حديث رقم:٦، ١٠٩/٢٦.

(٤) أصول الكافي: الكليني ، باب أن الأئمة عليهم السلام ولاة أمر الله وخزنة علمه،١٩٢/١.

(٥) بحار الأنوار: المجلسي، ١٠٥/٢٦

(٦) المصدر السابق ، باب أنهم عليهم السلام خزان الله على علمه وحملة عرشه، حديث رقم:٤، ١٠٥/٢٦.

(٧) المصدر السابق نفسه، ١٠٤/٢٦.

(٨) الرد على شبهات الوهابية: غلام رضا كاردان، مركز الأبحاث العقائدية، سلسلة الكتب المؤلفة في الرد على الشبهات، ص٢٠.

كما وأفرد جواد علي كيسار في كتابه التوحيد بحثاً أسماه النبي والأئمة مظاهر الاسم الأعظم، قال في خلاصة هذا المبحث:" لقد أوضح المنهج الذي سلكناه أنَّ الطريق إلى معرفة الله عز وجل يمر عبر معرفة أسمائه الحسنى وصفاته العُليا حيث لا سبيل إلى اكتناه ذاته المقدسة سبحانه. والطريق إلى معرفة الأسماء والصفات لا يكون إلا من معرفة مظاهر الأسماء والصفات ، وعبر آيات وتجليات تلك الأسماء والصفات. وما دام البحث قد سجل بوضوح أن رسول الله ﷺ هو المظهر الأتم للخلافة الأسمائية، فسيكون ﷺ هو السبيل إلى التوحيد... وإنَّ ما ثبت لرسول الله ﷺ قد ثبت بالتتبع لعلي وأهل بيته عليهم السلام من بعده"[١].

ويبدو أنَّ هذا النوع من الشرك دفع جواد علي كيسار إلى محاولة علاجه قائلاً:" قد يشوب بعض الأذهان ، في أنَّ التعاطي مع الأئمة في نطاق هذه الكمالات والإيمان بأدوارهم الوجودية والتكوينية قد يتاخم بعض ضروب الغلو أو الانتقاص من الدور الإلهي. كلا، أولاً: لأن لله سبحانه من كل كمال أشرفه وأعلاه، وأن له الكمالات المطلقة فوق ما لا يتناهى بما لا يتناهى. وثانياً: لأن هذا هو منطق القرآن الكريم ، فكتاب الله جل جلاله يثبت أنّ الله خالق كل شيء، وأنّ له القوة والعزة والولاية جميعاً ، ومع ذلك يعود ليثبت هذه الأمور لغيره من دون أن يلزم من ذلك نقص أو يشوبه تضييق في القدرة والفاعلية الإلهية"[٢].

ونحن نتساءل أين نجد في كتاب الله أن الأئمة مظاهر أسماء الله وصفاته، بل أين نجد أن الصفات الواردة في القرآن الكريم والتي أثبتها الله لنفسه في مئات من الآيات أنها ليست صفاته على الحقيقة وإنما هي صفات الأئمة ؟! ، سبحانك اللهم هذا بهتان عظيم، وأين نجد في القرآن أن الله أطلع هؤلاء الأئمة على الغيب وأنه سبحانه أعطاهم صفة العلم الإلهي؟، إنَّ الذي جاء به القرآن الكريم أن لا أحد يعلم الغيب المطلق إلا الله لا الرسولﷺ و لا الملائكة ولا من دونهم، وآيات القرآن ناطقة فينا، تقول:" ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي البَرِّ وَالبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام:٥٩] .وقد قال تعالى على لسان أنبيائه: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللهِ وَلَا أَعْلَمُ الغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام:٥٠] .وقال تعالى:﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:١٨٨]وقال تعالى: ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللهِ وَلَا أَعْلَمُ الغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللهُ خَيْرًا اللهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [هود:٣١] .

---

(١) التوحيد بحوث تحليلية في مراتبه ومعطياته: جواد علي كيسار، ٢/٤٤٩-٤٥٠.

(٢) المصدر السابق : ٢/٤٥٦.

فهذه الآيات وغيرها تدلل على أنه لا يعلم الغيب المطلق إلا الله، وأنه سبحانه وتعالى المتصرف الوحيد في هذا الكون لا يسأل عما خلق وهم يسألون، وقد حكى الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات على لسان أنبيائه بأنهم لا يعلمون الغيب وأنهم عبيد له لا يملكون نفعاً لأنفسهم ولا ضرا وأنهم تحت مشيئته فإذا كان أنبياءه هكذا فما بالك بمن دونهم وبمن زعم أن لهم الإمامة من غير دليل ولا برهان من عند الله.

إن من هذا الشطط من الشرك ومن معينه يسقى طوائف الباطنية الملحدة التي ذهبت إلى تأليه الأئمة ومن مائها الآسن ترتوي كل الفرق التي خرجت ولا تزال تخرج من الشيعة التي تأله أصحابها وأربابها.

والعجيب في ذلك كله أنهم يربطون هذا الشرك بالله تعالى بأنه أجازه وصرح به حتى عدوا ألوان الشرك التي ذكرناها سابقاً من أنواع القربات لله تعالى وإعلاءً لكلمة الله فكانوا مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللهَ لَا يَأْمُرُ بِالفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:٢٨].

المبحث الثاني:

الإمامة.

تعد الإمامة صلب وجوهر العقيدة الشيعية، فما سميت هذه الطائفة بالإمامية إلا لأجلها، فعليها تدور عقائدهم وأبحاثهم ورواياتهم وتفسيراتهم، وبدونها لا يمكن أن يستدلوا على أصل من أصولهم أو فروعهم، فلم ينادَ بشيء عند الاثنا عشرية مثل ما نودي بها، ولم يخلق الكون– بزعمهم – إلا لأجل الأئمة وإمامتهم[1]، وهي منصب إلهي فوق درجة النبوة كما يجاهر بها جملة من شيوخهم[2].

والإمامة بتعريف الشيعة لها:" رياسة عامة في أمور الدين والدنيا لشخص من الأشخاص نيابة عن النبي ﷺ "[3]، فهي منصباً إلهيا يختاره الله بسابق علمه بعباده كما يختار النبي"[4].

يقول شيخ الشيعة محمد رضا المظفر:" نعتقد أن الإمامة أصل من أصول الدين لا يتم الإيمان إلا بالاعتقاد بها ، ولا يجوز فيها تقليد الآباء والأهل والمربين ، بل يجب النظر فيها كما يجب النظر في التوحيد والنبوة "[5] .

ويقول شيخهم جعفر السبحاني أن: "الشيعة على بكرة أبيهم اتفقوا على كونها – الإمامة – أصلاً من أصول الدين وقد برهنوا على ذلك في كتبهم ،ولأجل ذلك يُعَدُّ الاعتقاد بإمامة الأئمة من لوازم الإيمان الصحيح عندهم "[6] .

ولقد أفرد الكليني في أصوله عدة أبواب لها، منه باب أسماه باب دعائم الإيمان جمع فيه الروايات التي تقول أن الإمامة أهم أركان الإسلام، فقد روى الكليني بسنده عن أبي جعفر قال: "بني الإسلام على خمس: على الصّلاة والزّكاة والصّوم والحجّ والولاية، ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية، فأخذ النّاس بأربع وتركوا هذه – يعني الولاية –"[7]. والملاحظ هنا أن في هذه الرواية تسقط الشهادتين لتوضع بدلاً منها الولاية.

---

(١) انظر: أصول الكافي: الكليني، ١/١٨٨.

(٢) انظر: أصول مذهب الشيعة الاثنا عشرية : د. ناصر القفاري ، ٢/٦٥٦.

(٣) النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر : العلامة الحلي ، شرح وتحقيق المقداد السيوري ، ص٩٣، وانظر: نشأة الشيعة الإمامية : نبيلة عبد المنعم داود، الطبعة الأولى ، الناشر: دار المؤرخ العربي ، بيروت لبنان ، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م، ص٢٩٢، وانظر: الإمامة وأهل البيت: محمد بيومي مهران، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م، ١/١٦٩.

(٤) أصل الشيعة وأصولها: محمد آل كاشف الغطاء ، ص ٢٢١.

(٥) عقائد الإمامية : محمد رضا المظفر ، ص٦٥.

(٦) الملل والنحل : الشيخ جعفر السبحاني ، ١/٢٥٧.

(٧) أصول الكافي: الكليني، كتاب الإيمان والكفر، باب دعائم الإسلام: ٢/١٨، رقم ٣، قال في شارح الكافي في بيان درجة هذا الحديث عندهم: "موثق كالصّحيح" فهو معتبر عندهم. الشّافي شرح الكافي: ٥/٢٨ رقم١٤٨٧، وقال المجلسي: الحديث موثوق كالصحيح ، (انظر: مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول ، المجلسي، ٧/١٠١)

وكذلك روى عن الإمام الصادق أنه قال:" أثافي الإسلام ثلاثة : الصلاة والزكاة والولاية ، لا تصح واحدة منهن إلا بصاحبتيها(١) .

ونسبوا إلى أبي عبد الله أنه قال:"عرج بالنبي ﷺ السماء مائة وعشرين مرة، ما من مرة إلا وقد أوصى الله عز وجل فيها إلى النبي بالولاية لعلي والأئمة من بعده أكثر مما وصاه بالفرائض"(٢).

والروايات عند الشيعة في هذا المعنى كثير أفرد لها المجلسي في بحاره عدة أبواب ، منها باب الاضطرار إلى الحجة وأن الأرض لا تخلو من حجة ، وباب وجوب معرفة الإمام، وباب أن من أنكر واحد منهم فقد أنكر الجميع ، وباب أن الناس لا يهتدون إلا بهم، وأنهم الوسائل بين الخلق وبين الله ، وأنه لا يدخل الجنة إلا من عرفهم... إلى غير ذلك من الأبواب(٣)

ولقد تشعب من بدعة الإمامة أصول وعقائد أخرى ليست بأقل أهمية منها، ومن لم يؤمن بواحدة منها فهو في نظر الاثنا عشرية كافر مستحق للخلود في النار، وهذه العقائد نجملها في المطالب التالية:

المطلب الأول: الإمامة بالنص والتعيين والوصية من الله تعالى.

ما دامت الإمامة من أصول الدين و أركانه وهي كالنبوة، فيجب أن يكون منصوص عليها من قبل الله، فيقول آل كاشف الغطاء:" وعرفت أن مرادهم بالإمامة: كونها منصبا إلهياً يختاره الله بسابق علمه بعباده، كما يختار النبي، ويأمر النبي بأن يدل الأمة عليه، ويأمرهم باتباعه، ويعتقدون: أن الله سبحانه أمر نبيه بأن ينص على علي عليه السلام وينصبه علماً للناس من بعده، وكان النبي يعلم أن ذلك سوف يثقل على الناس، وقد يحملونه على المحاباة والمحبة لابن عمه وصهره "(٤).

ويقول علامة الشيعة ابن المطهر الحلي:" الإمامة لطف عام والنبوة لطف خاص لإمكان خلو الزمان من نبي حي بخلاف الإمام ،وإنكار اللطف العام شر من إنكار اللطف الخاص وإلى هذا أشار الصادق بقوله عن منكر الإمامة أصلا ورأسا وهو شرهم "(٥).

---

(١) المصدر السابق، كتاب الإيمان والإسلام ، باب دعائم الإسلام، حديث: رقم ٤. ، ١٨/٢. قال عنه المجلسي: الحديث مجهول، (انظر: مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول: المجلسي، ١٠١/٧).

(٢) الخصال: الصدوق أبي جعفر محمد بن على بن الحسين بن بابويه، تحقيق : على أكبر غفاري ، الناشر: منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية ، قم ، ١٤٠٣هـ ، ص٦٠٠-٦٠١، بحار الأنوار : المجلسي ، ٦٩/٢٣.

(٣) بحار الأنوار : المجلسي ، الجزء ٢٣، ص١-٣٩١.

(٤) أصل الشيعة وأصولها: آل كاشف الغطاء ، ص ٢٢١.

(٥) الألفين في إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب:العلامة الحلي ، ص ٢٣ ، انظر: النافي يوم الحشر:الحلي، ص٦٢. والنكت الاعتقادية : المفيد ، تحقيق: رضا المختاري ، الطبعة الثانية ، الناشر : دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت –لبنان ، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م، ص٣٩، الشافي في الإمامة: الشريف المرتضى، تحقيق : عبد الزهراء الحسيني الخطيب ، الطبعة الثانية ، الناشر: مؤسسة الصادق ، طهران– إيران ، ١٤١٠هـ ،٢/١.

وقال علامة الشيعة الحلي:" أن كل ما دل على وجوب النبوة فهو دال على وجوب الإمامة، إذ الإمامة خلافة عن النبوة قائمة مقامها، إلا في تلقي الوحي الإلهي بلا واسطة، أن تلك واجبة على الله تعالى في الحكمة هكذا هذه "(١).

كذلك تعتقد الشيعة الاثنا عشرية أن النبي نص على إمامة علي وأولاده وكل إمام ينص على الإمام الذي يليه وصولاً إلى إمامهم القائم الغائب والذي غاب غيبة صغرة سنة ٢٦٠هـ وأخرى كبرى سنة ٣٢٩هـ(٢).

فقد عقد المجلسي في بحاره باب بعنوان " أن الإمامة لا تكون إلا بالنص ، ويجب على الإمام النص على من بعده"(٣) ، روى فيه بسنده عن أبي عبد الله أنه قال:" أترون الموصي منا يوصي إلى من يريد ؟لا والله ، ولكنه عهد من رسول الله ﷺ لرجل فرجل، حتى ينتهي الأمر صاحبه"(٤).

وقد ترتب عند الاثنا عشرية على من أنكر الإمامة أو إمامة أحد الأئمة الكفر والخلود في نار جهنم.

فيقول كبير محدثيهم محمد ابن بابويه الملقب بالصدوق:" واعتقادنا فيمن جحد إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والأئمة من بعده ، أنه كمن جحد نبوة جميع الأنبياء ، واعتقادنا فيمن أقر بأمير المؤمنين وأنكر واحداً من بعده من الأئمة أنه بمنزلة من أقر بجميع الأنبياء وأنكر نبوة نبينا محمد ﷺ "(٥).

ويستدل صدوق الشيعة برواية نسبها إلى الإمام الصادق حيث قال:" المنكر لآخرنا كالمنكر لأولنا"(٦).

ونسب أيضاً إلى النبي ﷺ أنه قال:" الأئمة من بعدي إثنا عشر أولهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وآخرهم القائم طاعتهم طاعتي ومعصيتهم معصيتي من أنكر واحداً منهم قد أنكرني"(٧).

والروايات في خلود منكر الإمامة النار وعدم قبول عمله بلغت حد التواتر كما أفاد بذلك المجلسي(٨) .

---

(١) النافع يوم الحشر: العلامة الحلي، ص٩٥.

(٢) انظر: مع الشيعة في الأصول والفروع: د. على السالوس، الطبعة السابعة، الناشر دار الفضيلة بالرياض وآخرون، ١٤٢٤هـ -٢٠٠٣م، ص٤٤، و الإمامة وأهل البيت : محمد بيومي مهران ، ١٧٠/١، الطبعة الثانية ، الناشر : مركز الغدير للدراسات الإسلامية، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م..

(٣) بحار الأنوار: المجلسي، ٦٦/٢٣.

(٤) المصدر السابق، باب أن الإمامة لا تكون إلا بالنص ، ويجب على الإمام النص على من بعده، حديث رقم: ٨، ٧٠/٢٣. ٧٠/٢٣.

(٥) الاعتقادات في دين الإمامية: الصدوق محمد بن علي بن بابويه القمي ، تحقيق عصام عبد السيد، الطبعة الثانية، الناشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، ص١٠٤.

(٦) المصدر السابق.

(٧) المصدر السابق نفسه.

(٨) انظر: بحار الأنوار، المجلسي، ٣٦٩/٨.

كما ويقرر المفيد إجماع الإمامية على كفر منكر الإمامة حيث قال:" اتفقت الإمامية على أن مـن أنكر إمامة أحد من الأئمة وجحد ما أوجبه الله تعالى له من فرض الطاعة فهو كافر ضال مستحق للخلود في النار "[1].

المطلب الثاني: عصمة الأئمة.

وهي من العقائد التي اتصلت ببدعة الإمامة وأهمها، فيوضح الشيعي المعاصر صالح الـورداني الصلة بين نصية الإمامة والعصمة قائلاً: تنبع فكرة العصمة عند الشيعة من فكرة الوصـية ، فالرسـول المعصوم لا يوصي إلا لمعصوم مثله ، ومثلما مهمة الرسول تحتاج إلى عصمة كذلك مهمة الإمام التـي هي امتداد لمهمته تحتاج لعصمة ، ولو لم يكن الإمام معصوماً لتساوى مع بقية الناس ، ولما كانت هنـاك حاجة لوصيته وهو في هذه الحالة لن ينجح في حفظ الدين وإقامة الحجة على الناس"[2]

وإلى ذلك ذهب علماء الشيعة حيث يقول المفيد :" إن الأئمة القائمين مقام الأنبيـاء ﷺ فـي تنفيـذ الأحكام وإقامة الحدود وحفظ الشرائع وتأديب الأنام معصومون كعصمة الأنبياء، وإنهم لا يجـوز مـنهم صغيرة إلا ما قدمت ذكر جوازه على الأنبياء، وإنه لا يجوز منهم سهو في شيء في الـدين ولا ينسـون شيئا من الأحكام، وعلى هذا مذهب سائر الإمامية" [3].

ويقول محمد رضا المظفر موضحاً عقيدة عصمة الأئمة عند الشيعة:" نعتقد: أنّ الإمام كالنبي يجب أن يكون معصوماً من جميع الرذائل والفواحش، ما ظهر منها وما بطن، من سنِّ الطفولة إلـى المـوت، عمداً وسهواً، كما يجب أن يكون معصوماً من السهو والخطـأ والنسـيان، لانّ الأئمـة حفظـة الشـرع والقوّامون عليه، حالهم في ذلك حال النبي، والدليل الذي اقتضانا أن نعتقد بعصـمة الأنبيـاء هـو نفسـه يقتضينا أن نعتقد بعصمة الأئمة بلا فرق "[4].

وقالوا أن الإمام يجب أن يكون معصوماً لأنه لو جاز عليه الخطأ لافتقر إلى إمام آخر يسدده ، كما أنه لو جاز عليه فعل الخطيئة ، فإن وجوب الإنكار عليه سقط محله من القلوب ، هذا فضلاً عن أن الإمام حافظ للشرع ، فلو لم يكن معصوماً ، لم تؤمن منه الزيادة والنقصان"[5]

وفي النهاية يطل علينا الخميني في العصر الحديث إلى رفع الأئمة عن مرتبة العصمة بـل ربمـا الوصول إلى مرتبة الربوبية حيث قال:" إن من ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا مقاماً لا يبلغه ملك مقـرب ،

---

(١) انظر: المصدر السابق، ٢٣/٣٩٠ .

(٢) عقائد السنة وعقائد الشيعة التقارب والتباعد : صالح الورداني ، الطبعة الأولى ، الناشر: الغدير للدراسـات والنشـر ، بيروت – لبنان ، ١٤١٩هـ -١٩٩٩م، ص١٦٥.

(٣) أوائل المقالات: الشيخ المفيد ، ص٦٥.

(٤) عقائد الإمامية: محمد رضا المظفر ، ص ٦٧.

(٥) الإمامة وأهل البيت : محمد بيومي مهران ، ١/١٧٣، وانظر: النكت الاعتقادية: المفيد ، ص٤٨-٤٩.

ولا نبي مرسل"[1] وقال أيضاً:" إن الأئمة الذين لا نتصور فيهم السهو أو الغفلة ، ونعتقد فيهم الإحاطة بكل ما فيه مصلحة للمسلمين"[2].

المطلب الثالث: الغيبة والرجعة.

أولاً: الغيبة:-

الغيبة بمعتقد الاثنا عشرية هي: اختفاء الإمام الثاني عشر – المزعوم- الخاتم لسلسلة الأئمة ابن الإمام الحادي عشر وقد ولد عام ٢٥٥ ه، واختفى من عام ٢٦٠ هـ إلى عام ٣٢٩ هـ فيما سمي بالغيبة الصغرى ثم غاب بعد ذلك غيبته الكبرى [3].

وقد ظهرت عقيدة الغيبة عند الشيعة الاثنا عشرية، بعد موت الإمام الحادي عشر – الحسن العسكري- دون خلف أو عقب له ، على يد عثمان بن سعيد العمري وبعض من شيوخ الشيعة الآخرين، بعد أن اتفقوا على تقسيم أموال الزكاة والخمس وحق أهل البيت التي تؤخذ من الأتباع، ورأوا أن الاختلاف الكبير الذي حدث بين الشيعة بسبب موت الإمام كاد يقوض وينهي العقيدة الشيعية الإمامية ، إذ لا يتصور في دينهم أن تخلو الأرض من إمام ولو بقيت بغير إمام لساخت بهم، ولأنه لا دين لهم بدون إمام[4]، فادعوا أن للحسن ولداً قد اختفى وعمره أربع سنوات[5] ، وزعم أنه لا يلتقي به أحد سواه فهو السفير بينه وبين الشيعة يستلم أموالهم ويتلقى أسئلتهم ومشكلاتهم ليوصلها للإمام الغائب[6]، غير أن اجتماع الشيعة لم يدم طويلاً، إذ بموته حدث بينهم نزاع على تولي السفارة، وخرج من بينهم من يدعي السفارة، فلعن بعضهم بعضاً، واضطروا إلى قتل البعض الآخر[7]، وقد تكرر هذا الاختلاف عند موت كل سفير، وقد جاء على ذكر أسمائهم الطوسي في كتابه الغيبة تحت عنوان :" ذكر المذمومين الذين ادعوا البابية لعنهم الله"[8] ، وبموت السفير الرابع المعتمد عندهم ، وتخلف وعود شيوخ الشيعة بالظهور للغائب المستور، وساد الشك الأوساط الشيعية ، وبدأت تتكشف حقيقة الأمر بعد النزاع الحاد الذي وقع بين أدعياء

---

(١) الحكومة الإسلامية : الخميني ، ص٥٢.

(٢) المصدر السابق: ص ٥٢.

(٣) انظر : عقائد السنة وعقائد الشيعة : صالح الورداني ص١٧٧.

(٤) انظر الروايات في ذلك المعنى ، الكافي : الكليني ، ١/١٧٨.

(٥) الغيبة : أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق عباد الله الطهراني والشيخ على أحمد ناصح ، الطبعة الأولى ، الناشر: مؤسسة المعارف الإسلامية ، قم -إيران، ص ٤١٩، وقد اختلفوا في عمره حينما غاب، وقد رجح المجلسي أنه غاب وهو ابن أقل من خمس سنين بأشهر أو بسنة وشهر،وانظر: بحار الأنوار، المجلسي ، ٢٥/١٢٣.

(٦) أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية:د. ناصر القفاري ، ٢/٨٣٤.

(٧) انظر: الغيبة: للطوسي ، ص٣٩٧، وانظر: الغيبة الصغرى والسفراء الأربعة : الشيخ فاضل المالكي ، الطبعة الأولى ، الناشر: مركز الأبحاث العقائدية ، قم – إيران ، ١٤٢٠هـ ، ص٤٥.

(٨) الغيبة : الطوسي ، ص٣٥١.

السفارة والبابية ، اخترع شيوخ الشيعة فكرة الغيبة الكبرى وانتهى بذلك عهد السفراء والأبواب وبدأ عهد النيابة العامة لشيوخ الشيعة، وتم التأصيل لعقيدة الغيبة[١] .

إذاً تعتقد الشيعة الاثنا عشرية بأن الإمام قد غاب غيبتين:

الأولى: أطلقوا عليها الغيبة الصغرى[٢]:

وهي من بداية إمامة غائبهم الموهوم – مولده –عام ٢٦٠هـ إلى انقطاع السفارة بينه وبين شيعته بوفاة آخر سفرائه وعدم تنصيب غيره عام ٣٢٩هـ ، وما يميز هذه الغيبة، التواصل بين الغائب الموهوم وبين أتباعه عن طريق سفراءه، حيث كانوا يقومون على خدمته وتخرج على أيديهم – بزعمهم– توقيعات منه إلى شيعته في أمور شتى[٣]، ولقد كثر في هذه الغيبة مدعي السفارة للغائب الموهوم غير أن المعتمدين عند الشيعة أربعة والباقي يعتبرونهم دجالين كاذبين والسفراء الأربعة هم على التوالي[٤]:

١. أبو عمرو عثمان بن سعيد العمري.
٢. أبو جعفر محمد بن عثمان بن سعيد.
٣. أبو القاسم الحسين بن روح.
٤. علي بن محمد السمري.

الثانية: أطلقوا عليها الغيبة الكبرى[٥]:

وفيها زعموا اختفاء غائبهم الموهوم اختفاءً كاملاً حتى عن وكلائه وأقرب المقربين له، وانقطعت السفارة له،وهي تمتد من بعد نهاية الغيبة الصغرى الأولى عام ٣٢٩هـ، إلى زمننا هذا ، أو إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

يقول إمامهم الخميني عن طول هذه الغيبة:" وقد مر على الغيبة الكبرى لإمامنا المهدي أكثر من ألف عام، وقد تمر ألوف السنين قبل أن تقضي المصلحة قدوم الإمام المنتظر"[٦].

وفي هذه الغيبة كما يزعمون نصّب غائبُهم فقهاءَهم وعلماءَهم، للقضاء وتدبير الأمور، وإقامة الحدود، وجعلهم حجة على الناس، وبها انتهت النيابة الخاصة عن طريق أشخاص معينين، وحل محلها

(١) انظر : أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية :د. ناصر القفاري ، ٨٣٩/٢

(٢) انظر: الشيعة في الميزان: محمد جواد مغنية ، ص ٢٥٢.

(٣) أضواء على عقائد الشيعة الإمامية: جعفر السبحاني ، الطبعة الأولى، الناشر: مؤسسة الإمام الصادق، ١٤٢١هـ، ص٢٢٣.

(٤) الغيبة الصغرى والسفراء الأربعة: الشيخ فاضل المالكي، الطبعة الأولى، الناشر: مركز الأبحاث العقائدية ، قم – إيران ، ١٤٢٠هـ ، ص٥٠.وانظر: الغيبة للطوسي ، ص٣٥٣.

(٥) انظر: أضواء على عقائد الشيعة الإمامية : جعفر السبحاني ، ص٢٣١.

(٦) الحكومة الإسلامية: الخميني، ص ٢٦.

النيابة العامة بواسطة الفقهاء[1]، حيث ادعوا أنه وقع على كتاب إبّان غيبته الكبرى قال فيه:" وأما الحوادث الواقعة، فارجعوا فيها إلى رواة أحاديثنا، فإنهم حجتي عليكم، وأنا حجة الله عليهم"[2].

وتعتبر الشيعة غيبة الإمام ابتلاءاً وتمحيصاً من الله، حيث يروي الكليني في كافيه:" أما والله ليغيبن إمامكم سنين من دهركم، ولتمحصن حتى يقال مات، قتل، هلك "[3].

وأما عن سر هذه الغيبة فلا يعلمه إلا الله كما يقول محمد جواد مغنية:" والله أعلم بحكمتها فإنها سر من أسراره عز وجل، والشك في أسرار الله جحود، والجهل ليس عذراً يسوغ الإنكار "[4].

ولقد عمد هؤلاء إلى تأييد هذه الخرافة بتأويل كتاب الله تأويلاً باطنياً بما يوافق معتقدهم، فقد روى الكليني في كافيه عن موسى بن جعفر الصادق في قوله عز وجل : ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ [الملك:٣٠] .قال" إذا غاب عنكم إمامكم فمن يأتيكم بإمام جديد"[5].

وجاء في تفسير القمي في قوله تعالى ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾ [الليل:٢]قال: النهار هو القائم عليه السلام من أهل البيت[6].

بل جاؤوا بروايات فيها من التهديد والوعيد بالكفر والخلود في النار لمن أنكر غيبة القائم حتى جعلوا إنكارها كالكفر برسالة محمد ﷺ ، بل عدوا ذلك مثل كفر إبليس.

فقد روى صدوقهم بسنده عن أبي عبد الله أنه قال : من أقر الأئمة من آبائي وولدي، وجحد المهدي من ولدي كان كمن أقر بجميع الأنبياء وجحد محمدًا ﷺ. فقلت: يا سيدي ومن المهدي من ولدك؟ قال: الخامس من ولد السابع، يغيب عنهم شخصه ولا يحل لهم تسميته" [7]

وفي الحقيقة إن معتقد الشيعة في الغيبة يعد من أكبر الأدلة على فساد معتقدهم في الإمامة ، إذ إن العقول لا تحتمل ذكر هذا المعتقد وحجم تلك الأكاذيب الملفقة فيه، وهذا ما عبر عنه الشيعي صالح الورداني بشيء من التهذيب حيث قال:" ولعل البعض يقول على الرغم من ذلك: إن اعتقاد أهل السنة في المهدي هو أقرب إلى العقل والواقع من اعتقاد الشيعة الذين ينتظرون إماما غاب منذ أكثر من ألف عام وهو على قيد الحياة. والذين يطرحون مثل هذا التصور إنما يغيب عليهم استيعاب قضية الإمامة عند الشيعة" [8].

---

(١) أضواء على عقائد الشيعة الإمامية : جعفر السبحاني ، ص ٢٣١.

(٢) كمال الدين وتمام النعمة ، الصدوق أبي جعفر محمد بن على بن الحسين بن بابويه، تحقيق: على أكبر غفاري ، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي، ص ٤٨٤.

(٣) أصول الكافي: الكليني،كتاب الحجة، باب في الغيبة ، حديث رقم:٣، ٣٣٦/١.

(٤) الشيعة في الميزان: محمد جواد مغنية ، ص٢٥٣.

(٥) أصول الكافي: الكليني، كتاب الحجة، باب في الغيبة، حديث رقم: ١٤، ٣٤٠/١

(٦) تفسير القمي: لأبي الحسن علي بن إبراهيم القمي ، تحقيق : طيب الموسوي الجزائري ، الناشر: منشورات مكتبة الهدى، ١٣٨٧هـ ، ٤٢٥/٢.

(٧) كمال الدين وتمام النعمة :الصدوق ابن بابويه، ص٣٣٣.

(٨) عقائد السنة وعقائد الشيعة : صالح الورداني ، ص١٧٧.

وهذه الأكاذيب والأعاجيب في دعوى الإمامة وغيبة إمامهم الموهوم كانت مثار سخرية الناس، وأصبحوا عارًا على بني آدم، وضحكة يسخر منهم كل عاقل، ولقد أحسن من قال:

ما آن للسرداب أن يلد الذي   كلمتموه بجهلكم ما آنا
فعلى عقولكم العفاء فإنكم   ثلثتم العنقاء والغيلانا(١).

ثانياً: الرجعة:-

تعتقد الشيعة الاثنا عشرية أن الله يعيد قوماً من الأموات إلى الدنيا قبل يوم القيامة في صورهم التي كانوا عليها فيعز منهم فريقاً ويذل فريق(٢).

والرجعة كما عرفها الشيعي نجم الدين الطبسي:" رجوع الحجج الإلهية ورجوع الأئمة الطاهرين ورجوع ثلة من المؤمنين وغيرهم إلى الدنيا بعد قيام دولة المهدي"(٣)

قال صدوق الشيعة ابن بابويه في اعتقاداته :" واعتقادنا في الرجعة أنها حق "(٤) ، وقال أيضاً: إن الذي تذهب إليه الشيعة الإمامية ، أن الله تعالى يعيد عند ظهور المهدي قوماً ممن كان تقدم موته من شيعته وقوماً من أعدائه"(٥)

بينما ينقل شيخهم المفيد إجماع الإمامية على وجوب رجعة كثير من الأموات"(٦).

ويقول محمد رضا المظفر:"عقيدتنا في الرجعة إنّ الذي تذهب إليه الإمامية-أخذاً بما جاء عن آل البيت عليهم السلام- أنّ الله تعالى يعيد قوماً من الأموات إلى الدنيا في صورهم التي كانوا عليها، فيعزّ فريقاً ويذلّ فريقاً آخر، ويديل المحقّين من المبطلين والمظلومين منهم من الظالمين، وذلك عند قيام مهدي آل محمّد عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام، ولا يرجع إلا من علت درجته في الإيمان ، أو من بلغ الغاية في الفساد، ثم يصيرون بعد ذلك إلى الموت"(٧).

وقد قسم الاثنا عشرية رجوع الناس بعد الموت إلى ثلاثة أصناف (٨):

١. رجوع المهدي أو خروجه من مخبئه، وكذلك رجوع الأئمة بعد موتهم.
٢. رجوع خلفاء المسلمين الذين اغتصبوا الخلافة، والاقتصاص منهم.
٣. رجوع أصحاب الإيمان المحض، وهم الشيعة الإمامية ومن تابعهم، وكذلك رجوع غلاة الكفار.

---

(١) المنار المنيف في الصحيح والضعيف: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الحنبلي الدمشقي ، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية ، ١٤٠٣هـ ، ص١٥٢-١٥٣.

(٢) الرجعة أو العودة إلى الحياة الدنيا بعد الموت :المؤلف مؤسسة الرسالة ، الناشر: مركز الأبحاث العقائدية، سلسلة كتب العقيدة، ص ١٥

(٣) الرجعة في أحاديث الطرفين: نجم الدين الطبسي، ص٤.

(٤) الاعتقادات في دين الإمامية: الشيخ الصدوق، تحقيق عصام عبد السيد ، الطبعة الثانية ، الناشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت –لبنان ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، ص٦٠.

(٥) المصدر: السابق، وانظر: الرجعة في أحاديث الطرفين: نجم الدين الطبسي، ص٤.

(٦) أوائل المقالات: المفيد ، ص٧٨.

(٧) عقائد الإمامية:محمد رضا المظفر ،ص ٨٠، وانظر:بحار الأنوار: المجلسي، ٣٩/٥٣، ١٣٧ ، باب الرجعة.

(٨) انظر: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية: د. ناصر القفاري ، ٩١٢/٢.

يقول شيخهم المفيد عن أصناف الراجعون إلى الدنيا هم:" من علت درجته في الإيمان ، ومن بلغ الغاية في الفساد كلهم يرجعون بعد موتهم"[١] .

وقد حدد الاثنا عشرية زمن الرجعة بعد عودة غائبهم الموهوم من غيبته كما يذكر جملة من علماء الشيعة[٢]، وأن الغرض منها هو الانتقام من أعدائهم وأعداء الشيعة[٣].

فقد روي عن الحسن بن هارون، قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام جالساً فسأله المعلى بن خنيس : أيسير القائم عليه السلام إذا سار بخلاف سيرة علي عليه السلام ؟ فقال : نعم وذاك أن علياً سار بالمن والكف لأنه علم أن شيعته سيظهر عليهم من بعده وأن القائم إذا قام سار فيهم بالسيف والسبي ، وذلك أنه يعلم أن شيعته لم يظهر عليهم من بعده أبدا"[٤] .

وفي رواية أخرى نسب إلى أبي جعفر أنه قال:" لو يعلم الناس ما يصنع القائم إذا خرج لأحب أكثرهم أن لا يروه مما يقتل من الناس ، أما إنه لا يبدأ إلا بقريش ، فلا يأخذ منها إلا السيف ، ولا يعطيها إلا السيف حتى يقول كثير من الناس : ليس هذا من آل محمد ، لو كان من آل محمد لرحم"[٥].

وفي رواية رواها المجلسي في بحاره تقشعر من سماعها جلود المؤمنين زعم فيها أن غائبهم الموهوم عند قيامه يقيم الحد على أم المؤمنين عائشة ﵂–والعياذ بالله –،فقد نسب إلى أبي جعفر عليه السلام أنه قال :" أما لو قام قائمنا لقد ردت إليه الحميراء حتى يجلدها الحد ، وحتى ينتقم لابن فاطمة محمد عليه السلام. قلت : جعلت فداك! ولم يجلدها ؟، قال لفريتها على أم إبراهيم، قلت : فكيف أخره الله للقائم عليه السلام؟ ، فقال له: لأن الله تبارك وتعالى بعث محمداً صلى الله عليه وآله رحمة وبعث القائم عليه السلام نقمة "[٦].

---

(١) أوائل المقالات: المفيد ، ص٧٨

(٢) انظر: أوائل المقالات : المفيد ، ص٧٨، وعقائد الإمامية : محمد رضا المظفر، ص ٨٠.

(٣) انظر: الرجعة في أحاديث الطرفين : نجم الدين الطبسي ، ص٢٨.

(٤) بحار الأنوار: المجلسي ، فصل في أنه عليه السلام يأمر بهدم المساجد الأربعة حتى يبلغ أساسها...، حديث رقم: ١١١، ٣٥٣/٥٢.

(٥) المصدر السابق، فصل في أنه عليه السلام يأمر بهدم المساجد الأربعة حتى يبلغ أساسها... ، ٣٥٣/٥٢.

(٦) المصدر السابق نفسه، باب ما ورد في جميع الغاصبين والمرتدين مجملاً، ما ورد في عائشة وحفصة وبني أمية، حديث رقم:١٥٤، ٦٣٩/٣١.

المطلب الرابع: المناقشة:

ناقش علماء أهل السنة والجماعة بدعة الإمامة منذ أن أنشأها عبد الله بن سبأ، وطورها شيطان الطاق[1]، وهشام بن الحكم ورفاقه من شيوخ الشيعة، حتى ظهرت بحلتها التي عليها اليوم، وبينوا فسادها وبطلانها من جميع وجوه الاستدلال، ونحن في مناقشتنا لها سنقتصر على إبطال هذه العقيدة من وجه واحد فقط وهو من جهة الشرع –القرآن والسنة– لأن فيه من الكفاية والبيان ما ينسف هذه العقيدة الخبيثة، والتي هدفها هدم الإسلام بالكامل و إرجاعه إلى عصر الجاهلية الأولى التي يتحكم بها شيوخ الشيعة في رقاب الناس بفضل نيابتهم عن إمام موهوم، ونحيل القارئ إلى ما أفرده علماء أهل السنة من مصنفات للرد على بدع هؤلاء.

أولاً: يقال للشيعة أين ذكر الإمامة وفروعها في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ الصحيحة؟.

- فهذا كتاب الله بين أيدينا يحدثنا عن كل شيء من أصول الدين وفروعه، فأين ذكره للإمامة أهم أصول الدين كما تزعم الشيعة، وأين نجد لإمامة الاثنا عشر ذكراً صريحاً في كتاب الله بأسمائهم ، كما ذكرت أركان الإسلام صريحة واضحة في مواضع متفرقة من كتاب الله ، وكما ذكر رسول الهدى ﷺ باسمه ووصفه، لأن الإمام عندهم كالنبي بل هو أفضل، ومنكر الإمام كمنكر النبي أو أعظم[2]، وأين ذكر غيبة الإمام الثاني عشر المزعوم ورجعته في كتاب الله كما ذكر من أماتهم وأحياهم في الأمم السابقة؟!.
- لم يرد في السنة أن النبي ﷺ نص على إمامة علي ﷺ ولا بغيره من الأحد عشر إماماً الذين تزعمهم الاثنا عشرية ، بل إنَّ علي ﷺ نفسه لم يطلبها من النبي ﷺ ، فقد روى عبد الله الأنصاري أن عبد الله بن عباس أخبره أن علي بن أبي طالب ﷺ خرج من عند النبي ﷺ في وجعه الذي توفي فيه ، فقال الناس : يا أبا الحسن كيف أصبح رسول الله ﷺ ؟ فقال : أصبح بحمد الله بارئاً . فأخذ بيده عباس بن عبد المطلب فقال له : أنت والله بعد ثلاث عبد العصا ، وإني والله لأرى رسول الله سوف يتوفى من وجعه هذا إني لأعرف وجوه بني عبد المطلب عند الموت ، اذهب بنا إلى رسول الله ﷺ فلنسأله :فيمن هذا الأمر ؟ إن كان فينا علمنا ذلك، وإن كان في غيرنا علمناه، فأوصى بنا ، فقال علي ﷺ : إنا والله لئن سألناها رسول الله فمنعناها لا يعطيناها الناس بعده، وإني والله لا أسألها رسول الله ﷺ"[3].

---

(١) تذكر روايات الشيعة بأن شيطان الطاق أول من أشاع القول بأن الإمامة محصورة بأناس مخصوصين من آل البيت، وأنه حينما علم بذلك زيد بن عليّ بعث إليه ليقف على حقيقة الإشاعة، فقال له زيد: "بلغني أنك تزعم أن في آل محمد إمامًا مفترض الطاعة؟ قال شيطان الطاق: نعم، وكان أبوك علي بن الحسين أحدهم، فقال: وكيف وقد كان يؤتى بلقمة وهي حارة فيبردها بيده ثم يلقمنيها، أفترى أنه كان يشفق عليّ من حر اللقمة، ولا يشفق علي من حر النار؟ قال شيطان الطاق: قلت له: شفقته عليك من حر النار لم يخبرك ، خاف عليك : أن لا تقبل فتدخل النار وأخبرني أنا ، فإن قبلت نجوت ، وإن لم تقبل لم يبال أن يدخلك النار... "(انظر: إلى الرواية كاملة في أصول الكافي: الكليني ، ١/١٧٤).

(٢) انظر: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية ، د. ناصر القفاري ، ٢/٧٠٥.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته ، حديث رقم: (٤٤٤٧).

ثانياً: الإمامة ليست من أصول الدين:-

إن الإيمان بالله ورسوله هو أهم أصول الدين وليس الإمامة، وهذا معلوم بالاضطرار من دين الإسلام فالكافر لا يصير مؤمنا حتى يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وهذا هو الذي قاتل عليه الرسول ﷺ الكفار أولا كما استفاض عنه في الصحاح وغيرها أنه قال:" أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله[1]وفي رواية ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها"[2] وقد قال تعالى: ﴿ فَإِذَا انْسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة:٥]فأمر بتخلية سبيلهم إذا تابوا من الشرك وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وكذلك قال لعلي لما بعثه إلى خيبر وكذلك كان النبي ﷺ يسير في الكفار فيحقن دماءهم بالتوبة من الكفر لا يذكر لهم الإمامة بحال، وقد قال تعالى بعد هذا:﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ [التوبة:١١] فجعلهم إخوانا في الدين بالتوبة وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ولم يذكر الإمامة بحال ومن المتواتر أن الكفار على عهد رسول ﷺ كانوا إذا أسلموا أجرى عليهم أحكام الإسلام ولم يذكر لهم الإمامة بحال ولا نقل هذا عن رسول ﷺ أحد من أهل العلم لا نقلا خاصا ولا عاما بل نحن نعلم بالاضطرار عن رسول ﷺ أنه لم يكن يذكر للناس إذا أرادوا الدخول في دينه الإمامة لا مطلقا ولا معينا فكيف تكون أهم المطالب في أحكام الدين[3]

- "هب أنا لا نحتج بالحديث فقد قال الله تعالى:﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال:٢-٤] فشهد لهؤلاء بالإيمان من غير ذكر الإمامة ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾[الحجرات:١٥] فجعلهم صادقين في الإيمان من غير ذكر الإمامة"[4].

---

(١) متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم، حديث رقم:(٢٥)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله، حديث رقم: (٢٢).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله ، حديث رقم :(٢٢).

(٣) انظر: منهاج السنة النبوية: ابن تيمية، ٧٥/١.

(٤) المصدر السابق: ١٠٨/١.

ثالثاً: الإمامة ليست من أركان الإيمان وكل الروايات التي ترويها الشيعة في ذلك من الكذب الـذي يـرد بالروايات الصحيحة:

"لقد وصف الله تعالى المؤمنين وأحوالهم والنبي ﷺ قد فسر الإيمان وذكر شعبه ولم يذكر الله ولا رسوله الإمامة في أركان الإيمان ففي الحديث الصحيح حديث جبريل لما أتى النبي ﷺ في صورة أعرابي وسأله عن الإسلام والإيمان والإحسان قال له الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمـدا رسـول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت قال والإيمان أن تؤمن بـالله وملائكتـه وكتبـه ورسله واليوم الآخر والبعث بعد الموت وتؤمن بالقدر خيره وشره[(١)] ولم يذكر الإمامة قال والإحسـان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك وهذا الحديث متفق على صحته متلقى بالقبول أجمـع أهـل العلم بالنقل على صحته ، والشيعة وإن كانوا لا يقرون بصحة هذه الأحاديث ، فالشيعة يحتجون بأحاديـث موضوعة وهي كذب باتفاق أهل المعرفة، فإما أن نحتج بما يقوم الدليل على صحته ونحـن وهـم أو لا نحتج بشيء من ذلك لا نحن ولا هم فإن تركوا الرواية رأسا أمكن أن نترك الرواية وأمـا إذا رووا هـم فلابد من معارضة الرواية بالرواية والاعتماد على ما تقوم به الحجة ونحن نبين الدلائل الدالة على كـذب ما يعارضون به أهل السنة من الروايات الباطلة والدلائل الدالة على صحة ما نقله أهل العلـم بالحـديث وصححوه".[(٢)]

رابعاً: ما كملت به الأمة في دينها، يغنيها عن إمام معصوم يأتي بعقائد جديدة.

فما تزعمه الشيعة بأن الأمة لو تركت بدون إمام لزاغت عن الحق ولضلت السبيل، وقضوا بأن كل الأسباب التي توجب النبوة فإنها توجب الإمامة، زعم باطل ينقضه كتاب الله.

قال تعالى:﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا** ﴾ [المائدة:٣] فهـذه الآية دلت على كمال الدين بشكل لا نحتاج به إلى نبي جديد أو إمام معصوم، فدين الله محفوظ وكامـل لا يحتاج إلى من يكمله أو يحفظه لأن علة التحريف منتفية بشهادة الله تعالى، قال تعالى: ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾ [الحجر:٩].

ولقد مدح الله تعالى هذه الأمة وصرح بأهليتها لوراثة الدين وتحمل أعباء نقل الدين والحفاظ عليه فقال سبحانه: ﴿ **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الفَضْلُ الكَبِيرُ** ﴾ [فاطر:٣٢]، يقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآية:" يقول تعالى ثـم جعلنـا القائمين بالكتاب العظيم المصدق لما بين يديه من الكتب الذين اصطفينا من عبادنا وهم هـذه الأمـة ثـم قسمهم إلى ثلاثة أنواع فقال تعالى: ﴿ **فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ** ﴾ وهو المفرط في فعل بعض الواجبـات المرتكـب

---

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الإيمان ، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة ، حديث رقم:(٥٠)، وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان ، باب بيـان الإيمـان والإسـلام... ، حـديث رقم:(٩).

(٢) منهاج السنة النبوية: ابن تيمية: ١/١٠٦-١٠٨.

لبعض المحرمات﴿وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ﴾ هو المؤدي للواجبات التارك للمحرمات وقد يترك بعض المستحبات ويفعل بعض المكروهات ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ وهو الفاعل للواجبات والمستحبات التارك للمحرمات والمكروهات وبعض المباحات"(١).

"وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أنه قال في قوله تعالى:﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر:٣٢] قال: هم أمة محمد ﷺ ورثهم الله تعالى كل كتاب أنزله، فظالمهم يغفر له ومقتصدهم يحاسب حسابا يسيرا وسابقهم يدخل الجنة بغير حساب"(٢).

يقول الشيخ موسى جار الله :" فكل ما أنعم الله به على نبيه من فضل ونعمة، وكل ما نزل من عرش الله العظيم إلى نبيه الكريم فكله بعده لأمته، والأمة شريكة لنبيها في كل كمال كان له في حياته، ثم ورثته بعد مماته، وكل فضل وكل نعمة ذكرها القرآن لنبيه فقد ذكرها لأمته، ومثاله: قال سبحانه لنبيه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧]وقال عن أمته:﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١١٠] ، وقال لنبيه: ﴿وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾ [الفتح:٢]وقال لأمته: ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ [المائدة:٣] ، وقال لنبيه: ﴿وَيَنْصُرَكَ اللهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ [الفتح:٣]وقال لأمته: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الرُّوم:٤٧]فأوجب النصر على نفسه بقسم مؤكد وقال لنبيه: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ [الفتح:١] وقال﴿وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح:١٨] قال لنبيه:﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال:٦٢] وقال لأمته:﴿وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ [المجادلة:٢٢]"(٣).

إذاً الأمة معصومة عن الانحراف أو الزيغ عن دين الله عصمة هذا الدين لأنه دين خاتم النبيين، فلا حاجة للأمة لمن يعصمها من الانحراف لأنها لن تنحرف أبداً.

- كذلك ما تزعمه الشيعة من أن الأسباب التي توجب إرسال الأنبياء هي نفسها الأسباب التي توجب إرسال الأئمة وأن إرسال الأنبياء لطف من الله وكذلك إرسال الأئمة وزعمهم أن اللطف واجب على الله، هو نفس ما زعمه غيرهم من فرق الضلال الذين ادعوا النبوة لأصحابها مثل فرقة القاديانية، وهذا الزعم فيه قدح في عقيدة ختم النبوة قال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب:٤٠] ، وما أوجبوه على الله من لطف فهو باطل كذلك، لأن اللطف لو كان واجباً على الله تعالى لم يكن هناك حاجة لبعثة الأنبياء أصلاً ولم يكن لعاص أن يتيسر به أسباب عصيانه، والقرآن يرد عليهم، قال تعالى:﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ القَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة:١٣]وقال تعالى ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ [الأنعام:٤٤] .

---

(١) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، ٥٤٦/٦.

(٢) المصدر السابق .

(٣) الوشيعة في نقد عقائد الشيعة: موسى جار الله ، المقدمة ، لج.

يقول الإمام ابن تيمية بهذا الخصوص:" ويكفي أن مطلوبهم بالإمامة أن يكون لهم رئيس معصوم يكون لطفا في مصالح دينهم ودنياهم ، وليس في الطوائف أبعد عن مصلحة اللطف والإمامة منهم، فإنهم يحتالون على مجهول ومعدوم لا يرى له عين ولا أثر ، ولا يسمع له حس ولا خبر ، فلم يحصل لهم من الأمر المقصود بإمامته شيء...، فأي لطف يحصل لنا بهذا ؟ ثم كيف يجوز أن يكلفنا الله بطاعة شخص، نحن لا نعلم ما يأمرنا به ولا ما ينهانا عنه، ولا طريق لنا إلى معرفة ذلك بوجه من الوجوه ؟ وهم من أشد الناس إنكاراً لتكليف ما لا يطاق، فهل يكون في تكليف ما لا يطاق أبلغ من هذا؟"(١).

- **الآثار المترتبة على الاعتقاد ببدعة الإمامة:**

١. القول بتحريف القرآن لعدم ذكر الإمامة فيه وما تفرع عنها من عقائد ، ولمخالفته تلك العقائد.

٢. رد السنة النبوية واستبدالها بسنة جديدة – سنة الأئمة– تبعاً لما زعموه من عصمة الأئمة وأنهم كالأنبياء.

٣. تكفير الأمة الإسلامية وحصر الإيمان بالطائفة الاثنا عشرية، لأنها تفردت بأصول دين غير الذي أمنت به الأمة.

٤. ظهور عقائد جديدة لم يأتي بها النبي ﷺ ولا تعرفها الأمة .

٥. اتهام النبي بالقصور وعدم النجاح في تبليغ رسالته، وعدم البوح بعقائد الشيعة التي تدعيها.

٦. تنصيب شيوخ الشيعة آله في الأرض يفتون الناس بما شاؤوا تبعاً لنيابتهم عن إمامهم الغائب الموهوم وافترائهم الكذب على الله ورسوله(٢).

هذه أهم الآثار التي ترتبت على بدعة الإمامة وهناك آثار أخرى سوف تتكشف من خلال هذا البحث، أهمها نسف دين الله بالكلية وابتداع دين جديد.

---

(١) منهاج السنة النبوية: ابن تيمية ، ١/١٠٠-١٠٣.

(٢) انظر:المصدر السابق، ١/٤٧٤.

المبحث الثالث:

المعاد

تدعي الشيعة الاثنا عشرية بأنها تؤمن بيوم البعث والمعاد، وأن الله يبعث الناس بعد موتهم في خلق جديد في اليوم الموعود به، فيثيب المطيعين ويعذب العاصين، وكذلك يؤمنون بالجنة والنار[١].

فهل ما تدعيه الاثنا عشرية صحيح ؟.

لقد تحول اليوم الآخر عند الاثنا عشرية بسبب بدعة الإمامة إلى يوم غير اليوم الذي يعتقد به المسلمون، والذي أخبر به الله عز وجل وما جاءت به رسول الله[٢]، فمن شدة غلو هذه الطائفة أنهم أعطوا أمر اليوم الأخر للإمام يفعل فيه ما يشاء، فقد روى الكليني في كافيه عن أبي عبد الله قال:" أن الدنيا والآخرة للإمام يضعها حيث يشاء ويدفعها إلى من يشاء جائز له ذلك من الله..."[٣]

بل من شدة شططهم أنهم نسبوا إلى الأئمة محاسبة الناس قبل يوم القيامة – في الرجعة– ، وإنما يصيرون يوم القيامة إلى الجنة والنار، فقد نسب إلى أبي عبد الله أنه قال : إن الذي يلي حساب الناس قبل يوم القيامة الحسين بن علي عليه السلام ، فأما يوم القيامة فإنما هو بعث إلى الجنة وبعث إلى النار"[٤].

ونسبوا إلى أبي عبد الله أنه قال: إذا كان يوم القيامة وضع منبر يراه الخلائق يصعده رجل يقوم ملك عن يمينه وملك عن شماله، ينادي الذي عن يمينه: يا معشر الخلائق، هذا عليّ بن أبي طالب صاحب الجنّة يدخلها من يشاء، وينادي الذي عن يساره: يا معشر الخلائق، هذا عليّ بن أبي طالب صاحب النّار يدخلها من يشاء"[٥]

بل وصل بهم الأمر إلى القول بأن علي بن أبي طالب ﷺ ديان يوم القيامة ، فقد روي عن المفضل الجعفي ، عن أبي عبد الله قال: سمعته يقول: إن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب لديّان الناس يوم القيامة.."[٦]

وزعموا أن رسول الله ﷺ قال : إذا كان يوم القيامة يؤتى بك يا علي على عجلة من نور، وعلى رأسك تاج له أربعة أركان، على كل ركن ثلاثة أسطر: " لا إله إلا الله محمد رسول الله علي ولي الله وتعطى مفاتيح الجنة، ثم يوضع لك كرسي يعرف بكرسي الكرامة فتقعد عليه ثم يجمع لك الأولون والآخرون في صعيد واحد، فتأمر بشيعتك إلى الجنة و بأعدائك إلى النار، فأنت قسيم الجنة وأنت قسيم النار، ولقد فاز من تولاك وخسر من عاداك، فأنت في ذلك اليوم أمين الله وحجة الله الواضحة"[٧]

---

(١) عقائد الإمامية: محمد رضا المظفر ، ص ١٢٧، وانظر: الاعتقادات في دين الإمامية: الصدوق ، ص٦٤.

(٢) انظر: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية :د. ناصر القفاري ، ٦٢٩/٢.

(٣) أصول الكافي: الكليني، باب أن الأرض كلها للإمام عليه السلام، ٤٠٩/١.

(٤) بحار الأنوار: المجلسي، باب الرجعة، حديث رقم:١٣ ٤٣/٥٣.

(٥) المصدر السابق، باب أنه عليه السلام قسيم الجنة والنار، حديث رقم : ١٧، ٢٠٠/٣٩.

(٦) المصدر السابق نفسه، باب أنه عليه السلام قسيم الجنة والنار، حديث رقم: ١٦، ٢٠٠/٣٩.

(٧) المصدر السابق نفسه ، باب ثامن آخر في ذكر الركبان يوم القيامة، حديث رقم: ٣، ٢٣٣/٧

والروايات في هذا المعنى كثيرة أفرد لها المجلسي باباً في بحاره سماه :"أنه عليه السلام قسيم الجنة والنار وجواز الصراط"[١] ، وعقد البحراني باباً أخر في كتابه المعالم الزلفى سماه :"باب علي قسيم الجنة والنار"[٢].

وواضح من خلال الروايات السابقة أن الجنة التي يتحدثون عنها قصر على الشيعة فقط ، والنار لغيرهم، بل قد جاؤوا بروايات تقول بأنه لا يجوز أحد الصراط إلا ومعه جواز فيه ولاية علي ﷺ[٣] ، فقد نسبوا إلى النبي ﷺ أنه قال:" يا علي إذا كان يوم القيامة أقعد أنا وأنت وجبرائيل على الصراط فلا يجوز على الصراط إلا من كانت معه براءة بولايتك"[٤]

وما دام اليوم الآخر في نظرهم للإمام فإنَّ كل مراحل الحياة الأخروية صبغتها الشيعة بآثار غلوهم في الأئمة[٥]، بدءاً من دخول الميت قبره إلى أن يدخل الجنة أو النار.

ولقد ذهب شيوخ الشيعة تبعاً لتلك الروايات، فيذكر الحر العاملي :" أن حساب جميع الخلق يوم القيامة يكون للأئمة " [٦].

ويقول شيخهم المعاصر جعفر السبحاني:" أن سيدنا رسول الله والأئمة الاثنا عشر من بعده هم أصحاب الأعراف الذين لا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه، ولا يدخل النار إلا من أنكرهم وأنكروه[٧].

يتضح مما سبق بأنه ليس لله في اليوم الآخر شيء، فأئمتهم يفعلون كل شيء، والباري عز وجل ليس له من الأمر شيء بل الأمر كله لأئمتهم، فيقسمون الجنة للشيعة والنار لأعدائهم، فهل هذا إيمان بيوم الميعاد وهل هذا ما جاءت رسل الله منذرةً به؟!.

المناقشة:

من خلال ما سبق يتبين أن أماني الشيعة جعلت من يوم الميعاد يوماً لهم فقط وخاص بهم ، لا علاقة له بيوم الميعاد الذي أخبر به المولى عز وجل وجاءت رسل الله منذرةً به، بل هو يوم مشابه لأماني اليهود والنصارى، قال تعالى:﴿ **وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾[البقرة:١١١]، ونحن في ردنا على مزاعمهم فنقول كما قال الله تعالى لليهود

---

(١) المصدر السابق: ١٣٩/٣٩.

(٢) المعالم الزلفى: البحراني ، ص١٦٧.

(٣) بحار الأنوار: المجلسي ، باب أنه عليه السلام قسيم الجنة والنار، وجواز الصراط، ١٩٦/٣٩، و٧٠/٨.

(٤) المصدر السابق ، الباب الثاني والعشرون الصراط، اعتقادنا في الصراط...، ٧٠/٨.

(٥) أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية : د. ناصر القفاري ، ٦٣٠/٢.

(٦) الفصول المهمة في أصول الأئمة: الحر العاملي، تحقيق: محمد بن محمد الحسين القائيني، الطبعة الأولى، الناشر: مؤسسة معارف إسلامي إمام رضا ، ١٤١٨هـ، ٤٤٦/١.

(٧) أضواء على عقائد الشيعة الإمامية: الشيخ جعفر سبحاني، الطبعة الأولى ، الناشر: مؤسسة الإمام الصادق، ص٣٦٦، قم، ١٤٢١هـ، وانظر إلى الروايات التي تتحدث عن ذلك في بحار الأنوار : المجلسي ، ٣٣٩/٨.

والنصارى:﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة:١١١]. قال تعالى :﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ * ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَذَابَ الحَرِيقِ﴾ [الحج:٨-٩] .

إنما هذه العقيدة في اليوم الآخر تشبه من يدعو مع الله إلهاً آخر لا برهان له به قال تعالى:﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون:١١٧] .

فهم بادعائهم أن الدنيا والآخرة للإمام إنما يدّعون إلوهية الأئمة لأن ليس لأحد الآخرة والأولى إلا لله سبحانه وتعالى، يقول تعالى:" ﴿ فَلِلهِ الآَخِرَةُ وَالأُولَى﴾ [النَّجم:٢٥] .

وكذلك دعواهم حكم الأئمة في أمر الآخرة، هي دعوة لربوبية الأئمة ، لأنه لا أحد له الأمر في الآخرة إلا الله قال تعالى: ﴿ وَهُوَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الحَمْدُ فِي الأُولَى وَالآَخِرَةِ وَلَهُ الحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص:٧٠] . وقال تعالى:﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [آل عمران:١٢٨] .﴿ اللهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآَيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ [الرعد:٢] إلى غير ذلك من الآيات.

ويكفينا بياناً أن هذه العقيدة لا برهان لهم فيها لا في كتاب الله ولا في سنة رسول الله ﷺ الصحيحة، بل إن آيات الذكر الحكيم جاءت بضدها وأخبرت عن أماني من زعم مثلها من المزاعم وأنهم من أصحاب النار الخالدين فيها.

المبحث الرابع:

العدل

يعرف أكثر الاثنا عشرية العدل بقولهم:" هو تنزيه الباري تعالى عن فعل القبيح والإخلال بالواجب"[(١)]

ومنهم من توسع بزيادة تفصيل، فقال عبد الله شبر :" العدل هو اعتقاد أن الله تعالى عادل في مخلوقاته غير ظالم لهم لا يفعل قبيحاً ولا يخل بواجب في قضائه ولا يحيف في حكمته وابتلائه، يثيب المطيعين وله أن يعاقب العاصين ولا يكلف الخلق مالا يطيقون ولا يعاقبهم زيادة على ما يستحقون ولا يقابل مستحق الأجر والثواب بأليم العذاب والعقاب وأنه تعالى لم يجبر عباده على الأفعال لا سيما القبيحة ويعاقبهم عليها"[(٢)]

ومنهم من أخذ بما حكاه الشهرستاني عن المعتزلة بقوله:" وأما العدل كوصف للفعل الإلهي عند هؤلاء فهو كما ذكر الشهرستاني: ما يقتضيه العقل من الحكمة ومن إصدار الفعل على وجه الصواب والمصلحة"[(٣)]

وإلى ذلك ذهب شيخ الشيعة محمد آل كاشف الغطاء بتعريفه للعدل، حيث قال:" الاعتقاد بأن الله سبحانه لا يظلم أحداً، ولا يفعل ما يستقبحه العقل السليم"[(٤)]

ويعتبر الاثنا عشرية بأن العقل هو الحاكم على أفعال الله فما قبحه العقل فهو قبيح عند الله وما حسنه فهو حسن، وقد ترتب على ذلك بأن نفوا أن يكون الله خالقاً لأفعال العباد كونها تشتمل على القبيح الذي ينزه الله عن فعله، وقالوا لو كان الله خالقاً لأفعال العباد للزم إلحاقه بالسفهاء والجهال تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً[(٥)] ، وقد ترتب على هذه المسألة مسائل أخرى منها وجوب الصلاح والأصلح على الله تعالى، وجوب اللطف الإلهي، وجوب الأعواض على الآلام...إلخ.

وكذلك ترتب علي معتقد العدل عندهم لزوم اقتران أفعاله سبحانه وتعالى بالغايات والأغراض.

يقول شيخ الشيعة محمد آل كاشف الغطاء:" الحاكم في تلك النظريات هو العقل مستقلاً، ولا سبيل لحكم الشرع فيها إلا تأكيداً وإرشاداً، والعقل يستقل بحسن بعض الأفعال وقبح البعض الآخر، ويحكم بأن القبيح محال على الله تعالى لأنه حكيم، وفعل القبيح مناف للحكمة "[(٦)].

---

(١) النافع يوم الحشرفي شرح الباب الحادي عشر: العلامة الحلي ، شرح المقداد السيوري، ص٦٤، وكشف المراد في شرح تجديد الاعتقاد:الحلي، تحقيق: إبراهيم الموسوي الزنجاني، الطبعة الرابعة ، الناشر: انتشارات شكوري، قم، ص٣٢٧، رسائل الشريف المرتضى ، ضمن الحدود و الحقائق ، ٢٧٨/٢، والاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد، ص٤٧.

(٢) حق اليقين في معرفة أصول الدين: عبد الله شبر، ٨٣/١.

(٣) انظر: دراسات في العقيدة الإسلامية: محمد جعفر شمس الدين، ص٢٠٢.

(٤) أصل الشيعة وأصولها :محمد آل كاشف الغطاء ، ص ٢٢٩.

(٥) كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد: الحلي، ص٣٣١.

(٦) أصل الشيعة وأصولها : أل كاشف الغطاء ، ص ٢٢٩.

ويقول شيخ الشيعة جعفر السبحاني موضحاً نظريات تفسير العدل الإلهي: إن العقل البشري السليم يدرك بنفسه حسن الأفعال وقبحها ، ويعتبر الفعل الحسن علامة لكمال فاعله، والفعل القبيح علامة لنقص فاعله ، وحيث إن الله مستجمع بذاته لجميع صفات الكمال ، لهذا فإن فعله كامل ومحمود، وذاته المقدسة منزهة عن كل فعل قبيح...، وهذا هو ما اصطلح عليه في علم الكلام الإسلامي بمسألة الحسن والقبح العقليين ، ويسمى القائلون بهذه النظرية بالعدلية، ويقف في طليعتهم الشيعة الإمامية الاثنا عشرية ، وتقابل النظرية ، نظرية أخرى وهي أن العقل البشري عاجز عن إدراك الحسن والقبح في الأفعال حتى في صورتها الكلية ، وتحصر الطريق لمعرفة الحسن والقبح في الوحي الإلهي ، فما أمر به الله فهو حسن وما نهى عنه فهو قبيح، وعلى هذا الأساس فلو أمر الله بإلقاء إنسان بريء في النار، أو إدخال عاص في الجنة كان ذلك عين الحسن والعدل . وقول هذا الفريق هو : إن وصف الله بالعدل ليس إلا لكون هذا الوصف جاء في القرآن الكريم ليس إلا"(١).

المناقشة:

يعد المعتزلة أول من تكلم في مسألة العدل الإلهي، فهو الأصل الثاني من أصولهم الخمسة والسبب في ظهور ذلك المعتقد خوض المعتزلة في أفعال الله تعالى وجعل العقل مقياساً لها بحيث قاسوا أفعال الله على أفعالهم فما قبحوه لأنفسهم قبحوه لله وما رأوه حسناً فهو كذلك.

يقول القاضي عبد الجبار: " أنه تعالى لا يفعل القبيح أو لا يختاره، ولا يخل بما هو واجب عليه، وأن أفعاله كلها حسنة "(٢) ولقد ذكرنا ما حاكاه الشهرستاني عن المعتزلة في ذلك.

وقد تلقت الشيعة ذلك الأصل منهم وأولت العقل اهتمام خاصاً وجعلته الحاكم في أمور الدين، غير أن الشيعة الاثنا عشرية نسبت ذلك الأصل إلى أئمة آل البيت، وبالرغم من تلقي الشيعة معتقدهم في العدل الإلهي من المعتزلة ، إلا أنَّ هذا المعتقد فيه من التدليس والكذب، ولبس للحق بالباطل، وخاصة كلام شيخهم جعفر السبحاني الأخير، وهو مخالف لمنهج الحق الذي ينص أن العدل وضع كل شيء في موضعه وضده الظلم وهو وضع الشيء في غير موضعه وأن الله سبحانه وتعالى حكم عدل يضع الأشياء مواضعها ولا يضع شيئاً إلا في موضعه الذي يناسبه وتقتضيه الحكمة والعدل ولا يفرق بين متماثلين ولا يسوي بين مختلفين ولا يعاقب إلا من يستحق العقوبة فيضعها موضعها لما في ذلك من الحكمة والعدل وأما أهل البر والتقوى فلا يعاقبهم البتة قال تعالى:﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم:٣٥-٣٦]، وقوله تعالى:﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [ص:٢٨].

---

(١) العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت: جعفر السبحاني ، ص٩٤، ترجمة جعفر الهادي ، مؤسسة الإمام الصادق ، قم – إيران ، ١٤١٩هـ –١٩٩٨م.

(٢) شرح الأصول الخمسة : القاضي عبد الجبار، ص٣٠١.

وقال سبحانه وتعالى :﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية:٢١] (١) .

وقد تنزه الله تعالى عن الظلم فقال سبحانه:﴿ إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [يونس:٤٤]وقال في الحديث القدسي الذي يرويه الرسول ﷺ عنه:" يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا..."(٢)، وذلك لكمال عدله لا أنه عاجز عنه ولو قد أنه عذب من يشاء لم يكن لأحد منعه كما قال تعالى:﴿ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَللهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة:١٧] ، لكنه سبحانه منزه عن فعل ما هو ظلم مع قدرته عليه لأنه السلام القدوس المستحق للتنزيه عن السوء(٣).

ولقد رد الإمام ابن تيمية على ما نسبه الشيعة لأهل السنة بأن الله لو ألقى إنسان بريء في النار أو أدخل عاص الجنة كان ذلك عين عدله، بأن قال:" فهذا فرية على أهل السنة ليس فيهم من يقول إن الله يعذب نبيا ولا مطيعا ولا من يقول إن الله يثيب إبليس وفرعون بل ولا يثيب عاصيا على معصيته لكن يقولون إنه يجوز أن يعفو عن المذنب من المؤمنين وأنه يخرج أهل الكبائر من النار فلا يخلد فيها أحداً من أهل التوحيد ويخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان والإمامية توافقهم على ذلك وأما الاستحقاق فهم يقولون إن العبد لا يستحق بنفسه على الله شيئا وليس له أن يوجب على ربه شيئا لا لنفسه ولا لغيره ويقولون إنه لا بد أن يثيب المطيعين كما وعد فإنه صادق في وعده لا يخلف الميعاد فنحن نعلم أن الثواب يقع لإخباره لنا"(٤).

- **وأما ما ذهبت إليه الشيعة من تحكيم للعقل على أفعال الله فهو باطل من وجوه هي :**

أولاً: لأنه منهج قائم على رد الكتاب والسنة.

إذ زعموا أن هذا الأصل لا يجوز الاحتجاج عليه من الكتاب والسنة ولا مجال فيه إلا للعقل، فهم بذلك ردوا كل نصوص الكتاب التي جاءت مصرحة بخلاف هذا المعتقد وأن الله خالق كل شيء، وأنه يفعل ما يريد ، وأنه يهدي من يشاء ويضل من يشاء، وأولوها بما توافق أهواءهم، وكذلك ردوا كل نصوص السنة الصحيحة واستبدلوها بما أحدثته أيديهم من روايات فاسدة باطلة شرعاً وعقلاً.

---

(١) انظر: جامع الرسائل: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، الناشر: دار العطاء، الطبعة الأولى، الرياض، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، ١/١٢٩-١٣٠، ومنهاج السنة النبوية: ابن تيمية، ١/٤٦٨.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، حديث رقم: (٢٥٧٧).

(٣) الصلة بن التشيع والاعتزال:محمد الجدعاني، ٢/١٨٧.

(٤) منهاج السنة النبوية : ابن تيمية ، ١/٤٦٦-٤٦٧.

ثانياً: ولأنه منهاج قائم على تشبيه الله تعالى بخلقه، إذ حكموا عليه بأنه يحسن منه ما حسن منا ويقبح منه ما قبح منا.

قال الإمام ابن حزم:" وقد علم المسلمون أن الله تعالى عدل لا يجور ولا يظلم ومن وصفه عز وجل بالظلم والجور فهو كافر ولكن ليس هذا على ما ظنه الجهال من أن عقولهم حاكمة على الله تعالى في أن لا يحسن منه إلا ما حسنت عقولهم وأنه يقبح منه تعالى ما قبحت عقولهم وهذا هو تشبيه مجرد لله تعالى بخلقه إذ حكموا عليه بأنه تعالى يحسن منه ما حسن منا ويقبح منه ما قبح منا ويحكم عليه في العقل بما يحكم علينا[١].

ولذلك رأى كثير من العلماء كالجويني [٢]وابن حزم ، وابن تيمية وغيرهم أن منهج الشيعة-العدلية- قادهم إلى الوقوع في التشبيه حيث ألحقوا أفعال الله جل جلاله بأفعال الخلق ، ومن ثم فهم مشبهة في الأفعال.

والحق في هذه المسألة ما ذكره ابن حزم حين قال:" وإنما الحق هو أن كل ما فعله الله عز وجل، أي شيء كان فهو منه عز وجل حق وعدل وحكمة، وإن كان بعض ذلك منا جورًا وسفهًا، وكل ما لم يفعله الله عز وجل فهو الظلم والباطل والعبث... وأما إجراؤهم الحكم على الباري تعالى بمثل ما يحكم به بعضنا على بعض فضلال بيّن"[٣].

ثالثاً: ما توصلت إليه عقول الشيعة من إنكار خلق الله لأفعال العباد نتيجة باطلة وفاسدة، وبسبب عدم التفريق بين أمرين:" ما هو فعل له – سبحانه وتعالى- تستلزم محبته وقوعه منه وبين ما هو مفعول له لا من عبده وإذا عرف هذا فالظلم والكفر والفسوق والعصيان وأنواع الشرور واقعة في مفعولاته المنفصلة التي لا يتصف بها دون أفعاله القائمة به ومن انكشف له هذا المقام فهم معنى قوله ﷺ والشر ليس إليك فهذا الفرق العظيم يزيل أكثر الشبه التي حارت لها عقول كثير من الناس في هذا الباب وهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلي صراط مستقيم فما في مخلوقاته ومفعولاته تعالى من الظلم والشر فهو بالنسبة إلى فاعله المكلف الذي قام به الفعل كما أنه بالنسبة إليه يكون زنا وسرقة وعدوانا وأكلا وشربا ونكاحا فهو الزاني السارق الآكل الناكح، والله خالق كل فاعل وفعله وليست نسبة هذه الأفعال إلي خالقها كنسبتها إلي فاعلها الذي قامت به كما أن نسبة صفات المخلوقين إليه كطوله وقصره وحسنه وقبحه وشكله ولونه ليست كنسبتها إلي خالقها فيه ...، فكما أن صفات المخلوق ليست صفات لله بوجه وإن كان هو خالقها فكذلك أفعالهم ليست أفعالاً لله تعالى ولا إليه وإن كان هو خالقها"[٤].

---

(١) الفصل في الملل و الأهواء والنحل: ابن حزم الظاهري، ، ١٣٧/٣.

(٢) الجويني : إمام الحرمين عبد الملك بن أبي محمد عبد الله بن يوسف الجويني الأصولي ،المتكلم ، الفقيه الشافعي ، ولد سنة 419هـ ، وتوفي 478 هـ ، من مؤلفاته : الإرشاد والشامل ، (انظر : طبقات الشافعية الكبرى، ٢٤٩/٣).

(٣) انظر:الفصل في الملل و الأهواء والنحل : ابن حزم الظاهري ، ١٣٨/٣.

(٤) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة: ابن القيم الجوزية، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ١١١/٢-١١٢.

رابعاً: بيان الوجه الحق في خلق أفعال العباد:

إن المنهج الحق في مسألة خلق أفعال العباد هو مذهب أهل السنة والجماعة الذي يتوسط بين ضلالتين، ضلالة القدرية القائلين: لا يتم تنزيه الله عن الظلم إن لم يُجعل غير خالق لشيء من أفعال العباد وغير شاء لجميع الكائنات ، بل يشاء ما لا يكون ويكون مالا يشاء إذ المشيئة عندهم الأمر، فهؤلاء فهموا من نصوص الذكر الحكيم حرية الإنسان المطلقة. وضلال الجبرية معطلة الأفعال فإنهم يعطلون فعل العبد ويقولون : ليس بفاعل ولا قادر على الفعل ولا له قدرة مؤثرة في المقدور . وأما الرب فيقولون : خلق ما خلق لا لحكمة أصلاً فعطلوا حكمته وقالوا: إنه يجوز أن يعذب جميع الخلق بلا ذنب فعطلوا عدله، وهؤلاء فهموا من نصوص الذكر الحكيم نفاذ مشيئته في ملكه وتصرفه فيه[1].

أما أهل السنة والجماعة فقد جمعوا بين نصوص الكتاب، فأثبتوا حرية الإنسان وفعله حقيقة، وأثبتوا للباري تعالى علمه وخلقه ومشيئته حقيقة[2].

(١) انظر: جامع الرسائل : ابن تيمية ، ١/١٢٣-١٢٨.

(٢) انظر: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل:محمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزية، خرج نصوصه وعلق عليه: مصطفى أبو النصر الشلبي، الناشر: مكتبة السوادي للتوزيع ص ١٢٥، ١٣٠.

المبحث الخامس:

النبوة.

تقول الاثنا عشرية أنها تؤمن برسل الله جميعاً، وعدت الإيمان بهم من أصول دينها الخمسة التي أرسى دعائمها شيخهم المفيد، فهم يعتقدون أن النبوة وظيفة إلهية وسفارة ربانية ، يجعلها الله تعالى لمن ينتجبه ويختاره من عباده الصالحين ، فيرسلهم إلى سائر الناس لغاية إرشادهم إلى ما فيه منافعهم ومصالحهم في الدنيا والآخرة [1]، وكذلك يقولون أن النبي محمد خاتم الأنبياء والمرسلين.

فيقرر محمد رضا المظفر عقيدة الشيعة في الأنبياء وكتبهم بقوله:" نؤمن على الإجمال بأن جميع الأنبياء والمرسلين على حق، كما نؤمن بعصمتهم وطهارتهم وأما إنكار نبوتهم أو سبهم أو الاستهزاء بهم فهو من الكفر والزندقة ، لأن ذلك يستلزم إنكار نبينا الذي أخبر عنهم وصدقهم"[2]

هذه عقيدة الشيعة في الأنبياء من الجانب النظري فهل هي كذلك في الجانب العملي؟.

لقد عدت الشيعة الإمامة من توابع النبوة وفروعها[3]، فأدى بهم إلى هدم عقيدتهم في النبوة بالكلية ، فقد زعموا أن الأئمة يوحى إليهم، فجعلوا منهم أنبياء مفروض طاعتهم وأوجبوا الأخذ بأقوالهم كأقوال النبي بلا فرق وإن رفضوا مسمى النبوة، بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك بأن جعلوا لهم منزلة لا يصل إليها ملك مقرب ولا نبي مرسل، ففضلوهم على رسل الله صلوات الله عليهم وسلامه قاطبة، حتى على أولي العزم منهم، وذهبوا إلى إهانة بعض من أنبياء الله انتصاراً لبدعة الإمامة، وهذا الكلام ليس تجني على هذه الطائفة أو محض افتراء عليهم، فرواياتهم تعج بذلك وأقول علمائهم تضاف عليها، وهذا ما نعطي صورة عنه من خلال الأتي:

أولاً: الغلو في الأئمة وتفضيلهم على رسل الله.

يقول نعمة الله الجزائري مبيناً رأي الإثنا عشرية في المفاضلة بين الأنبياء والأئمة:" اعلم أنه لا خلاف بين أصحابنا رضوان الله عليهم في أشرفية نبينا على سائر الأنبياء عليهم السلام للأخبار المتواترة وإنما الخلاف في أفضلية أمير المؤمنين والأئمة الطاهرين عليهم السلام على الأنبياء ما عدا جدهم ، فذهب جماعة: إلى أنهم أفضل من باقي الأنبياء ما خلا أولي العزم فإنهم أفضل من الأئمة ، وبعضهم إلي المساواة، وأكثر المتأخرين إلى أفضلية الأئمة عليهم السلام على أولي العزم وغيرهم، وهو الصواب"[4].

ومن قبله ينقل لنا المفيد إجماع قوم من الإثنا عشرية على أفضلية الأئمة على رسل الله ما خلا النبي ﷺ فيقول:" قد قطع قوم من أهل الإمامة بفضل الأئمة من آل محمد ﷺ على سائر من تقدم من الرسل والأنبياء سوى نبينا محمد ﷺ"[5].

---

(١) عقائد الإمامية: محمد رضا المظفر ، ص٤٨.

(٢) المصدر السابق: ص٥٥-٥٦.

(٣) النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر: العلامة الحلي ، ص٩٤،

(٤) الأنوار النعمانية: نعمة الله الجزائري، ١/ ٢٠ – ٢١.

(٥) أوائل المقالات في المذاهب والمختارات : المفيد ، ص٤٩ .

ويقول خاتمة مجتهدين الشيعة محمد باقر المجلسي:"... وإنهم –أي الأئمة– أفضل وأشرف من جميع الأنبياء سوى نبينا صلوات الله عليه وعليهم"[١].

وتبعاً لذلك عقد المجلسي في بحار الأنوار باباً أسماه:" باب تفضيلهم عليهم السلام على الأنبياء وعلى جميع الخلق وأخذ ميثاقهم عنهم وعن الملائكة وعن سائر الخلق، وأن أولي العزم إنما صاروا أولي العزم بحبهم صلوات الله عليهم " [٢] روى فيه ثمان وثمانون رواية !.

منها ما نسبه إلى جعفر الصادق قوله :" عن النبي قال في وصية له: يا علي إن الله عز وجل أشرف على الدنيا فاختارني منها على رجال العالمين ، ثم اطلع الثانية فاختارك على رجال العالمين بعدي ثم اطلع الثالثة فاختار الأئمة من ولدك على رجال العالمين ، ثم اطلع الرابعة فاختار فاطمة على نساء العالمين"[٣].

وما نسبه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال:" إن الله خلق أولي العزم من الرسل وفضلهم بالعلم وأورثنا علمهم وفضلنا عليهم في علمهم، وعلم رسول الله ﷺ ما لم يعلموا، وعُلمنا علم الرسول وعلمهم"[٤].

بينما نجد أعلى مرجع شيعي في عصرنا الحاضر – الخميني– يذهب إلى تفضيل الأئمة على رسل الله قاطبةً قائلاً:" فإن للإمام مقاما محموداً، ودرجة سامية، وخلافة تكوينية تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون. وإن من ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا مقاماً لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل".

ولعل الخميني في كلامه الأخير كان يقصد أن يشير إلى الرواية التي رواها الكليني في كافية حيث روى بسنده قال أبو عبد الله:" أن عندنا والله سراً من أسرار الله وعلما من علم الله، والله ما يحتمله ملك مقرب ولا نبي مرسل"[٥].و الرواية التي رواها المجلسي في بحاره والتي جاء فيها على لسان أحد الأئمة:"... جعل الله لي ما لم يجعل لأحد من الأولين والآخرين لا لنبي مرسل ولا لملك مقرب"[٦].

---

(١) مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول:محمد باقر المجلسي، تحقيق: جعفر الحسيني، الناشر: دار الكتب الإسلامية ، طهران، ١٤١٠هـ، ٢/٢٩٠.

(٢) بحار الأنوار :المجلسي، ٢٦/٢٦٧

(٣) المصدر السابق: باب تفضيلهم عليهم السلام على الأنبياء وعلى جميع الخلق، وأخذ ميثاقهم عنهم...، حديث رقم: ٢٦/٢٧٠-٢٧١.

(٤) بصائر الدرجات: محمد بن الحسن الصفار ، ص٦٢، وبحار الأنوار: المجلسي: باب علمه ﷺ وما دفع إليه من الكتب والوصاية...، حديث رقم:٣٣ ، ١٧/١٤٥.

(٥) أصول الكافي: الكليني ، كتاب الحجة، باب فيما جاء أن حديثهم صعب مستصعب، حديث رقم: ٥، ١/٤٠٢.قال المجلسي: الحديث ضعيف على المشهور(مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول ، المجلسي، ٤/٣١٩).

(٦) بحار الأنوار : المجلسي، باب نادر في معرفتهم صلوات الله عليهم بالنورانية، وفيه جمل من فضائلهم عليهم السلام، ٢٦/٥.

ثانياً: إهانة أنبياء الله ومعاقبتهم.

١. معاقبة الأنبياء المنكرين لولاية علي ﷺ والتوسل بالأئمة.

وفي ذلك يروى المجلسي في بحاره عن الحارث بن حبة العرني قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام: إن الله عرض ولايتي على أهل السماوات وعلى أهل الارض أقر بها من أقر، وأنكرها من أنكر، أنكرها يونس فحبسه الله في بطن الحوت حتى أقر بها"[١]. قال المجلسي في بيان المراد بالإنكار عدم القبول التام وما يلزمه من الاستشفاع والتوسل بهم[٢] .

وروي عن أبي حمزة الثمالي قال: دخل عبد الله بن عمر على زين العابدين عليه السلام وقال له : يا ابن الحسين أنت الذي تقول : إن يونس بن متى إنما لقي من الحوت ما لقي ؟ لأنه عرضت عليه ولاية جدك فتوقف عندها ؟. قال عليه السلام : بلى ثكلتك أمك . قال : فأرني آيه ذلك إن كنت من الصادقين. فأمر بشد عينه بعصابة وعيني بعصابة ثم أمر بعد ساعة بفتح أعيننا فإذا نحن على شاطئ بحر تضطرب أمواجه فقال ابن عمر: يا سيدي دمي في رقبتك الله الله في نفسي . ثم قال عليه السلام : أيتها الحوت قال : فاطلع الحوت رأسه من البحر مثل الجبل العظيم وهو يقول : لبيك لبيك يا ولي الله. فقال : من أنت ؟ قال : أنا حوت يونس يا سيدي إن الله لم يبعث نبيا من آدم إلى أن صار جدك محمدا ﷺ إلا وقد عرض عليه ولايتكم أهل البيت فمن قبلها من الأنبياء سلم وتخلص ومن توقف عنها وتتعتع، في حملها لقي ما لقي آدم عليه السلام من المصيبة، وما لقي نوح عليه السلام من الغرق، وما لقي إبراهيم عليه السلام من النار، وما لقي يوسف عليه السلام من الجب، وما لقي أيوب عليه السلام من البلاء، وما لقي داود عليه السلام من الخطيئة ،إلى أن بعث الله يونس عليه السلام فأوحى الله إليه أن يا يونس تول أمير المؤمنين عليا والأئمة الراشدين من صلبه . فقال كيف أتولى من لم أره ولم أعرفه ؟ وذهب مغاضبا فأوحى الله تعالى إليّ أن التقمي يونس ولا توهني له عظما فمكث قي بطني أربعين عاما يطوف معي البحار في ظلمات ثلاث ينادي : أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين قد قبلت ولاية علي بن أبي طالب والأئمة الراشدين من ولده عليهم السلام . فلما آمن بولايتكم أمرني ربي فقذفته على ساحل البحر "[٣].

٢. خضوع الأنبياء عليهم السلام لعلي ﷺ:

فقد زعمت الشيعة أن رسول الله ﷺ قال:"والذي نفسي بيده ما استوجبن آدم أن يخلقه الله وينفخ فيه من روحه وأن يتوب عليه ويرده إلى جنته إلا بنبوتي والولاية لعلي بعدي. والذي نفسي بيده ما رأى

(١) بحار الأنوار : المجلسي، باب قصة يونس وأبيه متى ، حديث رقم: ١٠، ٣٩١/١٤.

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) الأنوار النعمانية: نعمة الله الجزائري، ٢٤/١- ٢٥، وانظر: إلى الرواية كاملة فيي بحار الأنوار ، المجلسي، باب قصة يوسف وأبيه متى، حديث رقم: ١٥، ٤٠١/١٤.

إبراهيم ملكوت السموات ولا اتخذه الله خليلا إلا بنبوتي ومعرفة علي بعدي. والذي نفسي بيده ما كلـم الله موسى تكليم ولا أقام عيسى آيه للعالمين إلا بالخضوع لعلي عليه السلام..."[1].

فانظر إلى سفه هؤلاء الغلاة في أنبياء الله، فآدم عليه السلام لم يتب الله تعالى عليه ولم يرده إلى الجنة إلا بالإقرار بنبوة محمد ﷺ وبالولاية لعلي ﷺ ، وكذلك إبراهيم عليه السلام لم يتخذه الله خليلا، ولم يكلم الله تعالى موسى عليه السلام، ولم يبعث الله عيسى عليه السلام إلا بذلك، وهذا نبي الله يونس عليه السلام يفرضوا له العقوبة بسبب عدم ولايته للأئمة !!، فأي سفه هذا وأي حقد لم يسلم منه حتى أنبياء الله.

كما لم تسلم كتب الأنبياء السابقة ولا ما بعثوا من أجله، فقد زعموا أن ولاية علي مكتوبة في جميع صحف الأنبياء، وأنه لم يبعث الله رسولاً إلا بالإقرار بالوصية على علي وأولاده [2].

٣. اتهام النبي محمد ﷺ وسائر الأنبياء بعدم النجاح في إرساء قواعد العدالة في العالم.

فقد بلغ بالخميني الشطط بأن ادعى أنَّ الأنبياء لم ينجحوا بإرساء القواعد العادلة حتى النبي محمد ﷺ وإنما الذي سيرسي تلك القواعد غائبهم الموهوم، حيث قال:" لقد جاء الأنبياء جميعاً من أجل إرساء قواعد العدالة في العالم، لكنهم لم ينجحوا، حتى النبي محمد خاتم الأنبياء الذي جاء لإصلاح البشرية وتنفيذ العدالة وتربية البشر لم ينجح في ذلك، وأن الشخص الذي سينجح في ذلك ويرسي قواعد العدالة في جميع أنحاء العالم في جميع مراتب إنسانية الإنسان وتقويم الانحرافات هو المهدي المنتظر..."[3] .

هل أبقى الشيعة من الإيمان بالأنبياء شيء؟، إن كل ما يؤمن به الشيعة من نبوة الأنبياء أن الأئمة أفضل منهم وأعلى منزلة، و أنهم جاؤوا فقط للإقرار بولاية علي ﷺ، وأن الصحف التي جاؤوا بها قد أفادت بإمامة علي ﷺ ، وأن بعضاً من الأنبياء عرضت عليه ولاية علي فرفضها فعاقبه الله عليها ، بل إن علي بن أبي طالب ﷺ كان معهم في نبوتهم فقد أرسله الله مؤيداً لهم باطنا –بزعمهم–.

إن من يدعي هذا السفه من الكلام ، ويدعي أن هناك أناس أفضل من الأنبياء وأنهم يوحى إليهم، إنما هو مدع نبوتهم وإن زين كلامه بما شاء من زخرف الكلام.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " فمن جعل بعد الرسول معصوماً يجب الإيمان بكل ما يقوله، فقد أعطاه معنى النبوة وإن لم يعطه لفظها "[4]، ومعلوم من جعل نبي بعد رسول الله ﷺ، أو قدح في أحد الأنبياء كما فعلت الاثنا عشرية فيما بيناه سابقاً خرج من دين الإسلام ، بل واجب قتله باتفاق العلماء.

قال الإمام ابن تيمية:" فالإيمان بما جاء به النبيون مما أمرنا أن نقوله ونؤمن به وهذا مما اتفق عليه المسلمون: أنه يجب الإيمان بكل نبي ، ومن كفر بنبي واحد فهو كافر ، ومن سبه وجب قتله باتفاق العلماء"[5].

---

(١) بحار الأنوار: المجلسي، باب تفضيلهم عليهم السلام على الأنبياء وعلى جميع الخلق..،حديث رقم: ٥٦، ٢٩٤/٢٦.

(٢) انظر: أصول الكافي: الكليني، كتاب الحجة، باب فيه نتف وجوامع من الرواية في الولاية، حديث رقم:٦، ٤٣٨/١. قال عنه المجلسي: صحيح، (مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول: المجلسي، ٣٠٢/١١).

(٣) الحكومة الإسلامية: الخميني، ص٥٢.

(٤) منهاج السنة: ابن تيمية، ١١٥/٦.

(٥) المصدر السابق: ١٨٨/٦–١٨٩.

هذه هي أصول الدين عند الاثنا عشرية ، وكما ذكرنا سابقاً فإن هذه الأصول تلوثت ببدعة الإمامة حتى أنه يمكن القول بأن أصول الدين عند الاثنا عشرية هو أصل واحد هو الإمامة والباقي فروع لها، فتوحيد الله إن لم يقرن بالإقرار بالإمامة فليس توحيد، والمرء مهما تقرب إلى الله بألوان العبادات والأعمال الصالحات والدعوات المأثورات إن لم تقرن بالإقرار بإمامة الأئمة فلا وزن لها، وإن لم يتوسط الأئمة بها فلا تقبل عند الله، فلم يخلق الكون إلا لأجل الأئمة، ولم يجعل يوم الميعاد إلا لهم، وأن من موجبات عدله سبحانه وتعالى إرساله لهم، و من تمام عدله الانتقام من منكر الإمامة، وأنه لم يبعث الرسل إلا ليقروا للأئمة بالإمامة، وأنهم أفضل منهم ...إلى غير ذلك من هذه البدع والخرافات ، ومن أراد المزيد فليرجع لأي كتاب من كتب الشيعة وليتصفحه فيرى مدى أثر تلك البدعة على كتاباتهم وأقوالهم، ويرى كيف يستدلون بالأقوال المبتدعة التي ينسبونها للأئمة لإثبات أصول دينهم ويجعلونها دينا.

وفي الحقيقة إن هذه الأصول التي ابتدعها الاثنا عشرية لا علاقة لها بأصول آل البيت وهم براء منها، وهذا ما أكد عليه شيخ الإسلام ابن تيمية حين قال:" إن الإمامية لم يأخذوا مذهبهم عن أهل البيت: لا الاثنا عشرية ولا غيرهم ، بل هم مخالفون لعلي ﷺ وأئمة أهل البيت في جميع أصولهم التي فارقوا فيها أهل السنة والجماعة : توحيدهم، وعدلهم، وإمامتهم، فإن الثابت عن علي وأئمة أهل البيت من إثبات الصفات لله وإثبات القدر ، وإثبات خلافة الخلفاء الثلاثة ، وإثبات فضيلة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، وغير ذلك من المسائل كله يناقض مذهب الرافضة. والنقل بذلك ثابت مستفيض في كتب أهل العلم، بحيث أن معرفة المنقول في هذا الباب عن أئمة أهل البيت يوجب علماً ضرورياً بأن الرافضة مخالفون لهم لا موافقون لهم"(١).

---

(١) المصدر السابق ٤/١٦-١٧

الباب الثاني
تعريف الصفات الإلهية وتطور عقيدة الشيعة الاثنا عشرية فيها

الفصل الأول: تعريف الصفات الإلهية وأقسامها عند الشيعة.

المبحث الأول: تعريف الصفات الإلهية

المطلب الأول: الصفات الإلهية في اللغة واصطلاح أهل السنة.

المطلب الثاني: مفهوم الصفات الإلهية عند الشيعة

المطلب الثالث: مناقشة مفهوم الشيعة للصفات.

المبحث الثاني: أقسام الصفات عند الشيعة وعلاقتها بالذات.

المطلب الأول: الصفات السلبية –صفات الجلال-:

المطلب الثاني: مناقشة الصفات السلبية عند الشيعة.

المطلب الثالث: الصفات الثبوتية وأقسامها عند الشيعة الاثنا عشرية.

المطلب الرابع : مناقشة الصفات الثبوتية.

الفصل الثاني: تطور معتقد الشيعة في الصفات الإلهية.

المبحث الأول: ظهور التشبيه على يد الشيعة الأوائل.

المطلب الأول: علماء الاثنا عشرية المشبهة ومقالتهم في التشبيه.

المطلب الثاني: روايات كتب الشيعة التي تثبت ظهور التشبيه والتجسيم بين صفوفهم.

المطلب الثالث: روايات التشبيه والتجسيم في الكتب المعتمدة عند الاثنا عشرية.

المبحث الثاني: ظهور التعطيل في الشيعة المتأخرين.

المطلب الثاني: رسوخ التعطيل في الشيعة وتبني الطائفة بأكملها لأقوال المعتزلة.

المطلب الأول: بداية تأثر أفراد من الشيعة بآراء المعتزلة واعتناق أفكارهم.

المبحث الثالث: تأثر الشيعة بالمعتزلة في نفي الصفات.

المطلب الأول: رأي المعتزلة في الصفات الإلهية.

المطلب الثاني: رأي الشيعة في تلقي معتقدهم من المعتزلة.

الفصل الأول
تعريف الصفات الإلهية وأقسامها عند الشيعة

المبحث الأول: **تعريف الصفات الإلاهية**

المطلب الأول: الصفات الإلهية في اللغة واصطلاح أهل السنة.

المطلب الثاني: مفهوم الصفات الإلهية عند الشيعة

المطلب الثالث: مناقشة مفهوم الشيعة للصفات.

المبحث الثاني: **أقسام الصفات عند الشيعة** .

المطلب الأول: الصفات السلبية –صفات الجلال-:

المطلب الثاني: مناقشة الصفات السلبية عند الشيعة.

المطلب الثالث: الصفات الثبوتية وأقسامها عند الشيعة الاثنا عشرية.

المطلب الرابع : مناقشة الصفات الثبوتية.

المبحث الأول:
تعريف الصفات الإلهية

المطلب الأول: الصفات الإلهية في اللغة واصطلاح أهل السنة.

أولاً : الصفة في اللغة:

" وَصَف الشيء له وعليه وصفاً وصفةً، قال تعالى:﴿ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء:١١٢]، والصفة كالعلم والسواد"(١).

والصفة: هي الاسم الدال على بعض أحوال الذات(٢)، وهي الأمارة اللازمة بذات الموصوف الذي يُعرف بها (٣)، وهي ما وقع الوصف مشتقاً منها ، وهو دالٌّ عليها ، وذلك مثل العلم والقدرة ونحوه(٤).

والصفة في المصباح المنير:" وصف وصفاً من باب وعد نعته بما فيه وقيل هي مأخوذة من قولهم وَصَفَ الثوب الجسم إذا أظهر حاله وبين هيئته ويقال الصِّفَةُ إنما هي بالحال المنتقلة والنَّعْتُ بما كان في خَلق أو خُلق و الصِّفَةُ من الوَصْفِ مثل العدة من الوعد و الجمع صِفَاتٌ"(٥)

والصفة في المعجم الوسيط: الحالة التي يكون عليها الشيء من حليته ونعته وصفاً وصفةً : نعته بما فيه وقيل وصفت الشيء وصفاً وصفة والصفَةُ كالعلم والجهل والسواد والبياض والوصف قد يكون حقاً وباطلاً، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الكَذِبَ﴾ [النحل:١١٦].

يتضح مما سبق أن الصفة في اللغة تأتي بمعنى الحالة التي يكون عليها الشيء سواء حقاً أو باطلاً والنعت الدال على أحوال الذات.

---

(١) انظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة وصف، ٣٥٦/٩.

(٢) انظر: التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، الطبعة الأولى ، دار الفكر المعاصر، بيروت، دمشق، ١٤١٠هـ ، ص٤٥٨.

(٣) التعريفات: علي بن محمد بن علي الجرجاني، ص١٧٥.

(٤)الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي ، تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري، الطبعة الثانية ، الناشر: مؤسسة الرسالة ، – بيروت – ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م، ص٥٤٦.

(٥) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي :أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، الطبعة الخامسة ، الناشر: المطبعة الأميرية ، القاهرة ، ١٩٢٢م، ٩١١/٢.

ثانياً: الصفات الإلهية في اصطلاح أهل السنة:

الصفة في اصطلاح أهل السنة هي:" ما قام بالذات الإلهية مما يميزها عن غيرها، ووردت بــه نصوص الكتاب والسنة" [(١)].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "إن حقيقة الصفة هي ما قام بالموصوف، فإن كــل موصــوف لا يوصف إلا بما قام به لا بما هو مباين له صفة لغيره"[(٢)].

ويعرف الإمام الباقلاني[(٣)] الصفة فيقول :" هي الشيء الذي يوجد بالموصــوف أو يكــون لــه، ويكسبه الوصف الذي هو النعت الذي يصدر عن الصفة"[(٤)] .

وعرفت الجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالسعودية الصفات بأنها : " نعوت الكمال القائمــة بالذات ؛ كالعلم والحكمة والسمع والبصر"[(٥)]

يتضح مما سبق بأن تعريف أهل السنة للصفة يوافق تعريف الصفة في اللغة ،وعليه فإن كل ذات يجب أن تكون متصفة بصفات ، فلا يوجد ذات مجردة من الصفات، بل الموجود ذات متصفة بصفات.

المطلب الثاني: مفهوم الشيعة للصفات الإلهية.

تطور مفهوم الصفات الإلهية عند الاثنا عشرية وفقاً لتطورات عقائد هذه الطائفة وبما تأثرت به من أصحاب البدع والأهواء الذين انخرطوا في ركابها لهدم الإسلام وتخريبه، فقد تأثر أوائل الاثنا عشرية باليهود والنصارى والمجوس، فأخذوا عنهم المغالاة في إثبات الصفات لله تعالى فشبهوا صفات الباري عز وجل بصفات المخلوقين فكانوا أوّل من أدخل التجسيم والتشبيه على المسلمين، بينما تأثر متأخروهم بآراء فلاسفة الاعتزال، بعد أن دارت بينهم معارك كلامية أدت إلى نسف معتقدهم في التشبيه والتجسيم ، فتبنى متأخروا الشيعة أفكار هؤلاء الفلاسفة في صفات الله تعالى، والتي مؤداها نفي الصفات عــن الله تعــالى، فكانوا آخر من دام على التعطيل، وفيما يلي بيان مفهوم الصفات عند أوائل الاثنا عشرية ومتأخريهم:

---

(١) مجموع فيه الصفات الإلهية ومعه موقف الطوائف من توحيد الأسماء والصفات: محمد بن خليفة بن علــي التميمــي، الناشر: أضواء السلف ، الطبعة الأولى، الرياض، ١٤٢٢هـــ -٢٠٠٢م، ص١٢، انظر: شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة : سعيد بن علي بن وهف القحطان ، راجعه عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين، ص١٢٦.

(٢) مجموع الفتاوى: ابن تيمية ، ٣١٨/٦.

(٣)الباقلاني: هو محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر، أبو بكر: قاض، من كبار علماء الكلام. انتهت إليه الرياسة في مذهب الأشاعرة. ولد في البصرة، وسكن بغداد وتوفي فيها. كان جيد الاستنباط، سريع الجواب. وجهه عضد الدولة سفيرا عنه إلى ملك الروم، فجرت له في القسطنطينية مناظرات مع علماء النصرانية بين يدي ملكها. من كتبه: إعجاز القرآن. والإنصاف. والتمهيد، في الرد على الملحدة والمعطلة والخوارج والمعتزلة. توفي عام ٤٠٣ هـــ. (الأعلام: الزركلي، ١٧٦/٦).

(٤) تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل: محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، الناشر: مؤسسة الكتــب الثقافية – لبنان، ١٤٠٧هـــ، ص: ٢٤٤.

(٥) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة : ١١٦/٣-فتوى رقم ٨٩٤٢ .

أولاً : مفهوم الصفات عند أوائل الاثنا عشرية:

أثبت أوائل الشيعة الصفات لله تعالى وقالوا بأنها ما قام بالذات الإلهية وشابهت به صفات المخلوقين، واعتبروا بأنه محال على الله تعالى أن يخاطب الناس إلا بما يعقلون، وزعموا أن هذا مقتضى دلالة النصوص، معتبرين بذلك أن صفات الله عز وجل من جنس صفات خلقه، فبحثوا في كيفية صفات الله تعالى فأفضى بهم ذلك البحث إلى وصف الله بصفات مبتدعة خاصة بالمخلوقين، وازداد غلو كبار علماء الشيعة الأوائل أمثال هشام الجواليقي(١)، ويونس القمي (٢)، وداود الجواربي(٣) فزعموا: أنَّ لله وفرة، وجوف وفم وعظم، وقالوا: إنه جثة على صورة إنسان لحم ودم وشعر وعظم وأعضاء(٤)، وحُكي عن بعضهم أنه قال :"أعفوني عن الفرج واللحية واسألوني عما وراء ذلك"(٥)، إلى غير ذلك من تلك الأقوال والتي سنخصص لها فصلاً خاصا بها نبين فيها مقالة متقدميهم في التشبيه والتجسيم، غير أن ما يعنينا هنا بيان أن مفهوم أوائل الشيعة للصفات الإلهية هو من جنس ما عليه المخلوقين من صفات، ومماثل لها تماماً، وهذا ما صرحت به روايات الشيعة نفسها، من أن متقدميهم كانوا يعنون من الصفات الواردة في الكتاب والسنة أنها من جنس ما عليه صفات المخلوقين، فقد روى الكليني في أصوله عن علي بن أبي حمزة، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: سمعت هشام بن الحكم يروي عنكم أن الله جسم، صمدي نوري، معرفته ضرورة، يمن بها على من يشاء من خلقه..."(٦).

وروى كذلك عن محمد بن حكيم قال:" وصفت لأبي إبراهيم عليه السلام قول هشام بن سالم الجواليقي وحكيت له: قول هشام بن الحكم إنه جسم فقال: إن الله تعالى لا يشبهه شيء، أي فحش أو خنى

---

(١) هشام الجواليقي: هو هشام بن سالم الجواليقي الكوفي، مولى بشر بن مروان ، أبو الحكم ، كان من سبي الجوزجان، قال عنه النجاشي:" ثقة ثقة، له كتاب يرويه جماعة، وعده شيخ الشيعة المفيد من الرؤساء الأعلام ، المأخوذ منهم الحلال والحرام، والفتيا والأحكام ، الذين لا يطعن عليهم بشيء، ولا طريق إلى ذم واحد منهم(انظر: معجم رجال الحديث: الخوئي، ٣٢٤/٢٠-٣٢٧)

(٢) يونس بن عبد الرحمن القمي:قال عنه النجاشي:" يونس بن عبد الرحمن ، مولى علي بن يقطين بن موسى ، مولى بني أسد، أبو محمد : كان وجها في أصحابنا متقدما ، عظيم المنزلة ، ولد في أيام هشام بن عبد الملك ، ورأى جعفر بن محمد عليه السلام ، بين الصفا والمروة ولم يرو عنه ، وروى عن أبي الحسن موسى والرضا عليهما السلام ، وكان الرضا يشير إليه في العلم والفتيا ، وكان ممن بذل له على الوقف مال جزيل ، فامتنع من أخذه وثبت على الحق ، وقد ورد في يونس بن عبد الرحمن مدح وذم" (انظر: معجم رجال الحديث: الخوئي، ٢٠٩/٢١-٢١٠).

(٣) داود الجواربي : من كبار متكلمي الرافضة ورأس في الرفض والتجسيم (انظر: سير أعلام النبلاء: الذهبي، ٥٤٤/١٠، وميزان الاعتدال في نقد الرجال: محمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، ٢٣/٢)

(٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل: ابن حزم، ٤٠/٥ .

(٥) الفرق بين الفرق: عبد القاهر البغدادي، ص٢٢٨، التبصير في الدين: أبو المظفر الإسفراييني، ص١٢٠.

(٦) أصول الكافي: الكليني ،كتاب التوحيد ، باب النهي عن الجسم والصورة، حديث رقم : ١، ١٠٤/١ قال المجلسي: الحديث موثوق (مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول: المجلسي، ١/٢).

أعظم من قول من يصف خالق الأشياء بجسم أو صورة أو بخلقة أو بتحديد وأعضاء، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا"[١].

وروى صدوق الشيعة عن إبراهيم بن محمد الخزاز، ومحمد بن الحسين، قالا:" دخلنا على أبي الحسن الرضا عليه السلام فحكينا له ما روي أن محمد صلى الله عليه وآله رأى ربه في هيئة الشاب الموفق في سن أبناء ثلاثين سنة رجلاه في خضرة وقلت: إن هشام بن سالم وصاحب الطاق والميثمي يقولون: إنه أجوف إلى السرة والباقي صمد..."[٢] إلى غير ذلك من الروايات التي أفادت بأنّ مفهوم الصفات عند أوائل الشيعة كان قائماً على مماثلة تلك الصفات لما عليه صفات المخلوقين.

ثانياً: مفهوم الصفات عند متأخري[٣] الاثنا عشرية.

أجمع علماء الاثنا عشرية المتأخرون بأنه ليس للذات الإلهية شيء من الصفات قائمة بها، وأنه ليس وراء ذاته سبحانه وتعالى شيء يسمى صفات، واعتبروا أن الله واحد من جميع الوجوه فهو سبحانه لا يتجزء ولا يتبعض[٤]، وأن الصفات أجزاء وأبعاض، و ثبوتها لله تعالى يؤدي إلى التعدد في الذات الإلهية وإلى التركيب، وهذا عين الشرك، ومن جهة أخرى ثبوت الصفات لله تعالى يؤدي إلى التشبيه والتجسيم[٥]، لأجل ذلك نفوا بشكل قاطع أن يقوم بالباري عز وجل أي صفة ثبوتية.

يقول شيخ الشيعة المفيد :" أقول: إن الله عز وجل اسمه حي لنفسه لا بحياة ، وقادر لنفسه وعالم لنفسه لا بمعنى كما ذهب إليه أصحاب الصفات... وهذا مذهب الإمامية كافة"[٦].

ويقول صدر الدين محمد الشيرازي[٧]:" اعلم أن كل ما هو صفة لشيء فيفتقر إلى ما يقوم به. وكل ما هو قيامه بشيء آخر فوجوب وجوده متعلق به. وكل ما تعلق وجوده بشيء آخر فليس هو واجب

---

(١) أصول الكافي: الكليني ، كتاب التوحيد ،باب النهي عن الجسم والصورة ، حديث رقم:٤، ١٠٥/١، قال المجلسي الحديث مرسل ، (مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول: المجلسي، ٣/٢).

(٢) التوحيد: الصدوق ، باب ما جاء في الرؤية ، حديث رقم ١٣ ، ص١١٤.

(٣) المقصود هنا بمتأخري الإثنا عشرية هم من قال بمقالة المعتزلة في نفي الصفات إلى زمننا هذا ، أي منذ زمن المفيد في أوائل القرن الرابع هجري إلى عصرنا الحاضر.

(٤) الأبعاض: اسم لجزء مركب ، تركب الكل منه ومن غيره .(التعريفات : الجرجاني، ص٨٣)

(٥) انظر: المنقذ من التقليد: سديد الدين الحمصي، ١٣١/١، وحق اليقين في معرفة أصول الدين: عبد الله شبر، ٦٠/١، دراسات في العقيدة الإسلامية: محمد جعفر شمس الدين ، ص ١٨٧-١٨٨.

(٦) أوائل المقالات في المذاهب والمختارات: المفيد، ص ٥٢.

(٧) صدر الدين الشيرازي: هو محمد بن إبراهيم الشيراز ، المعروف بصدر الحكماء و المتألهين و الملا صدر، ولد سنة ٩٧٩ هـ ، وتوفي بالبصرة سنة ١٠٥٠ هـ، تتلمذ على يد كبار علماء الشيعة، من أهم مصنفاته الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة ، والحكمة العرشية ، والمبدأ والمعاد ، وكتاب المشاعر.(انظر : معجم المؤلفين: عمر كحالة، ٢٠٣/٨).

الوجود في ذاته فهو ممكن في نفسه...،وكيف يكون الصفة وصاحبها واجبي الوجود وقد بين انتفاء تعدد الواجب في الوجود"[١].

وقد بين علامة الشيعة الحلي في كتابه شرح تجريد الاعتقاد مفهوم الشيعة من الصفات فقال:" إن الله يستحيل أن يتصف بصفة زائدة على ذاته بأي نحو كانت، لأن واجب الوجود يقتضي الاستغناء عن كل شيء، فلا يفتقر في كونه قادراً إلى صفة القدرة، ولا في كونه عالماً إلى صفة العلم، ولا إلى غير ذلك من المعاني والأحوال"[٢].

ويقول الشيعي محمد جعفر شمس الدين:" الحق ما عليه الشيعة الإمامية من القول بتجريد الذات الإلهية عن الصفات .ونحن نختار ما عليه الإمامية وبعض المعتزلة، من القول بأن صفاته تعالى عين ذاته، متحدة معها مستدلين بحكم العقل، وبما ورد من النقل"[٣].

وقد ذهب الشيعي هاشم معروف الحسني إلى أنّ مذهب الاثنا عشرية قاطبة نفي قيام الصفات بالذات[٤].

ويقول جعفر السبحاني:" الله تعالى منفي عنه المعاني والصفات الزائدة ، بمعنى أنه ليس عالما بالعلم ، ولا قادرا بالقدرة ، بل علم كله ، وقدرة كلها، بدليل أنه لو كان كذلك لزم كونه محلا للحوادث لو كانت حادثة ، وتعدد القدماء لو كانت قديمة، وهما محالان، وأيضاً لزم افتقار الواجب إلى صفاته المغايرة له، فيصير ممكنا، وهو ممتنع"[٥].

ويقول إبراهيم الزنجاني موضحاً الطريق في معرفة الصفات:" الصفات عناوين خاصة يشار بها إلى الذات ويعبر بها عنه واللازم هو التأمل والدقة في الذات المعنون لها ثم النظر في أنه هل يبقى مجال للبحث عن الصفات أم لا، فنقول ... هل يبقى مجال للبحث عن الصفات وهل له طريق إلا الإذعان بكلمة أمير المؤمنين عليه السلام كمال الإخلاص نفي الصفات عنه"[٦] .

ولقد نسبت الاثنا عشرية عدة روايات لأئمة آل البيت تفيد بنفي قيام الصفات بالذات الإلهية ، منها ما رواه صدوق الشيعة عن أبي الحسن الرضا أنه قال: الممتنع من الصفات ذاته ومن الإبصار رؤيته، ومن الأوهام الإحاطة ... أول الديانة معرفته، وكمال المعرفة توحيده، وكمال التوحيد نفي الصفات عنه، لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف، وشهادة الموصوف أنه غير الصفة، و شهادتهما

---

(١) المبدأ والمعاد: صدر الدين محمد الشيرازي، تحقيق: السيد جلال الدين الآشتياني، الناشر: مركز انتشارات دفتر تبليغات إسلامي، الطبعة الثالثة، ١٤٢٢هـ ، ص١٦٧.

(٢) كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد: العلامة الحلي، تحقيق حسن زاده الآملي، مؤسسة نشر الإسلامي، الطبعة السابعة، قم، ١٤١٧هـ، ص ٤١٠ بتصرف.

(٣) دراسات في العقيدة الإسلامية: محمد جعفر شمس الدين، ص187 .

(٤) الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة: هاشم معروف الحسني، ص١٦٨.

(٥) أضواء على عقائد الشيعة الإمامية : جعفر السبحاني، ص٣٧١.

(٦) عقائد الإمامية الاثنا عشرية: إبراهيم الزنجاني، الناشر: انتشارات حضرت مهدي، الطبعة الخامسة، قم ، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م، ٢٨/١.

جميعا على أنفسهما بالبينة الممتنع منها الأزل، فمن وصف الله فقد حده ومن حده فقد عده، ومن عده فقد أبطل أزله..."[(١)].

وما نسب إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالبﷺ أنه قال:" ... أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه، لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة، فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثناه، ومن ثناه فقد جزأه، ومن جزأه فقد جهله، ومن جهله فقد أشار إليه، ومن أشار إليه فقد حده، ومن حده فقد عده، ومن قال فيم فقد ضمنه، ومن قال علام فقد أخلى منه"[(٢)].

وما روى الحسين بن خالد عن الإمام الرضا قال:"سمعت الرضا يقول: " لم يزل الله سبحانه عليماً ، قادراً ، حياً ، قديماً، سميعاً، بصيراً" ، قلت يا ابن رسول الله إنَّ قوماً يقولون: إنه عالم بعلم ، قادر بقدرة ، حي بحياة ،وقديم بقدم ، وسميع بسمع ، فقال : من قال بذلك ودان به فقد اتخذ مع الله آلهة أخرى، وليس من ولايتنا على شيء..."[(٣)].

ولكن مع اتفاق الشيعة المتأخرين على عدم قيام الصفات بالذات الإلهية إلا أنهم اختلفوا في بيان المراد من الصفات التي وصف الله بها نفسه في كتابه العزيز ووصفه بها رسول الله ﷺ على رأيين هما:

الرأي الأول: إن المراد من الصفات الإلهية هو نفي ما يقابلها من الصفات وعدم إثبات تلك الصفات.

اعتبر كل من ابن بابويه الملقب بالصدوق والمحقق مقداد السيوري، ومحدث الشيعة محمد باقر المجلسي وعالم الشيعة المعاصر عبد الله بن محمد شبر[(٤)]،بأن المراد من الصفات الإلهية هو نفي ما يقابلها من الصفات، وجعل الصفات الذاتية عائدة إلى معنى السلب، بمعنى أن كل صفة تثبت لله تعالى فإنهم يفسرونها بنفي نقيضها، ولا يقررون ما دلت عليه من معنى ثابت للذات، وذلك لكي لا يتم إثبات صفات لله على الحقيقة.

فيقول ابن بابويه في اعتقادات الإمامية:" كل ما وصفنا الله تبارك وتعالى به من صفات ذاته، فإنما نريد بكل صفة منها نفي ضدها عنه تعالى."[(٥)]

ويوضح ابن بابويه في كتابه التوحيد مفهوم عودة صفات الله إلى معنى السلب بقوله :" إذا وصفنا الله تبارك وتعالى بصفات الذات فإنما ننفي عنه بكل صفة منها ضدها، فمتى قلنا: إنه حي ، نفينا عنه ضد الحياة وهو الموت ، ومتى قلنا: إنه عليم نفينا عنه ضد العلم وهو الجهل، ومتى قلنا إنه سميع نفينا عنه

---

(١) التوحيد : الصدوق ، باب التوحيد و نفي التشبيه، حديث رقم ١٤، ص٥٦-٥٧.

(٢) نهج البلاغة: مجموع ما اختاره الشريف الرضي من خطب منسوبة للإمام علي، شرح: محمد عبده، الناشر: دار الذخائر، الطبعة الأولى ، قم – إيران، ١٤١٢هـ ١/١٤-١٥.

(٣) التوحيد: الصدوق ، باب صفات الذات وصفات الأفعال، حديث رقم:٣، ص ١٤١.

(٤) انظر: التوحيد عند مذهب أهل البيت: علاء الحسون ، ص٥٥.

(٥) الاعتقادات في دين الإمامية:ابن بابويه ، ص٢٧.

ضد السمع وهو الصمم ....، ولو لم نفعل ذلك أثبتنا معه أشياء لم تزل معه ... فلما جعلنا معنى كل صفة من هذه الصفات التي هي صفات ذاته نفي ضدها أثبتنا أن الله لم يزل واحداً لا شيء معه"(١).

ويضيف قائلاً:" إذا قلنا: إن الله لم يزل قادرا فإنما نريد بذلك نفي العجز عنه، ولا نريد إثبات شيء معه لأنه عز وجل لم يزل واحدا لا شئ معه"(٢).

ويوضح محقق الشيعة المقداد السيوري(٣) بأن الصفات تنقسم إلى قسمين صفات ثبوتية وصفات سلبية ثم قال:"وإنَّ شئت كان مجموع صفاته، صفات جلال –سلبية– ، فإنَّ إثبات قدرته، باعتبار سلب العجز عنه، وإثبات العلم باعتبار سلب الجهل عنه، وكذا باقي الصفات، وفي الحقيقة المعقول لنا من صفاته ليس إلا السلوب والإضافات"(٤).

ويقول المجلسي:" والحاصل أن علمه تعالى ليس عين قولنا: عالم ...، وإنما نتصور من علمه تعالى عدم الجهل، فإثباتنا العلم له تعالى إنما يرجع إلى نفي الجهل لأنّا لا نتصور علمه تعالى إلاّ بهذا الوجه"(٥).

ويقول علاّمتهم عبد الله شبر:" والمقصود من الصفات الثبوتية نفي أضدادها إذ صفاته تعالى لا كيفية لها، ولا سبيل إلى إدراكها فالمقصود منها سلب أضدادها، فهي سلوب في الحقيقة، فمعنى كونه تعالى قادرا عالما أي ليس بعاجز و لا جاهل. لأنّ العجز و الجهل نقصان لا يليق بالكامل بالذات من جميع الجهات، و هكذا في جميع الصفات".(٦)

ويذكر الكاتب جواد على كيسار أنه :" ينسب إلى بعض علماء الإمامية – كالشيخ الصدوق – أن معنى الصفات الذاتية هو نفي ما يقابلها ، ومن ثَمَّ فإنّ المراد من العلم هو نفي الجهل، مؤدى هذه النظرية أنه ليس بالمقدور فهم حقيقة العلم كصفة لله ،وإنما غاية ما يكمن إدراكه هو نفي الضدّ عنه" (٧).

وإلى ذلك يشير عالمهم المعاصر الطباطبائي حاكياً رأي أصحاب هذا الاتجاه بقوله:" ربما يظهر من بعضهم الميل إلى قول أخر، وهو أن معنى إثبات الصفات نفي ما يقابلها، فمعنى إثبات الحياة والعلم والقدرة مثلاً نفي الموت والجهل والعجز".(٨)

---

(١) التوحيد: الصدوق، ص١٤٨.

(٢) المصدر السابق : ص١٣١.

(٣) المقداد السيوري: المقداد بن عبد الله بن محمد بن الحسين ابن محمد السيوري ، الحلي ، الأسدي فقيه شيعي، أصولي ، متكلم ، مفسر. اخذ عن الشهيد الأول محمد بن مكي ، وتوفي بالنجف في ٢٦ جمادى الآخرة سنة ٨٢٦هـ. من تصانيفه: شرح نهج المسترشدين في أصول الدين، كنز العرفان في فقه القرآن، (انظر: معجم المؤلفين: عمر كحالة، ٣١٨/١٢هـ)

(٤) النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر: العلامة الحلي، ص٤٩.

(٥) بحار الأنوار: المجلسي، ١٥٧/٤–بتصرف.

(٦) حق اليقين في معرفة أصول الدين:عبد الله شبر، ص٤١، وانظر: التوحيد عند مذهب أهل البيت: علاء الحسون، ص٥٥.

(٧) التوحيد بحوث تحليلية في مراتبه ومعطياته تقريراً لدروس السيد كمال الحيدري ، جواد على كسار، مؤسسة الإمام الجواد للفكر والثقافة،١٣٠/١.

(٨) نهاية الحكمة :محمد حسين الطباطبائي، ص٢٨٥، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم ، ١٤٠٥هـ نقلا عن كتاب التوحيد بحوث تحليلية في مراتبه ومعطياته تقريراً لدروس السيد كمال الحيدري ، جواد على كسار ١٣٠/١.

ويقول الشيعي علاء الحسون: "ذهب بعض علمائنا الأعلام إلى القول بأنّ... المقصود من نسبة الصفات إلى الله فهم هذه الحقيقة ، بأنه تعالى منزه عن الاتصاف بضدّ هذه الصفات"[١].

غير أن هذا الرأي لاقى انتقاداً شديداً من علماء الشيعة أنفسهم، فقد اعتبر علامة الشيعة محمد رضا المظفر بأن هذا الرأي يُفضي إلى العدم لا إلى التوحيد حيث يقول:" ولا ينقضي العجب من قول من يذهب إلى رجوع الصفات الثبوتية إلى الصفات السلبية؛ لمّا عزّ عليه أن يفهم كيف أنّ صفاته عين ذاته، فتخيّل أنّ الصفات الثبوتية ترجع إلى السلب؛ ليطمئنّ إلى القول بوحدة الذات وعدم تكثّرها، فوقع بما هو أسوأ؛ إذ جعل الذات التي هي عين الوجود، ومحض الوجود، والفاقدة لكلّ نقص وجهة إمكان، جعلها عين العدم ومحض السلب، أعاذنا الله من شطحات الأوهام، وزلاّت الأقلام" [٢].

بينما عد الطبطبائي هذا الرأي من أفكار الصابئة المتسربة إلى الإسلام وأن لازمه تعطيل الذات الإلهية عن صفات الكمال، حيث قال :"ومنهم من اكتفى في الإثبات بعين ما نفاه بالدليل و هم الذين يفسرون الأسماء و الصفات بنفي النقائص، فمعنى العلم عندهم عدم الجهل و معنى العالم من ليس بجاهل و على هذا السبيل، و لازمه تعطيل الذات المتعالية عن صفات الكمال، و البراهين العقلية و ظواهر الكتاب و السنّة و نصوصها تدفعه، وهو من أقوال الصابئة المتسربة إلى الإسلام"[٣].

الرأي الثاني: أن المراد من صفات الله هي عبارة عن وجوه للذات واعتبارات عقلية لا حقيقة لها.

ذهب أغلب علماء الاثنا عشرية، كما ذكر ذلك بعض مشايخ الشيعة المعاصرين [٤]، إلى أن المراد من صفات الله هو عبارة عن وجوه للذات واعتبارات عقلية تحدثها عقولنا لا حقيقة لها منفصلة عن الذات، وهذا يعني أن الذات تسمى باعتبار تعلقها بالمعلوم علم وبالمقدور قدرة ونحو ذلك ، ولقد تعددت أقوال علماء الاثنا عشرية في بيان ذلك المفهوم، فمن هذه الأقوال ما يلي:

يقول شيخ الشيعة المفيد:" إن الصفة في الحقيقة ما أنبأت عن معنى مستفاد يخص الموصوف وما شاركه فيه، ولا يكون ذلك كذلك حتى يكون قولاً أو كتابة يدل على ما يدل النطق عليه وينوب منابه فيه"[٥] ، ويضيف قائلاً: إن وصف الباري تعالى بأنه حق قادر عالم يفيد معاني معقولات ليست الذات ولا أشياء تقوم بها كما يذهب إليه جميع أصحاب الصفات"[٦].

---

(١) التوحيد عند مذهب أهل البيت عليهم السلام : علاء الحسون ، ص٥٤.

(٢) عقائد الإمامية: محمد رضا المظفر، تقديم: حامد حنفي داود، انتشارات أنصاريان، لإيران قم، ص ٣٩-٤٠.

(٣) تفسير الميزان: محمد حسين الطبطبائي، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية – قم ، ١٣٢/١٤.

(٤) انظر: أوائل المقالات في المذاهب والمختارات: المفيد ، ص٥٢، شرح تجريد الاعتقاد : الحلي ، ص٤١٠. الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة :هاشم معروف الحسني ص١٦٦-١٦٧، و انظر دراسات في العقيدة الإسلامية: محمد جعفر شمس الدين ،ص ١٨٦.

(٥) أوائل المقالات في المذاهب والمختارات: المفيد، ص٥٥.

(٦) المصدر السابق : ص٥٦.

ويقول نعمة الله الجزائري:" اعلم أن الصفة كما قالوا أمر يعتبره العقل لا أمر آخر ، ولا يمكن أن يعقل إلا باعتباره معه وله، ولا يلزم من تصور العقل شيئاً لشيء أن يكون ذلك المتصور موجوداً لذلك الشيء في نفس الأمر. والصفة تنقسم باعتبار العقل إلى حقيقية وإضافية وسلبية....، ولا يلزم من اتصاف ذاته تعالى بهذه الأنواع الثلاثة من الصفات تركيب ولا كثرة في ذاته، لأنها اعتبارات عقلية تحدثها عقولنا عند المقايسة إلى الغير، ولم يلزم من ذلك أن يكون موجودة في نفس الأمر"(١).

ويوضح ذلك حسين الدرازي بقوله:" إن كل ما يوصف به تعالى من الصفات الحقيقية والإضافية اعتبارات تحدثها عقولنا عند مقايسة ذاته سبحانه إلى غيرها، ولا يلزم من ذلك تركيب في ذاته ولا كثرة فيكون وصفه تعالى بها أمراً معلوماً من الدين ليعم التوحيد "(٢).

ويقول عالم الشيعة أبو الفتح الكراجكي(٣) :" وليس القدرة والعلم صفتين للقادر والعالم و إنما الصفة قول الواصف هذا قادر وعالم أو كتابته الدالة على ذلك، وكذلك ليس السواد بصفة للسواد وإنما صفته قولنا هذا أسود ومن خالف في هذا فقد غلط" (٤).

ويقول الشيرازي ضارباً مثلاً للصفات:" فالسكر ذاته حلو، أي: كله والسمن ذاته دهن، أي: كله وحيث لا يمكن التفريق بين السكر وحلاوته، وبين السمن ودهنه، كذلك صفات الله سبحانه، فإنها عين ذاته، بحيث لا يمكن التفريق بينها وبين ذاته عز وجل"(٥).

ويوضح علامة الشيعة المعاصر محمد حسين الطبطبائي الاختلاف بين الصفة والذات في أنه ينحصر في المفهوم لا في الحقيقة فيقول: " نعلم إن في العالم كثيراً من الكمالات التي تظهر بشكل صفات، ومما لا شك فيه أن هذه الكمالات قد منحها اللّه تعالى وإذا ما كان هو مفتقداً لها لما منحها، فالكمالات هذه إن اعتبرت صفات له، فإنها في الحقيقة عين ذاته، وكذا كل واحدة منها هي عين الأخرى وأما الاختلاف الذي يشاهد بين الذات والصفات، وبين الصفات نفسها فإنها تنحصر في المفهوم، وفي الحقيقة ليس هناك سوى مبدأ واحد غير قابل للانقسام"(٦).

يتضح من أقوال علماء الاثنا عشرية المتأخرين أنهم مجمعون على نفي قيام الصفات بالذات، ومن هنا فإنه لا يوجد لديهم تعريف لتلك الصفات سوى أنها وجوهاً واعتبارات عقلية ليس لها حقيقة في الواقع ، فلا فرق بين هذه الصفات و بين الذات أو بين بعضها البعض إذ الفرق الوحيد ما يحدث في عقولنا عند التعبير عن تلك الصفات وإنما في الواقع تعود هذه الصفات إلى معنى واحد هو الذات، فقدرته

---

(١) نور البراهين: نعمة الله الجزائري ، ٩٢/١.

(٢) القول الشارح: حسين بن محمد الدرازي، ص ١٤١.

(٣) أبو الفتح الكراجكي: هو محمد بن علي بن عثمان الكراجكي، أبو الفتح، باحث إمامي من كبار أصحاب الشريف المرتضى. توفي بصور عام ٤٤٩هـ، له عدة كتب منها: كنز الفوائد و النوادر، معونة الفارض في الفرائض، و تهذيب المسترشدين. (انظر: الأعلام ، للزركلي، ٢٧٦/٦).

(٤) كنز الفوائد: أبو الفتح الكراجكي، الطبعة الثانية، الناشر: مكتبة المصطفوي، قم ، ص٢٠.

(٥) ليالي بيشاور: محمد الموسوي الشيرازي ، المجلس الثالث ، الشرك الخفي ، المكتبة العقائدية ، مركز الأبحاث العقائدية.

(٦) الشيعة في الإسلام : محمد حسين الطبطبائي، ترجمة جعفر بهاء الدين ، ص١٠٨- ١٠٩.

هي علمه وعلمه هو قدرته وهكذا في باقي الصفات وكل هذه الصفات هي ذاته فلا ثمة فرق بين الـذات والصفات.

المطلب الثالث: مناقشة مفهوم الصفات عند الاثنا عشرية.

يتضح من خلال عرضنا السابق لمفهوم الشيعة من الصفات الإلهية مدى التناقض الكبير الذي وقع فيه الشيعة الاثنا عشرية من المراد من الصفات الإلهية سواء بين متقدميهم أو بين متـأخريهم، وتبـين أن الذي استقر عليه حال الشيعة في فهمهم للصفات هو نفي قيام الصفات بالذات الإلهية، على اختلاف بيـنهم في طرق التعبير عن ذلك النفي ، لذا فإن مناقشتهم فيما ذهبوا إليه تدور حول بيان بطلان ذلك المفهوم من خلال بيان جهة تلقي هذا المعتقد وأنه ليس مأخوذ عن أئمة آل البيت كما يزعمون، ومن خـلال مخالفتـه للنقل والعقل، وما عليه لغة الأمة وما أجمعت عليه من ثبوت قيام الصفات بذات الله تعالى، وهو ما نبينـه في الوجوه التالية:-

أولاً: من جهة مصدر تلقي المعتقد في الصفات.

١. الاختلاف في مفهوم الصفات بين أوائل الاثنا عشرية وأواخرهم ينسف عقيدة تولي الأئمة.

تفتخر الاثنا عشرية بأنها تلقت عقائدها من الأئمة المعصومين عن السهو والخطأ ، فهؤلاء الأئمة لا يمكن أن يتناقضوا في إثبات عقائدهم، فحاجة الناس إلى الإمام -كما يزعمون- كحاجتهم للرسل فلهـم القوامة على الدين يحكمون به بين الناس فيما اختلفوا فيه، فلا يمكن أن نتصور وجود تناقض أو خلل في دين الاثنا عشرية؛ وذلك لأن عقيدة تولي الأئمة تلزمهم بعدم وجود اختلاف أو تناقض في دينهم، خاصـة وأن الأئمة قد كانوا موجودين في العصور التي ظهر فيها الخلاف على الصفات، فإنه من غير الممكن أن نتصور وجود خلل أو تناقض في مفهوم الصفات بين صفوف الاثنا عشرية إذ لو وجد ذلك الخلـل وهـذا التناقض فإن ذلك يعني هدم عقيدة تولي الأئمة ومن ثم هدم كل عقائد الشيعة التي تدعيها ، غير أننا نجـد أن هذه الطائفة قد اختلفت في باب الصفات اختلافاً ينسف تلك العقيدة ويظهر مدى كذب تلك الطائفة، فكما بينا سابقاً فقد كان لأوائل الاثنا عشرية مفهوماً للصفات مخالف تماماً لما عليه أواخرهم، بل عدّ أواخـرهم بأن من يثبت لله الصفات على الحقيقة بأنه مشبه كافر، وعليه فإما أن يكون أوائلهم قد زاغـوا وانحرفـوا عما عليه أئمتهم، أو أن يكون أواخرهم قد انحرفوا وفي كلا الحالتين فإن ذلك يقدح في جوهر عقيدة الاثنا عشرية وعقيدة تولي الأئمة.

وكما اختلف أوائل الاثنا عشرية وأواخرهم في الصفات كذلك اختلف متأخروهم في بيان المـراد من تلك الصفات، فنجد أن ابن بابويه كبير محدثيهم وبعض الشيعة الآخرين قد ذهبوا إلى عـودة معنـى الصفات إلى معنى السلب ورأينا كيف نقض علماء الشيعة هذه الطريقة وقالوا إن طريقتـه مـأخوذة مـن أفكار الصابئة المتسربة إلى الإسلام، بينما ذهب المفيد ومن تبعه من علمائهم إلـى اعتبـار أن الصـفات وجوهاً واعتبارات عقلية ، هذا التناقض والتباين في طرق نفي الصفات بين كبار علماء الاثنـا عشـرية، والذي ظهر بينهم في القرن الرابع هجري وفي وقت الغيبة الصغرى لإمامهم المهدى المزعوم يدلل علـى أن هذا المعتقد لم يكن أبداً من آراء الأئمة، فلو كان من عند الأئمة المعصومين كما يزعمون لما كان هذا

التناقض بينهم وخاصة أنّهم عاصروا غيبة الإمام الثاني عشر المزعوم، فقد كان بإمكانهم مراسلته عبر سفرائه واستقصاء الجواب منه.

أفغاب عن ذلك الإمام – المزعوم- أنّ يصحح اعتقادات الشيعة بكتاب جلي يظهره لأتباعه المتشيعين حتى يترك للمفيد تلك المهمة فيألف كتابه تصحيح اعتقادات الإمامية يصحح لابن بابويه اعتقاداته؟!، إذاً ما الفائدة من ذلك الإمام الذي لم تنتفع به الشيعة في أهم مسائل دينها؟، أليس هذا دليل كافي على فساد كل معتقدات الشيعة في الإمامة والتوحيد؟.

وعلى كل حال فإنه يقال للشيعة إما أن يكون رأي ابن بابويه هو الصحيح وبه قالت الأئمة، أو رأي المفيد هو الصحيح، وقد ظهر من خلال البحث أنهم أخذوا برأي المفيد، وعدوا رأي ابن بابويه من أراء الصابئة المتسرب إلى الإسلام، وهذا يعني أن ابن بابويه كبير محدثيهم وصدوقهم قد تلقى هذه الطريقة من غير الأئمة المعصومين بل قال ذلك وفق هواه أو أخذاً من الآخرين، ومن المعلوم أنه لم تكن فرقة من الفرق التي تنتسب إلى الإسلام قد قالت بهذا الرأي إلا المعتزلة فيكون ابن بابويه قد تلقى تلك الطريقة من المعتزلة، ومن المعلوم أيضاً تتلمذ المفيد على أيدي كبار علماء المعتزلة [(١)] فيكون ذلك المعتقد قد تم تلقيه من المعتزلة لا من أئمة آل البيت كما يزعمون، ويترتب على ذلك عدم صحة نسبة هذه المعتقدات لأئمة أل البيت، وبذلك يبطل مذهبهم في الصفات، لأنه من بان كذبه في الأصل الذي أخذ منه بان كذبه في كل ذلك المعتقد.

٢. سرقة أفكار ومعتقدات المعتزلة ونسبها إلى الأئمة[(٢)]:

ذكرنا فيما سبق أن علماء الاثنا عشرية سلكوا طريقين في مرادهم من الصفات كانت نهايتهما نفي الصفات عن ذات الله سبحانه وتعالى، وفي الحقيقة أن كلاهما مأخوذ بحذافيره من آراء المعتزلة وأفكارهم.

فالطريق الأول: – عودة معنى الصفات إلى معنى السلب – أخذها ابن بابويه عن النظام والجاحظ وأتباعهما، فهم يقولون معنى قولي علم إثبات ذاته ونفي الجهل عنه ، بل إن النظام يرى أن الصفات

---

(١) انظر: ص١٩٣ من البحث.

(٢) اتهام الشيعة بسرقة أراء المعتزلة ونسبها لأئمة آل البيت، حدث منذ تحولت الشيعة من التشبيه إلى التعطيل، فقد اتهم المعتزلة وجماعة من محدثي الشيعة الأوائل، الشيعة المتأخرين بالسطو على أراء المعتزلة وسرقتها ونسبها إلى أئمة آل البيت، فأدى ذلك بمعلم الشيعة المفيد إلى محاولة نفي ذلك عنهم ، فقال المفيد حاكياً عن أحد شيوخ المعتزلة ما اتهم به الشيعة من سرقة الكلام منهم قائلاً:" وقد بلغني عن فسوق فقيه الرافضة ، ومتكلم لهم من أهل بغداد ، كان قد سرق الكلام من أصحابنا المعتزلة" ، فرد عليه المفيد بقوله:" لسنا نعرف للشيعة فقيها متكلماً على ما حكيت عنه من أخذ الكلام من المعتزلة"(المسائل الصاغانية: المفيد ، ص ٤١) وفي كتابه الحكايات قال:" فإني لا أزال أسمع المعتزلة يدّعون على أسلافنا أنهم كانوا كلهم مشبهة...وأرى جماعة من أصحاب الحديث من الإمامية يطابقونهم على هذه الحكاية ويقولون : إن نفي التشبيه إنما أخذناه من المعتزلة"(الحكايات: المفيد، ص٧٩-٨١) وسيأتي تفصيل تلك المسألة (انظر: ص١٩٩- ٢٠٠ من هذا البحث).

تختلف لاختلاف ما ينفى عن الله من النقائص، فكان يقول إذا ثبت البارىء عالما قادرا حيا سميعا بصيرا قديما اثبت ذاته وأنفى عنه الجهل والعجز والموت والصمم والعمى وكذلك قوله في سائر صفات الذات[1].

أما الطريق الثاني: عينية الصفات للذات واعتبارها وجوهاً عقلية، فقد أخذها المفيد ومن تبعه من أبي علي الجبائي[2]، وأبي هذيل العلاف، فأبو علي يقول:" البارىء تعالى عالم لذاته وقادر حي لذاته"[3]، وأبو الهذيل[4] يقول:" هو عالم بعلم هوهو ، وقادر بقدرة هي هو حي بحياة هي هو وكذلك في سائر صفات ذاته"[5].

ثانياً: الرد على الاثنا عشرية من جهة النقل.

لقد أثبتت نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة أن الله عز وجل متصف بصفات قائمة به، والشواهد على ذلك كثيرة منها:

١. الشواهد من القرآن الكريم:

تنوعت الآيات التي تثبت أن الله تعالى متصف بصفات ذاتية وفعلية قائمة به، فبعض هذه الصفات جاءت بها النصوص صراحة، وبعضها تأخذ من النصوص بطريقة الدلالة عليها ، كما أثبتت النصوص الشرعية الأسماء له تعالى، وهذه الأسماء تدل على ثبوت الصفات له عز وجل[6]، وفيما يلي نماذج من تلك الآيات.

أ – نماذج من الآيات التي جاءت بها بعض الصفات صريحة، قال تعالى ﴿لَكِنِ اللهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا﴾ [النساء:١٦٦] ، ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس:٣٩] ، ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرَّحمن:٢٧] ، ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ [ص:٧٥] . فهذه

---

(١) انظر: مقالات الإسلاميين: أبو الحسن الأشعري، ٢٦٥/١.

(٢) أبو علي الجبائي: هو محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي، من أئمة المعتزلة. ورئيس علماء الكلام في عصره، إليه تنسب فرقة الجبائية، صاحب تصانيف كثيرة. توفي عام ٣٠٣ هـ. انظر:(الفرق بين الفرق: البغدادي، ص١٨٣. لسان الميزان: ابن حجر العسقلاني، ٣٢٤/٧ الأعلام: الزركلي،٢٥٦/٦).

(٣) انظر: الملل والنحل: للشهرستاني، ٥٠/١، والتبصير في الدين: الإسفراييني ص٧٠، و شرح الأصول الخمسة: القاضي عبد الجبار، ص١٨٢.

(٤) أبو هذيل العلاف: أبو الهذيل العلاف: هو محمد بن الهذيل بن عبد الله بن مكحول العبدي، من أئمة المعتزلة، ولد في البصرة سنة ١٣٥هـ له مناظرات، ومقالات في الاعتزال، توفي بسامراء سنة ٢٣٥هـ. (انظر: وفيات الأعيان، ٤٨٠/١. الأعلام: الزركلي، ١٣١/٧. ومذاهب الإسلاميين،١٢١– ١٩٧).

(٥) مقالات الإسلاميين: أبو الحسن الأشعري، ١٦٥/١، والتبصير في الدين: الاسفراييني، ص٧٠.

(٦) انظر: البيهقي وموقفه من الإلهيات:أحمد بن عطية بن على الغامدي، الطبعة الثانية، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، ، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ –٢٠٠٢م، ص١٧٣.

الآيات أثبتت صفة العلم لله تعالى وصفة الوجه وصفة اليدين لله تعالى ، كل ذلك إثباتاً يليق بجلال وجهه الكريم.

ب - نماذج من الآيات التي تأخذ منها بعض الصفات بطريق الدلالة عليها، قال تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللهُ﴾ [البقرة:١٩٧] ،﴿وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢١٦]، ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [آل عمران:١٨١] ، فدلالة هذه النصوص على صفتي العلم والسمع ظاهرة .وهكذا معظم صفاته تعالى.

ج - نماذج من الآيات التي أثبتت الأسماء لله تعالى، كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة:١٢٧] ، ﴿وَاللهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [المائدة:٧٦] ، فأسماؤه تعالى تدلُّ على ثبوت الصفات له تعالى، لأن الأسماء تتضمن معاني ثبوتية، هي الصفات، ولا معنى أن يتسمى الله باسم العلم دون أن يتضمن صفة العلم، أو يتسمى بالسميع دون أن يتصف بالسمع[١].

والنماذج على الآيات التي تثبت الصفات لله تعالى كثير، أتى الإمام البيهقي[٢] رحمه الله على ذكر مجموعة منها تحت عنوان:" باب ذكر آيات وأخبار وردت في صفات زائدات على الذات قائمات به"[٣] ، ومما ذكره قوله تعالى: ﴿اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [آل عمران:٢] ، وقوله تعالى: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ [طه:١١١] . ثم قال رحمه الله :" فهو حي وله حياة يباين بها من ليس بحي"[٤] ثم ذكر آيات آخرى تدل على صفة العلم والقدرة والسمع والبصر والحياة والكلام ثم قال:" فإن قال القائل : ما الدليل على أنه حي قادر عالم مريد سميع بصير متكلم، له الحياة، والقدرة والعلم والإرادة ، والسمع، والبصر، والكلام ؟ قيل :لأنه يستحيل إثبات موجود بهذه الأوصاف مع نفي هذه الصفات عنه، وحين لزم إثباته بهذه الأوصاف، لزم إثبات هذه الأوصاف له"[٥].

---

(١) موقف الشيعة من صفات الله تعالى عرض ونقد : د. صالح الرقب، بحث ترقية نشر ضمن مجلة الجامعة الإسلامية سلسلة الدراسات الإسلامية، المجلد الثامن عشر العدد الأول، ٢٠١٠م، ص٣٨١.

(٢) البيهقي: هو أحمد بن الحسين بن على بن موسى البيهقي، أبو بكر: من أئمة الحديث. ولد في خسروجرد من قرى بيهق عام بنيسابور ٣٨٤هـ، ونشأ في بيهق ورحل إلى بغداد ثم إلى الكوفة ومكة وغيرهما، وطلب إلى نيسابور، فلم يزل فيها إلى أن مات عام ٤٥٨هـ، وقال الذهبي: لو شاء البيهقي أن يعمل لنفسه مذهبا يجتهد فيه لكان قادرا على ذلك لسعة علومه ومعرفته بالاختلاف. صنف زهاء ألف جزء منها: السنن الكبرى، الأسماء والصفات، دلائل النبوة، الترغيب والترهيب، الاعتقاد وغيرها (انظر: الأعلام ، للزركلي، ١/١١٦).

(٣) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد : الإمام أبي بكر أحمد بن الحسين بن على بن موسى البيهقي، تحقيق: أحمد بن إبراهيم أبو العينين ، الناشر: دار الفضيلة، الطبعة الأولى، الرياض، ١٤٢٠هـ -١٩٩٩م، ص٧٩.

(٤) المصدر السابق: ص٨٠.

(٥) البيهقي وموقفه من الإلهيات: أحمد الغامدي، ص٢١١.

كذلك أتى الإمام ابن تيمية على ذكر مجموعة أخرى من الآيات التي تثبت الصفات لله تعالى فقال رحمه الله:" إنَّ الله سبحانه له علم وقدرة ورحمة ومشيئة وعزة وغير ذلك؛ لقوله تعالى ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ﴾ [البقرة:٢٥٥] وقوله :﴿لَكِنِ اللهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا﴾ [النساء:١٦٦] ﴿إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات:٥٨] وقوله: ﴿وَللهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون:٨] وقوله: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [غافر:٧]... فثبت بهذه النصوص أن الكلام الذي يخبر به عن الله صفة له، فإن الوصف هو الإظهار والبيان للبصر أو السمع"(١).

٢. الشواهد من السنة النبوية المطهرة.

كما تنوعت الآيات في الدلالة على صفات الله تعالى فقد تنوعت الأحاديث الشريفة في إثبات الصفات لله تعالى والدلالة عليها، والشواهد على ذلك كثيرة نذكر منها:

روى الإمام البخاري في صحيحه عن جابر بن عبد الله ﷺ قال كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمر كما يعلمنا السورة من القرآن يقول لنا: إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل اللهم إني أستخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تعلم ولا أعلم وتقدر ولا أقدر وأنت علام الغيوب اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر وتسميه بعينه الذي تريد، خيرا لي في ديني ومعاشي ومعادي وعاقبة أمري فاقدره لي ويسره لي وبارك لي فيه اللهم وإن كنت تعلمه شرا لي في ديني ومعاشي ومعادي وعاقبة أمري فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به..."(٢) ففي هذا الحديث الصحيح إثبات صفة العلم وصفة القدرة واستخارة النبي ﷺ بهما.

وروى كذلك عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ بعث رجلا على سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بقل هو الله أحد فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال سلوه لأي شيء يصنع ذلك فسألوه فقال لأنها صفة الرحمن وأنا أحب أن أقرأ بها فقال النبي صلى الله عليه وسلم أخبروه أن الله يحبه"(٣) فأقره النبي ﷺ على تسميتها صفة الرحمن ولم يقل له أنها اعتبارات عقلية لا حقيقة لها.

روى الإمام مسلم في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه كان يقول في دعائه:" أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلني أنت الحي القيوم الذي لا يموت والجن والإنس يموتون"(٤). ففي هذا الحديث الشريف إثبات صفة العزة والحياة لله تعالى.

---

(١) مجموع الفتاوى: ابن تيمية، ٦/٣٣٩-٣٤٠.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التهجد ، باب ما جاء في التطوع مثنى مثنى، حديث رقم: (١١٦٢)، وكتاب الدعوات، باب الدعاء عند الاستخارة، حديث رقم(٦٣٨٢).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التوحيد ، باب ما جاء في دعاء النبي أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى، حديث رقم:(٧٣٧٥).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء، باب التعوذ من شرما عمل...، حديث رقم:(٢٧١٧).

وروى كذلك عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي ﷺ في حديث الإيمان قال يعني السائل يا محمد ما الإحسان قال أن تعبد الله كأنك تراه فإنك إن لا تكن تراه فإنه يراك"[1] ففي هذا إثبات الرؤية لله عز و جل والرؤية والبصر واحد.

وروى الإمام النسائي عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت:" الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات لقد جاءت المجادلة تشكو إلى رسول الله ﷺ وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول فأنزل الله عز و جل قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها"[2]وفي هذا إثبات صفة السمع لله عز وجل.

إلى غير ذلك من الأحاديث والآيات التي تثبت صفات الله تعالى على الحقيقة وأنَّ له سبحانه وتعالى صفات زائدات على ما نفته الشيعة قائمات به تعالى، لا أنها اعتبارات عقلية لا حقيقة لها في واقع الأمر، يضاف لكل هذه الشواهد بأنَّ الذين يزعمون من أن المراد من الصفات الواردة في الكتاب والسنة عبارة عن اعتبارات عقلية ليس لهم دليل واحد من القرآن أو من السنة الصحيحة يشهد بأن المئات من آيات الصفات والآلاف من الأحاديث النبوية الشريفة التي وردت بها صفات الله تعالى، أنَّ المراد منها عبارات عقلية لا حقيقة لها في الواقع الخارجي، فعلم بكل هذه الشواهد وعدم عثورهم على أي دليل حقيقي من النقل يدل على ما ذهبوا إليه، أن مفهوم الصفات الذي ابتدعته المعتزلة وسرقته الشيعة منهم باطل ولا أساس له من الصحة.

ثالثاً: الرد على الاثنا عشرية من جهة اللغة.

١. **إن ما ذهب إليه متأخروا الاثنا من تعريف الصفات بأنها وجوهاً واعتبارات عقلية مخالف تماماً لما عليه لغة العرب،** إذ أن حقيقة الموصوف أن يكون له صفة موجودة به، وحقيقة الصفة أن لا تتعرى عن الموصوف، وهذا اسم حرره أهل اللغة الذين نزل القرآن الكريم بلغتهم، فلا يسمون الأحمر إلا لما فيه حمرة، ولا الأسود إلا لما فيه سواد ، فكذلك لا يسمون القادر إلا لمن له قدرة، والعالم إلا لمن له علم ، الحي إلا لمن له حياة ، وكذلك الكلام في السمع والبصر والإرادة ، ويستحيل وجود قادر لا قدرة له، وعالم لا علم له ، كما يستحيل وجود قدرة ولا قادر ووجود علم ولا عالم ووجود حياة ولا حي[3].

٢. **يلزم الشيعة من قولهم بأن المراد من الصفات مجرد قول الواصفين وعباراتهم ، بأن لا يكون الله تعالى موصوفاً بهذه الصفات عند عدم الواصف له،** فيؤدي عدم وصفه بذلك إلى وصفه بضدها، فمثلاً إذا وصفه الواصف بالحياة والعلم و القدرة فإنه قبل وصف الواصف يلزمهم بأن يكون ميت وجاهل وعاجز وهذا ما لا يقول به عاقل في حق الله تعالى.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان ، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى، حديث رقم:(٨).

(٢) أخرجه النسائي في سننه: كتاب الطلاق، باب الظهار، حديث رقم: (٥٦٢٥)، ٢٧٦/٥، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده حديث رقم:(٢٤١٩٥)، ٢٢٨/٤٠، قال عنه شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح على شرط مسلم.

(٣) الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، يحيى بن أبي الخير العمراني، تحقيق: سعود بن عبد العزيز الخلف، الناشر: أضواء السلف ، الرياض ، ١٩٩٩م ،٢٤٨/١.

٣. **إن من يصف موصوفاً بأمر ليس هو متصفاً به يكون كاذباً،** فمن وصف الله بأنه خالق ورازق وعالم وقادر وقال مع ذلك قال: أنه نفسه ليس متصفاً بعلم وقدرة، أو ليس متصفاً بفعل هو الخلق والإحياء، كان قد وصفه بأمر وهو يقول ليس متصفاً به؛ فيكون قد كذب نفسه فيما وصف به ربه وجمع بين النقيضين فقال: هو متصف بهذا ليس متصف بهذا، وهذا حقيقَة أقوال النفاة فإنهم يثبتون أموراً هي حق ويقولون ما يستلزم نفيها فيجمعون بين النقيضين ويظهر في أقوالهم التناقض . وحقيقة قولهم: أنه موجود ليس بموجود عالم ليس بعالم حي ليس بحي ولهذا كان غلاتهم يمتنعون عن الإثبات والنفي معاً(١).

رابعاً : الرد عليهم من جهة دلالة الإجماع:

" لقد أجمع المسلمون قبل حدوث طوائف نفاة الصفات على أن لله تعالى صفات لم يزل متصفا بها، فكانوا يقولون: علم الله لم يزل، وعلم الله سابق في الأشياء، وإذا نزلت حادثة قالوا كان هذا سابق في علم الله، وقولهم هذا دل على اتصاف الله بصفة العلم، ومن جحد صفة لله تعالى كصفة العلم مثلاً كان خارجاً عن إجماع المسلمين"(٢)

قال الإمام ابن قتيبة(٣) :" لقد تعمق نفاة الصفات بزعم تصحيح التوحيد بنفي التشبيه عن الخالق فأبطلوا الصفات مثل الحلم والقدرة والجلال والعفو وأشباه ذلك. فقالوا هو الحليم ولا نقول بحلم، وهو القادر ولا نقول بقدرة وهو العالم ولا نقول بعلم، كأنهم لم يسمعوا إجماع الناس على أن يقولوا: أسألك عفوك. وأن يقولوا: يعفو بحلم، ويعاقب بقدرة. والقدير هو ذو القدرة والعافي هو ذو العفو، والجليل هو ذو الجلال، والعليم هو ذو العلم، فإن زعموا أن هذا مجاز، قيل لهم ما تقولون في قول القائل: غفر الله لك وعفا عنك وحلم الله عنك، أمجاز هو أم حقيقة؟ فإن قالوا: مجاز. فالله لا يغفر لأحد، ولا يعفو عن أحد، ولا يحلم عن أحد، على الحقيقة. ولن يركبوا هذه. وإن قالوا: هو حقيقة فقد وجب في المصدر ما وجب في الصدر. لأنا نقول: غفر الله مغفرة، وعفا عفوا، وحلم حلما، فمن المحال أن يكون واحد حقيقة والآخر مجازا. وقال الله: ﴿ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾ [الأعراف:١٨٣] وأجمع الناس على أن الحول والقوة لله، والحول الحيلة"(٤).

وقال محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة:" اتفق الفقهاء كلهم من الشرق والغرب على الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله ﷺ في صفة الرب عز و جل من غير تفسير ولا

---

(١) مجموع الفتاوى: ابن تيمية، ٣١٨/٦-٣١٩.

(٢) انظر : الإبانة في أصول الديانة : أبو الحسن الأشعري ، الناشر: دار ابن زيدون للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، بيروت – لبنان، ص٤٢.

(٣)ابن قتيبة: هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى أو المروزى، أبو محمد وقيل أبو عبد الله، كان ثقة ديناً فاضلاً، عالماً باللغة، والنحو، وغريب القرآن، ومعانيه، والشعر، والفقه، من مصنفاته : تأويل مشكل القرآن، وتأويل مختلف الحديث، والمعارف، وغير ذلك، توفي عام ٢٧٦ هـ. (انظر: الأعلام: الزركلي، ١٥٦/١).

(٤) الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، الطبعة: الأولى، الناشر: دار الراية – الرياض، سنة النشر:١٤١٢هـ-١٩٩١م، ص:٣٦-٣٧.

وصف ولا تشبيه فمن فسر شيئا من ذلك فقد خرج مما كان عليه النبي وفارق الجماعة فإنهم لم يصفوا ولم يفسروا ولكن آمنوا بما في الكتاب والسنة ثم سكتوا فمن قال بقول جهم فقد فارق الجماعة"(١)

وثبت عن إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني أنه قال:" إن أصحاب الحديث المتمسكين بالكتاب والسنة يعرفون ربهم تبارك وتعالى بصفاته التي نطق بها كتابه وتنزيله، وشهد له بها رسوله على ما وردت به الأخبار الصحاح ونقله العدول الثقات، ولا يعتقدون تشبيها لصفاته بصفات خلقه ولا يكيفونها تكييف المشبه ولا يحرفون الكلم عن مواضعه تحريف المعتزلة والجهمية"(٢).

ولا أدل من إجماع السلف على إثبات الصفات لله تعالى من موقفهم الحازم من ممن أراد أن يدخل نفي الصفات على الأمة أمثال الجعد بن درهم ، والجهم بن صفوان وأتباعهم، فقد ضحى خالد القيسري أمير العراق في أوائل المائة الثانية بالجعد بن درهم بعد أن استشار العلماء فيه، لما أظهر القول بنفي الصفات(٣)، وكلام السلف في الرد على نفاة الصفات موجود في كتب كثير أتى على ذكر بعضا منها الإمام ابن تيمية في فتاواه(٤).

رابعا: الرد على الشيعة من جهة دلالة العقل:

١. **إن العقل لا يتصور وجود وصف لا يقوم بموصوف، كما أنه لا يتصور موصوفاً لا وصف له، ومثل الصفة والموصوف في ذلك كمثل الفعل والفاعل،** فلو جاز وجود فاعل ليس له فعل، لجاز وجود فعل بدون فاعل، وإذا استحال وجود الفاعل بدون فعل، استحال أيضاً وجود فعل لا فاعل له .وإذا استحال ذلك استحال أيضاً وجود صفة بدون موصوف، كما استحال وجود موصوف بدون صفة .لأن العقل يجزم بأنه لا معنى لموصوف إلا من قامت به الصفة، ولا معنى لصفة إلا إذا كانت قائمة بموصوف(٥) ، فبطل بذلك قول الشيعة:"يستحيل بحكم العقل زيادة الصفات على الذات، وأن الصفات عين الذات".

فمثلا: اسم الله (الْعَلِيم) مشتمل على صفة العلم، والعلم أُثبِت له جل وعلا كغيره من الصفات بالاسم (الْعَلِيم) وبالصفة يعني المجردة، وكذلك بالأفعال التي تشتق منها صفات الباري تعالى، وهذا يدلّ على أنّ العلم الحاصل لله تعالى شيء زائد عن الذات وليس هو عين الذات كما تزعم الشيعة.

٢. **إلزام الشيعة بالمناقضة :وهو أن يقال لهم إذا كنتم تقولون إن الصفة عين الذات فالله هو عين العلم، فقولوا يا علم الله اغفر لنا وارحمنا،** فإن أبيتم ذلك لزمكم المناقضة، فمن قال عالم ولا علم كان مناقضا، كما أن من قال علم ولا عالم كان مناقضا.وما يقال في العلم يقال في بقية الصفات(٦).

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى: ابن تيمية، ٤/٤-٥.

(٢) انظر: المصدر السابق، ٤/٥.

(٣) انظر: شرح الطحاوية في العقيدة السلفية: ابن أبي العز الحنفي، ص ٤٥١.

(٤) انظر: مجموع الفتاوى: ابن تيمية ، ٣/ ١٩.

(٥) انظر: البيهقي وموقفه من الإلهيات: أحمد بن عطية الغامدي ص٢١٢.

(٦) الإبانة في أصول الديانة: أبو الحسن الأشعري، ص٤٢.

٣. **إن قول الشيعة حي بلا حياة أو عالم بلا علم، ممتنع بصريح العقل،** فهو تماما ممتنع كقول من يقول: فلان مصلي بلا صلاة، أو صائم بلا صوم، أو ناطق بلا نطق. وهذا يجزم العقل بداهة بإبطاله ونفيه، إذ أن مدلوله وجود ذات بدون صفات(١).

٤. **لقد نقل السلف لنا نصوص الأسماء والصفات، كما نقلوا لنا القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ولم يؤثر عنهم أنهم نقلوا لنا مقالة التشبيه التي قال بها أوائل الشيعة، ولا مقالة التعطيل وتحريف الآيات وتأويلها التي قال بها متأخروا الشيعة،** فدل ذلك كله على أن منهج السلف في صفات الله تعالى هو المنهج السليم والذي هو منهج قائم على إثبات ما أثبته الله لنفسه وما أثبته رسوله له ﷺ من غير تكيف ولا تمثيل ومن غير تحريف ولا تعطيل .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية مستدلاً على صحة إثبات الصفات لله تعالى:" والدليل على أن هذا مذهب السلف أنهم نقلوا إلينا القرآن العظيم وأخبار رسول الله نقل مصدق لها مؤمن بها قابل لها غير مرتاب فيها ولا شاك في صدق قائلها ولم يفسروا ما يتعلق بالصفات منها ولا تأولوه ولا شبهوه بصفات المخلوقين إذ لو فعلوا شيئا من ذلك لنقل عنهم ولم يجز أن يكتم بالكلية إذ لا يجوز التواطؤ على كتمان ما يحتاج إلى نقله ومعرفته لجريان ذلك في القبح مجرى التواطؤ على نقل الكذب وفعل ما لا يحل بل بلغ من مبالغتهم في السكوت عن هذا أنهم كانوا إذا رأوا من يسأل عن المتشابه بالغوا في كفه تارة بالقول العنيف وتارة بالضرب وتارة بالإعراض الدال على شدة الكراهة لمسألته"(٢).

٥. **يقال للشيعة نفاة الصفات، لو لم يكن الله متصفاً بصفات الكمال على الحقيقة فإنه يلزمكم أن نصفه بضدها،** فلو لم يوصف سبحانه بالحياة لزم اتصافه بالموت ، ولو لم يوصف سبحانه بالعلم للزم وصفه بالجهل وهكذا سائر الصفات.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية بهذا الصدد :" أنه لو لم يكن موصوفا بإحدى الصفتين المتقابلتين: للزم اتصافه بالأخرى فلو لم يوصف بالحياة لوصف بالموت ولم يوصف بالقدرة لوصف بالعجز ولو لم يوصف بالسمع والبصر والكلام لوصف بالصمم والخرس والبكم ...وتلك صفات نقص ينزه عنها الكامل من المخلوقات فتنزيه الخالق عنها أولى"(٣).

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى : ابن تيمية ،٣٣٦/٣ ، منهاج السنة النبوية : ابن تيمية ٤٨٦/٢-٤٨٩، الصفدية: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق : محمد رشاد سالم، الناشر: دار الهدي النبوي، مصر- المنصورة ١٠٤/١.

(٢) مجموع الفتاوى : ابن تيمية، ٣/٤.

(٣) الرسالة التدمرية مجمل اعتقاد السلف: تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، الطبعة الرابعة، الناشر: مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٨هـ، ص٩٧-٩٨.

خلاصة القول الصحيح في مفهوم الصفات:

إن صفات الله سبحانه وتعالى غير الذات وزائدة عليها من حيث مفهومها وتصورها، بيد أنها لا تنفك عن الذات، إذ لا نتصور في الخارج ذاتاً مجردة عن الصفات، فالوقوف عند ما وصف الله به نفسه، أو وصفه به رسوله محمد ﷺ هو الطريق الوحيد لفهم معنى الصفات والتعرف على الله[١].

وقد سئل الشافعي رحمه الله عن صفات الله تعالى فقال:" حرام على العقول أن تمثل الله تعالى وعلى الأوهام أن تحده وعلى الظنون أن تقطع وعلى النفوس أن تفكر وعلى الضمائر أن تعمق وعلى الخواطر أن تحيط وعلى العقول أن تعقل إلا ما وصف به نفسه أو على لسان نبيه عليه الصلاة والسلام"[٢].

وقال الإمام أحمد رضي الله عنه:" لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله لا يتجاوز القرآن والحديث"[٣]

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية:" الله سبحانه ليس كمثله شيء لا في نفسه المقدسة المذكورة بأسمائه وصفاته ولا في أفعاله فكما نتيقن أن الله سبحانه له ذات حقيقة وله أفعال حقيقة فكذلك له صفات حقيقة وهو ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله وكل ما أوجب نقصا أو حدوثا فإن الله منزه عنه حقيقة فانه سبحانه مستحق للكمال الذي لا غاية فوقه ويمتنع عليه الحدوث لامتناع العدم عليه"[٤] .

ويقول الدكتور محمد أمان الجامي :"لا نتجاوز الكتاب والسنة، إذ لا يصف الله اعلم بالله من الله، ولا يصفه في خلقه أعلم من رسوله ﷺ. ولا يقال في صفاته: هي مجاز بل صفاته كلها حقيقة على ما يليق بالله سبحانه، كما أن صفات خلقه حقيقة، حقيقة تناسب حالهم وضعفهم وحدوثهم. فليست الحقيقة كالحقيقة كما هو الشأن في الذات، لأن ذات الله حقيقة، حقيقة تليق به سبحانه، وذوات المخلوقات حقيقة أيضاً، والحقائق مختلفة هنا وهناك. فليعلم ذلك لأنه مقام مهم، ومزلة أقدام زلّت فيها أقدام كثير من علماء الكلام"[٥].

ومن هنا فإن فكرة وجود ذات لا صفات لها فكرة بعيدة كل البعد عن منهج القرآن الكريم والسنة ، بل إنها فكرة عقلية ليس لها وجود في الحقيقة، وهي أشبه بالعدم منه بالوجود، لذلك ردّد علماؤنا كثيراً في مدوناتهم أنّ المشبه يعبد صنما، والمعطل يعبد عدما[٦].

---

(١) الصفات الإلهية في الكتاب والسنة في ضوء الإثبات والتنزيه: د. محمد أمان بن على الجامي، ٢٢/٤، المكتبة الشاملة.

(٢) مجموع الفتاوى: ابن تيمية، ٦/٤.

(٣) المصدر السابق: ٤٧٢/١٦.

(٤) المصدر السابق نفسه: ٢٦/٥.

(٥) الصفات الإلهية في الكتاب والسنة في ضوء الإثبات والتنزيه : د. محمد أمان بن على الجامي ٢٢/٤.

(٦) انظر: شرح الطحاوية في العقيدة السلفية: ابن أبي العز الحنفي ، ص ١٢٦، وأسماء الله وصفاته في معتقد أهل السنة والجماعة : د. عمر سليمان الأشقر ، دار النفائس، عمان الأردن، ص١٥٩.

المبحث الثاني

أقسام الصفات عند الشيعة الاثنا عشرية وعلاقتها بالذات.

تمهيد:

- **أقسام الصفات عند أهل السنة:**

قسم أهل السنة والجماعة صفات الله من جهة تعلقها بالذات إلى قسمين(١):

١. **الصفات الذاتية:** وهي التي لا تنفك عن الذات الإلهية، بل هي لازمة لها أزلاً وأبداً ولا تتعلق بها مشيئته تعالى وقدرته، كصفات الحياة، والعلم، والسمع،والإرادة،والقدرة، والقوة، والملك، والعظمة، والكبرياء، واليد،والوجه، والعزة(٢).

٢. **الصفات الفعلية:** وهي التي تنفك عن الذات وتتعلق بالإرادة والمشيئة والاختيار (٣) وتسمى الصفات الاختيارية، أي تحدث بمشيئة الله واختياره وقدرته، كالخلق والإحياء والإماتة،والاستواء على العرش،والمجيء، والإتيان والنزول إلى السماء الدنيا، والضحك، والرضا، والغضب (٤).

والفرق بين القسمين: أن الصفات الذاتية لا تنفك عن الذات، أما الصفات الفعلية فإنه يمكن أن تنفك عن الذات على معنى أن الله إذا شاء لم يفعلها وكلا النوعين يجتمعان في أنهم صفات الله أزلاً وأبدا، لم يزل ولا يزال متصفاً بهما ماضياً ومستقبلاً لائقتان بجلال الله عز وجل(٥).

---

(١) ذهب عدد من الباحثين إلى أن أول من قسم الصفات الإلهية إلى صفات ذاتية وفعلية ، هو الإمام أبو حنيفة النعمان ، مستدلين بما قاله في كتابه الفقه الأكبر:" لم يزل ولا يزال بأسمائه وصفاته الذاتية والفعلية. أما الذاتية فالحياة والقدرة والعلم والكلام والسمع والبصر والإرادة . وأما الفعلية: فالتخليق والترزيق والإنشاء والإبداع والصنع وغير ذلك من الصفات ، وليس هذا التقسيم من الأمور البدعية في الدين لكونه لم يرد عن الصحابة رضي الله عنهم ، ولا عن تابعيهم ،لأنه تقسيم مبني على استقراء نصوص الكتاب والسنة الشريفة. (انظر: الفقه الأكبر: أبوحنيفة النعمان ، تحقيق محمد عبد الرحمن الخميس ، الناشر: مكتبة الفرقان ، الإمارات العربية ، ١٤١٩هـ ، ص١٤-١٦، مناهج الإسلاميين في إثبات وجود الله ووحدانيته: د. صالح الرقب ، ٤٢٠/١، ونشأة الفكر الفلسفي في الإسلام : د.على سامي النشار ، ٢٣٢/١، والصلة بين التشيع والاعتزال: محمد الجدعاني ، ١٦٥/٢).

(٢) انظر: القواعد الكلية للأسماء والصفات عند السلف: ، ص٨٧-٨٨، الكواشف الجلية: ، ص ٤٢٩ . ومناهج الإسلاميين في إثبات وجود الله ووحدانيته: د. صالح الرقب ، ٤٢٠/١.

(٣) التعريفات:على بن محمد الجرجاني، ص١٧٥، وانظر: البيهقي وموقفه من الإلهيات: أحمد بن عطية الغامدي، ص١٨٥.

(٤) انظر: مجموع الفتاوى : ابن تيمية ٦٨/٦ و٤١٠/٥، وشرح العقيدة الواسطية : الهراس ص٨٩ ، شرح العقيدة الواسطية: ابن عثيمين ص٧٩.

(٥) شرح الطحاوية في العقيدة السلفية: ابن أبي العز الحنفي، ص ١٢٧، و الصفات الإلهية تعريفه و أقسامها: محمد بن خليفة بن علي التميمي ،أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ص ٦٥

وتنقسم الصفات عند أهل السنة من حيث أدلة ثبوتها إلى قسمين:

القسم الأول: الصفات الشرعية العقلية :وهي التي يشترك في إثباتها الدليل الشرعي السمعي والدليل العقلي، والفطرة السليمة .وهي أكثر صفات الله تعالى، بل أغلب الصفات الثبوتية يشترك فيهما الدليلان السمعي والعقلي[١] وهي على قسمين:

١- **صفات ذاتية:** مثل العلم والقدرة والإرادة والحياة والرؤية والسمع والبصر والكلام.

٢- **صفات فعلية:** مثل العلو والخلق والرزق وغيرها [٢].

القسم الثاني:الصفات الخبرية :وتسمى النقلية والسمعية، لأنّ طريق إثباتها لله تعالى الخبر الصادق الذي جاءت به نصوص الكتاب الكريم والسنة الصحيحة، أما العقل فليس له دور في إثبات هذه الصفات سوى التصديق بها بعد ثبوتها بطريق الدليل السمعي[٣].وتنقسم الصفات الخبرية إلى قسمين، هما:

1-**الصفات الخبرية الذاتية :** كالوجه، واليدين، والعين، والقدم، والنفس والإصبع، والساق، وغير ذلك.

2-**الصفات الخبرية الفعلية** : مثل النزول، والاستواء، والإتيان، والمجيء، والمحبة، والرضا، والغضب، والضحك وغيرها[٤].

هذا هو تقسيم السلف للصفات[٥]، فهو تقسيم شامل لجميع أنواع صفات الله تبارك وتعالى فلا يخرج عن هذين القسمين نوع منها، ولأن جميع نصوص الصفات من آيات قرآنية وأحاديث نبوية تدل على صحة هذا التقسيم إذ ورد بعضها بإثبات صفات لازمة للذات العلية ، وبعضها الأخر ورد بإثبات صفات تتعلق بها مشيئته واختياره سبحانه[٦].

---

(١) انظر: الصفات الإلهية في الكتاب والسنة في ضوء الإثبات والتنزيه: د. محمد أمان الجامي ،٤/٧.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى : ابن تيمية ، ٢٢٧/٥، والصفات الإلهية في الكتاب والسنة في ضوء الإثبات والتنزيه: د. محمد أمان الجامي ٤/٧-٥.

(٣) انظر: الصفات الإلهية في الكتاب والسنة في ضوء الإثبات والتنزيه: د. محمد أمان الجامي :٥/٧ .

(٤) انظر: مجموع الفتاوى : ابن تيمية ، ٢٢٧/٥، والصفات الإلهية في الكتاب والسنة في ضوء الإثبات والتنزيه : د. محمد أمان الجامي ، ٧/ ٧.

(٥) انظر المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة، تحقيق عبد الإله بن سليمان الأحمدي ، الناشر: دار طيبة، الطبعة الثانية، الرياض، السعودية، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م ، ٢٨٠/١.

(٦) دراسات في توحيد الأسماء والصفات الإلهية : د.سعد عبد الله عاشور و أ.د. جابر زايد السميري ، مكتبة ومطبعة دار المنارة ، الطبعة الثالثة ، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م ، ص٣٦.

- **أقسام الصفات عند الشيعة الاثنا عشرية.**

يقسم الشيعة صفات الله إلى قسمين[1]:

١. **الصفات السلبية- صفات الجلال-:** ويطلق عليها صفات الجلال ،وهي الصفات التي ينزه عنها الحق سبحانه وتعالى، فلا يجوز أن نطلق على الله تعالى أنه جسم، أو له رجل، أو يضحك، وما شابه ذلك من الصفات الملازمة للمادة وسميت هذه الأوصاف بالجلالية لأنه يجل وينزه عن الاتصاف بها[2].

٢. **الصفات الثبوتية- صفات الكمال والجمال -:** وهي صفات كمال وجمال، وهي إشارة إلى الصفات التي يتصف بها الله عز وجل، مثل العلم والحياة والقدرة، وهي تنقسم إلى قسمين صفات ذات وصفات أفعال[3][4].

يقول صدر الدين الشيرازي:" الصفة إمّا إيجابية ثبوتية وإما سلبية تقديسية ، وقد عبر الكتاب عن هاتين بقوله: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرَّحمن:٧٨]. فصفة الجلال ما جلّت ذاته عن مشابهة الغير، وصفة الإكرام ما تكرمت ذاته بها وتجملت"[5].

ويقول الشيعي جواد على كيسار:" لقد جرى الفكر العقدي للمسلمين على تقسيم الصفات إلى ثبوتية جمالية وسلبية جلالية. معنى الثبوتية باختصار هو إشارة إلى الصفات التي يتصف بها الله عز وجل ، أمّا معنى السلبية فهو الإشارة إلى تلك الصفات التي يتنزه عنها الحقّ سبحانه"[6].

---

(١) انظر: أقسام الصفات عند الشيعة :النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر :العلامة الحلي،ص ٣١، ٤٩ ، تصحيح اعتقادات الإمامية: للشيخ المفيد، ص٤١ ، حق اليقين في معرفة أصول الدين: عبد الله شبر،٤١/١-٥٩ ، عقائد الإمامية : محمد رضا المظفر، ص ٣٨-٣٩ ، دراسات في العقيدة الإسلامية : محمد جعفر شمس الدين ، ص ١٤٤-١٤٥ ، الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة : هاشم معروف الحسيني ، ص١٥٣ ، العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت: الشيخ جعفر السبحاني ، صفات الله السلبية – الأصل الثاني والأربعون: ص٨٠، العقائد الحقة: السيد على الحسيني الصدر ، ص٦٥، صفات الله عند المسلمين : حسين العايش، ص٣٣، والتوحيد عند مذهب أهل البيت: علا الحسون، ص٥٨.

(٢) انظر: صفات الله عند المسلمين: حسن العايش ص٣٣، والتوحيد بحوث تحليلية في مراتبه ومعطياته: جواد على كسار ١١٦/١.

(٣) التوحيد بحوث تحليلية في مراتبه ومعطياته : جواد على كسار ص ١١٦.

(٤) من الجدير ذكره أن التقسيم السابق للصفات هو نفس تقسيم المعتزلة للصفات، وهذا بإقرار علماء الشيعة بذلك حيث يقول محمد جعفر شمس الدين:" لقد سبق منا القول، بأن بعض أئمة المتكلمين من المعتزلة كأبي الهذيل العلاف، وأبي علي الجبّائي، قد قسموا صفات اللّه إلى قسمين: صفات سلبية. وصفات ثبوتية، وهذا هو الذي يظهر من بعض أئمة متكلمي الإمامية أيضاً"(دراسات في العقيدة الإسلامية: محمد جعفر شمس الدين: ص١٤٤) وإن دل هذا فإنه يدل على مدى حرفية نقل متكلمي الشيعة نصوص المعتزلة في الصفات ودقتهم في ذلك النقل ولكن الفارق الوحيد بينهم أنهم ينسبون ذلك إلى أئمة آل البيت.

(٥) الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة: صدر الدين محمد الشيرازي ، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الرابعة ، بيروت –لبنان ، ١٤١٠هـ ، ١١٨/٦.

(٦) التوحيد بحوث تحليلية في مراتبه ومعطياته: جواد على كيسار، ١١٦/١.

وفيما يلي بيان لهذه الأقسام:

المطلب الأول: الصفات السلبية –صفات الجلال-:

أولاً: مفهوم الصفات السلبية عند الشيعة:

يعرف الشيعة الصفات السلبية بأنها الصفات التي يجب سلبها عن الذات، باعتبار أن اتصاف الذات بها يلزم منه محال من المحالات، لأنها تتنافى مع وجوب الوجود، وهي صفات عدمية، ووصفها بالجلالية لأن الذات الإلهية المقدسة تجلّ عن الاتصاف بها(١).

وبمعنى آخر: هي الصفات التي يجلّ الله تعالى عن الوصف بها، لأنها تدلّ على نقص الموصوف بها وعجزه، والله تعالى غني غنى مطلقاً، ومنزه عن كلِّ نقص وعيب. (٢).

يقول علامة الشيعة إبراهيم الزنجاني:" وأما الصفات السلبية التي تسمى بصفات الجلال فهي ترجع جميعها إلى سلب واحد هو سلب الإمكان عنه ،فإن سلب الإمكان لازمة بل معناه سلب الجسمية ، والصورة، والحركة، والسكون، والثقل، والخفة وما إلى ذلك ، بل سلب كل نقص ثم إن مرجع سلب الإمكان في الحقيقة إلى وجوب الوجود، ووجوب الوجود من الصفات الكمالية الثبوتية، والله تعالى واحد من جميع الجهات لا تكثر في ذاته المقدسة ولا تركيب في حقيقة الواحد الصمد"(٣).

وذهب الشيرازي إلى أن الصفات السلبية الجلالية هي سلوب عن النقائص والأعدام، وجميعها يرجع إلى سلب واحد وهو سلب الإمكان عنه تعالى (٤).

فالله سبحانه ليس ممكناً، وما يريدونه من الإمكان هنا هو الإمكان الفقري، فسلبه يعني أنّ الله سبحانه ليس فقيراً، وبذلك ترى الشيعة أن جميع الصفات السلبية ترجع إلى حقيقة واحدة هي سلب النقص عن الله تعالى(٥).

ويرون كذلك أنَّ الصفات السلبية تعود إلى صفة ثبوتية هي أن الّله واحد بسيط مجرد، وتتفرع عن هذه الصفة الثبوتية: أنه تعالى ليس بمرئي، وليس بمتحيز، وليس بمتحد، ولا حالّ في غيره، وأنه ليس بمركَّب. ووجه وجوب سلب هذه الصفات عنه سبحانه أنَّه لو اتصف بها لكان جسماً، فإن جميع هذه الأمور من لوازم إثبات الجسمية له سبحانه"(٦).

---

(١) انظر: العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت ، جعفر السبحاني ، ص ٦٥ ، بداية الحكمة : محمد حسين الطبطبائي، تحقيق عباس علي الزراعي السبزواري، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي ،١٤١٨هـ، ص ٢٠١، والتوحيد عند مذهب أهل البيت عليهم السلام : علاء الحسون ، ص٥٩.

(٢) العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة آل البيت: الشيخ جعفر السبحاني ، ص٦٥ .

(٣) عقائد الإمامية الاثنا عشرية: إبراهيم الزنجاني، الطبعة الخامسة ، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م ، ٢٧/١.

(٤) انظر: الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة ، صدر الدين محمد الشيرازي ، ، الطبعة الرابعة ، الناشر: دار إحياء التراث العربي ،بيروت ، ١٤١٠هـ،١١٨/٦.

(٥) انظر: التوحيد بحوث تحليلية في مراتبه ومعطياته : جواد على كيسار: ١١٧/١.

(٦) عقائد الإمامية: محمد رضا المظفر ص ٣٩، وانظر: العقائد الحقة: على الحسيني الصدر ، ص١٦٦.

ثانياً: طريقة الشيعة في وصف الله تعالى:

الشيعة لا تصف الله تعالى إلا بصفات سلبية ونادراً ما تجد صفة إيجابية يصفون الله تعالى بها وإن وصفوه بها فإنها ليست لأنها صفة لله على الحقيقة بل لأنها مجاز أو كنايات عن ذات الله تعالى، فهم يأتون بالنفي المفصل والإثبات المجمل، فيصفون الله تعالى بقولهم:" ليس هو بجسم، ولا صورة، وليس جوهراً ولا عرضاً، وليس له ثقل أو خفة، ولا حركة أو سكون، ولا مكان ولا زمان، ولا يشار إليه كما لا ند له، ولا شبه، ولا ضد، ولا صاحبة له ولا ولد، ولا شريك، ولم يكن له كفواً أحد، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار"[١].

ولقد دأب علماء الشيعة على وصف الله بهذه الصفات، فيقول شيخهم محمد الحسيني الشهير بالقزويني واصفاً الله سبحانه وتعالى:" لا جزء له، وما لا جزء له لا تركيب فيه، وما ليس بمركب ليس بجوهر، ولا عرض، وما ليس بجوهر ليس بعقل، ولا نفس، ولا مادة، ولا صورة، ولا جسم، وما ليس بجسم ليس في مكان، ولا في زمان، ولا في جهة، ولا في وقت، وما ليس في جهة، لا كم له، ولا كيف ولا رتبة، وما لا كم له، ولا كيف له، ولا جهة لا وضع له، وما ليس له وضع ولا في وقت، ولا في مكان، لا إضافة له ولا نسبة، وما لا نسبة له لا فعل فيه ولا انفعال، وما ليس بجسم ولا لون ولا في مكان، ولا جهة لا يرى، ولا يدرك..." [٢].

ويقول عالم الشيعة إبراهيم الزنجاني مبين عقيدة الشيعة في توحيد الله تعالى:" نعتقد أن الله واحد أحد ليس كمثله شيء قديم لم يزل ولا يزال هو الأول والأخر عليم حكيم حي قادر غني سميع بصير ولا يوصف بما توصف به المخلوقات فليس هو بجسم ولا صورة وليس بجوهر ولا عرض وليس له ثقل أو خفة ولا حركة أو سكون ولا مكان ولا زمان ولا يشار إليه كما لا ند له ولا شبيه ولا ضد ولا صاحبة له ولا ولد ولا شريك ولم يكن له كفواً أحد لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار"[٣].

ولقد أتى الاثنا عشرية بمجموعة من الروايات نسبوها إلى أئمة آل البيت تصف الله بالصفات السلبية، فقد روى صدوق الشيعة بسنده عن علي بن أبي حمزة، قال:" قلت لأبي عبد الله عليه السلام: سمعت هشام بن الحكم يروي عنكم: أن الله عز وجل جسم، صمدي، نوري، معرفته ضرورة، يمن بها على من يشاء من خلقه فقال عليه السلام: سبحان من لا يعلم أحد كيف هو إلا هو، ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير، لا يحد، ولا يحس، ولا يجس ولا يمس، ولا تدركه الحواس، لا يحيط به شيء، لا جسم، ولا صورة، ولا تخطيط، ولا تحديد" [٤].

(١) عقائد الإمامية: محمد رضا المظفر ، ص٣٦ ، وانظر: الاعتقادات في دين الإمامية: الصدوق، ص ٢٢.

(٢) قلائد الخرائد في أصول العقائد: محمد الحسيني القزويني، الناشر: مطبعة الإرشاد ، بغداد، ١٩٧٢م، ص٥٠.

(٣) عقائد الإمامية الاثنا عشرية: إبراهيم الزنجاني ، ٢٥/١

(٤) التوحيد : الصدوق ، باب معنى الواحد ، حديث رقم: ٤ ، ص ٩٨

ونسب إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ أنه قال:" لم يخلق ما خلق لتشديد سـلطانه، ولا تخوف من عواقب زمان، ولا استعان على ند مثاور ، ولا شريك مكاثر ، ولا ضد منافر، ولكن خلائـق مربوبون وعباد داخرون، ولم يحلل في الأشياء فيقال: هو كائن، ولم ينأ عنها فيقال: هو منها بائن..."(١).

وروي أنه سئل محمد بن الحنفية عن الصمد فقال قال علي عليه السلام:" تأويـل الصـمد ... لا اسم ولا جسم، ولا مثل ولا شبه ، ولا صورة ولا تمثال ، ولا حد ولا حدود ، ولا موضع ولا مكان ، ولا كيف ولا أين ، ولا هنا ولا ثمة ، ولا على ولا خلا ولا ملا ، ولا قيام ولا قعود ولا سكون ولا حركـة ، ولا ظلماني ولا نوراني ، ولا روحاني ولا نفساني ، ولا يخلو منه موضع ولا يسعه موضع ، ولا علـى لون ، ولا خطر على قلب بشر ، ولا على شم رائحة ، منفي عنه هذه الأشياء"(٢).

وروى المجلسي في بحاره عن الصادق عليه السلام:" عن أبي عبد الله عليه السـلام أنـه كـان يقول: الحمد لله الذي لا يحس ولا يجس ولا يمس، ولا يدرك بالحواس الخمس، ولا يقع عليه الـوهم، ولا تصفه الألسن، وكل شئ حسته الحواس أو لمسته الايدي فهو مخلوق، الحمد لله الذي كان إذ لم يكن شـئ غيره، وكون الأشياء فكانت كما كونها، وعلم ما كان وما هو كائن"(٣).

وترى الشيعة أن كل ما يسلب عنه سبحانه من الصفات لا يمكن أن يرجع إلى كمال وجودي بل لابد أن يرجع إلى سلب وإلى عدم وإلى نقص، فهم في سلب الصفات السلبية إنما يسلبون عنه الأعـدام و النقائص، وهم بذلك يرون أنهم ينزهون ذاته تعالى عن كل نقص وعيب، فمثلاً حينما يقـال أن الله لـيس بجسم ، وإنه لا مكان له ولا زمان ، وإنه ليس لله حد ، ولا يحل في شيء ولا يحل فيه شيء وأنه لا نـد له ولا مثيل ونحو ذلك ، فإن مرجع كل هذا إلى سلب النقص وسلب العدم والعيب ، ومن ثم فهي ترتد إلى إثبات الوجود(٤).

---

(١) نهج البلاغة: مجموع ما اختاره الشريف الرضي من كلام أمير المؤمنين، شرح محمـد عبـده ، خطبـة رقـم ٦٥، ١١٣/١.

(٢) معارج اليقين في أصول الدين: محمد السبزوار، تحقيق : علاء آل جعفر ، الناشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام ، قم ، ١٤١٠هـ -١٩٩٣م ، ص٣٨.

(٣) بحار الأنوار: المجلسي، باب نفي الجسم والصورة والتشبيه والحلول والاتحاد ، وأنه لايـدرك بـالحواس والأوهـام والعقول والأفهام ، حديث رقم:٣١، ٣٠٠/٣.

(٤) التوحيد بحوث تحليلية في مراتبه ومعطياته : جواد على كسار، ٤٦٤/٢-٤٦٥.

المطلب الثاني: مناقشة الصفات السلبية عند الشيعة.

إنَّ نفي الصفات السلبية أو التنزيهية عن الله تعالى ، مما قد ورد في الشرع الحكيم، فالمؤمنون مطالبون بنفي ما نفاه الله سبحانه عن نفسه في كتابه الحكيم، أو على لسان رسوله ﷺ، كالموت، والنوم، والجهل، والنسيان والعجز، والتعب، وهم مطالبون كذلك بإثبات ضد هذه الصفات لله تعالى على الوجه الأكمل؛ وذلك لأن ما نفاه الله تعالى عن نفسه فالمراد به بيان انتفائه لثبوت كما ضده لا لمجرد النفي؛ لأن النفي ليس بكمال إلا أن يتضمن ما يدل على الكمال؛ وذلك لأن النفي عدم، والعدم ليس بشيء فضلاً عن أن يكون كمالاً [١] ، وهذا جوهر خلافنا مع الشيعة في فهم ومعرفة الصفات السلبية، فالشيعة لم تعد إلى نصوص الكتاب والسنة لمعرفة الصفات التي ينزه الله تعالى منها، وإنما أطلقوا العنان لأهوائهم وأرائهم الفاسدة التي اقتبسوها من المعتزلة ، فعدوا بعضاً من الصفات التي أثبتها الله تعالى لنفسه في كتابه العزيز وعلى لسان رسوله ﷺ مثل صفة الرؤية والعلو ، والجهة، من الصفات السلبية التي ينزه الله تعالى عنها، كذلك أتوا بألفاظ مبتدعة مستحدثة لم ترد في كتاب الله ولا سنة رسوله ﷺ مثل الجسم وعدوها من الصفات السليبة، هذا فضلاً عن بعدهم التام عن طريقة القرآن في النفي والإثبات، القائمة على النفي المجمل والإثبات المفصل، ومن هنا فإن مفهوم الشيعة للصفات السلبية وطريقتهم في تنزيه الله فاسد شرعاً وعقلاً ، وإليك بعض الأدلة على ذلك:

الدليل الأول: إن من أبلغ العلوم الضرورية أن الطريقة التي بعث الله بها أنبياءه ورسله، وأنزل بها كتبه، مشتملة على الإثبات المفصل، والنفي المجمل، فإن الرسل أخبرت كما أخبر الله في كتابه الذي بعث به رسوله أنه بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، وأنه حكيم عزيز، غفور ودود، وأنه خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش، وأنه كلم موسى تكليماً، وتجلى للجبل فجعله دكاً، وأنه أنزل على عبده الكتاب، إلى غير ذلك من أسمائه وصفاته. وقال في النفي:﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ ،﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [مريم:٦٥] ، ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ [الاخلاص:٣] ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الاخلاص:٤]، وعلى أهل العلم والإيمان اتباع المرسلين من الأولين والآخرين، وأما طريقة الشيعة، فهي نفي مفصل، فيقولون الله ليس بجسم، وإنه لا مكان له ولا زمان ، وإنه ليس لله حد ، ولا يحل في شيء ولا يحل فيه شيء وأنه لا ند له ولا مثيل ونحو ذلك، وإثبات مجمل . يقولون: هو الوجود المطلق أو وجود مقيد بالأمور السلبية. وكل من علم ما جاءت به الرسل، وما يقوله الشيعة، علم أنهم في غاية المشاقة والمحادة والمحاربة لله ورسله[٢].

---

(١) انظر: شرح القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى: محمد بن صالح العثيمين، تقديم: عبد العزيز بن باز، الطبعة: الأولى، الناشر: مكتبة الصفا – القاهرة، سنة النشر: ١٤٢٩هـ، ص: ٧٥-٨٦ .

(٢) انظر: بيان الدليل على بطلان التحليل : ابن تيمية ، ٤٠٧/٥-٤٠٨ .

الدليل الثاني: إن الطريق الصحيح في معرفة ما ينفي عن الله تعالى وما يثبت له من صفات هو طريق القرآن الكريم، فالنفي في القرآن الكريم يكون مجملاً كما في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشُّورى:١١]والإثبات يكون مفصلا كما في قوله:﴿وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ وهذا بخلاف طريقة الشيعة ونحوهم من أهل البدع، فإنهم يجعلون الإثبات مجملاً، والنفي مفصلاً، فيقولون في صفات الله تعالى: إن الله ليس بجسمٍ ولا بشبحٍ ولا بصورة ولا بذي أعضاء ولا بذي جوارح....إلى آخر ما يذكرونه من ألفاظ للسلبيات، وإذا أتى الإثبات إنما أثبتوا مجملاً. فصار نفيهم وإثباتهم على خلاف ما دلَّت عليه الآية:{ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ } فالمعلوم أن النفي المجملْ فيه مدح، والإثبات المفصلْ فيه مدح [(١)].

الدليل الثالث: إن النفي الوارد في القرآن الكريم مستلزم لصفة ثبوتية يمدح الله بها، فلا ينفي القرآن صفة نقص عن الله إلا وكانت متضمنة صفة مدح وكمال، فقوله تعالى: ﴿اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ العَلِيُّ العَظِيمُ﴾ [البقرة:٢٥٥]، فيه نفي السنة والنوم عن الله تعالى، ونفيهما تضمّن كمال الحياة والقيومية[(٢)]، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الأَرْضِ﴾ [سبأ:٣]، فإن نفي العزوب مستلزم لعلمه بكل ذرة في السموات والأرض . وكذلك قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [ق:٣٨]فإن نفي مس اللغوب الذي هو التعب والإعياء دل على كمال القدرة ونهاية القوة بخلاف المخلوق الذي يلحقه من النصب والكلال ما يلحقه. ويطرد هذا المنهج في سائر الآيات التي جاءت على هذا المنوال[(٣)]، وبذلك يتضح أن الإكثار من النفي ليس فيه مدح ولا كمال ما لم يتضمن إثباتاً؛ لأن النفي المحض عدم محض، والعدم المحض ليس بشيء.

الدليل الرابع: إجماع الأمة على إنكار طريقة الشيعة في الصفات السلبية، وأنَّ الجهم بن صفوان وأتباعه أول من أحدث في الإسلام الصفات السلبية وإبطال نقيضها، وليس أئمة آل البيت كما تدعي الشيعة، فنقلوا عنه – أي الجهم – قوله ليس فوق العالم ولا هو داخل العالم ولا خارجه وليس في مكان دون مكان وليس بمتحيز ولا جوهر ولا جسم له ولا نهاية ولا حد ونحو هذه العبارات، و هذه العبارات جميعها وما يشبهها لا تؤثر عن أحد من الصحابة والتابعين ولا من أئمة الدين المعروفين ولا يروى بها حديث عن النبي ﷺ ولا توجد في شيء من كتب الله المنزلة من عنده بل هذه هي من أقوال

(١) انظر: النفي والإثبات: الرسالة التدمرية، ابن تيمية ، ص ٧–٨، شرح العقيدة الطحاوية: ابن أبي العز الحنفي، ص ٤٧.
(٢) العقيدة في الله: د. عمر سليمان الأشقر ، دار النفائس للنشر والتوزيع ، الطبعة الرابعة عشر – الأردن ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م ، ص ٢٤٥.
(٣) انظر: الصلة بين التشيع والاعتزال: محمد الجدعاني، ١٦٣/٢.

الجهمية ومن الكلام الذي اتفق السلف على ذمه[1] ، فعلم بذلك أن ما ينقله الشيعة عن أئمة آل البيت من وصفهم الله تعالى بصفات السلب من الكذب المفترى عليهم ، و بذلك يكون الشيعة بإجماع الأمة من الكذابين ، الذين يكذبون على أئمة آل البيت والناس ويتخذونه دينا.

يقول الإمام ابن تيمية:" ولهذا لم يكن النبي ﷺ والصحابة والتابعون يعظمون الرب بشيء مما تذكره الشيعة من الصفات السلبية ، ولا يوجد في كتاب الله ولا في سنة رسوله ولا في آثار الأنبياء وسلف الأمة وأئمتها شيء من ذلك بل أعظم ما نقل عن النبي ﷺ في تعظيم الرب وتمجيده يوم قرأ على المنبر وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه، كما روى ذلك أبو هريرة وعبد الله بن عمر والحديث في الصحيحين والآية دلت على عظم قدر الرب الذي يقبض الأرض ويطوي السموات بيمينه وهذا وصف لأمور وجودية تقتضي عظمة القدرة بخلاف السلوب المحضة، ففي حديث ابن عمر الذي في الصحيح قال سمعت رسول الله ﷺ قال:" يأخذ الجبار سمواته وأرضه بيديه وقبض كفيه أو قال يديه فجعل يقبضهما ويبسطهما ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون ويميل رسول الله ﷺ عن يمينه وشماله حتى نظرت إلى المنبر من أسفل شيء حتى إني لا أقول أساقط هو برسول الله ﷺ[2]"[3].

الدليل الخامس: يقال للشيعة أنتم حينما تقولون أن الله ليس بجسم ، وأنه لا مكان له ولا زمان، وأنه ليس لله حد، ولا يحل في شيء، ولا يحل فيه شيء وأنه لا ند له ولا مثيل، ونحو ذلك من صفات السلب، فإن جملتكم هذه وإن كان فيها حق وباطل فإنَّ فيها سوء أدب، فإنك لو قلت للسلطان: أنت لست بزبال ولا كساح ولا حجام ولا حائك ! لأدبك على هذا الوصف وإن كنت صادقاً ، وإنما تكون مادحاً إذا أجملت النفي فقلت : أنت لست مثل أحد من رعيتك ، أنت أعلى منهم شرف ومنزلة ، فإذا أجملت في النفي تكون أجملت في الأدب[4].

ويوضح شارح الطحاوية أن إطلاق النفي المحض الذي لا يشتمل على المدح يدل على العجز والنقص لا إلى إثبات الكمال ضارباً لذلك مثل بقول الشاعر:

إذا الله عادى أهل لؤم ورقة ... فعادى بني العجلان رهط ابن مقبل
قُبَيلَةٌ لا يغدرون بذمة ... ولا يظلمون الناس حَبّة خردل

فيقول:" لما اقترن بنفي الغدر والظلم عنهم ما ذكره قبل هذا البيت وبعده ،وتصغيرهم بقوله قُبيلة عُلم أن المراد عجزهم وضعفهم، لا كمال قدرتهم"[5].

كذلك لشوكاني كلام جميل في الرد على أمثال هؤلاء المعطلة بعد أن ساق قولهم بأنه ليس بجسم ولا عرض ولا جوهر،..إلخ، فيقول:" فأنشدك الله أي عبارة تبلغ مبلغ هذه العبارة في النفي وأي مبالغة

---

(١) انظر: بيان تلبيس الجهمية: ابن تيمية ، ١/٦٠٠، ٢/١٥٦.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، حديث رقم:(٢٧٨٨).

(٣) بيان تلبيس الجهمية: ابن تيمية، ١/٩٧-٩٨. بتصرف

(٤) شرح العقيدة الطحاوية : ابن أبي العز الحنفي ، ص٤٨.

(٥) المصدر السابق ،ص٤٧.

في الدلالة على هذا النفي تقوم مقام هذه المبالغة فكان هؤلاء في فرارهم من شبهة التشبيه إلى هذا التعطيل، كالمستجير من الرمضاء بالنار، والهارب من لسعة الزنبور إلى لدغة الحية، ومن قرصة النملة إلى قضمة الأسد وقد يغني هؤلاء وأمثالهم من المتكلمين المتكلفين كلمتان من كتاب الله تعالى وصف بهما نفسه وأنزلهما على رسوله ،وهما ولا يحيطون به علما، وليس كمثله شيء فإن هاتين الكلمتين قد اشتملتا على فصل الخطاب وتضمنتا ما يعين أولى الألباب السالكين في تلك الشعاب"[١].

ويقول الإمام ابن القيم رحمه الله[٢]:" وحقيقة أمرهم – أي المعطلة- أنهم لم يثبتوا لله عظمة إلا ما تخيلوه في نفوسهم من السلوب والنفي الذي لا عظمة فيه ولا مدح فضلاً عن أن يكون كاملاً بل ما أثبتوه مستلزم لنفي ذاته رأساً"[٣].

الدليل السادس: إن الشيعة في وصفها الله تعالى بالصفات السلبية ونفيها عنه الصفات الثبوتيه، لا تكون قد نزهت الله تعالى وأثبتت وجوب وجوده بل أثبتت امتناع وجوده" وأهل الإثبات يقولون لهم الموصوف بهذه الصفات السلبية المنفي عنه الصفات الثبوتية لا يكون إلا ممتنعا والامتناع ينافي الوجود فضلا عن وجوبه والذين وصفوه بهذه السلوب وصفوه بما لا يتصف به إلا ما يمتنع وجوده ومن وصف ما يجب وجوده بما يمتنع وجوده فقد جعله دون المعدوم الممكن الوجود، ويقولون للمعطلة النفاة أنتم فررتم من وصفه بما يستلزم الإنكار بزعمكم فوصفتموه بما يستلزم الامتناع من وصفه ومن وصف بما يستلزم الحدوث على ظنكم فوصفتموه بما يستلزم العدم والأجسام الجامدة خير من المسلوب عنه هذه الصفات فضلا عن الأجسام الحية الناقصة فضلا عن الأجسام الحية الكاملة، ومن المعلوم أنه إذا دار الأمر بين وجود حي كامل وبين معدوم أو ممتنع كان الموجود خيرا من المعدوم... "[٤] .

يقول الإمام ابن تيمية:" ينبغي أن يعلم أن النفي ليس بمدح ولا كمال إلا إذا تضمن إثباتاً وإلا فمجرد النفي ليس فيه مدح ولا كمال لأن النفي المحض عدم محض والعدم المحض ليس بشيء. وما ليس بشيء هو كما قيل ليس بشيء فضلاً عن أن يكون مدحاً أو كمالاً، ولأن النفي المحض يوصف به المعدوم والممتنع، والمعدوم والممتنع لا يوصف بمدح ولا كمال"[٥].

---

(١) التحف في مذاهب السلف: محمد بن على الشوكاني ، تحقيق طارق السعود ، دار الهجرة بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٨هـ -١٩٨٨م. ص٧٣

(٢) ابن القيم: هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعيد بن حريز الزرعي الدمشقي، أبو عبد الله شمس الدين، من أركان الاصلاح الاسلامي، وأحد كبار العلماء.ولد بدمشق عام ٦٩١هـ، وتوفي فيها عام ٧٥١هـ. تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية حتى كان لا يخرج عن شئ من أقواله، بل ينتصر له في جميع ما يصدر عنه. وهو الذي هذب كتبه ونشر علمه، وسجن معه في قلعة دمشق، وأهين وعذب بسببه، وطيف به على جمل مضروبا بالعصى.وأطلق بعد موت ابن تيمية.وكان حسن الخلق محبوبا عند الناس، أغري بحب الكتب، وألف تصانيف كثيرة منها: إعلام الموقعين ، وشفاء العليل ، والصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة وغيرها (انظر: الأعلام ، للزركلي، ٥٦/٦).

(٣) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة: ابن القيم الجوزية، ١٣٧٠/٤.

(٤) المصدر السابق: ١٢٣٤/٤.

(٥) الرسالة التدمرية: ابن تيمية، ص٣٩.

الدليل السابع: جعلت الشيعة أن الهدف من الصفات السلبية يعود إلى نفي النقائص والأعدام عن الله تعالى وإلى إثبات وجوب الوجود، ومن خلال هذه السلوب يتم معرفة الله تعالى، وهذا كلام غير صحيح، لأن معرفة الله تعالى لا تكون بمعرفة صفات السلب ، بل الأصل في معرفته يعود إلى الصفات الثبوتية، والسلب تابع ومقصوده تكميل الإثبات، " فإن السلب لا يراد لذاته، وإنما يقصد لما يتضمنه من إثبات الكمال، فكل ما نفاه الله عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ من صفات النقص فإنه متضمن للمدح والثناء على الله بضد ذلك النقص من الأوصاف الحميدة والأفعال الرشيدة"[١].

يقول الإمام ابن تيمية:" فالذين لا يصفونه إلا بالسلوب: لم يثبتوا في الحقيقة إلها محمودا بل ولا موجودا وكذلك من شاركهم في بعض ذلك كالذين قالوا لا يتكلم أو لا يرى أو ليس فوق العالم أو لم يستو على العرش ويقولون : ليس بداخل العالم ولا خارجه ولا مبايناً للعالم ولا محايثاً له ؛ إذ هذه الصفات يمكن أن يوصف بها المعدوم ؛ وليست هي صفة مستلزمة صفة ثبوت ولهذا قال محمود بن سبكتكين[٢]لمن ادعى ذلك في الخالق: ميز لنا بين هذا الرب الذي تثبته وبين المعدوم"[٣].

الدليل الثامن: إنَّ الشيعة لا تصف الله إلا بالصفات السلبية المحضة على وجه التفصيل، وتنكر وتنفي اتصاف الله تعالى بالصفات الثبوتية على الحقيقة، وقولهم هذا يستلزم التعطيل، وغاية التمثيل، أما استلزامه غاية التعطيل فلأنه يؤول إلى إنكار وجود الله تعالى حيث عطلوا الله تعالى عن أسمائه وصفاته تعطيلاً يستلزم نفي الذات، لأنه يمتنع وجود ذات مجردة عن الصفات. وأما استلزامه غاية التمثيل فلأنهم مثلوه بالجمادات والمعدومات. فإذا قالوا إنه لا يتكلم ولا يسمع ولا يبصر حقيقة ففي هذا تشبيه له بالجمادات، وإذا قالوا إنه لا داخل العالم ولا خارجه ولا يرى ففي هذا تشبيه له بالمعدومات[٤].

الدليل التاسع: لقد نفت الشيعة عن الله صفات أثبتها لنفسه في كتابه، مثل صفة الرؤية يقول تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ،إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]،، وكذلك وصف الله بالعلو والفوقية على المخلوقات قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام:١٨]، وكذلك صفة الاستواء قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه:٥] إلى غير ذلك من الصفات الثبوتية والتي جاءت الدلالة عليها من خلال المئات من الآيات والأحاديث النبوية الشريفة الصحيحة والتي عدتها الشيعة من الصفات السلبية، وكذلك قد نفت صفات لم ترد فيها إثبات ولا نفي مثل الجسم ، فيقال للشيعة ما الدليل من الكتاب ومن السنة الصحيحة على ما نفيتم؟، فلن يجدوا أبداً، لذا فهم لا يقيموا وزنا لكتاب الله و سنة نبيه ﷺ ، فهم

---

(١) مجموع الفتاوى: ابن تيمية، ١١٢/١٧.

(٢) محمود بن سبكتكين السلطان الغزنوي أبو القاسم ، ولد عام ٣٦١هـ وتوفي عام ٤٣١هـ، امتدت سلطنته من أقاصي الهند إلى نيسابور، عاش مجاهداً في سبيل الله محباً للعلم والعلماء وله سيرة حسنة.(انظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: أبو الفرج عبد الرحمن بن على الجوزي، الطبعة الأولى، الناشر: دار صادر، بيروت، ١٣٥٨هـت، ٥٢/٨، ووفيات الأعيان: ١٧٥/٥-١٨٢).

(٣) الرسالة التدمرية : ابن تيمية، ص٤١.

(٤) انظر: مجموع الفتاوى : ابن تيمية، ٣٧/٣.

فيقولون عن الله أنه ليس بجسم ولا صورة وما ليس في جهة ، ولاكم له ...إلخ. وهذه الألفاظ ليست منصوصة في الكتاب، ولا في السنة بل هي ألفاظ مستحدثة مبتدعة، هذا فضلاً على تضمنها إنكار لبعض ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسولهﷺ .

الدليل التاسع: يقال لشيعة، كيف تحمدون الله وتثنون عليه بهذه السلوب؟!، إن الحمد والثناء لا يكون إلا بالأمور الثبوتية الوجودية لا بالعدم المحض أو بنفي الأمور السلبية، يقول الإمام ابن تيمية: "والحمد والثناء إنما يكون بالأمور الوجودية، أو ما يستلزم الأمور الوجودية، فأما العدم المحض فلا مدح فيه ولا ثناء، فإن المعدوم المحض لا يثنى عليه، ولهذا لا يثني ﷻ على نفسه إلا بالصفات الثبوتية، أو ما يستلزم ذلك، كقوله تعالى: ﴿اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ العَلِيُّ العَظِيمُ﴾ [البقرة:٢٥٥] وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أن هذه الآية أعظم آية في القرآن كتاب الله، وقد وصف نفسه فيها بالصفات الثبوتية وذكر فيها خمسة سلوب ... والمقصود أن المدح والثناء لا يكون إلا في الإثبات، فإنه إنما يكون بصفات الكمال، والكمال إنما يكون في الأمور الوجودية، فأما العدم فلا كمال فيه، فمن لم يصفه إلا بالسلوب ... فهو لم يثبته ولم يجعله موجودا فضلا عن أن يكون موصوفا بالكمال ممدوحا مثنيا عليه ﷻ عما يقول الظالمون علوا كبيرا."(١)

الدليل العاشر: إنَّ أئمة الشيعة لم يكونوا يصفون الله بصفات السلوب، وذلك بشهادة كتب الشيعة نفسها، فهناك الكثير من الروايات التي ترويها الشيعة عن أئمتها تثبت صفات عدتها الشيعة من الصفات السلبية، وهناك روايات أخرى أوصت بعدم تجاوز طريقة القرآن الكريم في النفي والإثبات، وهذه بعض منها:

أولاً: الروايات التي تثبت الصفات لله تعالى، والتي عدتها الشيعة من الصفات السلبية التي ينزه الله تعالى منها:

وروى الكافي بسنده عن أبي عبد الله ؛ قال: إن للجمعة حقًا وحرمة، فإياك أن تضيّع أو تقصر في شيء من عبادة الله والتقرب إليه بالعمل الصالح وترك المحارم كلها؛ فإن الله يضاعف فيه الحسنات، ويمحو فيه السيئات، ويرفع فيه الدرجات، قال: وذكر أن يومه مثل ليلته، فإن استطعت أن تحييها بالصلاة والدعاء فافعل؛ فإن ربك ينزل في أول ليلة الجمعة إلى سماء الدنيا، فيضاعف فيه الحسنات ويمحو فيه السيئات، وإن الله واسع كريم"(٢) .والشاهد في هذه الرواية ، ثبوت صفة النزول الرب جل وعلا إلى السماء الدنيا .

روى المجلسي بسنده عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: بعث إلى رسول الله صلى الله عليه وآله من اليمن بذهبة في أديم مقروظ يعني مدبوغ بالقرظ لم يخلص من ترابها، فقسمها رسول الله صلى الله

---

(١) الصفدية: ابن تيمية، ٦٣/٢-٦٦.

(٢) فروع الكافي ، الكليني، باب فضل يوم الجمعة وليلته، حديث رقم: ٦، ٤١٤/٣-٤١٥.

عليه وآله بين خمسة نفر: الاقرع بن حابس، وعيينة بن بدر، وزيد الخيل، وعلقمة بن علاثة، وعامر ابن الطفيل فوجد في ذلك ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وقالوا: كنا نحن أحق بهذا، فبلغ ذلك صلى الله عليه وآله فقال: ألا تأمنونني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر السماء صباحاً ومساء"(١) ، والشاهد في هذه الرواية ، ثبوت صفة العلو لله تعالى.

ثانياً: الروايات التي أوصى بها الأئمة عدم تجاوز القرآن في النفي والإثبات:

١. عقد صاحب الكافي بابًا بعنوان "باب النهي عن الصفة بغير ما وصف به نفسه تعالى"(٢) وذكر فيه اثنتي عشرة رواية عن الأئمة منها ما رواه عن عبد الرحيم بن عتيك القصير قال: كتبت على يدي عبد الملك بن أعين إلى أبي عبد الله عليه السلام: "إن قومًا بالعراق يصفون الله بالصورة وبالتخطيط فكتب إليّ: سألت رحمك الله عن التوحيد وما ذهب إليه من قبلك، فتعالى الله الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، وتعالى عما يصفه الواصفون المشبهون الله بخلقه المفترون على الله، فاعلم رحمك الله أن المذهب الصحيح في التوحيد ما نزل به القرآن من صفات الله جل وعز، فانف عن الله تعالى البطلان والتشبيه فلا نفي ولا تشبيه وهو الله الثابت الموجود تعالى الله عما يصفه الواصفون ولا تعدوا القرآن فتضلوا بعد البيان"(٣)

٢. وروى أيضاً الكليني بسنده وعن المفضل قال: سألت أبا الحسن عن شيء من الصفة فقال: "لا تجاوز ما في القرآن"(٤)

٣. وكتب أحد أتباع أبي الحسن موسى -عليه السلام- له ، يسأله أن يعلّمهم ما القول الذي ينبغي أن يدين الله به من صفة الجبّار ، فأجابه في عرض كتابه:" فهمت رحمك الله ، واعلم رحمك الله أنّ الله أجلّ وأعلى وأعظم من أن يُبلغ كنه صفته، فصِفُوه بما وصف به نفسه، وكفّوا عمّا سوى ذلك "(٥).

فهذه الروايات وغيرها قد أكدت على عدم تجاوز القرآن الكريم في وصف الله تعالى ، ودلت أن أئمة آل البيت كانوا يثبتون الصفات لله تعالى، وأن طريقة الشيعة المتأخرون في وصف الله بالصفات السلبية والتي لم ترد في الكتاب والسنة، مخالفة لما أمر به أئمة آل البيت من عدم تجاوز القرآن، فعلم بذلك، أن ما زعموا ثبوته عن أئمتهم من وصف الله تعالى بالصفات السلبية فإنه لا يصح بحال من الأحوال، إذ المنهج في العقائد واحد، والطريقة واحدة منذ أن أرسل الله الرسل وأنزل الكتب فأنى تختلف تلك الطرق.

---

(١) بحار الأنوار: المجلسي، الباب السادس ، أصناف مستحق الزكاة وأحكامه، حديث رقم: ٤٥، ٧٠/٩٣

(٢) انظر: أصول الكافي: الكليني، ١/١٠٠-١٠٤.

(٣) أصول الكافي: الكليني، كتاب التوحيد، باب النهي عن الصفة بغير ما وصف به نفسه تعالى ،حديث رقم : ١ ، ١/١٠٠. قال المجلسي الحديث مجهول،(مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول : المجلسي، ١/٣٤٥).

(٤) المصدر السابق ، كتاب التوحيد ، باب النهي عن الصفة بغير ما وصف به نفسه تعالى،حديث رقم:٧ ١/١٠٢. قال المجلسي الحديث ضعيف، (مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول : المجلسي، ١/٣٥١).

(٥) بحار الأنوار :المجلسي، باب النهي عن التفكر في ذات الله تعالى ، والخوض في مسائل التوحيد ، وإطلاق تاقول بأنه شيء،حديث رقم: ٣١ ، ٣ /٢٦٦.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بهذا الصدد :" ومن المعلوم أنه لا يمكن أحداً أن ينقل عن محمد ولا عن إخوانه المرسلين كموسى وعيسى صلوات الله عليهم ما يدل على قول النفاة لا نصاً ولا ظاهراً ، بل الكتب الإلهية المتواترة عنهم والأحاديث المتواترة عنهم تدل على نقيض قول النفاة وتوافق قول أهل الإثبات .وكذلك أصحاب رسول الله والتابعون له بإحسان، وأئمة المسلمين أرباب المذاهب المشهورة وشيوخ المسلمين المتقدمين لا يمكن لأحد أن ينقل نقلاً صحيحاً عن أحد منهم بما يوافق قول النفاة بل المنقول المستفيض عنهم يوافق قول أهل الإثبات..."[1].

وفي موضع آخر يبين شيخ الإسلام أن الاثنا عشرية مخالفون لأئمتهم في عامة أصولهم، حيث قال:" ولكن الإمامية تخالف أهل البيت في عامة أصولهم فليس في أئمة أهل البيت مثل علي بن الحسين وأبي جعفر الباقر وابنه جعفر بن محمد الصادق من كان ينكر الرؤية أو يقول بخلق القرآن أو ينكر القدر... إلخ"[2]، لذا فإن قولاً لم يكن مسبوقاً بوحي إلهي وهداية محمدية ولم يقل به أحد من السلف وأئمتها أنى يكون له وزناً فضلاً عن أن يكون اعتقاداً .

وبهذه النماذج من الأدلة يتضح أن الطريق الصحيح في النفي والإثبات وفهم الصفات السلبية وغيرها من الصفات، هو طريق القرآن الكريم فهو الطريق الأسلم والأحكم والأعلم، فلا ينفى عن الله أعلم بالله من الله ولا يوصف الله أعلم بالله من الله.

---

(١) درء تعارض العقل مع النقل:ابن تيمية، ٢٣/٤-٢٤.

(٢) منهاج السنة: ابن تيمية ، ٣٦٨/٢.

المطلب الثالث: الصفات الثبوتية وأقسامها عند الشيعة الاثنا عشرية.

مر معنا فيما سبق تعريف الشيعة للصفات الثبوتية -صفات الكمال والجمال- ، وأنها إشارة إلى الصفات التي يتصف بها الله عز وجل، مثل العلم والحياة والقدرة، ...إلخ، وهذه الصفات ليست صفات لله على الحقيقة وإنما إشارات وعبارات ذهنية تحدثها عقولنا عند الحديث عن الذات(١).

ولقد درج الشيعة الاثنا عشرية في حديثهم عن الصفات الثبوتية إلى تقسيمها إلى قسمين: صفات ذات، وصفات أفعال(٢)، أو ما يسميها بعضهم بالصفات الحقيقية والصفات الإضافية(٣).

يقول شيخ الشيعة المفيد:"صفات اللّه على ضربين، أحدهما منسوب إلى الذات، فيقال عنها أنها صفات للذات. وثانيهما منسوب إلى الأفعال، فتكون صفة لها"(٤).

ويقول محمد رضا المظفر":صفاته تعالى الثبوتية الحقيقية الكمالية التي تسمى بصفات الجمال والكمال كالعلم، والقدرة، والغنى، والإرادة، والحياة هي كلّها عين ذاته، ليست هي صفات زائدة عليها، وليس وجودها إلا وجود الذات؛ فقدرته من حيث الوجود حياته، وحياته قدرته، بل هو قادر من حيث هو حي، وحي من حيث هو قادر، لا إثنينيه في صفاته ووجودها، وهكذا الحال في سائر صفاته الكمالية.نعم، هي مختلفة في معانيها ومفاهيمها، لا في حقائقها ووجوداتها... وأما الصفات الثبوتية الإضافية كالخالقية والرازقية فهي ترجع في حقيقتها إلى صفة واحدة وهي القيومية لمخلوقاته وهي صفة واحدة تنتزع منها عدة صفات باعتبار اختلاف الآثار والملاحظات" (٥).

وفيما يلي بيان لتلك الصفات مع بيان علاقتها بذات الله تعالى.

أولاً: صفات الذات – الصفات الحقيقية-:

أ- مفهوم صفات الذات – الصفات الحقيقية-.

يعرف الشيعة صفات الذات بقولهم: هي ما اتّصف الله تعالى بها وامتنع اتّصافه بضدّها ، كالعلم والقدرة والحياة ونحوها ، فإنّه لا يجوز أن يقال أنّ الله عالم بكذا غير عالم بكذا ، أو قادر على كذا وغير قادر على كذا ، وسميع وبصير بكذا، وغير سميع وبصير بكذا، ونحو ذلك(٦).

أو هي:" الصفات التي يكون ثبوتها لله تعالى من خلال لحاظ الذات الإلهية فقط ومن دون لحاظ أي شيء آخر"(٧).

---

(١) انظر: التوحيد بحوث تحليلية في مراتبه ومعطياته : جواد على كسار، ص ١١٦.

(٢) انظر: الاعتقادات في دين الإمامية: الصدوق ، ص٢٧، و تصحيح اعتقادات الإمامية: المفيد ، ص٦٥، العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت: الشيخ جعفر السبحاني، ص٦٨

(٣) انظر: عقائد الإمامية الاثنا عشرية: إبراهيم الزنجاني ، ٢٧/١.

(٤) تصحيح اعتقادات: المفيد ، ص٤١، وانظر: الشيعة في الإسلام: محمد حسين الطباطبئي، ص١٠٨-١١١ ، وصفات الله عند المسلمين: حسين العايش، ص٣٣، والعقيد الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت: جعفر السبحاني، ص٦٨.

(٥) عقائد الإمامية: محمد رضا المظفر ص٣٨-٣٩.

(٦) انظر: العقائد الحقة: على الحسيني الصدر، ص٦٥، انظر: حق اليقين: عبد الله شبر،٤١/١.

(٧) التوحيد عند مذهب أهل البيت : علاء الحسون ، ص٥٨.

عرفها المفيد بقوله:"والمعنى في قولنا صفات الذات:أن الذات مستحقة لمعناها استحقاقا لازمـا لا لمعنى سواها، فصفات الذات لله تعالى هي الوصف له بأنه حي، قادر، عالم ألا ترى أنه لم يزل مستحقا لهذه الصفات ولا يزال"(١)

ويقول عالم الشيعة أبو الفتح الكراجكي في معرض بيانه لصفات الذات:" وهي قولنا : حي، باق، وقادر ، وعالم ، وكذلك موجود ، قديم ، فهذه الصفات استحقها لنفسه لا لمعنى آخر"(٢).

ويقول محمد جعفر شمس الدين:" يراد بصفات الذات، تلك التي لا يتصف اللّـه بأضـدادها، ولا يجوز أن يخلو عنها، كالعلم والقدرة والحياة. فلا يوصف سبحانه بالجهل، أو العجز، أو المـوت. كما لا يجوز أن يخلو عن هذه الصفات أبداً"(٣).

ب- علاقة الصفات الثبوتية الذاتية بذات الله تعالى:

١. علاقة الصفات الذاتية العقلية بذات الله تعالى:

أنكرت الشيعة الاثنا عشرية قيام الصفات الذاتية العقلية بذات الله تعالى، وزعموا أن هذه الصفات ليست شيئاً سوى الذات، وليست مغايرة لها، أي ليست حقائق مستقلة، بل هي اعتبـارات ذهنيـة تحـدثها عقولنا عند التعبير عن الذات، وليس وجودها إلا وجود الذات، فهي وجوهاً لذات الله تعالى، وبتعبير آخـر دأبوا على القول به بأنَّ صفات الله تعالى عين ذاته، فهم يقولون أن قدرته من حيث الوجود حياته، وحياته قدرته...إلخ(٤)، فهذه الصفات مختلفة مع الذات في معانيها ومفاهيمها لا في حقائقها ووجودها(٥).

يقول علامة الشيعة المعاصر محمد حسين الطبطبائي:" صفاته تعالى الذاتية هـي عـين الـذات المتعالية، من غير أن تتفرع على أمر غيرها" (٦).

ويقول صدر الدين الشيرازي:" صفاته تعالى منها حقيقية كالوجود والقدرة والعلم وهـي لا تزيـد على ذاته بل عين ذاته بمعنى أن صفاته الحقيقية لا تتكثر ولا تتعدد ولا اختلاف فيها إلا بحسب التسـمية بل كلها معنى واحد وحيثية واحدة هي بعينها حيثية الذات كما قال المعلم الثاني: وجود كله وجـوب كلـه علم كله قدرة كله حياة كله"(٧) .

---

(٥) تصحيح اعتقادات الإمامية: المفيد، ص ٤١.

(٢) كنز الفوائد:أبو الفتح الكراجكي ،١/٧٤-٧٥.

(٣) دراسات في العقيدة الإسلامية: محمد جعفر شمس الدين، ص١٧٧.

(٤) انظر: عقائد الإمامية : محمد رضا المظفر ، ص ٣٩.

(٥) انظر: التوحيد عند مذهب آل البيت: علاء الحسون، ص٦٣.

(٦) تفسير الميزان: محمد حسين الطباطبائي، ٧/٢٩.

(٧) المبدأ والمعاد: صدر الدين محمد الشيرازي، ص١٧٥، وانظر: الإلوهية عند الفرق الإسلامية الشـيخ مالـك مهـدي السويعدي ، الفصل الثاني، عينية الصفات لذات ، شبكة البتول، مكتبة العقائد الإسلامية.

وينقل لنا محمد جعفر شمس الدين إجماع الإمامية على عينية الصفات للذات قائلاً:" وقد ذهب الإمامية قاطبة، إلى القول بعينية الذات والصفات"(١)

ولقد دأب علماء الاثنا عشرية إيراد عدد من الروايات التي ألفها لهم شيوخهم المتقدمين ونسبوها لأئمة آل البيت ليسندوا مذهبهم في تعطيل الصفات الذاتية، فقد عنون لهم الكليني في كافيه باب بعنوان "صفات الذات " أورد فيه عدة روايات تفيد بعينية الصفات للذات منها ما رواه وعن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال في صفة القديم: إنه واحد صمد أحدي المعنى ليس بمعاني كثيرة مختلفة، قال: قلت: جعلت فداك يزعم قوم من أهل العراق أنه يسمع بغير الذي يبصر ويبصر بغير الذي يسمع، قال: فقال: كذبوا وألحدوا وشبهوا تعالى الله عن ذلك، إنه سميع بصير يسمع بما يبصر ويبصر بما يسمع، قال: قلت: يزعمون أنه بصير على ما يعقلونه، قال، فقال: تعالى الله إنما يعقل ما كان بصفة المخلوق وليس الله كذلك"(٢) .

وفي حديث الزنديق الذي سأل أبا عبد الله عليه السلام: أنه قال له: أتقول: إنه سميع بصير؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام: هو سميع بصير سميع بغير جارحة وبصير بغير آلة بل يسمع بنفسه ويبصر بنفسه وليس قولي: إنه سميع بنفسه أنه شئ والنفس شئ آخر ولكني أردت عبارة عن نفسي إذ كنت مسؤولا وإفهاما لك إذ كنت سائلا فأقول يسمع بكله لا أن كله له بعض لان الكل لنا له بعض ولكن أردت إفهامك والتعبير عن نفسي وليس مرجعي في ذلك كله الا أنه السميع البصير العالم الخبير بلا اختلاف الذات ولا اختلاف معنى"(٣).

كما وأفرد لهم صدوق الشيعة في كتابه التوحيد باباً أخراً بعنوان " باب صفات الذات وصفات الأفعال"(٤) أورد فيه عدة روايات منها ما رواه عن الحسين بن الخالد، قال: سمعت الرضا علي بن موسى عليهما السلام، يقول: لم يزل الله تبارك وتعالى عليما قادرا حيا قديما سميعا بصيرا، فقلت له: يا ابن رسول الله إن قوما يقولون: إنه عز وجل لم يزل عالما بعلم، وقادرا بقدرة، وحيا بحياة، وقديما بقدم، وسميعا بسمع، وبصيرا ببصر فقال عليه السلام: من قال ذلك ودان به فقد اتخذ مع الله آلهة أخرى، وليس من ولايتنا على شئ، ثم قال عليه السلام: لم يزل الله عز وجل عليما قادر حيا قديما سميعا بصيرا لذاته، تعالى عما يقول المشركون والمشبهون علوا كبيرا"(٥).

---

(١) دراسات في العقيدة الإسلامية: محمد جعفر شمس الدين، ص١٨٦.

(٢) أصول الكافي: الكليني ، كتاب التوحيد، باب آخر وهو من الباب الأول ،حديث رقم:١، ١٠٨/١، قال المجلسي الحديث مجهول ، (مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول : المجلسي، ٥٠/٢).

(٣) المصدر السابق، كتاب التوحيد ، باب إطلاق القول بأنه شيء، حديث رقم:٦، ٨٣/١-٨٤ قال المجلسي الحديث مجهول، (مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول : المجلسي، ٢٨٤/١).

(٤) التوحيد: الصدوق، ص١٤٠.

(٥) التوحيد: الصدوق ،باب صفات الذات وصفات الأفعال، حديث رقم:٣ ، ص١٤٠.

وعن أبان بن عثمان الأحمر، قال: قلت للصادق جعفر بن محمد عليهما السلام: أخبرني عن الله تبارك وتعالى لم يزل سميعا بصيرا عليما قادرا؟ قال: نعم، فقلت له: إن رجلا ينتحل موالاتكم أهل البيت يقول: إن الله تبارك وتعالى لم يزل سميعا بسمع وبصيرا ببصر وعليما بعلم وقادرا بقدرة، فغضب عليه السلام، ثم قال: من قال ذلك و دان به فهو مشرك وليس من ولايتنا على شئ، إن الله تبارك وتعالى ذات علامة سميعة بصيبرة قادرة"[١].

عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: من صفة القديم أنه واحد، أحد، صمد، أحدي المعنى، وليس بمعان كثيرة مختلفة، قال: قلت: جعلت فداك يزعم قوم من أهل العراق أنه يسمع بغير الذي يبصر، ويبصر بغير الذي يسمع، قال: فقال: كذبوا وألحدوا وشبهوا، تعالى الله عن ذلك، إنه سميع بصير، يسمع بما يبصر، ويبصر بما يسمع، قال: قلت: يزعمون أنه بصير على ما يعقلونه، قال: فقال: تعالى الله إنما يعقل ما كان بصفة المخلوقين، وليس الله كذلك"[٢]

٢. علاقة الصفات الذاتية الخبرية بذات الله تعالى:

صفات الذات الخبرية والتي لا سبيل لإثباتها إلا الدليل السمعي أو النقلي، مثل صفة الوجه واليدان والساق والعين، لم تحتاج الإثنا عشرية إلى إبداع طرق لنفيها، فقد أنكروا أن يكون الله تعالى متصفاً بها على الإطلاق ، وذلك لأنهم رأوا في ثبوت مثل هذه الصفات لله تعالى يقتضي بزعمهم التكثر والتركيب في ذات الله تعالى وهو منافي للتوحيد إذ كل مركب يحتاج إلى من يركبه، وكذلك إثباتها يوقع في التشبيه والتجسيم، وهذا كله من النقائص التي ينزه الله تعالى منها[٣].

ولقد لجأ الشيعة إلى تأويل هذه الصفات بما نقلوه عن المعتزلة من تأويلاتهم لتلك الصفات، فيقول صدوق الشيعة مؤولاً بعض من صفات الذات الخبرية بحجة التشبيه:" والأخبار التي يتوهمها الجهال تشبيها لله تعالى بخلقه فمعانيها محمولة على ما في القرآن من نظائرها. لأن في القرآن ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص:٨٨] ومعنى الوجه: الدين والدين هو الوجه الذي يؤتى الله منه ويتوجه به إليه. وفي القرآن: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ﴾ [القلم:٤٢] والساق: وجه الأمر وشدته. وفي القرآن: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ﴾ [الزُّمر:٥٦] والجنب: الطاعة... في القرآن ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤] يعني نعمة الدنيا ونعمة الآخرة.وفي القرآن: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ [الذاريات:٤٧] والأيد: القوة ومنه قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ﴾ [ص:١٧] يعني ذا القوة. وفي القرآن:﴿ يَا

(١) المصدر السابق ، باب صفات الذات وصفات الأفعال،حديث رقم:٨ ، ص ١٤٥

(٢) المصدر السابق نفسه ، باب صفات الذات وصفات الأفعال ،حديث رقم:٩ ص١٤٥.

(٣) انظر: دراسات في العقيدة الإسلامية : محمد جعفر شمس الدين : ص١٨٦.

إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥]، يعني قدرتي وقوتي في القرآن: ﴿وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ﴾ [الزُّمر:٦٧] يعني ملكه لا يملكها معه أحد"[١].

ويقول علامة الشيعة جعفر السبحاني:" هناكَ مجموعةً من الصّفات وَرَدَت في آياتِ القرآنِ وفي السُّنة ولم يكن لها من مُسْتَنَد ومَصْدر سوى النقلِ مثل: يَدُ الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح:١٠]. ووَجْهُ الله: ﴿وَللهِ المَشْرِقُ وَالمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ إِنَّ اللهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:١١٥] ،وعينُ الله: ﴿وَاصْنَعِ الفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ [هود:٣٧] ، الاسْتواء عَلى العَرش: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه:٥] ، والعلّة في تسمية هذا النوع من الصفات، بالصفات الخبرية، هو ثبوتها لله بإخبار الكتابِ والسُنّة بِها فقط. وللحصول على التفسير الواقعيّ لهذا النوع من الصفات يجب أيضاً ملاحظة كلّ الآيات المتعلّقة بهذا المجال. كما أنّه يجب أن نعلم أنّ اللّغة العربية شأنها شأن غيرها من اللّغات الأُخرى زاخرة بالكنايات والاِستعارات والمجازات، وبما أنّ القرآن نزل بلغة القوم لذلك استخدم هذه الاَساليب أيضاً"[٢] ثم أخذ بتأويل تلك الآيات فأول صفة اليد بالقوة ، وصفة الوجه بذات الله ، وصفة الاستواء بالاستيلاء[٣] .

وقد أفرد صدوق الشيعة في كتابه التوحيد عدة أبواب ضمنها العديد من روايات التي تحرف آيات الذكر الحكيم التي وردت فيها الصفات الذاتية الخبرية وتنفي الصفات الواردة فيها بحجة أنها تقتضي التشبيه والتجسيم منها: " باب تفسير قول الله عز وجل كل شيء هالك إلا وجهه"[٤]، روى فيه عدة روايات تأول صفة الوجه، بالدين والوجه الذي يؤتى منه ، وباب أخر بعنوان "باب تفسير قول الله عز وجل يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي"[٥] ذهب فيه لتأويل صفة اليد بالقوة والنعمة والقدرة ،و باب تفسير قول الله عز وجل والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة" [٦] والذي نفى فيه صفة اليد عن الله تعالى فقد وروى محمد بن عيسى بن عبيد، قال: سألت أبا الحسن علي بن محمد العسكري عليهما السلام، عن قول الله عز وجل: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزُّمر:٦٧] فقال: ذلك تعيير الله تبارك وتعالى لمن شبهه بخلقه، ألا ترى أنه، قال: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الزُّمر:٦٧]ومعناه إذ قالوا: إن الأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه، كما

---

(١) الاعتقادات في دين الإمامية: الصدوق، ص ٢٣-٢٤.

(٢) العقيد الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت: جعفر السبحاني ، ص٨٧.

(٣) المصدر السابق: ص٨٧-٨٩

(٤) التوحيد: الصدوق ،باب كل شيء هالك إلا وجهه، ص١٥٠.

(٥) المصدر السابق، باب تفسير قول الله عز وجل:(يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي) ، ص ١٥٤.

(٦) المصدر السابق نفسه ، باب تفسير قول الله عز وجل : (والأرض جميعا قبضته يوم القيامة و ...) ، ص١٦٠.

قال عز وجل: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ إذ قالوا: ﴿مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام:٩١] ثم نزه عز وجل نفسه عن القبضة واليمين فقال: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الرُّوم:٤٠]"(١).

وذهب المجلسي في بحاره إلى إفراد أبواب في تأويل صفات الذات الخبرية فعنون لها بقوله": أبواب تأويل الآيات والأخبار الموهمة لخلاف ما سبق(٢) ، وباب تأويل قوله تعالى: خلقت بيدي ، وجنب الله ، ووجه الله ، ويوم يكشف عن ساق ، وأمثالها "(٣)

وتأويل الشيعة للصفات الخبرية سنخصص لها مبحثاً خاصاً في هذا البحث نبين معتقد الشيعة في التأويل ونناقشهم فيه مع بيان نماذج من تلك التأويلات الفاسدة(٤)، والذي أردناه هنا بيان علاقة صفات الله الذاتية الخبرية من وجهة نظر الشيعة، حيث اتضح أنهم ينفونها عن الله تعالى تماماً، مستخدمين كل أنواع التحريف والتأويل لنفي هذه الصفات عنه تعالى و التي أثبتتها له نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة عبر المئات من الآيات و والأحاديث النبوية الصحيحة.

هذا هو مذهب الاثنا عشرية في صفات الله الذاتية فهم لا يثبتون إلا الذات وأما سائر صفات الذات فترجع إليها ولا معنى لها غير الذات تحاشياً من تعدد القدماء إذ هم أثبتوا صفات لها معان غير الذات، لأن القدم هو أخص وصف لله تعالى وبه يفارق غيره من المحدثات –حسب زعمهم – وقد صرح بذلك كثير من علمائهم الذين تدور رحى المذهب عليهم(٥).

ثانياً: صفات الأفعال – الصفات الإضافية-:

أ- مفهوم صفات الأفعال –الصفات الإضافية- عند الشيعة.

يعرف الشيعة صفات الأفعال بقولهم:"هي الصفات التي تُوصف الذات الإلهية بها بملاحظة صدور فعل مّا منه تعالى، كالخالقية والرازقية وما شابَهَ ذلك من الصفات التي تنتزَعُ من مقام الفعل، ويوصَف بها اللهُ تعالى بعد ملاحظة ما صدر منه من الأفعال"(٦)

(١) التوحيد الصدوق ، ص١٦٠-١٦١.

(٢) يقصد بها الأبواب التي عقدها قبل هذا الباب والتي عنوانها بعنوان:" باب نفي الزمان والمكان والحركة والانتقال عنه تعالى، وتأويل الآيات والأخبار في ذلك " . انظر: بحار الأنوار: المجلسي، ٣/٣٠٩.

(٣) بحار الأنوار: المجلسي ، باب تأويل قوله تعالى: خلقت بيدي ، وجنب الله ، ووجه الله ، ويوم يكشف عن ساق ، وأمثالها ، ٤/١.

(٤) انظر: ص٢٤٣ وما بعدها من هذا البحث.

(٥) الصلة بين التشيع والاعتزال: محمد الجدعاني ، ٢/١٧٠، وانظر: أوائل المقالات : المفيد ، ص٥٢، و الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد: الطوسي، ص٦١-٦٥، ونهج الحق وكشف الصدق: ابن المطهر الحلي، ص٦٤، والنافع يوم الحشر:الحلي ، ص٥٥، ص٦٠، ومشارق أنوار اليقين: رجب البرسي، ص٣٧، نور البراهين : نعمة الله الجزائري ، ١/٩٢، وعقائد الإمامية : ص٢٥-٢٧. والشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة : ص١٤٥.

(٦)العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة آل البيت: الشيخ جعفر السبحاني، ص ٦٨.

فهذا شيخهم المفيد يوضح لنا المراد بصفات الأفعال بقوله:" ومعنى صفات الأفعال: هو أنها تجب بوجود الفعل ولا تجب قبل وجوده،... ووصفنا له تعالى بصفات الأفعال كقولنا خالق، رازق محيي، مميت ، مبدئ ، معيد ، ألا ترى أنه قبل خلقه الخلق لا يصح وصفه بأنه خالق وقبل إحيائه الأموات لا يقال إنه محيي...ويصح الوصف بأنه غير خالق اليوم ولا رازق لزيد ولا محيي لميت بعينه ولا مبدئ لشيء في هذه الحال ولا معيد له." (١)

ويقول جعفر السبحاني:" وبعبارةٍ أُخرى ما لم يصدر من الله فعل كالخالقية والرازقيّة والغفارية والراحمية لا يمكن وصفه فعلاً بالخالق والرازق وبالغفّار والرحيم، وإن كان قادراً ذاتاً على الخلق والإرزاق والمغفرة والرحمة" (٢).

ويقول على الحسيني الصدر:" أمّا صفات الفعل فهي ما يتّصف الله تعالى بها وبضدّها ، كالخالقية والرازقية فإنّه يجوز أن يقال: إنّ الله تعالى خلق زيداً ولم يخلق إبنه ، وأحيى زيداً وأمات عمراً وأفقر بكراً وأغنى خالداً ونحو ذلك"(٣)

ويقول محمد جعفر شمس الدين:" أما صفات الأفعال، فيراد بها، تلك التي يصح أن يتصف اللّه بأضدادها كما يجوز أن يخلو عنها، كالخالق والرازق والمحيي والمميت والمبدئ وغيرها. فيجوز أن يتصف بأنه غير خالق اليوم، ولا رازق لزيد، ولا محيي للميت الفلاني ، ولا مبدئ لشيء في هذه الحالة"(٤).

ب- علاقة الصفات الثبوتية الفعلية بذات الله تعالى:

١. علاقة صفات الأفعال العقلية بذات الله تعالى.

تعتقد الشيعة الاثنا عشرية بأن صفات الأفعال العقلية، صفات حادثة بحدوث الأفعال(٥)، ولا تقوم بذات الله عز وجل، بل هي بائنة ومنفصلة عنها، فعلى سبيل المثال صفة الخلق صفة فعل عند الشيعة لكنهم يرون أن الله لا يتصف في الأزل بكونه خالقاً، إذ لا خلق في الأزل، وبالتالي فهو وصف حادث لا يقوم به، لأنه لو قام به لقامت به الحوادث، ولو قامت به الحوادث لكان حادثاً ، ومحال أن يكون الله تعالى حادثاً .

وفي ذلك يقول صدوق الشيعة:" لا نقول: إنه تعالى لم يزل خلاقا فاعلا شائيا مريدا راضيا ساخطا رازقا وهابا متكلما لأن هذه صفات أفعاله وهي محدثة لا يجوز أن يقال: لم يزل الله تعالى موصوفا بها"(٦).

---

(١) انظر تصحيح اعتقادات الإمامية: الشيخ المفيد ص41.

(٢) العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة آل البيت: الشيخ جعفر السبحاني ص ٦٨.

(٣) العقائد الحقة: على الحسيني الصدر، ص٦٥. وانظر تصحيح اعتقادات الإمامية: الشيخ المفيد ص41.

(٤) دراسات في العقيدة الإسلامية: محمد جعفر شمس الدين، ص١٧٧-١٧٨.

(٥) انظر: المرجع السابق، ص١٨٥.

(٦) الاعتقادات في دين الإمامية: الصدوق ، ص٢٨.

ويقول عالم الشيعة الكراجكي:" ونعوذ بالله من القول بأن القديم لم يزل فاعلاً لأن ذلك يقتضي أنه لم يتقدم أفعاله فيصير الفاعل قديماً وجميع صفات الأفعال جارية هذا المجرى لمن تأملها"(١).

ويوضح علامة الشيعة محمد حسين الطباطبئي علاقة صفات الأفعال بذات الله تعالى قائلاً:" فالصفات التي يتصف بها تعالى من تحقق الخلقة، هي الخالقية ، الربانية، والمحيي، المميت والرزق، وأمثالها، لم تكن عين ذاته، بل زائدة على الذات وصفات للفعل. والمقصود من صفات الفعل هو أن تتخذ معنى الصفة من الفعل لا من الذات، مثل الخالقية، أي يتصف بهذه الصفة بعد تحقق الخلقة للمخلوقات، فهو قائم منذ قيامها أي موجود منذ وجودها، ولا علاقة لها بذاته تعالى، كي تتغير من حال إلى حال عند تحقق الصفة"(٢).

ويقول الشيعي محمد جعفر شمس الدين:" وحيث أن صفات الأفعال – وقد يعبّر عنها بالصفات الإضافية – هي تلك التي لا تتصف الذات إلا بها من خلال الأفعال الصادرة عنها، فهي إذن على هذا حادثة، لأنها تابعة لما تتعلق به من الأفعال الحادثة، وعليه، يستحيل أن تتحد مع الذات الإلهية، لاستحالة اتحاد الحادث بالقديم، والممكن بالواجب"(٣).

إذاً نفت الاثنا عشرية قيام الصفات الفعلية بذات الله تعالى كما نفوا غيرها من الصفات، لأنهم رأوا بزعمهم أن الباري تعالى لا يستحق هذه الصفات لذاته، وفي ذلك يقول صدر المتألهين:" ولا يخل بوحدانيته ، كونها – أي صفات الأفعال – زائدة عليه محدثة، فإن الواجب تعالى ليس علوه ومجده بهذه الصفات وإنما علوه بذاته التي تنشأ عنها هذه الصفات"(٤).

ولقد استدل الاثنا عشرية على حدوث صفات الأفعال بالعديد من الروايات التي نسبوها لأئمة آل البيت زوراً وبهتاناً وعقدوا لها العديد من الأبواب، فقد عقد الكليني في كافية باب بعنوان " الإرادة أنها من صفات الفعل وسائر صفات الفعل"(٥) روى فيه عن عاصم بن حميد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت: لم يزل الله مريدا؟ قال: إن المريد لا يكون إلا لمراد معه، لم يزل الله عالما قادرا ثم أراد"(٦).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: خلق الله المشيئة بنفسها ثم خلق الأشياء بالمشيئة"(٧).

وروى صدوق الشيعة بسنده عن جعفر الجعفري قال: قال الرضا عليه السلام: المشية والإرادة من صفات الأفعال، فمن زعم أن الله تعالى لم يزل مريدا شائيا فليس بموحد"(٨).

---

(١) كنز الفوائد: الكراجكي، ١/٦٧-٧٧.

(٢) الشيعة في الإسلام: محمد حسين الطباطبائي، ص١١١.

(٣) دراسات في العقيدة الإسلامية: محمد جعفر شمس الدين، ص١٨٥.

(٤) المبدأ والمعاد : صدر الدين الشيرازي ، ص ١٧٥.

(٥) أصول الكافي: الكليني ، باب الإرادة أنها من صفات الفعل وسائر صفات الفعل ، ١/١٠٩.

(٦) المصدر السابق، باب الإرادة أنها من صفات الفعل وسائر صفات الفعل، حديث رقم: ١، ١/١٠٩.قال المجلسي: الحديث صحيح (مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول: المجلسي، ٢/١٥)

(٧) المصدر السابق نفسه ، باب الإرادة أنها من صفات الفعل وسائر صفات الفعل، حديث رقم: ١/١٠٩. قال المجلسي: الحديث حسن (مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول: المجلسي، ٢/١٨)

(٨) التوحيد: الصدوق ، باب المشيئة والإرادة ، ص ٣٣٨.

وروى المجلسي في بحاره عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله جعفر عليه السلام يقول : لم يزل الله جل اسمه عالماً بذاته ولا معلوم، ولم يزل قادراً بذاته ولا مقدور. قلت له :جعلت فداك فلم يزل متكلماً قال الكلام محدث كان الله عز وجل وليس بمتكلم ثم أحدث الكلام"[١] .

٢. **علاقة صفات الأفعال الخبرية بذات الله تعالى.**

صفات الأفعال الخبرية مثل النزول، والاستواء، والإتيان، والمجيء، والرضا، والغضب، والتي والتي لا سبيل لإثباتها إلا الدليل السمعي أو النقلي، فقد نفت الشيعة أن يكون الله تعالى متصفاً بها على الإطلاق، أو أن تكون لها أي علاقة بذات الله تعالى، فلا هي صفات قائمة بالذات ولا صفات محدثة منفصلة بائنة عن الذات، وقالوا إن ثبوت مثل هذه الصفات لله تعالى توقع فيما اعتبروه من النقائص التي يجب أن ينزه الله تعالى عنها.

فبعض هذه الصفات يوهم نسبة الجهة والمكان لله تعالى كالاستواء ، والعلو، والمجيء ، وهذه الصفات عندهم تقتضي التجسيم والتمثيل، وبعضها الأخر زعموا أنها توهم نسبة الانفعالات إلى الله تعالى، وأن له عواطف كعواطف البشر وانفعالاتهم مثل، صفة الرضا ، وصفة الغضب، وصفة السخط ، وصفة الكراهية ...إلخ.

وهذا كله يقتضي في نظرهم تشبيه وتجسيم ينزه الله تعالى عنه[٢]، ولكن هذه الصفات قد ورد الخبر بها عن طريق النقل، فتسلطوا على النقل بالتحريف الذي سموه تأويلاً مستغلين ثراء اللغة العربية في دلالة اللفظ على عدة معاني واستخدام العرب للمجاز ، والاستعارات ، والكنايات[٣]، وما نقلوه عن المعتزلة من تلك التحريفات، كل ذلك لتتناسب نصوص النقل مع ما ذهبوا إليه من نفيهم لهذه الصفات وتعطيلها ، فقد عنون الكليني في كافيه باب بعنوان" باب الحركة والانتقال" جاء فيه عن يعقوب بن جعفر الجعفري، عن أبي إبراهيم عليه السلام قال: ذكر عنده قوم يزعمون أن الله تبارك وتعالى ينزل إلى السماء الدنيا. فقال: إن الله لا ينزل ولا يحتاج إلى أن ينزل، وإنما منظره في القرب والبعد سواء، لم يبعد منه قريب، ولم يقرب منه بعيد...، أما قول الواصفين: إنه ينزل تبارك وتعالى فإنما يقول ذلك من ينسبه إلى نقص أو زيادة، وكل متحرك محتاج إلى من يحركه أو يتحرك به، فمن ظن بالله الظنون هلك، فاحذروا في صفاته من أن تقفوا له على حد تحدونه بنقص أو زيادة، أو تحريك أو تحرك، أو زوال أو استنزال، أو نهوض أو قعود، فإن الله جل وعز عن صفة الواصفين، ونعت الناعتين وتوهم المتوهمين"[٤].

---

(١) بحار الأنوار: المجلسي،باب نفي التركيب واختلاف المعاني والصفات وأنه ليس محلا للحوادث والتغييرات وتأويل الأيات فيها ، والفرق بين صفات الذات وصفات الأفعال،حديث رقم: ١١ ، ٦٨/٤.

(٢) انظر: دراسات في العقيدة الإسلامية : محمد جعفر شمس الدين ، ص١٧٤-١٧٦.

(٣) انظر: عقائد الإمامية الاثنا عشرية: إبراهيم الزنجاني ، ص٢٥، وانظر : دراسات في العقيدة الإسلامية: محمد جعفر شمس الدين ، ص١٧١.

(٤) أصول الكافي: الكليني، كتاب التوحيد ، باب الحركة والانتقال، حديث رقم: ١، ١/ ١٢٥، وانظر: بحار الأنوار، ٣١٢/٣. قال المجلسي: الحديث ضعيف، (مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول: المجلسي، ٦٣/٢)

وعن المشرقي حمزة بن المرتفع عن بعض أصحابنا قال: كنت في مجلس أبي جعفر عليه السلام إذ دخل عليه عمرو بن عبيد فقال له: جعلت فداك قول الله تبارك وتعالى:" ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى" ما ذلك الغضب؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: هو العقاب يا عمرو إنه من زعم أن الله قد زال من شئ إلى شئ فقد وصفه صفة مخلوق وإن الله تعالى لا يستفزه شئ فيغيره"(١).

وروى الصدوق بسنده أن رجلا سأل أبا عبد الله عليه السلام عن الله تبارك وتعالى له رضا وسخط؟ فقال: نعم، وليس ذلك على ما يوجد من المخلوقين، وذلك أن الرضا والغضب دخال يدخل عليه فينقله من حال إلى حال، معتمل، مركب، للأشياء فيه مدخل وخالقنا لا مدخل للأشياء فيه، واحد، أحدي الذات، وأحدي المعنى، فرضاه ثوابه وسخطه عقابه من غير شيء يتداخله فيهيجه وينقله من حال إلى حال، فإن ذلك صفة المخلوقين العاجزين المحتاجين"(٢) .

وتبعاً لهذه الروايات ذهب علماء الشيعة إلى نفي صفات الأفعال الخبرية ، فيقول صدوق الشيعة:" وفي القرآن: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر:٢٢] يعني جاء أمر ربك،...، وفي القرآن: ﴿وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾ [طه:٨١]وغضب الله عقابه ورضاه ثوابه وفي القرآن: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [آل عمران:٥٤] ،وفي القرآن : ﴿يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النساء:١٤٢]،وفي القرآن : ﴿اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة:١٥] ...ومعنى ذلك كله أنه عز وجل يجازيهم جزاء المكر وجزاء المخادعة وجزاء الاستهزاء"(٣) .

ويقول عالم الشيعة إبراهيم الزنجاني نافياً بعض من صفات الذات والأفعال بحجة التشبيه والتجسيم:" ومن قال بالتشبيه من خلقه بأن صور له وجهاً ويداً وعيناً أو أنه ينزل إلى السماء الدنيا أو أنه يظهر إلى أهل الجنة كالقمر أو نحو ذلك فإنه بمنزلة الكافر به جاهل بحقيقة الخالق المنزه عن النقص...، وكذلك يلحق بالكافر من قال أنه يترأى لخلقه يوم القيامة. وإن نفى عنه التشبيه بالجسم لقلقة من اللسان، فإن أمثال هؤلاء المدعين جمدوا على ظواهر الألفاظ في القرآن الحكيم والحديث الضعيف وأنكروا عقولهم وتركوها وراء ظهورهم فلم يستطيعوا أن يتصرفوا بالظواهر حسبما يقتضيه النظر والدليل وقواعد الاستعارة والمجاز"(٤).

ويقول محمد جعفر شمس الدين:" من لوازم جسمية الله، جواز انتقاله سبحانه من مكان إلى مكان، وتجويز السكون والحركة عليه، وقد استدلوا على ذلك بآيات وبعض مرويات. فمن جملة الآيات التي استدلوا بها قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ **[الفجر:٢٢]** ، ومن جملة المرويات التي

---

(١) المصدر السابق، باب الإرادة أنها من صفات الفعل وسائر صفات الفعل ، حديث رقم: ٥ ، ١١٠/١. قال المجلسي: الحديث ضعيف، (مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول: المجلسي، ٢٠/٢)

(٢) التوحيد : الصدوق ، باب معنى رضاه عز وجل وسخطه ، حديث رقم:٣ ، ص١٧٠.

(٣) الاعتقادات في دين الإمامية : الشيخ الصدوق ، ص٢٦.

(٤) عقائد الإمامية الاثنا عشرية: إبراهيم الزنجاني ، ص٢٥.

استدلوا بها ، ما رواه البخاري عن أبي هريرة عن رسول الله أنه قال يتنزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول: من يدعوني فأستجب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له"[1]. ويضيف محمد جعفر شمس الدين قائلاً:" أما قوله تعالى﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ وأمثالها من الآيات التي ورد فيها لفظ جاء، وأتى واشتقاقاتهما، فإنه مبني على تقدير مضاف محذوف وهو أمر، أو بأس، أو عذاب، وعلى هذا يكون المعنى: جاء أمر ربك ، أو بأس ربك ، أو عذاب ربك...، أما الرواية التي استدلوا بها على مدّعاهم، والتي تقول بأن الله ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا فيكفي في ردها وإسقاطها عن الاعتبار، مخالفتها لحكم العقل باستحالة الحركة على الله سبحانه ، باعتبار وجوب وجوده المقتضي لاتصافه بالقدم، وهذان الأمران حادثان، ويستحيل أن يكون القديم محلاً للحوادث هذا إضافة لمعارضتها بما هو حجة من الروايات الواردة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام والتي تشنع على القائلين بهذه المقالة"[2]

المطلب الرابع: مناقشة الصفات الثبوتية:

إن تقسيم الشيعة لصفات الله الثبوتية ما هو إلا تفصيل القول في نفي الصفات عن الله تعالى وتعطيلها، ومحاولة منهم لإثبات عدم قيام أي صفة بذات الله تعالى، فصفات الله الذاتية تارة يجعلونها عين الذات لا أنها صفات قائمات بالذات لئلا يتعدد القدماء وتارة أخرى يؤولونها بشتى ألوان التحريف التي توافق أهواءهم لأن إثباتها يلزم بزعمهم التركيب والتجسيم أو التشبيه والتمثيل وإن لزم الأمر يردون كل الأخبار الواردة فيها، وكذلك الحال في صفات الأفعال فتارة يقولون بأنها صفات محدثة لا تقوم بذات الله بل هي بائنة منفصلة عنها غير ثابتة لله في الأزل وما يستحقه تعالى من صفات الأفعال لا يستحقه لذاته، وإنما لأمر يتعلق بفعله، وما يتعلق بفعله لا يستحقه في كل حال، وإنما يستحقه في وقت دون وقت، وتارة أخرى يؤولونها أو يردون الأخبار الواردة فيها لأن ثبوتها تقتضي عندهم التشبيه والتجسيم ونسب الانفعالات في ذات الله تعالى، وإنما قاد مثل هؤلاء لنفيهم الصفات عن الله تعالى ما تصوروه بعقولهم أن إثبات الصفات لله تعالى يقتضي أن تكون هذه الصفات مثل ما عليه صفات المخلوقين ، فكانوا في بادئ الأمر مشبهة إذ قرنوا صفات الباري عز وجل بصفات المخلوقين، ثم فروا من ذلك التشبيه الذي تخيلوه بعقولهم إلى نفي كل الصفات عن الله تعالى، والذي لم يقدروا على نفيه مباشرة أحدثوا له من الألفاظ ما يؤول في نهايتها إلى تعطيل الذات من الصفات، كل ذلك ليطمئنوا أن الله واحد من جميع الجهات[3]، ولتتحقق لهم الوحدة الحقة الحقيقية لذات الله تعالى[4]، فما تحقق لهم إلا العدم والإلحاد في أسماء الله وصفاته تعالى، ومن هنا فإن مذهب الشيعة في تقسيم الصفات بعيد كل البعد عن منهج السلف الصالح،

---

(١) دراسات في العقيدة الإسلامية : محمد جعفر شمس الدين ، ١٧٤.

(٢) المصدر السابق : ص١٧٤.

(٣) انظر: التوحيد: الصدوق، ص١٤٨.

(٤) انظر: التوحيد بحوث تحليلية في مراتبه ومعطيات: جواد على كسار، ٥٢/١.

القائم على إثبات ما أثبته الله لنفسه وفق مراد الله ورسوله من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل[1]، والأدلة على فساد مفهوم الشيعة من الصفات الثبوتية كثيرة ومتنوعة، نذكر منها ما يلي:

أولاً : أدلة فساد مفهوم الشيعة من صفات الذات.

تبين فيما سبق مفهوم الصفات عند الاثنا عشرية وبينا بطلان مفهومهم للصفات سواء كانت ذاتية أو فعلية من خلال النقل والعقل ولغة الأمة وإجماعها وكل هذه الأدلة تصح على بيان بطلان مفهوم الشيعة من الصفات الذاتية، وهنا نورد أدلة أخرى تبين تهافت ما زعمته الشيعة من عينية الصفات للذات.

الدليل الأول: إن نفي الشيعة قيام الصفات الذاتية بذات الله تعالى، فيه تكذيب للقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

فقد صرحت نصوص الكتاب والسنة بأن الله تعالى له صفات الكمال صفات الذات فله: علم، وقدرة وحياة وسمع وبصر وكلام إلى غير ذلك من صفات الذات، فقال سبحانه وتعالى في صفة الكلام:﴿ وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء:١٦٤]، وقال تعالى:﴿ وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ القَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الشعراء:١٠]وقال تعالى: ﴿ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ﴾ [الأعراف:٢٢]، وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [القصص:٦٢]، وقال تعالى:﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص:٦٥] ، وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ﴾ [فصِّلت:٤٧] .

وقال تعالى في صفة اليد: ﴿ وَقَالَتِ اليَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة:٦٤] ، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح:١٠] ، وقال تعالى:﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ العَالِينَ﴾ [ص:٧٥] ، وقال تعالى: ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات:٤٧] ، وقال تعالى ﴿ قُلْ إِنَّ الفَضْلَ بِيَدِ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [آل عمران:٧٣] ، وقال تعالى ﴿ وَاللهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة:٢٤٥] ، ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزُّمر:٦٧] .

إلى غير ذلك من الآيات التي تنوعت فيها الدلالة على صفات الله الذاتية، فهل يثق عاقل بأن هذه الآيات جاءت على غير مراد المتكلم، حتى جاءت الشيعة و قدحت في بيان الله وقالت أن هذه الآيات لا تدل على ثبوت الصفات لله تعالى، هذا فضلاً على تكذيب النبي ﷺ في وصفه الله تعالى وردهم لسنته الشريفة.

يقول الإمام أبو الحسن الأشعري مستدلاً بنصوص القرآن الكريم في الرد على نفاة الصفات:" من أين علمتم أن الله عالم؟. فإن قالوا: بقوله ﷻ: ﴿ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الشُّورى:١٢]، قيل لهم: ولذلك

(١) انظر: أسماء الله وصفاته في معتقد أهل السنة والجماعة : د. عمر سليمان الأشقر، ص١٥٩.

فقولوا: إن لله علما بقوله: ﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ [النساء:١٦٦]، وبقوله: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ [فاطر:١١]، وكذلك فقولوا إن له قوة لقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصِّلت:١٥]. وإن قالوا: قلنا: إن الله عالم؛ لأنه صنع العالم على ما فيه من آثار الحكمة واتساق التدبير.

قيل لهم: فلم لا تقولون إن لله علما بما ظهر في العالم من حكمة وآثار تدبيره؟ لأن الصنائع الحكمية لا تظهر إلا من ذي علم، كما لا تظهر إلا من عالم، وكذلك لا تظهر إلا من ذي قوة كما لا تظهر إلا من قادر[1].

الدليل الثاني: لقد فرقت نصوص القرآن الكريم بين صفات الله الذاتية، وهذا التفريق دليل على أنَّ الصفات ليست عين الذات ولا أن صفة عين الصفة الأخرى، فقد ميزت نصوص القرآن الكريم بين السمع والبصر فقال تعالى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه:٤٦]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾ [الشعراء:١٥]، وقال: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ﴾ [آل عمران:٧٧]، ففرق بين الكلام والنظر، دون السمع. فقال عند السماع والصوت: ﴿قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللهِ وَاللهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة:١]، وقال: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [آل عمران:١٨١]، ولم يقل: قد رأى الله قول التي تجادلك في زوجها. وقال في موضع الرؤية: ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ﴾ [الشعراء:٢١٨]، وقال: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ﴾ [التوبة:١٠٥]، ولم يقل يسمع تقلبك ويسمع الله عملكم فلم يذكر الرؤية فيما يسمع، ولا السماع فيما يرى. لما أنهما عنده خلاف ما عندكم. وكذلك قال: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر:١٤]، وقال: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ [طه:٣٩]، ولم يقل لشيء من ذلك على سمعي[2] فدل ذلك على قيام صفات الذات به تعالى، وأنها صفات لله تعالى على الحقيقة، لا اعتبارات عقلية لا فرق بينها وبين الذات وبين بعضها البعض.

الدليل الرابع: إن نفي الشيعة الصفات الذاتية الخبرية بحجة التشبيه والتجسيم، يلزمهم نفي أسماء الله الحسنى بنفس الحجة، فيقال لهم أنتم أثبتم "للباري تعالى الأسماء الحسنى مثل حي وعليم وقدير والعبد يسمى بهذه الأسماء وليس ما تثبتون للرب من هذه الأسماء مماثلا لما تثبتون للعبد فقولوا في صفاته نظير قولكم ذلك في مسمى أسمائه"[3] فلا" فرق بين إثبات الأسماء، وإثبات الصفات، فإنك إن قلت: إثبات الحياة والعلم والقدرة يقتضي تشبيها أو تجسيما، لأنا لا نجد في الشاهد متصفا بالصفات إلا ما هو جسم، قيل لك: ولا نجد في الشاهد ما هو مسمى حي عليم قدير إلا ما هو جسم، فإن نفيت ما نفيت لكونك لم تجده في الشاهد إلا للجسم فانف الأسماء، بل وكل شيء لأنك لا تجده في الشاهد إلا للجسم. فكل ما

---

(١) انظر:الإبانة عن أصول الديانة: الأشعري، ص٤٣.

(٢) رد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد: عثمان بن سعيد الدارمي، تحقيق: محمد حامد الفقي، الطبعة: الأولى، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ١٣٥٨هـ، ص: ٢٢-٢٣.

(٣) انظر: منهاج السنة النبوية: ابن تيمية، ٢/١١٥-١١٦.

يحتج به من نفي الصفات يحتج به نافي الأسماء الحسنى: فما كان جوابا لذلك كان جوابا لمثبتي الصفات."[١].

الدليل الخامس: القول في صفات الذات كالقول في الذات، " فالله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، فإذا كان له ذات حقيقة لا تماثل الذوات فالذات متصفة بصفات حقيقة لا تماثل سائر الصفات فإذا قال السائل : كيف استوى على العرش ؟ قيل له كما قال ربيعة ومالك وغيرهما رضي الله عنهما : الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عن الكيفية بدعة لأنه سؤال عما لا يعلمه البشر ولا يمكنهم الإجابة عنه، وكذلك إذا قال كيف ينزل ربنا إلى السماء الدنيا ؟ قيل له : كيف هو ؟ فإذا قال : لا أعلم كيفه قيل له: ونحن لا نعلم كيفية نزوله إذ العلم بكيفية الصفة يستلزم العلم بكيفية الموصوف وهو فرع له وتابع له فكيف تطالبني بالعلم بكيفية سمعه وبصره وتكليمه واستوائه ونزوله وأنت لا تعلم كيفية ذاته وإذا كنت تقر بأنه حقيقة ثابتة فى نفس الأمر مستوجبة لصفات الكمال لا يماثلها شيء فسمعه وبصره وكلامه ونزله واستواؤه : ثابت في نفس الأمر وهو متصف بصفات الكمال التي لا يشابهه فيها سمع المخلوقين وبصرهم وكلامهم ونزولهم واستواؤهم "[٢].

قال أبو القاسم التيمي الأصبهاني:" الكلام في الصفات فرع على الكلام في الذات وإثبات وجود لا إثبات كيفية فكذلك إثبات الصفات ، وإنما أثبتناها لأن التوقيف ورد بها وعلى هذا مضى السلف"[٣].

الدليل السادس: لقد دلت الفطرة التي فطر الله الناس عليها أنَّ الله له صفات حقيقية، ولا أدل على ذلك من صفة الاستواء والعلو التي نفت الشيعة أن يكون الله متصف بها، فيقال للشيعة، أخبرونا عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا ، ما قال عارف قط يا الله إلا وجد من قلبه معنى يطلب العلو، ولا يلتفت يمنه ولا يسره ، فكيف ندفع هذه الضرورة عن قلوبنا[٤]، وننفي اتصاف الله بالعلو على عرشه أو اتصافه بصفات الأفعال.

لذا فإنَّ الشيعة يُكرهون فطرهم وعقولهم على قبول المحال المتناقض فينفون صفة العلو والاستواء، ويقولون لا هو داخل العالم ولا خارجه[٥]، ولا يقبلون ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ الموافق لما أودعه الله في الفطرة الإنسانية.

يقول شارح الطحاوية مستدلاً بدليل الفطرة على ثبوت الصفات لله تعالى:"أودع الله في الفطرة الإنسانية التي لم تتنجس بالجحود والتعطيل ، ولا التشبيه والتمثيل ، أنه سبحانه الكامل في أسمائه وصفاته

---

(١) الرسالة التدمرية: ابن تيمية، ص٢٤.

(٢) المصدر السابق، ص٣٠.

(٣) الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة : أبو القاسم إسماعيل بن محمد التيمي الأصبهاني، تحقيق:محمد ربيع بن هادي المدخلي، الناشر: دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض – السعودية، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م، ١٧٥/١

(٤) انظر: مجموع الفتاوى : ابن تيمية ، ٦١/٤.

(٥) المصدر السابق، ٦٠/٤.

، وأنه الموصوف بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله ، وما خفي عن الخلق من كماله أعظم وأعظم مما يعرفونه منه"(١).

الدليل السابع: يقال لشيعة إنكم وافقتمونا بقيام الدليل على كونه عالماً قادراً فلا يخلو إما أن يكون المفهومان من الصفتين واحداً، أو زائداً. فإن كان واحد فيجب أن يعلم بقادريته ، ويقدر بعالميته، ويكون من علم الذات مطلقاً علم كونه عالما قادراً، وليس الأمر كذلك، فعلم أن الاعتبارين مختلفان فلا يخلو: إما أن يرجع الاختلاف إلى مجرد اللفظ، أو إلى الحال، أو إلى الصفة، وبطل رجوعه إلى اللفظ المجرد، فإن العقل يقضي باختلاف مفهومين معقولين. ولو قدر عدم الأختلاف رأساً ما ارتاب العقل فيما تصوره. وبطل رجوعه إلى الحال فإن إثبات صفة لا توصف بالوجود ولا بالعدم إثبات واسطة بين : الوجود والعدم والإثبات والنفي وذلك محال. فتعين الرجوع إلى صفة قائمة بالذات"(٢).

الدليل الثامن: إن دعوى المجاز التي تدعيها الشيعة في صفات الذات الخبرية دعوة باطلة، ونقول لهم:" ما تقولون في قول القائل: غفر الله لك ، وعفا عنك ، وحلم الله عنك ، أمجاز هو أم حقيقة؟. فإن قالوا هو مجاز، فالله لا يغفر لأحد ولا يعفو عن أحد ، ولا يحلم عن أحد على الحقيقة... ، وإن قالوا حقيقة، فقد وجب في المصدر ما وجب في الصدر ، لأنا نقول: غفر الله مغفرة ، وعفا عفواً ، وحلم حلماً ، فمن المحال أن يكون واحد حقيقة والآخر مجازاً"(٣).

الدليل التاسع: لقد دلت روايات الشيعة أن أئمتها كانوا يثبوت صفات الذات لله تعالى من سمع وبصر وأصبع ويدين ووجه إلى غير ذلك من الروايات التي تنفي الشيعة أن تكون من صفات الله، وهذه نماذج منها:

روى صدوق الشيعة بسنده عن محمد بن عبيد، قال: دخلت على الرضا عليه السلام، فقال لي: قل للعباسي: يكف عن الكلام في التوحيد وغيره، ويكلم الناس بما يعرفون، ويكف عما ينكرون، وإذا سألوك عن التوحيد فقل كما قال الله عز وجل:﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ(١) اللهُ الصَّمَدُ(٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ(٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ(٤) ﴾. [الاخلاص:١-٤].وإذا سألوك عن الكيفية فقل كما قال الله عز وجل:﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشُّورى:١١] وإذا سألوك عن السمع فقل كما قال الله عز وجل: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ [الشُّورى:١١]فكلم الناس بما يعرفون"(٤).

وروى الكافي بسنده عن أبي جعفر قال: قال رسول اللهﷺ :" المتحابون في الله يوم القيامة على أرض زبرجدة خضراء في ظل عرشه عن يمينه، وكلتا يديه يمين، وجوههم أشد بياضًا، وأضوأ من

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية : ابن أبي العز الحنفي ،ص٣٦.

(٢) الملل والنحل: الشهرستاني، ٩٥/١.

(٣) الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة:ابن قتيبة، ص٣٦-٣٧.

(٤) التوحيد : الصدوق ، باب تفسير قل هو الله أحد إلى آخرها، حديث رقم: ١٤، ص٩٥.

الشمس الطالعة، يغبطهم بمنزلتهم كل ملك مقرب وكل نبي مرسل، يقول الناس: من هؤلاء؟ فيقال: هؤلاء المتحابون في الله"(١).

وروى كذلك عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال الله تبارك وتعالى: يا محمد إني خلقتك وعليا نورا يعني روحا بلا بدن قبل أن أخلق سماواتي وأرضي و عرشي وبحري فلم تزل تهللني وتمجدني، ثم جمعت روحيكما فجعلتهما واحدة فكانت تمجدني وتقدسني، وتهللني، ثم قسمتها ثنتين وقسمت الثنتين ثنتين فصارت أربعة محمد واحد وعلي واحد والحسن والحسين ثنتان، ثم خلق الله فاطمة من نور ابتدأها روحا بلا بدن، ثم مسحنا بيمينه فأفضى نوره فينا"(٢).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله عزوجل لما أراد أن يخلق آدم عليه السلام بعث جبرئيل عليه السلام في أول ساعة من يوم الجمعة، فقبض بيمينه قبضة، بلغت قبضته من السماء السابعة إلى السماء الدنيا، وأخذ من كل سماء تربة وقبض قبضة أخرى من الأرض السابعة العليا إلى الأرض السابعة القصوى فأمر الله عزوجل كلمته فأمسك القبضة الأولى بيمينه والقبضة الأخرى بشماله، ففلق الطين فلقتين..."(٣).

وروى المجلسي في بحاره عن الباقر عليه السلام أنه قال: ...إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله، يقلبها كيف يشاء ساعة كذا، وساعة كذا"(٤).

وجاء في كتاب الخرائج والجرائح، عن جماعة من أصحاب الحديث بأصبهان، وجماعة منهم من همدان وخراسان سماعًا وإجازة عن مشايخهم الثقات بأسانيد مختلفة -من حديث طويل- قال النبي ص لأصحابه: «ما بعث الله نبيًا إلا وقد أنذر قومه الدجال، وإن الله أخره إلى يومكم هذا، فمهما تشابه عليكم من أمره فإن ربكم ليس بأعور"(٥).

فبهذه الروايات والتي جاءت من طرف الشيعة أنفسهم والتي ورد فيها ذكر صفات الله تعالى على تنوع تلك الروايات ، يثبت أن أئمة الشيعة كانت تثبت الصفات لله تعالى وأن نفي الصفات إنما هو مذهب من تتلمذ على أيدي المعتزلة ثم نسب ذلك إلى أئمة آل البيت زوراً وبهتاناً لينصر مذهبه في التعطيل.

---

(١) أصول الكافي: الكليني، باب الحب في الله والبغض في الله ، حديث رقم :٧، ٢/ ١٢٤ ، قال المجلسي: الحديث ضعيف، (مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول: المجلسي، ٢٦١/٨)

(٢) المصدر السابق ، باب مولد النبي ﷺ ووفاته ، حديث رقم:٣ ، ١/ ٤٤١. قال المجلسي: الحديث ضعيف، (مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول: المجلسي، ١٨٦/٥).

(٣) المصدر السابق نفسه ، كتاب الإيمان والكفر، باب طينة المؤمن والكافر..، حديث رقم :٧، ٥/٢. قال المجلسي: الحديث ضعيف، (مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول: المجلسي، ١٠/٧).

(٤) بحار الأنوار : المجلسي، باب الإغضاء عن عيوب الناس ، حديث رقم: ٩ ، ٤٨/٧٢.

(٥) الخرائج والجرائح ، قطب الدين الراوندي، تحقيق: مؤسسة الإمام المهدي، الطبعة الأولى، الناشر: مؤسسة الإمام المهدي، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٩هـ، ص١١٤٢.

ثانياً: أدلة فساد مفهوم الشيعة من صفات الأفعال وعلاقتها بالذات.

الدليل الأول: إن ما زعمته الشيعة من أن الصفات الفعلية لا تقوم بذات الباري تعالى مخالف لنصوص الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة على أن الله تعالى متصف بصفات الأفعال القائمة به في الأزل، فقد ورد في النصوص السمعية من الأسماء والصفات المشتقة المسندة إليه تعالى كصفة الخلق. قال تعالى ﴿هُوَ اللهُ الخَالِقُ البَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر:٢٤]، وصفة الإبداع قال تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [البقرة:١١٧]، وصفة الرزق قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو القُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات:٥٨] وصفة الإحياء قال تعالى: ﴿وَاللهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [آل عمران:١٥٦]، ونحوها من الصفات الفعلية التي هي أمور ثابتة في الأعيان كالصفات الذاتية(١)، وكذلك الحال في أسمائه" فإنه تعالى تمدح في كلامه الأزلي بالأسماء الحسنى التي يشتق منها صفات الأفعال كما تمدح بالأسماء التي يشتق منها صفات الذات حيث قال: ﴿هُوَ اللهُ الخَالِقُ البَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ [الحشر:٢٤](٢).

ومن السنة النبوية المطهرة قوله ﷺ فيما يرويه عن ربه: " ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه..."(٣)، وقوله :" هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ "(٤)، وقوله في حديث الشفاعة:" إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله. ولن يغضب بعده مثله "(٥)، وقوله:" يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر ، كلاهما يدخل الجنة"(٦).

ولقد أجمع السلف على أن الله تعالى متصف بصفات الأفعال، وصفات الأفعال قائمة بمن فعلها ، وأن الأسماء المشتقة منها دالة على صفة في المحل المسمى بها(٧).

يقول الإمام ابن تيمية:" ولا ريب أن الطرق الدالة على الإثبات والنفي إما السمع وإما العقل أما السمع فليس مع النفاة منه شيء بل القرآن والأحاديث هي من جانب الإثبات كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢]، وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾

---

(١) انظر: إشارات المرام من عبارات الإمام أبي حنيفة النعمان في أصول الدين:كمال الدين أحمد بن حسن البياضي، تخريج: أحمد فريد المريدي، الطبعة الأولى، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ٢٠٠٧م، ص١٨٠-١٨١.

(٢) المصدر السابق : ص١٨٦.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب التواضع ، حديث رقم:(٦٥٠٢).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الكسوف ، باب قول الله تعالى وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون، حديث رقم:(١٠٣٨).

(٥) متفق عليه ، أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير ،سورة بني إسرائيل، حديث رقم: ٤٧١٢، ٨٤/٦، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ، حديث رقم(١٩٤).

(٦) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد، باب الكافر يقتل المسلم ثم يسلم فيسدد بعدو ويقتل، حديث رقم: (٢٨٢٦)، ومسلم في صحيحه ، كتاب الإمارة، باب بيان الرجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة، حديث رقم:(١٨٩٠).

(٧) انظر: شرح الطحاوية في العقيدة السلفية: ابن أبي العز الحنفي، ص٦٣.

[القصص:٦٥] ، وقوله ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة:١٠٥] وقوله ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى﴾ [الحديد:٤] وقوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ [فصّلت:١١] وقوله: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ [الأنعام:١٥٨] وأمثال ذلك مما في القرآن فإنه كثير جدا ... فأما الطرق العقلية فالمثبتون يقولون إنها من جانبهم دون جانب النفاة كما تزعم النفاة أنها من جانبهم وذلك أنهم قالوا إن قدرته على ما يقوم به من الكلام والفعل صفة كمال كما أن ما يقوم به من العلم والقدرة صفة كمال ومن المعلوم أن من قدر على أن يفعل ويتكلم أكمل ممن لا يقدر على ذلك كما أن قدرته على أن يبدع الأشياء صفة كمال والقادر على الخلق أكمل ممن لا يقدر على الخلق"[١].

ويقول ابن قيم الجوزية: "من قال: إنه يسمى متكلما بكلام منفصل عنه وخلقه في غيره، ومريد بإرادة منفصلة عنه، وعادلا بعدل مخلوق منفصل عنه، وخالقا بخلق منفصل عنه هو المخلوق قولا باطلا مخالفا للعقل والنقل واللغة مع تناقضه في نفسه... وحقيقة قول هؤلاء: أنه لم يقم به عدل ولا إحسان ولا كلام ولا إرادة، ولا فعل البتة، ومن تجهم منهم نفى حقائق الصفات وقال: لم تقم به صفة ثبوتية فنفوا صفاته وردوها إلى السلوب والإضافات، ونفوا أفعاله وردوها إلى المصنوعات المخلوقات وحقيقة هذا أن أسماءه تعالى ألفاظ فارغة عن المعاني لا حقائق لها، وهذا من الإلحاد فيها وإنكار أن يكون حسنا وقد قال تعالى: ﴿وَللهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:١٨٠]، وقد دل القرآن والسنة على إثبات مصادر هذه الأسماء له سبحانه وصفا، كقوله تعالى: ﴿أَنَّ الْقُوَّةَ للهِ جَمِيعًا﴾ [البقرة:١٦٥]، وقوله: ﴿إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات:٥٨]، وقوله: ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللهِ﴾ [هود:١٤] . وقوله ﷺ: "لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه"[٢]، وقول عائشة: "الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات"[٣]، وقوله ﷺ: "أعوذ برضاك من سخطك"[٤]، وقوله ﷺ: "أسألك بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق"[٥]، وقوله: "أعوذ بعزتك أن تضلني"[٦]، ولولا هذه المصادر

---

(١) شرح العقيدة الأصفهانية: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: إبراهيم سعيدي ، الناشر: مكتبة الرشيد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ، ص٩٧.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الصلاة، باب في قوله عليه السلام إن الله لا ينام، وفي قوله حجابه النور لو كشفه لأحرق سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه، حديث رقم: (١٧٩).

(٣) أخرجه النسائي في سننه: كتاب الطلاق، باب الظهار، حديث رقم: (٥٦٢٥)، ٢٧٦/٥، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده حديث رقم:(٢٤١٩٥)، ٢٢٨/٤٠، قال عنه شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح على شرط مسلم.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، حديث رقم: (٤٨٦)، ص: ٢٠١.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه: كتاب الدعاء، باب من كان يقول في دعائه: أحيني ما كانت الحياة خيرًا لِي، حديث رقم: (٢٩٩٦٠)، ٢٦٥/١٠. صححه الألباني في مشكاة المصابيح ، ٢٤٩٧.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الذكر والدعاء، باب التعوذ من شر ما عمل ....، حديث رقم:(٢٧١٧).

لانتفت حقائق الأسماء والصفات والأفعال، فإن أفعاله غير صفاته، وأسماءه غير أفعاله وصفاته. فإذا لم يقم به فعل ولا صفة فلا معنى للاسم المجرد، وهو بمنزلة صوت لا يفيد شيئا، وهذا غاية الإلحاد[١].

الدليل الثاني: اعتقاد الشيعة هذا مخالف لمعتقدات المسلمين الذين أجمعوا بأن الله تعالى لم يزل متصفاً بصفات الأفعال[٢]،" لأن صفاته سبحانه صفات كمال، ولا يجوز أن يكون قد حصل له الكمال بعد أن كان متصفاً بضده. ومن ذلك صفات الفعل ، كالخلق والتصوير ، والإحياء و الإماتة ، والإستواء والإتيان، والمجيء، والنزول، والغضب والرضا ونحو ذلك مما وصف به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ من صفات الكمال، فالعقلاء من الناس يقولون محال أن يتصف الله تعالى بصفة لم تكن، وإلا كان خالياً من الكمال ثم اتصف به"[٣].

يقول شارح الطحاوية:" ومذهب السلف وسائر الأئمة إثبات صفة الغضب ، والرضى ، والعداوة، والولاية، والحب، والبغض، ونحو ذلك من الصفات، التي ورد بها الكتاب والسنة، ومنع التأويل الذي يصرفها عن حقائقها اللائقة بالله تعالى . كما يقولون مثل ذلك في السمع والبصر والكلام وسائر الصفات...، وانظر إلى جواب الإمام مالك رضي الله عنه في صفة الاستواء: الاستواء معلوم ، والكيف مجهول"[٤] .

الدليل الثالث: " لقد أدرجت الشيعة صفة الكلام تحت الصفات الفعلية ، وقالوا في تعريف الصفات الفعلية أنه ما يتّصف الله تعالى بها وبضدّها[٥] ، فعلى ذلك يلزم الشيعة أن يتصف الله تعالى بضد صفة الكلام وهو الخرس ، وهذا من أقبح صفات النقص في حق المخلوق فكيف بالخالق جل وعلا ، لذا فإن الصواب في تعريف الصفات الفعلية، أن يقال: هي التي تتعلق بمشيئة الله تعالى واختياره ، ويمكن أن تنفك عن الذات على معنى إنشاء فعلها وإنشاء لم يفعلها ، وتقوم بذات الله تعالى بمشيئته واختياره وقدرته، كالخلق والمجيء، والنزول، الرزق، الإحسان، العدل، وقد تسمى الاختيارية ، أو الأفعال الاختيارية "[٦].

يقول الإمام ابن تيمية:" إن ما به تثبت الصفات القائمة به تثبت الأفعال القائمة به التي تحصل بقدرته واختياره ونحو ذلك، وذلك أنه يقال : العلم والقدرة والسمع والبصر والكلام ونحو ذلك صفات كمال فلو لم يتصف الرب بها اتصف بنقائضها كالجهل والعجز والصمم والبكم والخرس وهذه صفات نقص والله منزه عن ذلك فيجب اتصافه بصفات الكمال ويقال: كل كمال يثبت لمخلوق من غير أن يكون فيه نقص بوجه من الوجوه فالخالق تعالى أولى به وكل نقص تنزه عنه مخلوق فالخالق سبحانه أولى

---

(١) شفاء العليل: ابن قيم الجوزية، ص: ٤٧٨.

(٢) موقف الشيعة من الصفات الإلهية : د. صالح الرقب ص ٣٧٧

(٣) شرح الطحاوية في العقيدة السلفية: ابن أبي العز الحنفي، ص ٦٣

(٤) المصدر السابق : ص ٦٣.

(٥) العقائد الحقة: على الحسيني الصدر، ص٦٥. وانظر تصحيح اعتقادات الإمامية: الشيخ المفيد ص41.

(٦) موقف الشيعة من الصفات الإلهية : د. صالح الرقب ص٣٧٧ .

بتنزيهه عنه بل كل كمال يكون للموجود لا يستلزم نقصا فالواجب الوجود أولى به من كل موجود"[١].

الدليل الرابع: يقال للشيعة الذين ينفون صفات الأفعال الخبرية ويؤولونها، تأملوا في قول الله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾ [الفرقان:٥٩] ، فإن قوله في سورة الفرقان: ﴿فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾ بعد قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾ ألا يدل ذلك دلالة واضحة أن الله الذي وصف نفسه بالاستواء خبير بما يصف به نفسه لا تخفي عليه الصفة اللائقة من غيرها ويفهم منه أن الذي ينفي عنه صفة الاستواء ليس بخبير[٢]، وقس على ذلك جميع صفات الله تعالى الواردة في كتابه العزيز والتي تنفيها الشيعة بحجج واهية أسبابها فلسفات استوردها المعتزلة من فلاسفة اليونان وتلقتها الشيعة منهم واتخذتها دينا.

الدليل الخامس: إن العقل ينفي أن تكون الصفة غير قائمة بالموصوف، فمن زعم أن المريد المحب والمبغض والراضي والساخط ما تكون إرادته ومحبته وبغضه ورضاه وسخطه لا يقوم به بحال من الأحوال قال ما لا يعقل وأتى بشيء مخالف لما بلغته الرسل عليهم السلام عن الله تعالى، وقولهم هي صفات للرب لا تقوم به. متناقض في نفسه ، إذ كيف يعقل فعل لا يقوم بفاعله ، أو كيف يصدر فعل عن فاعل دون أن يكون قائماً بذاته؟ إنّ كل عاقل يدرك الفرق بين الخلق والتكوين ، وبين المخلوق والمكون المنفصل البائن عن الرب عز وجل ، ولا يقول عاقل إن المخلوق صفة لله تعالى[٣] .

يقول الإمام ابن القيم:" قول أتباع الرسل الذين نقلوا هذا الباب عنهم. أثبتوا له تعالى صفة الكلام، كما أثبتوا له سائر الصفات ، ومحال قيام هذه الصفات بنفسها كما يقول بعض المكابرين أنه خلق الكلام لا في محل، ومحال قيامها بغير الموصوف بها كما يقوله المكابر الآخر أنه خلق في محل، فكان هو المتكلم به دون المحل"[٤].

الدليل السادس: نفت الشيعة صفة الكلام عن الله تعالى بحجة حلول الحوادث في ذات الله تعالى فيقال لهم،" إنَّ قدرته على ما يقوم به من الكلام والفعل صفة كمال كما أن ما يقوم به من العلم والقدرة صفة كمال ومن المعلوم أن من قدر على أن يفعل ويتكلم أكمل ممن لا يقدر على ذلك، كما أن قدرته على أن يبدع الأشياء صفة كمال والقادر على الخلق أكمل ممن لا يقدر على الخلق.. والحي لا يخلو عن هذا والحياة هي المصححة لهذا كما هي المصححة لسائر الصفات وإذا قدر حي لا يقدر على أن يفعل بنفسه ويتكلم بنفسه كان عجزًا بمنزلة الزمن[٥] والأخرس"[٦].

---

(١) درء تعارض العقل والنقل: ابن تيمية، ٢/٢٢١-٢٢٢.

(٢) انظر: منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات: محمد الأمين الشنقيطي ، ص٢٦.

(٣) انظر: منهاج السنة النبوية: ابن تيمية ، ٢/٣٧٦، ٣٧٨.

(٤) مختصر الصواعق المرسلة: محمد بن أبي بكر "ابن القيم الجوزية"، اختصره: الشيخ محمد الموصلي، الناشر: مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، ٢/٢٩٣.

(٥) الزمن بفتح الزاي وكسر الميم: المبتلى بعاهة بينة . انظر : لسان العرب : ابن منظور، ١٣/١٩٩.

(٦) شرح العقيدة الأصفهانية:ابن تيمية، ص٩٨.

الدليل السابع: لقد استدل الشيعة على إثباتهم الصفات السلبية بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الغَنِيُّ الحَمِيدُ﴾ [فاطر:١٥]واعتقادهم بأن هذه الآية من المحكمات التي يرد إليها المتشابه وأنه سبحانه وتعالى غني غنى مطلق ، فيلزم الشيعة من اعتقادهم بأن اتصاف الله تعالى بالصفات الفعلية لا يتحقق لله تعالى إلا بعد صدور الفعل منه، أي أن الله سبحانه وتعالى استفاد صفات الكمال من غيره، فلا يكون الله الغني بذاته وصفاته، وهذا ما ينفونه فيكون بطل ما ذهبوا إليه من حدوث صفات أفعاله بعد صدورها من خلقه(١).

يقول شارح الطحاوية:" إنّ الله سبحانه وتعالى لم يزل متصفاً بصفات الكمال: صفات الذات، وصفات الفعل، ولا يجوز أن يعتقد أن الله وصف بصفة بعد أن لم يكن متصفاً بها؛ لأن صفاته سبحانه صفات كمال، وفقدها صفة نقص، ولا يجوز أن يكون قد حصل له الكمال بعد أن كان متصفاً بضده،ولا يَردُ على هذه صفات الفعل والصفات الاختيارية ونحوها، كالخلق والتصوير، والإحياء الإماتة، والقبض والبسط والطي، والاستواء، والإتيان والمجيء والنزول، والغضب والرضا، ونحو ذلك مما وصف به نفسه ووصفه به رسوله... لأن هذا الحدوث بهذا الاعتبار غير ممتنع، ولا يطلق عليه أنه حدث بعد أن لم يكن، ألا ترى أن من تكلم اليوم وكان متكلماً بالأمس لا يقال: إنه حدث له الكلام، ولو كان غير متكلم لآفة كالصغر والخرس ثم تكلم يقال: حدث له الكلام، فالساكت لغير آفة يسمى: متكلماً بالقوة، بمعنى: أنه يتكلم إذا شاء، وفي حال تكلمه يسمى: متكلماً بالفعل، وكذلك الكاتب في حال الكتابة هو كاتب بالفعل، ولا يخرج عن كونه كاتباً في حال عدم مباشرته الكتابة"(٢).

الدليل الثامن: لقد دلت روايات الشيعة أنَ أئمة الشيعة كانوا يثبتون الصفات الفعلية لله تعالى على الحقيقة، فهناك الكثير من الروايات في أمهات كتب الشيعة التي أثبتت صفة الكلام لله تعالى وصفة الاستواء والعلو وصفة النزول، والمجيء والإتيان و الغضب والرضا والضحك إلى غير ذلك من الصفات وهذه الصفات تنفي الشيعة أن تكون من صفات الأفعال، وهذه نماذج منها:

روى الكليني بسنده عن أمير المؤمنين:" يضحك الله إلى رجل في كتيبة يعرض لهم سبع أو لص فحماهم أن يجوزوا"(٣) .

وروى المجلسي في بحاره عن أمير المؤمنين: أنه قال: ثلاثة يضحك الله إليهم يوم القيامة: رجل يكون على فراشه مع زوجته وهو يحبها، فيتوضأ ويدخل المسجد فيصلي ويناجي ربه، ورجل أصابته جنابة فلم يصب ماء فقام إلى الثلج فكسره ثم دخل فيه واغتسل، ورجل لقي عدوًا وهو مع أصحابه فجاءهم مقاتل فقاتل حتى قتل"(٤)

---

(١) انظر: شرح الطحاوية في العقيدة السلفية: ابن أبي العز الحنفي، ص٦٣.

(٢) المصدر السابق، ص ٦٢-٦٣.

(٣) فروع الكافي: الكليني، كتاب الجهاد ، باب بدون عنوان(٣)، حديث رقم: ١، ٥٤/٥. قال المجلسي: الحديث ضعيف، (مرآة العقول شرح أخبار آل الرسول: المجلسي، ٣٩٨/١٨).

(٤) بحار الأنوار: المجلسي، جوابه عليه السلام لمن قال: أي شيء أعظم من السماء، حديث رقم:١٠٧، ٣٢/٧٥

وعن جابر الجعفي قال: سمعت أبا عبد الله ؛ يقول: إن الله تبارك وتعالى ينزل في الثلث الباقي من الليل إلى السماء الدنيا، فينادي: هل من تائبٍ يتوب فأتوب عليه، وهل من مستغفر يستغفر فأغفر له، وهل من داعٍ يدعوني فأفك عنه، وهل من مقتور يدعوني فأبسط له، وهل من مظلوم يستنصرني فأنصره"[١].

---

(١) بحار الأنوار: المجلسي، باب دعوة المنادى في السحر واستجابة الدعاء ، ٨٤/١٦٧-١٦٨.

الفصل الثاني
تطور معتقد الشيعة في الصفات الإلهية.

المبحث الأول: ظهور التشبيه على يد الشيعة الأوائل.

المطلب الأول: علماء الاثنا عشرية المشبهة ومقالتهم في التشبيه.
المطلب الثاني: روايات كتب الشيعة التي تثبت ظهور التشبيه والتجسيم بين صفوفهم.
المطلب الثالث : روايات التشبيه والتجسيم في الكتب المعتمدة عند الاثنا عشرية.

المبحث الثاني: ظهور التعطيل في الشيعة المتأخرين.

المطلب الأول: بداية تأثر أفراد من الشيعة بآراء المعتزلة واعتناق أفكارهم.
المطلب الثاني: رسوخ التعطيل في الشيعة وتبني الطائفة بأكملها لأقوال المعتزلة.

المبحث الثالث: تأثر الشيعة بالمعتزلة في نفي الصفات.

المطلب الأول: رأي المعتزلة في الصفات الإلهية.
المطلب الثاني: رأي الشيعة في تلقي معتقدهم من المعتزلة.

الفصل الثاني
تطور معتقد الشيعة في الصفات الإلهية.

تمهيد:

لكل عقيدة أسس ثابتة ينطلق أصحابها من خلالها لإثبات معتقدهم منها، فأهل السنة والجماعة كانت لهم ثلاث أسس رئيسة في باب أسماء الله وصفاته هي:[1].

الأساس الأول: الإيمان بما وردت به نصوص القرآن والسنة الصحيحة من أسماء الله وصفاته إثباتا ونفيا.

الأساس الثاني: تنزيه الله جل وعلا عن أن يشبه شيء من صفاته شيئا من صفات المخلوقين.

الأساس الثالث: قطع الطمع عن إدراك كيفية اتصاف الله بتلك الصفات.

هذه الأسس الثلاثة كانت تفصل وتميز عقيدة أهل السنة في هذا الباب عن عقيدة أهل التعطيل من جهة، وعن عقيدة أهل التمثيل والتشبيه من جهة أخرى.

ففي مقابل أهل السنة والجماعة، وإذا ما نظرنا إلى حال الشيعة وما مر به التشيع من أحداث وانقسامات واختلافات وتطورات، نجد أنه لم يكن للشيعة أية أسس ثابتة ينطلقون من خلالها لإثبات عقائدهم وخاصة مسألة صفات الله تعالى، فقد ذكر العلماء أنّ التشيع كان محضناً ومأوى لكل من أراد أن يهدم الإسلام من الداخل ويخربه، فكان من الطبيعي أن تموج بالشيعة آراء وأفكار أصحاب الديانات المختلفة من يهود ونصارى ومجوس من مدعي الانتساب إلى الإسلام، وهؤلاء كلهم التقوا على هدف واحد وأساس مشترك هو إفساد دين الله تعالى.

ومن خلال هذا الفصل سوف سنستقرأ تطور عقيدة الشيعة في الصفات، ونبين أوائل الشيعة الذين تأثروا باليهود والمجوس، فأدخلوا التشبيه والتجسيم على المسلمين ومقالتهم في التشبيه.

وكذلك أوائل الشيعة الذين نقلوا مقالة التعطيل من المعتزلة والمراحل التي مر بها الشيعة حتى استقروا على التعطيل.

---

(١) انظر: منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات: الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، ص ٢٥.

المبحث الأول

ظهور التشبيه على يد الشيعة الأوائل.

تمهيد:

أولاً: التشبيه في اللغة واصطلاح أهل السنة:-

١. **التشبيه لغة:** مصدر شبَّه يشبَّه تشبيهاً، يقول ابن فارس :" الشين والباء والهاء أصل يدل على تشابه الشيء وتشاكله لوناً ووصفاً[١] .

قال تعالى :" ﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾ [البقرة:٢٥]،قيل يشبه بعضه بعضاً ويختلف في الطعم ، وقيل هو اشتباه ثمر الجنة وثمر الدنيا في المنظر واللون[٢].

قال الشاعر:

أصبح فيه شبه من أمّه من عظم رأسه ومن خرطومه

ويطلق التشبيه في اللغة مع تقييده بمعنى المثيل ويعرف ذلك من سياق الكلام وذلك لأن المثل في اللغة هو المشابه للشيء من كل الوجوه[٣] .

إذاً : تصاريف كلمة شبه جميعها تدل على مشابهة الشيء للشيء من بعض الوجوه[٤]

٢. **التشبيه باصطلاح أهل السنة:**

التشبيه عند أهل السنة هو: وصف الله تعالى بشيء من خصائص المخلوقين، وذلك بأن يثبت لله تعالى في ذاته أو صفاته أو أفعاله من الخصائص مثل ما يُثبت للمخلوق من الصفات، أو يُعطي لمخلوق من خصائص الرب تعالى التي لا يماثله فيها شيء من المخلوقات[٥].

فمن مفهوم أهل السنة للتشبيه نجد أنّ التشبيه ينقسم إلى نوعين:

النوع الأول: تشبيه المخلوق بالخالق سبحانه، كأن يثبت للمخلوق شيء مما يختص به الخالق عز وجل من الأفعال والحقوق والصفات [٦].

---

(١) انظر : معجم مقاييس اللغة:أبو الحسن أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، الناشر: دار الفكر، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م ، مادة شبه، ٢٤٣/٣.

(٢) انظر : تفسير الطبري: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي ، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الطبعة الأولى، الناشر: مؤسسة الرسالة ، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م، ٣٩٠/١

(٣) انظر: لسان العرب:محمد بن مكرم بن منظور، ٥٠٣/١٣.

(٤) انظر: مقالة التشبيه وموقف أهل السنة منها :جابر بن أدريس بن علي أمير ، الطبعة الأولى، الناشر: أضواء السلف ، ، ١٤٢٢ه-٢٠٠٢م، ٧٥/١.

(٥) انظر: مقالة التشبيه وموقف أهل السنة منها : جابر أدريس أمير ، ٧٩/١، وانظر:مجموع الفتاوى: ابن تيمية ، ٣٥/٦-٣٦، شرح الطحاوية في العقيدة السلفية: ابن أبي العز الحنفي، ص١٥٦.

(٦) انظر: مقالة التشبيه وموقف أهل السنة منها :جابر بن علي أمير ، ١/ ١٦٤.

ولقد بين أهل السنة أنَّ تشبيه المخلوق بالخالق، إنما يكون بأن يجعل مخلوقاً مثلاً للخالق في شـــيء من الأشياء فأحبه مثل ما يحب الله ، أو وصفه بمثل ما يوصف به الخالق، فقد شبهه بالخالق وهو مشرك ساوى بين الله وبين المخلوق، فعدل بربه عز وجل والرب تعالى لا مثيل له ولا كفو له ولا سمي له(١).

فمن أشرك مع الله تعالى في ربوبيته بإعطاء المخلوق ما للرب تعالى من صفات فقد جعله شـــريكاً مع الله في ربوبيته وشبهه بالخالق . كما أن من أعطى بعض خصائص الإلوهية للمخلوق، وصرف له أيَّ نوع من أنواع العبادة فقد أشرك مع الله في إلوهيته وشبهه في ذلك بالخالق عز وجل(٢)

النوع الثاني: تشبيه الخالق الباري سبحانه بالعبد المخلوق، كأن يثبت لله تعالى في ذاته وصفاته مثل ما يثبت للمخلوق(٣).

ولقد أكد أهل السنة أنَّ تشبيه الخالق بالمخلوق، إنما يكون إذا قال القائل: يدٌ كيدي ، أو مثل يـــدي ، أو سمع كسمعي أو مثل سمعي، فهذا تشبيه أما إذا قال كما قال الله تعالى: يد وسمع وبصـــر ، لا يقـــول كيف ، ولا يقول مثل سمع ولا كسمع فهذا لا يكون تشبيهاً عنده قال الله تعـــالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ [الشُّورى:١١](٤)، وذلك لما جعل نفاة الصفات من يثبت شيئاً من الصفات التي أثبتها الله لنفسه وأثبتها له الرسول ﷺ تشبيهاً، فقد قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله:" من قال: بصـــر كبصـــري، ويد كيدي، وقدم كقدمي فقد شبه الله:﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾"(٥).

وقال الإمام ابن تيمية:" من قال: له علم كعلمي ، أو قوة كقوتي، أو حب كحبي، أو رضا كرضايَ، أو يدان كيدي، أو استواء كاستوائي، كان مشبهاً لله بالحيوان بل لابد من إثبات بلا تمثيـــل وتنزيـــه بـــلا تعطيل"(٦).

وقال الإمام البخاري:" من شبه الله بخلقه كفر ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفـــر ، ولـــيس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيهاً"(٧).

---

(١) انظر: مجمع الفتاوى: ابن تيمية : ١٦٣/١٣.

(٢) انظر: مقالة التشبيه وموقف أهل السنة منها :جابر بن أدريس بن علي أمير ،٨٣/١.

(٣) المصدر السابق:١/ ٢٢٧.

(٤) انظر: الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي: لأبي عيسى محمد بن سورة، تحقيق: أحمد محمد شـــاكر، الناشـــر: مكتبـــة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، الطبعة الثانية، ١٣٩٧هـــ ١٩٧٧م، كتاب الزكاة ، ٤٣/٣

(٥) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة: أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة العكبـــري الحنبلـــي، تحقيق: عثمان عبد الله أدم الأثيوبي، الناشر: دار الراية، الرياض، ١٤١٨هـــ، ٣٢٧/٣.

(٦) الرسالة التدمرية: ابن تيمية، ص٢٠ ، مجموع الفتاوى: ابن تيمية، ١٦/٣.

(٧) مجموع الفتاوى: ابن تيمية، ١٧٧/٣٣.

ثانياً: نشأة مقالة التشبيه في الإسلام:

بظهور بدعة التشيع والغلو في أئمة آل البيت ظهرت مقالة التشبيه في الملة الإسلامية وترعرعت بين صفوف الشيعة[١]، فكانت مقالة التشبيه تسير جنباً لجنب وسواء بسواء مع الدعوة إلى بدعة التشيع.

فقد كان ظهور النوع الأول من التشبيه – تشبيه المخلوق بالخالق – على يد عبد الله بن سبأ مؤسس الفكر الشيعي ومغذي أفكاره، كما أجمعت على ذلك مصادر أهل السنة[٢]و مصادر الشيعة نفسها[٣].

فقد غلا عبد الله بن سبأ في علي ﷺ فزعم أنه إله، ودعا على ذلك قوماً من غواة الكوفة فاتبعوه[٤] وهؤلاء أطلق عليهم اسم السبئية، ولقد نقل العلماء مقالتهم في التشبيه وقولهم في علي ﷺ بأنه وهو الخالق الباري[٥] ، وقولهم بأنه الله الذي لا إله إلى هو[٦].

ويبدو أن ابن سبأ أراد أن يفسد دين الله كما أفسد بولس دين النصرانية عبر ادعائه إلوهية علي ﷺ وتشبيهه بالخالق جل وعلا [٧]، وفي ذلك يقول الإمام ابن حزم:" إن محنة أبي الحسن ﷺ بين أصحابه، كمحنة عيسى بين أصحابه من الرسل عليهم السلام، إلا أن الإمام علي ﷺ قابل القائلين بهذه المقالة بالحكم عليهم بالكفر وأمر بإحراقهم، "[٨] .

وهذا النوع من التشبيه وإن كان قد أظهره عبد الله بن سبأ و ادعى فيه إلوهية علي بن أبي طالب ﷺ، إلا أنَّ شيوخ الشيعة قد أدخلوا عليه بعض التعديلات اللفظية وأبقوا على جوهره، فقد جعل شيوخ الشيعة للأئمة من الخصائص والصفات مثل ما للخالق عز وجل دون أن يعطوهم اسم الإلوهية أو الربوبية وعدوا ذلك من دلائل معجزات الأئمة التي خصهم الله بها من دون الخلق، وأنه ليس تأليهاً للأئمة ولا مشابهة لهم بالله الخالق جل وعلا[٩] ، بل إنَّ الله تعالى هو من منحهم تلك الصفات، فصرفوا الدعاء لهم والاستعانة والاستغاثة بهم وطلب قضاء الحاجات وتقديم النذور لهم والصلاة تجاه قبورهم لا تجاه القبلة و جعل تربة كربلاء شفاء لكل داء، فتراهم يحتفظون بها ليسجدوا عليها ، كذلك بنوا المشاهد على تلك القبور، وجعلوا زيارتها والحج إليها مثل الحج إلى بيت الله الحرام وأعظم، بل إن الحج لا يتم إلا

(١) انظر: الفرق بين الفرق: البغدادي ، ص٢٢٥.

(٢) انظر: مقالات الإسلاميين: الاشعري، ٨٦/١، والتنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع: الملطي، ص٢٩-٣٠، والفرق بين الفرق: البغدادي، ص٢٢٥، والملل والنحل: الشهرستاني، ١٧٣/١، ومنهاج السنة النبوية : ابن تيمية، ٧٢/١.

(٣)انظر: بحار الأنوار: المجلسي، ٢٦٣،/٢٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٣٤٣، ٨٢/٤١، ٢١٤

(٤) انظر: الفرق بين الفرق: البغدادي ، ص٢٢٥.

(٥) انظر: التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع : الملطي ، ص٢٩، والفرق بين الفرق: البغدادي ، ص٢٢٥.

(٦) انظر: منهاج السنة النبوية : ابن تيمية ، ٣٠٦/١.

(٧) انظر: شرح الطحاوية في العقيدة السلفية: ابن أبي العز الحنفي ، ص٤٢١.

(٨) الفصل في الملل والأهواء والنحل: ابن حزم،٤٧/٥

(٩) انظر: مقالة التشبيه وموقف أهل السنة منها: جابر علي إدريس ،٢٦٥/١.

بزيارة قبور أئمتهم، وزعموا أن أئمتهم يعلمون الغيب ، وأن لهم ملكوت السماوات والأرض وأنه تخضع لهم كل ذرات الكون ، إلى غير ذلك من صنوف التشبيه والشرك ، التي أعطى بها شيوخ الشيعة صفات الإلوهية والربوبية الخاصة بالخالق عز وجل للأئمة وشبهوهم بالخالق تعالى وعدوا تلك الشركيات بأنها منحة من الله قد منحها للأئمة وأعطاها لهم، وقد بينا جزءاً من مظاهر هذا النوع من التشبيه وذلك الشرك في بيان بطلان مفهوم التوحيد الذي ذهبوا إليه ولا حاجة لإيراد المزيد من الروايات وأقوال علمائهم، فإن مظاهر هذا النوع من التشبيه وذلك الشرك ينطق به حالهم كل عام في مواسم حجهم إلى مراقد الموتى التي يقدسونها[1].

أما النوع الثاني من التشبيه – تشيه الخالق بالمخلوق – ، فقد فتق الكلام فيه وهذبه هشام بن الحكم ورفاقه من علماء الرافضة[2]، وإن كان أول طوائف الشيعة قولاً بالتشبيه هم البيانية أتباع بيان بن سمعان[3] الذي ظهر في أوائل القرن الثاني[4]، و زعم أن الله رجل من نور على صورة إنسان ، وأنه يهلك كله إلا وجهه[5]، إلا أن هشام بن الحكم قد هذّب الكلام فيه وخلطه ببعض الأصول الفلسفية التي دافع من خلالها عن أرائه في التجسيم والتشبيه الذي تلقاها من الزنادقة أمثال أبو شاكر الديصاني[6] صاحب الديانة الديصانية [7].

فقد ذكر أبو على الجبائي:" أن كثير ممن نصر هذا المذهب – يعني الشيعة – كان قصده في الدين والإسلام ، فتسلق بذلك إلى القدح فيهما، لأنه لو طعن فيهما بإظهار كفره وإلحاده لقل القبول منه، فجعل هذه الطريقة سلماً، نحو هشام بن الحكم وطبقته"[8].

---

(١) انظر: ص٦٦ وما بعدها من هذا البحث.

(٢) انظر: هشام بن الحكم: عبد الله نعمة، ص٣٩-٤٠.

(٣) هو بيان بن سمعان التميمي، أحد غلاة الشيعة الذي بدأ نشاطه في الغلو في بداية القرن الثاني هجري، بادعائه أنّ أبا هاشم عبد الله بن محمد العلوي هو الإمام القائم المهدي ، وأنه سيرجع فيقوم بامور الناس ويملك الأرض، ثم ادعى الإمامة له ثم النبوة، وقد ادعى أن الله تعالى على صورة إنسان وأن له أعضاء كاعضاء الإنسان، وادعى ألوهية علي ، تمكن منه خالد القيسري في زمن ولايته على العراق فقتله.(انظر: التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع: الملطي، ص١٦٥، الفرق بين الفرق: البغدادي ، ص٢٢٦، الملل والنحل ، الشهرستاني، ١/١٥٢-١٥٣)

(٤) مقالة التشبيه وموقف أهل السنة منها :جابر بن علي أمير ، ١/١٧٨.

(٥) انظر: مقالات الإسلاميين : الأشعري ، ١/٦٧.

(٦) انظر: الانتصار: الخياط ، ص٥٥، وتثبيت دلائل النبوة : القاضي عبد الجبار، ١/٢٢٥.

(٧)الديصانية: إحدى فرق الثنوية القائلين بالأصلين النور والظلمة، وأن العالم صدر عنهما، وتعتبر أصلاً للمانوية، وإنما اختلفت الفرقتان في كيفية اختلاط النور بالظلمة ، انظر: الملل والنحل: الشهرستاني، ١/٢٥٠، الفهرست:لابن النديم: ص ٣٣٨-٣٣٩.

(٨) الشافي في الإمامة: الشريف المرتضى، الناشر: مؤسسة إسماعليان، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ، ١/٨١.

وقال الخياط[1]:" بل المقرون بقول الديصانية شيخ الرافضة وعالمها هشام بن الحكم المعروف بصحبة أبي شاكر الديصاني، الذي قصد إلى الإسلام فطعن فيه من أركانه، فقصد إلى التوحيد بالإفساد"[2]

وذكر القاضي عبد الجبار أن هشام بن الحكم ليس من أهل القبلة وأنه معروفاً بعداوة الأنبياء، وأنه أُخذ مع أبي شاكر الديصاني صاحب الديانة الديصانية، وكان معروفاً به و بصحبته، فادعى أنه من الشيعة ، فخلصه بعض أصحاب المهدي حين ادعى أنه يتشيع لبني هاشم فلم يصلبه مع أبي شاكر[3].

وهذا ما أكد عليه محقق كتاب الانتصارالدكتور نيبرج في حديثه عن الحقبة التي ظهر فيها هشام بن الحكم ورفاقه من شيوخ الشيعة المشبهة بقوله :" ويظهر عند البحث التاريخي أن الشيعة كانت محل امتزاج الثنوية[4] بالإسلام خاصة، إذ في أفكارها الرئيسية من المناسبة لآراء الثنوية ما لا يخفى، مثال ذلك قولها في أئمتها وتجسيمها الذي هو أقرب شيء إلى تجسيم الثنوية، ثم ثبت عن كثير من رجالها أنهم جمعوا بين الرفض والزندقة، والزندقة هي مذهب الثنوية"[5].

ولقد صرحت بعض روايات الشيعة بأن هشام بن الحكم كان غلاماً من غلمان أبي شاكر الديصاني، فقد روى الخوئي في معجمه عن الرضا عليه السلام ، أنه قال:" ... هشام من غلمان أبي شاكر، وأبو شاكر زنديق"[6].

والجدير ذكره هنا أنّ هشام بن الحكم يعد الشخصية الثانية المركزية في عالم الرفض والتشيع بعد عبد الله بن سبأ، فقد هذب هشام بن الحكم الكلام في الإمامة و حصرها في أئمة معينين[7]، وعده بعض العلماء أول من أظهر مقالة تحريف القرآن، وأول من هذب القول بالتشبيه والتجسيم وغزاه بآراء الفلاسفة، وكل هذه البدع كان يظهرها عبر افتراءه الكذب على أئمة آل البيت، وقد أرسل إليه أحد الأئمة بالكف عن الكذب عليه فأبى ذلك ، فقد روي أن أبا الحسن أرسل إلى هشام بن الحكم أن يمسك عن الكلام عليه وقال له أيسرك أن تشرك في دم امرئ مسلم؟ فما سكت حتى كان من أمره ما كان[8].

---

(١) الجاحظ: هو عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ: كبير أئمة الأدب، ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة. مولده ووفاته في البصرة. وكان مشوه الخلقة. ومات والكتاب على صدره. قتلته مجلدات من الكتب وقعت عليه. عام ٢٥٥ هـ. (انظر: الأعلام: الزركلي، ٧٤/٥).

(٢) هشام بن الحكم: عبد الله نعمة ، ص٧٢.

(٣) تثبيت دلائل النبوة : القاضي عبد الجبار، ٢٢٥/١.

(٤) الثنوية: ديانة سبقت الإسلام وهي إحدى فرق الماجوس الذين يقولون للعالم إلهيت قديمين، ففاعل الخير نور وفاعل الشر ظلمة وهما قديمان لم يزالا ولن يزالا قويين حساسين سميعين بصيرين وهما مختلفان في النفس والصورة متضادان في الفعل والتدبير، انظر: بيان تلبيس الجهمية ، ص٤٢، والملل والنحل: الشهرستاني ، ٢٤٣/١.

(٥) مقدمة كتاب الانتصار: للخياط ، تقديم د. نيبرج، ص ٥٥.

(٦) معجم رجال الحديث : الخوئي ، ٣١٩/٢٠.

(٧) انظر: الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم: محمد بن أسحق النديم ن تحقيق: رضا تجدد ، ص٢٢٣.

(٨) معجم رجال الحديث: الخوئي ، ٣١٩/٢٠.

ولما كان هذا النوع من التشبيه له علاقة مباشرة في البحث وهو ما يخصنا في دراسة موقف الشيعة من الصفات الإلهية، ولإنكار الشيعة وقوعهم فيه، فقد خصص الباحث له المطالب التالية:-

المطلب الأول: علماء الاثنا عشرية المشبهة ومقالتهم في التشبيه.

تكاد تجمع كتب الفرق والمقالات على اختلاف مذاهبها على أن التشبيه لم يعرف في طائفة مثل ما عرف في الشيعة، فأول من أدخل هذا النوع من التشبيه على المسلمين كما تحكي كتب الفرق والروايات هو هشام بن الحكم، والذي تعده الاثنا عشرية أكبر شخصية كلامية لديها في القرن الثاني الهجري(١)، ثم تبعه مجموعة من علماء الشيعة الأوائل أمثال: هشام بن سالم الجواليقي، ويونس بن عبد الرحمن القمي و أبو جعفر الأحوال الملقب بشيطان الطاق، وتذكر تلك الكتب أن مقالة التشبيه انتشرت في صفوف أتباعهم بفضل جهودهم وأرائهم الكلامية(٢).

فيقول ابن المرتضى:" أول من تجاسر على إظهار هذا القول – التشبيه- هشام ابن الحكم وكان متهماً في دينه . ومجموع قوله في التجسيم و حدوث العلم والجبر والبداء والرجعة والطعن في الصحابة يدل على أن الرجل لم يكن يرجع إلى دين وروي أنه اجتمع مع أبي الهذيل فقال في ساعة واحدة في ربه ثلاثة أقاويل"(٣).

ويذكر ابن حزم أن أول من قال في الإسلام إن الله جسم هو هشام بن الحكم الرافضي (٤).

و قال الرّازي:" كان بدء ظهور التّشبيه في الإسلام من الرّوافض مثل هشام بن الحكم، وهشام بن سالم الجواليقي، ويونس بن عبد الرحمن القمي وأبي جعفر الأحول"(٥).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية:" وأول من عرف في الإسلام أنه قال: إن الله جسم هو هشام بن الحكم"(٦).

وفي موضع أخر يقول:" "فهذه المقالات التي نقلت في التشبيه والتجسيم لم نر الناس نقلوها عن طائفة من المسلمين أعظم مما نقلوها عن قدماء الرافضة. ثم الرافضة حرموا الصواب في هذا الباب كما حرموه في غيره، فقدماؤهم يقولون بالتجسيم الذي هو قول غلاة المجسمة، و متأخروهم يقولون بتعطيل

---

(١) هشام بن الحكم: عبد الله نعمة ، ٣٩-٤٠، أعيان الشيعة: محسن الأمين ، ١٣٢/١.

(٢) انظر: اعتقادات فرق المسلمين و المشركين: محمد بن عمر بن الحسين الرازي، ص٩٧.

(٣) المنية والأمل: ابن المرتضى ، ص٨٧.

(٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل: ابن حزم ٤٠/٥.

(٥) اعتقادات فِرق المسلمين والمشركين: محمد بن عمر بن الحسين الرازي، تحقيق: علي سامي النشار، الناشر : دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٢هـ، ص٩٧

(٦) مجموع الفتاوى : ابن تيمية، ١٥٤/١٣، و انظر: التنبيه والرد :الملطي، ص٢٤، الملل والنحل: الشهرساني ١٨٤/١، ١٨٧، ١٨٨، لسان الميزان: ابن حجر، ١٩٤/٦.

الصفات موافقة لغلاة المعطلة من المعتزلة ونحوهم، فأقوال أئمتهم دائرة بين التعطيل والتمثيل، لم تعــرف لهم مقالة متوسطة بين هذا وهذا"[١].

ولقد كان لعلماء المعتزلة دوراً بارزاً في بيان مقالة علما ء الشيعة المتقدمين بالتشبيه والتجســيم والرد عليهم، وإن كانوا ردوا بدعة بمثلها، إلا أن التاريخ يشهد بدورهم البارز في بيان مقالة علماء الشيعة في التشبيه وفضحهم والتشنيع عليهم والذي يعد من أهم الأسباب التي أثرت في الشيعة ودعتهم إلى التحول من التشبيه إلى التعطيل، فإذا شئت البرهان على ذلك فانظر إلى مجالس أبي الهذيل مع هشام بــن الحكــم ومجادلات النظام مع رافضة عصره والمناظرات بين السكاك الرافضي وبين الإسكافي وجعفر ابن حرب في البصرة وإلى ما عمله الجاحظ حين سل صارمه عليهم[٢]، وانظر إلى كتاب الانتصار للخياط[٣]، الذي رد فيه على ابن الراوندي حين زعم أنه ليس في الرافضة من يقول بالتشبيه إلا رجل واحد، فقال له:" إنك لتضر الرافضة بنفيك عنها قولاً هو عندهم التوحيد الصحيح ولهي أشد عليك في نفيك عنها القول بــأن الله صورة من المعتزلة. وبعد فهل على الأرض رافضي إلا وهو يقول: أن الله صورة ويــروي فــي ذلــك الروايات ويحتج فيه بالأحاديث عن أئمتهم إلا من صحب المعتزلة منهم قديماً فقال بالتوحيد فنفته الرافضة عنها ولم تقربه"[٤].

وفي موضع أخر قال:" وأما جملة قول الرافضة فهو أن الله عز وجل ذو قــدّ وصــورة وحــد يتحرك ويسكن ويدنو ويبعد ويخف ويثقل ، وأن علمه محدث وأنه كان غير عالم فعلم وأن جميعهم يقــول بالبداء وهو أن الله يخبر أنه يفعل الأمر ثم يبدو له فلا يفعله ... فأما جملتهم ومشايخهم مثل هشام بن سالم وشيطان الطاق وعلى بن ميثم وهشام بن الحكم وعلى بن المنصور والسكاك فقولهم ما حكيت عنهم"[٥].

ومن قبله قال الجاحظ في كتابه الحجج في النبوة:" ليس على ظهرها رافضي إلا وهــو يــزعم أن ربه مثله وأن البدوات تعرض له وأنه لا يعلم الشيء قبل كونه إلا بعلم يخلقه لنفسه "[٦].

وذكر القاضي عبد الجبار مقالة هشام بن الحكم في أن الله جسم ونور يتحرك ، وقال عنــه:" ولــو كان هشام من أهل القبلة ، لما كان دعواه ودعوى مائة ألف معه مثله حجة ، فكيف به وليس مــن أهــل القبلة ، وهو معروف بعداوة الأنبياء ..."[٧]

---

(١) منهاج السنة : ابن تيمية ، ١٤٣/٢.

(٢) الانتصار: المقدمة ، لدكتور نيبرج، ص٥٦

(٣) الخياط: هو عبد الرحيم بن محمد بن عثمان، أبو الحسين، أحد متكلمي المعتزلة، شيخهم ببغــداد، تنســب إليــه فرقــة الخياطية، كان من بحور العلم، له جلالة عجيبة عند المعتزلة، له كتب منها: الانتصار فــي الــرد علــى ابــن الراونــدي، والاستدلال، ونقض نعت الحكمة، الرد على من اثبت خبر الواحد، و الرد على من قال بالأسباب، توفي نحــو ٣٠٠ هـــ. انظر: (سير أعلام النبلاء: الذهبي، ٢٢٠/١٤. لسان الميزان: ابن حجر العسقلاني، ١٦٤/٥. الأعلام: الزركلي، ٣٤٧/٣).

(٤) الانتصار: الخياط ، ص١٤٤.

(٥) المصدر السابق، ص٦.

(٦) منهاج السنة النبوية: ابن تيمية، ٧٣/١.

(٧) تثبيت دلائل النبوة: للقاضي عبد الجبار بن أحمد الهمداني، تحقيق عبد الكريم عثمان، الناشــر: دار العربيــة للطباعــة والنشر ، بيروت– لبنان، ٢٢٥/١.

وينقل الشريف المرتضى في خضم الرد على أبو على الجبائي ما قاله أبو على في هشام بن الحكم ومقالته في التجسيم وحدوث العلم ، إلى أن قال أبو على :" إن كثير من نصر هذا المذهب – أي مذهب الشيعة– كان قصده الطعن في الدين والإسلام فتسلق بذلك إلى القدح فيهما . لأنه لو طعن فيهما بإظهار كفره وإلحاده لقل القبول منه فجعل هذه الطريقة سلماً إلى مراده نحو هشام بن الحكم وطبقته..."[1].

ولم تقتصر كتب الفرق والمقالات على ذكر أسماء شيوخ الشيعة المشبهة، بل نقلت عنهم كلمات في التشبيه تقشعر من سماعها جلود المؤمنين، و هذه نماذج من علمائهم وأقوالهم في التشبيه والتجسيم:

١. **هشام بن الحكم الشيباني**[2]: تنسب إليه طائفة الهشامية من الرافضة، زعم هشام بن الحكم أن معبوده جسم ذو حد ونهاية وأنه طويل عريض عميق وأن طوله مثل عرضه ، وعرضه مثل عمقه، ولم يثبت طولا غير الطويل ولا عرضا غير العريض وقال : ليس ذهابه في جهة الطول أزيد على ذهابه في جهة العرض ، وزعم أن له قدراً من الأقدر كالسبيكة الصافية ،تتلألأ كاللؤلؤة المستديرة من جميع جوانبها ذو لون وطعم ورائحة ومجسة ، لونه هو طعمه ، وطعمه هو رائحته، ورائحته هي مجسته[3].

قال أبو هذيل العلاف في بعض كتبه أنه لقي هشام بن الحكم في مكة عند جبل أبي قبيس في مكة فسأله: أيهما أكبر معبوده أم هذا الجبل ؟ قال: فأشار إلى أن الجبل يوفى عليه تعالى وأن الجبل أعظم منه[4].

وذكر الأشعري عنه أنه قال في معبوده في عام واحد خمسة أقاويل: فزعم مرة أنه كالبلورة وزعم أنه كالسبيكة وأخرى أنه غير صورة ورابعة أنه سبعة أشبار بشبر نفسه ثم رجع عن ذلك وقال هو جسم كالأجسام[5] .

وكما ضل في ذات الله فقد ضل أيضاً في صفات الله تعالى فشبهها بصفات خلقه، فقال بحدوث علم الله تعالى، زاعماً أن الله علم بالأشياء بعد أن لم يكن عالماً بها[6]، وقال في صفة الاستواء أن الله مماس في استوائه لعرشه ،وأنه لا يفضل منه شيء عن العرش ،ولا يفضل من العرش شيء منه[7].

---

(١) الشافي في الإمامة: الشريف المرتضى، ٨١/١.

(٢) هو هشام بن الحكم الشيباني بالولاء، الكوفي أبو محمد متكلم ومناظر شيعي ، كان شيخ الإمامية في وقته ولد بالكوفة، ونشأ بواسط. وسكن بغداد توفي عام ١٩٠هـ، وانقطع إلى يحيى خالد البرمكي، فكان القيم بمجالس كلامه ونظره. وصنف كتبا منها: الإمامة و القدر و الشيخ والغلام و الدلالات على حدوث الأشياء. (انظر: الأعلام ، للزركلي، ٨٥/٨، ومعجم المؤلفين : عمر كحالة: ١٤٨/١٣). قال عنه عبد الله نعمة الشيعي:" هو أحد كبار الشيعة الإمامية، ومن عظماء أصحاب الإمام الصادق، وأجّد متكلمي الشيعة وبطائنهم، الذي فتق الكلام في الإمامة، وهذب المذهب وسهل طريق الحجاج فيه"(هشام بن الحكم:عبد الله نعمة، الطبعة الثانية، الناشر: دار الفكر اللبناني ، بيروت ، ١٤٠٥هـ–١٩٨٥م، ص٣٩-٤٠).

(٣) انظر مقالة التشبيه: جابر بن علي أمير، الهامش،١/ ٢٥٩، والصلة بين التشيع والاعتزال: محمد الجدعاني ، ٣٣٧/١.

(٤) الفرق بين الفرق: عبد القاهر البغدادي،ص٦٦، مقالات الاسلاميين: أبو الحسن الأشعري ،١٠٧/١-١٠٨.

(٥) مقالات الإسلاميين: أبو الحسن الأشعري ،١٠٨/١.

(٦) انظر:المصدر السابق، ١١٢/١.

(٧) انظر: المصدر السابق نفسه، ١٠٨/١، والملل والنحل: الشهرستاني،١٨٤/١.

وبالعموم فإن هشام بن الحكم كان متهماً في دينه ومجموع قوله في التجسيم و حدوث العلم والجبر والبداء والرجعة والطعن في الصحابة يدل على أن الرجل لم يكن يرجع إلى دين[١] .

٢. **هشام بن سالم الجواليقي**: من كبار متكلمي الرافضة تنسب له طائفة الهشامية الجواليقية من الرافضة، الذي نسج على منوال هشام بن الحكم في التشبيه[٢]، فقد قال عن معبوده إنه على صورة الإنسان وأنكر أن يكون لحماً ودماً. وزعم كذلك أن معبوده نور ساطع يتلألأ بياضاً وإنه ذو حواس خمس كحواس الإنسان سمعه غير بصره وكذلك سائر حواسه له يد ورجل وأذن وعين وأنف وفم وإن له فروة سوداء وأن ذلك نور أسود[٣]، وأنه تعالى على صورة إنسان مجوف وأسفله مصمت[٤] ، وقد استفاض ذكر الهشامان ومقالتهما في التشبيه في كتب السنة والشيعة القديمة والحديثة على حد سواء[٥] .

٣. **زرارة بن أعين الكوفي**[٦] : متكلم رافضي، تنسب له طائفة الزرارية من غلاة الشيعة المشبهة، ومن الرواة المكثرين عن أئمة آل البيت، قال إن الله عز وجل لم يكن حياً ولا قادراً ولا سميعاً ولا بصيراً ولا عالما ولا مريدا حتى خلق لنفسه حياة وقدرة وعلماً وإرادة وسمعاً وبصرا فصار بعد أن خلق لنفسه هذه الصفات حياً قادرا عالماً مريدا سميعا بصيرا[٧].

ذكر شيخ الإسلام بأن زرارة بن أعين وأمثاله من الرافضة يقولون بجواز البداء على الله تعالى، وأنه يحكم بالشيء ثم يتبين له ما لم يكن يعلمه فينتقض حكمه لما ظهر خطئه[٨]، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، وذكر رحمه الله أن زرارة كان يقول: إنه تعالى يعلم ما لم يكن عالماً به[٩].

٤. **داود الجواربي**: كان رأساً في الرفض والتشبيه، تنسب إليه طائفة الجواربية من غلاة الشيعة المشبهة، قال عنه الحافظ ابن حجر العسقلاني:" رأس في الرفض والتجسيم من مرامي جهنم"[١٠]، قال عن

---

(١) المنية والأمل: القاضي عبد الجبار، ص٨٧.

(٢) انظر: الملل والنحل: الشهرستاني، ١/١٨٤.

(٣) مقالات الإسلاميين:أبو الحسن الأشعري ، ١/١٠٩، الفرق بين الفرق: عبد القاهر البغدادي، ص٦٩.

(٤) الملل والنحل: الشهرستاني ،١/١٨٥، الفرق بين الفرق: عبد القاهر البغدادي ، ص٦٩. واعتقادات فرق المسلمين والمشركين: محمد بن عمر الرازي، ص٨٣.

(٥) انظر: الانتصار، للخياط، ص٦ ، منهاج السنة النبوية: ابن تيمية ، ٢/٢٣٣-٢٣٤، وانظر كتب الشيعة ، أصول الكافي ، ١/١٥٠، التوحيد : لابن بابويه ص٩٧-١٠٤، بحار الأنوار : ٣/٢٨٨.

(٦) زرارة بن أعين بن سنسن مولى لبني عبد الله بن عمرو السمين، أبو الحسن، توفي عام ١٥٠هـ، كان أبوه عبداً رومياً لرجل من بني شيبان وجده سنسن راهباً في بلاد الروم، قال عنه النجاشي:" شيخ أصحابنا في زمانه ومتقدمهم ، وكان قارئاً فقيهاً متكلماً شاعراً أديباً ، قد اجتمعت فيه خلال الفضل" وقال الكشي: أفقه الأولين ستة وعد منهم زرارة وقال أفقه الستة زرارة".(انظر: معجم رجال الحديث ٨/٢٢٥-٢٢٦، ومعجم المؤلفين: عمر كحالة، ٤/١٨١).

(٧) الفرق بين الفرق: عبد القاهر البغدادي ، ص ٧٠، ص٢٣٠ ، مقالات الإسلاميين: أبو الحسن الأشعري، ١/١١١، التبصير في الدين: الاسفراييني، ص١٢١، الملل والنحل: الشهرستاني، ١/١٨٦، منهاج السنة النبوية: ابن تيمية، ٢/٢٣٥.

(٨) منهاج السنة النبوية: ابن تيمية، ٢/٣٩٤-٣٩٥.

(٩) المصدر السابق.

(١٠) انظر ميزان الاعتدال: الذهبي، ٣/٣٨. ترجمة رقم:٢٦٦٤ .

معبوده أن جسم وأنه جثة على صورة الإنسان لحم ودم وشعر وعظم ، له جوارح وأعضاء من يد ورجل ولسان ورأس وعينين وهو لا يشبه غيره [١]، وحكي عنه أنه كان يقول :" إن ربه أجوف من فيه إلى صدره ، مصمت ما سوى ذلك، وأن له فروة سوداء، وله شعر قطط [٢]، وقال أعفوني عن الفرج واللحية واسألوني عما وراء ذلك[٣].

٥. **أبوجعفر محمد بن على بن النعمان البجلي الكوفي**[٤] : الملقب بشيطان الطاق، وتلقبه الشيعة بمؤمن الطاق. تنسب له طائفة الشيطانية من الشيعة الغلاة ،ذكر الاسفراييني أن الشيطانية من مشبه الصفات حيث زعموا أن الله لا يعلم الشيء قبل أن يكون حتى يكون، وأن علمه محدث كعلوم العباد ،وذكر ابن أبي الحديد أنه كان يقول: إن الله نور على صورة الإنسان ،ونقل الرازي عن أتباعه أنهم يزعمون أن الباري تعالى مستقر على العرش والملائكة يحملون العرش وهم وإن كانوا ضعفاء بالنسبة إلى الله تعالى لكن الضعيف قد يحمل القوي كرجل الديك التي مع دقتها تحمل جثة الديك[٥].

٦. **علي بن إسماعيل بن ميثم العوفي التمار**[٦]: مجسم مشبه، روى ابن بابويه في توحيده أن هشام بن سالم وصاحب الطاق و الميثمي-على بن إسماعيل بن ميثم- يقولون إن الله أجوف إلى السرة والباقي

---

(١) مقالات الإسلاميين: أبو الحسن الأشعري، ٢٨٣/١، الفصل في الملل والأهواء والنحل: ابن حزم ، ٤٠/٥ .

(٢) مقالات الإسلاميين: أبوالحسن الأشعري، ٢٨٣/١، والملل والنحل: الشهرستاني، ١٠٥/١.

(٣) الفرق بين الفرق: عبد القاهر البغدادي ، ص٢٢٨، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين: فخر الدين الرازي ص٨٤، التبصير في الدين: أبو المظفر الإسفراييني، ص١٢٠.

(٤) شيطان الطاق: وهو أبو جعفر الأحول واسمه محمد بن على بن النعمان بن أبي طريفة البجلي الكوفي ، سمي بشيطان الطاق نسب إلى سوق في طاق المحامل بالكوفة كان يجلس للصرف بها ، فيقال: إنه اختصم مع آخر في درهم زيف فغلب فقال: أنا شيطان الطاق ، وقيل : إن هشام بن الحكم شيخ الرافضة لما بلغه أنهم لقبوه شيطان الطاق سماه مؤمن الطاق ويقال :إن أول من لقبه شيطان الطاق أبو حنيفة مع مناظرة جرت بحضرته بينه وبين بعض الحرورية، ومن الإمامية من يرى في هذا اللقب انتقاصًا له ، فيلقبونه بـــ "مؤمن الطاق " ، له من الكتب: كتاب الإمامة، كتاب المعرفة ،كتاب الرد على المعتزلة في إمامة المفضول، كتاب في أمر طلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم، (انظر: الفهرست ، ابن النديم ، ص٢٥٠.) قال النجاشي فيه:" وأما منزلته في العلم ، وحسن الخاطر فأشهر ، وقد نسب إليه أشياء لم تثبت عندنا (رجال النجاشي : ٣٢٥). ويقول الطوسي: محمد بن النعمان الأحول ، يلقب عندنا مؤمن الطاق ، ويلقبه المخالفون بشيطان الطاق ، وهو من أصحاب الإمام جعفر الصادق وكان ثقة متكلمًا حاذقاً حاضر الجواب.(الفهرست:الطوسي، ٢٠٧)، وروى عن أبي العباس الفضل بن عبد الملك أنه قال : سمعت أبا عبد الله يقول :أحب الناس إلي أحياءًا وأمواتًا أربعة: بريد بن معاوية العجلي ، وزرارة ، ومحمد بن مسلم ، والأحول وهم أحب الناس إلي أحياء وأمواتًا".(اختيار معرفة الرجال: الطوسي ٣٤٧/١).

(٥) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين: فخر الدين الرازي، ص٦٥.

(٦) على بن ميثم: هو على بن إسماعيل بن شعيب بن ميثم بن يحيي الثمار، توفي سنة ١٧٩هـ ، قال عنه النجاشي:" علي بن إسماعيل بن شعيب بن ميثم بن يحيى التمار أبو الحسن ، مولى بني أسد ، كوفي سكن البصرة ، وكان من وجوه المتكلمين من أصحابنا ، كلم أبا الهذيل والنظام ، له مجالس وكتب ، منها : كتاب الإمامة ، كتاب الطلاق ، كتاب النكاح ، كتاب مجالس هشام بن الحكم ، كتاب المتعة"(انظر: معجم رجال الحديث : الخوئي، ٢٩٩/١٢-٣٠٠، معجم المؤلفين: عمر كحالة، ٣٧/٧).

صمد، وقد وافق هشام الجواليقي وهشام ابن الحكم على أن إرادة الله تعالى حركة غير أنه إن أراد الله غيره بها يتحرك[1].

٧. **يونس بن عبد الرحمن القمي**[2] : مشبه غال في التشبيه[3]، تنسب له طائفة اليونسية من الشيعة الغلاة في التشبيه ، زعم هو وطائفته أن معبوده مجوف من أعلاه، ومصمت النصف الأدنى منه ، وقال البغدادي عنه:" وأفرط يونس في باب التشبيه فزعم الله عز وجل يحمله حملة عرشه وهو أقوى منهم كما أن الكركي يحمله رجلاه وهو أقوى من رجليه واستدل على أنه محمول بقوله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ [الحاقَّة:١٧].

هذه نماذج من علماء الاثنا عشرية المشبهة، غير أن هناك نماذج أخرى ذكرها الخياط في كتابه الانتصار أمثال علي ابن منصور، والسكاك محمد بن الجليل، والضحاك أبي مالك الحضرمي وغيرهم من متقدمي الاثنا عشرية[4] إذ كلهم يقول بالتشبيه والتجسيم إلا من صحب المعتزلة منهم وهم أقل من القليل[5]

ومن الجدير ذكره أن هؤلاء العلماء كانوا ولازالوا محط تقدير الشيعة في القديم والحديث، فهذا معلم الشيعة المفيد يقول مثنياً على هشام بن الحكم:" كان تقياً وروى حديثاً كثيراً، وأنه كان من أكبر أصحاب الإمام الصادق ... بلغ من مرتبته وعلوه عند أبي عبد الله جعفر بن محمد أنه دخل عليه بمنى ، وهو غلام ، وفي مجلسه شيوخ الشيعة كحمران بن أعين وقيس الماصر ويونس بن يعقوب وأبي جعفر الأحوال وغيرهم ، فرفعه على جماعته، وقال: هذا ناصرنا بقلبه ولسانه ويده" [6] وعدهم محمد جواد مغنية من فضلاء الشيعة ورؤسائهم الذين جمعوا أقوال الأئمة ودونوها حيث يقول: "اعتقاد العلماء والرؤساء في الفقه والحديث والكلام بإمامة الأئمة وعصمتهم، كهشام بن الحكم ن وأبي بصير، وزرارة ... وغيرهم ممن بلغوا الجمع الكثير، فإنهم قد جمعوا أقوال الأئمة من أهل البيت ودونوها في كتبهم ، واعتمدوها ، كأصل من أصول الدين والشرع ، مع العلم بأن كل واحد من هؤلاء الأقطاب كان على

(١) انظر: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين: أبو الحسن الأشعري،١/١١٥، الفرق بين الفرق: عبد القاهر البغدادي ، ص٦٩، والصلة بين التشيع والاعتزال: محمد الجدعاني، ٣٤٢/١.

(٢) يونس بن عبد الرحمن القمي:قال عنه النجاشي:" يونس بن عبد الرحمن ، مولى علي بن يقطين بن موسى ، مولى بني أسد، أبو محمد : كان وجها في أصحابنا متقدما ، عظيم المنزلة ، ولد في أيام هشام بن عبد الملك ، ورأى جعفر بن محمد عليه السلام ، بين الصفا والمروة ولم يرو عنه ، وروى عن أبي الحسن موسى والرضا عليهما السلام ، وكان الرضا يشير إليه في العلم والفتيا ، وكان ممن بذل له على الوقف مال جزيل ، فامتنع من أخذه وثبت على الحق ، وقد ورد في يونس بن عبد الرحمن مدح وذم" (انظر: معجم رجال الحديث: الخوئي، ٢٠٩/٢١-٢١٠).

(٣) التبصير في الدين: أبو المظفر الإسفراييني، ص٤٠.

(٤) الانتصار:الخياط، ص٣٦-٣٧.

(٥) منهاج السنة النبوية: ابن تيمية ، ٢٣٣/٢-٢٣٤، المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال: أبو عبد الله محمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: محب الدين الخطيب ، ص٢٤.

(٦) هشام بن الحكم : عبد الله نعمة، ص٧٢-٧٣.

جانب كبير من العلم والتقوى ، وأن الأئمة الأطهار قد أقروهم على عقيدتهم ، ولو كانوا مبطلين لنهـوهم وتبرأوا منهم ، تماما كما تبرأوا ولعنوا الغلاة"[1].

المطلب الثاني: روايات كتب الشيعة التي تثبت ظهور التشبيه والتجسيم بين صفوفهم.

إضافة لما نقلته مصادر أهل السنة وغيرها من المصادر من أنَّ الشيعة المتقدمين كانوا أول مـن أدخل التشبيه على المسلمين، فقد أفادت مصادر الشيعة على تنوعها بأنَّ شيوخهم المتقدمين قد اختلفوا فـي التوحيد ونقلت مقالتهم في التشبيه والتجسيم، ومن يطالع ما كتبه الكلينى في أصول الكافي[2] وابن بابويـه في كتابه التوحيد[3]، والمجلسي في بحار الأنوار[4]، يجد أن رواياتهم تطفح بنسبة التجسيم والتشـبيه إلـى شيوخهم المتقدمين، ولعل تلك كانت فلتة ممن صاغ هذه الروايات حيث أراد أن يظهر أن الأئمة يتبرؤون من مقالة التشبيه والقائلين بها وأنهم يقولون بمقالة التعطيل غير أنه لم يتفطن إلى أنه قد نسب إلى شـيوخ الشيعة وأصحاب الأئمة اعتقادهم بالتشبيه، أو أنَّ صياغة تلك الروايات كانت في أجواء من الصراع بـين تيار التشبيه وتيار التعطيل داخل الشيعة الاثنا عشرية، وعلى كل حال فهذه الروايات قد نسبت لكـل مـن هشام بن الحكم ، وهشام بن سالم الجواليقي، وشيطان الطاق والميثمي -علي بن إسماعيل بن ميثم- قولهم بالتشبيه والتجسيم ، وهذه نماذج منها:

١. روى صدوقهم القمي عن سهل قال: كتبت إلى أبي محمد سنة (٢٥٥هـ) قد اختلـف يـا سـيدي أصحابنا في التوحيد؛ منهم من يقول: هو جسم، ومنهم من يقول: هو صورة، فإن رأيـت يـا سـيدي أن تعلمني من ذلك ما أقف عليه ولا أجوزه فعلت متطولاً على عبدك؟ فوقع بخطه: سألت عن التوحيد وهـذا عنكم معزول، الله تعالى واحد أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد. خالق وليس بمخلوق، يخلق تبارك وتعالى ما يشاء من الأجسام ويصور ما يشاء وليس بمصوَّر، جل ثناؤه وتقدست أسماؤه، وتعـالى أن يكون له شبيه هو لا غيره ليس كمثله شيء وهو السميع البصير[5].

٢. وروى كذلك عن إبراهيم بن محمد الخراز ومحمد بن الحسين قالا: "دخلنا على أبي الحسن الرضـا عليه السلام فحكينا له ما روي أن محمدًا ﷺ رأى ربه في هيئة الشاب الموفق في سن أبناء ثلاثين سـنة، رجلاه في خضره وقلنا: إن هشام بن سالم وصاحب الطاق يقولون: إنه أجوف إلى السرة والباقي صـمد،

(١) الشيعة في الميزان: محمد جواد مغنية ، ص٢٥٥.

(٢) أصول الكافي: الكليني ، ١٠٤/١.

(٣) التوحيد: ابن بابويه ، ص ٨٩.

(٤) بحار الأنوار: المجلسي ، ٢٦١/٣.

(٥) التوحيد:الصدوق، باب أنه عز وجل ليس بجسم ولا صورة ، حديث رقم:١٤، ص١٠١-١٠٢، أصول الكافي:الكليني، باب النهي عن الصفة بغير ما وصف به نفسه تعالى ، حديث رقم:٠ ، ١٠٣/١، بحار الأنوار:باب النهي عن التفكر فـي ذات الله تعالى، والخوض في مسائل التوحيد ، وإطلاق القول بأنه شيء،حديث رقم: ١٠، ٢٦١/٣.

فخر ساجدًا ثم قال: سبحانك ما عرفوك ولا وحدوك فمن أجل ذلك وصفوك، سبحانك لو عرفوك لوصفوك بما وصفت به نفسك.."[1].

٣. وعن محمد بن حكيم، قال: وصفت لأبي الحسن عليه السلام قول هشام الجواليقي وما يقول في الشاب الموفق ووصفت له قول هشام بن الحكم، فقال: إن الله عز وجل لا يشبهه شيء[2].

٤. وعن علي بن أبي حمزة، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: سمعت هشام بن الحكم يروي عنكم: أن الله عز وجل جسم، صمدي، نوري، معرفته ضرورة، يمن بها على من يشاء من خلقه فقال عليه السلام: سبحان من لا يعلم أحد كيف هو إلا هو، ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير"[3].

٥. وعن الصقر بن أبي دلف، قال: سألت أبا الحسن علي بن محمد بن علي بن موسى الرضا عليهم السلام عن التوحيد، وقلت له: إني أقول بقول هشام بن الحكم، فغضب عليه السلام ثم قال: ما لكم ولقول هشام، إنه ليس منا من زعم أن الله عز وجل جسم ونحن منه براء في الدنيا والآخرة..."[4].

٦. ورويَ أن يعقوب السراج وهو من ثقاتهم نقل لأبي عبد الله – كما تقول الرواية – ما عليه طائفة من الشيعة من التجسيم فقال: "إن بعض أصحابنا يزعم أن الله صورة مثل الإنسان، وقال آخر: إنه في صورة أمرد جعد قطط! فخرّ أبو عبد الله عليه السلام ساجدًا ثم رفع رأسه فقال: سبحان الذي ليس كمثله شيء ولا تدركه الأبصار ولا يحيط به علم.." [5].

٧. وروى الكليني في أصوله عن محمد بن الفرج الرّخجي قال: "كتبت إلى أبي الحسن عليه السلام أسأله عما قال هشام بن الحكم في الجسم وهشام بن سالم في الصورة، فكتب: دع عنك حيرة الحيران واستعذ بالله من الشيطان، ليس القول ما قال الهشامان"[6].

---

(١) المصدر السابق ،باب ما جاء في الرؤية،حديث رقم:١٣، ص١١٣-١١٤، بحار الأنوار:المجلسي،باب نفي الرؤية وتأويل الآيات فيها، ٤٠/٤، أصول الكافي:الكليني،باب النهي عن الصفة بغير ماوصف به نفسه تعالى، ١٠١/١.

(٢) التوحيد : الصدوق ، باب أنه عز وجل ليس بجسم ولا صورة ، حديث رقم ١، ص٩٧.

(٣) المصدر السابق ، باب أنه عز وجل ليس بجسم ولا صورة، حديث رقم ٤،ص ٩٨.

(٤) المصدر السابق نفسه ، باب أنه عز وجل ليس بجسم ولا صورة ، الحديث رقم: ٢٠، ص١٠٥.

(٥) االمصدر السابق نفسه ، باب أنه عز وجل ليس بجسم ولا صورة ، حديث رقم:١٩ ، ص١٠٣-١٠٤، بحار الأنوار:المجلسي، باب نفي الجسم والصورة والتشبيه والحلول والإتحاد ، وأنه لايدرك بالحواس والاوهام والعقول والافهام، حديث رقم:٤٢، ٣٠٤/٣.

(٦) أصول الكافي:الكليني،باب النهي عن الجسم والصورة، حديث رقم:٥ ، ١٠٥/١، وانظر التوحيد :الصدوق ،باب أنه عز وجل ليس بجسم ولا صورة ، حديث رقم: ٢، ص٩٧، وبحار الأنوار: باب نفي الجسم والصورة والتشبيه والحلول والإتحاد ، وأنه لا يدرك بالحواس والأوهام والعقول والإفهام،حديث رقم:٣، ٢٨٨/٣. قال المجلسي الحديث : مرفوع (مرآة العقول شرح أخبار آل الرسول : المجلسي، ٣/٢)

٨. وروى كذلك عن علي بن أبي حمزة ، قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : سمعت هشام بن الحكم يروي عنكم أن الله جسم ، صمدي نوري ، معرفته ضرورة ، يمن على من يشاء من خلقه ، فقال عليه السلام : سبحان من لا يعلم أحد كيف هو إلا هو ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، ..."(١).

هذه صورة مصغرة من روايات الاثنا عشرية التي تثبت وقوعهم في التشبيه وأنَّ هشام بن الحكم وغيره من شيوخهم المتقدمين كانوا ممن تزعم القول بالتشبيه وأنهم كانوا يرون عن أئمتهم الروايات التي تفيد بذلك التشبيه، ومن أراد المزيد من تلك الروايات فليرجع إلى أحد كتب الروايات المعتمدة عندهم ويرى ذكر هشام ومن معه وكيف استفاضت الروايات بذكر مقالتهم في التشبيه(٢)، وهذه الكثرة من الروايات لتأكد بما لا يدع مجال لشك بأن التشبيه والتجسيم لم يدخل على المسلمين إلا من طريق الشيعة المتقدمين، وأن من ينكر من الشيعة وقوعهم في التشبيه فكأنما ينكر دينه لأن هذه الروايات من أهم مرتكزات الشيعة في إثبات دينها .

المطلب الثالث: روايات التشبيه والتجسيم في الكتب المعتمدة عند الاثنا عشرية.

تركت مقالة شيوخ الشيعة المتقدمين أثراً بليغاً في نفوس الشيعة من بعدهم، فقد أشربوا في قلوبهم التشبيه والتجسيم، ولم يتركوا التشبيه حتى بعد انتقالهم إلى التعطيل الذي تابعوا فيها المعتزلة، ولئن كان أصحاب الفرق والمقالات يحكون عن غُلاة الشيعة المتقدمين من التشبيه والتمثيل ما لا يقول به من له أدنى مسكة من عقل وإيمان، فإن روايات التشبيه والتجسيم لا تزال موجودة ومبثوثة في أمهات كتبهم الحديثية التي يعتمدون عليها في إثبات دينهم، ففي كتاب الأصول الستة عشر من كتاب زيد النرسي عن عبد الله بن سنان قال سمعت أبا عبد الله ، يقول إن الله ينزل في يوم عرفه في أول الزوال إلى الأرض على جمل أفرق يصال بفخذيه أهل عرفات يميناً وشمالا ، فلا يزال كذلك حتى إذا كان عند المغرب ونفر الناس وكل الله ملكين بحيال المازمين يناديان عند المضيق الذي رأيت : يارب سلّم سلّم ، والرّب يصعد إلى السماء ويقول جل جلاله : آمين آمين رب العالمين ، فلذلك لا تكاد ترى صريعاً ولا كبيراً" (٣).

والشاهد في هذه الرواية: نزول الله جل وعلا إلى الأرض على جمل أفرق يصال بفخذيه أهل عرفات.

---

(١) المصدر السابق، باب النهي عن الجسم والصورة ، حديث رقم ١ ، ١/ ١٠٤، قال المجلسي الحديث : موثوق، (مرآة العقول شرح أخبار آل الرسول : المجلسي، ٣/٢).

(٢) انظر: التوحيد : ابن بابويه، باب أنه عز وجل ليس بجسم ولا صورة ص:٩٧-١٠٤، وفيه عشرون رواية، وأصول الكافي: باب النهي عن الجسم والصورة: ١/١٠٤-١٠٦، وفيه ثماني روايات، وفي بحار الأنوار، في باب نفي الجسم والصورة والتشبيه وفيه (٤٧) رواية.

(٣) الأصول الستة عشر: عدة محدثين، تحقيق: ضياء الدين المحمودي، دار الحديث للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، قم – إيران، ١٤٢٣هـ ، ص٢٠٤.

وروى المجلسي في بحاره عن أبي جعفر أنه قال: إن الله تبارك وتعالى هبط إلى الأرض في ظلل من الملائكة على آدم وهو بواد يقال له: الروحاء وهو واد بين الطائف ومكة، قال: فمسح على ظهر آدم ثم صرخ بذريته وهم ذر، قال: فخرجوا كما يخرج النحل من كورها ، فاجتمعوا على شفير الوادي..." [1].

الشاهد في هذه الرواية: صراخ الرب بذرية آدم .

وكذلك روى المجلسي في بحاره، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:" إن الله ليخاصر العبد المؤمن يوم القيامة، والمؤمن يخاصر ربه يذكره ذنوبه، قلت: وما يخاصر ؟ قال: فوضع يده على خاصرته فقال: هكذا يناجي الرجل منا أخاه في الأمر يسره إليه"[2].

والشاهد في هذه الرواية : مخاصرة الرب جل وعلا المؤمن.

عن مالك الجهني قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: أنا شجرة من جنب الله، أو جذوة، فمن وصلنا وصله الله"[3].

والشاهد في هذه الرواية: أن أبا عبد الله شجرة أو قطعة من لحم من جنب الله تعالى.

وروى هاشم البحراني في كتابه مدينة المعاجز بعضاً من معجزات الحسين ﷺ فقد روى عن المفضل بن عمر أن أبا عبد الله –عليه السلام– قال: " ...، أن الله تعالى يزور الحسين ، ويصافحه ويقعد معه على سرير، يا مفضل هذه والله الرفعة التي ليس فوقها شيء لا دونها شيء ولا ورائها الطالب مطلب"[4][5] .

والشاهد في هذة الرواية : مصافحة الرب الحسين وجلوسه على سرير.

عن جابر بن يزيد عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تبارك وتعالى..عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا قال:"يجلسه على العرش معه"[6].

والشاهد في هذه الرواية : جلوس النبي ﷺ مع الله على العرش.

---

(١) بحار الأنوار: المجلسي: باب الطينة والميثاق ، حديث رقم: ٦٦، ٥/ ٢٥٩ ، وباب عمر داود عليه السلام ووفاته وفضله، حديث رقم:٨، ٩/١٤.

(٢) المصدر السابق: باب السؤال عن الرسل والأمم، حديث رقم:٥١ ، ٢٧٧/٧، الأصول الستة عشر: عدة رواة ، ص٢٠٣-٢٠٤.

(٣) المصدر السابق نفسه، باب أنهم عليهم السلام جنب الله ووجه الله ويد الله وأمثالها، حديث رقم: ٢٨ ، ١٩٩/٢٤. ، ومعنى كلمة جذوة ، القطعة من اللحم كما فسرها المجلسي.

(٤) مدينة معاجز الأئمة الاثنا عشر ودلائل الحجج على البشر ، السيد هاشم البحراني تحقيق مؤسسة المعارف الإسلامية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ ، مؤسسة المعارف الإسلامية ، قم إيران ، ٤٦٤/٣.

(٥) علق مؤلف الكتاب على زيارة الله للحسين بأنها كناية عن قرب شأن الحسين من الله إذ الله ليس بجسم ،غير أنه لم يعلق على المصافحة والجلوس على السرير ولماذا يروي الأئمة مثل هذه الروايات التي تصرح بهذا التشبيه

(٦) الاختصاص: المفيد ، تحقيق علي أكبر الغفاري، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية ،بيروت – لبنان ، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م ، ص١٨.

وذكر الشيخ الشيعي جعفر بن محمد بن قولويه رواية عن ابن أبي يعفور عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: بينما رسول الله ﷺ في منزل فاطمة عليها السلام والحسين في حجره إذ بكى وخر ساجداً، ثمَّ قال:يا فاطمة يا بنت محمد إن العلي الأعلى تراءى لي في بيتك هذا في ساعتي هذه في أحسن صورة وأهيأ هيئة، وقال لي:يا محمد أتحب الحسين عليه السلام، فقلت: نعم قرة عيني وريحانتي وثمرة فؤادي وجلدة ما بين عيني، فقال لي:يا محمد ووضع يده على رأس الحسين عليه السلام بورك من مولود عليه بركاتي وصلواتي ورحمتي ورضواني، ولعنتي وسخطي وعذابي وخزيي ونكالي على من قتله وناصبه وناوأه ونازعه، أما إنه سيد الشهداء من الأولين والآخرين في الدنيا والآخرة".[1]

والشاهد في هذه الرواية: رؤية النبي ﷺ لله تعالى في أحسن صورة وأهيأ هيئة واضعاً يده على رأس الحسين في حجرة فاطمة.

هذه نماذج من روايات الشيعة وردت في كتبهم المعتمدة نرى فيها مدى الغلو في التشبيه والتجسيم، ولو أردنا أن نضيف الروايات التي ورد فيها إثبات الصفات لله تعالى والتي تنفي الشيعة أن يكون الله تعالى متصفاً بها بحجة أنها تؤدي إلى التشبيه والتجسيم – وهذا من باب إقامة الحجة عليهم وإثبات تناقضهم في صفات الله– لاحتجنا إلى بحث خاص بذلك وسيأتي في طيات هذا البحث مزيد من تلك الروايات[2].

ومع كل هذه الأدلة التي جاءت من طرف أهل السنة والشيعة على حد سواء، وما أفادت به روايات الشيعة من ألوان التشبيه، إلا أننا نجد علماء الشيعة ودون مسوغ واقعي أو دليل قاموا بنفي وقوعهم في التشبيه أو وجوده بين صفوفهم أصلاً، وهذا ما سنخصص له المطلب التالي.

المطلب الرابع: رأي الشيعة في ظهور التشبيه عندهم.

منذ أن بدء تحول الشيعة إلى التعطيل وهم يحاولون نفي وقوعهم في التشبيه، وكما رأينا سابقاً أن ابن الروندي كان من أوائل الشيعة النافين وقوعهم في التشبيه حينما ادعى أنه لم يقل بالتشبيه والتجسيم إلا واحد منهم، ورأينا كيف رد عليه الخياط المعتزلي بأنه يضر الشيعة بنفيه عنها قولاً هو عندهم التوحيد الصحيح وما يحتجون به من أحاديث عن الأئمة تفيد بذلك التشبيه[3].

ولما استقر مذهب الشيعة على التعطيل ذهب صدوق الشيعة ابن بابويه إلى تكذيب من وصف الشيعة بأنهم مشبهة، قائلاً:" ومن قال بالتشبيه فهو مشرك ومن نسب إلى الإمامية غير ما وصف في التوحيد فهو كاذب كل خبر يخالف ما ذكرت في التوحيد فهو موضوع مخترع وكل حديث لا يوافق كتاب الله فهو باطل وإن وجد في كتاب علمائنا فهو مدلس" [4].

---

(١) كامل الزيارات: جعفر بن محمد بن قولويه، تحقيق: جواد القيومي ، مؤسسة نشر الفقاهة، ١٤١٧هـ، ص١٤١-١٤٢.

(٢) انظر: ص ٢٥٨-٢٥٩، ٢٦٩-٢٧٠، ٢٧٩-٢٨٠ من هذا البحث.

(٣) الانتصار: الخياط ، ص١٤٤.

(٤) الاعتقادات في دين الإمامية: الصدوق، ص٢١.

كما وأثنى شيخهم المفيد على أول من فتق الكلام في التشبيه –هشام بن الحكم– وعده من أكبر أصحاب أئمتهم في ذلك الوقت(١)،و قال في دفاعه عنه: "لسنا نعرف ما حكاهُ المعتزلة عن هشام بن الحكم في خلافه، وعندنا أنهُ تخرُّص منهم عليه وغلط ممن قلدهم فيه فحكاهُ من الشيعة عنهُ ولم نجد لـه كتاباً مصنفاً ولا مجلساً ثابتاً، وكلامهُ في أصول الإمامة ومسائل الامتحان يدل على ضدّ مَا حكاه الخصوم عنه"(٢).

وقد استدل الشريف المرتضى على براءة هشام بن الحكم بعدة روايات نسبها إلى الإمام الصادق تثني على هشام وتعظمه قائلاً:" ومما يدل على براءة هشام من هذه التهمة – قوله بالتجسيم– ورميه على هذا المعنى الذي يدعونه ما روي عن الصادق عليه السلام في قوله : لا تزال يا هشام مؤيداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك ..."(٣) إلى غير ذلك من الروايات التي لفقها للأئمة.

وفي موضع آخر قال مدافعاً عنه:" فأما ما رمي به هشام بن الحكم رحمه الله بالتجسيم فالظاهر من الحكاية عنه القول بجسم لا كالأجسام. ولا خلاف في أن هذا القول ليس تشبيه ولا ناقض لأصل..."(٤).

وفي كتاب الحكايات قال المفيد: فإني لا أزال أسمع المعتزلة يدعون على أسلافنا أنهم كانوا كلهم مشبهة وأسمع المشبهة من العامة يقولون مثل ذلك وأرى جماعة من أصحاب الحديث من الإمامية يطابقونهم على هذه الحكاية ، ويقولون : إن نفي التشبيه إنما أخذناه من المعتزلة!... ولم يكن في سلفنا رحمهم الله من يدين بالتشبيه من طريق المعنى..."(٥).

ويقول علي الكلبايكاني موضحاً كلام المفيد:" بأن هذا ردّ على من قال إنّ أسلاف الشيعة كانوا قائلين بالتشبيه، وإنّما رجعوا عن هذا القول فى زمن متأخّر تبعا لمشايخ المعتزلة، ومن هنا قال فى آخر كلامه أمّا القول بنفى التشبيه فهو أكثر من أن يحصى من الرواية عن آل محمد ــ عليهم السلام ــ فكيف يكون قد أخذنا ذلك عن المعتزلة لولا قلّة الدين"(٦). ويضيف قائلاً:" إنَّ التشبيه كان مردودا عند أئمة أهل البيت عليهم السلام وأنّهم كانوا يؤكّدون على التوحيد والتنزيه حتى إنّه قد اشتهر:أنّ العدل والتوحيد علويان والجبر والتشبيه أمويّان، ويكفى شاهدا على ذلك كتاب التوحيد للشيخ الصدوق فهم عليهم السلام قد صرّحوا على أنّ من شبّه الله بخلقه فهو مشرك هذا من جانب، ومن جانب آخر كان هؤلاء الرجال

---

(١) الفصول المختارة: الشريف المرتضى، تحقيق نور الدين جعفريان الاصبهاني وأخرون، الطبعة الثانية ، دار المفيد للطباعة والنشر ، بيروت لبنان ، ١٤١٤هـ –١٩٩٣م ، ص٥٢

(٢) كلام المقارن بحوث مقارنة في العقائد الإسلامية :علي الكلبايكاني ، ص ٥٧(المكتبة الشاملة الشيعية).

(٣) الشافي في الإمامة : الشريف المرتضى ، الطبعة الثانية ، الناشر: مؤسسة إسماعليان، قم ، ١٤١٠هـ ١/٨٥.

(٤) المصدر السابق:١/٨٤.

(٥) الحكايات :محمد بن محمد بن النعمان المفيد، تحقيق: محمد رضا الحسيني، الناشر : دار المفيد للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى ، بيروت –لبنان، ص ٧٧.

(٦) كلام المقارن بحوث مقارنة في العقائد الإسلامية :علي الكلبايكاني ، ص٥٧.

ونظراؤهم من خواصّ أصحاب الأئمة وروّاد علومهم و رواة أحاديثهم، ومع هذا فكيف يعقل تصديق ما تقدّم من نسبة أباطيل القول بالتجسيم والتشبيه إليهم؟."(١)

فى ذلك يقول علامتهم المجلسى:" لا ريب فى جلالة قدر الهشامين وبراءتهما عن هذين القولين...، ولعلّ المخالفين نسبوا اليهما هذين القولين معاندة كما نسبوا المذاهب الشنيعة الى زرارة وغيره وأكابر المحدثين، أو لعدم فهم كلامهما، فقد قيل: إنهما قالا بجسم لا كالأجسام و بصورة لا كالصور، فلعلّ مرادهما بالجسم الحقيقة القائمة بالذات و بالصورة الماهية، و إن أخطأا فى إطلاق هذين اللفظين عليه تعالى"(٢).

كما وذهب صاحب المراجعات إلى الثناء على هشام بن الحكم والدفاع عنه ذاكراً أن من رماه بالتجسيم والتشبيه أرادوا إطفاء نور الله من مشكاته وحسداً لأهل البيت(٣) ، ثم قال مدافعاً عنه:" ونحن أعرف الناس بمذهبه، وفي أيدينا أحواله وأقواله، وله في نصرة مذهبنا من المصنفات ما أشرنا إليه، فلا يجوز أن يخفى علينا من أقواله ــ وهو من سلفنا وفرطنا ــ ما ظهر لغيرنا، مع بعدهم عنه في المذهب والمشرب، وإنما قوله بالتجسيم كان بصدد المعارضة مع العلاف، وليس كلّ من عارض بشيء يكون معتقداً له، إذ يجوز أن يكون قصده اختبار العلاّف وسبر غوره في العلم، كما أشار الشهرستاني إليه بقوله: فإن الرجل وراء ما يلزمه على الخصم، ودون ما يظهر من التشبيه. على أنه لو فرض ثبوت ما يدلّ على التجسيم عن هشام، فإنما يمكن ذلك عليه قبل استبصاره، إذ عرفت أنه كان ممن يرى رأي الجهمية ثم استبصر بهدي آل محمد، فكان من أعلام المختصّين بأئمتهم، لم يعثر أحد من سلفنا على شيء مما نسبه الخصم إليه، كما أنا لم نجد أثراً ما لشيء مما نسبوه إلى كلّ من زرارة بن أعين ومحمد بن مسلم ومؤمن الطاق، وأمثالهم، مع أنا قد استفرغنا الوسع والطاقة في البحث عن ذلك، وما هو إلاّ البغي والعدوان والإفك والبهتان..."(٤).

بينما ذهب عالم الشيعة الكراجكي إلى الإقرار بأن هشام بن الحكم كان يقول بمقالة التشبيه ولكنه رجع وتاب إلى الحق ، حيث قال:" وأما موالاتنا هشاماً رحمه الله فهي لما شاع عنه واستفاض من تركه للقول بالجسم الذي كان ينصره ، ورجوعه عنه ، وإقراره بخطئه فيه وتوبته منه "(٥).

---

(١) المصدر السابق: ص ٥٤.

(٢) بحار الأنوار: باب نفي الجسم والصورة والتشبيه والحلول والاتحاد وأنه لا يدرك بالحواس والأوهام والعقول والأفهام ، حديث رقم: ٣ ، ٢٨٨/٣.

(٣) المراجعات: عبد الحسين شرف الدين الموسوي ، تحقيق: حسين الراضي، الناشر: مركز الأبحاث العقائدية، سلسلة كتب المناظرات، الطبعة : الثانية، ١٤٠٢هـ -١٩٨٢م، ص٥٣٢.

(٤) المصدر السابق: ص ٥٣٣.

(٥) بحار الأنوار: المجلسي، باب نفي الجسم والصورة والتشبيه والحلول والاتحاد وأنه لا يدرك بالحواس والأوهام والعقول والأفهام،٢٩٠/٣.

وقد ذهب علماء الشيعة المتأخرون إلى اتهام أهل السنة بأنهم مجسمة ومشبهة لأنهم أثبتوا لله ما أثبته لنفسه وأثبته له رسوله ﷺ ، فقال محمد جعفر شمس الدين متهماً أهل السنة بالتجسيم:" ومن هؤلاء المجسمة ، أهل السنة بشكل عام ، كالحنابلة والكرامية ومتقدمي الأشاعرة ، بما فيهم أبو الحسن الأشعري مؤسس المذهب ، حيث نراه يقول في مقام شرحه لعقيدة أهل السنة ، وبعد قوله وله- أي الله – يدان وعينان ووجه وغير ذلك من الأعضاء نراه يقول وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول"(١)، وذهب آخرون منهم إلى اتهام كعب الأحبار بأنه أول من أدخل التشبيه والتجسيم على الأمة، فيقول أحد علماء الشيعة المعاصرين:" أن التشبيه والتجسيم دخل إلى المسلمين من كعب الأحبار وجماعته، عن طريق أكبر شخصيات الدولة الإسلامية، وبذلك شقت أحاديثه طريقها إلى مصادرهم، فصارت جزء من عقائد الاَمة وتاريخها، وتأثر بها علماء وجماهير ! وتحقق قول النبي صلى الله عليه وآله عن تقليد المسلمين لليهود والنصارى: حذو القذة بالقذة والنعل بالنعل!"(٢).

مناقشة رأي الشيعة في ظهور التشبيه عندهم:

إنَّ إنكار الشيعة لما أظهره شيوخهم الأولين من التجسيم والتشبيه ليس بمستغرب ، فقد عهد منهم التكذيب بالحقائق الواضحة والتصديق بالأكاذيب الملفقة الظاهرة لأنهم أكذب الطوائف على الإطلاق(٣)، وما نقلناه من إجماع أهل الإسلام على اختلاف اتجاهاتهم من أن التشبيه والتجسيم في هذه الأمة ما رأى النور إلا على أيدي شيوخ الشيعة يكفي ليبطل كل دعوى الإنكار التي تدعيها الاثنا عشرية، فكيف إذا أضفنا ما أفادت به مصادر الشيعة وكتبهم من وقوعهم في التشبيه ، ولكن هنا نضيف بعض الوجوه من الأدلة التي تؤكد على وقوعهم في التشبيه وتبين تناقض أقوال علمائهم في نفي نسبة التشبيه إليهم وتنسفها بالكلية، بل وتثبت أنهم أنكروا ذلك محاولة يائسة منهم لينفوا ضلالهم في التوحيد وأنه مأخوذ من غير الأئمة، وهذا ما نوضحه في الوجوه التالية:-

الوجه الأول: جميع أقوال الشيعة في نفي ظهور التشبيه على أيديهم تنقضها أقوال أقرانهم من علماء الشيعة، بل وتنقضها أقوالهم أنفسهم.

- فما نفاه صدوق الشيعة من وقوعهم في التشبيه وذهب إلى وصف من اتهم الشيعة بوقوعهم في التشبيه بالكذب(٤)، وكذلك ما نفاه الشريف المرتضى من وقوع الشيعة في التشبيه وخاصة هشام بن الحكم يكذبه ما ذكره الشريف المرتضى نفسه من أن التشبيه متغلغل فيهم وخاصة في القميين والذي صدوق الشيعة منهم حيث قال: " إن القمّيّين كلهم من غير استثناء لأحد منهم إلا أبا جعفر بن بابويه رحمة الله عليه

(١) دراسات في العقيدة الإسلامية: محمد جعفر شمس الدين، ص١٤٥.

(٢) العقائد الإسلامية، عرض مقارن لأهم موضوعاتها من مصادر السنة والشيعة: مركز المصطفى للدراسات الإسلامية ، بإشراف: السيستاني،. ٢/٢٥٠.

(٣) انظر: الصلة بين التشيع والاعتزال: محمد الجدعاني ، ٣٤٣/١، وانظر: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية ، د. ناصر القفاري، ٥٣١/٢.

(٤) انظر: الاعتقادات في دين الإمامية: الصدوق ، ص٢١.

بالأمس كانوا مشبهة مجبرة وكتبهم، وتصانيفهم تشهد بذلك وتنطق به... "[١]. ، يضاف إلى ذلك جميع الروايات التي رواها صدوق الشيعة نفسه في كتابه التوحيد والكليني في أصوله من أنَّ هشام بن الحكم كان يقول بمقالة التشبيه ويروي الروايات عن الأئمة بذلك، والتي منها ما رواه صدوقهم عن محمد بن حكيم، قال: وصفت لأبي الحسن عليه السلام قول هشام الجواليقي وما يقول في الشاب الموفق ووصفت له قول هشام بن الحكم، فقال: إن الله عز وجل لا يشبهه شيء[٢]،و ما رواه عن علي بن أبي حمزة، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: سمعت هشام بن الحكم يروي عنكم: أن الله عز وجل جسم، صمدي، نوري، معرفته ضرورة، يمن بها على من يشاء من خلقه ..."[٣].

- إنَّ قول المفيد:" لسنا نعرف ما حكاهُ المعتزلة – في التشبيه– عن هشام بن الحكم في خلافه..."[٤] ، ينقضه قوله نفسه حينما قال:" و إنّما خالف هشام وأصحابه جماعة أصحاب أبى عبد الله بقوله في الجسم، و زعم أنّ الله تعالى جسم لا كالأجسام، و قد روى أنّه رجع عن هذا القول بعد ذلك و أما الرد على هشام ، والقول بنفي التشبيه، فهو أكثر من أن يحصى من الرواية عن آل محمد عليهم السلام"[٥]، وفي كتابه أوائل المقالات قال عنه:" وكان هشام بن الحكم شيعياً وإن خالف الشيعة كافة في أسماء الله تعالى وما ذهب إليه في معاني الصفات"[٦] .
- إن ما استشهد به علي الكليكاني مما جاء في كتاب التوحيد لشيخهم الصدوق من أنّه قد اشتهر أنّ العدل والتوحيد علويان و الجبر والتشبيه أمويّان ، يبطله روايات كتاب التوحيد نفسها التي أفادت بوقوعهم في التشبيه، وهذا يعني أن على الكليكاني وغيره من علماء الشيعة يؤمنون ببعض كتبهم ويكفرون بالبعض الآخر ويكفي هذا خزياً لهم في الدنيا قبل الآخرة.

الوجه الثاني: يذكر علماء الشيعة بأن ما نسب إليهم من تشبيه من أقوال خصومهم –المعتزلة–، وأنَّ هشام بن الحكم ذكر القول بالتجسم على سبيل المعارضة، إذ قصده اختبار العلاّف وسبر غوره في العلم، وهذا قول من لا يدري ما يقول أو لا يستحي مما يقول، ونحن نطرح عليهم السؤال التالي:

ما دام الشيعة والمعتزلة متفقين في اعتقادهم في التوحيد وخاصة في الصفات الإلهية، فلما تنسب المعتزلة لكم وقوعكم في التشبيه وتروى الأقوال الشنيعة عن متقدميكم ؟!.

إنَّ من له أدنى مسكة عقل يدرك أنَّ الأصل أن تذكر المعتزلة موافقة الشيعة لهم في التوحيد كي يكون حجة على خصومهم الآخرين لا أن تشنع عليهم مقالة لم يقولوا بها كما يزعمون، وهذا ما حدث

---

(١) رسائل المرتضى : الشريف المرتضى ،تحقيق السيد أحمد الحسيني، دار القرآن الكريم ، قم ، ١٤٠٥هـ ، ٣/٣١٠.

(٢) التوحيد: الصدوق ، باب أنه عز وجل ليس بجسم ولا صورة ، حديث رقم ١، ص٩٧.

(٣) المصدر السابق ، باب أنه عز وجل ليس بجسم ولا صورة، حديث رقم: ٤ ، ٩٨.

(٤) كلام المقارن بحوث مقارنة في العقائد الإسلامية :علي الكلايكاني ، ص٥٦.

(٥) الحكايات:المفيد ، ص٧٨-٧٩.

(٦) أوائل المقالات في المذاهب والمختارات : المفيد ، ص٣٨.

بالفعل لما انتقلت الشيعة من التشبيه إلى التعطيل حيث أصبحوا يذكروا آراء المعتزلة ضمن أرائهم وصرحوا بأنَّ مذهبهم في الأسماء والصفات كمذهب المعتزلة .

وهل يعقل أن تنسب المعتزلة للشيعة وقوعهم في التشبيه لمجرد اختبار هشام بن الحكم للعلاف؟!، إنَّ هذا الادعاء يرد عليه علماء المعتزلة أنفسهم، فقد رد الخياط على ابن الراوندي الرافضي لما ادعى أن مقالة التشبيه لم يقل بها إلا نفر واحد من الرافضة، قائلاً:" إنَّ المعتزلة لم تعب جملة الرافضة بقول تفرد به بعضها –هذا لا يفعله عاقل ولا يصير إليه إلا جاهل –...، وكيف تفعل المعتزلة ذلك وفي دينها﴿ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى * وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾[النَّجم:٣٨-٣٩]" [١].

الوجه الثالث: يذكر الشريف المرتضى وغيره من علماء الشيعة بأن هشام بن الحكم كان يقول بمقالة التشبيه قبل أن يستبصر من أئمة آل البيت، وهذا يرد عليه روايات الشيعة التي أفادت بأنَّ هشام بن الحكم كان يروي الروايات عن أئمة آل البيت في ذلك التشبيه[٢]، وهذا يعني أنَّ هشام كان يكذب على أئمة آل البيت، ويرد عليه أيضاً الروايات التي تبرأ فيها الأئمة من هشام وأقواله، يضاف إلى ذلك بأن تلك المقالة لم يقتصر على القول بها هشام بن الحكم بل إن النقول التي تكاد أن تكون متواترة ذكرت جملة من علماء الشيعة المتقدمين غير هشام بن الحكم ممن قالوا بمقالة التشبيه والتجسيم[٣].

الوجه الرابع: ما دامت الشيعة تصر على نفي وقوع متقدميها في التشبيه، فما حكم رواياتهم التي أفادت بوقوعهم في التشبيه وما الحكم على رواتها.

فإن كانت هذه الروايات صحيحة فهذا يعني أن كبار علمائكم كانوا مشبهة، وإن كانت كاذبة فهذا يعني عدم وثاقة هذه الروايات التي ذكرت نفي الصفات في ضمنها، وبذلك يبطل مذهبكم في الصفات لأن هذه الروايات كاذبة ولا يصح الاعتقاد بالكذب، وفي كلا الحالتين فإن هذه الروايات تلزم الاثنا عشرية في أحد الأمرين إما الإقرار بوقوع التشبيه في أوائلهم وأن معتقدهم في الصفات لم يكن من أقوال الأئمة، أو أن هذه الروايات غير صحيحة ويكون مضمونها غير صحيح، وبالتالي بطلان معتقدهم في نفي الصفات لأن هذه الروايات من أهم مرتكزات الشيعة في هذا الباب، وعدم الوثوق بمرويات أصحابها في كل ما يرونه من الاعتقادات وغيرها وفي هذا إبطال لمذهب الشيعة على الجملة.

---

(١) الانتصار: الخياط ، ص٣-٤ بتصرف.

(٢) انظر: ص١٧٤ من هذا البحث.

(٣) انظر: ص١٧٠ وما بعدها من هذا البحث.

المبحث الثاني
ظهور التعطيل في الشيعة المتأخرين

مر بنا سابقاً أقوال الشيعة في صفات الله تعالى و ظهر من خلال هذا البحث مدى تطابق أقوال الشيعة المتأخرين مع المعتزلة في نفي الصفات الإلهية، وأنهم أخذوا عنهم طريقتين في نفي الصفات، الطريقة الأولى كان يمثلها ابن بابويه الملقب بالصدوق، والطريقة الثانية كان يمثلها المفيد ومن تبعه، و تبين لنا أن أوائل علماء الكلام عند الشيعة كهشام بن الحكم والذي يعتبر أكبر شخصية كلامية إمامية في القرن الثاني الهجري، والذي خاض معارك كلامية وفلسفية من أدق المعارك مع مخالفي الاثنا عشرية كان على التشبيه والتجسيم(١)، وهذا يقودنا إلى التساؤل من أين أتى المتأخرون بمقالة التعطيل ونفي الصفات وكيف تحولت وجهة الشيعة من التشبيه إلى التعطيل وما هي الأسباب والعوامل التي ساعدت في ذلك التحول؟.

تسببت شناعة عقائد الشيعة التي بثها هشام بن الحكم ومن معه من علماء الشيعة وسقمها خاصة مقالته في التشبيه، إلى جنوح شيوخ الشيعة عن الخوض في علم الكلام أو المناظرة في عقائدهم ، فقد كان شيوخهم يوصون أتباعهم في تجنب الكلام والنظر لئلا يكتشفوا ضعف قولهم وعور مذهبهم، وفي ذلك يقول الخياط: " فلعمري إن الرافضة تنفر من الكلام وتعيب النظر، وما ذاك إلا لعلم رؤسائها بضعف قولها وركاكة مذهبها وأنها إن نظرت فيه وبحثت عنه بدا عواره وكشف خطؤه فليس شأن رؤسائهم إلا عيب الكلام وذم النظر وتنفير أتباعهم عنه لئلا يعرفوا خطأ ما هم عليه فينتقلون عنه"(٢) ولكن نهي شيوخ الشيعة لأتباعهم من الكلام والنظر لم يمنع أفراد من الشيعة من النظر والاطلاع على أفكار المعتزلة وتبني آرائهم في التوحيد والعدل والتأثر بمنهجهم الكلامي، فكان شيوخ الشيعة يواجهون من يثبت تأثره بالمعتزلة بالطرد واللعن والتكفير وإذا اقتضى الأمر مواجهته بالسيف(٣)، ولعل الخياط المعتزلي أول من نقل لنا تأثر بعض من أفراد الشيعة بالمعتزلة حيث يقول:" فهل على وجه الأرض رافضي إلاّ وهو يقول: إنّ للهِ صورة، ويروي في ذلك الروايات ويحتج فيه بالأحاديث عن أئمتهم إلاّ من صحبت المعتزلة فقال بالتوحيد، فنفتهُ الرافضة عنها"(٤).

وقد استمر تأثر أفراد من الشيعة بالمعتزلة حتى أصبحت لهم طائفة وفرقة يمثلونها، تحدث عنها أبو الحسن الأشعري في مقالاته فقال عنها:" الفرقة السادسة من الرافضة يزعمون أنّ ربهم ليس بجسم ولا

---

(١) انظر: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: سامي النشار،١٦٩/٢، وتأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة: عبد اللطيف بن عبد القادر الحفظي ، ص٤٦٤.

(٢) الانتصار : الخياط ، ص ٥.

(٣) الملل والنحل : الشهرستاني، ١٧٢/١.

(٤) الانتصار: الخياط ، ص٣٥- ٣٦.

بصورة، ولا شبيه الأشياء ولا يتحرك ولا يسكن ولا يماس، وقالوا في التوحيد بقول المعتزلة والخـــوارج، وهؤلاء قوم من متأخريهم، وأوائلهم فإنهم كانوا يقولون ما حكينا عنهم من التشبيه""[١].

وإذا ما قمنا بجولة فاحصة في كتب الرجال والتراجم والتاريخ إضافة إلى ما ألف فـــي العقائـــد والكلام فإننا نجد أن تحول الشيعة من التشبيه إلى التعطيل قد مر بمرحلتين، مرحلة بدايـــة متمثلـــة فـــي اعتناق أفراد من الشيعة لذلك الفكر، ومرحلة استقرار أصبح فيها المذهب الوافد قد فشى وترسخت جذوره في الفكر الشيعي[٢]، لذا فإن الحديث عن ظهور التعطيل في الشيعة واتصالهم بالمعتزلة سيتضح من خلال استقراء تلك المرحلتين وهو ما نوضحه في المطلبين التاليين:

المطلب الأول: بداية تأثر أفراد من الشيعة بآراء المعتزلة واعتناق أفكارهم.

إن من أكثر الأمور صعوبة تحديد البداية التي تم فيها التلاقي بين الشيعة والمعتزلة، بل تعد مـــن أكثر المسائل غموضاً في تاريخ الفكر الإسلامي، وذلك لأن الهيكل العام للتعاليم الشيعية إنما قام على مـــا روي من أحاديث وأخبار عن الإمام المعصوم فمنطوق المذهب يقضي بطرد كل احتمال للتأثير الخارجي لا بل إنكاره باعتبار أن المذهب الشيعي وحدة فكرية قائمة بذاتها مستمدة من تعاليم الإمام[٣].

يقول(مونتغمري وات) في هذا السياق: " ليس هناك فرق ملحوظ بين الشيعة وبعـــض المعتزلـــة، فمن طريقة التفكير فهم يعدّون القرآن مخلوقاً–مثلاً–، لكن الذي بقي غامضاً هو مدى تأثير المعتزلة ومن أين نشأ"[٤].

ولكن من خلال استقراء الكتب التي تحدثت عن الشيعة وعقائدها نستطيع أن نظفر بإشارات تدلل لنا على بداية الصلة بين أفراد من الشيعة والمعتزلة والتي تثبت من خلالها تتلمذ أفراد من الشـــيعة علـــى أيدي المعتزلة.

فيذكر الخياط عدد من علماء الشيعة الذين كانوا على الاعتزال فتبرأت منهم المعتزلة لميلهم إلـــى الرفض والإلحاد منهم أحمد ابن الروندي ، وفضل الحذاء، وابن الحائط وأبو عيسى الـــوراق [٥]فيقـــول الخياط عنهم:" إن فضل الحذاء قد كان معتزلياً نظامياً إلى أن خلط وترك الحـــق فنفتـــه المعتزلـــة عنهـــا وطردته عن مجالسها ، كما فعلت بك – يقصد ابن الروندي – لما ألحدت في دينك وخلطت فـــي مـــذهبك ونصرت الدهرية في كتبك، وكما فعلت بأخيك أبي عيسى لما قال بالمنانية ونصر الثنوية ووضع لها كتب يقوي مذاهبها ويؤكد قولها..."[٦].

---

(١) مقالات الإسلاميين: أبو الحسن الأشعري، ١٠٩/١

(٢) انظر: الصلة بين التشيع والاعتزال: محمد الجدعاني ، ٧/٢

(٣) الصدر السابق ، ٧/٢

(٤) المصدر السابق نفسه.

(٥) انظر: الانتصار: الخياط ، ص ١٤٨-١٤٩.

(٦) المصدر السابق: ص١٤٩.

وفي كتاب تثبيت دلائل النبوة للقاضي عبد الجبار نجده يستشهد بعدد من علماء الشـيعة الـذين ردّوا على هشام بن الحكم ونقضوا مذهبه فقال:" وذكره الحسن بن موسى النـوبختي فـي كتابـه الآراء والديانات حين نقض عليه مذهبه في أن الله جسم ونور يتحرك ؛ فقال له الحسن: هذا مذهب المانوية نعوذ بالله موافقتهم. وإنما ذكرنا الحسن بن موسى، لأنه من الرافضة . وقد حَكى عن هشام أيضاً أبـو عيسـى الوراق ، وابن الروندي ، وأبو سهل بن النوبخت ، وهؤلاء كلهم رافضة"[1].

وقد عد القاضي عبد الجبار أحمد بن الروندي من أهل الطبقة الثامنة من طبقات المعتزلة وذكـر أنه انسلخ من الدين وأظهر الإلحاد فطردته المعتزلة فوضع الكتب الكثيرة في مخالفة الإسلام منها كتـاب الإمامة للرافضة[2].

بينما عد القاضي عبد الجبار الحسن بن موسى بن النوبختى من رجـال الطبقـة التاسـعة مـن المعتزلة[3]و قال فيه ابن النديم:" وكانت المعتزلة تدعيه ، والشيعة تدعيه ولكن إلى حيز الشيعة أقرب "[4].

والحسن بن موسى النوبختي كان له أثر بليغ في تحويل وجه الشيعة إلى الأخذ بآراء المعتزلة في التوحيد والتخلص من آفة التشبيه والتجسيم فقد كان كما تذكر كتب الشيعة الإمامية أكبر شخصية شـيعية ظهرت في أواخر القرن الثالث الهجري، بالفلسفة وعلم الكلام والترجمة والنقل[5].

وقد ذكر بعض المؤلفين أشخاصاً آخرين غير هؤلاء كانوا في المعتزلة ثم انتقلوا إلـى صـفوف الشيعة ، وهؤلاء متأخرون عن الأوائل ، فإن انقلابهم إمامية كان في القرن الرابع هجري وقبلـه بـزمن يسير، منهم أبو جعفر محمد عبد الرحمن بن قبة فقد كان تلميذ أبي القاسم البلخي المعتزلي[6]، وكذلك ابـن مملك الذي قال عنه الشيعة أنفسهم أنه كان من المعتزلة ثم انقلب إلى الإمامية[7].

وهذه النصوص التي نقلناها عن المعتزلة وغيرهم من العلماء تثبت تأثير المعتزلة علـى بعـض الشيعة، وأن ذلك التأثير قد حدث في القرن الثالث هجري، ولا يبعد أن يكون هناك من الشيعة مـن تـأثر ببعض آراء المعتزلة إلا أنّ القرن الثالثة هجري كان يمثل الحراك الحقيقي لنقل الشيعة من التشـبيه إلـى التعطيل وصولاً إلى القرن الرابع هجري والذي أصبح فيه عدد كبير من علمـاء الشـيعة يقـول بمقالـة المعتزلة في التعطيل، وهذا ما دفع بعض من العلماء إلى القول بأنَّ الشيعة في أواخر المائة الثالـث قـد

---

(١) تثبيت دلائل النبوة: القاضي عبد الجبار، ٢٢٥/١

(٢) انظر: طبقات المعتزلة: أحمد بن يحيي بن المرتضى، تحقيق : مؤسسة ديقلد –فلزر، الطبعة الثانية ، بيروت –لبنـان، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م، ص٩٢، والمنية والأمل : القاضي عبد الجبار ، جمع أحمد بن يحيح المرتضى، تحقيق: عصام الدين محمد على، الناشر: دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٥م، ص٧٨.

(٣) انظر:طبقات المعتزلة: أحمد بن يحيي المرتضى، ص ١٠٤، وانظر المنية والأمل: القاضي عبد الجبار، ص٨٨.

(٤) الفهرست: ابن النديم، ص٢٢٦.

(٥) انظر: تأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة : عبد الطيف عبد القادر الحفظي، ص٤٦٦.

(٦) انظر: المصدر السابق.

(٧) انظر: المصدر السابق نفسه.

أخذوا بأقوال المعتزلة، منهم الإمام ابن تيمية حيث قال:" ولكن في أواخر المائة الثالثة دخل من دخل من الشيعة في أقوال المعتزلة كابن النوبختي صاحب كتاب الآراء والديانات وأمثاله"[١] .

ويقول شمس الدين الذهبي[٢] رحمه الله :" ومن حدود سبعين وثلاثمائة إلى زماننا هذا تصادق الرفض والاعتزال وتواخيا "[٣].

ومما يميز هذه المرحلة بأنها كانت مرحلة صراع بين المعتزلة وشيوخ الشيعة المشبه من جهة وبين أفراد من الشيعة المتأثرين بالمعتزلة من جهة ثانية ، فقد كان اللقاء بين المعتزلة وأغلب الشيعة يكاد يكون مستحيلاً. "فهذا الجاحظ المعتزلي (توفي سنة ٢٥٥هـ) يهاجم الشيعة الإمامية هجوماً مراً في كتابه فضيلة المعتزلة وكتاب العثمانية وغيرها وفي المقابل يتصدى للرد عليه أحمد بن الراوندي معتزلي الأمس رافضي اليوم (توفي سنة ٢٩٨هـ وقيل سنة٢٥٠هـ) بكتابه الذي تأذى منه المعتزلة لما فيه من الفضائح الأمر الذي دفع أبا الحسين الخياط (توفي سنة ٣٠٠هـ) للرد عليه بصارمه الشهير الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد"[٤] ، والذي ذهب فيه إلى وصف الشيعة بأنهم عن بكرة أبيهم مشبهة مجسمة إلا نفر قليل صحبوا المعتزلة فنفتهم الرافضة وتبرأت منهم هذا فضلاً على تكفيرهم والحكم عليهم بالخروج من الإسلام[٥].

الأسباب التي دفعت أفراد من الشيعة إلى اعتناق أفكار المعتزلة وأقوالهم:

١. شناعة مقالة التشبيه التي أحدثها شيوخهم المتقدمين ونفور الناس منها، وشدة نقد المعتزلة لمقالة شيوخهم وعدم قدرة شيوخ الشيعة البوح بها أو الدفاع عنها[٦].
٢. انبهارهم بأفكار المعتزلة الذين كانوا برعين في علم الكلام والترويج لمذهبهم[٧].
٣. وجود أفكار وأراء تخدم عقائد الشيعة، مثل تهميش المعتزلة للأدلة النقلية و تقديمهم العقل عليها ، وفي ذلك يقول "آدم متز":"كان تهميش المعتزلة للأدلة النقلية عاملاً مواتياً مع مآرب الشيعة... "[٨].

---

(١) منهاج السنة النبوية : ابن تيمية، ٧٢/١.

(٢) شمس الدين الذهبي:هو محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، شمس الدين، أبو عبد الله، ولد بدمشق عام ٦٧٣هـ وتوفي فيها عام ٧٤٨هـ تركماني الأصل، من أهل ميافارقين ، حافظ، مؤرخ، علامة محقق،رحل إلى القاهرة وطاف كثيرا من البلدان، وكف بصره سنة ٧٤١ هـ، تصانيفه كبيرة كثيرة تقارب المئة، منها " دول الإسلام، تهذيب تهذيب الكمال، وميزان الاعتدل في نقد الرجال وغيرها.(انظر: الأعلام، الزركلي، ٣٢٦/٥)

(٣) ميزان الاعتدال: شمس الدين الذهبي، ١٤٩/٣.

(٤) الصلة بين التشيع والاعتزال: محمد الجدعاني٢٣٩/١-٢٤٠.

(٥) انظر: الانتصار: الخياط ، ص١٨٨، ١٩٨.

(٦) انظر: الانتصار: الخياط ، ص ٥، وتأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة:عبد اللطيف عبد القادر الحفظي، ص٤٦٩.

(٧) انظر: تأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة:عبد اللطيف عبد القادر الحفظي، ص٤٦٩.

(٨) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري : آدم متيز ، تعريب محمد عبد الهادي أبوريدة ١٠٦/١، الطبعة الثالثة ، نقلاً عن كتاب أضواء على عقائد الشيعة الإمامية: الشيخ جعفر السبحاني، ص٣٠٦.

٤. تقديس المعتزلة للعقل ونسبة معتقداتهم إليه، ووصف أنفسهم بأنهم أهل التوحيد والعدل ووصف مخالفيهم بأهل التشبيه والحلول أدى بأفراد من الشيعة لتخلي عن معتقداته في التشبيه وتبني معتقدات المعتزلة، وفي ذلك يقول الشهرستاني :" وكان التشبيه بالأصل والوضع في الشيعة ... وتمكن الاعتزال فيهم لما رأوا أن ذلك أقرب إلى المعقول وأبعد من التشبيه والحلول"(١).

٥. البحث عن حليف قوي يساعدهم على كسر شوكة العدو المشترك الذي هو في نظرهم أهل السنة والجماعة(٢).

٦. نسبة المعتزلة مذهبهم في التوحيد إلى الإمام علي ﷺ وجعله أول رجل من رجال الطبقة الأولى من طبقات الاعتزال مما نتج عنه ميل أفراد من الشيعة إلى المعتزلة وأخذهم الاعتزال عنهم(٣).

٧. ظهور نزعة التشيع في عدد من شيوخ المعتزلة ، وخاصة تفضيلهم علي ﷺ على أبي بكر وعمر ، فالشيعة بمجرد أن يتسمى الرجل باسم أحد من أهل البيت كعلي أو جعفر أو حسن أو الحسين فإنهم يكرمونه ويجلونه، فكيف إذا رأوه ينصر مبدأ التشيع ولو على وجه الإجمال(٤).

المطلب الثاني: رسوخ التعطيل في الشيعة وتبني الطائفة بأكملها لأقوال المعتزلة.

مع حلول القرن الرابع هجري ازداد جنوح الشيعة إلى أفكار المعتزلة وتبنيها، ومع وصول الشيعة لسدة الحكم متمثلاً في الدولة البهوية، ونجاح المعتزلة إلى استمالة حكام هذه الدولة إلى معتقداتهم وأفكارهم في التوحيد والعدل توطدت العلاقة بين المعتزلة والشيعة ، فعين القاضي عبد الجبار رأس المعتزلة في عصره قاضياً لقضاة الري عام ٣٦٠هـ ، بأمر من الصاحب بن عباد وزير مؤيد الدولة البويهي، وهو من الروافض المعتزلة، يقول فيه الذهبي:"وكان شيعيا معتزليا مبتدعا". ويقول المقريزي: "إن مذهب الاعتزال فشا تحت ظل الدولة البويهية في العراق وخرسان وما وراء النهر" (٥). وذلك لميل حكام بني بويه إلى الاعتزال خاصة عضد الدولة (ت٣٧٢هـ) الذي كان أكثر تحمساً واعتزالاً . وأخاه فخر الدولة (ت ٣٨٧هـ) ولأمر آخر أهم هو وصول الصاحب بن عباد إلى منصب الوزارة لهما فقد كان متعصباً للتشيع إلى حد أن بعض الشيعة المعاصرين وصفه بملاذ الشيعة. وفي الوقت نفسه بذل أقصى جهده في نشر الاعتزال وحمل الناس على انتحاله متبعاً في ذلك شتى الطرق ومختلف الوسائل بالترغيب والإغراء وإلا فبالتهديد والوعيد(٦).

---

(١) الملل والنحل : الشهرستاني ، ١٧٣/١.

(٢) انظر: تأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة:عبد اللطيف عبد القادر الحفظي، ص٤٧٢.

(٣) انظر: الصلة بين التشيع والاعتزال: محمد الجدعاني،٢٤٩/١.

(٤) انظر: تأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة:عبد اللطيف عبد القادر الحفظي، ص٤٦٦.

(٥) الموسوعة الميسرة: مانع حماد الجهني، ص: ٦٦ بتصرف.

(٦) انظر: الصلة بين التشيع والاعتزال: محمد الجدعاني ، ١٢/٢-١٣.

يذكر الذهبي أنَّ الشام ومصر والمغرب قد غلت بالرفض أبان الدولة العبيدية، وكـذلك العـراق وبعض العجم بالدولة البويهية، واشتد البلاء دهرا، وشمخت الغلاة بأنفها، وتواخي الـرفض والاعتـزال حينئذ، والناس على دين الملك، نسأل الله السلامة في الدين[١] .

ولقد حدد الإمام ابن تيمية الزمن الذي أصبحت فيه عقيدة المعتزلة في التوحيد هي عقيدة الشـيعة فقال: "وأما متأخروهم من عهد بني بويه ونحوهم من أوائل المائة الرابعة ونحو ذلك فإنهم صار فيهم مـن يوافق المعتزلة في توحيدهم وعدلهم"[٢].

وقال أيضا: "وكتب الشيعة مملوءة بالاعتماد في ذلك- يعني مسائل الصفات والقدر- على طـرق المعتزلة وهذا كان في أواخر المائة الثالثة، وكثر في المائة الرابعة لمـا صـنف لهـم المفيـد وأتباعـه كالموسوي والطوسي" [٣].

وهذا ما أكد عليه أحد الشيعة المعاصرين بقوله:" في أواخر القرن الثالث توافرت إلى حد كبيـر بواعث القرابة بين المعتزلة والشيعة في بغداد رغم ما كان بينهما من ردود ومناقشات علمية . أمـا فـي القرن الرابع فقد اتضح تماماً أن الإمامية لا تعتقد بالتجسيم والتشبيه بل هي راسخة علـى عقيـدة التنزيـه ومدافعة عن العدل والتوحيد وبذلك غدت عناصر القرابة متوافرة بشكل جدي بين الطرفين "[٤].

إذاً ففي القرن الرابع هجري توفرت الظروف والمناخ المناسب لتقارب الشيعة والمعتزلة وأصبح ظاهرة عامة، وهناك ثمة شواهد كثيرة يحويها القرن الرابع تتحدث عن أشخاص وصوفوا بـأنهم شـيعة ومعتزلة في آن واحد، كان من أبرزهم أبو جعفر محمد بن على بن بابويه القمى (توفي سنة ٣٨١هـــ) الملقب عند الشيعة بالصدوق فقد وافق المعتزلة في نفي الصفات مع أنه أيضاً تأثر بالأشاعرة في عدد من الأمور الأمر الذي جعل بعض الباحثين يصفه بالاضطراب، ولكن هذا الإشكال سرعان ما يتلاشى إذا مـا عرفنا أن الصدوق قد مر بعدة مراحل في اعتقاداته المدونة في مؤلفاته. ولعل هذا الفرق يعود إلى ضغط الوزير الصاحب بن عباد وزير البويهيين (٣٢٦هـ-٣٨٥هـ) والأثر الذي كانت تتركه أدلة المعتزلة في نفس الصدوق اللذان أوجبا التغير الذي حصل في تفكيره في آخر مراحل حياته[٥] ،

هذا ما يتعلق بالقرن الرابع هجري ، بينما نجد في مطلع القرن الخامس هجري قـد اتضـحت معالم القربى بين الشيعة والمعتزلة فصار الشيعي معتزلياً والمعتزلي شيعياً إلا النزر اليسير ، وقد حـوت الكتب التاريخية في طياتها أسماء كثير من هؤلاء الذين جمعوا بين التشيع والاعتـزال ، فيتحـدث شـيخ الإسلام- رحمه الله – عن ثلة من الشيعة المتأثرين بالمعتزلة الذين نقلوا مقالتهم فـي مسـائل التوحيـد والعدل قائلاً:" إن جميع ما يذكره الإمامية المتأخرون في مسائل التوحيـد والعـدل ، كـابن النعمـان ،

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء: الذهبي ، ٥٠٧/١٧.

(٢) انظر: المصدر السابق

(٣) بيان تلبيس الجهمية :ابن تيمية ، ٥٤/١.

(٤) المسار الفكري بين المعتزلة والشيعة من البداية حتى عصر الشيخ المفيد: رسول جعفريان ، ص٣٩.

(٥) انظر: الصلة بين التشيع والاعتزال: محمد الجدعاني، ١١/٢

والموسوي الملقب بالمرتضى ، وأبوجعفر الطوسي وغيرهم ، مأخوذ من كتب المعتزلة ،بل كثير منه منقول نقل المسطرة ، وبعضه قد تصرفوا فيه ، كذلك ما يذكرونه من تفسير القرآن في آيات الصفات والقدر ونحو ذلك ، هو منقول من تفاسير المعتزلة .... لا ينقل عن قدماء الإمامية من هذا حرف واحد ، لا في الأصول العقلية ولا في تفسير القرآن"(١) .

فابن النعمان الملقب عند الشيعة بالمفيد قد تتلمذ على يد أبي عبد الله الملقب بالجعل من المعتزلة، وعلى أبي الحسن الرماني من شيوخ المعتزلة البارزين(٢)والشيعة أنفسهم يعترفون بأن المفيد هذا هو مجدد نظريات الشيعة الإمامية ومصححها ولعل هذا التجديد الذي أدخله المفيد على عقائدهم هو :إدخال طرق وقواعد وبعض نظريات المعتزلة وعقائدهم"(٣)، فقد قسم المفيد أصول الدين إلى خمسة أصول، هي: التوحيد والعدل والنبوة والإمامة والمعاد،ويعد المفيد أول من قدم هذا التقسيم في كتابه "النكت الاعتقادية". وهذه الأصول تشابه أصول المعتزلة الخمسة وهي: التوحيد، والعدل، والمنزلة بين المنزلتين، والوعد والوعيد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما أنه لم يأل جهداً في تصحيح عقائد الإمامية، فقد ألف المفيد كتابه الشهير تصحيح عقائد الإمامية والذي ذهب فيه إلى انتقاد شيخه الصدوق في عدة مواطن، تارة بقوله بأنه لا يميز بين الحق والباطل (٤) وأخرى بقلة فطنته(٥) ، وثالثة بعمله بأحاديث شاذة(٦).

فقد قال نابغة الشيعة هبة الدين الشهرستاني عن جهود المفيد في تخليص كتاب شيخه الصدوق اعتقادات الإمامية من جراثيم الشكوك والشبه:" بلغ شيخنا المفيد من الجهاد في الحق مبلغ من لا تأخذه في الله لومة لائم ، فأزاح عن الكتاب ما علقت عليه من ستائر الشبه ، وما علقت به من جراثيم الشكوك ، وذلك بأجوبته السديدة التي لا أخت لها في نتائج أقلام الأعلام من الحقائق المعقولة ، والدقائق المقبولة التي استخلصها من صريح العقل ، وصحيح النقل، فلولاه ولولاها لبقي أكثر الناس حيارى بلا هدى ولا كتاب منير"(٧).

وقد اتصل الشيخ المفيد بالدولة البويهية في عاصمتها بغداد اتصالاً وثيقاً فأجروا الرواتب له ولتلاميذه ، وخصصوا له جامع براثا في منطقة الكرخ لنشر عقائده في التعطيل التي تلقاها عن المعتزلة، فتوجهت إليه جماعة الإمامية ، وانقادوا لرئاسته الدينية وفي ذلك الوقت كانت بغداد تموج بفتن الشيعة، والشيعة يومئذ شيع وأحزاب(٨) ، فتتلمذ على يديه عدد من علماء الشيعة الذين كان لهم الأثر الكبير في

(١) منهاج السنة: ابن تيمية، ٣/٥-٦

(٢) انظر : مقدمة كتاب المسائل الصاغانية، تحت عنوان المؤلف في سطور، ص٧.

(٣) تأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة : عبد اللطيف عبد القادر الحفظي ص٢٦٥.

(٤) تصحيح اعتقادات الإمامية: المفيد ، ٤٩.

(٥) المصدر السابق : ٧٩.

(٦) المصدر السابق نفسه: ص ٧٩.

(٧) مقدمة تصحيح اعتقادات الإمامية: تقديم الشهرستاني، ص٢٢.

(٨) تصحيح اعتقادات الإمامية: المفيد، ص١٩.

ترسيخ عقائد المعتزلة في الشيعة وتأليف المؤلفات في الدفاع عنها ونسبتها إلى أئمة آل البيت منهم :أبو جعفر الطوسي ، والشريف المرتضى، وأخوه الشريف الرضي ، وأبو الفتح الكراجكي ، والنجاشي وهؤلاء كان لهم باع طويل في ترسيخ عقائد الاعتزال في الشيعة والدفاع عنها، وقد استطاع المفيد أن يجمع أراء الشيعة إلى أمر وسط يرجع إليه الغالي، ويلحق به التالي[1] ، وهذا ما يفسر سر بقاء التشبيه بأنواعه في الشيعة الاثنا عشرية و اختصاصها بالجمع بين النقيضين غلو في التشبيه وغلو في التعطيل.

ومما يميز هذه المرحلة ، رسوخ عقائد المعتزلة في التوحيد والعدل في الشيعة واضمحلال الصراع بين الشيعة المشبهة والشيعة المعطلة إلا النزر اليسير من أصحاب الحديث الذي اتهموا المفيد بأنه قد تلقى المعتقد من المعتزلة وجاراهم بذلك وخالف أئمة آل البيت مما دفع المفيد للرد عليهم بتأليف الروايات ونسبها إلى الأئمة لإنكار صلته بالمعتزلة، كذلك من مميزات هذه المرحلة التأصيل لعقائد المعتزلة وتأليف الروايات ونسبها إلى أئمة آل البيت ليسندوا مذهبهم في التعطيل ولكي لا يوصفوا بالتبعية للمعتزلة ، فقد ألف صدوق الشيعة كتابه التوحيد جمع في الروايات التي ألفها على أئمة آل البيت لتسند مذهبه في التعطيل ، كما وألف الكليني كتابه الكافي وغيرها من الكتب التي ظهرت في ذلك القرن، وفي هذه المرحلة تجاوز الشيعة حدود تأليف الروايات والجمود عليها بل انطلقوا إلى التحرر منها عبر الاعتماد على العقل والأخذ بآراء المعتزلة الكلامية.

ومن الجدير ذكره أنه في كلا المرحلتين لم نجد أحداً من العلماء من المعتزلة و غيرهم من العلماء قد أتى على ذكر أي من أئمة الشيعة التي تدعي الشيعة أنهم أئمتها سواء قولهم بمقالة التشبيه التي ينسبها لهم أوائل الشيعة المشبهة أو القول بمقالة التعطيل التي ينسبها لهم متأخروهم ، بل نقلوا مقالات عن من ادعى التشيع لهم و قد علم عن كثير منهم أنهم تربوا في أحضان الزنادقة ،مما يؤكد أنه لا علاقة لآل البيت بعقائد الشيعة التي ينسبونها لهم سواءً من متقدميهم المشبهة أو متأخريهم المعطلة، إذ لو كان مذهب آل البيت التشبيه أو التعطيل لنقل لنا العلماء أسمائهم ومقالاتهم في ذلك كما نقلوا عن أوائلهم المشبهة وأواخرهم المعطلة.

الأسباب التي دعت الشيعة إلى تبني عقائد المعتزلة في التوحيد والعدل:

١. ازدياد استياء الشيعة المتأخرين من عقائد المتقدمين المشبه ، وكثرة الأعداد الذين تبنوا عقائد المعتزلة.
٢. تبني الدولة البويهية لأفكار المعتزلة وحمل الناس على انتحالها متبعين في ذلك شتى الطرق ومختلف الوسائل بالترغيب والإغراء وإلا فبالتهديد والوعيد، كما وقد أجزلت هذه الدولة الهبات والعطايا للعلماء لنشر تلك العقائد ن وخصصت لهم مساجد لتدريسها بين الناس.
٣. انقلاب كثير من الشيعة الزيدية إلى شيعة إمامية وهؤلاء كانوا أسبق من الشيعة الإمامية في اعتناق عقائد المعتزلة في التوحيد والعدل[2].

---

(١) المصدر السابق ص١٩.

(٢) انظر: تأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة، عبد اللطيف عبد القادر الحفظي ، ص٤٧١-٤٧٢.

٤. محاولة كلا الطرفين المعتزلة والشيعة الوقوف في وجه العدو المشترك أهل السنة ومحاولة وقف المد الأشعري الذي كان له دور كبير في هدم كيان المعتزلة ، والرافضة تريد إيقافه ؛ لأنها لم تسلم من قدح الأشاعرة وفضحهم لعقائدهم [١].

٥. الاستفادة من خبرة المعتزلة ومنهجهم الكلامي، واتخاذهم أداة لمقاومة أهل السنة والنكاية بهم، وبناء قلعة محصنة ضد الأشاعرة الذين ازدهرت عقائدهم[٢].

(١) المرجع السابق: ص٤٧٣.

(٢) الصلة بين التشيع والاعتزال: محمد الجدعاني، ١/٢٤٩.

المبحث الثالث

تأثر الشيعة بالمعتزلة في نفي الصفات.

المطلب الأول: رأي المعتزلة في الصفات الإلهية.

أولاً: رأي المعتزلة في صفات الله.

ظهرت مقالة نفي الصفات أو التعطيل قبل ظهور المعتزلة، وقد كان أول ظهور لها على لسان الجعد بن درهم(١)، ثم أخذها عنه الجهم بن صفوان(٢) ، وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية :" إن أصل مقالة التعطيل للصفات إنما هو مأخوذ عن تلامذة اليهود والمشركين ... فإن أول من حفظ عنه أنه قال هذه المقالة في الإسلام هو الجعد بن درهم ، وأخذها عنه الجهم بن صفوان ، وأظهرها فنسبت مقالة الجهمية إليه"(٣)، وبعد أن فشت مقالة التعطيل على يد الجهم بن صفوان وتلقي واصل بن عطاء(٤) مؤسسة فرقة المعتزلة لهذه الآراء وتبناها، نظرت المعتزلة إلى صفات الله سبحانه وتعالى التي أثبتها لنفسه في كتابه العزيز أو على لسان رسوله ﷺ، فقالوا : قد تبين لنا أن الصفات أعراض للأجسام فهي محدثة ، فلا توجد صفات قديمة ، ولو قلنا بوجودها لقلنا بوجود قديمين ، فكي لا نقع في ذلك الأمر المنافي للتوحيد فيجب أن نصف الله بالصفات السلبية مثل : ليس كمثله شيء ، ولا شبح...إلخ ، ثم عرجوا على سائر الصفات كاليدين ، والعين ونحوها ، فقالوا : لابد من تأويل مثل هذه الآيات حتى لا تنافي التنزيه اللائق

---

(١) الجعد بن درهم: من الموالي، مبتدع ضال، له أخبار في الزندقة. سكن الجزيرة الفراتية. شيخ الجهم بن صفوان الذي تنسب إليه الطائفة الجهمية، له أخبار كثيرة في الزندقة منها أنه جعل في قارورة ترابا وماء فاستحال دودا وهوام فقال أنا خلقت هذا لأني كنت سبب كونه فبلغ ذلك جعفر بن محمد فقال ليقل كم هو وكم الذكران منه والإناث إن كان خلقه وليأمر الذي يسعى إلى هذا أن يرجع إلى غيره فبلغه ذلك فرجع. قتله خالد بن عبد الله القسري أمير العراق، يوم عيد الأضحى بالكوفة عام ١١٨هـ ؛(انظر: سير أعلام النبلاء: الذهبي، ٤٣٣/٥. لسان الميزان: ابن حجر العسقلاني،٤٣٧/٢. الأعلام: الزركلي ١٢٠/٢).

(٢) هو الجهم بن صفوان السمرقندي، أبومحرز، من موالي بني راسب رأس الجهمية توفي عام ١٢٨هـ، رأس الجهمية، قال الذهبي عنه:" الضال المبدع، هلك في زمان صغار التابعين وقد زرع شرا عظيما. كان يقضي في عسكر الحارث بن سريج، الخارج على أمراء خراسان، فقبض عليه نصر بن سيار، فطلب جهم استبقاءه، فقال نصر: لا تقوم علينا مع اليمانية أكثر مما قمت وأمر بقتله، فقتل.(انظر: ميزان الاعتدال: الذهبي، ١٩٧/١، الأعلام: الزركلي، ١٤١/٢)

(٣) مجموع الفتاوى: ابن تيمية، ٢٠/٥.

(٤) هو واصل بن عطاء الغزال ، أبو حذيفة ، من موالي بني ضبة أو بني مخزوم ، رأس المعتزلة، ومن أئمة البلغاء والمتكلمين سمي أصحابه بالمعتزلة لاعتزاله حلقة درس الحسن البصري، هو قديم المعتزلة وشيخها وأول من أظهر القول بالمنزلة بين المنزلتين، ولد بالمدينة، ونشأ بالبصرة. وكان يلثغ بالراء فيجعلها غينا، فتجنب الراء في خطابه، وضرب به المثل في ذلك، وله خطبة مشهورة منزوعة الراء، توفي عام ١٣١ هـ. (انظر: لسان الميزان: ابن حجر العسقلاني، ١٦٩-٣٧٠. الأعلام: الزركلي، ١٠٨/٨ -١٠٩).

به سبحانه ، وعلى ذلك نفوا استواءه على العرش ، ونفوا رؤيته ، ونفوا صفة الكلام "(١) ، فتوصلوا إلى التعطيل الكامل .

وبالجملة يمكن تفصيل رأي المعتزلة في نفي الصفات بالتالي:

١. **نفي الصفات الذاتية** : كان للمعتزلة عدة طرق في نفي الصفات الذاتية وهي:

أ- الإنكار الواضح للصفات الذاتية عن الله تعالى بحجة أن إثباتها يستلزم وجود إلهين أزليين وهذه الطريقة كان عليها أوائل المعتزلة كواصل بن عطاء (٢) .

ب- جعل الصفات الإلهية وجوهاً واعتبارات عقلية ، بمعنى أنه لا حقيقة لها منفصلة عن الذات ، وهو الذي يعبر عنه عند بعض المؤلفين بعينية الصفات لذات وهذه طريقة أبي على الجبائي ،وأبي الهذيل العلاف (٣) .

ت- جعل الصفات الذاتية عائدة إلى معنى السلب بمعنى نفي نقيضها وهذه الطريقة اشتهر فيها النظام ، والجاحظ وأتباعهما (٤).

ث- إثبات أحوال وراء الذات بدلاً من الصفات وهي طريقة أبي هاشم الجبائي (٥).

ج- إثبات معاني وراء الذات ، وهي طريقة معمر بن عباد السلمي(٦) ، وهذه المعاني ليست أعراض وإنما هي التي تسبب الأعراض(٧) .

ح- طريقة أصحاب المزايا فهم أطلقوا على الصفات الذاتية مزايا تجاوزاً ولم يريدوا بهذا القول إثبات صفات لله (٨).

فهذه طرق رجال المعتزلة في نفي الصفات الذاتية ، وكلهم مجمعون على نفي الصفات الذاتية وقد حكى إجماعهم على ذلك بعض علمائهم"(٩).

---

(١) المعتزلة بين القديم والحديث : محمد العبده وطارق عبد الحليم ص٤٦-٥١.

(٢) انظر : الملل والنحل : الشهرستاني ،٤٦/١

(٣) انظر : شرح الأصول الخمسة: القاضي عبد الجبار، ص١٨٢-١٨٣ ، الملل والنحل : الشهرستاني ٥٠/١.

(٤) انظر : مقالات الإسلاميين: أبو الحسن الاشعري، ٢٤٧/١-٢٤٨

(٥) انظر الملل والنحل : الشهرستاني ، ٨٢/١.

(٦) معمر بن عباد السلمي: معمر بن عباد السلمي: معتزلي من الغلاة. من أهل البصرة. سكن بغداد، وناظر النظام. وكان أعظم القدرية غلوا: انفرد بمسائل، من أقواله: إن الله تعالى لم يخلق شيئا غير الأجسام، فأما الأعراض فهي من اختراعات الأجسام إما بالطبع وإما بالاختيار. وتنسب إليه طائفة تعرف بالمعمرية. توفي عام ٢١٥ هـ. (الأعلام: الزركلي، ٢٧٢/٧).

(٧) مقالات الإسلاميين: أبو الحسن الأشعري ، ١٨٠/٢.

(٨) تأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة : عبد اللطيف عبد القادر الحفظي ، ص٣٦.

(٩) انظر : فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة : القاضي عبد الجبار وأخرون، تحقيق فؤاد سيد ، الناشر: الدار التونسية للنشر، ص ٣٤٧.

٢. تأويل الصفات الخبرية:

استغل المعتزلة ثراء اللغة العربية في الدلالة على اللفظ في تأويل الصفات الخبرية وعلتهم في ذلك أن إثبات هذه الصفات توقع فيما اعتبروه في النقائص التي يجب أن ينزه الله تعالى عنها، وزعموا أن هذه الصفات توهم نسبة الأعضاء والجهة والمكان، والانفعالات والعواطف إلى الله تعالى وهذا يقتضي في نظرهم إلى التمثيل والتجسيم والله منزه عنها فيجب تأويلها.

ثانياً: القول بخلق القرآن الكريم:

أحيا بدعة القول بخلق القرآن بعد أن ضعفت بمقتل مثيرها الجعد بن درهم بشر المريسي[١]، ثم على يد ثمامة بن أشرس[٢] المعتزلي وهو الذي جرى على يديه وعلى يد أحمد بن أبي دواد امتحان العلماء والعوام في خلق القرآن ، فأصبح المعتزلة هم أنصار هذه البدعة ، بل لما سنحت لهم الفرصة ألزموا الناس بها .

يقول القاضي عبد الجبار: " وأما مذهبنا في ذلك ، فهو أن القرآن كلام الله تعالى ووحيه ، وهو مخلوق محدث "[٣].

ثالثاً: نفي الرؤية:

انطلاقاً من كون التوحيد قائم على تنزيه الله تعالى عن الجسم والتركيب والأعراض ، فقد أوجبوا انتفاء الجهة، وإذا انتفت الجهة انتفت الرؤية على ما قرروه.

يقول القاضي عبد الجبار:" مما يجب نفيه عن الله تعالى الرؤية "[٤]. وقال أيضا:" فإن قال: إن الرؤية تجوز على الله تعالى قيل له: الرؤية بالأبصار على الله تستحيل، والرؤية بالمعرفة والعلم تجوز"[٥].

هذه أهم أراء المعتزلة في مسألة الصفات، والناظر في تلك الآراء وآراء الشيعة المتأخرين يجد مدى التطابق التام بين تلك المعتقدات بحيث لا يجد القارئ فرقاً بينهم ، والأدلة التي ذهبت الشيعة لإقامتها على مسألة الصفات هي نفس الأدلة التي أقامتها المعتزلة في ذلك ، غير أن الاثنا عشرية صاغت أقوال

---

(١) بشر المريسي: هو بشر بن غياث بن أبي كريمة عبد الرحمن المريسي، العدوي بالولاء، أبو عبد الرحمن: فقيه معتزلي عارف بالفلسفة، يرمى بالزندقة. وهو رأس الطائفة: المريسية. القائلة بالإرجاء، وإليه نسبتها. وكان جده مولى لزيد بن الخطاب. وقيل: كان أبوه يهوديا. وهو من أهل بغداد ينسب إلى: درب المريس. فيها. قالوا في وصفه: كان قصيرا، دميم المنظر، وسخ الثياب، وافر الشعر، كبير الرأس والأذنين. توفي عام ٢١٨هـ. وعاش نحو ٧٠ عاما.(انظر: الأعلام: الزركلي، ٢/٥٥).

(٢) ثمامة بن أشرس: هو ثمامة بن أشرس النميري، أبو معن: من كبار المعتزلة، وأحد الفصحاء البلغاء المقدمين. كان له اتصال بالرشيد، ثم بالمأمون. وكان ذا نوادر وملح. من تلاميذه الجاحظ. توفي عام ٢١٣ هـ.(الأعلام: الزركلي، ٢/١٠٠).

(٣) شرح الأصول الخمسة: القاضي عبد الجبار ، ص٥٢٧-٤٢٨

(٤) المصدر السابق: ص٢٣٢.

(٥) المختصر في أصول الدين: القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذاني، ضمن كتاب رسائل العدل والتوحيد ، تحقيق: د. محمد عمارة، الطبعة الثانية، الناشر: دار الشروق، القاهرة، ١٤٠٨هـ -١٩٨٨م، ص ٢٢٠

المعتزلة عل هيئة روايات نسبتها إلى أئمة آل البيت، ومن هنا يدور سؤال حول مدى صحة هذه الروايات؟.

والحقيقة أن تلك الروايات كما تبين سابقاً بأنها مكذوبة على آل البيت، وضعها هواة الشيعة لتأييد مذهبهم في كل عصر من العصور فتضاربت فيما بينها ، بحيث من أراد أن يرى مذهب أهل التشبيه يجده عند هذه الروايات ومن أراد التعطيل فله كذلك ، والقارئ لتلك النصوص والتي ضربنا أمثلة عليها في المبحثين السابقين يخلص بنتيجة أن كلتا هذه النصوص –التشبيه والتعطيل– غير صحيحة، وأنها وضعت كما ذكرنا سابقاً لترضي جميع الأطراف المتشيعة –المشبهة والمعطلة– ، والتشبيه والتعطيل موجود إلى الآن في هذه الطائفة ولا غضاضة في ذلك إذ أهل التقية يصح عندهم كل شيء ما دام دينهم ودين آبائهم التقية.

المطلب الثاني: رأي الشيعة في تلقي معتقدهم من المعتزلة.

ذهبت الشيعة إلى الزعم بأن المعتزلة هي التي تلقت تلك المعتقدات منهم، فأنكرت بذلك إجماع العلماء والأحداث التاريخية الواضحة، وما ثبت بالأدلة القاطعة من أنهم كانوا أهل التشبيه ولازالوا، ولقد ذهبوا إلى إثبات ذلك في كل الاتجاهات، ولعل أول من أنكر ذلك منهم شيخهم المفيد، مع أنه قد تحلق في حلق المعتزلة وتتلمذ على أيديهم كما ذكرنا سابقاً فيقول:" أمّا القول بنفى التشبيه فهو أكثر من أن يحصى من الرواية عن آل محمد ــ عليهم السلام ــ فكيف يكون قد أخذنا ذلك عن المعتزلة لولا قلّة الدين"[١]. مع أن تلميذه المرتضي لما رأى نصوص التشبيه في كتب الروايات عندهم قال عنها:" ودعنا من مصنفات أصحاب الحديث من أصحابنا ، فما في أولئك محتج ، ولا من يعرف الحجة ، ولا كتبهم موضوعة للاحتجاجات"[٢].

وقد كرر المفيد كلامه مراراً في نفي أخذ الكلام من المعتزلة لما اتهمه بعض المعتزلة أنهم سرقوا الكلام من المعتزلة، فقال في كتابه المسائل الصاغانية:" لسنا نعرف للشيعة فقيها متكلماً على ما حكيت عنه من أخذ الكلام من المعتزلة"[٣].

ويبدو أن مسألة سرقة الشيعة لأفكار المعتزلة ونسبتها لأئمة آل البيت كانت تؤرق المفيد مما دفعته إلى أن يخصص لها صفحات من كتابه الحكايات حاول فيها الرد على المعتزلة وأصحاب الحديث من أصحابه من أن نفي التشبيه قد أخذه عن المعتزلة فقال:" فإني لا أزال أسمع المعتزلة يدّعون على أسلافنا أنهم كانوا كلهم مشبهة ... وأرى جماعة من أصحاب الحديث من الإمامية يطابقونهم على هذه

(١) الفصول المختارة:محمد بن محمد بن النعمان المفيد ، تحقيق: على مير شريفي، الطبعة الثانية ، الناشر: دار المفيد، ١٤١٤هـ –١٩٩٣م، ص ٢٨٥.

(٢) رسائل الشريف المرتضى: الشريف المرتضى، ١/٢٦-٢٧.

(٣) المسائل الصاغانية : المفيد ، ص٤١

الحكاية ويقولون : إن نفي التشبيه إنما أخذناه من المعتزلة "[١] ثم أخذ يتلو الروايات التـي نسـبها لأهـل البيت في نفي التشبيه.

ومع كل ما ذهب إليه المفيد من محاولته لنفي تلقي الشيعة الكلام من المعتزلة، إلا أنه في كلامـه الأخير قد أثبت على نفسه وعلى الشيعة من بعده من أنَّ أصحاب الحديث من الشيعة الإمامية والذين هـم أكثرهم دراية فيما يروى عن أئمتهم قد اتهموا المفيد ومن معه من الشيعة المعطلة أنهم قد أخذوا التعطيـل من المعتزلة، وهذا الخطأ الفادح ما كان ليقع فيه المفيد لولا استمرار الصراع بين الشيعة المشبه وإخوانهم المعطلة على مسائل الاعتقاد ، مما يؤكد بأن روايات الشيعة التي يرونها في التعطيل لم يكن يرضى بهـا أصحاب الحديث منهم بل إنهم كانوا يؤكدون على صحة روايات التشبيه التي كانوا يعتقدونها، ولعـل مـا حكاه شيخهم المفيد عن أصحاب الحديث منهم كان قبل أن يحكم المفيد سيطرته على طائفة الشيعة، ولقـد أكد الشهرستاني على هذا الاختلاف الذي وقع فيه الشيعة حين قال:" كانوا في الأول على مـذهب أئمـتهم في الأصول ثم لما اختلفت الروايات عن أئمتهم وتمادى الزمان اختارت كل فرقة منهم طريقة فصـارت الإمامية : بعضها معتزلة : إما وعيدية وإما تفضيلية وبعضها إخبارية : إما مشبهة وإما سـلفية ومـن ضل الطريق وتاه لم يبال الله به في أي واد هلك"[٢].

وبالرغم من محاولات المفيد اليائسة من نفي أخذهم الكلام من المعتزلة، إلا أن ذلك لـم يمنـع بعض علماء الشيعة من محاولة إيجاد طرق أخرى لنفي تلقي أصول عقائدهم من المعتزلة، فهذا الشـيعي هاشم معروف الحسني حاول أن يعدد أوجه الاختلاف بين المعتزلة والشيعة ، ولكنه لم يذكر لنـا وجهـاً واحداً لاختلاف الشيعة عن المعتزلة في مسألة التوحيد والعدل ، فيقول:" قالوا: إن الشيعة فـي عقائـدهم وأصولهم أتباع للمعتزلة وعيال عليهم في هذه المواضيع، وجاء المتأخرون من كتاب العرب والمستشرقين الأجانب يجترون هذه المقالة بدون تمحيص وتحقيق، وكأنها من الضروريات التي لا تقبل التشكيك، لقـد سرت هذه المقالة فيما بينهم مع أن كتب الامامية في هذه المواضيع منتشرة في جميـع المكاتـب العامـة والخاصة، وهي تعبر عن آرائهم بكل صراحة ووضوح، تلك الآراء التي يخالفون فيها المعتزلة أكثر مـن جميع الفرق" [٣]. وكأن هذا العالم الشيعي وغيره من علماء الشيعة الذين تربوا على التدليس ولبس الحـق بالباطل ، يريد أن يوهمنا بأن عقائد الشيعة والمعتزل في التوحيد والعدل مختلفة تماماً ، وهذا ليس دليـل على نفي تلقي معتقدهم في التوحيد والعدل من المعتزلة بل هو دليل على إفلاس هذه الطائفة وعجزها عن إخفاء سرقتها لمعتقدات المعتزلة ونسبها إلى أئمة آل البيت.

بينما نجد من علماء الشيعة المعاصرين من يحاول أن يبرز اختلاف الشيعة عن المعتزلـة فـي القول بأنَّ المعتزلة تقول بنيابة الصفات عن الذات بينما الشيعة تقول بعينية الصفات للذات ، ففـي كتـاب التوحيد بحوث تحليلية في مراتبه ومعطياته للكاتب جواد علي كسار نجد في عرضـه لأراء الفـرق فـي

---

(١) الحكايات: المفيد ، ص٧٩-٨١.

(٢) الملل والنحل: الشهرستاني ، ١٦٥/١.

(٣) الشيعة بين الأشاعرة و المعتزلة: هاشم معروف الحسيني ص٥

الصفات يقصر رأي المعتزلة في نيابة الصفات عن الذات[١]، ونجد الشيعي علاء الحسون ينسب لـبعض المعتزلة القول بنيابة الذات عن الصفات ولبعضهم الآخر بالقول بالأحوال ويغفل أو يتغافل قول المعتزلـة بعينية الصفات للذات وينسب ذلك القول للإمامية فيقول:" أهم أقوال المسلمين حول صفات الله الذاتية: قول بعض المعتزلة: نيابة الذات عن الصفات. قول بعض المعتزلة: القول بالأحوال. قول الكراميـة: الزيـادة والحدوث. قول الأشاعرة: الزيادة والقدم. قول الإمامية: عينية الصفات والذات"[٢] .

وهذا يضاف إلى سابقه من الأدلة المتهافتة التي يلبس الشيعة فيها الحق بالباطل وهم يعلمـون أن نيابة الصفات عن الذات أو القول بالأحوال رأيان من أراء المعتزلة التي حاولوا فيها نفي الصفات عن الله تعالى، وكذلك يعلمون أن مقالة عينية الصفات للذات أيضاً رأي من أراء المعتزلة في نفي قيام الصـفات بالذات الإلهية ، وهذا يزيد من إفلاس هذه الطائفة وعجزها عن العثور على أي دليل حقيقي يغطـوا بـه طامتهم ، وبذلك يثبت مدى احتيال علمائهم المعاصرين عند الحديث عن توحيد الصـفات ومناقشـة آراء الفرق وأنهم كانوا بالفعل عيال على المعتزلة في تلقي عقائدهم منهم ثم أصبحوا لصوص في نسـبة ذلـك المعتقد لهم ولأئمتهم.

بينما نجد بعض الشيعة المعاصرين يعزو التقارب بين المعتزلة والشيعة في الصفات يعـود إلـى مصدرين يرى الشيعة صحتهما: المصدر الأول: كلمات أمير المؤمنين عليه السلام عن طريق حفيده أبـو هاشم ابن محمد ابن الحنفية. المصدر الثاني: هو العقل، وقد كان للمعتزلة دور رائد فـي تحكـيم العقـل وصلوا به إلى نتائج قيمة في معاني التوحيد[٣].

فيقول حسن العايش معقباً على ذلك:" واتفاق الشيعة والمعتزلة على هذين المصدرين وبالتالي في الاستنتاج منهما أدى ببعض الباحثين إلى الخلط ، فجعل الشيعة تبعاً للمعتزلة ناسياً أو متناسياً أن الشـيعة أسبق في النشأة التاريخية ودخول المعترك الفكري ، مما يجعل ما ذهب إليه قلباً لحقائق التاريخ"[٤]

وهذا ما أكد عليه شيخهم جعفر السبحاني بقوله:" إنّ الشيعة عن بكرة أبيهم كـانوا مقتفـين أثـر أئمتهم، ولم يكونوا ورثة للمعتزلة ولا لغيرهم، وإنما أخذت المعتزلة أصول مذهبهم عن أئمة أهل البيت ، كما هو واضح للجميع ، بل والمعروف كثرة المناظرات بين الشيعة والمعتزلة منذ عصر الإمام الصـادق عليه السلام وإلى عصر المفيد وما بعده"[٥].

غير أن ما ذكره العياش وغيره من علماء الشيعة من أن المعتزلة قد تلقت معتقداتها في الصفات من أئمة آل البيت أو أن العقل أوصلهم إلى ذلك لا يصح أن يكون دليلاً للاستدلال به ، بل يؤكد تطورتهم وفضيحتهم في أنهم سرقوا تلك المعتقدات من المعتزلة ، وهذا ما نوضحه في التالي:

---

(١) التوحيد بحوث تحليلية في مراتبه ومعطياته : جواد على كسار ،١٣٠/١.

(٢) التوحيد عند مذهب أهل البيت عليهم السلام : علاء الحسون ، ص٦٦.

(٣) صفات الله عند المسلمين: حسين العايش ، ص١٦.

(٤) المصدر السابق.

(٥) أضواء على عقائد الشيعة الإمامية: جعفر السبحاني، ص٣٠٦.

أولاً: أما قولهم بأن سند مذهب المعتزلة يعود إلى علي بن أبي طالب ﷺ فباطل، وذلك لأن العقائد التي جاءت بها المعتزلة وأخذتها الشيعة عنها مخالفة للكتاب والسنة ، وقد نزه الله علياً عنها ، وليس في الخطب الثابتة عنه ﷺ شيء من أصول المعتزلة ، بل إن كان ذلك إذا نقل عنه فهو كذب عليه، ثم كيف يكون ما عند المعتزلة هو من كلام علي، وقدماء المعتزلة لم يكونوا يعظمون علياً ، بل كان فيهم من يشك في عدالته(١)، وكيف يعقل أن تأخذ المعتزل التوحيد من الإمام علي ولا تأخذ عنه بقية العقائد التي تزعم الشيعة أنها أخذتها عنه وفي مقدمتها الإمامة، وهل يعقل أن تأخذ المعتزلة التوحيد ونفي الصفات عن الله تعالى من أئمة آل البيت ، وقدماء الشيعة كهشام بن الحكم وهشام بن سالم الجواليقي يأخذون التشبه من غيرهم كما هو ثابت تاريخياً.

ثانياً: أما قولهم بأن واصلاً قد أخذ كلامه وعقائده عن أبي هاشم بن محمد بن الحنفية فباطل، وذلك لأن نسبة القول بأن واصل أخذ الكلام عن أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية – المتوفى سنة ٩٨أو٩٩هـ–(٢) قول يحتاج إلى إثبات فهذه الأخبار قد جاءت من طرف المعتزلة لإثبات صحة مذهبهم، فمثلاً القاضي عبد الجبار يذكر تتلمذ واصل على يد محمد بن الحنفية و أبنه أبوهاشم ،غير أن المدقق في تاريخ وفاة محمد بن الحنفية وولادة واصل بن عطاء يجد أن محمد بن الحنفية قد توفي في السنة – ٨١هـ–(٣) التي ولد فيها واصل فكيف يكون قد تتلمذ على يديه فإذا بطل الشق الأول من هذه الدعوى بطل الشق الآخر لثبوت كذب الناقل، وكيف يأخذ واصل من أبي هاشم نفي الصفات عنه وعمره لا يتجاوز السبعة أعوام ، ولو صح ما يقولون– وهذا على سبيل المعارضة– فإن مذهب واصل في نفي الصفات بالكلية يكون هو الصحيح ومذهب الشيعة في عينية الصفات للذات هو الباطل، أو كلا المذهبين هو باطل ، الأخير هو الصحيح إذ لا يعقل ذات ليس لها صفات.

ثالثاً: أما ما يذكرونه من أن العقل دل المعتزلة على تلك العقائد ، والشيعة تأخذ بما يقوله العقل، فقد ثبت اختلال عقول المعتزلة في فهم العلاقة بين الصفات والذات أدت بهم إلى الوصول إلى خمسة أقوال في ذلك وتشتتوا بسببها واضمحلت أفكارهم بسبب ترك كتاب الله وسنة رسوله واتباع هوى العقل ، وكذلك ثبت اضطراب عقول الشيعة في فهم الصفات في القديم والحديث ، فدل ذلك كله على أن كل عقل يخالف كتاب الله وسنة رسوله ﷺ هو عقل زائغ عن الحق متعب لهواه متناقض في نفسه.

لكل ما سبق يتبين أنه ليس لدى الشيعة دليل واحد صحيح يفند حقيقة تلقي معتقدهم من المعتزلة، فليس لديهم سوى الكذب والتدليس في حديثهم عن العلاقة بينهم وبين المعتزلة أو الحديث عن تلك الموروثات من الروايات المتضاربة التي صاغها شيوخ الشيعة المتأخرين من أراء وأفكار المعتزلة العقلية، ليقولوا أنهم توصلوا إلى نفي الصفات من خلالها لا من خلال المعتزلة.

---

(١) تأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة: عبد اللطيف عبد القادر الحفظي ص٣٩٩.

(٢) انظر: الأعلام للزركلي ، ١١٦/٤.

(٣) المصدر السابق : ٢٧٠/٦.

الباب الثالث
مصادر الشيعة الاثنا عشرية في نفي الصفات الإلهية

الفصل الأول: **المصدر الأول الكتاب**

المبحث الأول: معتقد الشيعة في الكتاب.

المبحث الثاني: تأويل الشيعة لنصوص الصفات.

المبحث الثالث: أمثلة على موقف الشيعة من الصفات الواردة في الكتاب.

الفصل الثاني:**المصدر الثاني السنة**

المبحث الأول: تعريف السنة عند الشيعة الاثنا عشرية.

المبحث الثاني : موقف الشيعة من السنة عند أهل السنة والجماعة.

الفصل الثالث: **المصدر الثالث العقل**

المبحث الأول: منزلة العقل عند الشيعة.

المبحث الثاني: رد النقل عند تعارضه مع العقل.

الفصل الأول
المصدر الأول الكتاب

المبحث الأول: معتقد الشيعة في القرآن الكريم

المطلب الأول : جمع القرآن الكريم بمفهوم الاثنا عشرية.

المطلب الثاني: عقيدة تحريف القرآن الكريم عند الاثنا عشرية.

المطلب الثالث: حجية القرآن عند الاثنا عشرية.

المبحث الثاني: تأويل الشيعة لنصوص الصفات

المطلب الأول : التأويل في اللغة واصطلاح السلف.

المطلب الثاني: التأويل عند الاثنا عشرية.

المبحث الثالث: أمثلة على موقف الشيعة من الصفات الواردة في الكتاب

المطلب الأول: صفة اليد.

المطلب الثاني: صفة الاستواء.

المطلب الثالث: صفة الوجه.

المبحث الأول
معتقد الشيعة في الكتاب

تمهيد:

أولاً: القرآن الكريم في اللغة واصطلاح أهل السنة:

١. القرآن في اللغة:

القرآن من مادة قرأ ، ومنه قرأت الشيء قرآناً وقرأت الكتاب قراءة وقرآناً: أي جمعته وضممت بعضه إلى بعض، فمعناه الجمع والضم، ومنه سمي القرآن؛ لأنه يجمع السور فيضمها ، وقوله تعالى ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ [القيامة:١٧] أي تأليف بعضه إلى بعض[١]

والقرآن اسم علم لكتاب الله، غير مشتق كالتوراة والإنجيل كما حُكي عن الإمام الشافعي رحمه الله[٢].

٢. القرآن في الاصطلاح:

القرآن الكريم هو اسم لكلام الله تعالى المنزل على عبده ورسوله محمد ﷺ ،وهو اسم لكتاب الله خاصة [٣].

عرفه السيوطي[٤] بقوله:" وأما في العرف فهو الكلام المنزل على محمد ﷺ للإعجاز بسورة منه، فخرج بالمنزل على محمد ﷺ: التوراة والإنجيل وسائر الكتب ، وبالإعجاز: الأحاديث الربانية والقدسية كحديث الصحيحين" أنا عند ظن عبدي بي ....إلى آخر الحديث "[٥] وغيره...، وقولنا بسورة منه: هو

---

(١) انظر: الصحاح في اللغة: إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ، الناشر: دار العلم للملايين ، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، مادة قرأ، ٦٥/١، ولسان العرب: ابن منظور، ١٢٨/١.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: لأبي عبد الله القرطبي ، ٢٩٨/٢.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن : القرطبي ، ٢٩٨/٢، و مجاز القرآن : لأبي عبيدة معمر المثنى التيمي،، تحقيق محد فؤاد سركين ، دار الفكر ، الطبعة الثانية، ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م، ١/١ -٣، الكليات في معجم المصطلحات والفروق اللغوية:أبو البقاء بن الحسين الكفوي، تعليق : عدنان درويش و محمد المصري، الطبعة الثانية ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ص ٧٢٠ .

(٤) السيوطي: هو عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن سابق الدين الخضيري السيوطي، جلال الدين: إمام حافظ مؤرخ أديب، نشأ في القاهرة يتيما ولما بلغ أربعين سنة اعتزل الناس، وخلا بنفسه في روضة المقياس، على النيل، منزويا عن أصحابه جميعا، كأنه لا يعرف أحدا منهم، فألف أكثر كتبه له نحو ٦٠٠ مصنف منها: الاتقان في علوم القرآن ، الأشباه والنظائر، التحبير لعلم التفسير ، تفسير الجلالين ، تدريب الراوي.(انظر: الأعلام ، للزركلي ، ٣٠٢/٣).

(٥) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب التوحيد، باب: ما يذكر في الذات والنعوت وأسامي الله ، حديث رقم:(٧٤٠٥) ، ورواه مسلم في صحيحه: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب الحث على ذكر الله، حديث رقم: (٢٦٧٥).

بيان لأصل ما وقع به الإعجاز وهو قدر سورة الكوثر أو ثلاث آيات من غيرها بخلاف من دونها.ثم قال وزاد بعض المتأخرين في الحد " المتعبد بتلاوته ، ليخرج المنسوخ تلاوته"[١]

ولما ظهر الخوض في صفات الله تعالى وفي كلام الله خاصة من قبل الجهمية والمعتزلة، احتاج أهل السنة إلى تعريف القرآن تعريفاً يظهرون فيه معتقدهم في صفات الله تعالى عامة، وفي صفة الكلام خاصة، مخالفين بذلك أهل البدع من الجهمية والمعتزلة والشيعة[٢] .

فقال أبو جعفر الطحاوي رحمه الله:" إن القرآن كلام الله، منه بدأ بلا كيفية قولاً، وأنزله على رسوله وحياً، وصدقه المؤمنون على ذلك حقاً، وأيقنوا أنه كلام الله بالحقيقة ليس بمخلوق ككلام البرية فمن سمعه فزعم أنه كلام بشر فقد كفر"[٣].

ثانياً: جمع القرآن وحفظه.

بلغت عناية الرسول ﷺ بالقرآن عناية فائقة، فقد كان لنبي ﷺ كُتاب للوحي من أجلاءّ الصحابة، فيهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وزيد بن ثابت وأبي بن كعب وخالد بن الوليد ، ومعاوية ، وثابت بن قيس رضي الله عنهم [٤] ، يملي عليهم ما ينزل عليه من الوحي ويسمعه منهم ويراجعه ويرشدهم إلى مواضعه من السور، فهذا زيد بن ثابت رضي الله عنه أحد كتاب الوحي يتحدث عن ذلك فيقول: كنت أكتب الوحي لرسول الله ﷺ، وكان إذا نزل عليه الوحي أخذته برحاء شديدة، وعرق عرقاً شديداً... فكنت أدخل عليه بقطعة الكتف، أو كسرة ، فأكتب وهو يملي علي... فإذا فرغت، قال: اقرأ، فأقرؤه، فإن كان فيه سقط أقامه ، ثم أخرج به إلى الناس" [٥] ، وكانﷺ يحض الصحابة على تعلم القرآن وتعليمه، أخرج البخاري في صحيحه عن عثمان بن عفان عن النبي قال:" خيركم من تعلم القرآن وعلمه "[٦] ، بل إنه من شدة عنايته ﷺ بالقرآن كان يقصر الكتابة على القرآن لكي لا يختلط القرآن بغيره من سنته ﷺ، فتخرج على

---

(١) التحبير في علم التفسير ، جلال الدين السيوطي، تحقيق عبد القادر فريد، الطبعة الأولى، الناشر: دار العلوم للطباعة والنشر ، الرياض السعودية ١٤٠٢٥– ١٩٨٢، ص ٣٩ –٤٠، وانظر تفصيل هذه المسألة في كتاب : إعجاز القرآن: للباقلاني، تحقيق أحمد صقر، الطبعة الثانية، الناشر: دار المعارف ١٩٧١م ، ص ٢٥٤ – ٢٥٨.

(٢) منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة:عثمان علي حسن ، مكتبة الرشيد، بيروت، ١٤١٥هـ،٥٥/١.

(٣) شرح الطحاوية في العقيدة السلفية: ابن أبي العز الحنفي، ص ١٠٤.

(٤) انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزرقاني، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، الناشر: دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، ٢٤٦/١-٢٤٩، وانظر لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير:محمد لطفي الصباغ ، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، ص١٠٢-١٠٣.

(٥) المعجم الأوسط : للحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق : قسم التحقيقي بدار الحرمين، الناشر: دار الحرمين للطباعو والنشروالتوزيع، ١٤١٥هـ–١٩٩٥م، حديث رقم:(١٩١٣)، ٢٥٧/٢، قال أبو بكر الهيثمي الرواية صحيحة رجالها كلهم ثقات، (انظر: الزوائد ومنبع الفوائد: نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤١٤هـ -١٩٩٤م، بيروت لبنان، باب عرض الكتاب بعد إملائه، حديث رقم: ٦٨٤، ٣٨١/١-٣٨٢).

(٦) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه، حديث رقم: (٥٠٢٧).

يديه ﷺ المئات من حفظة كتابه العظيم ، والعشرات من كُتّاب الوحي[1] ، ولقد تعاهد الصحابة رضوان الله عليهم في حفظ القرآن وتعليمه للمسلمين، فلما استحر القتل في حفظة كتاب الله تعالى يوم اليمامة، شرح الله صدر أبي بكر والصحابة في جمع القرآن فاجمعوا أمرهم على جمعه في مكان واحد، وهو ما يسمى بالجمع الأول[2].

روى البخاري في صحيحه عن زيد بن ثابت قال:" أرسل إليّ أبي بكر مقتل أهل اليمامة فإذا عمر جالسٌ عنده، فقال أبو بكر: إن عمر جاءني فقال إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء في كل المواطن فيذهب من القرآن كثير، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن، قال: قلت لعمر وكيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ فقال عمر: هو والله خيرٌ فلم يزل يراجعني في ذلك حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر عمر ورأيت في ذلك الذي رأى عمر، قال – زيد – وفي رواية فقال لي أبو بكر إنك رجلٌ شابٌّ عاقلٌ لا نتهمك، قد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فاجمعه قال زيدٌ فوالله لو كلفني نقل جبلٍ من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن قال كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟، فقال أبو بكر هو والله خيرٌ قال فلم يزل أبو بكر يراجعني وفي أخرى فلم يزل عمر يراجعني، حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر، قال: فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والعسب واللخاف وصدور الرجال، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع خزيمة أو مع أبي خزيمة الأنصاري، لم أجدها مع أحد غيره ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ [التوبة:١٢٨]سورة التوبة خاتمة براءة، قال فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حتى توفاه الله ثم عند حفصة بنت عمر"[3].

فقد انتهج زيد بن ثابت في جمع القرآن طريقة محكمة وضعها له أبوبكر وعمر ، بأن لا يكتفي بما حفظه في قلبه، ولا بما كتب في يده ،و لا بما سمع في أذنه . بل جعل يتتبع ويستقصي آخذاً على نفسه أن يعتمد في جمعه على مصدرين اثنين: أحدهما: ما كتب بين يدي رسول الله ﷺ ، والثاني: ما كان محفوظاً في صدور الرجال. ومن شدة حيطته لم يقبل شيئاً مكتوباً حتى يشهد على ذلك شاهدان عدلان أنه كتبه بين يدي رسول الله ﷺ[4] .

فكان أبو بكر أول من جمع القرآن بهذه الصفة في المصحف وإن وجدت مصاحف أخرى فردية عند بعض الصحابة فلم تكن بذلك التحري والدقة التي جمع فيها القرآن[5].

---

(١) انظر: لمحات في علوم القرآن ، محمد لطفي الصباغ ، ص١٠٢-١٠٣.

(٢) انظر: كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين النهدي ، ضبط الشيخ بكري حياني و تصحيح الشيخ صفوة السقا ، الناشر: مؤسسة الرسالة، ٥٧٢/٢ -٥٧٣، منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة :عثمان علي حسن ،٥٥/١.

(٣) رواه البخاري في صحيحه: كتاب التفسير، باب قوله :[لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ]، حديث رقم: (٤٦٧٩).

(٤) انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، للزرقاني، ١-٢٥٢.

(٥) انظر: الصدر السابق ، ١-٢٥٣.

ولما ظهر الخلاف في عهد الخليفة عثمان بن عفان ﷺ بين بعض المسلمين بسبب الاختلاف في الأحرف التي يقرأ بها، أجمع الصحابة على جمع القرآن في مصحف واحد وهو حرف قريش، وأحرقوا ما دونه من المصاحف ، حتى لا يختلف المسلمون في قراءة القرآن، وقد قام بهذا العمل الكبير أربعة من حفاظ القرآن وهم : زيد بن ثابت ، وعبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث، فقد كانوا لا يكتبون شيئاً إلا بعد عرضه على الصحابة ، ويقره الجميع على هذا النحو الذي يعرض الآن في المصاحف بعد نقلها إلينا خلفاً عن سلف عن طريق التواتر القطعي الذي يفيد اليقين"(١) .

روى البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك قال: إن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف، ثم نردها إليك، فأرسلت بها إليه، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الله بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة، فأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سوى ذلك من القرآن في كل صحيفة أو مصحفٍ أن يحرق"(٢) .

وهكذا حفظ كتاب الله تعالى على يد الشيخين الجليلين، أبي بكر وعثمان، وهو مما يعد في مناقبهما(٣).

ولقد تواتر عند أهل السنة والجماعة أن القرآن الذي بأيديهم والذي جمعه أبو بكر، ومن ثم عثمان، هو القرآن الذي أنزله الله تعالى على محمد من دون تحريف بزيادة أو نقصان.

قال الإمام البغوي(٤) رحمه الله:" إن الصحابة جمعوا بين الدفتين القرآن الذي أنزله الله على رسول الله من غير أن زادوا فيه أو نقصوا منه شيئاً ... فأمر الخليفة الصديق بجمعه في موضع واحد باتفاق من جميعهم ، فكتبوه كما سمعوا من رسول الله من غير أن قدموا شيئاً أو أخروا ، أو وضعوا له ترتيب لم يأخذوه من رسول الله فقد كان صلوات الله وسلامه عليه يلقن أصحابه ويعلمهم ما ينزل عليه من القرآن على الترتيب الذي هو الآن في مصاحفنا بتوقف من جبريل إياه على ذلك ، وإعلامه عند نزول كل

---

(١) انظر: الإتقان في علوم القرآن :السيوطي ، ١/١٦٥.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، حديث رقم:(٤٩٨٧)

(٣) انظر: منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة:عثمان بن على حسن، ١/٦٥، وانظر: البرهان في علوم القرآن : بدر الدين محمد عبد الله الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى الحلبي ، الطبعة الثانية ، مصر ١٣٩١-١٩٧٢م، ١/٢٣٩-٢٤٠.

(٤) البغوي: هوالحسين بن مسعود بن محمد، الفراء،أو ابن الفراء، أبو محمد، ويلقب بمحيي السنة، البغوي، فقيه ، محدث ، مفسر، نسبته إلى بغا من قرى خراسان ولد سنة ٤٣٦هـ توفي بمرو الروذ سنة٥١٠هـ، بين هراة ومرو. له تصانيف عدة ، التهذيب ، شرح السنة، ولباب التأويل في معالم التنزيل، و مصابيح السنة، وغير ذلك.(انظر: الأعلام، الزركلي، ٢/٢٥٩).

آية أن هذه الآية تكتب عقيب آية كذا في سورة كذا ... ومن ثم جمع عثمان له على حرف قريش خشية الاختلاف والشقاق في كتاب الله تعالى بحضرة ملأ غفير من الصحابة الكرام ... فقد كان هذا الاتفاق من الصحابة سبباً لبقاء القرآن في الأمة رحمة من الله على عباده ، وتحقيقاً لوعده في حفظه كما قال تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر:٩] ..."(١).

ثالثاً: سلامة القرآن الكريم من التحريف.

كما ذكرنا سابقاً بأن أهل السنة والمسلمين جميعاً مجمعون بأن القرآن الكريم هو ما بين الدفتين، مما هو في أيدي الناس اليوم هو الذي أنزله الله تعالى على رسوله ﷺ ، وهو على ما كان عليه لا زيادة ولا نقصاً، ورد إلينا بنقل الكافة التي لا تقع تحت الحصر ولا عد عن مثلها حفظاً وكتابة، ولم يختلف في عصر من العصور عما في غيره، فهو محفوظ لحفظ الله له، قال تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر:٩]، وقال سبحانه وتعالى ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصِّلت:٤٢]، وهذه العقيدة عند أهل السنة من الشهرة والتواتر بحيث أنها لا تحتاج إلى من يقيم أدلة عليها،، بل إن المسلمين قد أجمعوا على تكفير من جحد من القرآن سورة أو آية أو كلمة أو حرف(٢).

وأقوال علماء أهل السنة في ذلك كثيرة نذكر منها:

يقول ابن قدامة المقدسي(٣):" لا خلاف بين المسلمين في أن من جحد من القرآن سورة أو آية أو كلمة أو حرف متفقاً عليه أنه كافر"(٤).

وقال البغدادي(٥):" وأكفروا – أي أهل السنة – من زعم من الرافضة أن لا حجة اليوم في القرآن والسنة لدعواه أن الصحابة غيّروا بعض القرآن وحرّفوا بعضه"(٦).

---

(١) شرح السنة: الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، وزهير الشاويش، الطبعة الثانية ، الناشر: المكتب الإسلامي ، ١٤٠٣هـ، ٥٢١/٤-٥٢٣.

(٢) انظر : لمعة الاعتقاد : ابن قدامة المقدسي ، ص١٩، الشفاء: القاضي عياض، ص١١٠٢-١١٠٣.

(٣) ابن قدامة: هو محمد حمد بن أحمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد بن عبد الهادي، شمس الدين، أبو عبد الله، ابن قدامة المقدسي الجماعيلي الاصل، ثم الدمشقي الصالحي، ولد سنة ٧٠٥هـ وتوفي سنة ٧٤٤هـ، حافظ للحديث، عارف بالادب، من كبار الحنابلة.أخذ عن ابن تيمية والذهبي وغيرهما. وصنف ما يزيد على سبعين كتبا، ، ومات قبل بلوغ الاربعين. من كتبه: العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية، الأحكام، وغيرها.(انظر: الأعلام ، للزركلي، ٣٢٦/٥).

(٤) لمعة الاعتقاد : ابن قدامة المقدسي ، ص١٩.

(٥) البغدادي: هو عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله التميمي ، البغدادي ، الشافعي أبو منصور فقيه ، أصولي ، متكلم ، أديب، ولد ببغداد ، ونشأ بها ، وسكن نيسابور ودرس في سبعة عشر علما وتوفى بإسفرايين عام ٤٢٩هـ(انظر: سير النبلاء: الذهبي، ١٢٨/١١، و معجم المؤلفين : عمر كحالة، ٣٠٩/٥)

(٦) الفرق بين الفرق: البغدادي ، ص٣٢٧.

ويقول القاضي أبو يعلي[1]:" والقرآن ما غيّر ولا بّدل ولا نقص منه ولا زيد فيه، خلافاً للرافضة القائلين أن القرآن قد غير وبدل وخولف بين نظمه وترتيبه - ثم قال- إن القرآن جمع بمحضر من الصحابة رضي الله عنهم وأجمعوا عليه ولم ينكر منكر ولا رد أحد من الصحابة ذلك ولا طعن فيه ولو كان مغيراً مبدلاً لوجب أن ينقل عن أحد من الصحابة أنه طعن فيه ، لأن مثل هذا لا يجوز أن ينكتم في مستقر العادة .. ولانه لو كان مغيراً ومبدلاً لوجب على علي رضي الله عنه أن يبينه ويصلحه ويبين للناس بياناً عاماً أنه أصلح ما كان مغيراً فلما لم يفعل ذلك بل كان يقرأه ويستعمله دل على أنه غير مبدل ولا مغير"[2].

ويقول ابن حزم:" القول بأن بين اللوحين تبديلا كفر صريح وتكذيب لرسول الله ﷺ "[3]، وفي جوابه على احتجاج النصارى بدعوى الاثنا عشرية تحريف القرآن قال ابن حزم:" وأما قولهم في دعوى الروافض تبديل القرآن فإن الروافض ليسوا من المسلمين"[4]

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية:" وكذلك من زعم منهم أن القرآن نقص منه آيات وكتمت ، أو زعم أن له تأويلات باطنه تسقط الأعمال المشروعة ونحو ذلك ...،وهؤلاء لا خلاف في كفرهم"[5].

هذا موقف أهل السنة ممن ادعى وقوع التحريف في القرآن ولو لحرف واحد فيه، فما هو معتقد الاثنا عشرية في كتاب الله، وما هو موقفهم من سلامة نصوص القرآن، وموقفهم ممن ادعى وقوع التحريف؟.

عزَّ على الاثنا عشرية أن يخلو القرآن الكريم من نصوص ظاهرة صريحة تؤيد ما ذهبوا إليه من عقائد زائغة عن الحق، فلم يكتفوا بالتأويلات الفاسدة للآيات وتحريفها عن ما أنزلت عليه، بل أقدموا على جريمة مدبرة ، فطعنوا في الصحابة الكرام، وعلى الأخص الخلفاء الراشدين الثلاثة رضي الله عنهم ورأوا أنهم اغتصبوا حق علي ؓ في الإمامة وأنهم خانوا الله ورسوله، فكان من ردود أهل السنة عليهم بأن أبا بكر والصحابة قد جمعوا القرآن الكريم ومن طعن فيهم فقد طعن في القرآن الكريم لأن سلامة المنقول من سلامة الناقل، وكذلك عدم ورود أي ذكر في القرآن الكريم ولو آية واحدة تنص فيها على

---

(١) القاضي أبو يعلى: محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء، أبو يعلى: عالم عصره في الأصول والفروع وأنواع الفنون.من أهل بغداد ولد عام ٣٨٠هـ وتوفي سنة: ٤٥٨هـ .ارتفعت مكانته عند لقادر والقائم العباسيين. وولاه القائم قضاء دار الخلافة والحريم، وحران وحلوان، وكان قد امتنع، واشترط أن لا يحضر أيام المواكب، ولا يخرج في الاستقبالات ولا يقصد دار السلطان، فقبل القائم شرطه. له تصانيف كثيرة، منها: الإيمان ، أحكام القرآن ، الكفاية في أصول الفقه.(انظر: الأعلام ، الزركلي، ٦/١٠٠).

(٢) المعتمد في أصول الدين: القاضي أبو يعلى محمد بن الحسن بن محمد بن خلف الفراء الحنبلي، تحقيق: د.وديع زيدان حداد، الناشر: دار المشرق، بيروت – لبنان، ١٩٨٦م، ص٢٥٨.

(٣) الفصل في الملل والنحل: ابن حزم، ٥/٤٠.

(٤) المصدر السابق : ٢/٢١٣.

(٥) الصارم المسلول على شاتم الرسول : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: محمد عبد الله عمر الحلواني، ومحمد كبير شودري، الناشر: دار ابن حزم، الطبعة الأولى، بيروت ، ١٤١٧هـ، ص ٥٩٠.

فرض الإمامة وأنها في أشخاص معينين، فذهب الشيعة إلى القول بتحريف القرآن الكريم، وزعموا أن أبا بكر وعمر وغيرهما من الصحابة رضي الله عنهم قد حذفوا منه ما يخص الإمامة وأهل البيت، وذم قبائل من قريش من أعداء أهل البيت ووضعوا المئات من الروايات ونسبوها إلى أئمة أل البيت تـدلل علـى وقوع التحريف في القرآن، وجعلوا أخبارها من المتواتر عن الأئمة[(١)].

هذا معتقد الاثنا عشرية في كتاب الله بشكل عام، ولكي يتضح معتقدهم على وجه الخصوص دون لبس أو غموض[(٢)]، فإننا سنعرض لمعتقدهم في كتاب الله من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول: جمع القرآن الكريم بمفهوم الاثنا عشرية.

المطلب الثاني: عقيدة تحريف القرآن الكريم عند الاثنا عشرية.

المطلب الثالث: حجية القرآن عند الاثنا عشرية.

---

(١) انظر: الشيعة وتحرف القرآن: محمد مال الله ، ص٦٣.

(٢) قام بعض الباحثين في خضم حديثه عن معتقد الاثنا عشرية في الكتاب بتقسيم الشيعة إلى فريقين ، فريق قال بالتحريف وأخر لم يقل وهذا التقسيم فيه نظر، إذ إن ما نقل عن هذه الطائفة عبر القرون يدلل بأن مقالة التحريف متغلغلة فيهم وذلـك من خلال ما ادعته كتب الرواية المعتمدة بوقوع التحريف ومن خلال أقوال علمائهم عبر العصور ومن خلال موقفهم مـن القائلين بتلك المقالة وعدم تكفيرهم لهم، ومع وجود هذه الروايات وتعاقبها فيهم عبر القرون وموقفهم من أقوال علمائهم فإنه من غير الصائب تقسيمهم إلى فريقين إذ هم فريق واحد حتى يحذفوا تلك الروايات وتلك التحريفات من كتبهم ويكـون لهـم موقف واضح من علمائهم القائلين بالتحريف، انظر مثال لتقسيم الاثنا عشرية إلى فريقين، كتاب مصادر التلقـي وأصـول الاستدلال العقدية عند الإمامية الاثنا عشرية: إيمان العلواني ، ص ٦٥ وما بعدها.

المطلب الأول: جمع القرآن الكريم بمفهوم الاثنا عشرية.

ادعت الاثنا عشرية بأن القرآن الكريم لم يجمعه إلا على بن أبي طالب ﷺ ، فهو محفوظ عنده وعند الأئمة الاثنا عشر من بعده، تناقلوه إماماً بعد إمام حتى وصل إلى الإمام الغائب الموهوم، فهو عنده محفوظ، ولن يخرج ذلك القرآن الصحيح الكامل إلا مع رجعته ،ولقد تضافرت رواياتهم وأقوال علمائهم بذكر هذه الخرافة حتى أصبحت من الأصول الثابتة، وهذه بعض من رواياتهم وأقوال علمائهم في هذه المسألة:

أفرده محمد بن حسن الصفار[١] في كتابه بصائر الدرجات باب في أن:"الأئمة عندهم جميع القرآن الذي أنزل على رسول الله"[٢]، نسب فيه إلى أبي جعفر أنه قال:" ما يستطيع أحد أن يدعي أنه جمع القرآن كله ظاهره وباطنه غير الأوصياء"[٣] ، ونسب إليه كذلك أنه قال:" ما من أحد من الناس يقول إنه جمع القرآن كله كما أنزل الله إلا كذاب، وما جمعه وما حفظه كما أنزل الله إلا علي والأئمة من بعده"[٤].

كما وأفرد الكليني في كافيه باباً بعنوان: "إنه لم يجمع القرآن كله إلا الأئمة عليهم السلام وأنهم يعلمون علمه كله"[٥]، روى فيه بسنده عن أبي جعفر عليه السلام قال:"ما ادعى أحد من الناس أنه جمع القرآن كله كما أنزل إلا كذاب، وما جمعه وحفظه كما نزله الله تعالى إلا علي بن أبي طالب عليه السلام والائمة من بعده عليهم السلام" [٦].

وروى عن أبي جعفر أن النبي أوصى علي عندما أتته الوفاة فقال:"... لا تخرج ثلاثة أيام حتى تؤلف القرآن كتاب الله ؛ كيلا يزيد فيه الشيطان شيئاً ، ولا ينقص منه شيئاً ، فإنك في ضد سنة وصي سليمان " فلم يضع علي رداءه على ظهره حتى جمع القرآن، فلم يزد فيه الشيطان شيئاً، ولم ينقص منه شيئاً " [٧].

وجاء في مدينة معاجز الأئمة أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ قال:"إن العجب كل العجب من جهال هذه الأمة ، وضلالها وساداتها وقاداتها إلى النار، إنهم قد سمعوا رسول الله ﷺ يقول عوداً

---

(١) محمد الصفار: هو محمد بن الحسن بن فروخ الصفار، يكنى بأبي جعفر الأعر ، توفي بقم سنة ٢٩٠هـ، قال عنه النجاشي:" كان وجها في أصحابنا القميين ، ثقة ، عظيم القدر ، راجحًا ، قليل السقط في الرواية.(انظر: رجال النجاشي: ص٣٥٤، معجم المؤلفين: عمر كحالة، ٢٠٨/٩).

(٢) بصائر الدرجات: محمد بن حسن الصفار، باب في الأئمة أن عندهم جميع القرآن الذي أنزل على رسول الله، حديث رقم:١، تحقيق ميرزا حسن كوجه ياغي، الناشر: منشورات الأعلمي، طهران ، ١٤٠٤هـ.، ص٢١٣.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق نفسه.

(٥) أصول الكافي: الكليني، ٢٢٨/١-٢٢٩.

(٦) المصدر السابق: كتاب الحجة، باب إنه لم يجمع القرآن كله إلا الأئمة –عليهم السلام– وإنهم يعلمون علمه كله ، حديث رقم:١، ٢٢٨/١، قال المجلسي في تخريجه لهذا الحديث هذا حديث مختلف فيه...ثم قال: والأخبار من طريق الخاصة والعامة في النقص والتغيير متواترة، (انظر: مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول: المجلسي، ٣١/٣).

(٧) تفسير الفرات الكوفي، ص٣٩٨-٣٩٩ ، تحقيق محمد الكاظم، الناشر: المطبعة التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد ، طهران، ١٤١٠هـ، وانظر :بحار الأنوار: المجلسي، ٢٤٩/٢٣-٢٥٠.

وبدءاً: ما ولت أمة قط أمرها رجلاً وفيهم أعلم منه إلا لم يزل أمرهم يذهب سفالا حتى يرجعوا إلى ما تركوا فولوا أمرهم قبلي ثلاثة رهط ما منهم رجل جمع القرآن ، ولا يدعي أن له علماً بكتاب الله ولا سنة نبيه ﷺ، ..."[1].

وروى الطوسي بسنده عن أبي ذر الغفاري أنه قال:" لما توفي رسول الله ﷺ، جمع علي -عليه السلام- القرآن وجاء به إلى المهاجرين والأنصار وعرضه عليهم، كما قد أوصاه بذلك رسول الله ﷺ ، فلما فتحه أبو بكر، خرج في أول صفحة فتحها فضائح القوم، فوثب عمر وقال: يا علي اردده فلا حاجة لنا فيه..."[2].

كما وتروي لنا كتب الاثنا عشرية عن مكان وجود القرآن الذي جمعه علي ﷺ وعن سبب قراءتهم للقرآن الذي جمعه أبوبكر وعثمان رضي الله عنهما:

فيروي لنا صاحب بصائر الدرجات بسنده أن:" رجلاً قرأ على أبى عبد الله عليه السلام، وأنا اسمع حروفا من القرآن ليس على ما يقرأها الناس، فقال أبو عبد الله عليه السلام مه مه كف عن هذه القراءة، إقرأ كما يقرأ الناس حتى يقوم القائم، فإذا قام فقرأ كتاب الله على حده وأخرج المصحف الذي كتبه علي عليه السلام، وقال أخرجه علي عليه السلام إلى الناس حيث فرغ منه وكتبه فقال لهم: هذا كتاب الله كما انزل الله على محمد وقد جمعته بين اللوحين، قالوا: هو ذا عندنا مصحف جامع فيه القرآن لا حاجة لنا فيه، قال أما والله لا ترونه بعد يومكم هذا أبدا، إنما كان عليَّ إن أخبركم به حين جمعته لتقرؤه"[3]

ويروي لنا شيخ الشيعة المفيد عن أبي جعفر قال:"إذا قام قائم آل محمد ضرب فساطيط يعلم فيها القرآن على ما أنزل فأصعب ما يكون على من حفظه اليوم، لأنه يخالف فيه التأليف"[4].

وقد ذهب علماء الشيعة إلى تقرير رواياتهم ، فيقول المفيد : إن الخبر قد صحَّ عن أئمتنا عليهم السلام أنهم قد أمروا بقراءة ما بين الدفتين وأن لا نتعداه إلى زيادة فيه ولا إلى نقصان منه إلى أن يقوم القائم عليه السلام فيقرئ الناس على ما أنزل الله تعالى وجمعه أمير المؤمنين عليه السلام"[5].

ويقول نعمة الله الجزائري:" روي في الأخبار أنهم عليهم السلام أمروا شيعتهم بقراءة هذا الموجود من القرآن في الصلاة وغيرها، والعمل بأحكامه حتى يظهر مولانا صاحب الزمان، فيرتفع هذا

---

(١) مدينة معاجز الأئمة الاثنا عشر ودلائل الحجج على البشر: هاشم البحراني ، ٨٧/٢، تحقيق مؤسسة المعارف الإسلامية ، الطبعة الأولى ، قم – إيران ، ١٤١٣هـ.

(٢) بحار الأنوار: المجلسي، باب ما جاء في كيفية جمع القرآن وما يدل على تغييره، حديث رقم: ٤٢/٨٩-٤٣.

(٣) بصائر الدرجات: محمد الصفار، باب في الأئمة أن عندهم جميع القرآن الذي أنزل على رسول الله ، حديث رقم:١، ص٢١٩.

(٤) الإرشاد : الشيخ المفيد ، ص٣٦٥ الطبعة الثالثة ،مؤسسة الأعلمي ، بيروت ١٩٧٩م

(٥) المسائل السروية: الشيخ المفيد ، تحقيق: صائب عبد الحميد، الناشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ١٤١٤هـ -١٩٩٣م، ص ٧٨- ٨١ .

القرآن من أيدي الناس الى السماء ويخرج القرآن الذي ألفه أمير المؤمنين عليه السلام فيقرأ ويعمل بأحكامه" [1] .

هذا بخصوص رواياتهم أما عن أقوال علمائهم:

فيقول شيخ الشيعة المفيد إجابة لسؤال وجه إليه بخصوص جمع القرآن وحفظه بأنه:" لا شك أن الذي بين الدفتين من القرآن جميعه كلام الله تعالى وتنزيله ، وليس فيه شيء من كلام البشر ، وهو جمهور المنزل . والباقي مما أنزله الله تعالى عند المستحفظ للشريعة المستودع للأحكام الذي لم يضع منه شيء ، وإن كان الذي جمع ما بين الدفتين الآن لم يجعله في جملة ما جمع لأسباب دعته إلى ذلك ، منها : قصوره عن معرفة بعضه ، ومنها شكه فيه وعدم تيقنه ، ومنها ما تعمد إخراجه منه .وقد جمع أمير المؤمنين القرآن المنزل من أوله إلى آخره ، وألفه بحسب ما وجب من تأليفه ، فقدم المؤمنين المكي على المدني ، والمنسوخ على الناسخ ، ووضع كل شيء منه في محله.."[2]

ويقول أبو الحسن العاملي[3]:" إن أخبارهم – أي أهل السنة في جمع القرآن– في هذه الحكاية كثيرة جدًا ، وفيها اختلافات عديدة بحيث لا يمكن جمعها، نعم يستفاد منها جميعًا كما يظهر على الفَطِن المتأمل فيما ذكرناه أنَّ القرآن الذي بأيدينا ليس من جمع النبي ﷺ، بل إنَّ الذي تصدى لجمعه أبو بكر ثم عمر ثم عثمان، وأنه الذي أتم جمعه، ورتبه ترتيبه الموجود ، وأنَّ ذلك كان على يد زيدٍ بن ثابت ، الذي في أخبارنا أنهما كلفاه تأليف القرآن على وفق إرادتهما من إسقاط بعضه ، إلا أنهم لم يذكروا في ذلك السبب الذي ورد في أخبارنا ، بل لفقوا لذلك أعذارًا أخر كما هو دأبهم ، ويؤيد ذلك ما يستفاد منها أيضًا من أنهم لم يدخلوا عليًا في ذلك أصلاً ، وأنهم محوا سائر المصاحف ، وكذا يؤيد ذلك عدم التفاتهم إلى ما أخبرهم به علي عليه السلام من جمعه القرآن بعد النبي ﷺ "[4]

ويذكر المجلسي بأنه ليس من المعقول أن يكون جمع القرآن صحيحاً إذا خلا منه المعصوم فيقول:" و الأخبار من طريق الخاصة والعامة في النقص والتغيير متواترة، و العقل يحكم بأنه إذ كان القرآن متفرقا منتشرا عند الناس، و تصدي غير المعصوم لجمعه يمتنع عادة أن يكون جمعه كاملا موافقا

---

(١) الأنوار النعمانية: نعمة الله الجزائري ، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، الطبعة الرابعة ، بيروت ، ١٤٠٤هـ ، ٦٠/٢

(٢) المسائل السرورية: المفيد ، ص ٧٩.

(٣) أبوالحسن العاملي: هو أبو الحسن بن محمد بن طاهر بن عبد الحميد بن موسى بن علي بن معتوق بن عبد الحميد الفتوني النباطي العاملي الأصبهاني، مات سنة ١١٣٨ هـ. من أجلاء علماء الشيعة الأعاظم، وصفته الشيعة بأنه عالم عامل، فاضل ، أكمل الربانين ورئيس المحدثين في زمانه.(انظر: تلامذة المجلسي، أحمد الحسيني، ص١٢-١٤، والفوائد الرجالية: محمد مهدي بحر العلوم،٣١١/١).

(٤) تفسير مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار: أبو الحسن العاملي ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، الطبعة الأولى ، بيروت ، ١٤١٩هـ، ص٧٠.

للواقع، لكن لا ريب في أن الناس مكلفون بالعمل بما في المصاحف و تلاوته حتى يظهر القائم عليه السلام"[1].

وإلى ذلك ذهب الطبطبائي بقوله:" إن العقل يحكم بأنه إذا كان القرآن متفرقاً متشتتاً منتشراً عند الناس، وتصدى لجمعه غير المعصوم يمتنع عادة أن يكون جمعه كاملاً موافقاً للواقع...، إن علياً اعتزل الناس بعد رحلة النبي ﷺ ، ولم يرتد إلا للصلاة حتى جمع القرآن ثم حمله إلى الناس ، وأعلمهم أنه القرآن الذي أنزله الله على نبيه ، وقد جمعه فردوه واستغنوا عنه بما جمعه لهم زيد بن ثابت، ولو لم يكن بعض ما فيه مخالفاً لبعض ما في مصحف زيد لم يكن لحمله إليهم وإعلامهم ودعوتهم إليه وجه، وقد كان عليه السلام أعلم الناس بكتاب الله بعد نبيه ﷺ وقد أرجع الناس إليه في حديث الثقلين المتواتر، وقال في الحديث المتفق عليه:" علي مع الحق ،والحق مع علي ،وما ورد من الروايات أنه يقع في هذه الأمة ما وقع في بني إسرائيل حذو النعل بالنعل، والقذة بالقذة، وقد حرفت بنو إسرائيل كتاب نبيهم على ما يصرح به القرآن والروايات المأثورة ، فلابد أن يقع نظيره في هذه الأمة فيحرفوا كتاب ربهم وهو القرآن الكريم"[2].

الخلاصة: نستنتج مما سبق بأن:

١. الاثنا عشرية مجمعة على أن القرآن لم يجمعه إلا علي رضي الله عنه.

٢. وقوع الخلل والتحريف في القرآن لأن الذي جمع القرآن غير المعصوم، فلا يعقل أن يكون الجمع صحيحاً إذا لم يكن الإمام المعصوم ممن جمع القرآن.

٣. اختفاء القرآن الذي جمعه الإمام، تبعاً لاختفاء الإمام الغائب الموهوم.

٤. أن الأئمة أمروا الناس بالعمل بالقرآن الموجود إلى أن يخرج إمامهم الثاني عشر –الغائب الموهوم– القرآن الحق.

---

(١) مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول :محمد باقر المجلسي ٣/٣١-٣٢.

(٢) الميزان في تفسير القرآن: الطبطبائي، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم ، ١٢/١٠٩-١١٠ .

المناقشة:

إنَّ دعوى الاثنا عشرية جمع الإمام علي ﷺ للقرآن وحده دعوى عارية عن إي دليل، بل إنها دعوى مخالفة لحفظ الله تعالى للقرآن، هذا فضلاً على ضياعه حتى يعود غائبهم الموهوم، بل إنّ أدلة النقل الصحيح والعقل الصريح والإجماع تبطلها.

ففي النقل الصريح:

روى البخاري في صحيحه عن زيد بن ثابت قال:" أرسل إليّ أبي بكر مقتل أهل اليمامة فإذا عمر جالسٌ عنده، فقال أبو بكر: إن عمر جاءني فقال إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء في كل المواطن فيذهب من القرآن كثير، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن، قال: قلت لعمر وكيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ فقال عمر: هو والله خيرٌ فلم يزل يراجعني في ذلك حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر عمر ورأيت في ذلك الذي رأى عمر، قال – زيد – وفي رواية فقال لي أبو بكر إنك رجلٌ شابٌّ عاقلٌ لا نتهمك، قد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فاجمعه قال زيدٌ فوالله لو كلفني نقل جبلٍ من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن قال كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟، فقال أبو بكر هو والله خيرٌ قال فلم يزل أبو بكر يراجعني وفي أخرى فلم يزل عمر يراجعني، حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر، قال: فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والعسب واللخاف وصدور الرجال، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع خزيمة أو مع أبي خزيمة الأنصاري، لم أجدها مع أحد غيره ﴿**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ**﴾ [التوبة:١٢٨] سورة التوبة خاتمة براءة، قال فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حتى توفاه الله ثم عند حفصة بنت عمر"(١).

وعن ابن شهاب أن ابن السباق قال: إن زيد بن ثابت قال: أرسل إلي أبو بكر رضي الله عنه، قال: إنك كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فاتبع القرآن فتتبعت حتى وجدت آخر سورة التوبة آيتين مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدهما مع أحد غيره ﴿**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ**﴾ إلى آخره"(٢).

وفي جمع عثمان ﷺ للقرآن على حرف قريش أخرج البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك قال: إن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف، ثم نردها إليك، فأرسلت بها إليه، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص

---

(١) أخرج البخاري في صحيحه: كتاب التفسير، باب قوله :[لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ]، حديث رقم: (٤٦٧٩)

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب فضائل القرآن، باب كاتب النبي صلى الله عليه وسلم، حديث رقم :(٤٩٨٩)

وعبد الله بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة، فأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سوى ذلك من القرآن في كل صحيفة أو مصحفٍ أن يحرق"(١) .

ولقد روي عن الإمام علي ﷺ بأسانيد صحيحة عدة روايات تفيد بجمع أبو بكر وعثمان للقرآن الكريم منها ما روي عن عبد خير قال سمعت علياً ﷺ يقول:" أعظم الناس أجراً في المصاحف أبو بكر ، رحمة الله على أبي بكر! هو أوّل من جمع كتاب الله"(٢)، وفي رواية أخرى قال علي ﷺ:" رحم الله أبا بكر ! هو أول من جمع القرآن بين اللوحين"(٣).

وروي عن سويد بن غفلة قال: سمعت علياً يقول:" اتقوا الله أيها الناس ، وإياكم والغلو في عثمان ، وقولكم حرَّاق المصاحف. فوا الله ما حرقها إلا عن ملأ من أصحاب محمد ﷺ، جمعنا فقال : ما تقولون في القراءة يلقي الرجلُ الرجل فيقول : قراءتي خير من قراءتك ، ويلقى الرجلُ الرجلَ فيقول :قراءتي أفضل من قراءتك ، وهذا شبيه بالكفر. قال : فقلنا : فالرأي رأيك يا أمير المؤمنين. فبعث إلى زيد بن ثابت ، وسعيد بن العاص . فقال : ليكتب أحدكما ويمل الآخر فإن اختلفتما فارفعاه إليه. فقال أحدهما: التابوت، وقال الآخر: التابوه، فرفعاه إليه. فقال: إنه التابوت. وقال علي: والله لو وليت الذي ولي لصنعت مثل الذي صنع"(٤).

فبهذه الآثار الصحيحة والتي جاء طرف منها عن الإمام علي ﷺ ترد أكاذيب الشيعة التي ترويها عن أئمة آل البيت من أنَّ الإمام علي هو الذي جمع القرآن وحده.

أما العقل الصريح:

١. من المعلوم أن رسالة محمد خاتم الرسالات وكتابه خاتم الكتب، فلا يعقل أن كون خاتم الكتب قد وقع فيه التغير والتبديل لأنه مخالف للحكمة والتقدير وللهدف الذي أنزل من أجله وهو هداية الناس(٥)، وأيضاً من غير المعقول أن يكون القرآن الصحيح مختفي تلك القرون عند غائب موهوم لا يستفاد منه.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، حديث رقم: (٤٩٨٧)

(٢) أخرجه ابن أبي داود في المصاحف، جمع أبي بكر الصديق ﷺ القرآن في المصاحف بعد رسول الله ﷺ، حديث رقم١٦، ص١٥٥.

(٣) أخرجه ابن أبي داود في المصاحف ، جمع أبي بكر الصديق ﷺ القرآن في المصاحف بعد رسول الله ﷺ ، حديث رقم:١٨، ص١٥٥، قال ابن حجر الحديث إسناده حسن، (انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر، ١٢/٩).

(٤) السنن الكبرى: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، الطبعة الأولى ، الناشر: مجلس دائرة المعارف النظامية ، ١٣٤٤هـ، باب الدليل على أن ما جمعته الصحابة كله قرآن، ٤٢/٢، حديث رقم:(٢٤٧١)، ورواه البغوي في شرح السنة ، ٥٢٤/٤-٥٢٥. والحديث إسناده حسن؛ ورجاله ثقات ما عدا عبد الحميد الحارثي ، قال عنه الذهبي : المحدث الصدوق أبوجعفر أحمد بن عبد الحميد بن خالد الحارثي الكوفي" ، (سير أعلام النبلاء: ٥٠٨/١٢).

(٥) انظر: منهج الاستدلال على مسائل الإعتقاد عند أهل السنة والجماعة: عثمان على حسن، ٧١/١.

٢. تذكر ورايات الاثنا عشرية بأن الصحابة دبروا قتل علياً فلم يقدروا على ذلك ، وقد كان مع علي كما تزعم تلك الروايات المصحف فلم لم يخرج علي ﷺ ذلك المصحف أمام الملأ ليقيم الحجة عليهم، كذلك تتابع الأئمة كما تزعم تلك الطائفة كان لعصمة الدين، أفكان ترك كتاب الله محرف يتلوه أتباع الاثنا عشرية أمام الأئمة عصمة لدين؟ هذا والله هو الضلال المبين .

٣. يذكر علماء الشيعة بأن أمير المؤمنين علي لم يستطع أن يظهر المصحف الصحيح لما فيه من إظهار الشنعة على من سبقه، أو بسبب ظروف التقية، فيقول أحد علمائهم بأنه:" لما جلس أمير المؤمنين على سرير الخلافة لم يتمكن من إظهار ذلك القرآن وإخفاء هذا ؛ لما فيه من إظهار الشنعة على من سبقه..."، فهذا فوق طعنهم في كتاب الله هو من أبلغ الطعن والقدح في علي ﷺ [(١)]، إذ كيف يخفي القرآن الحق ويقرأ ويعمل بالقرآن المحرّف ؟، وما الفائدة من جمعه وإخفائه لمئات السنين؟!.

٤. هناك عدة أسئلة تبقى محيرة لمن ادعى بأن الإمام علي هو من جمع القرآن والأئمة من بعده، وهي: أين القرآن الذي جمعه الأئمة، ولماذا تركوا الأمة حائرة تائهة عن كتابها الصحيح كما يزعمون؟ ، ولماذا يتستر الأئمة وخاصة غائبهم الموهوم طول هذه القرون على خيانة الخائن ، وتحريف المحرف ؟، وما دام الأئمة لم يظهروا القرآن الصحيح مخافة التشنيع على من سبقهم فلمَ لم يقتدوا بأئمتهم في ذلك.

كل هذه الأسئلة وغيرها تبقى لا ردود لها حقيقية يقتنع بها من له أدنى مسكة من عقل ، بل إن العقل يجزم بمجرد ذكر تلك الروايات وأقوال هؤلاء السفهاء بأنها مفتراه على علي ﷺ والأئمة من بعده، فلا حاجة للرد على مثل هؤلاء سوى أنّ تسرد تلك الخرافات وهذه الأكاذيب لكي يستبين صاحب الفطرة السليمة مدى جرم هذه الطائفة على كتاب الله وعلى صحابة رسول الله ﷺ وأئمة آل البيت رضي الله عنهم.

أما من خلال الإجماع:

فقد ظفر جمع أبي بكر للمصحف بإجماع الأمة عليه على مر العصور، وتواترت على ما فيه، ولم يطعن أحد في هذا التواتر، وكذا في جمع عثمان للمصحف، والعادة تمنع تواطؤ هذه الجموع المتكاثرة على الكذب والافتراء، والإمام علي بن أبي طالب ﷺ داخل في هذا الإجماع ، ولو قدر أنه سكت عن إظهار القرآن الصحيح تقية على حد زعمهم ، فلا يجوز له ذلك بعد أن أفضت إليه الخلافة ، وصار الأمر بيده[(٢)] .

قال الإمام البغوي رحمه الله:" إن الصحابة جمعوا بين الدفتين القرآن الذي أنزله الله على رسول الله من غير أن زادوا فيه أو نقصوا منه شيئاً ... فأمر الخليفة الصديق بجمعه في موضع واحد باتفاق من جميعهم ، فكتبوه كما سمعوا من رسول الله من غير أن قدموا شيئاً أو أخروا..."[(٣)]

---

(١) مصادر التلقي وأصول الاستدلال العقدية عند الإمامية ، إيمان صالح العلواني ، ص١٠٤.

(٢) انظر: منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة: عثمان علي حسن،٧١/١

(٣) شرح السنة: الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، وزهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية ، ١٤٠٣هـ، ٥٢١/٤-٥٢٣.

وقال الإمام الزرقاني:" جمع القرآن في صحف أو مصحف... لم يعرف لأحد قبل أبي بكر رضي الله عنه. وذلك لا ينافي أن الصحابة كانت لهم صحف أو مصاحف كتبوا فيها القرآن من قبل. لكنها لم تظفر بما ظفرت به الصحف المجموعة على عهد أبي بكر من دقة البحث والتحري ومن الاقتصار على ما لم تنسخ تلاوته ومن بلوغها حد التواتر ومن إجماع الأمة عليها ومن شمولها للأحرف السبعة كما تقدم"(١) .

كذلك نحن نسأل الشيعة أين التواتر إن كان لم يجمع القرآن إلا شخص واحد، وما عداه من الصحابة جمعوا لنا مصحفاً محرفاً ينقصه مثالب المهاجرين والأنصار؟، أما تاقت نفس أحد من الصحابة أن يتحصل على القرآن الذي عند علي والمدعين كماله(٢).

المطلب الثاني: عقيدة تحريف القرآن الكريم عند الاثنا عشرية.

تناقل الشيعة القول بتحريف القرآن الكريم جيلاً بعد جيل حتى أصبح هذا القول من المتواتر عندهم، بل من ضروريات مذهبهم، إذ لو ثبت صحة القرآن الكريم فإن ذلك يعني نسف عقيدة الإمامة بالكلية ، لذلك ألزم الاثنا عشرية أنفسهم القول بتحريف القرآن، وذهبوا في محاولات لتصحيح تحريف القرآن الكريم ليتوافق مع هوى عقولهم، فنسبوا إلى أئمة آل البيت مئات من الروايات التي تفيد بوقوع التحريف في القرآن الكريم، وآخرى نسبوا لهم فيها تصحيحهم لآيات الذكر الحكيم بالزعم أنها أنزلت هكذا، ولقد تبع هذه الروايات علماء الاثنا عشرية فأكدوا على وقوع التحريف في القرآن الكريم، ونقلوا إجماع الطائفة على ذلك، ولبيان ذلك نوضحه في التالي:

أولاً: الروايات التي تفيد بوقوع التحريف.

تنقسم روايات الشيعة التي تفيد بوقوع التحريف في القرآن الكريم إلى قسمين:

إحداها: روايات تنص على وقوع التحريف في القرآن الكريم.

ثانيها: الروايات التي تدعي تصحيح الأئمة لآيات الذكر الحكيم

١. الروايات التي تنص على وقوع التحريف في القرآن الكريم.

روى الطوسي بسند الزور والبهتان عن أبي ذر الغفاري ﷺ أنه قال :" لما توفي رسول الله ﷺ، جمع علي عليه السلام القرآن وجاء به إلى المهاجرين والأنصار وعرضه عليهم، كما قد أوصاه بذلك رسول الله ﷺ، فلما فتحه أبو بكر، خرج في أول صفحة فتحها فضائح القوم، فوثب عمر وقال: يا علي اردده فلا حاجة لنا فيه، فأخذه علي عليه السلام وانصرف، ثم أحضروا زيد بن ثابت وكان قارئا للقرآن، فقال له عمر: إن عليا جاءنا بالقرآن، وفيه فضائح المهاجرين والأنصار: وقد رأينا أن نؤلف القرآن ونسقط منه ما كان فيه فضيحة وهتك للمهاجرين والأنصار، فأجابه زيد إلى ذلك، ثمَّ قال: فإن أنا فرغت

---

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزرقاني، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، الطبعة الثانية، ٢٥٤/١.

(٢) مصادر التلقي وأصول الاستدلال العقدية عند الإمامية ، إيمان صالح العلواني، ص١٠٢-١٠٣.

من القرآن على ما سألتم، وأظهر علي القرآن الذي ألفه، أليس قد بطل ما قد عملتم؟ قال عمر: فما الحيلة؟ قال زيد أنتم أعلم بالحيلة، فقال عمر: ما حيلة دون أن نقتله ونستريح منه، فدبر في قتله على يد خالد بن الوليد، فلم يقدر على ذلك ، فلما استخلف عمر، سأل عليا عليه السلام أن يدفع إليهم القرآن فيحرفوه فيما بينهم، فقال: يا أبا الحسن إن جئت بالقرآن الذي كنت جئت به إلى أبي بكر حتى نجتمع عليه، فقال علي عليه السلام: هيهات ليس إلى ذلك سبيل، إنما جئت به إلى أبي بكر لتقوم الحجة عليكم ولا تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا ما جئتنا به، إن القرآن الذي عندي لا يمسه إلا المطهرون والأوصياء من ولدي، فقال عمر: فهل وقت لإظهاره معلوم؟ قال علي عليه السلام: نعم إذا قام القائم من ولدي يظهره ويحمل الناس عليه فتجري السنة عليه"(١).

وروى الكليني في كافيه العديد من الروايات التي تفيد بوقوع التحريف في القرآن منها: ما رواه عن جعفر الصادق أنه قال:" إن القرآن الذي جاء به جبريل عليه السلام إلى محمد ﷺ سبعة عشر ألف آية"(٢) ، ومن المعلوم أن القرآن الذي في أيدينا عدد آياته ستة ألاف ومائتان وثلاث وستون آية، وهذا يعني أن أكثر من ثلثي القرآن قد حذف وأن الموجود هو ثلث القرآن فقط.

ولقد علق المجلسي على الرواية السابقة فقال:" الحديث موثوق ، فالخبر صحيح ولا يخفى أنَّ هذا الخبر وكثير من الأخبار صريحة في نقص القرآن وتغييره، وعندي أن هذه الأخبار في هذا الباب متواترة معنى وطرحها جميعها يوجب رفع الاعتماد عن الأخبار رأساً ، بل ظني أنَّ الأخبار في هذا الباب لا يقصر عن أخبار الإمامة؛ فكيف يثبتونها بالخبر!"(٣).

وكذلك نسب الكليني إلى الإمام علي رضي الله عنه أنه قال:" نزل القرآن أثلاثاً: ثلث فينا وفي عدونا، وثلث سنن وأمثال ، وثلث فرائض وأحكام"(٤). ومن المعلوم أن القرآن الذي يتلوه المسلمون ليس كذلك.

ووزعم الكليني أن هناك مصحف آخر أسمه مصحف فاطمة، فقد روى عن أبي عبد الله: أنه قال ظهر الزنادقة في سنة ثمان وعشرين ومائة وذلك أني نظرت في مصحف فاطمة عليها السلام، قال: قلت: وما مصحف فاطمة؟ قال: إن الله تعالى لما قبض نبيه صلى الله عليه وآله دخل على فاطمة عليها السلام من وفاته من الحزن ما لا يعلمه إلا الله عز وجل فأرسل الله إليها ملكا يسلي غمها ويحدثها، فشكت ذلك إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: إذا أحسست بذلك وسمعت الصوت قولي لي، فأعلمته بذلك

---

(١) بحار الأنوار: المجلسي ، باب ما جاء في كيفية جمع القرآن وما يدل على تغييره، حديث رقم: ٢، ٤٣/٨٩، وانظر: الاحتجاج : الطبرسي ،ص٨١.

(٢) الكافي: الكليني، باب النوادر، حديث رقم:٢٨ ،٦٣٤/٢ قال المجلسي الحديث موثوق (مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول ، المجلسي، ٥٢٥/١٢).

(٣) بحار الأنوار: المجلسي، ٦٠/٨٩-٦٦.

(٤) الكافي: الكليني، باب النوادر، حديث رقم : ٢، ٦٢٧/٢، قال المجلسي: الحديث مجهول(مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول ، المجلسي، ٥١٧/١٢).

فجعل أمير المؤمنين عليه السلام يكتب كلما سمع حتى أثبت من ذلك مصحفا قال: ثم قال: أما إنه ليس فيه شيء من الحلال والحرام ولكن فيه علم ما يكون" [١].

وروى الكليني أن جعفر الصادق قال عن مصحف فاطمة عليها السلام:" مصحف فاطمة فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات ، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد "[٢]

كما وزعم كذلك أن آية ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ [المعارج:١]نزلت في مصحف فاطمة هكذا:" سأل سائل بعذاب واقع للكافرين (بولاية علي) ليس له دافع من الله ذي المعارج"، فقال راوي الرواية: قلت: جعلت فداك إنا لا نقرؤها هكذا، فقال: هكذا والله نزل بها جبرئيل على محمد ﷺ وهكذا هو والله مثبت في مصحف فاطمة عليها السلام"[٣].

وعقد المجلسي في بحاره فصلاً سماه" التحريف في الآيات التي هي خلاف ما أنزل الله ﷻ" [٤] وأتبعه بفصل آخر أسماه" باب تأليف القرآن ، وأنه على غير ما أنزل الله ﷻ" [٥] ، جمع فيهما جل الروايات المثبتة لتحريف القرآن الكريم منها: ما رواه بسنده عن الإصبغ بن نباتة، قال: سمعت عليا عليه السلام يقول:" كأني بالعجم فساطيطهم في مسجد الكوفة يعلمون الناس القرآن كما أنزل، قلت: يا أمير المؤمنين أو ليس هو كما أنزل ؟ فقال: لا، محي منه سبعون من قريش بأسمائهم وأسماء آبائهم، وما ترك أبو لهب إلا للإزراء على رسول الله ﷺ لأنه عمه"[٦]

وروى محمد بن الحسن الصفار في كتابه بصائر الدرجات، عن جابر قال، قال أبو جعفر عليه السلام دعا رسول الله أصحابه بمنى قال يا أيها الناس أنى تارك فيكم الثقلين أما إن تمسكتم بهما لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي فإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض، ثم قال أيها الناس إني تارك فيكم حرمات الله كتاب الله وعترتى والكعبة البيت الحرام ثم قال أبو جعفر عليه السلام: أمَّا كتاب الله فحرفوا، وأما الكعبة فهدموا، وأما العترة فقتلوا، وكل ودايع الله فقد تبروا"[٧]

---

(١) الكافي: الكليني ،كتاب الحجة، باب في ذكر الصحيفة و الجفر والجامعة ومصحف فاطمة عليها السلام ، حديث رقم: ٢ ، ١/ ٢٤٠، قال المجلسي: الحديث ضعيف، (مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول : المجلسي، ٥٤/٣).

(٢) المصدر السابق، باب في ذكر الصحيفة و الجفر والجامعة ومصحف فاطمة عليها السلام، ٢٩٧/١.قال المجلسي الحديث صحيح، (مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول : المجلسي، ٥٤/٣)، قلت والناظر في سند الحديث يجد أن الحديث مجهول حيث صرح الكليني بأنه روى الحديث عن عدة من أصحابه ولم يسمهم.

(٣) المصدر السابق ، باب تأسفه عليه السلام على حدوث بعض ما حدث بعد رسول ، حديث رقم: ١٨، ٥٧/٨-٥٨.قال المجلسي: الحديث ضعيف، (مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول : المجلسي، ١٢٥/٢٥).

(٤) بحار الأنوار : المجلسي، ٦٠/٨٩-٦٦.

(٥) المصدر السابق، ٦٦/٨٩-٦٧.

(٦) المصدر السابق نفسه، باب ما جاء في كيفية جمع القرآن وما يدل على تغييره، حديث رقم: ٤٦، ٦٠/٨٩، وانظر: المصدر السابق ٣٦٥/٥٢، والغيبة، ابن أبي زينب محمد بن إبراهيم النعماني، ص١٩٤.

(٧) بصائر الدرجات: محمد بن حسن الصفار، باب في قول رسول الله إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وأهل بيتي، حديث رقم:٣، ص ٤٣٢-٤٣٣.

وروى العياشي في تفسيره عدة روايات تفيد بوقوع الزيادة والنقصان في القرآن منها: ما رواه عن داود بن فرقد، عمن أخبره عن أبي عبد الله أنه قال:" لو قرأ القرآن كما أنزل لألفيتمونا فيه مسمين كما سمي من قبلنا"[1].

وروى كذلك عن ميسر، عن جعفر أنه قال:" لولا أنه زيد في كتاب الله ونقص منه ما خفي حقنا على ذي حجى ، ولو قد قام قائمنا فنطق صدقه القرآن"[2]

وفي كتاب كشف الغمة للإربلي، روى عن أبي جعفر عن أبيه عليه السلام قال:" انقطع شسع نعل رسول الله ﷺ فدفعها إلى علي يصلحها ثم مشى في نعل واحدة غلوة أو نحوها و أقبل على أصحابه فقال إن منكم من يقاتل على التأويل كما يقاتل معي على التنزيل، فقال أبو بكر أنا ذاك يا رسول الله فقال: لا، فقال عمر: فأنا، فقال لا فأمسكوا، و نظر بعضهم إلى بعض فقال رسول الله ﷺ لكنه خاصف النعل و أومأ إلى علي فإنه يقاتل على التأويل إذا تركت سنتي و نبذت و حرف كتاب الله. و تكلم في الدين من ليس له ذلك، فيقاتلهم على إحياء دين الله"[3].

وروي عن الحسن بن علي بن محمد بن جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه:" أن رسول الله نظر إلى علي وأصحابه حوله وهو مقبل، فقال ﷺ : أما إنّ فيك لشبهاً من عيسى، ولولا مخافة أن تقول فيك طوائف من أمتي ما قالت النصارى في عيسى بن مريم لقلت فيك اليوم مقالا لا تمر بملاء من الناس إلا أخذوا من تحت قدميك التراب يبتغون به البركة، فغضب من كان حوله وتشاوروا فيما بينهم، وقالوا: لم يرض محمد إلا أن يجعل ابن عمه مثلا لبني إسرائيل! فنزلت هذه الآية ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ [الزُّخرف:٥٧]. قال: قلت: لأبي عبد الله عليه السلام ليس في القرآن بنو هاشم ؟قال: محيت والله فيما محي. ولقد قال عمرو بن العاص على منبر مصر: محي من القرآن ألف حرف بألف درهم، وأعطيت مأتي ألف درهم على أن يمحى﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾[الكوثر:٣]فقالوا: لا يجوز ذلك. فكيف جاز ذلك لهم ولم يجز لي"[4] .

وعنون الكاشاني باباً في المقدمة السادسة من تفسيره بعنوان:" في نبذة مما جاء في جمع القرآن وتحريفه ونقصه وتأويله"[5] ذكر فيه العديد من الروايات منها: ما رواه عن أبي الحسن عليه السلام قال:

---

(١) تفسير العياشي: محمد بن مسعود العياشي، تحقيق: هاشم الرسولي المحلاتي، الناشر: المكتبة العلمية الإسلامية ، طهران ١/١٢-١٣.

(٢) المصدر السابق نفسه .

(٣) كشف الغمة في معرفة الأئمة: أبي الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الإربلي، الطبعة الثانية ، دار الأضواء ، بيروت – لبنان ، ١٤٠٥-١٩٨٥م، ١/٢١٠.

(٤) بحار الأنوار: المجلسي، الباب العاشر قوله تعالى: ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون، حديث: رقم ٤، ٣٥/٣١٥.

(٥) تفسير الصافي: الفيض الكاشاني، تصحيح : حسين الأعلمي، الناشر: منشورات مكتبة الصدر، طهران، ١٤١٦هـ، ١/٤٠-٥٥

قلت له: جعلت فداك إنا نسمع الآيات في القرآن ليس هي عندنا كما نسمعها ولا نحسن أن نقرأها كما بلغنا عنكم، فهل نأثم؟ فقال: لا اقرءوا كما تعلمتم فسيجيئكم من يعلمكم. أقول: يعني به صاحب الأمر عليه السلام"(١).

وبإسناده عن سالم بن سلمة قال: قرأ رجل على أبي عبد الله -عليه السلام- وأنا أستمع حروفا من القرآن ليس على ما يقرؤها الناس. فقال أبو عبد الله عليه السلام: كف عن هذه القراءة واقرأ كما يقرأ الناس حتى يقوم القائم -عليه السلام- فإذا قام قرأ كتاب الله تعالى على حده واخرج المصحف الذي كتبه علي عليه السلام، وقال: أخرجه علي عليه السلام إلى الناس حين فرغ منه وكتبه، فقال لهم هذا كتاب الله كما أنزله الله على محمد ﷺ وقد جمعته بين اللوحين فقالوا هو ذا عندنا مصحف جامع فيه القرآن لا حاجة لنا فيه، فقال: أما والله ما ترونه بعد يومكم هذا أبدا إنما كان علي أن أخبركم حين جمعته لتقرؤه"(٢).

وعن البزنطي قال: دفع أبو الحسن عليه السلام مصحفا وقال: لا تنظر فيه ففتحته وقرأت فيه ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [البيِّنة:١]فوجدت فيه اسم سبعين رجلا من قريش بأسمائهم وأسماء آبائهم. قال: فبعث إلي إبعث إلي بالمصحف"(٣).

وفي نهاية تعليقه على تلك المقدمة قال:" ولو شرحت لك كل ما أسقط وحرف وبدل مما يجري هذا المجرى لطال وظهر ما تحظر التقية إظهاره من مناقب الأولياء ومثالب الأعداء. أقول: المستفاد من مجمع هذه الأخبار وغيرها من الروايات من طريق أهل البيت عليهم السلام إن القرآن الذي بين أظهرنا ليس بتمامه كما انزل على محمد ﷺ ، منه ما هو خلاف ما أنزل الله، ومنه ما هو مغير ومحرَّف وإنه قد حذف منه أشياء كثيرة منها اسم علي عليه السلام في كثير من المواضع ومنها غير ذلك، وأنه ليس أيضا على الترتيب المرضي عند الله وعند رسوله ﷺ "(٤).

وقال أيضاً:" ويرد على هذا كله إشكال وهو أنه على هذا التقدير لم يبق لنا اعتماد على شيء من القرآن إذ على هذا يحتمل كل آية منه أن يكون محرفا ومغيرا ويكون على خلاف ما أنزل الله فلم يبق لنا في القرآن حجة أصلا فتنتفي فائدته وفائدة الأمر باتباعه والوصية بالتمسك به إلى غير ذلك، وأيضا قال الله عز وجل:﴿ لَا يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ [فصِّلت:٤٢] وقال:﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر:٩] فكيف يتطرق إليه التحريف والتغيير، وأيضا قد استفاض عن النبيﷺ والأئمة عليهم السلام حديث عرض الخبر المروي على كتاب الله ليعلم صحته بموافقته له وفساده بمخالفته فإذا كان القرآن الذي بأيدينا محرفا فما فائدة العرض مع أن خبر التحريف مخالف لكتاب الله مكذب له فيجب رده والحكم بفساده أو تأويله. ويخطر بالبال في دفع هذا الاشكال والعلم عند الله أن يقال: إن صحت هذه الأخبار فلعل التغيير إنما وقع فيما لا يخل بالمقصود كثير إخلال؛ كحذف اسم علي وآل محمد ﷺ وحذف

---

(١) المصدر السابق: ٤٠/١.

(٢) المصدر السابق نفسه: ٤٠/١-٤١.

(٣) المصدر السابق نفسه.

(٤) تفسير الصافي: الفيض الكاشاني ،٤٩/١.

أسماء المنافقين عليهم لعائن الله فإن الإنتفاع بعموم اللفظ باق، وكحذف بعض الآيات وكتمانه فان الانتفاع بالباقي باق مع أن الأوصياء كانوا يتداركون ما فاتنا منه من هذا القبيل ويدل على هذا قوله عليه السلام في حديث طلحة: إن أخذتم بما فيه نجوتم من النار ودخلتم الجنة فإن فيه حجتنا وبيان حقنا وفرض طاعتنا"(١).

هذه نماذج من الروايات التي ألَّفها الشيعة في إثبات تحريف كتاب الله ، ولو أردنا جمع تلك الروايات لاحتجنا إلى بحث آخر، فيكفينا ما ذكره عالمهم الكشاني بأن هذه الراويات من الكثرة بحيث يطول ذكرها، غير أنه هناك نوع أخر من الروايات التي تحرف كلام الله بإدعاء تصحيحه على الوجه الذي أنزل به، وهي ما سنعرض لها نماذج في النقطة التالية.

٢. الروايات التي تدعي تصحيح الأئمة لآيات الذكر الحكيم:

لم يكتفي الشيعة بما اخترعوه ونسجوه من روايات تفيد بوقوع التحريف في القرآن الكريم ، بل أقدموا على إدخال عبارات ونصوص بين الآيات ليثبتوا معتقداتهم ويؤكدوا عليها، ونسبوا إلى أئمة آل البيت أنهم قاموا بتصحيحها وزعموا أنها أنزلت هكذا قبل التحريف، فمن هذه الروايات.

أولاً: ما عنونه الكليني في أصوله باب بعنوان:" باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية"(٢)، ذكر فيه العديد من الروايات التي تفيد بهذا النوع من التحريف ، منها ما رواه:

١. عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله:" ولقد عهدنا إلى آدم من قبل" كلمات في محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة عليهم السلام من ذريتهم" فنسي"هكذا والله نزلت على محمد ﷺ(٣).

٢. عن جابر عن ابي جعفر عليه السلام قال: نزل جبرئيل عليه السلام بهذه الآية على محمد صلى الله عليه وآله هكذا:" بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله في علي بغيا"(٤).

٣. عن جابر،عن ابي جعفر عليه السلام قال: نزل جبرئيل عليه السلام بهذه الآية على محمد هكذا: " وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا في علي فأتوا بسورة من مثله"(٥) .

---

(١) المصدر السابق ، ١/٥١-٥٢.

(٢) أصول الكافي: الكليني، ٤١٣/١.

(٣) المصدر السابق، كتاب الحجة، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية ، حديث رقم : ٢٣، ٤١٧/١. قال المجلسي الحديث ضعيف، (مرآة العقول شرح أخبار آل الرسول : المجلسي، ٢٦/٥)

(٤) المصدر السابق نفسه، كتاب الحجة ، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية ، حديث رقم :٢٥، ٤١٧/١. قال المجلسي الحديث ضعيف، (مرآة العقول شرح أخبار آل الرسول : المجلسي، ٢٧/٥).

(٥) المصدر السابق نفسه ، كتاب الحجة، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية ، حديث رقم :٢٦، ٤١٧/١. . قال المجلسي الحديث ضعيف، (مرآة العقول شرح أخبار آل الرسول : المجلسي، ٢٨/٥).

٤. عن أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام قال : نزل جبرائيل بهذه الآية هكذا: " فأبى أكثر الناس بولاية علي إلا كفورا. وقال :ونزل جبرئيل بهذه الآية هكذا:" وقل الحق من ربكم في ولاية علي فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنا أعتدنا للظالمين آل محمد ناراً "[١].

٥. عن الحسين بن مياح عمن أخبره قال:" قرأ رجل عند أبي عبد الله عليه السلام :"﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة:١٠٥]فقال: ليس هكذا هي إنما هي :والمأمنون فنحن المأمونون[٢].

٦. وعن أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام قال: نزل جبرئيل عليه السلام بهذه الآية على محمد ﷺ هكذا: فبدل الذين ظلموا آل محمد حقهم قولا غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا آل محمد حقهم رجزا من السماء بما كانوا يفسقون. وقال عليه السلام نزل جبرئيل بهذه الآية هكذا: إن الذين ظلموا آل محمد حقهم لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا إلا طريق جهنم خالدين فيها أبدا وكان ذلك على الله يسيرا ثم قال: يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم في ولاية علي عليه السلام فآمنوا خيرا لكم وإن تكفروا بولاية علي فإن لله ما في السماوات وما في الأرض"[٣].

ثانياً: روى المجلسي في بحاره المئات من الروايات التي تفيد بهذا النوع من التحريف ففي الجزء الخامس والثلاثون من بحاره عقد المجلسي باباً بعنوان:" الآيات التي كان فيها اسم علي عليه السلام وولايته"[٤]، ذكر فيها العديد الروايات التي تفيد بذلك التحريف منها:

١. ما رواه عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: " ومن يطع الله ورسوله في ولاية علي والأئمة من بعده فقد فاز فوزاً عظيما هكذا أنزلت. وعن أبي بصير عنه عليه السلام في قوله :" فستعلمون من هو في ضلال مبين يا معشر المكذبين حيث أتاكم رسالة ربي في علي والأئمة من بعده ، هكذا أنزلت وفي قوله تعالى :سأل سائل بعذاب وقع للكافرين بولاية علي ليس له دافع ثم قال له: والله نزل بها جبرئيل على محمد صلى الله عليه وآله"[٥] .

٢. عن منخل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: نزل جبرئيل عليه السلام على محمد ﷺ بهذه الآية هكذا: " يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا في علي نورا مبينا"[٦].

---

(١) المصدر السابق نفسه ، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، حديث رقم:٦٤ ، ٤٢٥/١. قال المجلسي الحديث ضعيف، (مرآة العقول شرح أخبار آل الرسول : المجلسي، ٨٠/٥).

(٢) المصدر السابق نفسه، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية حديث رقم:٦٢، ٤٢٥/١. قال المجلسي الحديث ضعيف، (مرآة العقول شرح أخبار آل الرسول : المجلسي، ٧٩/٥).

(٣) المصدر السابق نفسه، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية ، حديث رقم:٥٧، ٤٢٣/١-٤٢٤. . قال المجلسي الحديث ضعيف، (مرآة العقول شرح أخبار آل الرسول : المجلسي، ٧١/٥).

(٤) انظر: بحار الأنوار: المجلسي، ٥٦/٣٥ -٦٢. وللمزيد من هذه الروايات انظر : بحار الأنوار ، ٣٧٣/٢٣، ٢٠/٢٤، ٢٢١ ، ٢٢٤، ٧٥/٣٥، ٨٧/٣٦، ٩٩ ، ١٠٤-١٠٥ ، ١٣٦، ١١٧/٥٣، ٦٤/٨٩-٦٥.

(٥) المصدر السابق، الباب الثاني أسمائه عليه السلام وعللها ، الآيات التي كانت فيها اسم علي عليه السلام وولايته، حديث رقم: ١٢، ٥٦/٣٥-٦٢.

(٦) المصدر السابق نفسه.

٣. ما رواه بسنده عن أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام قال: نزل جبرئيل بهذه الآية هكذا على محمدﷺ فقال: "وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنا أعتدنا للظالمين آل محمد حقهم نار"[١].

- **تحريف آيات الصفات:**

وبما أننا نتحدث عن موقف الشيعة من الصفات، فقد أقدموا على تحريف بعض نصوص الصفات الخبرية، بزعم أنها أنزلت هكذا، فتميزوا عن المعتزلة بهذه الميزة ، فإذا كانت المعتزلة لم تمس لفظ كتاب الله سبحانه وتعالى ورامت البحث عن تأويل المعنى، باستخدام التأويل الفاسد، فإن هذه الفئة قد تخطت الحدود وتجاوزت المبادئ فرامت إثبات مبدئها بما يخرجها عن ملة الإسلام أصلاً [٢]، فقد نسبت هذه الطائفة إلى أئمة أل البيت تصحيحهم لآيات الصفات بزعم أنها أنزل هكذا، ومن الأمثلة على هذا النوع من التحريف ما يلي:

روى ابن بابويه عن الرضا علي بن موسى في قول الله سبحانه: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الغَمَامِ وَالمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾ [البقرة:٢١٠]. قال الرضا: "إنما هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله بالملائكة في ظلل من الغمام، وهكذا نزلت"[٣]، والهدف من تقديم الملائكة في هذه الآية لكي لا يتم إثبات صفة الإتيان والمجيء لله سبحانه وتعالى.

وفي كتاب الاحتجاج للطبرسي نسب إلى أمير المؤمنين علي ﷺ قال وهو يخاطب أحد الزنادقة لإقناعه بالإسلام: "وأما قوله: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [القصص:٨٨] فإنما نزلت كل شيء هالك إلا دينه؛ لأن من المحال أن يهلك منه كل شيء ويبقى الوجه، هو أجل وأعظم من ذلك" [٤].

ثانياً : أخبار التحريف متواترة عند علماء الشيعة:

- **ذهب جمع غفير من علماء الاثنا عشرية بأن الأخبار متواترة في تحريف القرآن، نختار من هذه الأقوال ما يلي:**

١ – **قال شيخهم المفيد:**" إن الأخبار قد جاءت **مستفيضة** عن أئمة الهدى من آل محمد ﷺ باختلاف القرآن وما أحدثه بعض الظالمين فيه من الحذف والنقصان " [٥].

٢ – **قال أبو الحسن العاملي:**" اعلم أن الحق الذي لا محيص عنه بحسب الأخبار **المتواترة** الآتية وغيرها أن هذا القرآن الذي في أيدينا قد وقع فيه بعد رسول الله ﷺ شيء من التغييرات، وأسقط الذين

---

(١) بحار الأنوار: المجلسي، باب أنهم عليهم السلام المظلومون وما نزل في ظلمهم، حديث رقم: ٣، ٢٢١/٢٤.، وانظر: تفسير العياش ، ٣٢٦/٢.

(٢) انظر : أصول مذهب الشيعة الإمامية : د. ناصر القفاري ، ٥٦٦/٢.

(٣) التوحيد: لابن بابويه، باب تفسير قوله تعالى [هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الغَمَامِ وَالمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ]، حديث رقم:١، ص ١٦٣.

(٤) الاحتجاج: الطبرسي، تعليق: محمد باقر الخرسان، دار النعمان للطباعة والنشر، النجف، ١٣٨٦هـ–١٩٦٦م، ٢٥٣/١.

(٥) أوائل المقالات : المفيد ، ص ٨١ .

جمعوه بعده كثيرا من الكلمات والآيات" [١]، وفي موضع أخر يذكر أن القول بالتحريف من ضـروريات مذهب التشيع [٢].

٣ – **يقول محمد باقر المجلسي بأنــه:** "لا يخفى أن هذا الخبر وكثير من الأخبار الصحيحة صريحة فـي نقص القرآن وتغييره وعندي أن الأخبار في هذا الباب **متواترة** معنى ، وطرح جميعها يوجب رفع الاعتماد عن الأخبار رأساً، بل ظني أن الأخبار في هذا الباب لا يقصر عن أخبار الإمامة فكيف يثبتونهـا بالخبر؟ "[٣] أي كيف يثبتون الإمامة بالخبر إذا طرحوا أخبار التحريف؟.

وفي موضع آخر يؤكد على تواتر الخبر فيقول :" و الأخبار من طريق الخاصة و العامـة فـي النقص و التغيير متواترة، و العقل يحكم بأنه إذ كان القرآن متفرقا منتشرا عند النـاس، و تصـدي غيـر المعصوم لجمعه يمتنع عادة أن يكون جمعه كاملا موافقا للواقع، لكن لا ريب في أن الناس مكلفون بالعمل بما في المصاحف و تلاوته حتى يظهر القائم عليه السلام، و هذا معلوم متواتر من طريـق أهـل البيـت عليهم السلام و أكثر أخبار هذا الباب مما يدل على النقص و التغيير و سيأتي كثير منها في الأبواب لآتية لا سيما في كتاب القرآن، و سنشبع القول فيه هناك إنشاء الله تعالى"[٤].

٤ – **يقول نعمة الله الجزائري :** إن تسليم تواتره عن الوحي الإلهي ، وكون الكل قد نـزل بـه الـروح الأمين ، يفضي إلى طرح الأخبار **المستفيضة**، بل **المتواترة**، الدالة بصريحها على وقوع التحريف فـي القرآن كلاما، ومادة، وإعراباً، مع أن أصحابنا قد أطبقوا على صحتها والتصديق بها"[٥].

٥ – **يقول سلطان محمد الخراساني:**" اعلم أنه قد **استفاضت** الأخبار عن الأئمة الأطهار بوقوع الزيـادة والنقيصة والتحريف والتغيير فيه بحيث لا يكاد يقع شك"[٦].

٦ – **يقول علامتهم الحجة السيد عدنان البحراني**[٧]:" الأخبار التي لا تحصى – أي أخبار التحريـف– كثيرة وقد تجاوزت حد **التواتر**" [٨].

٧ – **يقول علامتهم يوسف البحراني بعد أن عرض روايات التحريف:**" لا يخفى ما في هذه الأخبار مـن الدلالة الصريحة والمقالة الفصيحة على ما اخترناه ووضوح ما قلناه، ولو تطرق الطعن إلى هذه الأخبـار على كثرتها وانتشارها لأمكن الطعن إلى أخبار الشريعة، كلها كما لا يخفى، إذ الأصول واحـدة وكـذا

(١) المقدمه الثانية لتفسير مرآة الأنوار ومشكاة الاسراروطبعت هذه كمقدمه لتفسير البرهان للبحراني، ص ٣٦ .

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول :محمد باقر المجلسي ٥٢٥/١٢ .

(٤) المصدر السابق : ٣١/٣-٣٢

(٥) الأنوار النعمانية : نعمة الله الجزائري، ٢/ ٣٥٧ .

(٦) تفسير بيان السعادة في مقامات العبادة : سلطان محمد بن حيدر الخرساني ، مؤسسة الأعلمي، بيروت،١٩/١-٢٠

(٧) عدنان البحراني: عدنان بن شبر بن على بن محمد الموسوي، البحراني، ولد في غرة جمادي الثانية عـام ١٢٨٣هـــ وتوفي بالكاظمية سنة ١٣٤٠هـــ، وحمل إلى النجف فدفن فيها ، من تصانيفه: الأنساب ، الشافية في الفقه. (انظر: معجـم المؤلفين عمر كحالة، ٢٧٣/٦).

(٨) مشارق الشموس الدرية: عدنان البحريني، ص ١٢٦، منشورات المكتبه العدنانية – البحرين.

الطرق والرواة والمشايخ والنقلة، ولعمري إن القول بعدم التغيير والتبديل لا يخرج من حسن الظن بأئمة الجور، وأنهم لم يخونوا في الأمانة الكبرى، مع ظهور خيانتهم في الأمانة الأخرى التي هي أشد ضرراً على الدين"[١].

- **بينما ذهب جمع أخر من علماء الاثنا عشرية إلى تقرير وقوع التحريف في القرآن الكريم تبعاً لتلك الروايات، وأقوالهم في ذلك كثيرة[٢]، نختار منها ما يلي:**

١. **أبو منصور أحمد بن منصور الطبرسي، من أقواله:** "إن الكناية عن أسماء أصحاب الجرائر العظيمة من المنافقين في القرآن، ليست من فعله تعالى، وإنها من فعل المغيرين والمبدلين الذين جعلوا القرآن عضين، واعتاضوا الدنيا من الدين"[٣] وفي موضع آخر يوصي أتباعه بالتقية فيقول " وليس يسوغ مع عموم التقية التصريح بأسماء المبدلين، ولا الزيادة في آياته على ما أثبتوه من تلقائهم في الكتاب "[٤]

٢. **يقول المفسر الشيعي الفيض الكاشاني:**"إنّ القرآن الذي بين أظهرنا ليس بتمامه كما أُنزل على محمد ﷺبل منه ما هو خلاف ما أنزل الله، ومنه ما هو مغير محرف، وأنه قد حذف منه أشياء كثيرة"[٥].

في موضع أخر ينقل اعتقاد مشايخ الشيعة في تحريف القرآن فيقول:"وأما اعتقاد مشايخنا رضي الله عنهم في ذلك، فالظاهر من ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني طاب ثراه، أنه كان يعتقد التحريف والنقصان في القرآن، لأنه كان روى روايات في هذا المعنى في كتابه الكافي، ولم يتعرض لقدح فيها، مع أنه ذكر في أول الكتاب أنه كان يثق بما رواه فيه، وكذلك أستاذه علي بن إبراهيم القمي رضي الله عنه، فإن تفسيره مملوء منه، وله غلو فيه، وكذلك الشيخ أحمد بن أبي طالب الطبرسي رضي الله عنه، فإنه أيضا نسج على منوالهما في كتاب الاحتجاج"[٦]

٣. **ويقول علي أصغر البروجرودي**[٧] : الواجب أن نعتقد أن القرآن الأصلي لم يقع فيه تغيير وتبديل، مع أنه وقع التحريف والحذف في القرآن الذي ألفه بعض المنافقين، والقرآن الأصلي موجود عند إمام العصر "[٨].

---

(١) الدرر النجفيه : يوسف البحراني ، الناشر: مؤسسة آل البيت لاحياء التراث، ص ٢٩٨.

(٢) انظر: للمزيد من أقوال علمائهم في: الوشيعة في كشف شنائع عقائد الشيعة:د.صالح الرقب، ص١٧ ومابعدها، و مصادر التلقي وأصول الاستدلال العقدية عند الشيعة: إيمان صالح العلواني، ص٦٥ وما بعدها .

(٣) الاحتجاج: الطبرسي ،١/٣٧٠.

(٤) المصدر السابق: ١/٣٧١.

(٥) تفسير الصافي: الفيض الكاشاني، ١/٥٠.

(٦) المصدر السابق: ١/٥٢.

(٧) علي أصغر البروجردي:على أصغر بن محمد شفيع بن على أكبر بن محمد بديع الموسوي الجابلقي، البروجردي، من نواحي بلدة بروجرد توفي سنة ١٣١٣هـ، قالت الشيعة عنه:" السيد الحسيب الفاضل الأديب الأريب النبيل ذي النسب الطاهر والحسب الفاخر، العلم العامل المقتدر لاستنباط الأحكام الشرعية" (انظر: طرائف المقال : المقدمة ، بقلم مهدي الرجائي، ومعجم المؤلفين عمر كحالة، ٣٨/٧.

(٨) عقائد الشيعة: علي أصغر البروجردي، ص٢٧.

٤. **ويقول الخميني:**" فإنّ أولئك الذين لا يعنون بالإسلام والقرآن إلا لأغراض الدنيا والرئاسة، كانوا يتخذون من القرآن وسيلة لتنفيذ أغراضهم المشبوهة، ويحذفون تلك الآيات من صفحاته، ويُسقطون القرآن من أنظار العالمين إلى الأبد، ويلصقون العار-وإلى الأبد- بالمسلمين وبالقرآن، ويُثبتون على القرآن ذلك العيب الذي يأخذه المسلمون على كتب اليهود والنصارى"[(١)].

ثالثاً: الكتب المؤلفة لإثبات وقوع التحريف في القرآن الكريم.

فقد صنف جمع من علماء الشيعة في كل عصر من العصور كُتباً مستقلة لإثبات هذه العقيدة الخبيثة بالأدلة والبراهين حسب زعمهم، فمن هذه الكتب ما يلي:-

١. **من مصنفات المتقدمين**[(٢)]:

١. صنف شيخ الشيعة الثقة عندهم أحمد بن محمد بن خالد البرقي، كتاب أسماه التحريف.

٢. وكذلك شيخهم الثقة علي بن الحسن بن فضال قد أفرد كتاب أسماه التحريف والتبديل

٣. وقد صنف حسن بن سليمان الحلي كتاب أسماه التنزيل والتحريف.

٤. ما المفسر الشيعي المعروف محمد بن علي بن مروان الماهيار المعروف بابن الحجام فقد ألف كتاب قراءة أمير المؤمنين وقراءة أهل البيت.

a. وقد صنف أبو طاهر عبد الواحد بن عمر القمى كتاب أسماه قراءة أمير المؤمنين.

٢. **مصنفات المتأخرين**[(٣)]:

أ- يعد كتاب الميرزا حسين بن محمد تقي النوري الطبرسي (المتوفي ١٣٢٠هـ) والمسمى فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب، من أشهر مصنفات الشيعة التي جمع فيها مؤلفه روايات التي تثبت التحريف في كتاب الله ، وتتبع أقوال علمائهم وذكر أكثر من ألف مثال مما ورد أنه قد حرف من القرآن في كتبهم [(٤)]، وقد رد مؤلفه على من أنكر وقوع التحريف في القرآن، ثمّ أردفه بكتاب آخر لرد الشبهات التي أثير على كتابه فصل الخطاب[(٥)].

ب- كتاب تصحيف كاتبين ونقص آيات كتاب مبين ، للمؤلف ميرزا سلطان أحمد الدهلوي.

ت- وكتاب ضربة حيدرية ، للشيعي الهندي محمد مجتهد اللكنوي.

هذه أراء كبار علماء الاثنا عشرية وممن انتهت إليهم رياسة تلك الطائفة، تثبت ما أثبته أهل السنة والجماعة من أن هذه الطائفة منذ أن صدعت ببدعة الإمام وهي تعتقد تحريف القرآن وأن هذه البدعة تلزمهم بقول تلك الفرية، إذ لا أصل لها في كتاب الله مع أنها أهم أصول الدين عندهم ، وكل

---

(١) كشف الأسرار: روح الله الخميني، تقديم: د.محمد أحمد الخطيب، ترجمة د.محمد البدراوي، الطبعة الأولى، الناشر: دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م، ص ١٣١ .

(٢) انظر: الوشيعة كشف شنائع الشيعة: د. صالح الرقب ، ص٢٣.

(٣) المصدر السابق : ص٢٣-٢٤.

(٤) انظر: أصول مذهب الشيعة الاثنا عشرية ،د. ناصر القفاري ٢٧١/١.

(٥) انظر: الشيعة الاثنا عشرية وتحريف القرآن: ص٣٠-٣١، المكتبة الشاملة.

شيعي ينكر وقوعهم في هذا الكفر الشنيع فإنه يلزمه أن يترك بدعة الإمامة، ويعود إلى المعين الصحيح الصافي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، أو أن يبقى يدّعي تلك المقالة.

وعلى كل حال فقد حاول بعض علماء الشيعة المعاصرين إنكار دعواهم تحريف القرآن، وأخذوا بالدفاع عن علمائهم القائلين بالتحريف، فبدل أن نرى منهم موقف حازم تجاههم، أخذوا بتبرير أقوالهم بأنهم قالوا ذلك عن غفلة منهم، فيقول أحد مراجع شيعة النجف محمد سعيد الحكيم مدافعاً عن القائلين بالتحريف:" بأنه لا يحسن الإغراق في النيل ممن يذهب للتحريف، فإنهم وإن وقعوا في خطأ فادح، إلا أنه خطأ علمي يبتني على الغفلة لا يسقط الحرمة، ولا يوجب كفراً. خصوصاً بعد اتفاقهم مع عامة المسلمين على عدم الزيادة وعدم التحريف فيما هو موجود في المصحف الشريف ـــ لتواتره أو بلوغه درجة الإعجاز ـ لما سبق من دعوى الإجماع على عدم الزيادة"[١]. وهذا الكلام يؤكد إصرارهم ودفاعهم عن علمائهم القائلين في التحريف وكأنه يصب في النهاية إلى الزيادة في إثبات تحريف القرآن، ففي كلام المرجع الشيعي السابق، نجد مدى الاستخفاف بالقرآن الكريم عندما نرى الآلاف من الروايات والعشرات من أقوال علمائهم التي تقرر إجماع الشيعة على عقيدة تحريف القرآن، ثم يأتي هذا المرجع ليقول لنا أن أقوالهم كانت نتيجة غفلة منهم، ويزيد الطين بلة بأن أقوالهم في تحريف القرآن لا توجب الكفر ولا تسقط الحرمة، أليست هذه دعوة للاستخفاف بآيات القرآن والعبث بها؟.

بينما ذهب آخرون باتهام أهل السنة في الوقوع بما وقعوا فيه، فيقول علي الحسيني الميلاني مدافعاً عن مؤلف كتاب فصل الخطاب:" أمّا أنْ نكفّره ونطرده عن طائفتنا ونخرجه عن دائرتنا، كما يطالب بعض الكتّاب المعاصرين من أهل السنّة، فهذا غلط وغير ممكن أبداً، وهل يفعلون هذا مع كبار الصحابة القائلين بالنقصان، ومع كبار المحدّثين منهم الرواة لتلك الأقوال؟"[٢].

وقد حاول كثير منهم بأن يأتوا بأدلة على أن أهل السنة تقول بمقالة التحريف، فجمعوا الروايات التي تحدثت عن جمع القرآن والناسخ والمنسوخ، و الروايات الشاذة الضعيفة التي لم ترد في كتب الصحاح ،ثم قالوا بأن قدماء أهل السنة من المحدثين كانوا يعتقدون التحريف، ومن الأمثل على ذلك ما ذكره الخوئي[٣] بأن مذهب أكثر علماء أهل السنة على التحريف لأنهم يقولون بجواز نسخ التلاوة[٤] ،ومن الأمثلة التي ساقها على ذلك: ما رُوِيَ عن زر بن حبيش أنه قال :قال لي أبي بن كعب يا زر :" كأين تقرأ

---

(١) في رحاب العقيدة : إعداد أسرة موقع الحكمة الثقافية، ١٤٩/١، www.alhikmeh.com (بتاريخ: ٢٠١١/١١/٥)

(٢) محاضرات في الاعتقادات:السيد علي الحسيني الميلاني ، مركز الأبحاث العقائدية ،الطبعة الأولى، قم – إيران ٦٠٨/١

(٣) الخوئي: هو أبو القاسم الخوئي بن علي أكبر بن المير الهاشم ، ولد سنة ١٣١٧ ه في" خوي "من أعمال أذربيجان ، وتوفي سنة ١٤١٣ ه في النجف ، هاجر مع والده إلى النجف ، وانضم إلى الحلقات الدراسية في مراحلها المتعارف عليها، وبعد وفاة السيد محسن الحكيم ١٣٨٩هـ انتهت إليه المرجعية الدينية في النجف ، ولم تشغله شؤون المرجعية عن التدريس والتأليف ، من أشهر مصنفاته: تقريرات في أصول الفقه ، البيان في تفسير القرآن ، معجم رجال الحديث... " (انظر: مستدركات أعيان الشيعة :محسن الأمين ، ١٦/٧).

(٤) انظر: البيان في تفسير القرآن: الخوئي، الناشر: دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، بيروت–لبنان، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م، ص ٢٠١

سورة الأحزاب قلت : ثلاث وسبعين آية ، قال إن كانت لتضاهي سورة البقرة ، أو هي أطول من سورة البقرة...." فقد أوردها الخوئي في كتابه البيان متهماً أهل السنة بالطعن في القرآن[١].

فهذه الرواية تحدث عنها العلماء ضمن ما نسخ تلاوته دون حكمه[٢]، وقد ذكر عدد من علماء الاثنا عشرية بأن هذه الرواية ممن نسخ تلاوته، وذكروها من الأمثلة الدالة على ذلك النسخ، من هؤلاء العلماء أبوعلي الطبرسي في كتابه مجمع البيان عندما تعرض لشرح قوله تعالى ما ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٦]، وكذلك ذكر هذه الرواية أبوجعفر الطوسي في كتابه التبيان عند حديثه عن تفسير الآية السابقة، لذلك إنكار الخوئي لوقوع النسخ في القرآن فيه تكذيب لكتاب الله، ومناقضة لأقوال علمائه من طائفته، ومحاولة منه للدفاع عن شيوخه القائلين بالتحريف، بأن يدعي أن أهل السنة ممن قال أيضاً بالتحريف فكان مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ [النساء:٨٩] ، وعلى كل حال فإن اتهام الخصم بالوقوع في نفس ما وقع فيه لا يكون بذلك نافي للتحريف بل مغرقاً في الزيادة بالقول بوقوع التحريف وكأن كلامه زيادة في التأكيد على وقوع التحريف في القرآن.

والخلاصة مما سبق والذي نستنتجه من روايات الاثنا عشرية، وأقوال علمائهم، وما قرره العقل الصريح، بأن بدعة الإمامة وعقيدة تولي الأئمة، هي أساس مقالة التحريف، فبسبب الاعتقاد بهذه البدعة، وجب على الشيعة تكفير كل الصحابة ناقلي الوحي إلينا، وبسببها يجب الادعاء بوقوع التحريف في كتاب الله لعدم ورودها فيه، وبسببها يجب تحريف الآيات لتدل على هذه البدعة.

إذاً مقالة تحريف القرآن تسير جنباً إلى جنب مع مقالة الإمامة، ولا يمكن أن تنفك أحداهما عن الأخرى، فهي من ضروريات مذهب الاثنا عشرية كما ذكر ذلك عدد من علمائهم[٣]، وهذا ما يصدقه نقل تلك المقالة عنهم عبر القرون إلى عصرنا الحاضر أو إلى أن تنتهي هذه الفرقة، فقد نقل أهل السنة عنهم دعواهم تحريف القرآن منذ القرن الثاني هجري تقريباً وحتى الآن[٤].

---

(١) انظر: المصدر السابق ص٢٠٤.

(٢) الإتقان في علوم القرآن: السيوطي، ٦٦/٢.

(٣) ذكر كل من أبو الحسن العاملي و العلامة عدنان البحراني بأن: القول تحريف القرآن الكريم من ضروريات مذهب الشيعة، انظر: مشارق الشموس الدرية : عدنان البحراني، ص١٢٦.

(٤) انظر : إلى أقوال أهل السنة في هذه المسألة، في مقالات الإسلاميين: أبو الحسن الأشعري ، ١٢٠/١،١١٩، التنبيه والرد : الملطي ، ص٢٥، الفرق بين الفرق : البغدادي، ص٣٢٧ ، الفصل في الملل والنحل : ابن حزم ، ٤٠/٥، التبصير في الدين وتميز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكة: طاهر بن محمد الاسفراييني، ص ٤١ ، تحقيق كمال يوسف الحوت ، الطبعة الأولى، عالم الكتب – بيروت ، ١٩٨٣م.، المنتقى من منهاج الاعتدال: محمد بن عثمان الذهبي ،ص١٥٦

المطلب الثالث: حجية القرآن عند الاثنا عشرية.

رأينا فيما سبق كيف تعامل الاثنا عشرية مع نصوص الكتاب وأنهم لم يقيموا لها وزن و نسبوا وقوع التحريف فيها، فلماذا تعامل الاثنا عشرية مع نصوص الكتاب ؟.

الجواب عن هذه المعضلة تحلها لنا روايات الشيعة، فقد روي عن محمد بن سليمان عن بعض أصحابه عن أبى الحسن قلت:" جعلت فداك إنا نسمع الآيات في القرآن ليس هي عندنا كما نسمعها ولا نحسن أن نقرأها كما بلغنا عنكم، فهل نأثم؟ فقال: لا، اقرؤوا كما تعلمتم فسيجيئكم من يعلمكم "[(١)]

وما أوضحه شيخهم المفيد بقوله:" إن الخبر قد صح من أئمتنا عليهم السلام، أنهم أمروا بقراءة ما بين الدفتين، وأن لا نتعداه، بلا زيادة فيه ولا نقصان منه، حتى يقوم القائم عليه السلام، فيقرأ الناس القرآن على ما أنزله الله تعالى وجمعه أمير المؤمنين عليه السلام"[(٢)]

وما نقله المجلسي عن الأئمة إجازتهم قراءة القرآن وإن قد وقع فيه التحريف فيقول :" إن قيل: إنه يوجب رفع الاعتماد على القرآن لأنه إذا ثبت تحريفه ففي كل آية يحتمل ذلك و تجويزهم عليهم السلام على قراءة هذا القرآن و العمل به متواتر معلوم، إذ لم ينقل من أحد من الأصحاب أن أحدا من أئمتنا أعطاه قرانا أو علمه قراءة، و هذا ظاهر لمن تتبع الأخبار"[(٣)]

وما قاله نعمة الله الجزائري:" فإن قلت كيف جاز القراءة في هذا القرآن مع ما لحقه من التغيير، قلت قد روي في الآخبار أنهم عليهم السلام أمروا شيعتهم بقراءة هذا الموجود من القرآن في الصلاة وغيرها والعمل بأحكامه حتى يظهر مولانا صاحب الزمان فيرتفع هذا القرآن من أيدي الناس إلى السماء ويخرج القرآن الذي ألفه أمير المؤمنين عليه السلام فيقرى ويعمل بأحكامه"[(٤)] .

لذلك تعامل الاثنا عشرية مع القرآن الكريم وجعلوه مصدراً من مصادر الاستدلال على عقائدهم ، ولكن بشرط موافقته للعقل الشيعي، وفهمه من خلال الأقوال المنسوبة إلى الأئمة، ولكن سرعان ما اختلفوا في حجية ظواهر نصوص القرآن إلى فريقين هما:

الفريق الأول: قال: بعدم حجية ظواهر القرآن.

وممن قال بهذا الرأي طائفة الإخباريين منهم مثل الاسترابادي والبحراني والكاشاني والعاملي وبعض الأصوليين كالطبرسي في تفسيره[(٥)] ، حيث قالوا بأن فهم القرآن ومعرفته مختص بأهله، وأن أهل

---

(١) الكافي : الكليني، كتاب فضل القرآن ، باب أن القرآن يرفع كما أنزل ، حديث رقم:٢ ،٦١٩/٢. قال المجلسي : الحديث ضعيف، (مرآة العقول شرح أخبار آل الرسول : المجلسي، ٥٠٦/١٢).

(٢) المسائل السروية: المفيد، تحقيق: صائب عبد الحميد، الناشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، بيروت – لبنان، ١٤١٤هـ–١٩٩٣م، ص ٨١.

(٣) مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول: المجلسي، ١٢/ ٥٢٥.

(٤) الأنوار النعمانية: نعمة الله الجزائري ، ٢٦٣/٢.

(٥) مصادر التلقي وأصول الاستدلال العقدية عند الإمامية الاثنا عشرية: إيمان بنت صالح العلواني ، ص١٨٧.

البيت هم العارفون والعاملون بالقرآن دون غيرهم، ولا يجوز لغيرهم أن يفسره أو يستنبط منه لعدم أهليته، وقد استدل هؤلاء بالأخبار الواردة في كتب الروايات الناهية عن العمل بالكتاب والأخذ فيه بالرآي

يقول يوسف البحراني:" الكتاب العزيز لا خلاف بين أصحابنا الأصوليين في العمل به في الأحكام الشرعية ، والاعتماد عليه ،حتى صنف جملة منهم كتبًا في الآيات المتعلقة بالأحكام الفقهية وهي خمسمائة آية عندهم ، وأما الأخباريون فالذي وقفنا عليه من كلام متأخريهم ما بين إفراط وتفريط ،فمنهم من منع فهم شيء منه مطلقًا حتى مثل قوله: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ [الاخلاص:١] ،إلا بتفسير من أصحاب العصمة ، ومنهم من جوز ذلك حتى كاد يدعي المشاركة لأهل العصمة – عليهم السلام في تأويل مشكلاته ، وحلَّ مبهماته، والتحقيق في المقام أن الأخبار متعارضة من الجانبين ، ومتصادمة من الطرفين ، إلا أن أخبار المنع أكثر عددًا ، وأصرح دلالة"(١)

ومن أخبار المنع التي استدل بها هؤلاء ما نسب إلى الإمام علي ﷺ أنه قال :" اتقوا الله ولا تفتوا الناس بما لا تعلمون ،فقالوا فما نصنع بما قد خبرنا به في المصحف ؟ فقال : يسأل عن ذلك علماء آل محمد"(٢)

ومما ينسب إلي أبي جعفر أنه قال ":فإنما على الناس أن يقرءوا القرآن كما أنزل فإذا احتاجوا إلى تفسيره فالاهتداء بنا والينا" (٣)

الفريق الثاني قال: بجواز الأخذ بظواهر القرآن.

وممن قال بهذا الرأي جمهور الاثنا عشرية –الأصوليون– حيث أجازوا العمل بها ، وذلك لأن القرآن هادي بنفسه ولا يتوقف فهمه على الإمام ، وقد ردوا على الذين منعوا الأخذ بظواهر النصوص دون الرجوع لقول الإمام، فيقول مرتضى مطهري(٤): " أما القرآن فكيف تعاملوا معه ؟ وكيف أعرضوا عنه جانبًا من أجل إثبات حجية الأخبار ؟ إنهم لم يقولوا : إن القرآن ليس كتاب الله ، ولم يكن في وسعهم

---

(١) الحدائق الناضرة: يوسف البحراني، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، الطبعة الأولى، قم، ٦٤/١-٦٥.

(٢) بحار الأنوار: المجلسي، باب النهي عن القول بغير علم ، والإفتاء بالرأي، وبيان شرائطه، حديث رقم:١، ١١٣/٢

(٣) وسائل الشيعة : الحر العاملي ، ١٩٢/٢٧.

(٤) مرتضى مطهري: هو مرتضى بن محمد حسين المطهري الخراساني ولد في قرية فريمان من توابع خراسان عام ١٣٣٨هـ ونشأ بها، هاجر إلى مشهد الرضا ثم إلى قم وتتلمذ على يد كبار علماء الشيعة منهم مهدي الشهيدي الرضوي . ومحمد الداماد ، و الحاج آقا حسين الطباطبائي البروجردي ، و الخميني ، و محمد حسين الطباطبائي ، وأشتغل في أثناء دراسته بالتدريس، وفي سنة ١٣٧٣ هـ انتقل إلى طهران مشتغلاً بالتدريس ، والتوجيه العلمي ، والديني في مختلف المجالات العلمية والاجتماعية ، واختير أستاذا في جامعة طهران حيث حاضر في كلية الإلهيات حتى عام ١٣٩٨ هـ . (انظر: تراجم الرجال:أحمد الحسيني، الناشر: مكتبة آية الله العظمى المرعشي، قم، ١٤١٤هـ، ٨١٦/٢-٨١٨).

ذلك ، بل قالوا : إنَّ القرآن أسمى من أن يفهمه الناس العاديون، ويتوقف فهمه على الأئمة – عليهم السلام– فهم وحدهم يفهمونه ، وقد نزل لكي يفهمه الأئمة فقط وكفى"(١).

ويقول جعفر آل كاشف الغطاء مظهر حال هؤلاء المانيعن :" وقد منع من العمل بظاهره غير مفسر بالأخبار العاملون بظاهر الأخبار، حتى ترّقى كثير منهم إلى لفظ الله والرحمن، وإبليس والشيطان وفرعون وهامان ، والأرض والسماء ، والهواء والماء ونحوها ، وكلماته عندهم بأسرها من المجملات والمتشابهات ، لا يعرف شيء منها إلا بتفسير الروايات الصادرة من الأئمة إذا لم تكن مفسرة، وهذا من الأقوال العجيبة والأمور الشنيعة الغريبة ؛ لمخالفتها للآيات الكثيرة المشتملة على إنه عربي مبين، وإنه هدى وبيان وتبيان، ويهدى إلى الحق وإلى صراط مستقيم، ويبشَّر به المؤمنين، وينذر الكافرين، وتقشعر منه الجلود، وعلى الذم على عدم تدبرهم إياه، وإنه أُنزل للتذكير"(٢).

موقف الاثنا عشرية من حجية ظواهر آيات الصفات:

هذا موقف الاثنا عشرية بشكل عام في حجية الأخذ بظواهر الآيات، ولكن عند الحديث عن آيات الصفات فإننا نجد الإجماع على عدم الأخذ بظواهر هذه الآيات ، فالإخباريون لديهم الراويات المنسوبة إلى الأئمة والمصاغة بالصيغة العقلية المعتزلية، والتي تصرف تلك الآيات عن ظاهرها الحقيقي وتمنع من إجراء نصوص الصفات على ظاهرها، والقول أن المراد منها غير ذلك، والأخذ بالروايات المنسوبة إلى الأئمة، و التي تؤول تلك الصفات إلى المجاز، بينما نجد في مقابل الإخباريين استخدام الأصوليين للعقل المعتزلي في صرف هذه الآيات عن ظاهرها وتأويلها بشتى أنواع التأويل والجزم بأن نصوص هذه الآيات جاءت على غير ظاهرها.

إذاً فالاثنا عشرية مجمعة على عدم جواز الأخذ بظواهر نصوص الصفات، وذلك لأن إجراء هذه النصوص على ظاهرها يؤدي– حسب اعتقادهم– إلى الوقوع في التشبيه والتجسيم، وكل ذلك محال على الله، فلذلك استخدموا نصوص الروايات التي وضعوها لتأيد صرف تلك الآيات عن ظاهرها وكذلك أخذوا بالأدلة العقلية فملؤوا بها صفحات كتبهم الاعتقادية.

فيذكر الشيخ علاء الحسون رأي الإمامية في الأخذ بظواهر آيات الصفات فيقول:"قول الإمامية:عدم الأخذ بظواهر هذه الصفات وإثباتها على نحو المجاز من غير تأويل، أي: حمل هذه الصفات على معانيها اللغوية من باب الكناية عن مفاهيم عالية لا من باب التأويل"(٣)

ويقول محسن الخزاري:" إن الظواهر لا حجية لها عند قيام القرائن القطعية على خلافها، وأي قرينة أحسن من الأدلة العقلية القطعية التي لا مجال للتشكيك والترديد فيها، هذا مضافاً إلى أن الظن لا

---

(١) إن الدين عند الله الإسلام ، مرتضى المطهري، الطبعة الأولى ، الناشر: منشورات الربيع للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ، ١٤١٤هـ ، ٤١/١.

(٢) الحق المبين في تصوبة المجتهدين وتخطئة الإخبارين: جعفر آل كاشف الغطاء، الناشر: مؤسسة كاشف الغطاء ، النجف ، ١٤٢٠هـ ، ص٦.

(٣) التوحيد عند مذهب أهل البيت : علاء الحسون ص ٣٤٩.

يغني في الأصول الاعتقادية".[1] ويعني محسن الخزاري بالظني نصوص الآيات، ولنا مزيد من الحـــديث من أقوالهم في عدم الأخذ بظواهر آيات الصفات في المبحث القادم.

ومن الجدير بالذكر هنا عدم أخذ الشيعة بظواهر آيات الصفات واستعانتهم بالتأويل الفاسد لصـــرفها عـــن ظواهرها ما هو إلى نسخة مكررة من أراء المعتزلة وأقوالهم الكلامية، حتى أنك تجد التطابق التـــام بـــين تأويلات الشيعة لآيات الصفات وبين تأويلات المعتزلة لها ، وأقوال علمائهم السابقة في تقديمهم القـــرائن العقلية على ظواهر الآيات، ما هو إلى نسخة محدّثَة من أقوال المعتزلة ، فهذا القاضي عبد الجبار يقول:" إن دليل العقل إذا منع من شيء فالواجب في السمع إذا ورد ظاهره بمـــا يقتضـــي ذلـــك أن نتأولـــه لأن الناصب لأدلة السمع هو الذي نصب أدلة العقل فلا يجوز فيهما التناقض"[2]، ويقول:" إن الله تعـــالى لـــم يخاطب إلا أهل العقل ولأن به يعرف أن الكتاب حجة وكذلك السنة والإجماع فهـــو الأصـــل فـــي هـــذا الباب"[3].

وقال القاضي عبد الجبار في معرض الرد على متثبتي الصفات: "واستدلوا بقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه:٥]، قال: والأصل في الجواب عن ذلك أن يقال لهم: أولا إن الاســـتدلال بالســـمع على هذه المسألة غير ممكن، لأن صحة السمع موقوفة عليها... فكيف يمكن الاستدلال بالسمع على هـــذه المسألة، وهل هذا إلا استدلال بالفرع على الأصل؟ وذلك محال... ثم يقال لهم: الاســـتواء ههنـــا بمعنـــى الاستيلاء والغلبة..."[4].

ولعل ما سنعرضه في المبحث القادم من نماذج من تأويل الشيعة لآيات الصفات سيعطى صـــورة واضحة على مدى التطابق بين تأويلات الشيعة والمعتزلة لنصوص الصفات مما يثبت يقيناً مدى حرفيـــة سرقة الشيعة لأراء المعتزلة في التوحيد وخاصة مسألة الصفات منها.

---

(١) بداية المعارف الإلهية في شرح عقائد الإمامية: محسن الخزاري، الطابعة الخامسة، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي ، ١٤١٨هـ، ٦٢/١.

(٢) المغني في أبواب التوحيد والعدل: القاضي عبد الجبار، ٢٨٠/١٣.

(٣) فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة: القاضي عبد الجبار، ص١٣٩.

(٤) شرح الأصول الخمسة: القاضي عبد الجبار، ص: ١٥٠-١٥١.

المبحث الثاني

تأويل الشيعة لنصوص الصفات.

المطلب الأول: التأويل في اللغة واصطلاح السلف.

أولاً : التأويل في اللغة:

ترجع لفظة التأويل في معاجم اللغة المتقدمة إلى معنيين هما[١]:

١. **المرجع والمصير والعاقبة:**

قال الراغب الأصفهاني [٢]: " التأويل : رد الشيء إلى الغاية المراد منه قولاً كان أو فعلا" [٣].

وقال ابن فارس[٤]:"أما التَّأْوِيل – فآخِرُ الأمر وعاقبته. يقال: إلى أي شيء مآل هذا الأمر؟ أي مَصيرُهُ وآخِره وعقباه"[٥].

٢. **التفسير:**

قال الطبري رحمه الله[٦]:" وأما معنى التأويل في كلام العرب: فإنه التفسير والمرجع والمصير"[٧].

وقال الليث[٨]:" التأول والتأويل تفسير الكلام الذي تختلف معانيه"[٩].

---

(١) انظر: تهذيب اللغة : لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: إبراهيم الإبياري، الناشر: دار الكاتب العربي، ١٩٦٧م، مادة آل ٤٣٧/١٥-٤٤٢، ومعجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، ١٣٩٩هـ -١٩٧٩م، مادة أول ، ١٥٩/١-١٦٢، لسان العرب:ابن منظور، مادة أول ،٣٢/١١-٤٠ ، والقاموس المحيط: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي ، مادة آل، ٣٢٠/٣.

(٢) الراغب الأصفهاني: هو الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني، أو الأصبهاني. المعروف بالراغب، أديب، من الحكماء العلماء. من أهل أصبهان. سكن بغداد، واشتهر، حتى كان يقرن بالإمام الغزالي، توفي عام ٥٠٢ هـ من كتبه: محاضرات الأدباء، و جامع التفاسير، و المفردات في غريب القرآن، وغير ذلك.(انظر: الأعلام: الزركلي، ٢٥٥/٢).

(٣) تاج العروس من جواهر القاموس: محمد بن محمد ، مرتضى الزبيدي، ٣٣/٢٨.

(٤) ابن فارس: حمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين ولد سنة: ٣٢٩هـ، من أئمة اللغة والأدب. قرأ عليه البديع الهمذاني والصاحب ابن عباد وغيرهما من أعيان البيان. أصله من قزوين، وأقام مدة في همذان، ثم انتقل إلى الري فتوفي فيها سنة ٣٩٥هـ، وإليها نسبته. من تصانيفه: مقاييس اللغة ، المجمل، الصاحبي، وغيرها.(انظر: الأعلام للزركلي، ١٩٣/١).

(٥) الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها : أحمد بن فارس ، المكتبة السلفية ، مطبعة المؤيد ، القاهرة ، ١٣٢٨-١٩١٠م ، ص١٩٣.

(٦) الطبري: هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري ، صاحب التفسير الكبير والتاريخ الشهير، كان إماما في فنون كثيرة منها التفسير والحديث والفقه والتاريخ وغير ذلك، توفي ببغداد سنة٣١٠هـ. (انظر: وفيات الأعيان: ابن خلكان، ١٩٢/٤. الأعلام: الزركلي، ٦٩/٦).

(٧) جامع البيان في تأويل القرآن: أبو جعفرالطبري ،٢٠٤/٦.

(٨) الليث: هو الليث بن سعد عبد الرحمن الفهمي: بالولاء، أبو الحارث: إمام أهل مصر في عصره، حديثا وفقها. أصله من خراسان، ومولده في قلقشندة، ووفاته في القاهرة. (الأعلام: الزركلي، ٢٤٨/٥).

(٩) لسان العرب: ابن منظور، ٣٣/١١.

ثانياً : التأويل في اصطلاح السلف.

التأويل في الاصطلاح: هو رد الكلام إلى الغاية المراد منه، بشرح معناه أو حصول مقتضاه[1] ، إذا التأويل عند السلف يطلق على معنيين هما:

١. **حقيقة الشيء وما يؤول إليه:**

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–: " يراد بالتأويل حقيقة ما يؤول إليه الكلام، وإن وافق ظاهره، وهذا هو المعنى المراد بلفظ التأويل في القرآن" [2].

ويقول شارح الطحاوية: " التأويل في كتاب الله وسنة رسوله –صلى الله عليه وسلم– هو الحقيقة التي يؤول إليه الكلام ، فتأويل الخبر هو عين المخبر به ، وتأويل الأمر: نفس الفعل المأمور به"[3].

ومن الأمثلة على ذلك: تأويل ما أخبر الله به عن أسمائه وصفاته هو نفس ما عليه من الأسماء والصفات من الحقائق والكيفيات، وهذا تأويله لا يعلمه إلا الله"[4].

٢. **التفسير:** وهو توضيح الكلام بذكر معناه المراد به، سواء وافق ظاهره أو لم يوافقه، وهذا هو التأويل في اصطلاح جمهور المفسرين[5] وعند أهل اللغة المتقدمين، وكل من قال أنه يعلم التأويل فقصده التفسير وفهم المعنى، كقول أبو جعفر الطبري–رحمه الله– في تفسير الآيات : القول في تأويل قوله كذا وكذا..." [6].

فمذهب السلف في فهم صفات الله لا يعدو معنى التأويل الذي ذُكر سابقاً ، فحقيقة صفات الله لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى، وأما فهم معنى تلك الصفات فالسلف يفهمون المعنى من جهة اللغة، ويفوضون كيفية تلك الصفات إلى الله، فكانوا يقولون المعنى معلوم والكيف مجهول، والسلف كان تأويلهم إجمالياً بمعنى أنهم لا يعينون المراد من النصوص مع القطع أن ظاهر النصوص غير مراد[7] .

يقول الإمام السيوطي:" إن أهل السنة وأهل الحديث على الإيمان بها – أي آيات الصفات– وتفويض معناها إلى الله، ولا نفسرها مع تنزيهنا له عن حقيقتها"[8].

---

(١) شرح الرسالة التدمرية: محمد بن عبد الرحمن الخميس ، الناشر:مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، طبعة جديدة ، ١٤٢٢هـ، ص٢٧١.

(٢) درء تعارض العقل والنقل: ابن تيمية، ٢٣٤/٥.

(٣) شرح الطحاوية في العقيدة السلفية: ابن أبي العز الحنفي، ص١٥٢.

(٤) الرسالة التدمرية : ابن تيمة ، ص٦١.

(٥) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ، ٣٥/٥–٣٦، ٢٨٨/١٣.

(٦) انظر: مقدمة تفسير الطبري ، وانظر مثال على ذلك، ٨٠/٣.

(٧) دراسات في توحيد الأسماء والصفات الإلهية: د.سعد عاشور ود. جابر السميري ، ص٧٣.الطبعة الثالثة، ١٤٢٩هـ–٢٠٠٨م.

(٨) الإتقان في علوم القرآن : السيوطي ، الناشر: مطبعة حجازي ، القاهرة ، ٦/٢.

ثالثاً: معالم الاهتداء إلى معرفة مراد الله ورسولهﷺ:

إن اعتقاد أهل السنة والجماعة قائم على أن ما قاله الله سبحانه وتعالى ورسولهﷺ هو الحق، ومن كان مقصوده معرفة مراد الله ورسولهﷺ وسلك الطريق التي يعرف بها، فقد سلك سبيل الهدى، ومن كان مقصوده أن يجعل كلام الله ورسوله تبعاً له، ولقواعده التي أسسها بمعزل عن الوحي والهدى، فما وافقها من كلام الله ورسوله قبله وإلا رده، وتكلف له من التحريف ما يسميه تأويلاً ، مع تيقنه أن كثيراً من ذلك أو أكثره لم ترد به الأنبياء، فهو محرف للكلم عن مواضعه، لا طالب لمعرفة التأويل الذي يعرفه الراسخون في العلم[1]

لذا فإن طريق معرفة مراد الله ورسوله من النصوص يقوم على التالي[2]:

١. جمع النصوص وأقوال السلف المتقدمين، في الموضوع الواحد، والنظر في ذلك على اجتماعه؛ فإن النصوص يبين بعضها بعضاً، بقطع الاحتمالات، ودفع الإشكالات.

٢. النظر في اللفظ المراد صرفه عن ظاهره، ومدى قبوله للمعنى الجديد، فإن لم يقبله فاللفظ نص لا يحتمل التأويل، وإن قبله: فإما أن يجري على مقتضى العلم ، أي أن يوافق كليات الشريعة ولا يصطدم بشيء منها ، فإن كان كذلك فلا إشكال في اعتباره، وإن لم يجر على مقتضى العلم فلا يصح حمل اللفظ عليه، بل حمله عليه باطل.

٣. أن يعلم أن المقصود من التأويل هو معرفة مراد المتكلم بكلامه، لا معرفة ما يحتمله اللفظ من المعاني من جهة اللغة.

٤. الاستدلال على أحد المعاني الداخلة في معنى الآية بكونه هو الغالب في القرآن، فغلبته فيه دليل على عدم خروجه من معنى الآية فكون أحد الاحتمالين هو الغالب يبين أن ذلك الاحتمال الغالب هو المراد

٥. أن يعلم أن ورود اللفظ في الكتاب والسنة بمعنى لا يلزم منه أن يكون هذا المعنى ملازماً له في جميع النصوص الأخرى وإن اختلف السياق، بل قد يتعدد معنى اللفظ الواحد ويختلف باختلاف السياق.

هذه أهم معالم الاهتداء إلى معرفة مراد الله ورسوله ،فإذا ما تم الالتزام بها في فهم النصوص فلا محال بأنها سوف تهدي إلى الحق، ومتى تم مخالفتها فإنه لا شك بأنها تهدي إلى سبل الشيطان والتفرق والنزاع، أعاذنا الله من اتباع الهوى وسبل الشيطان وهذه المعالم تحتاج إلى أن يكون المرء لديه آلة فهم سليمة.

والخلاصة من ذلك كله يلخصها لنا الإمام ابن القيم رحمه الله بقوله:" وبالجملة فالتأويل الذي يوافق ما دلت عليه النصوص وجاءت به السنة ويطابقها هو التأويل الصحيح، والتأويل الذي يخالف ما دلت عليه النصوص وجاءت به السنة هو التأويل الفاسد "[3]

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية ، ٤/١٩١، ومنهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، عثمان على حسن،١/٥٥٢.

(٢) انظر: منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، عثمان على حسن، ١/٥٥٢-٥٥٣.

(٣) الصواعق المرسلة :ابن القيم، ١/١٨٧.

رابعاً: ظهور التأويل الفاسد:

مع تطاول القرون ظهر مفهوم آخر للتأويل غير الذي تعرفه معاجم اللغة في القرون الأولى وما أثـر عن الصحابة والتابعين، وهذا التأويل الذي هو: صرف اللفظ عن ظاهره إلى المجاز، ظهر بعـد عصـر القرون المفضلة وفي بيئة المتكلمين والفلاسفة، وذلك بعد أن ظهر الخلاف والتفرق بين المسلمين، ولمـا كان ظاهر القرآن والسنة لا يمكن أن تعتمد عليه كل فرقة من الفرق المتنازعة ، عمد كثيـر مـنهم إلـى التأويل والغلو فيه، وهو في الحقيقة تحريف الكلم عن مواضعه[١] ، وهو من أخطر الأمور على الـدين إذ باسمه سلك سبيل التحريف، كما دخل الملاحدة على الدين باسم التأويل، بل إنه أصل كل فساد .

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "... فما امتحن الإسلام بمحنة إلا وسببها التأويل، فإن محنته إما من المتأولين ، وإما أن يسلط عليهم الكفار بسبب ما ارتكبوا من التأويل ، وخالفوا ظاهر التنزيـل ، وتعللـوا الأباطيل"[٢] .

فالتأويل الذي هو: صرف اللفظ عن ظاهره إلى المجاز رفضه السلف[٣] ، واعتبروه مـن التأويـل الباطل الذي لا يجني صاحبه منه إلى الضلال والهلاك، بل إن القول بذلك التأويل طعن فـي بيـان الله و الرسول ﷺ و أن الله ورسوله لم يبينوا الحق الذي يجب إتباعه،و جاؤوا بما ظاهره باطـل، حتـى جـاء تلامذة الصابئة والفلاسفة فنطقوا بالبيان، وصدعوا بالحق[٤] !!.

يقول أبو الحسن الأشعري :" فإن كثيرا من الزائغين عن الحق، مالت بهم أهـوائهم إلـى تقليـد رؤسائهم،ومن مضى من أسلافهم فتأولوا القرآن على آرائهم تأويلا، لم ينزل الله به سلطانا ولا أوضح بـه برهانا ، ولا نقلوه عن رسول رب العالمين ،ولا عن السلف المتقدمين"[٥]

المطلب الثاني: التأويل عند الاثنا عشرية.

لقد جمعت طائفة الاثنا عشرية من الشر فأوعت، فلم تكتف هذه الطائفة بما نسبوه للقرآن من وقـوع التحريف فيه، ولا بما نسبوه إلى أئمة آل البيت من تصحيحهم لآيات الذكر الحكيم ، بـل اعتمـدت علـى التأويل الفاسد وجعلته منهاجاً لها وأساساً من أسسها الثابتة، والذي مـن خلالـه يسـتطيعون أن يثبتـوا معتقداتهم الفاسدة وإمامة الأئمة، فكان هذا الشر المستطير والمسمى تأويل، المحضن الخصب الذي أينعت به أشجار الفرق الباطنية التي خرجت من رحم الشيعة، أمثال فرقة الإسماعيلية، والتي اعتبرت بأن للقرآن ظاهراً وباطناً، وأن الظاهر غير مراد من قول الله تعالى بل المراد هو الباطن الذي أسسوه بقلوبهم الزائغة وأهوائهم الفاسدة.

---

(١) منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة : عثمان على حسن، ٥٤٣/١-٥٤٤.

(٢)إعلام الموقعين عن رب العالمين: أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن القيم ، تحقيق: طه عبد الرؤوف سـعد، دار الجليل ، بيروت ، ١٩٧٣م، ٢٥١/٤.

(٣) انظر: تأويل مختلف الحديث: أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق: محمد محيي الدين الأصفر، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، بيروت، ١٤١٩هـ -١٩٩٩م ،ص٦٤-٦٦.

(٤) انظر: مجموع الفتاوى ، ابن تيمية، ١٥/٥-١٦.

(٥) الإبانة عن أصول الديانة ،أبو الحسن الأشعري، ص٧.

وفي الحقيقة إن مسألة القول بأن لنصوص القرآن باطناً وظاهراً ، كان أساسها طائفة الاثنا عشرية فقد شاعت في كتب القوم المعتمدة ذكر هذه المقالة حتى أصبحت من أصولهم، لأنه لا بقاء لمذهبهم إلا بها [١]، ولهذا عقد المجلسي في بحاره باباً بعنوان:" باب أن للقرآن ظهراً وبطناً"[٢] ذكر فيه أربعة وثمانون رواية، وعقد صاحب تفسير البرهان باباً بنفس عنوان الباب السابق قائلاً : باب في أن القرآن له ظاهر وباطن "[٣] ، وقد قرر كثير من كتب التفسير عندهم في مقدماتهم هذه المسألة كأصل من أصولهم كتفسير القمي[٤] والعياشي[٥]، والصافي[٦]وغيرهم، والروايات في ذلك كثيرة نذكر منها على سبيل الاستدلال :

ما رواه المجلسي بسنده عن جابر الجعفي قال: سألت أبا جعفر عن شيء من تفسير القرآن فأجابني، ثم سألت ثانية فأجابني بجواب آخر، فقلت: جعلت فداك كنت أجبت في هذه المسألة بجواب غير هذا قبل اليوم؟ فقال لي: يا جابر: إن للقرآن بطناً، وللبطن بطناً وظهراً، وللظهر ظهراً، يا جابر، وليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن، إن الآية لتكون أولها في شيء وآخرها في شيء وهو كلام متصل يتصرف على وجوه"[٧].

وما رواه عن فضيل بن يسار قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن هذه الرواية" ما من القرآن آية غلا ولها ظهر وبطن" فقال : ظهره تنزيله ، وبطنه تأويله..."[٨]

وما ضربنا له الأمثلة في الفصول السابقة عند الحديث على إثبات عقائدهم فيه الغنية والكفاية على هذا التأويل الباطني الخبيث.

وبعد أن اعتبر الشيعة بأن للقرآن ظاهر وباطن، نظروا في آيات الصفات، واتفقوا على وجوب صرف تلك الآيات عن ظاهرها، لأن ظاهرها كما قررته عقولهم يؤدي إلى محال في حق الله سبحانه وتعالى، لذا فأننا نجدهم قد أُولعوا بتأويل الآيات التي يخالف ظاهرها ما ذهبت إليه عقولهم الفاسدة، سواء أكان هناك دليل لصرف اللفظ عن ظاهره أم لم يكن، والمطالع لأقوال علمائهم وطريقتهم في التأويل يجد أنه ليس لديهم قانون يسيرون عليه لتأويل تلك الآيات وصرفها عن ظاهرها فبمجرد مخالفة تلك النصوص لهوى العقل فإنه يجب أن تصرف بأي وسيلة وإن كان اللفظ لا يحتمل المعنى المصروف إليه، ولتوضيح ذلك نورد بعض من أقوال علمائهم في التعامل مع آيات الصفات وهي في التالي:

---

(١) أصول مذهب الشيعة الإمامية : د.ناصر القفاري، ١٥٢/١.

(٢) بحار الأنوار : المجلسي ، ٧٨/٨٩-١٠٦.

(٣) تفسير البرهان: ١٩/١.

(٤) انظر: تفسير القمي: على إبراهيم القمي، تحقيق طيب الموسوي الجزائري، الطبعة الثالثة، الناشر: مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر ، ١٤٠٤هـ ، ١٤/١، ١٦.

(٥) انظر: تفسير العياشي:محمد بن مسعود العياشي، تحقيق: الحاج هاشم الرسولي المحلاتي، الناشر: المكتبة العلمية الإسلامية، طهران، ١١/١.

(٦) تفسير الصافي: الفيض الكاشاني، ٢٩/١.

(٧) بحار الأنوار: المجلسي، باب أن للقرآن ظهراً وبطناً...، حديث رقم:٣٧، ٩١/٨٩.

(٨) المصدر السابق ، باب أن للقرآن ظهراً وبطناً...، حديث رقم:٦٤، ٩٧/٨٩.

يقول عالمهم الكراجكي:" فأما الذي يوصف الله تعالى به ومرادنا به غير حقيقة الوصف في نفسه فهو كثير، فمنه كاره وغضبان وراض...، فهذه صفات لا تدل على وجوب صفة يتصف بها، وإنما نحن متبعون للسمع الوارد بها ، ولم يرد السمع إلا على مجاز اللغة واتساعاتها، والمراد بكل صفة منها غير حقيقتها"[١].

ويقول عالمهم محمد المظفر :" فإنّ الاضطرار إلى التأويل إنّما يكون بعد العجز عن الإجراء على حسب الواقع ؛ وذلك لدلالة الدلائل العقلية على امتناع إجرائه على حسب ظاهره"[٢].

ويضيف قائلاً:"فإن أمثال هؤلاء المدعين جمدوا على ظواهر الألفاظ في القرآن الكريم ، أو الحديث، وأنكروا عقولهم وتركوها وراء ظهورهم، فلم يستطيعوا أن يتصرفوا بالظواهر حسبما يقتضيه النظر والدليل وقواعد الاستعارة والمجاز"[٣].

وينقل عالمهم المعاصر محمد جواد مغنية التزام الشيعة تأويل الكتاب والسنة فقال:" والتزموا تأويل كل ظاهر للكتاب وللسنة مخالف لبديهة العقل"[٤].

وجاء في كتاب العقائد الإسلامية أن:التأويل لآيات وأحاديث الصفات هو مذهب أهل البيت عليهم السلام، ويجعلون الأساس الآيات المحكمة في التوحيد مثل قوله تعالى:﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾ [الشُّورى:١١] و﴿ **لَا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ**﴾ [الأنعام:١٠٣]، ويقولون بتأويل كل نص يظهر منه التشبيه أو الرؤية بالعين، لينسجم مع حكم العقل وبقية الآيات والأحاديث.[٥]

وينقل صالح الورداني إجماع الشيعة على تأويل نصوص الصفات فيقول :" ويعتقدون أن كل ما ورد من النقل مما ظاهره خلاف ذلك مثل قوله تعالى: ﴿ **الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى**﴾ [طه:٥] ﴿ **إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾ [القيامة:٢٣] ﴿ **وَجَاءَ رَبُّكَ**﴾ [الفجر:٢٢] ﴿ **يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ**﴾ [الفتح:١٠]﴿ **وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللهُ**﴾ [آل عمران:٥٤] ﴿ **وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ**﴾ [يونس:٩٩] ﴿ **وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلُوا**﴾ [البقرة:٢٥٣] وغير ذلك. يجب تأويله ورده إلى ما حكم به العقل أو يكال علمه إليه تعالى"[٦].

ويقول جعفر السبحاني:" إنَّ هناكَ مجموعةً من الصّفات وَرَدَت في آياتِ القرآنِ وفي السُّنة ولم يكن لها من مُسْتَنَدٍ ومَصْدرٍ سوى النقلِ ...، والعلّة في تسمية هذا النوع من الصفات، بالصفات الخبرية،

(١) كنز الفوائد: أبو الفتح الكراجكي ٧٨/١.

(٢) دلائل الصدق لنهج الحق: محمد حسن المظفّر ، ٢٨٤/١-٢٨٥.

(٣) عقائد الإمامية: محمد رضا المظفر ص٢٨ ، وانظر بداية المعارف الإلهية في شرح عقائد الإمامية ،محسن الخزاري ، ٦٢/١.

(٤) الوحدة الإسلامية أو التقريب بين المذاهب السبعة: عبد الكريم الشيرازي ، ص ٢٥٧، نقلا عن أثر المعتزلة بالشيعة والخوارج ص .

(١) العقائد الإسلامية: تأليف مركز المصطفى للدراسات الإسلامية، ٢/ ٥١.

(٦) عقائد السنة وعقائد الشيعة التقارب والتباعد : صالح الورداني الطبعة الأولى ، الغدير للدراسات والنشر ، لبنان بيروت، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م ، ص٦٨.

هو ثبوتها لله بإخبار الكتابِ والسُنّة بها فقط ،وللحصول على التفسير الواقعيّ لهذا النوع من الصفات يجب أيضاً ملاحظة كلّ الآيات المتعلّقة بهذا المجال، كما أنّه يجب أن نعلم أنّ اللّغة العربية زاخرة بالكنايات والاستعارات والمجازات، وبما أنّ القرآن نزل بلغة القوم لذلك استخدم هذه الأساليب أيضاً"(١).

ويقول الشيعي حسن العايش:" التأويل عند الشيعة واضح بالخصوص في الآيات القرآنية والأحاديث التي يتوهم فيها البسطاء من الناس التجسيم "(٢)

والشيعة يعدون أنَّ مذهبهم في تأويل الصفات إلى معنى يخالف ظواهرها المرادة منها هو الحق، فيقول الشيخ الشيعي صائب عبد الحميد:" إن الشيعة اتّبعوا في الصفات سنّة النبي ﷺ وبيانات أئمّة الهدى من آله عليهم السلام، فأثبتوا المحكمات أصولا للعقيدة، وعمدوا إلى المتشابهات فردّوها إلى أصولها المحكمة، فنفوا كلّ ما يدلّ على التشبيه والتجسيم، ثمّ أثبتوا له تعالى الصفات الثبوتية، على أنها صفات قائمة بذاته، وليست هي أشياء منفصلة عنه زائدة عليه كما زعمت الأشاعرة. وقالوا بوجود المجاز في اللغة، واعتمدوه في إرجاع المتشابه إلى المحكم، فعملوا بالتأويل في هذه الحدود مقتفين الأثر الصادق الذي وجدوه كلّه منسجماً مع المحكم. ومن ذلك قول الإمام علي عليه السلام:"وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه؛ لشهادة كل صفة أَنَّها غير الموصوف، وشهادة كل موصوف أَنَّه غير الصفة، فمن وصف الله سبحانه فَقد قرنه، ومن قرنَه فَقدْ ثنّاه، ومَنْ ثنّاه فقدْ جزّأَه، ومن جزّأَهُ فقدْ جهِله".(٣) فقول الإمام علي هو ردّ صريح على من يُجري أخبار الصفات وآياتها على ظواهرها وعلى الحقيقة دون المجاز(٤).

المناقشة:

تبين مما سبق بأن الاثنا عشرية قد اعتمدت على التأويل الفاسد لنفي الصفات عن الله تعالى وجعلته عمدتها في صرف آيات الصفات عن حقيقتها التي أنزلت عليها إلى المجاز، وتبرز أدلة بطلان هذا التأويل من خلال الآتي:

أولا: التأويل الذي ذهبت إليه الشيعة تأويل مبتدع لم يرد معناه في كلام العرب ولا في لغة القرآن الكريم .

فتأويل الشيعة الذي هو: صرف اللفظ عن ظاهره وحقيقته إلى المجاز وما يخالف ظاهره، أي تفسيره بالمعنى المجازي الذي يتوهموه لم يرد معناه في لغة العرب أو في القرآن، فالتأويل في لغة القرآن الكريم الذي جاءت به النصوص هو بمعنى يعود على العاقبة والمرجع والعود، يقول ابن منظور:"الأوْل:الرجوع، آل الشيء يؤول ومآلا رجع، وأوّل إليه الشيء: رَجَعَهَ. وأُلْتُ عن

(١) العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت: جعفر السبحاني، ص٨٦.

(٢) صفات الله عن المسلمين: حسن العايش، ص ٤٨.

(٣) المذاهب والفرق في الإسلام النشأة والعالم:صائب عبد الحميد ،ص ١٠٦-١٠٧-بتصرف-. وانظر إلى ما نسبوه من كلام لعلي ﷺ : نهج البلاغة: مجموع ما اختتاره الشريف الرضي من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، تحقيق: د. صبحي الصالح ، الطبعة الأولى ، بيروت- لبنان ص٤٠.

(٤) المذاهب والفرق في الإسلام النشأة والعالم:صائب عبد الحميد، ص١٠٧.

الشيء:ارتددت. يقال:طبخت النبيذ حتى آل إلى الثلث أو الربع أي رجع، والأيّل من الوحش: الوعل، قال الفارسي: سمي بذلك لمآله إلى الجبل يتحصن فيه".[1] كما ويأتي التأويل في لغة العرب بمعنى التفسير، وهذا المعنى ليس بعيد عن المعنى الأول، فالتفسير تأويل، لأن المفسر يراجع نفسه عند الشرح والبيان ويدبر الكلام ويقدره، ففيه معنى العود والرجوع[2].

يقول شارح الطحاوية:"التأويل في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ هو الحقيقة التي يؤول إليه الكلام، فتأويل الخبر هو عين المخبر به، وتأويل الأمر:نفس الفعل المأمور به"[3].

إذاً التأويل الذي ذهبت إليه الشيعة لنفي الصفات عن الله تعالى تأويل مبتدع لم يرد في الكتاب والسنة ولغة الأمة، فأهل السنة يستطيعون القول بأن ما أثبتوه من الصفات لله تعالى هو من عند الله ، والكتاب والسنة ولغة الأمة قد دلا عليه، أما الشيعة فلا يملكون إلا الظن ولا يستطيع أحدهم أن يقول هذا من عند الله جازماً[4] ، بل لو كان الحق ما يقوله الشيعة من التأويل، فكيف يجوز على الله تعالى، ثم على رسوله ﷺ ، ثم على خير الأمة وأفضلها من الصحابة والتابعين: أنهم يتكلمون بما هو نص أو ظاهر، في خلاف الحق؟! ويعلمون ذلك أولادهم، ونساءهم، وإماءهم، هكذا يعلمونهم الباطل والكفر والتشبيه، حتى جاء تلامذة الصابئة والفلاسفة والشيعة فنطقوا بالبيان، وصدعوا بالحق[5].

ثانياً: إجماع سلف الأمة على ذم تأويل الشيعة لآيات الصفات وصرفها عن ظاهرها إلى المجاز، بل وإجماعهم على إثبات الصفات لله تعالى من غير تشبيه ولا تعطيل، يقول الإمام الأشعري: "إن كثيرا من الزائغين عن الحق من المعتزلة وأهل القدر مالت بهم أهواؤهم إلى تقليد رؤسائهم ومن مضى من أسلافهم، فتأولوا القرآن على آرائهم تأويلا لم ينزل به الله سلطانا، ولا أوضح به برهانا، ولا نقلوه عن رسول رب العالمين، ولا عن السلف المتقدمين .وخالفوا روايات الصحابة ﷺ عن نبي الله ﷺ في رؤية الله ﷻ بالأبصار، وقد جاءت في ذلك الروايات من الجهات المختلفات، وتواترت بها الآثار وتتابعت بها الأخبار. وأنكروا شفاعة رسول الله ﷺ للمذنبين، ودفعوا الروايات في ذلك عن السلف المتقدمين. وجحدوا عذاب القبر، وأن الكفار في قبورهم يعذبون، وقد أجمع على ذلك الصحابة والتابعون ﷺ أجمعين. ودانوا بخلق القرآن نظيرا لقول إخوانهم من المشركين؛ الذين قالوا: ﴿إِنْ هَـٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ [المدّثر:٢٥]، وأثبتوا أن العباد يخلقون الشر، نظيرا لقول المجوس الذين أثبتوا خالقين: أحدهما الخير، والآخر يخلق الشر"[6].

---

(١) لسان العرب: لابن منظور ٣٠/١١

(٢) التأويل خطورته وآثاره:الدكتور عمر بن سليمان الأشقر، الطبعة الأولى ، ١٤٢١هـ ، ص ٥، المكتبة الشاملة.

(٣) شرح الطحاوية في العقيدة السلفية: ابن أبي العز الحنفي، ص١٥٢

(٤) انظر: منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة: عثمان على حسن، ٥٦١/٣.

(٥) انظر: مجموع الفتاوى: ابن تيمية ، ١٥/٥-١٦.

(٦) الإبانة عن أصول الديانة: الأشعري، ص: ٧.

وقال الإمام ابن خزيمة[1]: " إن الأخبار في صفات الله موافقة لكتاب الله تعالى، نقلها الخلف عن السلف: قرناً بعد قرن، من لدن الصحابة والتابعين إلى عصرنا هذا، على سبيل الصفات لله تعالى ، والمعرفة والإيمان به، والتسليم لما أخبر الله تعالى في تنزيله، ونبيه الرسول ﷺ عن كتابه، مع اجتناب التأويل، والحجود وترك التمثيل والتكييف"[2].

وقال القاضي أبو يعلى رحمه الله:" ويدل على إبطال التأويل: أن الصحابة ومن بعدهم من التابعين حملوها على ظاهرها، ولم يتعرضوا لتأويلها ، ولا صرفوها عن ظاهرها، فلو كان التأويل سائغاً لكانوا أسبق ، لما فيه من إزالة التشبيه، ودفع الشبهة ، بل قد روي عنهم ما دل على إبطاله"[3]

وقد روي أن نصير بن يحيى البلخي روى عن عمر بن إسماعيل بن حماد بن أبي يحيى بن محمد بن الحسن رحمهم الله : أنه سُئل عن الآيات والأخبار التي فيها من صفات الله تعالى ما يؤدي ظاهره إلى التشبيه ؟ فقال: نمرها كما جاءت ، ونؤمن بها ، ولا نقول : كيف وكيف . ويجب أن يعلم أن المعنى الفاسد الكفري ليس هو ظاهر النص ولا مقتضاه ، وأن من فهم ذلك منه فهو لقصور فهمه ونقص علمه"[4].

وقال ابن عبد البر:" أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والإيمان بها ، وحملها على الحقيقة لا على المجاز ، إلا أنهم لا يكيفون شيئاً من ذلك ولا يحدون فيه صفة محصورة"[5].

ثالثاً: إن التأويل الذي سلكوه فيه حمل للحقيقة على المجاز، وهذا الحمل خروج عن الظاهر وعن الأصل بلا موجب، كما أن المجاز لا يمتنع نفيه، فعلى هذا لا يمتنع أن يقال مثلا: ليس لله علم أو ليس لله سمع، ولا حقيقة لعلمه وسمعه، وفي هذا تكذيب صريح لما أخبر الله به عن نفسه، وما اخبر به رسوله عليه الصلاة والسلام، من وصف الله تعالى بالعلم والسمع ونحو ذلك من صفات الكمال[6].

---

(١) ابن خزيمة: حمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي، النيسابوري، الشافعي، أبو بكر، ولد بنيسابور سنة ٢٢٣هـ، وطاف البلاد في طلب العلم وسماع الحديث ، وتوفي بنيسابور في ٢ذي القعدة سنة ٣١١هـ من تصانيفه الكثيرة:المختصر الصحيح ، التوحيد واثبات صفات الرب.(معجم المؤلفين:عمر كحالة: ٣٩/٩-٤٠).

(٢) ذم التأويل: عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، تحقيق: بدر بن عبد الله البدر، الناشر: الدار السلفية، الطبعة الأولى ، الكويت، ١٤٠٦هـ، ص١٦، رواية رقم:٢٠.

(٣) إبطال التأويلات لأخبار الصفات: القاضي أبي يعلى محمد بن الحسين بن محمد الفراء، تحقيق: محمد بن حمد الحمود النجدي، الناشر: دار إيلاف الدولية للنشر والتوزيع، ٤٤/١.

(٤) شرح الطحاوية في العقيدة السلفية: ابن أبي العز الحنفي، ص١٥٤.

(٥) التمهيد لما في الموطأ من معاني والأسانيد : أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكريم البكري، الناشر : مؤسسة القرطبة ، ١٤٥/٧.

(٦) موقف الشيعة من صفات الله: د. صالح الرقب، ص٣٨٥.

رابعاً: يقال للشيعة إنَّ حمل الصفات على المجاز يلزمكم أن تكون أسماء الله تعالى كالسميع والبصير والقدير والحي وسائر أسماؤه مجازا، لا حقيقة لها، وهذا باطل، لأنه يؤدي إلى تعطيل الأسماء كما عطلتم الصفات، وإذا كان هذا باطلاً فما يؤدي إليه يعتبر مثله، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:١٨٠] .ويقول تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر:٢٤]، وقال سبحانه وتعالى:﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء:١١٠] (١) .

خامسا: إن تأويل الصفات بحملها عن المجاز يؤدي إلى تحريك العقيدة في القلوب، فإن القلوب تطمئن إلى معبودها إذا عرفته بصفاته وأسمائه كما جاءت في نصوص الكتاب والسنة، فإذا أصبحت هذه النصوص مجالاً للتأويل وحملها على المجاز بعيدا عن الحقيقة، فإنها تفقد هيبتها، وتضعف الثقة بها، وهذا حتما يؤدى إلى الجهل بالله تعالى، يقول شارح الطحاوية في بيان ذلك:"أن تنحل القلوب عن الجزم بشيء تعتقده مما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم، إذ لا يوثق بأن الظاهر هو المراد، والتأويلات مضطربة، فيلزم عزل الكتاب والسنة عن الدلالة والإرشاد إلى ما أنبأ به العباد، وخاصة أن النبوة هي الإنباء، ولهذا نجد أن أهل التأويل إنما يذكرون نصوص الكتاب والسنة للاعتقاد لا للاعتماد، إن وافقت ما ادعوا أن العقل دلَّ عليه قبلوه، وإن خالفته أولوه وهذا فتح باب الزندقة والانحلال".(٢)

سادساً: إن التأويل الشيعي يفتح لأهل الشرك وأصحاب البدع الباب لإفساد دين الله.

يقول شارح الطحاوية مخاطباً أهل التأويل الفاسد:" فقد فتحتم عليكم باباً لأنواع المشركين والمبتدعين، لا تقدرون على سدّه، فإنكم إذا سوغتم صرف آيات القرآن عن دلالته المفهومة بغير دليل شرعي فما الضابط فيما يسوغ تأويله وما لا يسوغ؟ فإن قلتم: ما دل الدليل القاطع على استحالته تأولناه، وإلا أقررناه. قيل لكم:وبأي عقل نزن القاطع العقلي؟ فإن القرمطي الباطني يزعم قيام القواطع على بطلان ظواهر الشرع، ويزعم الفيلسوف قيام القواطع على بطلان حشر الأجساد. ويزعم المعتزلي قيام القواطع على امتناع رؤية الله تعالى، وعلى امتناع قيام علم أو كلام أو رحمة به تعالى"(٣).

ويقول الإمام ابن تيمية:"سلط الله عليهم الدهرية المنكرون للقيامة وللمعاد الأبدان، وقالوا: إذا جاز لكم أن تتأولوا ما ورد في الصفات؛ جاز لنا أن نتأول ما ورد في المعاد. وقد أجابوهم بأنا قد علمنا ذلك بالاضطرار من دين الرسول. فقال لهم أهل الإثبات: وهكذا العلم بالصفات في الجملة هو مما يعلم

---

(١) المرجع السابق، ص ٣٨٦.

(٢) شرح الطحاوية في العقيدة السلفية: ابن أبي العز الحنفي، ص١٥٥

(٣) المصدر السابق، ص١٥٥

بالضرورة مجيء الرسول به وذكره في الكتاب والسنة أعظم من ذكر الملائكة والمعاد، مع أن المشركين من العرب لم تكن تنازع فيه كما كانت تنازع في المعاد"[١].

سابعاً: إن الشيعة المؤولة للنصوص يلزمهم الوقوع في عدة محاذير، وكل محذور فيه خطورة على عقيدة سالكيه:-

١. الطعن في علم المتكلم بنصوص الصفات، باعتقادهم أنَّ ظاهر كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ من المحال الباطل، ففهموا أن ظاهر النصوص التشبيه، فلزم تأويلها عندهم.
٢. تعطيلهم النصوص عن حقائقها، بصرفها للمجاز، بناء منهم على ذلك الفهم الذي يليق بهم، ولا يليق بالله جل جلاله.
٣. اتهام المتكلم بالنصوص بعدم البيان والهدى والإرشاد، والقدح في نصحه.
٤. التلاعب بالنصوص، وانتهاك حرماتها[٢].

ولقد يبين ابن قيم الجوزية المحاذير الثلاثة الأخيرة بقوله:"وتقرير ذلك أن يقال إما أن يكون المتكلم بهذه النصوص عالما أن الحق في تأويلات النفاة المعطلين أو لا يعلم ذلك، فإن لم يعلم ذلك والحق فيها كان ذلك قدحا في علمه، وإن كان عالما أن الحق فيها فلا يخلو إما أن يكون قادرا على التعبير بعباراتهم التي هي تنزيه لله بزعمهم عن التشبيه والتمثيل والتجسيم، وأنه لا يعرف الله من لم ينزهه بها أو لا يكون قادرا على تلك العبارات، فإن لم يكن قادرا على التعبير بذلك لزم القدح في فصاحته...وإن كان قادرا على ذلك ولم يتكلم به وتكلم دائما بخلافه وما يناقضه كان ذلك قدحا في نصحه".[٣]

---

(١) منهاج السنة النبوية: ابن تيمية، ١٥٢/٢-١٥٣.
(٢) انظر:مختصر الصواعق المرسلة :ابن القيم ٥٦/١.
(٣) المصدر السابق: ٥٦/١-٥٧.

المبحث الثالث

أمثلة على موقف الشيعة من الصفات الواردة في الكتاب.

المطلب الأول: صفة اليدين:

أولاً: إثبات السلف الصالح لصفة اليدين :

وردت صفة اليد لله تعالى في أكثر من موضع في كتابه الحكيم وهي في التالي:-

١. قال تعالى: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ العَالِينَ﴾ [ص:٧٥].

٢. وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الفَضْلَ بِيَدِ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران:٧٣].

٣. وقال تعالى: ﴿وَقَالَتِ اليَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة:٦٤].

٤. وقال تعالى :﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح:١٠].

٥. وقال تعالى :﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللهِ وَأَنَّ الفَضْلَ بِيَدِ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ﴾ [الحديد:٢٩].

٦. وقال تعالى :﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾ [يس:٧١].

ولقد أجمع السلف رضي الله عنهم من الصحابة والتابعين على ثبوت صفة اليدين لله تعالى كما وردت في نصوص الكتاب والسنة من غير تأويل ولا تعطيل ولا تحريف ولا تكييف [(١)]، وقالوا بأنه إذا جاءت اليد مضافة إلى الله تعالى سواء كانت مفردة أو مثناة أو جمع فإن المراد بها صفة اليد الحقيقية لله تعالى ، فكل النصوص الواردة في تلك الصفة يصح الاستدلال بها دون التفريق بين نص وآخر[(٢)]، فقد أجرى السلف صفة اليد على ظاهرها اللائق بجلال الله، فلا يشبهون يده بيد المخلوقين وينزهونه عن ذلك تنزيهاً بريئاً عن التعطيل ، فطريقة السلف وسط بين المؤولة المعطلة، والمشبهة المجسمة.

وروي عن كثير من الصحابة الأحاديث المشتملة على صفة اليد وكانوا يؤمنون بها دون نقاش أو جدل ، فقد ثبت عن عبد الله بن عمر أنه قال:" خلق الله تبارك وتعالى أربعة أشياء بيده، العرش ، وجنان عدن ، وآدم ، والقلم"[(٣)].

---

(١) انظر: الرسالة التدمرية: ابن تيمية، ص٥٠.

(٢) انظر: الصفات الخبرية بين المثبتين والمؤولين بياناً وتفصيلاً :د.جابر زايد عيد السميري ، الطبعة الأولى ، الناشر: الدار السودانية للكتب ، الخرطوم، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م،ص١٠١.

(٣) أخرجه الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين، تفسير سورة الأعراف، حديث رقم:(٣٢٤٤)، ٣١٩/٢، قال عنه: حديث صحيح الإسناد، وقال الذهبي في التلخيص: صحيح.

وعن ابن عباس أنه قال في تأويل قوله تعالى:﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤] قال: "اليدان اليدان"[(١)].

وقال الإمام أبو حنيفة:" لله يد...كما ذكر تعالى في القرآن من ذكر اليد... فهو له صفة بلا كيف، ولا يقال أن يده قدرته ونعمته لأن فيه إبطال الصفة"[(٢)].

وقال الإمام ابن القيم:" ورد لفظ اليد في القرآن والسنة وكلام الصحابة والتابعين في أكثر من مائة موضع ، وروداً متنوعاً متصرفاً فيه مقروناً بما يدل على أنها يد حقيقية من الإمساك الطي، والقبض ، والبسط، والمصافحة، والخلق باليدين..."[(٣)].

ثانياً: تأويل صفة اليد عند الاثنا عشرية:

زعمت الاثنا عشرية بأنه ليس لله يد على الحقيقة وأن صفة اليد الواردة في الكتاب إنما أريد بها معنى أخر على سبيل المجاز، فقوله تعالى : ﴿ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [الفتح:١٠] لا يأخذ على ظاهره، لأنه يستلزم التجسيم على الله تعالى وهو باطل، لأنه يخالف العقل ، فالعقل يقبح كون الله عز وجل له جسم، لاستلزام الجسمية المحدودية، والمحدودية تدل على النقص والحاجة، والله تعالى منزه من ذلك، لذا فإن الآيات التي وردت فيها صفة اليد يجب تأويلها بأي وجه من الوجوه وإن كان لا يحتمله المعنى، فنجد علماء الاثنا عشرية أوّلوا صفة اليد بالنعمة أو القوة والقدرة[(٤)] ولبيان ما ذهبوا إليه من هذا التأويل نوضحه في التالي:

١. الروايات الواردة في تأويل صفة اليد:

جاء في كتاب التوحيد لابن بابويه: باب تفسير قول الله عز وجل ﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص:٧٥] ذكر فيه مؤلفه روايتان منسوبتان إلى الأئمة يؤولون فيها صفة اليد بالقوة والنعمة تارة وبالقدرة والنعمة تارة أخرى وهي كالتالي:

روى فيه عن محمد بن مسلم، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام فقلت: قوله عز وجل: {يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ} ، فقال: اليد في كلام العرب القوة والنعمة، قال:﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الأَيْدِ﴾ [ص:١٧]وقال: ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ [الذاريات:٤٧] أي بقوة وقال: ﴿ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ ﴾

---

(١) الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة: ابن قتيبة، ص٤١.

(٢) الفقه الأكبر: أبو حنيفة النعمان، ص٢٧.

(٣) مختصر الصواعق المرسلة: ابن القيم، ٢/١٧١.

(٤) دراسات في العقيدَة الإسلاميَّة: محمد جعفر شمس الدين ، ص١٥٣-١٥٤، وانظر: العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت: جعفر السبحاني ص ٨٧ .

[المجادلة:٢٢] أي قواهم ويقال: لفلان عندي أيادي كثيرة أي فواضل وإحسان، وله عندي يد بيضاء أي نعمة.[١]

وعن محمد بن عبيدة، قال:" سألت الرضا عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ﴾ قال: يعني بقدرتي وقوتي"[٢].

وينسب ابن بابويه إلى الأئمة تحريف قراءة آية الرواية السابقة لكي يستقيم معناها بعد تأويل اليد بالنعمة، فيذكر: "أنه سمع من مشايخ الشيعة بنيسابور أن الأئمة كانوا يقفون على قوله تعالى : ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ﴾ ، ثم يبتدئون بقوله عز وجل: ﴿ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ العَالِينَ﴾ وقال: هذا مثل قول القائل: بسيفي تقاتلني وبرمحي تطاعنني، كأنه يقول عز وجل: بنعمتي قويت على الاستكبار والعصيان"[٣].

وعن محمد بن عيسى بن عبيد قال: سألت أبا الحسن علي بن محمد العسكري عليهما السلام عن قول الله عز وجل :﴿ الأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ﴾ [الزُّمر:٦٧] ، فقال : ذلك تعبير الله تبارك وتعالى لمن شبهه بخلقه ، ألا ترى أنه قال : ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ [الزُّمر:٦٧] ، ومعناه إذ قالوا : إن الأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه كما قال عز وجل :" ما قدروا الله حق قدره ، إذ قالوا : ما أنزل الله على بشر من شيء ، ثم نزه عز وجل نفسه عن القبضة واليمين ، فقال سبحانه وتعالى عما يشركون"[٤].

كذلك عقد المجلسي في بحاره باباً أسماه:" تأويل قوله تعالى: خلقت بيدى، وجنب الله، ووجه الله، ويوم يكشف عن ساق،وأمثالها" ذكر فيه عدة روايات عن تأويل صفة اليد منها ما رواه عن سليمان بن مهران قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل:﴿وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزُّمر:٦٧] " قال: اليمين: اليد، واليد: القدرة والقوة، يقول عز وجل: والسموات مطويات بقدرته وقوته، سبحانه وتعالى عما يشركون"[٥].

ورووا عن رسول الله عليه الصلاة والسلام أنه قال:" أقيلوا ذوى الهيئات عثراتهم، فإن أحدهم ليعثر وإن يده بيد الله يرفعها"[٦] ثم زعموا أن هذا القول صدر عن رسول الله عليه السلام على سبيل

---

(١) التوحيد: الصدوق، باب في قوله تعالى[قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ]، حديث رقم:١، ص١٥٣.وانظر: بحار الأنوار: المجلسي، ٤/٤.

(٢) المصدر السابق: باب في قوله تعالى[قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ]، حديث رقم:١، ص١٥٤ ، وانظر: بحار الأنوار : المجلسي ١٠/٤.

(٣) المصدر السابق: ص١٥٤. .

(٤) بحار الأنوار: المجلسي، باب تأويل قوله تعالى: خلقت بيدى، جنب الله، ووجه الله ، حديث رقم:٢ ، ١/٤.

(٥) المصدر السابق: باب تأويل قوله تعالى: خلقت بيدي، وجنب الله ، ووجه الله ، ويوم يكشف عن ساق، وأمثالها حديث رقم:٢، ١/٤.

(٦) المجازات النبوية: الشريف الرضي، تحقيق طه محمد الزيتي، الناشر: منشورات مكتبة بصيرتي، قم، ص٢٢٩.

المجاز، والمراد" يد الله " معونة الله تعالى، فكأنه عليه الصلاة والسلام أراد أن أحدهم ليعثر، وأن معونة الله من ورائه، تنهضه من سقطته، وتقيله من عثرته[١]

٢.تأويل علماء الاثنا عشرية لصفة اليد:

ذهب صدوق الشيعة تبعاً لما رواه عن أئمة آل البيت، فحمل صفة اليد الواردة في الآيات على معنى القوة والقدرة ،واستشهد بقوله تعالى ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الأَيْدِ ﴾ [ص:١٧] [٢].

وإلى ذلك ذهب بعض علماء الشيعة[٣]، حيث فسروا اليد بقوله تعالى : ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ بالقوة والقدرة ، وعليه يكون المراد من تثنية لفظ اليد في الآية الكريمة أن قوّتيه بالثواب والعقاب مبسوطتان، بخلاف قول اليهود أن يده مقبوضة عن عذابنا. وأولوا اليد في قوله تعالى : ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ ﴾ بالقوة والقدرة ، وزعموا أن التثنية مبالغة في القوة والقدرة[٤].

بينما نجد الشيخ المفيد يميل إلى معنى أخر لصفة اليد في قول تعالى:﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤]بأنها تعني نعمته العامتين في الدنيا و الآخرة[٥]واستشهد بقول الشاعر :

له علي أياد لست أكفرها وإنما الكفر ألا تشكر النعم.

وأما في قوله تعالى فقال :" ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ ﴾ قال:إن المراد :بقدرتي وقوتي ،وقال :وفي تأويل الآية وجه آخر وهو: أن إضافة اليدين فيها هما : القوة والنعمة ، فكأنه قال خلقت بقوتي ونعمتي، وفيه وجه آخر وهو: أن إضافة اليدين إليه إنما أريد به تحقق الفعل له وتأكيد إضافته إليه، وتخصيصه به دون ما سوى ذلك من قدرة أو نعمة أو غيرهما[٦].

وفي سؤال وجه إليه عن قوله تعالى : ﴿وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزُّمر:٦٧] بما المراد من القبضة واليمين فأجاب:" أن اليمين في الآية هي القدرة و القبضة هي الملك"[٧] .

---

(١) المصدر السابق.

(٢) صفات الله عند المسلمين : حسن العايش ، ص ٤٢ ، وتصحيح اعتقادات الإمامية : المفيد ، ص٣٠.

(٣) انظر: تفسيرمجمع البيان: أبي على الفضل بن حسن الطبرسي، تحقيق: لجنة من العلماء والمحققين، النشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الأولى، بيروت لبنان ، ٣٧٤/٣.

(٤) انظر: المصدر السابق نفسه.

(٥) تصحيح اعتقادات الإمامية: المفيد، ص ٣٠.

(٦) المصدر السابق : ص٣٣-٣٤.

(٧) المسائل الكعبرية: المفيد، تحقيق: علي أكبر الإلهي الخرساني، الناشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية، المسألة السابعة والعشرون ، ص٤٣.

و يميل السيد الرضى[1] في تلخيص البيان إلى أن المراد من صفة اليد هو النعمة حيث قال:" وليس المراد بذكر اليدين ههنا الاثنتين اللتين هما أكثر من الواحدة، وإنما المراد به المبالغة في وصف النعمة، كما يقول القائل: ليس لى بهذا الأمر يدان. وليس يريد به الجارحتين، وإنما يريد به المبالغة في نفى القوة على ذلك الأمر، وربما قيل: أن المراد بذلك نعمة الدنيا ونعمة الاخرة" [2]

بينما نجد المجلسي بعد أن ذكر الأقوال في تأويل صفة اليد يميل إلى أن المراد من اليدان كناية عن النعمة والبلاء"[3].

ويؤكد محمد جعفر شمس الدين بأن المعنى المراد قوله تعالى : ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ هي نعمته ، وذكر أقوال علماءهم في بيان المراد من تثنية لفظة اليد بأنه:

١. مبالغة في معنى الجود الإنعام، لأن ذلك أبلغ فيه من أن يقول: بل يده مبسوطة.
٢. أن يكون الوجه في تثنية النعمة – والتي جاءت بلفظة اليد – انه أراد نعم الدنيا ونعم الآخرة.
٣. ويمكن أن يكون تثنية النعمة، أنه أريد بهما النعم الظاهرة والباطنة.

ثم يوضح بأن الآية تحتمل معنى آخر وهو أن المراد باليدين بالقوة والقدرة ، فيكون معنى الآية الكريمة ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤] ، قوتيه بالثواب والعقاب مبسوطتان وبهذا المعنى الأخير فسر قوله تعالى ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥]،بالقوة والقدرة وأن تثنية اليدين جاءت للمبالغة في القوة والقدرة ، ثم يقول :"وقس على هذا كل الآيات التي ورد فيها لفظ اليد مفرداً أو مثنى مضافاً إليه سبحانه[4].

والخلاصة مما سبق بأن روايات الاثنا عشرية وأقوال علمائها تتمحور حول تأويل اليد بالقدرة والقوة أو بالنعمة، وهذا التأويل هو نفس ما ذهبت إليه المعتزلة حيث يقول القاضي عبد الجبار في تأويل قوله تعالى ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾:" إن اليدين ههنا بمعنى القوة ، وذلك ظاهر في اللغة "[5].

---

(١) الشريف الرضي: محمد بن الحسين بن موسى، أبو الحسن، الرضي العلوي الحسيني الموسوي: أشعر الطالبيين ونقيبهم ، أخو المرتضى، كان شاعراً مبرزا ولد ببغداد عام ٣٥٩هـ وتوفي فيها عام ٤٠٦هـ، انتهت إليه نقابة الأشراف في حياة والده، قال الشيعي التفرشي عنه:" مره في الثقة والجلالة أشهر من أن يذكر (انظر: معجم رجال الحديث : الخوئي، ٢٣/١٧-٢٧، والأعلام: للزركلي، ٩٩/٦).

(٢) انظر: بحار الأنوار: المجلسي، هامش رقم١، ٩٨/٤.

(٣) مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول: المجلسي، ١١/ ١٦٣.

(٤) دراسات في العقيدَة الإسلاميَّة: محمد جعفر شمس الدين ، ص١٥٣-١٥٤، وانظر : العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت: جعفر السبحاني ص ٨٧.

(٥) شرح الأصول الخمسة :القاضي عبد الجبار، ص٢٢٨.

المناقشة:

لقد بيّن أهل السنة والجماعة تهافت ما ذهب إليه الاثنا عشرية من تأويل صفة اليدين بالقوة والقدرة أو النعمة، وأوضحوا ذلك من خلال الكتاب والسنة و وما عليه لغة الأمة وما دل عليه العقل الصريح، قبل أن يعرف الاثنا عشرية ذلك التأويل، ويأخذوه من المعتزلة الجهمية ، ويضاف إلى ذلك البيان والوضوح ما أثبتته كتب الرواية المعتمدة عند الاثنا عشرية من ثبوت صفة اليدين لله تعالى، ولتوضيح ذلك نبينه في النقاط التالية:

أولاً: الرد عليهم من خلال الكتاب .

إنّ القرآن الكريم مليء بالآيات التي تثبت صفة اليد لله تعالى، وأنها من صفات الله الثابتة قطعاً، وأنها يد حقيقية تليق بعظمة الرب وقدره، والأصل في كلام الله تعالى أن يحمل على حقيقته، فلا يجوز العدول عن ذلك، إلا إن كانت هناك قرينة تمنع الحمل على الحقيقة.

وقد وردت صفة اليد في كتاب الله عز وجل بصيغة الإفراد، ومن ذلك: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح:١٠]وقال سبحانه: ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [المؤمنون:٨٨] وقال تعالى: ﴿وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران:٢٦] . وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾ [يس:٧١] .

كما وردت صفة اليد في كتاب الله عز وجل بصيغة التثنية، ومن ذلك: قوله تعالى:﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ العَالِينَ﴾[ص:٧٥]ومن ذلك قوله تعالى﴿وَقَالَتِ اليَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ﴾ [المائدة:٦٤]

ووردت صفة اليد بصيغة الجمع كما في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾ [يس:٧١] .

وورد ما يدل عليها من القبض والبسط والطي والأخذ، من ذلك قوله تعالى:﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزُّمر:٦٧] ، وقوله تعالى:﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة:٢٤٥]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آَدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف:١٧٢].

فكل هذه الصيغ دالة على إثبات معنى واحد: هو إثبات صفة اليد لله تعالى حقيقة على ما يليق بجلاله، دون تشبيه ولا تمثيل لها بيد المخلوقين، ودون تحريف لها ولا تعطيل، فكما أن له تعالى ذاتاً حقيقة لا تشبه ذوات العباد فصفاته لا تشبه صفاتهم ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ [الشُّورى:١١]

ثانياً : الرد عليهم من خلال السنة.

هناك الكثير من الأحاديث الثابتة عن رسول الله ﷺ جاءت مثبتة لصفة اليدين لله تعالى نذكر منها على وجه الاستدلال:

١. ما رواه أبو هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ احتج آدم وموسى، فقال موسى لآدم:أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة قال له آدم: أنت موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة بيده.."[١]

٢. ما رواه أبو هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ لما خلق الله الخلق كتب بيده على نفسه أن رحمتي تغلب غضبي"[٢].

٣. ما رواه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه إن رسول الله ﷺ قال: إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها"[٣].

٤. ما رواه عبد الله بن عمر بن العاص أن النبي ﷺ قال:" إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا"[٤].

٥. ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:" يجمع الله الناس يوم القيامة، فيقولون: لو استشفعنا على ربنا حتى يريحنا من مكاننا، فيأتون آدم فيقولون يا آدم أنت أبانا الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، فاشفع لنا عند ربنا..."[٥].

فهذه الأحاديث وغيرها الكثير من الأحاديث الصادرة عن النبي ﷺ، وما تواتر ذكره عن الصحابة والتابعين لهم من ثبوت صفة اليدين لله تعالى دون أن يشذ ولو واحد منهم فيقول إن صفة اليد جاءت على المجاز لا على الحقيقة، كل ذلك يؤكد على صحة ما جاء به القرآن الكريم من ثبوت تلك الصفة لله عز وجل.

ثالثاً : الرد عليهم من خلال اللغة.

١. إن مما يدل على إبطال تأويل الشيعة لصفة اليد في قوله تعالى ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥]بمعنى النعمة، أنه لم يرد في اللغة ولا في عادة أهل الخطاب أن يقال: عملت كذا بيدي، ثم يعني بذلك النعمة، وأنه لا يجوز أن يقول المرء رفعت الشيء بيدي أو وضعته بيدي أو توليته بيدي وهو يعنى بذلك النعمة، كما لا يجوز أن يقال لي عند فلان يدان وهو يعني نعمتين، وإنما يقال:لي عنده

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب وفاة موسى وذكره، حديث رقم:(٣٤٠٩) ، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب حجاج آدم موسى علبه السلام ، حديث رقم:(٢٦٥٢).

(٢) رواه ابن ماجة في سننه ، كتاب الزهد ، باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة، حديث رقم:(٤٢٩٥)، ١٤٢٥/٢، قال الألباني حديث صحيح. و رواه ابن حبان في صحيحه كتاب التاريخ، باب بدء الخلق ، حديث رقم(٦١٤٥)، ١٤/١٤.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة، حديث رقم:(٢٧٥٩)

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم، حديث رقم:(١٨٢٧).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق ، باب صفة الجنة والنار، حديث رقم: ٦٥٦٥، ١١٦/٨.

يدان بيضاوان، فالقول يد لا يعني سوى اليد التي هي صفة لذات على الحقيقة .ففي ففي قوله تعالى :﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥] أضاف الله تعالى الفعل إلى الفاعل، وعدى الفعل إلى اليد بحرف الباء، وما كان كذلك فإنه لا يمكن إلا أن يكون نص في أنه فعل الفعل بيده حقيقة فعلى هذا تكون الآية نص صريح في إثبات صفة اليد لله تعالى، وعدم جواز تأويلها بالنعمة والقدرة .وإذا كان الله تعالى قد خاطب العرب بلغتها وما يجري مفهوما في كلامها ومعقولا في خطابها، وكان لا يجوز في لسان أهل البيان أن يقول القائل فعلت بيدي، ويعني به النعمة، بطل أن يكون معنى قوله تعالى"بيدي" النعمة، وإنما المراد الصفة على الحقيقة[(١)].

٢. ومما يبين بطلان تأويل اليد بالقدرة والنعمة في قوله تعالى﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥] أنه من المعروف في لغة العرب استعمال الواحد في الجمع كقوله تعالى:﴿إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ [العصر:٢]والجمع في الواحد: كقوله تعالى ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾ [آل عمران:١٧٣] ، والجمع في الاثنين: كقوله تعالى ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التَّحريم:٤]، ولكنها لم تستعمل الواحد في الاثنين فلا تقول عندي رجل وأنت تعنى رجلين، ولم تستعمل الاثنين في الواحد فلا تقول عندي رجلان وأنت تعنى به جنس الرجال، فلا يجوز تأويل اليدين بالقدرة لأن القدرة صفة واحدة، ولا يجوز أن يعبر بالاثنين عن الواحد، ولا يجوز تأويل اليدين بالنعمة، ولا يجوز أن يكون خلق الله آدم بنعمتين، لأن نعم الله على آدم وغيره لا تحصى ولا تعد، وعند ذلك فلا يجوز أن يعبر بالاثنين عن الجمع، وهذا مما يبطل تأويل الشيعة لليدين بالنعمة أو القدرة "[(٢)].

٣. إنَ تأويل الشيعة لليمين والكف والقبضة بالنعمة أو القدرة، فباطل ويرد عليه :بأن هذا التأويل مخالف لما عليه لغة العرب التي أنزل الله بها القرآن الكريم، ومخالف لغيرها من لغات الأمم، حيث لم يستعمل أحد من أهل اللغة اليمين والكف أو القبضة في النعمة أو القدرة، ثم إن سياق النصوص الشرعية التي وردت فيها هذه الألفاظ لا يمكن أن يكون لها معنى مفهوم إذ أولت بالنعمة أو القدرة، فمثلا في قوله صلى الله عليه وسلم":إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا"[(٣)].

---

(١) مناهج الإسلاميين في إثبات وجود الله ووحدانيته، د. صالح حسين الرقب ،٥٥٦/١.

(٢) انظر: التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل: أبو بكر محمد بن إسحق بن خزيمة، تحقيق: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، الناشر: مكتبة الرشد، الطبعة الأولى، الرياض، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م، ١٩٧/١، والاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد: البيهقي، ص٦٩، ومجموع الفتاوى:ابن تيمية ٣٦٥/٦.

(٣) انظر مختصر الصواعق المرسلة:ابن القيم،١٧١/٢، ١٧٣

يقول ابن خزيمة:" وقال الله عز وجل: ﴿وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزُّمر:٦٧] ، أفلا يعقل أهل الإيمان أن الأرض جميعاً لا تكون قبضة إحدى نعمتيه يوم القيامة ، ولا أن السموات مطويات بالنعمة الأخرى ألا يعقل ذوو الحجا من المؤمنين أن هذه الدعوى التي يدعيها الجهمية جهل أو شر من الجهل ، بل الأرض جميعاً قبضته ربنا جل وعلا بإحدى يديه يوم القيامة ، والسماوات مطويات بيمينه ، وتستيقن أن الجهمية مبدّلة لكتاب الله لا متأولة"[١]

رابعاً : الرد عليهم من خلال العقل.

١. **إن دعوى المجاز في لفظ "اليد" الواردة في الكتاب والسنة باطلة إذ لا دليل عليها،** فالكلام يبقى على حقيقته وأصله الظاهر حتى يثبت الدليل الصارف عن الحقيقة إلى المجاز، ولا بد من وجود القرائن الدالة على المجاز الذي اختاره المتكلمون لهذ اللفظة، ولا بد من احتمال سياق النص الخاص لهذا المعنى الخاص الذي أرادوه ، ومما يبيين بطلان دعوى المجاز أن لفظة اليد استعملت مطردة في أكثر من موضع ، ولكل موضع سياقه الخاص الذي يختلف عن غيره[٢].

٢. **إنه ليس من المعقول أن يأتي ذكر اليد في الكتاب والسنة بصورة مستفيضة ثم لم يأت نص واحد أو دليل واحد يصرفها عن ظاهرها ،** وهل من المعقول أن يغفل النبي ﷺ بيان ما يدل على أن اليد الواردة في كلام الله تعالى لا يراد بها ظاهرها إنما يراد بها معنى آخر، خاصة وأنه ﷺ علّم أصحابه كل ما ينفعهم في دينهم ودنياهم ، وهل من المعقول أن يغفل الصحابة والتابعون وأئمة السلف بيان هذا الأمر المتعلق بالاعتقاد[٣].

٣. **أن تأويل اليد بالقدرة وبالقوة أو بالنعمة قول على الله بغير علم،** فإن الشيعة المفتونين بالتأويل يؤولون اليدين تارة بالقدرة، وتارة بالقوة، وتارة بالنعمة في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥]وأرادوا بذلك أن لا تدلّ على يدين حقيقيتين كما أراد الله تعالى من الآية، بل أرادوا شيئا معنويا، واختاروا لها أي معنى يوافق أصولهم في التأويل، ولو كان ذلك باطلا، ولا دليل عليه، فهذا قول على الله تعالى بلا علم، فالأصل عدم صرف اللفظ عن ظاهره إلا بدليل واضح، وقد تنوعت النصوص في كتاب الله والسنة النبوية على إثبات اليدين لله تبارك وتعالى، ووصفها بأوصاف تمنع تأويلها بالقدرة أو النعمة .

يقول أبو الحسن الأشعري: لا يجوز عندنا ولا عند خصومنا أن نعني جارحتين ولا يجوز عند خصومنا أن يعني قدرتين. فصح أن معنى قوله تعالى" بيدي" إثبات يدين ليستا جارحتين ولا قدرتين ولا نعمتين، لا يوصفان إلا بأن يقال:إنهما يدان، ليستا كالأيدي، خارجتان عن سائر الوجوه التي سلفت[٤].

---

(١) التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل: ابن خزيمة، ١٩٧/١.

(٢) مختصر الصواعق المرسلة: ابن القيم ، ١٥٣/٢، بتصرف، و انظر: مناهج الإسلاميين في إثبات وجود الله ووحدانيته، د. صالح حسين الرقب ،٥٥٦/١.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى: ابن تيمية، ٣٦٧/٦-٣٦٩.

(٤) الإبانة في أصول الديانة : أبو الحسن الأشعري ، ص٣٩ بتصرف.

٤. **إن هذا التأويل فيه قياس للغائب على الشاهد وهذا القياس باطل ومردود عليهم،** حيث قالت الشيعة نحن نؤول اليد بالقدرة أو النعمة، لأن اليد لا تكون إلا الجارحة، والجوارح من خصائص الأجسام، والله تعالى منزه عنة التجسيم والتشبيه، فإنه يقال لهم :إذا كنتم بنيتم ذلك على الشاهد المخلوق وقضيتم به على الله عز وجل، فإن هذا مردود عليكم، إذ من المعلوم أنه لم نجد قائما بذاته في الشاهد إلا جوهراً أو جسما، فإذا قلتم: نحن نثبت موجودا لا كالموجودين، قلنا لكم: ونحن نثبت لله تعالى يداً لا كالأيدي، وليس لكم أن تمنعوا إثبات يدين ليستا نعمتين ولا جارحتين، إذ ليس في العقل الصريح أو السمع الصحيح ما يمنع ذلك(١).

٥. **ولو كان معنى اليد في هذه الآية النعمة لما كان لآدم فضيلة على إبليس،** إن قوله تعالى ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥] هو خطاب منه تعالى لإبليس على سبيل التقريع والتوبيخ، لأن إبليس امتنع عن السجود لآدم الذي خلقه الله تعالى بيده، ولو كان معنى اليد في هذه الآية النعمة لما كان لآدم فضيلة على إبليس، ولما استحق إبليس التوبيخ لامتناعه عن السجود لآدم المفضل لكونه مخلوقا بيد الله عز وجل .ولقد جاء الخبر عن رسول الله ﷺ مفسراً ومؤكداً لما أخبر به القرآن الكريم من خلق آدم بيده، حيث صح عنه عليه السلام أنه قال:إن الله خلق آدم بيده، وخلق جنة عدن بيده، وكتب التوراة بيده (٢) .

يقول الإمام البيهقي:" فأما قوله عز وجل﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥] فلا يجوز أن يحمل على الجارحة، لأن الباري جل جلاله واحد، لا يجوز عليه التبعيض، ولا على القوّة والملك والنعمة والصلة، لأن الاشتراك يقع حينئذ بين وليه آدم، وعدوه إبليس، فيبطل ما ذكر من تفضيله عليه لبطلان معنى التخصيص، فلم يبق إلا أن يحملا على صفتين تعلقتا بخلق آدم، تشريفاً له، دون خلق إبليس، تعلق القدرة بالمقدور، لا من طريق المباشرة، ولا من حيث المماسة، وكذلك تعلقت بما روينا في الأخبار من خط التوراة وغرس الكرامة لأهل الجنة، وغير ذلك تعلق الصفة بمقتضاها...فلم يجز حملها على غير الصفة"(٣) .

٦. **ومما يبطل تأويل اليد بالنعمة أن الله قال" بيدي" بصيغة التثنية ولفظ اليدين لم يستعمل بهذه الصيغة في النعمة** ، لأن لفظ الواحد لا يستعمل في الإثنين ، ولفظ الإثنين في الواحد ، إنما يستعمل الواحد في الجمع ، ولفظ الجمع في الواحد ، ولفظ الإثنين في الجمع ، ولا يجوز أن يكون الله تعالى قد خلق آدم بنعمتين ، لأن نعم الله تعالى على أدم وغيره كثيرة لا تحصى(٤).

٧. **وكذلك مما يبطل تأويل اليد بالنعمة في قوله تعالى:** ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤] ، **ما قاله ابن خزيمة** :" لو كان معنى اليد النعمة لقرئت :بل يداه مبسوطة أو منبسطة، لأن نعم الله أكثر من أن تحصى

---

(١) انظر: الإبانة في أصول الديانة ، أبو الحسن الأشعري، ص٤٠، مجموع الفتاوى :ابن تيمية ، ٣٧٦/٦.

(٢) انظر : مختصر الصواعق المرسلة: ابن القيم، ١٧١/٢-١٧٢.

(٣) انظر: الأسماء والصفات : أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: عبد الله بن محمد الحاشدي، الناشر: مكتبة السوادي، الطبعة الأولى، جدة، ١٢٧/٢.

(٤) انظر: التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل: لابن خزيمة، ١٩٧/١، مختصر الصواعق المرسلة: ابن القيم ، ١٧٠/٢.

، ومن المحال أن تكون نعمتين لا أكثر .إذاً فلله تعالى يدان على الحقيقة كما جاء في الآية الكريمة ، وهما مبسوطتان ينفق كيف يشاء ، وقد جاءت الآية الكريمة رداً على اليهود لما قالوا :"يد الله مغلولة" فاليهود لم يريدوا من هذا القول أن نعم الله مغلولة ، ولا أراد الله تعالى من قوله :" غلت أيديهم" أي غلت نعمهم ، بل أراد أن يرد عليهم مقالتهم وكذبهم في قولهم :" يد الله مغلولة" فهو تعالى أراد أيديهم حقيقة كما أرادوا هم يده حقيقة(١)

خامساً: الرد عليهم من خلال أقوال أئمة الاثنا عشرية.

هناك روايات ترويها كتب الشيعة المعتمدة تثبت صفة اليد لله حقيقة ولا يمكن تأويلها ونحن في إيرادنا لتلك الروايات لا لإننا نؤمن بصحتها ولكن لنثبت تناقضهم في رواياتهم وأنها حجة عليهم لا لهم قال تعالى : ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء:٨٢]، فمن هذه الروايات:

١. روى الكليني في أصوله عن أبان بن تغلب قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: قال رسول الله ﷺ: من أراد أن يحيا حياتي ويموت ميتتي ويدخل جنة عدن التي غرسها الله ربي بيده فليتول علي بن أبي طالب وليتول وليه وليعاد عدوه وليسلم للأوصياء من بعده..."(٢).

٢. وكذلك روى عن أبي الجارود عن أبي جعفر قال : قال رسول الله ﷺ المتحابون في الله يوم القيامة على أرض زبرجدة خضراء في ظل عرشه عن يمينه، وكلتا يديه يمين، وجوههم أشد بياضا وأضوء من الشمس الطالعة يغبطهم بمنزلتهم كل ملك مقرب وكل نبي مرسل يقول الناس : من هؤلاء ؟ فيقال : هؤلاء المتحابون في الله"(٣) وقد روى هذا الحديث كل من: الحر العاملي في وسائل الشيعة(٤)، والمجلسي في بحار الأنوار(٥).

٣. وروى المجلسي في بحاره عن الثمالي عن أبي جعفر قال: قال رسول الله ﷺ : من سره أن يحيى حياتي ويموت مماتي ويدخل جنة ربي، قضيب من قضبانها غرسها الله ربي بيده فليتول عليا والأئمة من بعده فإنهم أئمة الهدى أعطاهم الله،..."(٦).

٤. وروى كذلك عن ابن أبي يعفور أبي عبد الله قال: بينما رسول الله ﷺ في منزل فاطمة والحسين في حجره إذ بكى وخر ساجدا ثم قال: يا فاطمة يا بنت محمد إن العلي الأعلى تراء إلي في بيتك هذا ساعتي هذه في أحسن صورة وأهيأ هيئة وقال لي: يا محمد أتحب الحسين؟ فقلت: نعم قرة عيني وريحانتي وثمرة

---

(١) التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل:لابن خزيمة ، ١٩٨/١، بتصرف.

(٢) أصول الكافي : الكليني ،باب ما فرض الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وآله من الكون مع الأئمة عليهم السلام ، حديث رقم :٥، ٢٠٩/١. . قال المجلسي الحديث مجهول، (مرآة العقول شرح أخبار آل الرسول : المجلسي، ٤٢٣/٢).

(٣) المصدر السابق ،كتاب الإيمان والكفر، باب الحب في الله والبغض في الله ،حديث رقم :٧ ،١٢٦/٢. قال المجلسي الحديث ضعيف، (مرآة العقول شرح أخبار آل الرسول : المجلسي، ٢٦١/٨).

(٤) وسائل الشيعة: الحر العاملي ، ١٦٧/١٦.

(٥) بحار الأنوار: المجلسي، باب التراحم والتعاطف والتودد، المتحابون في الله ، حديث رقم: ٣٤، ٣٩٨/٧١.

(٦) بحار الأنوار: المجلسي، باب فضائل أهل البيت عليهم السلام...، حديث رقم: ٨٠، ١٣٧/٢٣.

فؤادي وجلدة ما بين عيني فقال لي: يا محمد ووضع يده على رأس الحسين بورك من مولود عليه بركاتي وصلواتي ورحمتي ورضواني ولعنتي وسخطي وعذابي وخزيي ونكالي على من قتله وناصبه وناواه ونازعه،..."[١].

٥. وروي عن الرضا، عن آبائه عليهم السلام قال: قال النبي ﷺ :" علي أول من اتبعني وهو أول من يصافحه الحق"[٢].

فهذه الروايات تثبت غرس جنة عدن بيد الله ، وتثبت أن لله يد كلتا يديه يمين ، وتثبت وضع الله يده على رأس الحسين –وإن كان في هذه الرواية من تجسيم والتشبيه–، ومنها ما يثبت مصافحة الله لعلي ﷺ ، كل هذه الروايات تثبت صفة اليد لله، وهذه الروايات لا تقبل التأويل لسببين:

١. اختلال معنى الأحاديث إذا ما أولت تلك الأحاديث بالنعمة والقدرة أو القوة، فهل يعقل أن تكون كلتا نعمتيه يمين، وقس على ذلك كل الروايات السابقة.

٢. أن الأئمة التي تدعي الشيعة عصمتهم كانوا معاصرين للنزاع الذي حصل في صفات الله ، ولو كان منهجهم نفي الصفات عن الله ، لما نسبوا صفة اليد لله خشية أن يقع النزاع بين أتباعهم كما وقع فيمن سبقهم.

ومن الملاحظ بأن الروايات إذا كانت تتعلق بإثبات عظم منزلة الأئمة وعلو قدرهم وإثبات إمامتهم، فلا بأس عندهم بنوع من بالتشبيه إذ أن الأمر متعلق بالإمام!، وهذا من عظيم تناقض هذه الطائفة.

---

(١) المصدر السابق، الباب الثلاثون، حديث رقم ٢٩، ٢٣٨/٤٤.

(٢) المصدر السابق نفسه، الباب الخامس والستون، أنه صلوات الله عليه سبق الناس في الإسلام والإيمان والبيعة..، حديث رقم: ٩، ٢١٠/٣٤.

المطلب الثاني :صفة الاستواء.

أولاً: إثبات السلف لصفة الاستواء:

صفة الإستواء من الصفات الفعلية الخبرية والتي تتعلق بمشـيئة الله سـبحانه وتعـالى واختيـاره وقدرته، وهي ثابتة في الكتاب والسنة، ولقد أثبت السلف هذه الصفة لله إثباتاً يليـق بجـلال الله سـبحانه وتعالى، فالله عز وجل مستو على عرشه، بمعنى أنه عال ومرتفع عليه ، بائن من خلقه ، واستوائه تعالى على العرش بلا كيف ولا تمثيل ولا تشبيه ، بل بما يليق بجلاله وعظمته[١].

والاستواء: معناه العلو والارتفاع والاستقرار والاعتدال كما نقل عن السلف ذلك[٢] وأئمة اللغة [٣].

ولقد ورد إثبات هذه الصفة لله تبارك وتعالى في سبعة مواضع من كتابه العزيز، وهي :

١. **قال تعالى:** ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه:٥] .
٢. **قال تعالى:** ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [يونس:٣] .
٣. **قال تعالى:** ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف:٥٤]
٤. **قال تعالى:** ﴿اللهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الرعد:٢].
٥. **قال تعالى:** ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾ [الفرقان:٥٩] .
٦. **قال تعالى:** ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [السجدة:٤] .
٧. **قال تعالى:** ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الحديد:٤].

ثانياً: تأويل الاثنا عشرية لصفة الاستواء:

أول الاثنا عشرية صفة الاستواء، وقالوا: إن المراد بها الاستيلاء والغلبـة ، وزعمـوا أن إثبـات الاستواء على حقيقته إثبات للتجسيم وللجهة ولوازمها والله منزه عن ذلك، وقد استدلوا على ذلك بنفس أدلة المعتزلة التي استدلت بها على تأويل هذه الصفة[٤]، فمثلاً استدل القاضي عبد الجبار ببيـت شـعر علـى تأويل صفة الاستواء بالاستيلاء فقال:"...إن المراد بالاستواء هو الاستيلاء والاقتدار"[٥] ثم استشهد بقـول الشاعر :

---

(١) انظر: التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل: لابن خزيمة ، ٢٣١/١-٢٣٣، والفتاوى الكبرى: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: محمد عبد القادر عطا و مصطفى عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولـى، ١٤٠٨هـــ-١٩٨٧م،٤٥٠/٤، والإبانة: للأشعري ص ٢٢.

(٢) انظر: صحيح البخاري: البخاري، ١٢٤/٩، التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل: لابن خزيمة، ٢٣١/١، والأسـماء والصفات: أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: عبد الله بن محمد الحاشدي ، الناشـر: مكتبـة السـوادي، الطبعـة الأولـى، جدة،٣٠٨/٢، مجموع الفتاوى: ابن تيمية ، ٧/١٦،٣٧٤/٩-٣٧٥، اجتماع الجيوش الإسلامية: ابن القيم ، ص ١٩٨-٢٠٠.

(٣) انظر: تهذيب اللغة: للأزهري ١٢٤/١٣-١٢٥ ، لسان العرب: لابن منظور، ٤٠٨/١٤، مادة سوا.

(٤) تصحيح اعتقادات الإمامية: المفيد ، ص٧٧.

(٥) شرح الأصول الخمسة : القاضي عبد الجبار، ص٢٢٦.

قد استوى بشر على العراق   من غير سيف ودم مهراق .

وهذا الدليل قد استدل به شيخ الشيعة المفيد ومن تبعه على تأويل صفة الاستواء بالاستيلاء[١]، وبهذا يكون الاثنا عشرية قد اقتبسوا نفس أقوال المعتزلة، غير أنهم فاقوهم بدعة بأن نسبوا تلك الأقوال إلى أئمة آل البيت عبر العديد من الروايات، ولبيان ذلك نوضحه في التالي :

١. الروايات الواردة في تأويل صفة الاستواء:

١. روي أن المأمون سأل أبا الحسن علي بن موسى الرضا عليهما السلام، عن قول الله عز وجل: {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً} فقال: إن الله تبارك وتعالى خلق العرش والماء والملائكة قبل خلق السموات والأرض، وكانت الملائكة تستدل بأنفسها وبالعرش والماء على الله عز وجل، ثم جعل عرشه على الماء ليظهر بذلك قدرته للملائكة فيعلموا أنه على كل شيء قدير، ثم رفع العرش بقدرته ونقله، فجعله فوق السموات السبع، وخلق السموات والأرض في ستة أيام، وهو مستول على عرشه، وكان قادرا على أن يخلقها في طرفة عين، ولكنه عز وجل خلقها في ستة أيام ليظهر للملائكة ما يخلقه منها شيئا بعد شيء، وتستدل بحدوث ما يحدث على الله تعالى ذكره مرة بعد مرة، ولم يخلق الله العرش لحاجة به إليه لأنه غني عن العرش وعن جميع ما خلق، لا يوصف بالكون على العرش لأنه ليس بجسم، تعالى الله عن صفة خلقه علوا كبيرا"[٢].

والشاهد في هذه الرواية قوله: "وهو مستول على عرشه" والاستيلاء غير الاستواء الذي هو العلو والارتفاع.

٢. روى ابن بابويه في كتاب التوحيد عن هشام بن الحكم في حديث الزنديق الذي أتى أبا عبد اللّه وسأله عن قوله تعالى ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه:٥] قال أبو عبد اللّه "بذلك وصف نفسه، وكذلك هو مستول على العرش بائن من خلقه من غير أن يكون العرش حاملاً له ولا أن يكون العرش حاوياً له ولا أنّ العرش محتاز له،[٣].

٣. وروي عن أبي الحسن موسى عليه السلام – سئل عن معنى قول الله: " على العرش استوى " – فقال: استولى على ما دق وجل"[٤] .

والشاهد في الروايات السابقة ما نسب إلى الأئمة من قولهم: "وهو مستول على عرشه" ومعلوم الاستيلاء غير الاستواء الذي هو العلو والارتفاع.

---

(١)انظر: تصحيح اعتقادات الإمامية: المفيد ، ص٧٦، وبحار الأنوار: المجلسي، ٣٣٧/٣، العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت ، الشيخ جعفر السبحاني ، ص ٨٨..

(٢) التوحيد: الصدوق ، باب في معنى استوى على العرش، حديث رقم:٢، ص ٣٢٠.

(٣) تفسير نور الثقلين: عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي، تحقيق: هاشم الرسولي المحلاتي، الناشر: مؤسسة إسماعليان للطباعة والنشر، قم – إيران ،٢٥٩/١.

(٤) بحار الأنوار: المجلسي، باب نفي الزمان والمكان والحركة والانتقال عنه، حديث رقم: ٣٣٦/٣. و انظر: مستدرك سفينة النجاة : ١٥١/٧.

٢.أقوال علماء الاثنا عشرية في تأويل صفة الاستواء

ذهب علماء الاثنا عشرية إلى تأويل صفة الاستواء تبعاً للروايات التي وضعوها ونسبوها إلى الأئمة، والتي تؤول استوائه سبحانه وتعالى على عرشه باستيلائه على ملكه ومن هذه الأقوال ما يلي:

ما ذكره شيخهم المفيد بأن المراد بالعرش هو الملك وأن استوائه على عرشه بمعنى استيلائه على الملك واستدل على ذلك بقول الشاعر:

قد استوى بشر على العراق   من غير سيف ودم مهراق.

ثم أشار إلى أنه تعالى قد استولى قبل كل شيء على عالم الملكوت والأرواح، ثم تمكن بذلك من تملك عالم الناسوت والأجرام"[١].

يقول الشيعي المعاصر محمد جعفر شمس الدين:" الواقع أنه ليس المراد بالعرش، هذا الكرسي الفخم، المرصع بالجواهر واليواقيت، المتعارف للحكام والملوك، بل المراد به عالم الخلق والأمر، وتدبير شؤون الكون وليس المراد بالاستواء الجلوس، بل المراد بالاستواء الاستيلاء على كل ذلك"[٢] .

يقول جعفر مرتضى العاملي:" إنّ قول الله سبحانه: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه:٥] .ليس معناه جلوسه على عرش يشبه الكرسي، بل معناه أنه تعالى مالك لكل شيء، وله السلطان والهيمنة على الموجودات كلها"[٣].

يقول جعفر السبحاني:" إنّ العَرشَ في اللغة العربية بمعنى السرير، ولفظ الاستواء إذا جاء مع لفظة على كان المعنى هو الاستقرار والاستيلاء، وحيث إنّ الملوك والأمراء بعد أن جلسوا على منصة العرش يعمدون إلى تدبير الأمور، وتسييرها في بلادهم، لهذا كان هذا النوعُ من التعبير -أعني: الإستواء على العرش-كناية عن الإستيلاء، والسيادة، والقدرة على تدبير الأمور، خاصة إذا نُسِبَ ذلك إلى الله سبحانه"[٤].

ويقول شيخهم محمد سند:" إن المراد من الاستواء هو التسلط على الملك والإحاطة على الخلق دون التمكن والاعتماد على المكان الذي يستلزم التجسيم المستحيل"[٥] .

ويذكر الطبطبائي في تفسير الميزان أن المراد من قوله تعالى: "ثم استوى على العرش" و"الرحمن على العرش استوى" كناية عن استيلائه تعالى على عالم الخلق، و كثيرا ما يطلق الاستواء على الشيء على الاستيلاء عليه كما قيل: قد استوى بشر على العراق. من غير سيف و دم مهراق"[٦] .

---

(١) تصحيح اعتقادات الإمامية: المفيد ، ص٧٧.

(٢) دراسات في العقيدة الإسلامية: محمد جعفر شمس الدين، ص١٧٣.

(٣) مختصر مفيد أسئلة وأجوبة في الدين والعقيدة: السيد جعفر مرتضى العاملي، الناشر: المركز الإسلامي للدراسات ، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، ص ١٤٩.

(٤) العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت ، الشيخ جعفر السبحاني ، ص ٨٨.

(٥)الإمامة الإلهية : محمد سند، ص٣٧.

(٦) تفسير الميزان: الطبطبائي ٨/٨٣.

المناقشة:

إن ما ذهب إليه الاثنا عشرية من تأويلهم الاستواء بالاستيلاء والقهر والغلبة باطل من عدة وجوه

أولاً : من جهة الشرع :-

لقد ورد في الكتاب والسنة لفظ الاستواء مقروناً بحرف "على"، وهو لا يفيد إلا معنى واحداً ، هو الارتفاع والعلو والاعتدال، وليس في الكتاب والسنة ما يدل على معنى الاستيلاء الذي ذهب إليه الشيعة. ولو كان الاستواء معناه الاستيلاء لجاء ولو مرة واحدة في القرآن الكريم والسنة النبوية ما يدل عليه[1].

قال تعالى: ﴿فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ﴾ [الفتح:٢٩]، وقال سبحانه: ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ﴾ [المؤمنون:٢٨]. وجاء في السنة: أن النبي ﷺ قد أتي بدابة ليركبها فلما وضع رجله في الغرز قال: بسم الله ، فلما استوى على ظهرها قال: الحمد لله[2]. فلفظ الاستواء في الكتاب والسنة يتضمن علوه على ما استوى عليه واعتداله عليه أيضاً وأما الاستيلاء فلا تحتمله لغة الكتاب والسنة [3].

يقول ابن القيم رحمه الله:" إنا لو فرضنا احتمال اللفظ لمعنى الاستيلاء والخمسة عشر معنى ، فالله ورسوله ﷺ قد عيّن بكلامه منها معنى واحد، ونوع الدلالة عليه أعظم تنويع حتى يقال في ذلك ألف دليل . فالصحابة كلهم متفقون لا يختلفون في ذلك المعنى ، ولا التابعون وأئمة الإسلام ، ولم يقل واحد منهم أنه بمعنى استولى وأنه مجاز "[4].

وقد جاء في السنة ثبوت استواء الله على عرشه وعلوه في السماء حقيقةً لا مجاز، منها:

١. حديث أبو هريرة عن النبي ﷺ قال:" إن الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه إن رحمتي سبقت غضبي"[5].

٢. وحديث عبد الله بن عمرو قال: قال النبي ﷺ الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا أهل الأرض يرحمكم من في السماء "[6].

٣. وحديث الإسراء والمعراج الذي ورد بروايات كثيرة . كلها تدل على أن الله في أعلى عليين ومن هذه الروايات رواية أنس قال :" قال رسول الله ﷺ،... ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى اسمع فيه صريف الأقلام ، ففرض الله على أمتي خمسين صلاة فرجعت بذلك حتى مررت على موسى ، فقال ما

---

(١) انظر: مناهج الإسلاميين في إثبات وجود الله ووحدانيته: د. صالح الرقب، ٦١٢/٢-٦١٣.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، باب ما يقول الرجل إذا ركب ، حديث رقم:(٢٦٠٤)، ٣٣٩/٢. قال الألباني حديث صحيح.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى: ابن تيمية، ١٤٧/٥، مختصر الصواعق المرسلة: ابن القيم، ١٢٦/٢-١٢٧.

(٤) مختصر الصواعق المرسلة: ابن القيم ، ١٥٢/٢.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب ما يذكر في الذات والنعوت وأسامي الله، حديث رقم: (٧٤٢٢).

(٦) أخرجه الترمذي في صحيحه، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة المسلمين، حديث رقم:(١٩٢٤)، ٣٢٣/٤ صححه الألباني.

فرض الله لك على أمتك، قلت فرض خمسين صلاة، قال فارجع إلى ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك فراجعني فوضع شطرهما فرجعت إلى موسى فقلت وضع شطرها..."[(١)]

٤. وعن معاوية بن الحكم السلمي ﷺ قال:"...، وكانت لي جارية ترعى غنماً لي قبل أحد والجوانية فاطلعت ذات يوم فإذا الذيب قد ذهب بشاة من غنمها، وأنا رجل من بني آدم، آسف كما يأسفون، لكني صككتها صكة فأتيت رسول الله ﷺ فعظم ذلك علي قلت: يا رسول الله أفلا أعتقها، قال: ائتني بها فأتيته بها فقال لها : أين الله ؟، قالت : في السماء ، قال: من أنا ؟ قالت: أنت رسول الله قال: أعتقها ، فإنها مؤمنة" [(٢)]. وقولها في السماء أي فوق السماء، قال تعالى:﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ﴾ [النمل:٦٩] أي فوق الأرض.

٥. وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال :" يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم وهو يصلون وآتيناهم وهو يصلون"[(٣)]. والعروج من أسفل إلى أعلى فالله يتصف بالعلو على عرشه.

الوجه الثاني: من جهة إجماع السلف وأئمة أهل السنة والجماعة :

أجمع الصحابة والتابعون وأتباعهم وغيرهم من أئمة أهل السنة والجماعة على أن الله عز وجل مستو على عرشه حقيقة لا مجازاً. وقد حكى هذا الإجماع غير واحد من العلماء. [(٤)]

كما أجمعوا على بطلان تفسير الاستواء بالاستلاء والغلبة، وقد حكى هذا الإجماع أبوالحسن الأشعري رحمه الله[(٥)].

ومما يدل على صحة هذا الإجماع أنه لم يثبت عن واحد منهم أنه فسر الاستواء بالاستيلاء . ولو ثبت عن بعضهم أو واحد منهم لذكره الشيعة محتجين به. وإذا كان التأويل الكلامي ليس معروفاً عند السلف وأئمة أهل السنة دل هذا على أنه تأويل محدث مبتدع .

---

(١) متفق عليه، أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء، حديث رقم: (٣٤٩)، والإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان ، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات، حديث رقم: (١٦٣).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ،كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب تحريم الكلام في الصلاة، حديث رقم: (٥٣٧).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري ، كتاب مواقيت الصلاة ، باب فضل الصلاة صلاة العصر ، حديث رقم:(٧٤٨٦)،، و أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر ، حديث رقم:(٦٣٢)، ص٢٤٩.

(٤) مجموع الفتاوى: ابن تيمية، ٥ / ٦٠ ، ٦١ ، ١٢٥، ١٤٣، وانظر نماذج من أقوال هؤلاء الأئمة في إثبات الاستواء: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: اللالكائي، ٣/٣٨٧-٣٨٨ ، درء التعارض العقل والنقل : ابن تيمية، ٢/٢٠-٢١ ، ٦/١١٥- ١١٩ ، ١٩١-٢٦٧، مجموع الفتاوى ٥/٤٠-١٤٢ ، ٣١٠-٣١٤ ، ٥١٨- ٥٢٢ .

(٥) انظر الإبانة عن أصول الديانة: أبو الحسن الأشعري، ص٣٤، مجموع الفتاوى: ابن تيمية، ٥/١٤٤.

وقد وردت الكثير من الآثار عن أئمة السلف تثبت بأن الله عز وجل فوق عرشه وتبين ضلال من قال بهذا التأويل الكلامي(١) منها:

- قول الإمام الأوزاعي: " كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله تعالى جل ذكره فوق عرشه، ونؤمن بما وردت السنة به من صفاته"(٢). قال شيخ الإسلام معقباً على قول الأوزاعي:" إنما قال الأوزاعي ذلك بعد ظهور جهم المنكر لكون الله عز وجل فوق عرشه والنافي لصفاته، ليعرف الناس أنَّ مذهب السلف كان بخلاف قوله"(٣)
- وقول يزيد بن هارون الواسطي (٤)رحمه الله :" إن من قال:﴿الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى﴾ خلاف ما تقرر في نفوس العامة فهو جهمي"(٥) .
- وقال شيخ الإمام مالك ربيعة بن عبد الرحمن لما سئل عن قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه:٥]كيف استوى، قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول ، ومن الله تعالى الرسالة، وعلى رسوله البلاغ ، وعلينا التصديق"(٦).
- وقال الإمام مالك بن أنس عندما سأله رجل عن الاستواء بقوله: يا أبا عبد الله " الرحمن على العرش استوى " كيف ؟ . قال جعفر بن عبد الله (٧): فما وجدت مالكا وجد من شيء كما وجدته من مقالته ، وعلاه الرحضاء– يعني العرق – قال : وأطرق القوم ، وجعلوا ينظرون ما يأتي من فيه. قال: فسري عن مالك فقال: الكيف غير معقول، والاستواء منه غير مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ، وإني أخاف أن تكون ضالاً ، وأمر به فأخرج. (٨).

---

(١) انظر: اجتماع الجيوش الإسلامية: ابن القيم ، ص٨٣ وما بعدها.

(٢) المصدر السابق: ص٩٣.

(٣) المصدر السابق نفسه.

(٤) هو : يزيد بن هارون بن زاذان الواسطي السلمي ، أبو خالد ، ولد سنة ١١٨ ، وتوفي سنة ٢٠٦ ، كان حافظا ثقة متقنا ، فقيها، روى عن شعبة و الثوري ومالك وابن اسحاق وغيرهم ، روى عنه أحمد بن حنبل ويحي بن معين وابن المديني وغيرهم. (انظر: سير أعلام النبلاء: الذهبي، ٣٥٨/٩ ، تذكرة الحفاظ: أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، ٣١٧/١)

(٥) مجموع الفتاوى: ابن تيمية، ١٤٨/٥–١٤٩ ، ١٨٤ .

(٦) اجتماع الجيوش الإسلامية: ابن القيم ، ص٩٤.

(٧) هو جعفر بن عبد الله بن الحكم بن رافع بن سنان الأوسي ، من تابعي المدينة ، كان من أهل الحديث ثقة . روى عن أنس بن مالك و علياء السلمي والحكم بن مسلم ، روى عنه سعيد ابن أبي هلال ، والليث بن سعد . (انظر الرد على الجهمية للدارمي ، ص ٥٥– ٦٠ ، الثقات لابن حبان ١٣٥/٦).

(٨) الرد على الجهمية: عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد الدرامي، تحقيق : بدر عبد الله البدر، الناشر: دار ابن الأثير، الطبعة الثانية، الكويت، ١٩٩٥م ، وانظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: اللالكائي، ٣٩٨/٣ ، وقال: " هذا ثابت عن مالك ، وقد ثبت نحوه عن ربيعة شيخ مالك ، وهو قول أهل السنة قاطبة ". وقال ابن حجر:" وأخرج البيهقي بسند جيد عن عبد الله ابن وهب ... فذكر الحديث " (فتح الباري: ابن حجر، ٤٠٦/١٣ – ٤٠٧).

يتضح من قول الإمام مالك أن معنى الاستواء في اللغة معلوم ، وأن الإيمان بهذا المعنى المعلوم واجب ، وأما المؤول الذي يخوض في الكيف فضالٌ مبتدع ، ويجب نبذه من قبل العلماء ، لأنه يخوض فيما لا يعلمه إلا الله عز وجل .

الوجه الثالث: من جهة اللغة:-

لم يثبت في اللغة أن لفظ استوى بمعنى استولى، وقد صرّح بذلك بعض أئمة أهل اللغة منه هؤلاء:

الخليل ابن أحمد الفراهيدي[١]حيث قال:إن استوى بمعنى استولى لا تعرفه العرب ، ولا هو جائز في لغتها. و نقل عنه أنه قال: استوى إلى السماء: أي ارتفع إلى السماء . [٢]وأنكر أبو عبد الله بن الأعرابي[٣]أن يكون الاستواء بمعنى الاستيلاء[٤].

وقال أبو سليمان داود بن علي:" كنا عند ابن الأعرابي فأتاه رجل فقال له: ما معنى قول الله عز وجل : " الرحمن على العرش استوى " ؟ فقال: هو على عرشه كما أخبر عز وجل. فقال : يا أبا عبد الله ليس هذا معناه ، إنما معناه استولى . قال: اسكت ما أنت وهذا، لا يقال استولى على الشيء إلا أن يكون له مضاد، فإذا غلب أحدهما قيل: استولى، أما سمعت النابغة: إلا لمثلك أو من أنت سابقه: سبق الجواد إذا استولى على الأسد[٥].

وجاء في تهذيب اللغة: قال الأخفش [٦] في قوله تعالى:﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه:٥]. أي علا، يقال استويت على الدابة ، وعلى ظهر البيت أي علوته[٧]

---

(١) هو الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي ، أبو عبد الرحمن ولد سنة ١٠٠ هـ ، وتوفي سنة ١٧٠ هـ وقيل سنة ١٧٥ هـ، من أئمة اللغة، وأول من استنبط علم العروض الذي به حصن العرب أشعارهم ، تتلمذ عليه سيبويه النحوي المشهور ، له كتاب العين . انظر : وفيات الأعيان و أنباء ابناء الزمان: لأبي العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر، بيروت،٢/٢٤٤-٢٤٥ ، سير أعلام النبلاء:الذهبي، ٧/٤٢٩).

(٢)اجتماع الجيوش الإسلامية: ابن القيم، ص ١٩٨، مجموع الفتاوى: ابن تيمية، ٥/١٤٦.

(٣) هو : محمد بن زياد الكوفي ، من موالي بن هاشم، المشهور بابن الأعرابي. ولد سنة ١٥٠ هـ، وتوفي سنة ٢٣١ هـ ، من أعلام اللغة والأدب ، حافظ ، صالح ، زاهد ، ورع ، صدوق ، أخذ الأدب عن المفضل الضبي والقاسم بن معن والكاساني ، وعنه أخذ إبراهيم الحربي ، وأبو العباس ثعلب وابن السكيت وغيرهم . ومن مصنفاته : النوادر ، والأنوار . (انظر : وفيات الأعيان: ابن خلكان، ٣/٤٣٣-٤٣٥ ، سير أعلام النبلاء: الذهبي،١٠/٦٨٧).

(٤) انظر: اجتماع الجيوش الإسلامية، ابن القيم، ص١٩٩.

(٥) المصدر السابق.

(٦) الأخفش: هوهارون بن موسى بن شريك الثعلبي ، أبو عبد الله ، من أعلام النحو والشعر والمعاني والغريب والتفسير . شيخ القراء بدمشق في زمانه ، وعنه اشتهرت قراءة أهل الشام ، ولد سنة ٢٠١ هـ ، وتوفي سنة ٢٩٢ هـ . (انظر تذكرة الحفاظ: الذهبي، ٢/٦٥٩ ، معرفة القراء الكبار: للذهبي ١/٢٤٧) .

(٧) تهذيب اللغة: الأزهري ١٣/١٢٥ ، اجتماع الجيوش الإسلامية: ابن القيم، ص٢٠٠.

وأنكر إبراهيم بن محمد بن عرفة النحوي – المعروف بنفطوية –[1] أن يكون استوى بمعنى استولى[2].

فمن خلال ما سبق يتضح أن أئمة اللغة والنحو ينكرون استوى بمعنى استولى، لأن الاستيلاء في اللغة هو المغالبة، والله لا يغالبه أحد، و لا يعلوه أحد[3].

وأما بيت الشعر المنسوب للأخطل[4] والذي يقول فيه:

قد استوى بشر على العراق ... من غير سيف ودم مهراق

والذي احتج به شيخ الاثنا عشرية المفيد على أن العرب تقول استوى بمعنى استولى فهو باطل من عدة وجوه:

١. إن هذا البيت من الشعر لم يثبت بنقل صحيح أنه شعر عربي ، وقد أنكره أكثر من واحد من أئمة اللغة، وقالوا إنه بيت مصنوع لا يعرف في اللغة أو في شيء من دواوين العرب وأشعارهم التي يرجع إليها[5].

٢. لو صح هذا البيت لكان حجة على المتكلمين، إذ يلزم أن يكون المراد منه الاستواء المعلوم لغة ، أي بمعنى العلو و الارتفاع ، فإن بشراً [6] الذي جاء ذكره في بيت الشعر هو أخو عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي، ولم يكن ينازعه الملك بل كان والياً على العراق من قبله. ويكون معنى البيت: أي بشراً استوى على سرير الملك كعادة الملوك أو نوابهم إذا جلسوا فوق سرير الملك مستوين مستقرين عليه[7].

٣. تزعم الاثنا عشرية بهذا البيت أنها تفر من التشبيه فأولوا الاستواء بالاستيلاء ، ومنعوا أن يكون استواء الله كاستواء بشر فهل يقولون إن استيلائه كاستيلاء بشر . فإن كنتم فررتم من الاستواء الجسماني

---

(١) هو إبراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان الأزدي الواسطي ، النحوي ، المعروف بنفطويه . ولد سنة ٢٤٤ هـ ، وتوفي سنة ٣٢٣ هـ ، سكن بغداد ، إمام حافظ ، نحوي ، محدث ، تفقه على داود الظاهري . من مصنفاته : غريب القرآن ، المقنع ، البارع ، تاريخ الخلفاء . (انظر: تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قاطنها العلماء: أبو بكر أحمد بن على الخطيب البغدادي، تحقيق: د.بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م، ٩٣/٧-٩٤، وفيات الأعيان :ابن خلكان، ٤٧/١-٤٨).

(٢) انظر: اجتماع الجيوش الإسلامية: ابن القيم، ص ٢٠٠.

(٣) انظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: لابن عبد البر، ١٣١/٧، اجتماع الجيوش الإسلامية: ابن القيم، ١٤٤- ١٤٥.

(٤) هو غياث بن غوث بن الصلت بن طارقة بن عمرو التغلبي ، الملقب بالأخطل أبو مالك ، ولد سنة ١٩ هـ ، وتوفي سنة ٩٠ هـ شاعر نصراني من أطراف الجزيرة ، أقام في قبيلته بني تغلب في أطراف الجزيرة ، وفي دمشق ، كان يمدح خلفاء بني أمية ويهجو خصومهم ، له هجاء مع الفرزدق وجرير.(انظر: الأعلام، للزركلي ٣١٨/٥).

(٥) انظر: مجموع الفتاوى ١٤٦/٥ ، مختصر الصواعق المرسلة: ابن القيم، ١٢٧/٢ ، ١٣٦ .

(٦)بشر: هو بشر بن مروان بن الحكم الأموي ، ولىَ العراق لأخيه عبد الملك بن مروان عند مقتل مصعب سنة ٧٤ هـ توفي بالبصرة سنة ٧٥ هـ . (انظر : سير أعلام النبلاء: الذهبي، ٤/ ١٤٥ ، تاريخ الإسلام: للذهبي ١٤١/٣ – ١٤٢).

(٧) انظر: مختصر الصواعق المرسلة: ابن القيم، ١٣٧/٢.

فقد وقعتم في التشبيه الفعلي والله سبحانه منزه عن مشابهة خلقه ذاتاً وفعلاً ، فهلا قلتم استيلاء يليق به فنقول لكم واستواء يليق به [١]

٤. كذلك قولهم إن ذلك مشهور في اللغة قلنا : كل ما حقه الشهرة يجب أن يكون مدونًا في معاجم اللغة قديماً وحديثًا وأن لا ينكره أكابر أئمة اللغة وهذا المعنى لم يدون في معاجم اللغة المتقدمة كمعجم تهذيب اللغة وغيرها من المعاجم .

٥. وأيضاً فإنه لا يقال لمن استولى على بلد وهو بعيد عنها ، ولم يدخلها ولم يستقر فيها أنه قد استوى عليها[٢].

رابعاً: من جهة العقل:-

إن العقل الصريح يجزم ببطلان تأويل استوى بمعنى استولى ، وذلك لوجوه منها :

١. " فلو كان مستوياً على العرش بمعنى الاستيلاء ، وهو سبحانه مستولٍ على الأشياء كلها ، لكان مستوياً على العرش ، وعلى الأرض ، وعلى السماء ، وعلى الحشوش ، والأفراد ، لأنه قادر على الأشياء مستول عليها ، وإذا كان قادراً على الأشياء كلها – ولم يجز عند أحد من المسلمين أن يقول : إن الله عز وجل مستو على الحشوش و الأخلية – لم يجز أن يكون الاستواء على العرش الاستيلاء الذي هو عام في الأشياء ، ووجب أن يكون معناه استواء يختص العرش دون الأشياء كلها ". [٣]

٢. لو كان الاستواء بمعنى الاستيلاء لوجب أن يكون الله تعالى غير مستول على العرش قبل استوائه عليه. ولكن هذا باطل ، وما يؤدي إلى الباطل فباطل مثله. [٤]

٣. لو كان الاستواء في قوله تعالى :﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه:٥] بمعنى الاستيلاء لما كان هناك فائدة لتخصيص العرش بالذكر، لأن الله تعالى مستول عليه وعلى سائر مخلوقاته . والعرش و إن كان أعظم المخلوقات فإن نسبة الربوبية إليه كنسبة الربوبية إلى غيره، قال تعالى:﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ [المؤمنون:٨٦]ولما خص الله تعالى الاستواء بالعرش علم أن هذا الاستواء غير الاستيلاء الذي يشمل المخلوقات كلها بما فيها العرش[٥].

٤. لو أن الاستواء معناه الاستيلاء لما تأخر الاستيلاء على العرش إلى ما بعد خلق السماوات والأرض فإنه من المعلوم أن العرش خلق قبلهما بزمن بعيد. قال تعالى:﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ﴾ [هود:٧]، وثبت في الصحيح أنه ﷺ قال:" إن الله تعالى قدر مقادير الخلائق قبل

---

(١) انظر : الأسماء والصفات: البيهقي، ص ٤١٢ ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: محمود الألوسي ، الناشر: دار إحياء التراث، بيروت – لبنان، ٨٨/٣ .

(٢) انظر مجموع الفتاوى:ابن تيمية، ٣٧٥/١٧ ، مختصر الصواعق المرسلة ١٣٧/٢– ١٣٨ .

(٣) الإبانة للأشعري ص ٣٤ ، وانظر نفس الرد ، مجموع الفتاوى ١٣١/٥ – ١٣٢ ، ١٤٥ .

(٤) انظر: أصول الدين: أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي، الطبعة الأولى، الناشر: مدرسة الآلهيات بدار الفنون التوركية، استانبول، تركيا ١٣٤٦هـ –١٩٢٨م، ص ١١٢ .

(٥) انظر مجموع الفتاوى: ابن تيمية ، ١٤٥/٥، اجتماع الجيوش الإسلامية ص ٣٠٤ .

أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وعرشه على الماء"(١). وجاء في الصحيح أنه عليه الصلاة والسلام قال:" كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء ، ثم خلق السماوات والأرض "(٢)(٣).

خامساً: من جهة تضارب روايات الاثنا عشرية.

١. إن من الغريب تناقض كبار علماء الاثنا عشرية النافين لعلو الله عز وجل فوق عرشه، أنه عندما يدور الحديث عن النبي ﷺ وأئمة آل البيت نجدهم يثبتون علوهم على العرش بجانب الله تعالى كل ذلك لإثبات إمامتهم، فمثلاً شيخ الشيعة المفيد الذي ذهب في كتابه تصحيح اعتقادات الإمامية إلى تأويل صفة الاستواء بالاستيلاء ويؤكد على ذلك في أكثر من وضع، نجده يناقض نفسه في كتابه الاختصاص بإثبات الاستواء لله، فيروي عن جابر بن يزد عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تبارك وتعالى:"﴿ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء:٧٩] قال:يجلسه على العرش معه"(٤) فهذه الرواية تثبت جلوس النبي ﷺ مع الرحمن جل وعلا على عرشه، ولا يمكن تأويلها فالنص واضح ولا يحتاج إلى بيان وقد دفعت هذه الرواية المجلسي بأن يحذف من نص الرواية لفظة "معه"، ثم قال معلقاً على قوله يجلسه على العرش ، بأنه كناية عن رفعة مقامه(٥).

٢. روى علامة الشيعة هاشم البحراني في كتابه مدينة المعاجز، عن المفضل قال: قال أبو عبد الله عليه السلام...، إذا قام القائم عليه السلام وافو فيها بينهم الحسين عليه السلام حتى يأتي كربلاء فلا يبقى أحد سماوي ولا أرضي من المؤمنين إلاّ حفّوا بالحسين عليه السلام حتى أن الله تعالى يزور!! الحسين عليه السلام ويصافحه !! ويقعد معه على سرير!! يا مفضل هذه والله الرفعة التي ليس فوقها شيء ولا وراءها لطالب مطلب"(٦).

والشاهد في هذه الرواية قوله: يقعد معه على سرير.

٣. وروى الكليني في كافيه، عن محمد بن عيسى قال:كتبت إلى أبي الحسن علي بن محمد عليهما السلام:جعلني الله فداك يا سيدي قد روي لنا:أن الله في موضع دون موضع على العرش استوى،وأنه ينزل كل ليلة في النصف الأخير من الليل إلى السماء الدنيا، وروي:أنه ينزل عشية عرفة ثم يرجع إلى

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام، رقم:(٢٦٥٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قوله تعالى:﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ حديث رقم:(٣١٩١).

(٣) انظر بيان تلبيس الجهمية: ابن تيمية، ٥٧٨/١ – ٥٧٩ ، مختصر الصواعق المرسلة ١٢٩/٢ .

(٤) الاختصاص : الشيخ المفيد ، تحقيق علي أكبر الغفاري والسيد محمود الزرندي ، الطبعة الثانية، دار المفيد للطباعة والنشر ، بيروت – لبنان، ١٤١٤هـ–١٩٩٣م.

(٥) بحار الأنوار : المجلسي ، ٣٧٨/١٦.

(٦) مدينة معاجز الأئمة الاثنا عشر: السيد هاشم البحراني، ٤٦٤/١–٤٦٥، وانظر: دلائل الإمامة: إبي جعفر محمد بن جرير بن رستم الطبري الصغير ص١٨٩، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية ، مؤسسة البعثة.

موضعه، فقال بعض مواليك في ذلك:إذا كان في موضع دون موضع فقد يلاقيه الهواء ويتكنف عليه والهواء جسم رقيق يتكنف على كل شئ بقدره، فكيف يتكنف عليه جل ثناؤه على هذا المثال؟ فوقع عليه السلام: علم ذلك عنده وهو المقدر له بما هو أحسن تقديرا واعلم أنه إذا كان في السماء الدنيا فهو كما هو على العرش، والأشياء كلها له سواء علما وقدرة وملكا وإحاطة(١).

والشاهد في هذه الرواية قوله عن الله تعالى أنه: ينزل عشية عرفة ثم يرجع إلى موضعة.

---

(١) الكافي : الكليني ، كتاب التوحيد، باب الحركة والانتقال، حديث رقم:٤، ١٢٦/١، قال المجلسي الحديث ضعيف، (مرآة العقول شرح أخبار آل الرسول : المجلسي، ٦٦/٢).

المطلب الثالث: صفة الوجه.

أولاً: إثبات السلف صفة الوجه:

ورد ثبوت صفة الوجه في الكتاب والسنة النبوية المطهرة في مواضع كثيرة، ففي كتاب الله:

١. قوله تعالى: ﴿وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ﴾ [البقرة:٢٧٢].

٢. وقال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالغَدَاةِ وَالعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الكهف:٢٨].

٣. وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللهِ﴾ [الرُّوم:٣٨].

٤. وقال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص:٨٨].

٥. وقال تعالى: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ﴾ [الرَّحمن:٢٧].

٦. وقال تعالى: ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى﴾ [الليل:٢٠].

وفي السنة النبوية المطهرة:

عن جابر ﷺ قال لما نزلت هذه الآية: ﴿قُلْ هُوَ القَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ﴾ [الأنعام:٦٥]، قال رسول الله ﷺ أعوذ بوجهك قال: ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ قال أعوذ بوجهك:﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ قال رسول الله ﷺ هذا أهون أو هذا أيسر"[١].

وعن عطاء بن السائب عن أبيه قال كنا جلوسا في المسجد فدخل عمار بن ياسر فصلى صلاة خففها، فمر بنا فقيل له: يا أبا اليقظان، خففت الصلاة، فقال أو خفيفة رأيتموها؟ قلنا: نعم قال أما أني قد دعوت فيها بدعاء قد سمعته من رسول الله. ثم مضى، فاتبعته رجل من القوم، قال عطاء: اتبعه أبي اتبعه -ولكنه كره أن يقول: اتبعته- فسأله عن الدعاء، ثم رجع فأخبرهم بالدعاء قال فيه:" ... وأسألك لذة النظر إلى وجهك، وأسألك الشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة..."[٢].

قال ابن خزيمة في تعليقه على هذا الحديث:" ألا يعقل ذوو الحجا طلاب العلم أن النبي لا يسأل ربه ما لا يجوز كونه ففي مسألة النبي ربه لذة النظر إلى وجهه أبين البيان وأوضح الوضوح أن لله عز وجل وجها يتلذذ بالنظر إليه من منَّ الله جل وعلا عليه وتفضل بالنظر إلى وجهه"[٣].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير، باب قوله : [قُلْ هُوَ القَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ]، حديث رقم: (٤٦٢٨).

(٢)أخرجه ابن حبان في صحيحه ، كتاب الصلاة ، باب صفة الصلاة، حديث رقم: (١٩٧١)، ٥/٣٠٤-٣٠٥، والنسائي في سننه، في السهو ، باب نوع آخر(يعني من الدعاء بدع الذكر) حديث رقم: ١٣٠٥، ٣/٥٤-٥٥، وقال الألباني: الحديث صحيح.

(٣) التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل: ابن خزيمة، ١/٣٠.

عن أبي موسى ﷺ قال قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات، فقال:" إن الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه"(١) .

ولقد أثبت السلف صفة الوجه لله تعالى إثباتاً يليق بجلال وجه الكريم(٢)، فينقل لنا ابن خزيمة إجماع أهل السنة على إثبات صفة الوجه لله تعالى قائلاً:" فنحن وجميع علمائنا من أهل الحجاز وتهامة واليمن والعراق والشام ومصر مذهبنا أنا نثبت لله ما أثبته الله لنفسه نقر بذلك بألسنتنا ونصدق ذلك بقلوبنا من غير أن نشبه وجه خالقنا بوجه أحد من المخلوقين عز ربنا عن أن يشبه المخلوقين وجل ربنا عن مقالة المعطلين وعز أن يكون عدما كما قاله المبطلون لأن ما لا صفة له عدم تعالى الله عما يقول الجهميون الذين ينكرون صفات خالقنا الذي وصف بها نفسه في محكم تنزيله وعلى لسان نبيه"(٣).

ثانياً: تأويل صفة الوجه عند الاثنا عشرية:

أول الاثنا عشرية صفة الوجه الواردة في الكتاب، بزعم أن ثبوتها لله يقتضي التشبيه والتجسيم له سبحانه وتعالى لذلك أوجبوا تأويلها بأي وجه من الوجوه، فيقول الشيعي محمد جعفر شمس الدين :" كل الآيات التي ورد فيها لفظ الوجه مضافاً إليه سبحانه وجب تأويلها"(٤) .

ولقد تعددت آرائهم في تأويل صفة الوجه الواردة في القرآن الكريم، سواء من خلال الروايات المنسوبة إلى الأئمة أو من أقوال علمائهم، فهي تارة تأتي بمعنى الذات وأخرى بمعنى دينه و الوجه الذي يؤتى منه –القبلة–، أو طريق الحق، ولبيان ذلك نوضحه في التالي:

١. الروايات الواردة في تأويل صفة الوجه:

أ. تأويل صفة الوجه بالدين:

ما رواه ابن بابويه بسنده عن أبي حمزة، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: قول الله عز وجل ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [القصص:٨٨] قال: فيهلك كل شيء ويبقى الوجه، إن الله عز وجل أعظم من أن يوصف بالوجه، ولكن معناه كل شيء هالك إلا دينه والوجه الذي يؤتى منه"(٥) .

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب: الإيمان ، باب في قوله عليه السلام إن الله لا ينام وفي قوله حجابه النور ، حديث رقم: (١٧٩).

(٢) الأسماء والصفات: أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: عبد الله بن محمد الحاشدي ، الناشر: مكتبة السوادي للتوزيع ، ٨١/٢

(٣) التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل: ابن خزيمة، ٢٦/١

(٤) دراسات في العقيدة الإسلامية: محمد جعفر شمس الدين ، ص١٥٣.

(٥) التوحيد: ابن بابويه الصدوق، باب تفسير قول الله تعالى " كل شيء هالك إلا وجهه "، حديث رقم:١ ص١٤٩.

وعن خيثمة، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عــز وجــل: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ قال: دينه"[1]

ب. تأويل الوجه بالجهة التي يؤتى منها – القبلة-:

روى الكليني في أصوله عن الحارث بن المغيرة النضري قال: "سئل أبو عبد اللّه عليه السلام عــن قول اللّه تعالى ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ فقال: ما يقولون فيه، قلت: يقولون يهلك كل شــيء إلا وجــه اللّه، فقال: سبحان اللّه لقد قالوا قولاً عظيماً، انّما عني بذلك وجه اللّه الذي يؤتى منه"[2].

ت. تأويل الوجه بطاعته ومرضاته:

ما رواه الكليني في الكافي عن صفوان الجمال عن أبي عبداللّه -عليه السلام- عن قول اللّه عز وجل ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ قال: "من أتى اللّه بما أمر به من طاعة محمد صلى الله عليه وآله فهو الوجه الذي لا يهلك، وكذلك قال: من يطع الرسول فقد أطاع اللّه"[3]

وعن الحارث بن المغيرة النصري قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجــل: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ قال: كل شيء هالك إلا من أخذ طريق الحق[4].

٢. أقوال علماء الاثنا عشرية في تأويل صفة الوجه:

يذكر الشيعي محمد جعفر شمس أنّ تأويل الآيات التي ورد فيها لفظ الوجه، إنما يأتي بمعنى مــا يوجه إلى الله تعالى من أعمال، ففي قوله تعالى: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [القصص:٨٨] يكون معنــى الآية: كل شيء هالك إلا ما أريد به وجه الله تعالى، وكذلك في قولــه تعــالى: ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ الله ﴾ [الإنسان:٩] إنما هو أن إطعام هؤلاء الطعام للفقراء والمساكين، إنما يكون موجهاً إليه سبحانه لطلب رضــا اللّه، خالصاً للّه، مخلصاً من الرياء وطلب الجزاء، وقس على هذا كل الآيات التي ورد فيها لفــظ الوجــه مضافاً إليه سبحانه"[5].

ويقول جعفر السبحاني:" إنّ المقصودَ من الوَجه الذي نُسِبَ إلى الحقّ تعالى هنا هو ذاته ســبحانه لا العضوُ الخاصُ الموجودُ في جسم الإنسان وما يشابِهُهُ، فالقرآنُ عندما يتحدّث عن هلاك ما ســوى الله وفنائه يقول: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ [الرّحمن:٢٦]ثم يخبر عقبَ ذلك مباشرةً عن بقاء الذات الاِلَهيّــة ودوامِهــا

---

(١) التوحيد: ابن بابويه الصدوق، باب تفسير قول الله تعالى " كل شيء هالك إلا وجهه "، حديث رقم:٧ ص١٥١.

(٢) أصول الكافي: الكليني ، كتاب التوحيد ، باب النوادر ، حديث رقم:١، ١٤٣/١، قال المجلسي الحديث مرسل، (مــرآة العقول شرح أخبار آل الرسول : المجلسي، ١١١/٢).

(٣) المصدر السابق، كتاب التوحيد، باب النوادر، حديث رقم:٢ ، ١٤٣/١، قال المجلسي الحديث صحيح ، (مرآة العقول شرح أخبار آل الرسول : المجلسي، ١١٣/٢)، بينما ذكر البرقعي أن الرواية قد صححها المجلسي لكن متنها غير صــحيح(انظر: كسر الصنم: البرقعي، ص١٠٤).

(٤) بحار الأنوار: المجلسي، أبواب تأويل الآيات والأخبار الموهمة لخلاف ما سبق ، حديث رقم:١٣، ٦/٤.

(٥) دراسات في العقيدة الإسلامية : محمد جعفر شمس الدين، ص١٥٢-١٥٣.

وأنّه لا سبيل للفناء إليها فيقول: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرَّحمن:٢٧]، أي تَبقى ذاته المقدسة، ولا تفنى أبداً، من هذا البيان يتّضح بجلاءٍ معنى الآية المبحوثة هنا ويتبين أنّ المقصودَ هو أنّ الله ليس في جهةٍ أو نقطةٍ معيّنةٍ، بل وجوده محيط بجميع الاَشياء فأينما ولّينا وُجوهَنا، فقد ولّيْنا وجوهَنا شطرهُ"[١].

وإلى ذلك ذهب صدوق الشيعة محمد بن على بن بابويه في تأويل الوجه بالدين ، فقال :" والأخبار التي يتوهمها الجهال تشبيها لله تعالى بخلقه فمعانيها محمولة على ما في القرآن من نظائرها.لأن في القرآن:" ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص:٨٨]، ومعنى الوجه : الدين ، والدين هو الوجه الذي يؤتى الله منه، ويتوجه به إليه"[٢]

وما نلاحظه هنا بأن الاثنا عشرية لم تأتي بجديد، إذ أن ما ذهبوا إلي من تأويل الوجه بالذات أو بالجهة التي يؤتى منها الله –القبلة– أو ثوابه أو جزاؤه، هو نفس ما ذهبت إليه المعتزلة من قبل بل إنه مقتبس حرفياً منهم، فمثلاً : يقول القاضي عبد الجبار:" و المراد بالوجه في قوله تعالى:﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص:٨٨] أي ذاته، والوجه بمعنى الذات مشهور في اللغة يقال: وجه هذا الثوب جيد، أي ذاته جيدة"[٣] ، بل إن الشبه التي نفوا من خلالها الوجه هي نفس شبه المعتزلة حيث قالوا: إن إثبات الوجه على الحقيقة إثبات جوارح وأعضاء لله تعالى وهذا لا يصح . فالمراد إذا ذاته، وقد يذكر الوجه ويراد به نفس الشيء كما يقال هذا وجه الطريق، ووجه الرأي وذكر بعضهم أن المراد بالوجه القبلة والجهة[٤] .

المناقشة:

إن تعدد تأويلات الاثنا عشرية لصفة الوجه مخالف لما جاء به الشرع وما أجمع عليه سلف الأمة، وما عليه لغة الأمة، وما صدر عن العقل الصريح، بل إن هناك روايات للشيعة جاءت بما يخالف ما ذهبوا إليه، وهذا يدل على تناقض القوم واضطراب عقائدهم، وهذا ما نوضحه في الآتي:

أولاً: مخالفة هذا التأويل للكتاب والسنة.

فمن الكتاب:

قوله تعالى: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرَّحمن:٢٧] ففي الآية إخبار بأن له سبحانه وجها لا يفنى ولا يلحقه الهلاك. يقول الإمام البيهقي:" فأضاف الوجه إلى الذات، وأضاف النعت إلى الوجه، فقال ذو الجلال والإكرام ولو كان ذكر الوجه صلة ولم يكن للذات صفة لقال ذي الجلال والإكرام ، فلما قال ذو الجلال والإكرام علمنا أنه نعت للوجه وهو صفة للذات"[٥].

---

(١) العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت : جعفر السبحاني ، ص ٨٧.

(٢) الاعتقادات : الصدوق محمد بن على بن بابويه، باب في صفة اعتقاد الإمامية في التوحيد، ص٢٣.

(٣) شرح الأصول الخمسة : القاضي عبد الجبار، ص٢٢٧،

(٤) انظر : المعتزلة: زهدي جار الله ، الناشر: الأهلية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٧٤م ، ص٨٥.

(٥) الاعتقادوالهداية إلى سبيل الرشاد: البيهقي ، ص ٨٩

وقوله تعالى : ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص:٨٨] ، فهذه الآية دلت على صفة من صفات الذات وهى صفة الوجه، ودلت على بقاء الصفة ببقاء الذات، فأثبتت بقاء الذات بصفاتها . وقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللهِ﴾ [الرُّوم:٣٩] وقوله تعالى:" ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الكهف:٢٨] ، وقوله تعالى: ﴿وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ وَمَا﴾ [البقرة:٢٧٢] .

ومن السنة النبوية المطهرة:

روى البخاري في صحيحه عن جابر بن عبد الله ﷺ قال:" لما نزلت على رسول ﷺ : ﴿قُلْ هُوَ القَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ﴾ [الأنعام:٦٥] قال: أعوذ بوجهك، ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ قال: أعوذ بوجهك، ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ قال : هاتان أهون وأيسر"(١) .

وروى كذلك عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ :" جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم عز وجل إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن" (٢).

وروى كذلك عن صهيب ﷺ عن النبي ﷺ قال:" إذا دخل أهل الجنة الجنة قال: يقول الله تبارك وتعالى تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا، ألم تدخلنا الجنة، وتنجنا من النار، قال:فيُكْشَفُ الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل. وفي رواية ثم تلا هذه الآية﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس:٢٦] . (٣)

وروى الإمام مسلم في صحيحه، عن أبى موسى الأشعري ﷺ قال: قام فينا رسول الله ﷺ بأربع كلمات فقال:"إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يحفظ القسط ويرفعه، ويرفع إليه عمل الليل والنهار، وعمل النهار قبل الليل، حجابه النار لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصر"(٤).

وروى الإمام أحمد في مسنده عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: مرضت بمكة عام الفتح...قال:قلت يا رسول الله أتخلف عن هجرتي؟ فقال: أنك لن تخلف بعدي فتعمل عملا تريد به وجه الله إلا ازددت به رفعة ودرجة "(٥).

و وروى أبو داود في سننه عن ابن عباس ﷺ قال: إن رسول الله ﷺ قال:" من استعاذ بالله فأعيذوه، ومن سألكم بوجه الله فأعطوه"(٦).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الاعتصام، باب قوله تعالى أو يلبسكم شيعا، حديث رقم: (٧٣١٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير سورة الرحمن ، باب من دونهما جنتان، حديث رقم:(٤٨٧٨).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الفرئض ، باب ميراث البنات ، حديث رقم: (٦٧٣٣).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان، باب في قوله ﷺ: نور أنى أراه، وفي قوله: رأيت نوراً، حديث رقم:(١٧٩)

(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، حديث رقم:(١٥٤٦) قال الشيخ شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٦) أخرجه أبو داود في سننه ، باب في الرجل يستعيذ من الرجل، حديث رقم: (٥١١٠)، قال الألباني حديث حسن صحيح.

وقد نقل عن الصحابة رضي الله عنهم والتابعين وجميع أهل السنة والحديث والأئمة الأربعة وأتباعهم من الإيمان بأن المؤمنين يرون وجه ربهم في الجنة، وهي الزيادة التي فسر بها النبي ﷺ والصحابة قوله تعالى:﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦].[١]

فهذه نصوص صريحة من السنة النبوية، وذُكرت قبلها آيات من كتاب الله ، فالكل تضافر على إثبات صفة الوجه لله سبحانه وتعالى ، مع أنه لو لم يرد في ذلك إلا آية واحدة ، أو حديث صحيح واحد لكان فيه غنية، فكيف وقد وردت الأدلة بهذه الكثرة من الكتاب والسنة[٢].

ثانياً: مخالفته لإجماع السلف:

أجمع السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم على إثبات ما أثبته الكتاب والسنة لله من صفة الوجه، إثباتا حقيقيا على وجه يليق بجلال الرب وعظمته وكماله فالوجه معناه معلوم، ولكن كيفيته مجهولة.

ولقد كثر النقل عن الصحابة إثباتهم صفة الوجه، فقد نقل عن صهيب ﷺ أنه قال في معنى الزيادة في قوله تعالى:﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦] إنها النظر إلى وجه الله سبحانه وتعالى[٣].

وقال عبد الله بن عمر ﷺ لرجل رآه يلتفت في صلاته:" إن الله يقبل على عبده بوجهه، ما أقبل إليه، فإذا التفت انصرف عنه"[٤].

وقال حذيفة بن اليمان ﷺ لرجل تفل بين يديه " لا تتفل بين يديك ولا عن يمينك فإن عن يمينك الحسنات، فإن الرجل إذا توضأ فأحسن الوضوء، ثم قام فصلى، أقبل الله تعالى إليه بوجهه يناجيه، فلا يصرفه عنه حتى ينصرف أو يحدث سوء"[٥]، والآثار في معنى هذا عن الصحابة و التابعين رضي الله عنه كثيرة[٦].

وعن عبد الكريم بن مالك قال: إن رجلا جاء إلى عمر بن عبد العزيز فرفع إليه حاجته ثم قال: أسألك بوجه الله تعالى، فقال عمر ﷺ: قد سألت بوجهه فلم يسأل شيئا إلا أعطاه إياه ، ثم قال عمر ﷺ: ويحك ألا سألت بوجهه الجنة"[٧].

---

(١) انظر: التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل: ابن خزيمة، ٤٤٤/٢-٤٥٨، الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد : البيهقي ص ١٤٢-١٤٤.

(٢) الصفات الخبرية بين المثبتين والمؤولين: د. جابر زايد السميري، ص ٨٣ .

(٣) الأسماء والصفات: البيهقي، ٩٨/٢. قال عبد الله الحاشدي: الحديث صحيح (انظر: المصدر السابق). .

(٤) المصدر السابق: ٨٩/٢ قال عبد الله الحاشدي: الأثر صحيح الإسناد رجاله كلهم ثقات، (انظر: المصدر السابق نفسه).

(٥) المصدر السابق: ٨٨/٢ . قال عبد الله الحاشدي: إسناده حسن وهو صحيح عن حذيفة، (انظر: المصدر السابق نفسه).

(٦) الأسماء والصفات: البيهقي،٨٨/٢ وما بعدها.

(٧) الأسماء والصفات البيهقي، ٩٥/٢ والأثر إسناده صحيح رجالهم كلهم ثقات،(انظر: المصدر السابق نفسه).

وقال الإمام ابن خزيمة :" نحن نقول وعلماؤنا جميعاً في الأقطار أن معبودنا عز وجل وجهاً كما أعلمنا الله في محكم تنزيله، نعته بالجلال والإكرام ، وحكم له بالبقاء ، ونفى عنه الهلاك ، ونقول أن لوجه ربنا عز وجل من النور والضياء والبهاء ، ما لو كشف حجابه لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره...، إن وجهه قديماً لم يزل بالباقي الذي لا يزل ، فنفى عنه الهلاك والفناء.." [١] .

ثالثاً: مخالفة تأويل الوجه للغة الأمة.

١. **مخالفة تأويل الوجه بالذات لما عليه اللغة.**

إن تأويل الوجه بالذات ليس معروفاً في لغة من لغات الأمم ، وإذا قالوا إن الوجه اشتهر في اللغة بمعنى الذات إذ يقال: وجه الحائط ، ووجه الثوب، ووجه النهار، فإنه يقال لكم: ليس الوجه الوارد في أمثلتكم بمعنى الذات، وجه الثوب هو أحد جانبيه، أو هو ما واجه به وأقبل به، ومثله وجه الأمر، وهو ما ظهر منه فيه الرأي الصحيح دون ما لم يظهر. وكذلك القول في وجه الحائط، ووجه النهار أوّله كما ثبت عن ابن عباس[٢].

والثابت في اللغة أن الوجه معناه: مستقبل كل شيء ، لأنه أول ما يواجه منه[٣] ، والأصوب أن يقال : إنه يستعمل في كل محل بحسب ما يضاف إليه، وإن أضيف الوجه إلى الله تعالى الذي ليس كمثله شيء كان وجهه تعالى كذلك[٤].

٢. **مخالفة تأويل الوجه بالثواب أو الجزاء لما عليه اللغة.**

إن اللغة التي أنزل الله بها القرآن لا تحتمل أن يكون الوجه بالثواب أو الجزاء، ولم يعرف أن الجزاء يسمى وجهاً للمجازي، ولو كان اللفظ يحتمل حمله على المجاز وهو الجزاء والثواب فإنه في قوله تعالى:﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ﴾ [الرَّحمن:٢٧] ، وفي قوله : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص:٨٨] لا يحتمل ذلك[٥].

رابعاً : مخالفة هذا التأويل للعقل الصريح:

١. لو سلمنا جدلاً أن الوجه هو الذات ، فهل في ذلك تحقيقاً لغايتهم في التنزيه الحق أنه يلزمهم التشبيه والتجسيم فيما أثبتوه ، فيكونون فروا من شيء فوقعوا في شر منه، لأنه لا يعرف شيء بأنه ذات موجودة إلا جسم فيكونون قد وقعوا في التجسيم والتشبيه . فإن قلتم نثبت ذاتاً بلا كيف ليست جارحة ولا مخلوقة

---

(١) التوحيد وإثبات صفات الرب: ابن خزيمة، ٢٥/١-٢٦.

(٢) انظر : جامع البيان في تأويل القرآن،" تفسير الطبري": أبو جعفر الطبري، ٥٠٨/٦، معالم التنزيل " تفسير البغوي ": أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون، الطبعة الأولى، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م، ٥٣/٢،تفسير القرآن العظيم "تفسير ابن كثير": أبو الفداء ابن كثير، ٥٩/٢

(٣) انظر: تهذيب اللغة،الأزهري، ٣٥١/٦، معجم مقايس اللغة:ابن فارس، ٨٨/٦، القاموس المحيط: الفيروزآبادي،٢٨٩/٤

(٤) انظر: مشكل الحديث وبيانه:أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني، تحقيق: موسى محمد علي ، الناشر: عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٥م، ص٣٥٧، ومختصر الصواعق المرسلة: ١٧٥/٢-١٧٦ بتصرف.

(٥) مناهج الإسلاميين في توحيد الله : د. صالح الرقب، ٥٤٨/١.

ولا شبيهة بالحوادث ، قلنا لكم إذا قولوا كما قلنا نثبت وجهاً بلا كيف ليس جارحة . ودعوكم من تعطيل الصفة وتأويلها، وهذا إلزام لهم فإن التزموا به اتفقنا وإن أبوا ورجعوا إلى القول بالمجاز ناقضوا أنفسهم وعطلوا ما جعلوه فاصلاً بين الحقيقة والمجاز(١) .

٢. إن الخبر في إثبات صفة الوجه ثبت بالتواتر، وأوضحنا خطأ ذلك التأويل من خلال الكتاب والسنة ولغة الأمة، فيقال للشيعة ما دليلكم من الشرع على ما ذهبتم إليه، وما دليكم من اللغة. فإن قلتم أن عقولكم لا تستطيع أن تفهم وتستوعب وجهاً لله صفة لأن ذلك يستلزم التشبيه والتجسيم ، فكيف استطاعت وبأي دليل فهمت أن الله تعالى ذات حية ، قادرة، عالمة ، عاقلة، موجودة ، وكل ذلك مما اتصف به المخلوق ، فالدليل الذي أثبتم به الذات تستطيعون أن تثبتوا لله وجه بلا كيفية وإن أبيتم إلا نفي الوجه فانفوا وجود كل ما أثبتموه بهذا الدليل(٢)

٣. لقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه فرق في أقواله بين الوجه والذات، والتفريق يدل على أن الوجه صفة للذات، وليس هو الذات كما ذهب إليه الشيعة. فقد ورد عنه عليه الصلاة والسلام قوله :"من استعاذ بالله فأعيذوه ومن سألكم بوجه الله فأعطوه"(٣) ، وروى ابْنِ عَباس عن رسول الله ﷺ أنه إذا أرد أن يدخل المسجد يقول:" أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم". فقوله أعوذ بالله العظيم يدل على الذات، وقوله :بوجهه الكريم يدل على الوجه الذي هو صفة له عز وجل(٤) .

خامساً: بطلان تأويل صفة الوجه من خلال رواياتهم:

إن الروايات المنسوبة لأئمة الشيعة في تأويل صفة الوجه لا يصح الاحتجاج بها، وذلك لما يلي:

١. **إن الروايات المنسوبة لأئمتهم في تأويل الوجه روايات ضعيفة ، فلقد ضعفها علماء الشيعة أنفسهم ، وخاصة ما رواه الكليني في الكافي**، فقد ضعف آية الله العظمى البرقعي جميع روايات الكليني في هذا الباب في كتابه كسر الصنم (٥) ، فمثلاً الرواية التي رواها الكليني بخصوص قوله تعالى: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ ، والتي نسب فيها للإمام تأويله الوجه بالجهة الذي يؤتى منها ، قال البرقعي بخصوصها:" والآن يجب أن نسأل هذا الراوي المختلق الذي افترى باسم الإمام: هل أنت بنفسك فهمت ما معنى هذه الجملة!؟ "(٦)، وكذلك الحال في الرواية التي ذهب فيها الكليني تأويل الوجه بطاعة الله فقال عنها

---

(١) الصفات الخبرية بين المثبتين والمؤولين بياناً وتفصيلاً ، د. جابر السميري ، ص١٦٧.

(٢) المرجع السابق: ص١٦٧

(٣) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب: الأدب، باب في الرجل يستعيذ من الرجل، ، حديث رقم:(٥١٠٨)، ص٥٥١ قال: الألباني حديث حسن صحيح.

(٤) انظر: مختصر الصواعق المرسلة ١٨٠/٢، والحديث أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الصلاة ، باب في الرجل يستعيذ من الرجل ، حديث رقم:(٤٦٦) ، قال الألباني: حديث صحيح .

(٥) انظر كتاب الكافي تحقيق المجلسي والبهبودي هدية دمشقية : عبد الرحمن دمشقية ، ص ١٤٣. وكسر الصنم :لآية الله البراقعي ، ص١٠٣-١٠٤.

(٦) انظر: كسر الصنم ، البرقعي، ص١٠٣.

البرقعي: وأما الحديث الأول والثاني من الكافي فمردودان لأنهما يخالفان الآية: ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ ﴾ [البقرة:١١٥]، ورواية الكافي جعلت الوجه بمعنى إطاعة محمد ﷺ وأمثال ذلك"(١).

٢. إنها مخالفة لرد الأئمة لكل قول ينسب إلى رسول ﷺ أو إليهم يخالف القرآن الكريم، ومن ذلك:

٥. ما رواه الكليني عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: إن على كل حق حقيقة، وعلى كل صواب نورا، فما وافق كتاب الله فخذوه وما خالف كتاب الله فدعوه"(٢)

٦. وما رواه عبد الله بن أبي يعفور قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن اختلاف الحديث يرويه من نثق به ومنهم من لا نثق به؟ قال: إذا ورد عليكم حديث وجدتم له شاهدا من كتاب الله أو من قول رسول الله ﷺ وإلا فالذي جاء كم به أولى به"(٣).

٧. وما رواه عن أيوب بن الحر قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: كل شئ مردود إلى الكتاب والسنة، وكل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف"(٤) .

٨. وما رواه عن هشام بن الحكم وغيره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: خطب النبي ﷺ بمنى فقال: أيها الناس ما جاء كم عني يوافق كتاب الله فأنا قلته وما جاء كم يخالف كتاب الله فلم أقله"(٥).

٣. لورد روايات في كتب الاثنا عشرية المعتمدة تثبت صفة الوجه على الحقيقة ولا تحتمل ما ذهبوا إليه من تلك التأويلات ومن ذلك:

- مار رواه المجلسي في بحاره باب أعمال خصوص يوم مولد النبي ﷺ ، ذكر فيه دعاء مستحب لذلك اليوم جاء فيه:"...وأسألك برد العيش بعد الموت، وأسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم آمين رب العالمين... "(٦).
- وكذلك ما رواه في باب أحراز مولاتنا فاطمة الزهراء صلوات الله عليها ، بقولها ؓ :" وأسألك الرضا بعد القضاء وأسألك النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك"(٧).
- ومار رواه الكليني عن محمد بن الفرج قال: كتب إلي أبو جعفر ابن الرضا –عليهما السلام– إلى أن قال –: وكان النبي ﷺ يقول إذا فرغ من صلاته: اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما

---

(١) المرجع السابق: نفسه.

(٢) أصول الكافي: الكليني، كتاب فضل العلم، باب الأخذ بالسنة وشواهد الكتاب، حديث رقم: ١، ٦٩/١.قال المجلسي: الحديث ضعيف، (مرأة العقول شرح أخبار آل الرسول، المجلسي، ٢٢٧/١).

(٣) المصدر السابق، باب الأخذ بالسنة وشواهد الكتاب، حديث رقم ٢، ٦٩/١. قال المجلسي: الحديث مجهول، (مرأة العقول شرح أخبار آل الرسول، المجلسي، ٢٢٧/١).

(٤) المصدر السابق نفسه، باب الأخذ بالسنة وشواهد الكتاب، حديث رقم: ٣، ٩٢/١، قال المجلسي: الحديث صحيح، (مرأة العقول شرح أخبار آل الرسول، المجلسي، ٢٢٧/١).

(٥) المصدر السابق نفسه باب الأخذ بالسنة وشواهد الكتاب، حديث رقم ٥، ٩٢/١، قال المجلسي: الحديث مجهول كالصحيح، (مرأة العقول شرح أخبار آل الرسول، المجلسي، ٢٢٧/١).

(٦) بحار الأنوار: المجلسي، الباب الأربعون تعقيب العصر الخاص بها –فاطمة–، حديث رقم١١، ٨٧/٨٣.

(٧) المصدر السابق، الباب التاسع والثلاثون، أحراز مولاتنا فاطمة الزهراء وبعض أدعيتها، حديث رقم١، ٢٢٥/٩١.

أعلنت، وإسرافي على نفسي.. والرضا بالقضاء، وبرد العيش بعد الموت، ولذة النظر إلى وجهك، وشوقا إلى رؤيتك ولقائك من غير ضراء مضرة ، ولا فتنة مضلة"(١).

- وما رواه شيخهم المفيد عن علي بن أبي طالب ﷺ في وصف أهل الجنة أنهم قالوا :"... قد سمعنا الصوت و اشتهينا النظر إلى أنوار جلالك وهو أعظم ثوابنا وقد وعدته ولا تخلف الميعاد، فيأمر الله الحجب، فيقوم سبعون ألف حجاب، فيركبون على النوق والبراذين، عليهم الحلي والحلل فيسيرون في ظل الشجر حتى يتنهوا إلى دار السلام وهي دار الله دار البهاء والنور والسرور والكرامة، فيسمعون الصوت، فيقولون: ياسيدنا سمعنا لذاذة منطقك فأرنا نور وجهك فيتجلى لهم سبحانه وتعالى حتى ينظرون إلى وجهه تبارك وتعالى المكنون من عين كل ناظر، فلا يتمالكون حتى يخروا على وجوههم سجدا، فيقولون: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك ياعظيم"(٢) .

ففي الروايات السابقة من سؤال النبي ﷺ وفاطمة والمؤمنين ربهم النظر إلى وجهه الكريم يستحيل أن يقال فيه أنه المقصود به الثواب ، أو ما أريد به وجه الله كما تزعم الشيعة، ولوكان النبي يقصد الذات – كما تزعم الشيعة لقال ذلك، ولأوضح الأئمة الذين نقلوا عن النبي هذه الأحاديث أن المراد ذاته لا وجهه إذ أنهم عاصروا الخلاف على إثبات الصفات ونفيها فكيف يتساهلون في ذلك ليأتي من بعدهم ليتأولوا كلامهم ، لذلك لما ذكر الوجه دل على أنه أراد الوجه حقيقة، لأن تأخير المراد عن البيان لا يتناسب مع مقام صاحب الشريعة المبلغ عن ربه عز وجل(٣).

يتبين من خلال ما عرضناه سابقا أن التأويل الشيعي للوجه بالمجاز تأويل باطل شرعاً ولغة، وأنه مخالف لما عليه سلف الأمة وأئمتها، وبذلك يكون أمراً مبتدعاً، قد ذهبوا إليه نتيجة تقديمهم الروايات المكذوبة عن أئمتهم وتقديم الرأي، والمعقولات الفاسدة على صحيح الشرع وصريح العقل .

---

(١) الكافي : الكليني، كتاب الدعاء، باب الدعاء في أدبار الصلوات ، حديث رقم: ٥٤٨/٢ . قال المجلسي: الحديث ضعيف، (مرأة العقول شرح أخبار آل الرسول، المجلسي،٣٤٦/١٢).

(٢) الاختصاص: المفيد ، كتاب صفة الجنة والنار، تحقيق: على أكبر الغفاري ومحمود الزرندي، الناشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت –لبنان، ١٤١٤هـ –١٩٩٣م، ص٣٥٣، وانظر مثل هذه الرواية في بحار الأنوار: المجلسي، ٢١٥/٨، ٢/٨٣، ٨٧ ، ٢٠٦/٨٧.

(٣) انظر :موقف الشيعة من صفتي الوجه واليدين ، د. صالح الرقب، ص ١٢.

الفصل الثاني
المصدر الثاني السنة

المبحث الأول: **تعريف السنة عند الشيعة الاثنا عشرية**.

المطلب الأول: السنة في اصطلاح الاثنا عشرية.

المطلب الثاني: صحة السنة عند الاثنا عشرية.

المبحث الثاني : **موقف الشيعة من السنة عند أهل السنة والجماعة**.

المطلب الأول: مفهوم الاثنا عشرية للصحابي.

المطلب الثاني: موقف الشيعة من الصحابة رواة الحديث.

المطلب الثالث: موقف الشيعة من كتابي الصحيحين.

الفصل الثاني

المصدر الثاني السنة

تمهيد :-

أولاً: تعريف السنة في اللغة واصطلاح أصوليين أهل السنة:

١. تعريف السنة في اللغة:

تطلق السنة في لغة العرب على معنيين:

المعنى الأول: الطريقة والسيرة ، سواء كانت حسنة أو سيئة[١] .

جاء في لسان العرب: سن عليه الماء: صبه، وقيل: أرسله إرسالاً ليناً[٢]

وبهذا الإطلاق اللغوي جاءت كلمة السنة في القرآن الكريم ،قال الله تعالى: ﴿ سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء:٧٧].

كما جاءت أيضاً في السنة النبوية بهذا المعنى، قال النبي ﷺ:" من سن في الإسلام سنة حسنة فعمل بها بعده، كتب له مثل أجر من عمل بها، ولا ينقص من أجورهم شيء، ومن سنة في الإسلام سنة سيئة فعمل بها بعده ، كتب عليه مثل وزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شيء"[٣].

المعنى الثاني: العناية بالشيء، والرعاية له.

يقال:" سن الإبل، يسنها ، سناً إذا أحسن رعيتها حتى كأنه صقلها"[٤].

٢. تعريف السنة عند أهل السنة[٥]:

السنة في اصطلاح أهل الحديث: ما أثر عن النبي ﷺ ، من قول أو عمل ، أو تقرير، أو صفة خُلُقية ، أو خلْقية ، أو سيرة ، سواء أكان ذلك قبل البعثة ، أم بعدها.

---

(١) مختار الصحاح: محمد بن عبد القادر الرازي، ص١٦٩، ولسان العرب: ابن منظور، ٢٢٥/١٣، تاج العروس: الزبيدي، ٢٢٩/٣٥.

(٢) لسان العرب: ابن منظور، ٢٢٥/١٣.

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب من سنة سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلال، حديث رقم: (١٠١٧).

(٤) انظر: لسان العرب: ابن منظور ، ٢٢٠/١٣-٢٢٩، والصحاح:الجواهري، ١٧٢١/٥-١٧٢٣، تاج العروس : الزبيدي، ٢٢٩/٣٥.

(٥) انظر: الإحكام في أصول الأحكام، على بن محمد الآمدي، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، الطبعة الأولى، الناشر: دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض – السعودية، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م، ٢٢٧/١، والإحكام في أصول الدين :أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم ، ٦/٢، تحقيق الشيخ أحمد شاكر، الطبعة الأولى ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤٠٤هـ، وإرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول : الإمام محمد بن على الشوكاني ، تحقيق: سامي بن العربي الأشري،الطبعة الأولى ، الناشر: دار الفضيلة ، الرياض ، ١٤٢١هـ –٢٠٠٠م، ص١٨٦.ومصادر الاستدلال على مسائل الاعتقاد: عثمان علي حسن، دار الوطن، الطبعة الأولى الرياض، ١٤١٣هـ ، ص٢٣.

والسنة عند الأصوليين هي: كل ما نقل عن النبي ﷺ، من قول أو فعل أو تقرير، من جهة كونها مصدراً ودليلاً.

والسنة عند أهل الفقه هي: ما ثبت عن النبي ﷺ من حكم هو دون الفرض والواجب.

والمراد هنا السنة بمعناها عند الأصوليين ، إذ هي أحد مصادر المعرفة الشرعية، ودليل من الأدلة التي يعرف بها مسائل الدين[1].

ثانياً: السنة النبوية وعلاقتها بالوحي الإلهي:

السنة النبوية هي وحي من عند الله تعالى بدلالة قوله تعالى:﴿ **وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى** ﴾ [النَّجم:٣-٤][2]، وقوله تعالى :﴿ **قُلْ إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنْذَرُونَ** ﴾ [الأنبياء:٤٥]، ولكنها تنسب إلى الرسول ﷺ من جهة كونه المنشئ لألفاظها، أما معانيها فمن الله تعالى، وهذا الوحي إما أن ينزل به جبريل كما ينزل بالقرآن الكريم، أو ينفث به في روعه، أو يلهمه إياه مناماً أو أنه يقول أو يفعل باجتهاد منه في حدود تعلمه من معرفة مقاصد الشرع وقواعده الحكيمة، وهذا الاجتهاد إما أن يقر عليه فيرجع إلى حقيقة الوحي أو لا يقر فينبه إلى الصواب[3].

يستفاد مما سبق بأن المصدر الوحيد لمجيء الوحي من خلاله هو النبي ﷺ، لا يشاركه فيه أحد من البشر، وإن كان من أقرب المقربين له ﷺ، وكل من يدّعي أنه يوحى لأحد بعد النبي ﷺ، أو أنه معصوم كعصمة النبي ﷺ، وأنّ أقواله وأفعاله مثل أقوال وأفعال النبي ﷺ، فقد ادعى له النبوة وإن لم يتلفظ بها[4]، وهو كافر بإجماع أمة الإسلام لتكذيبه القرآن والسنة وإجماع الأمة في عدم نزول الوحي على أحد بعد خاتم الأنبياء محمد ﷺ، وهذا من البديهيات المعلومة في دين الإسلام[5]، كذلك من جحد سنة النبي ﷺ وأنكرها واستبدالها بأقوال الرجال، وجعل من أقوالهم واجب الطاعة والنفاذ، فقد اتخذ من هؤلاء الرجال أرباباً من دون الله وإنّ سماهم أئمة أو أحباراً أو رهباناً، بدليل قوله تعالى:﴿ **اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ** ﴾ [التوبة:٣١]، وهذا ما اتفق عليه المسلمون، وما أفادت به بعض روايات الشيعة[6].

---

(١) منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة: عثمان على حسن، ٨٤/١.

(٢) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي، تحقيق عدنان درويش ، محمد المصري ، الناشر: مؤسسة الرسالة ، بيروت –لبنان ، ١٤١٩هـ–١٩٩٨م، ص٧٢٢.

(٣) مصادر الاستدلال على مسائل الاعتقاد: عثمان علي حسن ، ص٢٣.

(٤) منهاج السنة النبوية : ابن تيمية ، ١٨٧/٦–١٩٠.

(٥) انظر: مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة: جلال الدين السيوطي، االناشر: إدارة المطبعة المنيرية، ص٢، وانظر: ما قاله ابن حزم في معرض رده على الرافضة في الفصل في الملل والنحل: ابن حزم ، ١٧٢/٤.

(٦) روى الكليني في أصوله عن أبي عبد الله عليه السلام قال في قوله تعالى [اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ] {التوبة:٣١} ، فقال: والله ما صاموا لهم ولا صلوا لهم ولكن أحلوا لهم حراماً وحرموا عليهم حلالاً فاتبعوهم.(أصول الكافي: الكليني ، باب البدع والرأي ، ٥٤/١).

قال شارح الطحاوية:" فالواجب كمال التسليم للرسول ﷺ والانقياد لأمره، وتلقي خبره بالقبول والتصديق، دون أن نعارضه بخيال باطل نسميه معقولاً أو نحمله شبهة أو شكاً، أو أن نقدم عليه آراء الرجال، وزباله أذهانهم، فنوحده بالتحكيم والتسليم والانقياد والإذعان، كما نوحد المرسل بالعبادة والخضوع والذل والإنابة والتوكل، فهما توحيدان لا نجاة للعبد من عذاب الله إلا بهما، توحيد المرسل ، وتوحيد متابعة الرسول فلا يحاكم إلى غيره، ولا يرضى بحكم غيره، ولا يقف تنفيذ أمره وتصديق خبره على عرضه على قول شيخه وإمامه وذوي مذهبه وطائفته ومن يعظمه، فإن أذنوا له نفذه وقبل خبره"(1).

ثالثاً: حفظ السنة النبوية:

ما دامت السنة وحي من الله فهي محفوظة بحفظ الله لها، لقوله تعالى:﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر:٩]،وفي ذلك يقول ابن حزم: " إن كلام النبي ﷺ كله وحي، والوحي بلا خلاف ذكر، والذكر محفوظ بنص القرآن الكريم، فصح بذلك أن كلامه ﷺ كله محفوظ بحفظ الله عز وجل، مضمون لنا أنه لا يضيع منه شيء...، فهو منقول إلينا كله، فلله الحجة علينا أبداً "(2).

ولقد تعددت وسائل حفظ السنة سواء في حياة النبي ﷺ أو بعد وفاته ﷺ، فمن هذه الوسائل ما يلي:(3)

١. حرص النبي ﷺ على إيصال سنته لصحابة ومن يجيء بعده وحثهم على حفظها، من خلال تخير أوقات تبليغها، وتكرار كلامه ثلاثاً، وترغيبه في طلب العلم وسماع الحديث والدقة في أدائه، وإجازته لبعض الصحابة بأن يكتب حديثه، وتوعده الشديد لمن يكتم علماً أو يكذب عليه متعمداً.

٢. اهتمام الصحابة بحفظ سنة النبي ﷺ والحرص الشديد عليها متمثلاً بمذاكرتها مع رسول الله ﷺ واحتياطهم في رواية الحديث وتثبتهم في قبوله، ودعائه لبعض الصحابة بالتمكن والحفظ أمثال أبو هريرة وعبد الله بن عباس ﷺ، وكتابة بعض الصحابة الحديث.

٣. اهتمام التابعين ومن بعدهم من أهل العلم في حفظ السنة النبوية، متمثلاً في تدوينها وضبطها وتوثيقها بالمذاكرة والكتابة والمناظرات التي كانت تعقد لمعرفة طرق الحديث وكشف الرواة، وتمييز الصحيح من الضعيف، وقد اشتدت العناية بدراسة الحديث سنداً ومتناً بعد أن ظهر الكذب على رسول الله، وألفت جوامع للحديث الصحيح منها صحيحي البخاري ومسلم، ووضعت أسس علم الجرح والتعديل الذي ليس له مثيل عند أحد من الأمم إلى وقتنا الحاضر، حتى عند الفرق التي خرجت من الإسلام أمثال الاثنا عشرية.

والجدير ذكره هنا أن بداية السؤال عن سند الحديث والتحقق من حال الرواة بدأت في عهد الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، واشتدت بعد أن وقعت الفتنة بين المسلمين باستشهاد أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ وفشا الكذب على النبي ﷺ من مدّعي التشيع وغيرهم، ولهذا قال عبد الله بن عباس

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية: ابن أبي العز الحنفي ، ص١٦٦-١٦٧.

(٢) الإحكام في أصول الدين: ابن حزم ،٩٨/١.

(٣) انظر: منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة: عثمان على حسن،٩١/١.

ﷺ:" إنا كنا مرة إذا سمع رجلاً يقول: قال رسول الله ﷺ، ابتدرته أبصارنا وأصغينا إليه بآذاننا، فلما ركب الناس الصعب والذلول: لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف"(١).

وقال التابعي الجليل محمد بن سرين:" لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة، قالوا: سموا لنا رجالكم ، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم"(٢).

وقد قال الإمام مالك بن أنس:" إن هذا العلم هو لحمك ودمك وعنه تسأل يوم القيامة، فانظر عمنّ تأخذه"(٣).

وقال عبد الله بن المبارك(٤)رحمة الله:" الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء"(٥).

والمقصود من ذلك كله بيان أن السنة قد لاقت ولا تزال تلقى اهتمام العلماء بحفظها من الدخيل والموضوع منذ صدورها من رسول الله ﷺ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهذا الحفظ تكفل به الله تعالى بأن قيض لها جهابذة في حفظها وصيانتها من كل شائبة.

رابعاً: حجية السنة في الاستدلال على مسائل الشريعة.

تنوعت الأدلة على ثبوت حجية السنة النبوية، وقد جاء هذا التنوع من خلال القرآن والسنة وإجماع الأمة والعقل الصريح:-

١. فمن خلال القرآن الكريم:

قوله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء:٥٩] .

وقوله تعالى:﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء:٦٥] .

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر:٧]

وقوله تعالى:﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء:٨٠] .

---

(١) أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه، ص١٢-١٣، وللمزيد من أقوال التابعين انظر:المحدث الفاصل بين الراوي والواعي: للقاضي الحسن بن عبد الرحمن الرامهرزي ، تحقيق: محمد عجاج الخطيب، الطبعة الأولى، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م، ص٤١٤.

(٢) أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه، ص١٥.

(٣) المحدث الفاصل بين الراوي والواعي: للقاضي الحسن بن عبد الرحمن الرامهرزي، ص٤١٦.

(٤) هو عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي بالولاء، التميمي، المروزي أبو عبد الرحمن: الحافظ، شيخ الاسلام، المجاهد التاجر، صاحب التصانيف والرحلات. أفنى عمره في الأسفار، حاجا ومجاهداً وتاجراً. وجمع الحديث والفقه والعربية وأيام الناس والشجاعة والسخاء. ولد عام ١١٨هـ وكان من سكان خراسان، ومات بهيت على الفرات منصرفا من غزو الروم عام ١٨١هـ.(الأعلام: للزركلي، ٤/١١٥)

(٥) صحيح مسلم ، المقدمة باب الإسناد من الدين، ص١٥

وقوله تعالى:﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ﴾ [النساء:١٣] ، وقوله تعالى:﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧١] .

فهذه الآيات وغيرها الكثير جعل الله تعالى طاعة رسوله ﷺ من طاعته، وجعل طاعة الرسول شرطاً للفوز برضا الرحمن ودخول الجنان، وأوجب سبحانه عند التنازع في شيء أنّ نرده إلى الرسول ﷺ، وجعل ذلك من أدلة الإيمان، فدل ذلك كله على وجوب الأخذ بسنته ﷺ والاحتجاج بها[1].

كذلك قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى المُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آَيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[آل عمران:١٦٤]،قال الشافعي بخصوص هذه الآية:" فذكر الله الكتاب وهو القرآن وذكر الحكمة فسمعت من أرضى من أهل العلم يقول الحكمة سنة رسول الله ﷺ"[2]، وفي ذلك يأمر الله تعالى نساء النبي ﷺ بأن يذكروا سنة الرسول ﷺ للعمل بها، قال تعالى: ﴿ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آَيَاتِ اللهِ وَالحِكْمَةِ إِنَّ اللهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب:٣٤].

٢. من خلال دلالة السنة على حجيتها:

قوله ﷺ :" لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه الأمر مما أمرت به أو نهيت عنه، ويقول: لا أدري، ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه"[3]. فهذا نص صريح من رسول الله حذر فيه من ترك سنته بحجة الاستغناء عنها بكتاب الله

وقوله ﷺ:" نضر الله إمرء سمع منا شيئاً فبلغه كما سمع فرب مبلغ أوعى من سامع"[4].قال الإمام الشافعي بخصوص هذا الحديث:" فلما ندب رسول الله ﷺ إلى استماع مقالته وحفظها وأدائها على أنه لا يأمر أن يؤدي عنه إلا ما تقوم به الحجة على من أدى إليه لأنه إنما يؤدي عنه حلال يؤتى وحرام يجتنب وحد يقام ومال يؤخذ ويعطى ونصيحة في دين ودنيا"[5].

وقد روى عبد الله بن عمرو قال:" كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه فنهتني قريش وقالوا أتكتب كل شيء تسمعه ورسول الله ﷺ بشر يتكلم في الغضب والرضا فأمسكت عن الكتاب فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فأومأ بأصبعه إلى فيه فقال: اكتب فو الذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق"[6].

---

(١) انظر: منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة: عثمان على حسن،١٠٣/١

(٢) مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة: جلال الدين السيوطي، ص٤ ، إدارة الطباعة المنيرية ، مصر .

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب العلم، باب ما نهي عنه أن يقال عند حديث النبي ﷺ، حديث رقم:(٢٦٦٣)، صححه الألباني.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب العلم، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع، حديث رقم:(٢٦٥٧)، صححه الألباني.

(٥) مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة: جلال الدين السيوطي، ص٥.

(٦) أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب العلم، باب في كتاب العلم ، حديث رقم:(٣٦٤٦)، قال الألباني : صحيح.

٣. **من خلال دلالة الإجماع:**

أجمعت أمة الإسلام من الصحابة والتابعين وإلى عصرنا هذا على الاحتجاج بالسنة والاستدلال بها في مسائل الشريعة كلها، وقد نقل هذا الإجماع جمع من العلماء منهم الإمام الشافعي[١] والشوكاني رحمهم الله[٢].

قال الشوكاني[٣]رحمه الله :" إن ثبوت حجية السنة المطهرة واستقلالها بتشريع الأحكام ، ضرورة دينية، ولا يخالف في ذلك إلا من لا حظ له في دين الإسلام"[٤].

٤. **من خلال دلالة العقل:**

ونذكر هنا ما رواه الحاكم عن الحسن، أنه قال:" بينما عمران بن حصين يحدث عن سنة نبينا ﷺ، إذ قال له رجل :يا أبا نجيد، حدثنا بالقرآن، فقال عمران: أنت وصاحبك تقرؤون القرآن، أكنت محدثي عن الصلاة، وما فيها وحدودها ؟ أكنت محدثي عن الزكاة في الذهب والإبل والبقر وأصناف المال؟ ولكن قد شهدت وغبت أنت...فقال الرجل أحييتني أحياك الله "[٥]، ووجه دلالة العقل في هذا النص كون النبي ﷺ رسول الله ، يقتضي تصديقه في كل ما يخبر به ، وطاعته في كل ما يأمر به ، ومن المسلم به أنه قد أخبر وحكم بأمور زائدة على ما في القرآن الكريم، فالتفريق بينها وبين القرآن في وجوب الالتزام بها، والاستجابة لها، تفريق بما لا دليل عليه، فلزم أن يكون خبره ﷺ واجب التصديق، وكذا امره واجب الطاعة[٦].

- **الاحتجاج بالسنة يكون بالسنة الصحيحة والحسنة، أما الموضوعة والضعيفة فلا حجة فيها.**

لما كانت السنة مطمع لكل عابث وصاحب هوى يريد أن يثبت معتقداته من خلال عبثه وافترائه الكذب على النبي ﷺ، قام أئمة الحديث بوضع منهاجاً عملياً متميزاً في ضبط أصول الرواية، ميزوا من خلاله بين الأحاديث الصحيحة والحسنة والأحاديث الموضوعة والضعيفة، فكانوا المرجع في معرفة السنة الصحيحة من غيرها[٧].

---

(١) انظر : مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة : جلال الدين السيوطي ، ص٢٠-٢١.

(٢) انظر: مصادر الاستدلال على مسائل الاعتقاد ، عثمان على حسن، ص ٢٦

(٣) الشوكاني:هو محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني: فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، من أهل صنعاء. ولد بهجرة شوكان من بلاد خولان، باليمن عام ١١٧٣هـ ، ونشأ بصنعاء. وولي قضاءها سنة ١٢٢٩ هـ ومات حاكما بها. وكان يرى تحريم التقليد.له ١١٤ مؤلفا، منها: نيل الأوطار ، والفوائد المجموعة في الاحاديث الموضوعة ، فتح القدير، إرشاد الفحول.(انظر: الأعلام، الزركلي،٦/٢٩٨).

(٤) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول :محمد بن على الشوكاني ، ص٣٢، الطبعة الأولى ، تحقيق : سامي بن العربي الأشري، الناشر : دار الفضيل، الرياض ،١٤٢١هـ -٢٠٠٠م.

(٥) أخرجه الحاكم في مستدركه على الصحيحين، كتاب العلم، حديث رقم: (٣٧٢)، ١/١٠٩-١١٠.

(٦) منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنةوالجماعة: عثمان على حسن، ١/١٠٨.

(٧) انظر: مقدمة نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار: محمد علي بن محمد الشوكاني ، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد، الطبعة الأولى ، الناشر: دار ابن القيم، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م ، ١/١٧.

قال الإمام ابن تيمية:" المنقولات فيها كثير من الصدق وكثير من الكذب، والمرجع في تمييز بين هذا وهذا إلى أهل علم الحديث، كما نرجع إلى النحاة في الفرق بين نحو العرب وغير العرب ، ونرجع إلى علماء اللغة فيما هو من اللغة وما ليس من اللغة، وكذلك علماء الشعر والطب وغير ذلك ، فلكل علم رجال يعرفون به، والعلماء بالحديث أجل هؤلاء قدراً، وأعظمهم صدق وأعلاهم منزلة وأكثرهم ديناً. وهم من أعظم الناس صدقاً وأمانة وعلماً وخبرة، فيما يذكرونه من الجرح والتعديل، مثل: مالك وشعبة وسفيان..."[١].

قال الإمام الترمذي رحمه الله:" فما حملهم- أئمة الحديث- على ذلك عندنا إلا النصيحة للمسلمين، ولا نظن أنهم أرادوا الطعن على الناس أو الغيبة، وإنما أرادوا أن يبينوا ضعف هؤلاء، لكي يعرفوا؛ لأن بعضهم من الذين ضعفوا كان صاحب بدعة، وبعضهم كان متهما في الحديث، وبعضهم كانوا أصحاب غفلة، وكثرة خطأ، فأراد هؤلاء الأئمة أن يبينوا أحوالهم، شفقة على الدين وتبينا، لأن الشهادة في الدين أن يثبت فيها من الشهادة في الحقوق والأموال"[٢].

وقد أجمع أئمة الحديث وسلفنا الصالح على أنَّ الاحتجاج على مسائل الاعتقاد لا يكون إلا بالسنة الصحيحة والحسنة، أما ما كان منها موضوع و ضعيف فقد أجمعوا على عدم جواز الأخذ بها أو الاعتبار لها، واعتبروا أنَّ من أعظم أسباب الضلال والانحراف عن السنة والعقيدة الصحيحة الاحتجاج بالأحاديث والأخبار الضعيفة والمكذوبة وبناء الاعتقاد عليها، وخاصة فيما يتعلق في مباحث التوحيد وصفات الله تعالى[٣].

يقول الإمام ابن تيمية:" ونحن نعلم بالضرورة أنّ فيما ينقل الناس عنه – الرسول ﷺ- وعن غيره صدقاً وكذباً. وقد روي عنه أنّه قال: سيكذب علي ، فإن كان هذا الحديث صدقاً ، فلابد أن يكذب عليه ، وإن كان كذلك لم يجز لأحد أن يحتج في مسألة فرعية بحديث حتى يُبين ما به يثبت"[٤]

وقال أيضاً:" فالواجب أن يفرق بين الحديث الصحيح والحديث الكذب، فإن السنة هي الحق دون الباطل، وهي الأحاديث الصحيحة دون الموضوعة ، فهذا أصل عظيم لأهل الإسلام عموماً ولمن يدعي السنة خصوصاً"[٥].

---

(١) منهاج السنة النبوية : ابن تيمية ، ٣٤/٧-٣٥.

(٢) شرح علل الترمذي : للحافظ عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، تحقيق: نور الدين عتر، الناشر: دار الملاح للطباعة والنشر، ٤٣/١-٤٤.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى: ابن تيمية ، ٢٥٠/١ ، و منهاج السنة النبوية : ابن تيمية ، ١٦٧/٧-١٦٨، وانظر: الكفاية في علم الرواية:أبو بكر أحمد بن على بن ثابت الخطيب البغدادي ، تحقيق: إبراهيم حمدي المدني ، أبوعبد الله السورقي ، الناشر ، المكتبة العلمية ، المدينة المنورة ، ص١٧.

(٤) منهاج السنة النبوية : ابن تيمية ، ٦١/٧.

(٥) مجموع الفتاوى : ابن تيمية، ٣٨٠/٣.

كذلك لم يفرق أئمة الحديث وسلفنا الصالح بين أحاديث الآحاد أو غيرها من الأحاديث إذا توفرت فيها شروط الصحة المطلوبة في أن يكون الحديث متصل السند وأن يكـون رواتـه عـدول، وموافقتـه للأصول العامة في متنه، وعدم غرابته ونكارته، وعدم مخالفته للقرآن والأحاديث الصحيحة الأخـرى(١)، وبينوا أن التفريق بين الخبر المتواتر والآحاد في إفادة العلم، وإقامة الحجة اصطلاح حادث لم يدل عليـه كتاب الله ولا سنة رسوله ﷺ ولا عرفه الصحابة والتابعون(٢).

فهذا الإمام ابن عبد البر القرطبي ينقل لنا إجماع أهل السنة على وجوب العمل بحديث الآحاد في العقائد والأحكام فيقول:" وكلهم –أي أهل السنة– يدين بخبر الواحد العدل في الاعتقادات، ويعادي ويـوالي عليها، ويجعلها شرعاً وديناً في معتقده، وعلى ذلك جماعة أهل السنة"(٣) .

ويقول الآمدي(٤) رحمه الله حاكياً إجماع الأمة على الأخذ بخبر الآحاد:" إن عمل بعض الصحابة ، بل الأكثر من المجتهدين منهم بأخبار الآحاد، مع سكوت الباقين عن النكير، دليل الإجماع على ذلك"(٥).

وقال الإمام النووي:" ذهبت القدرية والرافضة، وبعض أهل الظاهر: إلى أنه لا يجب العمل بخبر الواحد ، ثم منهم من يقول: منع من العمل به دليل العقل، ومنهم من يقول : منع دليل الشرع ، ثـم قـال: والذي عليه جماهير المسلمين من الصحابة والتابعين ، فمن بعدهم مـن المحـدثين والفقهـاء وأصـحاب الأصول: أن خبر الواحد الثقة حجة من حجج الشرع، يجب العمل بها"(٦) .

ويقول الإمام ابن القيم الجوزية رحمه الله:" لا ترد أحاديث الصحابة، والأئمة الثقات بتفرد الرواي فكم من حديث ينفرد به واحد من الصحابة ﷺ، قبله الأئمة كلهم، ولم يرده أحد منهم، ولا نعلم أحـداً مـن أهل العلم قديماً ولا حديثاً قال: إنّ الحديث إذا لم يروه إلا صحابي واحد لم يقبل، وإنما يحكى عـن أهـل

---

(١) انظر: قراءة في عقيدة الشيعة الإمامية: فؤاد بن عبد العزيز الشلهوب ص ٤٨.

(٢) انظر: الرسالة: الإمام محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق أحمد محمد شاكر، الناشر: دار الكتـب العلميـة ، بيـروت – لبنان، ص٤٣٥وما بعدها ، والتمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد : ابن عبد البـر، ٨/١، وانظـر: مـنهج التلقـي والاستدلال بين أهل السنة والمبتدعة: أحمد بن عبد الرحمن الصويان ، ص٨٧

(٣) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: ابن عبد البر، ٨/١.

(٤) الآمدي: علي بن محمد بن سالم التغلبي، أبو الحسن، سيف الدين الآمدي: أصولي، باحث. أصله من آمد –ديار بكـر– ولد بها، وتعلم في بغداد والشام. وانتقل إلى القاهرة، فدرس فيها واشتهر. وحسده بعض الفقهاء فتعصـبوا فيهـا واشـتهر. وحسده يبعض الفقهاء فتعصبوا عليه ونسبوه إلى فساد القعيدة والتعطيل ومذهب الفلاسفة، فخرج مستخفيا إلى حماة ومنها إلى دمشق فتوفي بها. له نحو عشرين مصنفا، منها الإحكام في أصول الأحكام، لباب الألبـاب، وغيرهـا.(الأعلام: للزركلـي، ٣٣٢/٤).

(٥) الإحكام في أصول الأحكام: علي بن محمد الآمدي، ٨٥/٢، وانظر: الكفاية في علم الرواية: الخطيب البغدادي ص٣١.

(٦) صحيح مسلم بشرح النووي : أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعـة الثانية، بيروت ، ١٣١/١.

البدع، ومن تبعهم في ذلك أقوال لا يعرف له قائل من الفقهاء، وقد تفرد الزهري بنحو ستين سُنَّة لم يروها غيره ، وعملت بها الأمة ، ولم يردوها لتفرده"[١].

وقال ابن أبي العز الحنفي:" وخبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول ، عملاً به وتصديقاً له يفيد العلم اليقيني عند جماهير الأمة، وهو أحد قسمي المتواتر. ولم يكن بين سلف الأمة في ذلك نزاع"[٢] .

تبين مما سبق مفهوم السنة عند أهل السنة والجماعة، واتضح مدى عنايتهم بها والاحتجاج بها في مسائل الدين كله أصولاً وفروعاً، وأنهم يقبلون خبر الواحد العدل ويستدلون به على مسائل الاعتقاد، فما هي سنة الاثنا عشرية وما مدى صحتها وحجيتها، وما موقفهم من سنة أهل السنة والجماعة؟.

هذا ما سنتناول الحديث عنه من خلال المبحثين التاليين:

المبحث الأول: مفهوم السنة عند الشيعة الاثنا عشرية.

المبحث الثاني: موقف الشيعة من السنة عند أهل السنة والجماعة.

(١) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان: شمس الدين مابن القيم الجوزية، تحقيق :محمد حامد الفقي، الطبعة الثانية، الناشر: دار المعرفة، بيروت ، ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م ، ١/٢٩٥-٢٩٦.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية: ابن أبي العز الحنفي، ص٣٩٩-٤٠٠.

المبحث الأول

مفهوم السنة عند الشيعة الاثنا عشرية.

المطلب الأول: السنة في اصطلاح الاثنا عشرية:

يعرف الشيعة السنة بقولهم:" كل ما يصدر عن المعصوم من قولٍ أو فعلٍ أو تقريرٍ"(١)، والمعصوم عندهم هو النبي ﷺ؛ والأئمة الاثنا عشر أولهم الإمام علي ﷺ وآخرهم مهديهم المنتظر(٢).

يقول الشيعي على أكبر غفاري:"السنة: ما يصدر من النبي ﷺ أو مطلق المعصوم من قول أو فعل أو تقرير...، والأجود تعريف السنة: بأنه قول من لا يجوز عليه الكذب والخطأ، وفعله وتقريره، غير القرآن"(٣).

ويقول محمد جواد مغنية:" السنة إذا وردت على لسان الفقهاء والمحدثين، هي ما صدر عن المعصوم، نبيا كان أو إماما، من قول أو فعل أو تقرير فيما لو كان قوله أو فعله أو تقريره في مقام التشريع وبيان الواقع. ولم يخالف أحد من الشيعة في أن السنة بمعناها المعروف بين الفقهاء والمحدثين، أصل من أصول الأحكام. ووجوب العمل بما تقتضيه، من غير فرق بين ما يؤخذ منها وما يؤخذ من كتاب اللّه"(٤).

يقول محمد رضا المظفر:" أما فقهاء الإمامية بالخصوص؛ فلمَّا ثبت لديهم أنَّ المعصوم من آل البيت يجري قوله مجرى قول النبي من كونه حجة على العباد واجب الإتباع، فقد توسعوا في اصطلاح السنة إلى ما يشمل قول كل واحد من المعصومين، أو فعله ، أو تقريره، فكانت السنة باصطلاحهم : قول المعصوم ، أو فعله أو تقريره"(٥).

ويوضح محمد رضا المظفر أن الأخذ بأقوال الأئمة ليس من جهة أنهم رواة عن النبي ﷺ بل لأنهم منصَّبون من الله وأنهم مصدر للتشريع، فيقول في ذلك:" إنَّ الأئمة من آل البيت – عليهم السلام - ليسوا هم من قبيل الرواة عن النبي والمحدثين عنه ليكون قولهم حجة من جهة أنهم ثقاة في الرواية بل ؛ لأنهم هم المنصوبون من الله تعالى على لسان النبي لتبليغ الأحكام الواقعة، فلا يحكمون إلا عن الأحكام الواقعية عند الله تعالى كما هي...، وعليه فليس بيانهم للأحكام من نوع رواية السنة وحكايتها، ولا من نوع

---

(١) الأصول العامة للفقه المقارن: محمد تقي الحكيم، ص١٢٢ الناشر: مؤسسة آل البيت للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، ١٩٧٩م، ،وانظر: شرح البداية في علم الدراية : لزين الدين العاملي المعروف بالشهيد الثاني ، تحقيق محمد رضا الحسيني الجلالي ، الطبعة الأولى ، منشورات الفيروزآبادي قم ، ١٤١٤هـ ، ص٦-٧، ونهاية الدراية : السيد حسن الصدر ،تحقيق ماجد الغرباوي ، نشر المشعر ، قم ،ص٨٥، ودراسات في علم الدراية تلخيص مقباس الهداية: للمامقاني ، تلخيص: على أكبر غفاري ، الطبعة الأولى ، جامعة الإمام الصادق ، إيران ، ١٣٦٩هـ ، ص١١-١٣.

(٢) المصادر السابقة.

(٣) دراسات في علم الدراية: على أكبر غفاري ، ص ١٢.

(٤) تاريخ الفقه الجعفري: محمد جواد مغنية ، ص٢٣٠.

(٥) أصول الفقه: محمد رضا المظفر، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، ١٣٧٠هـ، ٥٨/٢.

الاجتهاد في الرأي والاستنباط من مصادر التشريع ، بل هم أنفسهم مصدر للتشريع ، فقولهم سنة لا حكاية سنة ، وأما ما يجيء على لسانهم أحياناً من روايات ، وأحاديث عن نفس النبي ﷺ ؛ فهي إما لأجل نقل النص عنه كما يتفق في نقلهم لجوامع كلمه؛ وإما لأجل إقامة الحجة على الغير ، وإما لغير ذلك من الدواعي..."[١].

ويرى علامة الشيعة جعفر السبحاني بأن أحاديث الأئمة في الحقيقة أحاديث النبي ﷺ فيقول:" بل العترة الطاهرة –الأئمة– لما كانوا وعاه علمه وحفظة سنته، وخلفاءه بعده، يحكون بقولهم وأفعالهم وتقريرهم، سنة النبي الأكرم، فالاحتجاج بأحاديثهم احتجاج في الحقيقة بحديث النبيﷺ، وكلامه" [٢].

وفي موضع آخر يقول:" إنَّ الأحاديث والروايات التي تنقل عن أئمة أهل البيت المعصومين بأسانيد صحيحة، حجة شّرعية ، ويجب العمل بمضمونها والإفتاء وفقها "[٣].

ويقول إمام الشيعة الخميني:" أنَّ تعاليم الأئمة كتعاليم القرآن يجب تنفيذها واتباعها"[٤].

وقد جاء في كتاب الكافي أنَّ أبا عبد الله قال:"حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدي، وحديث جدي حديث الحسين، وحديث الحسين حديث الحسن، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين، وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله ﷺ، وحديث رسول الله قول الله عز وجل"[٥].

وجاء فيه أيضاً عن أبي بصير قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام: الحديث أسمعه منك أرويه عن أبيك أو أسمعه من أبيك أرويه عنك؟ قال سواء إلا أنك ترويه عن أبي أحب إلي..."[٦].

ومن الملاحظ أن روايات الشيعة في كتبها كلها منسوبة إلى الأئمة الاثنا عشر، وكثير منها مروي عن جعفر الصادق، ونادر ما تجد حديث مروي عن رسول الله ﷺ[٧]، فمثلاً كتاب الكافي الذي يتحوي على أكثر من ستة عشر ألف رواية لم يروي عن النبي ﷺ سوى اثنان وتسعين حديثاً، وروى عن جعفر الصادق تسعة آلاف ومئتان وتسعة عشر رواية، هذا بشكل عام أما في باب العقائد وخاصة الصفات

---

(١) أصول الفقه : محمد رضا المظفر، ٥٨/٢.

(٢) الاعتصام بالكتاب والسنة: الشيخ جعفر السبحاني، مؤسسة إمام الصادق، قم ، ص ٣٤١.

(٣) العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت: جعفر السبحاني، ص٣١٨-٣٢٠.

(٤) الحكومة الإسلامية: الخميني ، ص١٣.

(٥) أصول الكافي، كتاب فضل العلم، باب رواية الكتب والحديث، حديث رقم: ١٤، ٥٣/١ ، ذكر شارح الكافي المازندراني أن هذا القول يدل على "أن حديث كل واحد من الأئمة الطاهرين قول الله عز وجل، ولا اختلاف في أقوالهم كما لا اختلاف في قوله تعالى" شرح جامع على الكافي: المازندراني، ٢٧٢/٢، وقال المجلسي: الحديث ضعيف على المشهور وفيه دليل على أن أحاديث كل واحد منهم مأخوذة من الآخر ومنتهية إلى قول الله تعالى(انظر: مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، المجلسي، ١٨٢/١).

(٦) المصدر السابق، كتاب فضل العلم، باب رواية الكتب والحديث، حديث رقم:٤، ٥١/١.قال المجلسي: الحديث ضعيف ، (مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، المجلسي، ١٧٦/١).

(٧) أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية : د. ناصر القفاري ، ١/ ٣٩٢.

فلا تكاد تجد حديثاً واحد مروي عنه ﷺ، ولقد أشار شيخهم الحر العاملي إلى أنهم يتجنبون رواية ما يرفع إلى النبي ﷺ خشية أن يكون من روايات أهل السنة.(١)

المناقشة:

إن ما ذهبت إليه الاثنا عشرية من الادعاء بعصمة الأئمة، وأنَّ سنتهم كسنة النبي ﷺ، وأنه واجب الأخذ والاستدلال بها على مسائل الشريعة، ما هي إلا دعوة لهدم الإسلام ودين الله بالكلية واستبداله بأهواء وآراء شيوخ الشيعة الكذابين الذين يكتبون الروايات بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الأئمة والله أمرنا بهذا ليشتروا به ثمناً قليلا فويلٌ لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون، قال تعالى:﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة:٧٩]، و الأدلة على بطلان هذه الدعوة كثيرة ومتنوعة، نبين جزءاً منها من خلال الوجوه التالية:-

الوجه الأول : الرد عليهم من خلال الكتاب:

١. لقد كثرت الآيات التي توجب طاعة الرسول واتباع أمره، فأين الآيات التي تثبت طاعة أولئك الأئمة وتوجب الأخذ بأقوالهم؟.

فقد فرض الله سبحانه وتعالى على جميع الخلق الإيمان بالرسول، وأوجب طاعته وإتباع أمره فقال تعالى:﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ ﴾ [النساء:٨٠]، وقال سبحانه:﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء:٦٤]، فلا سبيل لأحد إلى النجاة إلا بطاعته، ولا يسأل الناس يوم القيامة إلا عن الإيمان به، واتباعه، وطاعته، وبه يمتحنون في القبور، قال تعالى: ﴿ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف:٦]، فمن آمن به وأطاعه كان من أهل الجنة، ومن كذبه وعصاه كان من أهل النار، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ﴾ [النساء:١٣]، وقال تعالى:﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ [الفرقان:٢٧] إلى قوله ﴿ خَذُولًا﴾ [الفرقان:٢٩]، وقال تعالى:﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا*وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾ [الأحزاب:٦٦-٦٧] إلى قوله: ﴿ وَالعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب:٦٨]، وقال تعالى : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الكَافِرِينَ﴾ [آل عمران:٣٢]، وقال تعالى ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء:٦٥] وقال تعالى ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣]، وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾

(١) انظر: وسائل الشيعة ، الحر العاملي، ٣٩١/٢٠.

[النساء:٦٩]، وجميع الرسل أخبروا أن الله أمر بطاعتهم ، كما قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللهِ﴾ [النساء:٦٤]، يأمرون بعبادة الله وحده، وخشيته وحده، وتقواه وحده، ويأمرون بطاعتهم كما قال تعالى : ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الفَائِزُونَ﴾ [النور:٥٢][(١)].

فهذه الآيات وغيرها الكثير من آيات الذكر الحكيم التي ذكرت وجوب طاعة الرسول والإيمان به وأخذ الشريعة عنه لا عن أحد غيره ، ومن يخالف أمر الرسول بهوى يتبعه، ويجعل منه منزلة أعلى من الأنبياء أو مساوياً لها، هو ممن يشاقق الرسول قال تعالى:﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء:١١٥]، لذا فإنّ الحقيقة التي لامناص منها قد صدح بها القرآن الكريم وهي وجوب إتباع الرسول لا أحد غيره، لا الأئمة ولا إلى غيرهم.

٢. كذلك قوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآَخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء:٥٩]، ففي هذه الآية أمر الله المؤمنين عند التنازع بالرد إلى الله والرسول، ولو كان للناس معصوم غير الرسولﷺ، لأمرهم بالرد إليه، فدل القرآن الكريم على أنه لا معصوم إلا الرسولﷺ[(٢)]، فمن أثبت شخصاً معصوماً غير الرسولﷺ، أوجب ردّ ما تنازعوا فيه إليه، لأنه لا يقول عنده إلا الحق كالرسولﷺ ، فإنه مخالف لكتاب الله وراداً له[(٣)].

٣. من لوازم الإيمان بالرسالة وجوب قبول كل ما يرد عن الرسول ﷺ، قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللهِ اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾[الأنعام:١٢٤]، وقال جل وعلا:﴿فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا البَلَاغُ الْمُبِينُ﴾[النحل:٣٥]، وقال أيضاً:﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآَمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف:١٥٨]، ولم يخبرنا الله تعالى في كتابه الكريم عن وجوب قبول ما يرد عن الأئمة، أو حتى أنهم معصومون مثل الأنبياء المرسلين!!، فدل ذلك على بطلان دعوى الاثنا عشرية[(٤)].

الوجه الثاني: الرد عليهم من خلال السنة:

أولاً: روى أبو داود في سننه عن العرباض بن سارية أنه قال:" صلى بنا رسول الله ذات يوم، ثم أقبل علينا، فوعظنا موعظة بليغة، قال فيها:" ... إنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي

---

(١) انظر: الرد على الأخنائي واستحباب زيارة خير البرية الزيار الشرعية: تقي الدين أحمد بن تيمية ، تحقيق عبد الرحمن بن يحي المعلمي اليماني، المطبعة السلفية، القاهرة ،ص١١٥-١١٧.

(٢) انظر: منهاج السنة النبوية: ابن تيمية ، ٣/٣٨١.

(٣) انظر: المصدر السابق: ابن تيمية ، ٦/١٩٠.

(٤) مصادر التلقي وأصول الاستدلال العقدية عند الإمامية الاثنا عشرية: إيمان صالح العلواني ، ص٢٩٠.

وسنة الخلفاء المهديين الراشدين ، تمسكوا بها ، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة"[1] .

ففي هذا الحديث إشارة إلى ظهور البدع و الأهواء التي أحدثتها الشيعة وغيرها من أصحاب البدع والأهواء فأوصى النبي ﷺ إلى التمسك بسنته وسنة الخلفاء المهديين الراشدين المتمسكين بكتاب الله وسنته، وفيه أيضاً رد على الشيعة، وذلك لأن النبي ﷺ لم يحدد منهم الخلفاء ولا عين أعدادهم كما تزعم الشيعة، بل إنه في روايات أخرى قد خص النبي ﷺ من بين هؤلاء الخلفاء الراشدين أبو بكر وعمر فقال ﷺ :" اقتدوا باللذين بعدي أبي بكر وعمر" [2] ، وقال ﷺ:" إن يطع الناس أبا بكر وعمر، فقد أرشدوا"[3] فدل ذلك على بطلان دعوى الشيعة في تعين الأئمة الاثنا عشر ومن ثم دعوى عصمتهم.

ثانياً: في حجة الوداع قال ﷺ: " يا أيها الناس إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا : كتاب الله وسنتي" [4] وقوله ﷺ:" تركت فيكم أمرين، لن تضلوا؛ ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنة نبيه"[5] ، فدلت هذه الروايات على أنَّ ما تركه النبي ﷺ من كتاب الله وسنتة هو واجب الاتباع والاعتصام به، فلو كان للأئمة الذين تدعي الشيعة عصمتهم، حق في تبليغ شرع الله تعالى واتباعهم والاعتصام بهم لما كان لقول النبي ﷺ معنى.

ثالثاً: روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال:" يكون في آخر الزمان دجالون كذابون يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم لا يضلونكم ولا يفتنونكم"[6] فهذه الشيعة جعلت من الأقوال المنسوبة إلى أئمة آل البيت سنة كسنة النبي ﷺ بل عارضوها بسنة النبي الصحيحة المتواترة، فدل ذلك على أنهم دجالون كذابون ما يريدون إلا أن يضلونا.

الوجه الثالث: الرد عليهم من خلال أقوال علماء أهل السنة:

١. إن ادعاء الاثنا عشرية عصمة الأئمة ووجوب الأخذ بسنتهم ما هو إلا ادعاء بنبوة الأئمة وهذا كفر صريح.

يقول الإمام بن تيمية:" ودعوى العصمة تضاهي المشاركة في النبوة فإن المعصوم يجب اتباعه في كل ما يقول، لا يجوز أن يخالف في شيء وهذه خاصة بالأنبياء، ولهذا أمرنا أن نؤمن بما أنزل إليهم

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب السنة ، باب في لزوم السنة، حديث رقم:(٤٦٠٧)، قال الألباني: حديث صحيح.

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه ، كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، ذكر أمر المصطفى ﷺ المسلمين الاقتداء بأبي بكر وعمر، حديث رقم:(٦٩٠٢)، قال شعيب الأرنؤوط حديث صحيح.

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، ذكر إثبات الرشد للمسلمين في طاعة أبي بكر وعمر، حديث رقم:(٦٩٠٢)، قال شعيب الأرنؤوط حديث صحيح.

(٥) أخرج مالك في الموطأ، كتاب القدر، باب النهي عن القول بالقدر ، حديث رقم: (٣٣٣٨)، صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، حديث رقم: ٢٩٣٤، ٣٩/٣(صحيح الجامع الصغير وزيادته والفتح الكبير بتحقيق : محمد ناصر الدين الألباني – المكتب الإسلامي ، الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ – ١٩٧٩م ، بيروت) .

(٦) أخرج الإمام مسلم في صحيحه في مقدمته، باب نهي عن الرواية عن الضعفاء والاحتياط، ، حديث رقم: (٧٨٣).

فقال تعالى:﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة:١٣٦]... فالإيمان بما جاء به النبيون مما أمرنا أن نقوله ونؤمن به وهذا مما اتفق عليه المسلمون أنه يجب الإيمان بكل نبي ومن كفر بنبي واحد فهو كافر ومن سبه وجب قتله باتفاق العلماء، فمن جعل بعد الرسول معصوما يجب الإيمان بكل ما يقوله فقد أعطاه معنى النبوة وإن لم يعطه لفظها، ويقال لهذا ما الفرق بين هذا وبين أنبياء بني إسرائيل الذين كانوا مأمورين باتباع شريعة التوراة...، ومعلوم أن كل من قال بلك يكون مخالفة لدين الإسلام للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة"[١].

ويقول ابن حزم:" إن بعض أئمتهم المذكورين مات أبوه وهو ابن ثلاث سنين فنسألهم من أين علم هذا الصغير جميع علم الشريعة وقد عدم توقيف أبيه له عليها لصغره فلم يبق إلا أن يدعوا له الوحي فهذه نبوة وكفر صريح وهم لا يبلغون إلى أن يدعوا له النبوة وأن يدعوا له معجزة تصحح قوله فهذه دعوى باطلة ما ظهر منها في شيء أو يدعوا له الإلهام فما يعجز أحد عن هذه الدعوى" [٢].

٢. إنّ المعصوم الذي يجب أنّ يطاع هو النبي ﷺ وكل شخص سوى رسول الله ﷺ يؤخذ من قوله ويترك.

يقول الإمام ابن تيمية:" المعصوم تجب طاعته مطلقاً بلا قيد، ومخالفه يستحق الوعيد، والقرآن إنما أثبت هذا في حق الرسول خاصة؛ قال تعالى:﴿ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [الجنّ:٢٣]، فدل القرآن في غير موضع على أن من أطاع الرسول كان من أهل السعادة ، ولم يشترط في ذلك طاعة معصوم آخر، ومن عصى الرسول كان من أهل الوعيد...، ولهذا اتفق أهل العلم أهل الكتاب والسنة على أن كل شخص سوى الرسول فإنه يؤخذ من قوله ويترك، إلا رسول الله ﷺ فإنه يجب تصديقه في كل ما أخبر، وطاعته في كل ما أمر، فإنه المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، وهو الذي يسأل الناس عنه يوم القيامة ، كما قال تعالى: ﴿ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف:٦]..."[٣].

٣. إنَّ الاعتقاد الصحيح في العصمة، أنه لا أحداً معصوم بعد النبي ﷺ.

يقول الإمام ابن تيمية:" إنا لا نعتقد أن أحداً معصوم بعد النبي ﷺ، بل الخلفاء وغير الخلفاء يجوز عليهم الخطأ، والذنوب التي تقع منهم قد يتوبون منها، وقد تكفر عنهم بحسناتهم الكثيرة، وقد يبتلون أيضاً بمصائب يكفر الله عنهم بها وقد يكفر عنهم بغيرها...، فهذه القاعدة تغنينا أن نجعل كل ما فعل واحد منهم هو الواجب أو المستحب من غير حاجة بنا إلى ذلك"[٤].

---

(١) منهاج السنة النبوية : ابن تيمية ، ١٨٧/٦-١٨٩.

(٢) الفصل في الملل والأهواء النحل: ابن حزم ، ١٧٢/٤.

(٣) منهاج السنة: ابن تيمية، ١٩٠/٦-١٩١.

(٤) المصدر السابق: ١٩٦/٦-١٩٨

٤. إنَّ السنة التي تدعيها الاثنا عشرية ما هي إلا سنة شيوخ الطائفة الذين صنفوها ونسبوها للأئمة، فالذي يطاع في الحقيقة هم شيوخ الشيعة لا أئمتها.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:" إن الأئمة الذين يُدّعى فيهم العصمة قد ماتوا منذ سنين كثيرة، والمنتظر له غائب أكثر من أربعمائة وخمسين سنة– أي في زمن الإمام ابن تيمية –، وعند آخرين هو معدوم لم يوجد، والذين يُطاعون شيوخٌ من شيوخ الرافضة، أو كتب صنفها بعض شيوخ الرافضة، وذكروا أن ما فيها منقول عن أولئك المعصومين، وهؤلاء الشيوخ المصنفون ليسوا معصومين بالاتفاق، ولا مقطوعاً لهم بالنجاة، فإذن : الرافضة لا يتبعون إلا أئمة لا يقطعون بنجاتهم ولا سعادتهم ، فلم يكونوا قاطعين لا بنجاتهم ولا بنجاة أئمتهم الذين يُباشرونهم بالأمر والنهي، وهم أئمتهم حقّاً، وإنهم في انتسابهم إلى أولئك بمنزلة كثير من أتباع شيوخهم الذين ينتسبون إلى شيخ قد مات من مدة، ولا يدرون بماذا أمر، ولا عن ماذا نهى، بل له أتباع يأكلون أموالهم بالباطل ويصدّون عن سبيل الله ، يأمرونهم بالغلو في ذلك الشيخ وفي خلفائه وأن يتخذوهم أرباباً"[١].

٥. إن من أعظم الأدلة التي تبطل دعوى عصمة الأئمة، وبالتالي تبطل سنة الاثنا عشرية المزعومة الأفعال التي قام بها الأئمة.

فقد ناقش الإمام البغدادي الشيعة في بيعة الحسن لمعاوية رضي الله عنهما، ليدلل على فساد ما ذهبوا إليه من عصمة الأئمة، فقال: " فإذا سئلوا عن بيعة الحسن لمعاوية لم يمكنهم أن يقولوا أنها كانت صواباً، لأن هذا القول يوجب تصحيح ولاية معاوية وهو عندهم ظالم كافر، ولم يمكنهم أن يقولوا أنها خطأ فيبطلوا عصمة الحسن"[٢].

ومن خلال مناقشة البغدادي الرافضة فيما يتعلق بفعل الإمام الحسن مع معاوية، يقاس عليه كل أفعال الأئمة التي قاموا بها ، والتي هي بمنزلة الكفر عند الشيعة إذا فعلها العامي منهم فكيف إذا فعلها الإمام، كبيعة الإمام علي ﷺ لأبي بكر وعمرﷺ، وتزويجه ابنته أم كلثوم لعمر ﷺ وغيرها من الأفعال التي قام بها الأئمة والتي تهدم دعوى الرافضة عصمتهم ووجوب الأخذ بسنتهم[٣].

٦. مما يبطل مفهوم الاثنا عشرية للسنة، غيبة إمامهم الموهوم في سن الطفولة طوال تلك القرون وعدم انتفاعهم بأقواله وأفعاله وتقريراته.

يقال للشيعة: إن صاحب الزمان الذي تدعون إليه لا سبيل للناس إلى معرفته، ولا معرفة ما يأمرهم به، وما ينهاهم عنه، وما يخبرهم به، فإن كان أحد لا يصير سعيداً إلا بطاعة هذا الذي لا يعرف أمره ولا نهيه لزم أنه لا يتمكن أحد من طريق النجاة والسعادة وطاعة الله، وهذا من أعظم تكليف ما لا يطاق، فإن قالوا بل هو يأمر بما عليه الشيعة، قيل لهم: فلا حاجة إلى وجوده ولا شهوده، فيلزم من قولهم أحد أمرين: إما بطلان قولهم في الإمامة و من ثم بطلان ما ذهبوا إليه من روايات اعتمدوها في إثبات

---

(١) المصدر السابق نفسه: ٣/٤٨٨-٤٨٩

(٢) أصول الدين: عبد القاهرالبغدادي، ص٢٧٨.

(٣) انظر: أمثلة على أفعال الأئمة في مصادر الاستدلال عند الشيعة الاثنا عشرية ، إيمان العلواني، ص٢٣٠

مذهبهم. وإما أن يكون الله قد آيس عباده من رحمته وأوجب عذابه لجميع الخلق المسلمين وغيرهم وعلى هذا التقدير فهم أول الأشقياء المعذبين[١].

يقول الإمام ابن تيمية:" فأي سعى أضل من سعى من يتعب التعب الطويل ويكثر القال والقيل ويفارق جماعة المسلمين ويلعن السابقين والتابعين ويعاون الكفار والمنافقين ويحتال بأنواع الحيل ويسلك ما أمكنه من السبل ويعتضد بشهود الزور ويدلى أتباعه بحبل الغرور ويفعل ما يطول وصفه ومقصوده بذلك أن يكون له إمام يدله على أمر الله ونهيه ويعرفه ما يقربه إلى الله تعالى ثم إنه لما علم اسم ذلك الإمام ونسبه لم يظفر بشيء من مطلوبه ولا وصل إليه شيء من تعليمه وإرشاده ولا أمره ولا نهيه ولا حصل له من جهته منفعة ولا مصلحة أصلا إلا إذهاب نفسه وماله وقطع الأسفار وطول الانتظار بالليل والنهار ومعاداة الجمهور لداخل في سرادب ليس له عمل ولا خطاب ولو كان موجودا بيقين لما حصل به منفعة لهؤلاء المساكين فكيف وعقلاء الناس يعلمون أنه ليس معهم إلا الإفلاس وأن الحسن بن علي العسكري لم ينسل ولم يعقب"[٢].

ويضيف ابن تيمية قائلاً:" وهم يقولون إنه دخل السرداب بعد موت أبيه وعمره إما سنتان وإما ثلاث وإما خمس نحو ذلك ومثل هذا بنص القرآن يتيم يجب أن يحفظ له ماله حتى يؤنس منه الرشد ويحضنه من يستحق حضانته من أقربائه فإذا صار له سبع سنين أمر بالطهارة والصلاة فمن لا توضأ ولا صلى وهو تحت حجر وليه في نفسه وماله بنص القرآن لو كان موجودا يشهده العيان لما جاز أن يكون هو إمام أهل الإيمان فكيف إذا كان معدوما أو مفقودا مع طول هذه الغيبة"[٣].

ويستدل الدكتور ناصر القفاري على بطلان سنة الاثنا عشرية بطفولة بعض أئمتهم قائلاً:" ويكفي مجرد تصور هذا لمعرفة مدى بطلان رواياتهم التي ينسبونها للأئمة ، إذ قد علم بنص القرآن والسنة المتواترة وإجماع الأمة، أن مثل هذا يجب أن يكون تحت ولاية غيره في نفسه وماله، فتكون نفسه محضونة ومكفولة لمن يستحق كفالته الشرعية فكيف يكون مثل هذا إماماً معصوماً ، قوله قول الله ورسوله، وهل يؤمن بهذا إلا من أعمى الله قلبه"[٤].

---

(١) انظر: منهاج السنة النبوية : ابن تيمية ، ١١٩/١.

(٢) انظر: المصدر السابق ، ١٢١/١.

(٣) انظر: المصدر السابق نفسه، ١٢٢/١.

(٤) أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية: د. ناصر القفاري، ٣٩٦/١.

المطلب الثاني: مدى صحة السنة عند الاثنا عشرية:-

اختلفت الاثنا عشرية في مدى صحة مرويات الأئمة الواردة في كتب الروايات عندهم وخاصة الكتب الأربعة المتقدمة على رأيين هما:

- **الرأي الأول: صحة كل كتب الروايات الأربعة:**

وهذا الرأي لطائفة الإخباريين من الشيعة الاثنا عشرية، حيث يرون قطعية صدور ما جاء في هذه الكتب من أخبار، ولقد أفاضوا في الاستدلال على صحة تلك الكتب وجعلوا لذلك فصولاً في مؤلفاتهم[1]، ويعد محمد أمين الاستربادي[2]، والحر العاملي[3]، والفيض الكاشاني[4]ويوسف البحراني[5] من أشد المدافعين عن هذا الرأي، فقد استدل الحر العاملي على صحة أحاديث الكتب الأربعة باثنين وعشرين دليلاً، وخطأ من ذهب من الاثنا عشرية ليحكم على تلك الروايات، واتهمه بمجاراة أهل السنة بسبب التشنيع عليهم في عدم صحة سند هذه الروايات، وأنه يلزمهم تضعيف كل روايات الاثنا عشرية، بل قد طالبهم البحريني بالبحث عن دين آخر لهم بسبب عدم قبولهم تلك الروايات على علاتها.

وبالعموم فإن أهم الأدلة التي ساقها الحر العاملي لتقرير ما ذهب إليه قوله:

١. العلم القطعي بالتواتر، والأخبار المحفوفة بالقرائن أنه قد كان دأب قدمائهم وأئمّتهم ، ضبط الأحاديث، وتدوينها في مجالس الأئمة وعرضها على الأئمة وقد استمر ذلك إلى زمان الأئمة الثلاثة، أصحاب الكتب الأربعة، وبقيت تلك المؤلفات بعدهم - أيضا- مدة وأنهم نقلوا كتبهم من تلك الكتب، المعلومة، المجمع على ثبوتها وكثير من تلك الكتب وصلت إلينا وقد اعترف بهذا جمع من الأصوليين.

٢. وجود أصول صحيحة، ثابتة، كانت مرجع الشيعة يعملون بها، بأمر الأئمّة، وأن أصحاب الكتب الأربعة وأمثالها، كانوا متمكنين من تمييز الصحيح من غيره، غاية التمكن.

٣. الأحاديثُ المتواترة الدالة على وجوب العمل بأحاديث الكتب، المعتمدة، ووجوب العمل بأحاديث الثقات.

٤. إنه لو لم تكن أحاديث تلك الكتب مأخوذة من الأصول، المجمع على صحتها، والكتب التي أمر الأئمة بالعمل بها، لزم أن يكون أكثر الأحاديث غير صالح للاعتماد عليها.

---

(١) انظر: مصادر التلقي وأصول الاستدلال العقدية عند الإمامية الاثنا عشرية: إيمان بنت صالح العلواني، ص٣٠٠-٣٠١.

(٢) انظر: الفوائد المدنية: محمد أمين الإستربادي ، تحقيق: رحمة الله الرحمتي الأراكي، الطبعة الأولى ، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي ، قم ، ١٤٢٤هـ، ص٣٧١.

(٣) وسائل الشيعة: الحر العاملي،٣٠/ ١٩١.

(٤) انظر: الأصول الأصيلة: الفيض الكاشاني، تحقيق: جلال الدين الحسيني الأرموي،الناشر : سازمان جاب دانشكاه، إيران ، ١٣٩٠هـ، ص٥٨-٦١.

(٥) انظر: الحدائق الناضرة: يوسف البحراني، المقدمة الثانية ، في إثبات صحة جميع الأخبار وإبطال الإصطلاح في تنويع الحديث إلى أنواع، ١/١٤-٢٥

٥. شهادة أصحاب تلك الكتب مثل الشيخ الصدوق؛ والكليني، وغيرهم من علمائهم، بصحة هذه الكتب والأحاديث، وبكونها منقولة من الأصول، والكتب المعتمدة، وقد انعقاد الإجماع على ذلك إلى زمان العلامة ابن المطهر الحلي.

٦. القطع بأن كثير من رواة أحاديثهم كانوا ثقات، والفائدة في ذكره مجرد التبرك باتصال سلسلة المخاطبة اللسانيّة، ودفع تعيير أهل السنة الشيعة بأن أحاديثهم غير معنعنة!.

٧. أن الاصطلاح الجديد للحديث الصحيح موافق لاعتقاد العامة واصطلاحهم، وهو مخالف لاصطلاح المتقدمين له، بل هو مأخوذ من كتبهم كما هو ظاهر بالتتبع ، وقد أمر الأئمة عليهم السلام باجتناب طريقة أهل السنة.

٨. إن الاصطلاح الجديد يستلزم تخطئة جميع طائفة الشيعة، في زمن الأئمة، وفي زمن الغيبة.

٩. إن الاصطلاح الجديد يستلزم ضعف أكثر الأحاديث، التي قد علم نقلها من الأصول المجمع عليها، لأجل ضعف بعض رواتها، أو جهالتهم، أو عدم توثيقهم، فيكون تدوينها عبثا، بل محرّما، وشهادتهم بصحتها زورا وكذبا، بل يستلزم ضعف الأحاديث كلها، عند التحقيق، لأن الصحيح -عندهم - : ما رواه العدل ، الإماميّ، الضابط، في جميع الطبقات.

١٠. إنه لو لم يجز قبول شهادة أصحاب الكتب على صحة أحاديث كتبهم، وثبوتها، ونقلها من الأصول الصحيحة، لما جاز قبول شهادتهم في مدح الرواة، وتوثيقهم فلا يبقى حديث ، صحيح ، ولا حسن ، ولا موثق ، بل يبقى جميع أحاديث كتب الشيعة ضعيفة.

١١. إجماع الشيعة على نقيض الاصطلاح الجديد للحديث الصحيح ، واستمرّ عملهم بخلافه، من زمن الأئمة عليهم السلام إلى زمن العلامة-ابن المطهر- ، في مدة تقارب سبعمائة سنة، وقد علم دخول المعصوم عليه السلام في ذلك الإجماع[١].

الخلاصة مما سبق فإن أصحاب هذا الرأي يرون صحة كل ما ورد عن أئمتهم في كتب الحديث المعتمدة عندهم، بل يرون تواتر كل حديث وكل كلمة بجميع حركاتها وسكناتها الإعرابية البنائية وترتيب الكلمات والحروف[٢].

- **الرأي الثاني: عدم صحة كل ما نقل في هذه الكتب.**

وهذا الرأي للأصوليين الذين يرون عدم صحة كل ما نقل من هذه الكتب، وأنها قد اشتملت على الصحيح والحسن والموثوق والضعيف، ونقلوا أن أصحاب هذه الكتب جمعوا كل ما يسمعونه حوفاً من اندراس الحديث وضياعه[٣].

---

(١) وسائل الشيعة: الحر العاملي،٣٠/ ٢٤٩-٢٧٦.

(٢) تنقيح المقال : الممقاني ، ١/١٨٣.

(٣) مصادر التلقي وأصول الاستدلال العقدية عند الإمامية الاثنا عشرية: إيمان بنت صالح العلواني، ص٣٠٤.

فيقول نور الدين العاملي:" يكفي أصحاب الكتب الأربعة أن يكون الداعي لجمعها خوفاً من اندراس الحديث وضياعه، ولم يمكنهم تمييز الصحيح والضعيف باليقين، فجمعوا ما حسن الظن لهم به ، ولم يعلموا كذبه، ومخالفته قطعاً لمذهب أهل البيت، وأحالوا العمل به على ما يتحقق"[١]

ويقول مرتضى العسكري:" لم يكن علماء مدرسة أهل البيت بصدد تدوين الحديث الصحيح في كتبهم ...فكانوا بصدد جمع الأحاديث المناسبة لكل باب ، لهذا اقتضت الأمانة العلمية في النقل أن يدونوا كل ما انتهى إليهم من حديث في بابه، مع غض النظر عن صحة الحديث لديهم، أو عدمه كي تصل جميع أحاديث الباب إلى الباحثين في الأجيال القادمة كاملة، مهما كان بعض الأحاديث مكروهة لديهم، وضعيفة بموازين النقد العلمي... ويتضح جليًا أن مدرسة أهل البيت لا تتسالم على صحة كتاب عدا كتاب الله جل اسمه ، وأن مؤلفيهم قد يوردون في غير الكتب الفقهية حديثًا لا يعتقدون صحته ويرونه ضعيفًا ؛ لأن الأمانة العلمية تقتضيهم أن لا يكتموا حديثًا عن الباحثين في الأجيال القادمة بدليل أنهم يرونه ضعيفًا" [٢][٣].

ولقد رد الأصوليون على الأدلة التي ساقها الإخباريون على صحة مرويات الكتب الأربعة، فكانت من الردود عليهم ما يلي:

١. إن أصحاب الأئمة وإن بذلوا غاية جهدهم ،واهتمامهم في أمر الحديث، وحفظه من الضياع والاندراس حسب ما أمرهم به الأئمة- عليهم السلام – إلا أنهم عاشوا في دور التقية، ولم يتمكنوا من نشر الأحاديث علنًا، فكيف بلغت هذه الأحاديث حد التواتر أو قريبًا منه[٤].

٢. إن دعوى قطعية صدور روايات الكتب الأربعة من الأئمة المعصومين دعوى كاذبة، إذ كيف يمكن دعوى القطع بصدور رواية رواها واحد عن واحد ؟ ولا سيما أن في رواة الكتب الأربعة من هو معروف بالكذب ، والوضع!، ودعوى القطع بصدقهم في خصوص روايات الكتب الأربعة ؛ لقرائن دلت على ذلك ، لا أساس لها ، فإنها بلا بينة وبرهان ، بل إن أرباب هذه الكتب أنفسهم لم يكونوا يعتقدون ذلك[٥].

٣. وما ذكره المحمدون الثلاثة في أوائل كتبهم الأربعة، من أنَّهم لا يوردون فيها إلا ما هو صحيح وحجة بينهم وبين الله تعالى ، ويستفاد من بعض كلماتهم أنها تفيد العلم ، وحصولُ العلم على فرضه عند شخص لا يلزم منه ثبوته عند غيره[٦].

---

(١) الشواهد المكية : نور الدين العاملي ، تحيق رحمة الله الأراكي ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، ١٤٢٤هـ ، ص١١٣.

(٢) معالم المدرستين ، مرتضى العسكري ، ٣/٢٨٦-٢٨٧.

(٣) قلت كلام مرتضى العسكري فيه تدليس وكذب وهذا معهود بهذه الطائفة ، إذ إن الأمانة العلمية تقتضي بيان حال الأحاديث التي تروى لكي تستطيع الأجيال القادمة أن تميز بين ما هو صحيح وبين ما وهو كذب وضعيف، بدلاً أن تقع في حيرة وشك كما وقعت به هذه الطائفة حيال مروياتها، وفي مناقشهم في صحة مروياتهم سيتضح مدى تناقضهم في الأصل الثاني من أصول الاستدلال لديهم.

(٤) انظر: معجم رجال الحديث: الخوئي، ٢٢/١.

(٥) انظر: المصدر السابق : ٢٢/١-٢٥.

(٦) انظر: الحق المبين في تصويب المجتهدين وتخطئة الإخباريين: جعفر آل كاشف الغطاء ، ص١٩.

٤. إن تقسيم المتأخرين السنة إلى صحيح وضعيف موجود عند القدماء، فقد كانوا يقولون لفلان كتاب صحيح، وقول الصدوق كل ما صححه شيخي فهو عندي صحيح[١].

٥. الذي ألجأ المتأخرين إلى وضع ضابط للحديث وتقسيمه إلى حسن وضعيف هو تطاول الأزمنة بينهم وبين الصدر الأول واندراس بعض الأصول المعتمدة لتسلط الجائرين والظلمة من أهل الضلال والخوف من إظهارها وانتساخها والتباس المأخوذ من الأصول المعتمدة بغيرها واشتباه المتكرر منها بغير المتكرر، وخفاء كثير من القرائن ، فإن ذلك كله ألجأهم إلى قانون يتميز به الأحاديث المعتبرة عن غيرها فقرروا هذا الاصطلاح[٢].

هذه بعض من الردود التي رد بها الأصوليون على ما ذهب إليه الإخباريين من وثاقة الكتب الأربعة، غير أن الناظر في كتب الأصوليين يرى أنهم يتأرجحون في حكمهم على الكتب الأربعة ، فمثلاً إذا نظرنا في كتاب من لا يحضره الفقيه والبالغ عدد أحاديثه ٥٩٦٣حديثاً، نجد فيه أكثر ٢٠٥٠ حديثاً مرسلا[٣]–ومرادهم بالمرسل ما لم يذكر فيه اسم الراوي أو قال فيه قال عليه السلام من دون ذكر الرواة[٤]– وهذا الكم الكبير من تلك المراسيل قد صححها علماء الاثنا عشرية بجرة قلم دون أدنى تمحيص أو تحقيق.

يقول الأصولي محمد مهدي بحر العلوم[٥] : "إنَّ مراسيل الصدوق في " الفقيه" كمراسيل ابن أبي عمير في الحجية والاعتبار، وإنَّ هذه المزية من خواص هذا الكتاب، لا توجد في غيره من كتب الأصحاب"[٦].

زد على هذا ذهاب بعض علماءهم الأصوليين إلى تصحيح كل الكتب الأربعة وتسميتها بالصحاح، يقول علي بن محمد رضا ابن هادي آل كاشف الغطاء: " قد أوجب الشيخ الطوسي في كتاب العدة ، وهو صاحب الصحيحين عند الشيعة: الاستبصار، و التهذيب وجوب العمل بالخبر من طريق المخالفين، إذا لم

---

(١) انظر: المصدر السابق : ص ٢٤

(٢) انظر: دراسات في علم الدراية: على أكبر غفاري، ص ٢٦.

(٣) انظر: كليات في علم الرجال: الشيخ جعفر السبحاني، مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ، ص٣٨٤.

(٤) انظر: المرجع السابق ، ص٣٣٠.

(٥) محمد مهدي بحر العلوم: محمد مهدي بن السيد مرتضى بن محمد بحر العلوم، ولد سنة ١١٥٥ هـ ، بمدينة كربلاء، تتلمذ على يد محمد باقر الأصفهاني ، المعروف بالوحيد البهبهاني، و يوسف البحراني ،العاملي، والخوانساري... وغيرهم . يلقب ببحر العلوم لقب بهذا اللقب أثناء إقامته في إيران وفي خراسان على وجه التحديد عندما كان يدرس الفلسفة على يدي أستاذه محمد مهدي الأصفهاني . توفي بالنجف عام ١٢١٢ هـ ،من مصنفاته :الفوائد الرجالية ،والدرة النجفية، (انظر:أعيان الشيعة: محسن أمين، ١٠/١٥٨).

(٦) الفوائد الرجالية: السيد بحر العلوم ، تحقيق: محمد صادق بحر العلوم وحسين بحر العلوم، الناشر: مكتبة الصادق، الطبعة الأولى، طهران ٣/٣٠٠.

يكن للشيعة في حكمه خبر مخالف، ولا يعرف لهم فيه قول... وفي الصحاح الأربعة المعول عليها عند الشيعة الكثير من أخبارها تنتهي إلى غير الشيعة"[١].

ويقول الإمامي محمد بحر العلوم:" إن القائلين بهذا التقسيم –تقسم السنة إلى صحيح وضعيف– وإن صرحوا به إلا أن أكثرهم في كتب الاستدلال لا يخرجون عن كلام المتقدمين من العمل بالأخبار الضعيفة باصطلاحهم، ويتسترون عن مخالفة ذلك الاصطلاح بأعذار...، مما يقف عليه المتتبع لكلامهم إذ يجد أنهم لا يخرجون عن طريقة المتقدمين إلا نادراً"[٢].

المناقشة:

إن الروايات التي ترويها الاثنا عشرية ليس لها عند أهل السنة مقدار جناح بعوضة من الصحة إذ أهل السنة من المحدثين وغيرهم مجمعون أن الكذب والوضع في هذه الطائفة لا مثيل له على الإطلاق[٣] ،و من جهة أخرى اعتصام أهل السنة والجماعة بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ أغناهم عن ما سواهما من الأباطيل والخرافات التي تدعيها الاثنا عشرية.

ولقد كثر النقل عن العلماء بكذب هذه الطائفة وافترائها على الله ورسوله ﷺ وأئمة أل البيت.

فيقول عامر الشعبي[٤] رحمه الله:" ما كذب على أحد في هذه الأمة ما كذب على علي رضي الله عنه"[٥].

وقال ابن سلام[٦] رحمه الله: "عاشرت الناس وكلمت أهل الكلام وكذا، فما رأيت أوسخ وسخاً ولا أقذر قذراً ولا أضعف حجة ولا أحمق من الرافضة"[٧].

---

(١) أدوار علم الفقه وأطواره : علي بن محمد رضا بن هادي آل كاشف الغطاء ، مؤسسة آل كاشف الغطاء ، النجف، ص٢٠.

(٢) الاجتهاد أصوله وأحكامه: محمد بحر العلوم ، الطبعة الأولى ، الناشر: دار الزهراء للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٩٧هـ ، ص١٧٩-١٨٠.

(٣) انظر: منهاج السنة النبوية: ابن تيمية ، ٥٩/١.

(٤) عامر الشعبي:هو عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار، الشعبي الحميري، أبو عمرو: من التابعين، يضرب المثل بحفظه سئل عما بلغ إليه حفظه، فقال: ما كتبت سوداء في بيضاء، ولا حدثني رجل بحديث إلا حفظته. وهو من رجال الحديث الثقات. ولد عام ١٩هـ ونشأ ومات فجأة بالكوفة عام ١٠٣هـ. اتصل بعبد الملك بن مروان، فكان نديمه وسميره ورسوله إلى ملك الروم. (انظر: الأعلام ، للزركلي، ٢٥١/٣)

(٥) تذكرة الحفاظ : محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: زكريا عميرات ، الناشر: دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى، بيروت –لبنان ، ١٤١٩هـ -١٩٩٨م، ٦٥/١ .

(٦) ابن سلام:هو يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي بالولاء، من تيم ربيعة، البصري ثم الإفريقي: مفسر، فقيه، عالم بالحديث واللغة، أدرك نحو عشرين من " التابعين " وروى عنهم. ولد بالكوفة سنة ١٢٤هـ، وانتقل مع أبيه إلى البصرة، فنشأ بها ونسب إليها. ورحل إلى مصر، ومنها إلى إفريقية فاستوطنها.وحج في آخر عمره، فتوفي في عودته من الحج بمصر عام ٢٠٠هـ.(الاعلام للزركلي، ١٤٨/٨، بتصرف يسير).

(٧) السنة: لأبي بكر احمد بن محمد ابن هارون بن يزيد الخلال، تحقيق: عطية الزهراني، الناشر: دار الراية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م، ٤٩٩/٣.

وقال الإمام عبد الله بن المبارك:" الدين لأهل الحديث و الكذب للرافضة و الكلام للمعتزلة...، أما الرافضة فهم المعروفون بالبدعة عند الخاصة و العامة حتى أن أكثر العامة لا تعرف في مقابلة الشيء إلا الرافضي لظهور مناقضتهم لما جاء به الرسول عليه السلام عند الخاصة و العامة فهم عين على ما جاء به حتى الطوائف الذين ليس لهم من الخبرة بدين الرسول ما لغيرهم إذا قالت لهم الرافضة نحن مسلمون يقولون انتم جنس آخر "(١)

وقد سئل الإمام مالك عن الرافضة، فقال: لا تكلمهم ولا ترو عنهم فإنهم يكذبون(٢).

وكان الإمام الشافعي يقول:" لم أر أحداً أشهد بالزور من الرافضة"(٣).

وقال الإمام الأصبهاني(٤):" سمعت شريكاً(٥) يقول: أحمل العلم عن كل من لقيت إلا الرافضة فإنهم يضعون الحديث ويتخذونه ديناً "(٦).

ويقول الإمام ابن تيمية:" وليس في الطوائف المنتسبة إلى القبلة أعظم افتراءاً للكذب على الله، وتكذيباً بالحق، من المنتسبين إلى التشيع، ولهذا لا يوجد الغلو في طائفة أكثر مما يوجد فيهم... واتفق أهل العلم على أن الكذب ليس في طائفة من الطوائف المنتسبين إلى القبلة أكثر منه فيهم"(٧) .

ويقول جلال الدين السيوطي عن الأخذ برواية الرافضة:" والصواب أنه لا تقبل رواية الرّافضة وساب السلف... لأن سباب المسلم فسوق ، فالصحابة والسلف من باب أولى"(٨).

ومن تأمل كتب الجرح والتعديل المصنفة في سائر طوائف أهل القبلة وأحوالهم يجد أن الشيعة من أكثر الطوائف شهرة بالكذب على رسول الله وآل بيته، والمقصود هنا من ذكر أراء العلماء في الرافضة بيان أنهم كلهم متفقون على أن الكذب في الرافضة أظهر منه في سائر طوائف أهل القبلة(٩).

غير أنه ما يعنينا في مناقشة صحة تلك السنة، هو بيان مدى تناقض الاثنا عشرية في صحة ثاني أصل من أصولهم المعتمدة في إثبات عقائدهم، والذي بدوره يهدم ذلك الأصل بالكلية، وهذا ما نبينه في التالي:

---

(١) منهاج السنة النبوية: ابن تيمية، ٤١٣/٧

(٢) المصدر السابق: ٥٩/١.

(٣) المصدر السابق، نفسه، ٦٠/١.

(٤) الأصبهاني: محمد بن سعيد بن سليمان الكوفي المعروف بابن الأصبهاني، روى عن شريك وروى عنه البخاري، توفي سنة ٢٢٠، قال عنه النسائي ثقة. (انظر: هامش رقم ٥، منهاج السنة النبوية ، ابن تيمية، ٦٠/١).

(٥) شريك: هو شريك بن عبد الله القاضي ، قاضي الكوفة ، من أقران سفيان الثوري وأبي حنيفة، وهو من الشيعة الذي يقول بلسانه: أنا من الشيعة وهذه شهادته فيهم، (انظر: منهاج السنة النبوية: ٦٠/١).

(٦) منهاج السنة النبوية: ابن تيمية، ٦٠/١.

(٧) المصدر السابق: ٣٤/٢، ٦٦/١.

(٨) تدريب الراوي في شرح تقريب النووي: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف ، الناشر: مكتبة الرياض الحديثة، ٣٢٦/١.

(٩) انظر: منهاج السنة النبوية : ابن تيمية ،٦٦/١.

إنّ الناظر إلى أدلة الطرفين – الإخباريين والأصوليين- يقع في حيرة على من يعول عليه منهم، وهذه الحيرة تدل دلالة قاطعة على كذب هذه الطائفة وافترائها على الله ورسوله وأئمة آل البيت، فالإخباريون أخذوا بما نقل عن أصحاب تلك الكتب صحة كتبهم وأنَّ منهم من عرضها على غائبهم – الموهوم- فقال: هذا كاف لشيعتنا مثل كتاب الكافي، وكذلك كتابة تلك الكتب في فترة غيبة الإمام الصغرى ووجود سفراء الموهوم بين أظهر الناس –كما يزعمون- يؤكد على ما ذهبوا إليه من صحة تلك الكتب إذ لو كان فيها غير الصحيح لتدخل الإمام ليبينه لأتباعه، لأن وظيفة الأئمة- عندهم-عصمة الدين من وقوع الخلل فيه، ولأنَّ هذه الكتب سوف يكون عليها المعول في دين الإمامية في فترة غيبته الكبرى، فالقول بعدم صحة جميع ما جاء في تلك الكتب فيه قدح واتهام للأئمة بأنهم لم يكون مهتمين بالدين ومقصرين في حفظ سنتهم من الدخيل وعدم تدوينها، خاصة وأنهم كانوا في العصر الذهبي لتدوين السنة النبوية، فكيف يهتم أهل السنة بتدوين السنة النبوية ووضع ضوابط لتمييز الصحيح من غيره، وأئمة الشيعة يقفون ينظرون لأهل السنة ولا يحركون ساكناً ليعصموا أتباعهم من الانحراف والضلال.

ومن جهة أخر من ينظر إلى تلك الروايات ويرى تناقضها فيما بينها يميل إلى رأي الأصوليين إلى حد ما، فمثلاً نجد الشريف المرتضى من أوائل المنتقدين لتلك الروايات مع أنه كان قريب عهد بها حيث قال:" ودعنا من مصنفات أصحاب الحديث من أصحابنا، فما في أولئك محتج، ولا من يعرف الحجة، ولا كتبهم موضوعة للاحتجاجات"(١).

بل إنه يميل إلى رد كل تلك الروايات لعدم عدالة الرواة، فيقول:" أنه لا بد من كون المخبر عدلاً، وأن العدالة عندنا تقتضي أن يكون معتقداً للحق في الأصول والفروع وهو منتفي في هؤلاء الرواة...، فليت شعري أي رواية تخلص وتسلم من أن يكون في أصلها وفرعها واقف أو غال، أو قمي مشبه مجبر ، والاختبار بيننا وبينهم التفتيش، ثم لو سلم خبر أحدهم من هذه الأمور، ولم يكن راويه إلا مقلد بحت معتقد لمذهبه بغير حجة ودليل ومن كانت هذه صفته عند الشيعة جاهل بالله تعالى، لا يجوز أن يكون عدلاً ولا ممكن تقبل أخباره في الشريعة...، وكل من نشير إليه منهم إذا سألته عن سبب اعتقاده التوحيد والعدل أو النبوة أو الإمامة، أحالك على الروايات و تلى عليك الأحاديث، فلو عرف هذه المعارف بجهة صحيحة لما أحال في اعتقاده"(٢).

وفي موضع آخر يقول:"فإن معظم الفقه وجمهوره بل جميعه لا يخلو مستنده ممن يذهب مذهب الواقفة ... وإلى غلاة وخطابية ومخمسة وأصحاب حلول كفلان وفلان ومن لا يحصى كثرة، وإلى قمي مشبه مجبر، وإن القمّيّين كلهم من غير استثناء لأحد منهم إلا أبا جعفر بن بابويه رحمة الله عليه بالأمس

---

(١) رسائل المرتضى: الشريف المرتضى، تحقيق مهدي رجائي و السيد أحمد الحسيني ، الناشر: دار القرآن الكريم ، ١٤٠٥هـ، ١ /٢٦-٢٧.

(٢) المصدر السابق: ٣/٣١٠.

كانوا مشبهة مجبرة وكتبهم، وتصانيفهم تشهد بذلك وتنطق به، فليت شعري أي رواية تخلص وتسلم من أن يكون في أصلها وفرعها واقف أو غال أو قمي مشبه مجبر"[١].

وهذا شيخهم جعفر النجفي يقول عن مؤلفي الكتب الأربعة:" والمحمدون الثلاثة كيف يعوّل في تحصيل العلم عليهم، وبعضهم يكذب رواية بعض.. ورواياتهم بعضها يضاد بعضاً.. ثم إن كتبهم قد اشتملت على أخبار يقطع بكذبها كأخبار التجسيم والتشبيه وقدم العالم، وثبوت المكان، والزمان"[٢].

وهذه بالفعل حقيقة رواياتهم، فمن جهة المتن متضادة مع بعضها البعض، ورأينا في الأمثلة على تأويل الاثنا عشرية لصفات الله مدى التناقض بين تلك الروايات بحيث تجد الرواية وما يخالفها تماماً، أما من جهة السند وأحوال الرواة، فمن يدخل في الحكم على رواة الأسانيد فلا يكاد يخرج سالماً ولو بسلامة راو واحد لم يتكلم فيه بالخدش، ولنا مزيد من الحديث عن أحوال الرواة في الصفحات القادمة من هذا البحث، وهذا ما قرره عالمهم الكاشاني بقوله:" الجرح والتعديل وشرائطهما اختلافات، وتناقضات، واشتبهات لا تكاد ترتفع بما يطمئن إليه النفوس كما لا يخفى على الخبير بها"[٣]

بل إن شيخهم الطوسي ذكر أن كثير من أصحاب مصناتهم وأصحاب الأصول عندهم كانوا ينتحلون المذاهب الفاسدة[٤].

ولقد وجد من علماء الاثنا عشرية من يقر بأن جميع رواة العقائد والتاريخ من الإمامية مجهولين! ، فيقول محمد الصدر:" إنه من المؤسف القول إنَّ أعلامنا الأوائل ، إذ ألفوا في علم الرجال وصنفوا في تراجم الرواة اقتصروا في ذلك – في كتبهم – على الرجال الرواة للأحاديث الفقهية التشريعية التي تتعرض للأحكام الشرعية ، و أولوها العناية الخاصة بصفتها محل الحاجة بالنسبة إلى إطاعة الأوامر الإسلامية ، ولكنهم أهملوا إهمالاً يكاد يكون تامًا ذكر حال الرجال الذين وجدت لهم روايات في حقول أخرى من المعارف الإسلامية كالعقائد والتاريخ والملاحم...وغيرها ممن قد يربوا عددهم على رواة الروايات الفقهية، فإن صادف – من حسن حظ الرواي – أنه روى في التاريخ والفقه معًا ، وجدنا له ذكر في كتبهم، أمَّا إذا لم يرو شيئًا في الفقه فإنه يكون مجهولا"[٥].

ومن جهة ثالثة من تكلم في صحة تلك الكتب، وأن فيها الصحيح والحسن والضعيف لم نرى له أي جهود حقيقية تثمر بكتاب شامل جامع لمظان الحديث الصحيح كما هو عند أهل السنة، فمنذ نشأة الشيعة إلى اليوم وربما إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها لن نجد كتاب يحوي صحيح المنقول من أخبار الرسول وآله.

---

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) كشف الغطا: جعفر النجفي، ص ٤٠، نقلاً عن كتاب أصول مذهب الشيعة الاثنا عشرية: د. ناصر القفاري، ٣٦٨/٢.

(٣) الوافي: الفيض الكاشاني، ١/١١-١٢، المقدمة الثانية.

(٤) الفهرست: أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي ، تحقيق: جواد القيومي، الناشر: مؤسسة نشر الفقاهة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، ص٣٢

(٥) تاريخ الغيبة الصغرى: محمد الصدر، دار المعارف للمطبوعات ، بيروت ، ١٤١٢هـ ، ص٤٤-٤٥.

بل نراهم يستشهدون بتلك الروايات الضعيفة في أهم المسائل العقائدية التي لا يبنى عليها عقائد بالروايات الضعيفة، وهذا ما قرره عالمهم الشيعي محمد بحر العلوم بقوله:" إنَّ القائلين بهذا التقسيم –أي بتقسيم رواياتهم إلى صحيح وضعيف– وإن صرحوا به إلا أن أكثرهم في كتب الاستدلال لا يخرجون عن كلام المتقدمين من العمل بالأخبار الضعيفة باصطلاحهم، ويتسترون عن مخالفة ذلك الاصطلاح بأعذار منها قبول مراسيل ابن أبي عمير ، وتصحيح الحديث المشتمل على بعض مشايخ الإجازة ، وإن لم ينص عليه توثيق، ومنها كون الرجل الذي به ضعف الحديث من أصحاب الأصول، ومنها كون الحديث مجبورًا بالشهرة، ومنها كونه متفقًا على العمل بمضمونه، وأمثال ذلك مما يقف عليه المتتبع لكلامهم إذ يجد أنهم لا يخرجون عن طريقة المتقدمين إلا نادرًا"(١).

وبناءاً على ما سبق فإنه يلزم الشيعة –إخباريين وأصوليين– أمران أحلاهما مر:

فإن قالوا بأن كل ما روي عن أئمتهم في الكتب الأربعة صحيح وأن الأئمة كانوا على علم بها وارتضوها لزمهم قبول كل روايات الكتب الأربعة، وعندئذ لا يثبت شيء من دينهم وخاصة في مسألة صفات الله تعالى، لأنه ما من رواية إلا ولها ما يناقضها في هذه الكتب.

وإن قالوا بأن رواياتهم ليس كلها صحيح وأن فيها الصحيح والحسن والضعيف لزمهم القدح في أئمتهم وخاصة غائبهم الموهوم لأن روايات هذه الكتب صنفت في عهد الأئمة و إمامهم الغائب المعصوم لا زال موجود بين أظهرهم، فكيف يسوغ عقلاً أن يكون من بعثهم الله أئمة ليعصموا الناس من الإنحراف–بزعمهم– أن يغفلوا عن بيان حال هذه الكتب أو على الأقل أن لا يجمعوا كتاب كامل يبينوا فيه ما يحتاجه أتباعهم من العلوم، وهم يزعمون أن الأئمة عندهم علم كل شيء، لذلك من يصر من الشيعة على الحكم على هذه الروايات فإنما يصر على تخطئة أئمتهم وبذلك تثبت عدم عصمتهم، وهذا ينسف عقيدتهم في الإمامة، وعندها لا يصبح لرواياتهم أي قيمة أو اعتبار لأنها من أقوال الرجال.

وهذا ما قرره شيخهم يوسف البحراني حيث قال:" والواجب إما الأخذ بهذه الأخبار، كما هو عليه متقدمو علمائنا الأبرار، أو تحصيل دين غير هذا الدين، وشريعة أخرى غير هذه الشريعة لنقصانها وعدم تمامها، لعدم الدليل على جملة من أحكامها، ولا أراهم يلتزمون شيئاً من الأمرين، مع أنه لا ثالث لهما في البين، وهذا بحمد الله ظاهر لكل ناظر"(٢).

وعلى كل حال فإن خلاصة القول في صحة روايات الاثنا عشرية لخصها لنا الإمام ابن تيمية بكلمات بين فيها تهافتها فقال رحمه الله:" ليس للشيعة أسانيد متصلة برجال معروفين مثل أسانيد أهل السنة حتى ينظر في الإسناد، وعدالة الرجال، بل إنما هي منقولات منقطعة عن طائفة عرف فيها كثرة الكذب، وكثرة التناقضات في النقل فهل يثق عاقل بذلك، وإن ادعوا، مثل هذا التواتر"(٣).

---

(١) الاجتهاد أصوله وأحكامه: محمد باقر الصدر، ص١٧٩-١٨٠.

(٢) لؤلؤة البحرين: يوسف البحريني، ص٤٥.

(٣) منهاج السنة: ابن تيمية، ٤/١٨-١٩.

• **أسباب عدم وجود كتاب جامع لصحيح المنقول عن أخبار الرسول وآله عند الاثنا عشرية:**

بالرغم مما ذهب إليه الأصوليون من الحكم على مروياتهم إلا أنَّ جهودهم إلى الآن لم تثمر بكتاب يحتوي على صحيح المنقول من رواياتهم، وذلك للأسباب التالية:-

١. عدم عدالة أغلب رواة الاثنا عشرية.

إن من أهم الأسباب التي تدفع الاثنا عشرية عدم الخوض الحقيقي في غمار تصحيح كتب الرواية المعتمدة لديهم، كثرة الرواة الكذابين على آل البيت، وهذا بشهادة تلك الروايات على نفسها من خلال أقوال الأئمة وخصوصاً ما روي عن جعفر الصادق، وقد ذكرنا ذلك في أسباب تفرقهم، ومن يقرأ تراجم رجالهم يرى أنه لا يكاد يسلم حديث من أحاديثهم إلا وفيه راو من رواتهم متهم في عدالته، هذا إن لم يكن يلعنه ويخرجه من الإسلام، فيقول شيخهم الفيض الكشاني في الجرح وتعديل عندهم:" الجرح والتعديل وشرائطهما اختلافات، وتناقضات، واشتباهات لا تكاد ترتفع بما يطمئن إليه النفوس كما لا يخفى على الخبير بها"(١).

هذا عن أحوال رواتهم بشكل عام أما إذا ما تم التدقيق في كتب الرجال والبحث عن كل راو على حدة فإننا نخلص بأن أغلب رجالهم ما بين كافر لا يؤمن بالله ولا بالأنبياء ولا بالبعث والمعاد، ومنهم من كان من النصارى ويعلن بذلك جهاراً وَيتَزيّن بزيّهم، ولم يدع صحبتهم، ومنهم من أعلن جعفر الصادق كذبهم ونص على ذلك باعتراف كتب الشيعة، وقال: يروون عنا الأكاذيب ويفترون علينا أهل البيت (٢).

بل نجد من رواتهم الموثقين من دأب على تعاطي الخمر: كمحمد بن أبي عباد وأبي حمزة الثمالي ثابت بن دينار ، وعبد الله بن أبي يعفور، وأبي هريرة البزاز، والحميري الملقب بـ " بشاعر أهل البيت" ومنهم من لا يجيد الصلاة، وقد بلغ من العمر ستين سنة كحماد بن عيسى، ومنهم من سرق أموال المعصوم وخمس الشيعة إضافة إلى أنه كان من الواقفة كعلي بن أبي حمزة البطائني"(٣)

ولنأخذ مثالين على المكثرين في رواية الحديث عند الاثنا عشرية وأوثق رواتهم:

المثال الأول: وهو لجابر بن يزيد الجعفي، قال عنه الحر العاملي:" روى سبعين ألف حديث عن الباقر -عليه السلام- وروى مائة وأربعين ألف عن غيره ، والظاهر أنه ما روى أحد عن الأئمة أكثر مما روى جابر" (٤).

جاء في رجال الكشي:"عن زرارة بن أعين قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن أحاديث جابر؟،فقال: ما رأيته عند أبي إلا مرة واحدة، وما دخل علي قط"(٥)!! ، هذا أوثق رواة الشيعة زيارة

---

(١) الوافي: الفيض الكشاني، ١/١١-١٢ ، المقدمة الثانية.

(٢) أصول مذهب الشيعة الاثنا عشرية: د. ناصر القفاري، ١/ ٣٧٢.

(٣) مصادر التلقي وأصول الاستدلال عند الشيعة الإمامية : إيمان العلواني ، ص٣٤٩، وانظر: معجم رجال الحديث : الخوئي ، ١٥/٢٧٨-١١/١٠٤، ورجال النجاشي :النجاشي ، ص١٤٢،١٣٤

(٤) وسائل الشيعة : الحر العاملي ، ٢٠/١٥١.

(٥) اختيار معرفة الرجال، المعروف برجال الكشي: الشيخ الطوسي ، حديث رقم: ٣٣٥، ٢/٤٣٦.

واحدة فقط للإمام الباقر روى عنه سبعون ألف حديث، مع العلم بأن جابر هذا من الكوفة والباقر من المدينة!.

المثال الثاني: وهو لزرارة بن أعين وهو من أعيان رواة القوم وأوثقهم(١)، حيث بلغت رواياته نحو ألفاً ومائتين وستة وثلاثين مورداً كما ذكر ذلك الخوئي (٢).

روي عن جعفر الصادق أنه قال فيه:" لعن الله زرارة، لعن الله زرارة ثلاث مرات "(٣)، وفي رواية أخرى قال:" لا يموت زرارة إلا تائهاً عليه لعنة الله"(٤).

مع العلم بأن زرارة هذا من أسرة نصرانية، كان جده راهباً في بلاد الروم ، وأبوه عبداً رومياً لرجل من نبي شيبان كما ذكر ذلك شيخهم الطوسي في الفهرست(٥).

٢. تأخر ظهور علم الجرح والتعديل عندهم واضطرابهم فيه.

لم تظهر كتب الروايات المعتمدة عند الاثنا عشرية منذ أن ألفت في القرن الرابع هجري بل ظلت سرية التداول بسبب ظروف التقية كما يروي الكليني عن مشايخه حيث قال: "إن مشايخنا رووا عن أبي جعفر وأبي عبد الله – عليهما السلام – وكانت التقية شديدة فكتموا كتبهم ولم ترو عنهم، فلما ماتوا صارت الكتب إلينا. قال أحد أئمتهم: حدّثوا بها فإنها حق"(٦) ، فكانت أول الإشارات على وجود كتب روايات للإثنى عشرية كما يقول الدكتور ناصر القفاري قد جاءت عن طريق مخدوم الشيرازي حيث ذكر في كتاب النواقض في الرد على الروافض أن الرافضة تنكر كتب الأحاديث الصحاح وتؤمن بمقابلها بأربعة كتب جمع فيها كثير من الأكاذيب(٧)، لذلك لم يكن هناك حاجة لعلم الجرح والتعديل لعدم وجود من ينتقد تلك الروايات، فلما بدأت هذه الروايات بالظهور،حمل أهل السنة عليهم وطالبوهم بإثبات صحتها، فهذا شيخ الإسلام ابن تيمية يرد على ابن المطهر الحلي في صحة ما استدل به من روايات قائلاً: "من أين لكم أن الذين نقلوا هذه الأحاديث في الزمان القديم ثقات، وأنتم لم تدركوها، ولم تعلموا أحوالهم ولا لكم كتب مصنفة تعتمدون عليها في أخبارهم التي يميز بها بين الثقة وغيره، ولا لكم أسانيد تعرفون رجالها"(٨) ،أمام هذا الموقف بدأ الاثنا عشرية بالدخول في غمار علم الجرح والتعديل ولكن بعد فوات الأوان، فالفجوة الكبيرة بين عصر هذه الروايات وبين من كتب في الجرح والتعديل، إذ أن علم الجرح

---

(١) انظر:رجال الطوسي: الطوسي ، ص٢٠١، وسائل الشيعة: الحر العاملي، ١٩٦/٢٠، جامع الرواة: الأردبيلي، ٣٢٤/١.

(٢) معجم رجال الحديث: الخوئي ، ٢٤٧/٧.

(٣) اختيار معرفة الرجال ، المعروف برجال الكشي، الطوسي، حديث رقم: ٢٤٢، ٣٦٥/١

(٤) المصدر السابق ، حديث رقم: ٢٤٠، ٣٦٥/١.

(٥) الفهرست : الطوسي ، ص١٠٤.

(٦) أصول الكافي: الكليني، كتاب فضل العلم، باب رواية الكتب والحديث، حديث رقم: ١٥، ٥٣/١.قال المجلسي الحديث مجهول (مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول: المجلسي، ١٨٢/١).

(٧) أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية:د. منذر القفاري ، ٣٦٧/١.

(٨) منهاج السنة النبوية: ابن تيمية، ٤١٢/٧.

والتعديل قائم على معرفة أحوال الرواة فكيف يعرف أحوال الألوف من الرواة بعد عدة قرون، لذلك كان دخولهم في هذا الغمار لذر الرماد في العيون لا لتصحيح تلك الروايات.

وعلى كل حال فتقسيم الروايات إلى صحيح وضعيف حدث في القرن السابع أو الثامن هجري بعد تشنيع أهل السنه عليهم بأن رواياتهم لا أسانيد لها[١] ، كما صرح بذلك الحر العاملي حيث قال:"والفائدة في ذكره - أي السند -مجرد التبرك باتصال سلسلة المخاطبة اللسانية ، ودفع تعيير العامة للشيعة بأنَّ أحاديثهم غير معنعنة "[٢] ، وفي موضع أخر يقول منتقداً الاصطلاح الذي وضعه الأصوليون لتمييز الصحيح من غيره:" والاصطلاح الجديد موافق لاعتقاد العامة، واصطلاحهم ، بل هو مأخوذ من كتبهم كما هو ظاهر بالتتبع، وقد أمرنا الأئمة عليهم السلام باجتناب طريقة العامة"[٣].

مع ذلك كله فإنهم إلى الآن مضطربين في الحكم على مروياتهم بحيث لا تجد لديهم إجماع على مجموعة من روايات ترى الاثنا عشرية أنها صحيحة، ولقد ذهب المتأخرون منهم إلى وضع ضابط للحديث الصحيح فتعارفوا عليه بأنه ما اتصل سنده إلى المعصوم بنقل العدل الإمامي عن مثله في جميع الطبقات حيث تكون متعددة[٤]، غير أن هذا الضابط غير متحقق في رواياتهم، لأن أكثر رواتهم ينتحلون مذاهب فاسدة، فمهنم الفطحي[٥]، والواقفي[٦]، والناوسي[٧]، والإسماعيلي[٨]...إلى غير ذلك من هذه الطوائف التي تنكر بعض أئمة الاثنا عشرية، والتي صدرت بحقهم فتاوى التكفير واللعن من الأئمة، فقد نسب إلى الإمام على الرضا قوله:" إنهم كفار مشركون، زنادقة"[٩] ونسبوا له كذلك قوله: " يعيشون حيارى، ويموتون زنادقة"[١٠] إلى غير ذلك من الروايات التي تسقط هذا الضابط، يضاف إلى ذلك ما قاله الحر

---

(١) مصادر التلقي وأصول الاستدلال عند الشيعة الإمامية الاثنا عشرية : إيمان العلواني ، ص٣٥٠.

(٢) وسائل الشيعة : الحر العاملي ، ٢٨١/١.

(٣) المصدر السابق.

(٤) أضواء على الصحيحين : محمد صادق النجمة ، ص١٨٤.

(٥) الفطحية: وهم أتباع عبد الله بن جعفر بن محمد الصادق ؛ سموا بالفطحية؛ لأن عبد الله بن جعفر كان أفطح الرأس ، ولكن عبد الله بن جعفر لم يعش بعد وفاة أبيه سوى سبعين يوماً فرجعوا عن القول بإمامته،(انظر: مقالات الإسلاميين: أبو الحسن الأشعري، ٢٨/١).

(٦) الواقفية: وهم الذين يسوقون الإمامة وينتهون بها إلى جعفر بن محمد ، وهم يزعمون أن جعفر بن محمد نص على إمامة ابنه موسى بن جعفر وأن موسى بن جعفر حي لم يمت ولا يموت حتى يملك الأرض كلها ، وسموا بالواقفية لأنهم وقفوا على موسى بن جعفر ولم يجاوزوه (مقالات الإسلامين واختلاف المصلين: أبو الحسن الأشعري ، ٢٨/١).

(٧) الناوسية: هم أتباع رجل من أهل البصرة يقال له ناوس وقيل نسة إلى قرية ناووسا. وهم يسوقون الإمامة في أولاد علي إلى جعفر بن محمد الصادق ويزعمون أنه لم يمت وأنه المهدي المنتظر وجماعة من البأية يوافقونهم في هذا القول ويزعمون أنه كان يعلم كلما يحتاج إلى علمه من دين أو دنيا ، (انظر: التبصير في الدين : الاسفربيني، ص٣٧).

(٨) تقدم التعريف به انظر: ص ٣١ من هذا البحث.

(٩) اختيار معرفة الرجال: الطوسي، ٧٥٦/٢.

(١٠) المصدر السابق ، ٧٥٦/٢ ، و بحار الأنوار: المجلسي، ٢٦٧/٤٨.

العاملي من سقوط جميع رواياتهم بسبب هذا الضابط وضعفها[1]، حتى أن واضعي هذا الاصطلاح اضطروا إلى التعامل مع هذه الروايات دون أن يكون لذلك الضابط أي وزن، وخاصة في مسألة الصفات، فهذه كتب العقائد منتشرة ومنتشر فيها تلك الروايات دون أن نرى أي توثيق لصحة هذه الروايات، مما يؤكد أن ما ذهب إليه الأصوليون من الجرح والتعديل هو بمثابة حبر على الورق ليس له في الواقع أي شيء ملموس.

يقول الدكتور ناصر القفاري:" إن الدافع من هذه الدراسة الحديثية- عندهم ليس هو الوصول إلى صحة الحديث بقدر ما هو توقي نقد المذهب من قبل الخصوم، والدفاع عنه"[2].

٣. لكي لا يكون حجة عليهم عند خصومهم.

وهو من أهم الأسباب لدى الشيعة الاثنا عشرية، حيث أنه بعد أن فشت هذه الكتب ووصلت إلى أيدي أهل السنة، فالإخباريين راموا التخلص من التناقضات بين هذه الروايات بإرجاع ذلك إلى ظروف التقية التي كانت سائدة في عصر الأئمة[3] ، أما الأصوليين فقسموا تلك الروايات إلى صحيح وضعيف على الورق، ومن ثم إذا احتج عليهم أحد من خلال رواياتهم رموه عن قوس واحد بأنه من قال بأن هذه الروايات صحيحة ومما يعتد عندنا ؟.

فيقول الشيخ الشيعي محمد النجمة عن أوجه الاختلاف بين كتب السنة وكتب الاثنا عشرية بأن :" هناك فرق كبير واختلاف شاسع بين نظرة علماء الشيعة وأهل السنة إلى كتب الحديث ومحتوياتها ، إن أغلب علماء أهل السنة يعتقدون بأن كل ما ورد في صحيح البخاري فهو صحيح، إنهم يقولون : لو أن أحداً حلف يمينا بأن كل ما في الصحيحين صحيح ومطابق للواقع وهو قول رسول الله لكان يمينه صحيحاً ولا عليه الحنث. أما علماء الشيعة فإنهم على عكس ذلك تماماً لا يعتقدون في كتبهم الحديثية مثل عقيدة أهل السنة، فإنهم يرون أن أحاديث الكتب الأربعة تقبل البحث والنقد متناً وسندا، وأن بعض الأحاديث وهو محدود عندهم – صحيح ومقبول ، وباقي الروايات فهو إما موثوق أو حسن أو ضعيف، هذه هي نظرة الشيعة إلى أحاديثهم ومحتويات كتبهم ومصادرهم ، فعلى هذا فإن تخريج حديث ما في كتاب للشيعة ليس معياراً وملاكاً للقبول عندهم ، بحيث إذا كان الحديث غير صحيح يرد نفس الأشكال على علماء الشيعة ومحدثيهم وكتبهم ، كما ورد على أهل السنة وعلمائهم وكتبهم"[4].

فعلى كلام النجمة السابق تكون كتب الرواية عند الاثنا عشرية غير موضوعة للاحتجاج ولا يصح الاحتجاج بها، بحيث لو أراد أن يستدل الخصم على ما يعتقدون صحته من مرويات وتلا عليهم تلك الروايات وأقوال علمائهم في تصحيحها، فإننا وبكل بساط سنجد الرد والجواب حاضر فيقولون بأن تخريج

---

(١) انظر: وسائل الشيعة: الحر العاملي،٣٠/ ٢٤٩-٢٧٦.

(٢) مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة: د. ناصر القفاري، ٢٨١/١.

(٣) انظر: الحدائق الناضرة: البحراني، المقدمة الأولى، ٤٧/١-٤٨، ومصادر التلقي وأصول الاستدلال العقدية عند الإمامية الاثنا عشرية، إيمان بنت صالح العلواني، ٣٠٣

(٤) أضواء على الصحيحين: محمد صادق النجمة ، ص١٨٤.

هذا العالم للحديث ليس ملزم لنا لقبول هذه الرواية وصحتها، وبذلك يفر من إلزامات خصمه لـه ، وهـذا الكلام أكد عليه الشريف المرتضى بقوله: إن كتب الأصحاب ليست موضوعة للاحتجاج بها ولا في أصحابها من يعرف الحجة(١) ، فلماذا إذاً وضعت تلك الكتب ؟!، ولئن سألتهم أين نجد روايات الاحتجاج عندكم، قالوا بأن العلماء عاكفون على إيجادها فمتى ينتهون من ذلك ؟!!! الله أعلم، ويعد هذا السبب مما اقتبسه هؤلاء الرافضة من أسلافهم اليهود الذين قال الله تعالى فيهم:﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة:٧٦].

ولقد كانت هناك محاولات من بعض علماء الشيعة المعاصرين لتأليف كتاب سماه صحيح الكافي للمؤلف محمد باقر البهبودي، وذلك بعد أن درس روايات كتاب الكافي، حيث بلغ عدد الأحاديث الصحيحة التي توصل إليها ٣٣٢٨حديث من أصل ١٦١٢١حديث والتي هي إجمالي أحاديث الكافي، أي أن هناك ١١٦٩٣حديث ضعيف(٢)، فجوبه بانتقاد علماء الشيعة والحوزات العلمية التابعة لهم(٣)، فيقول أحد علماء الشيعة المعاصرين عن اعتراض الشيعة على هذا العالم :" وقد ألف أحد العلماء المعاصرين كتابا سماه صحيح الكافي ، يحوي منتخب الروايات التي يراها صحيحة فاعترض عليه سائر العلماء؛ لأن هذا صحيح في نظرك أنت وليس صحيحاً في نظر المجتهدين وقد يختلفون معك في الرأي، فليس هناك ما هو مقطوع أو مسلم به في كتب التراث إلا بعد الدراسة والبحث والاجتهاد، وهذا ما يسهل على الشيعة مهمة المراجعة ومهمة إعادة النظر في بعض الروايات سواء في صحة سندها وثبوت ورودها، أو في فهمهم لها"(٤).

ويقول عبد الرسول الغفار مثنياً على كتاب الكافي ومنتقد ما قام به البهبودي من محاولة للحكم على رواياته:" وخلاصة تلك الفصول تبين أن للشيخ الكليني رحمة الله عليه ورضوانه ، مسلكاً خاصاً قد انفرد به وهو يؤلف كتابه الكافي ، وأن لمسلكه ذلك خصوصيات متعددة كما أنه يختلف عن مذاق المتأخرين ومسلكهم فلا يمكن بأي وجه من الوجوه أن نخضع أحاديث وروايات الكافي في الأصول والفروع إلى مقاييس المتأخرين كالحلي والشيخ المجلسي ومن اقتفى منهجهم ، بل أن البعض منهم قد أساء إلى الفكر الإمامي ، وإلى تراث أهل البيت كالبهبودي محمد باقر الذي اختزل كتاب الشيخ من غير أن يستند في علمه ذلك على منهج علمي صحيح أو مبنى واضح سليم حتى يعذر فيما صنفه في كتابه صحيح الكافي، الذي يعد من أحد مساوئه التي لا تغتفر، وسبيله إنما ينطوي تحت شعار خالف تعرف"(٥).

وفي كتابه الكليني والكافي حمل عبد الرسول الغفار على مؤلف صحيح الكافي وأخذ يتلوا الروايات التي تبين خطأه الفادح فيقول:" فهذا محمد باقر البهبودي قد صير الكافي في ثلاث أجزاء

---

(١) انظر: رسائل الشريف المرتضى: الشريف المرتضى، ٢٦/١-٢٧.

(٢) معالم المدرستين: مرتضى العسكري، ص٢٨٢.

(٣) انظر: هامش معالم المدرستين: مرتضى العسكري، ص٢٨٢.

(٤) أحاديث في الدين والثقافة الاجتماع: حسن الصفار، تقديم د. عبد الهادي الفضلي ، ص٢١٠.

(٥) شبه الغلو عند الشيعة: د. عبد الرسول الغفار ، الناشر: دار المحجة البيضاء، ص ٢٦٧.

صغيرة وسماه بـ " صحيح الكافي "، ثم أعاد طبعه تحت عنوان " زبدة الكافي " ظنا منه أنه يحسن صنعا، وما يدري أن ذلك إساءة كبيرة إلى التراث الشيعي، بل إساءة إلى أهل البيت عليهم السلام: عن محمد بن الحسين، عن محمد بن إسماعيل، عن حمزة بن بزيع، عن علي السائي، عن أبي الحسن عليه السلام أنه كتب إليه في رسالة: " ولا تقل لما بلغك عنا أو نسب إلينا هذا باطل وإن كنت تعرف خلافه، فإنك لا تدري لم قلنا، وعلى أي وجه وصفة " [١] ،وعن أبي عبيدة الحذاء عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: " أما والله إن أحب أصحابي إليَّ أورعهم وأفقههم وأكتمهم لحديثنا، وإن أسوأهم عندي حالا وامقتهم إليَّ الذي إذا سمع الحديث ينسب إلينا ويروى عنا فلم يعقله ولم يقبله قلبه، اشمأز منه وجحده، وكفر بمن دان به، وهو لا يدري لعل الحديث من عندنا خرج، و إلينا اسند، فيكون بذلك خارجا من ولايتنا[٢]...،وهناك عشرات الأحاديث الواردة في هذا المعنى، وقد أحصى منها الشيخ العلامة المجلسي أكثر من مائة حديث، فراجع. فما أكثرها الأحاديث التي لا تدركها عقولنا، أو لا يمكن أن نظفر لها على وجه للجمع بينها وبين غيرها من الروايات، فهل يعني ذلك أن نردها أو ننفيها ؟ !"[٣]

ولكل ما سبق فلن تجد عند الاثنا عشرية كتاب يحتوي على صحيح المنقول، وبذلك تكون السنة التي هي المصدر الثاني من مصادر الاستدلال على عقائدهم غير معلوم صحتها من جميع الوجوه فلا تصح للاحتجاج بها في مسائل الفروع فضلاً عن الاستدلال بها في مسائل الاعتقاد.

---

(١) انظر: بحار الأنوار: المجلسي ، ٢/١٨٦.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الكليني والكافي: عبد الرسول الغفاري، الطبعة الأولى، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي، التابعة لجماعة المدرسين بقم ، ١٤١٦هـ، ص٤٣٣-٤٣٤.

المبحث الثاني

موقف الشيعة من السنة عند أهل السنة والجماعة.

تمهيد:

تنوعت طرق الشيعة في رد السنة النبوية والتشكيك بها عبر القرون، ففي زمن شيخ الشيعة المفيد وتلامذته كانت إحدى الطرق المتبعة لديهم في رد السنة النبوية، رد خبر الآحاد بدعوى أنه لا يفيد العلم الضروري وأنه ليس بحجة في الشريعة[١]، فهذا الشريف المرتضى تلميذ شيخهم المفيد يبين لنا جهود علماء الشيعة في رد خبر الآحاد قائلاً:" إنا نعلم علماً ضرورياً لا يدخل في مثله ريب ولا شك أن علماء الشيعة الإمامية يذهبون إلى أن أخبار الآحاد لا يجوز العمل بها في الشريعة ولا التعويل عليها، وأنها ليست بحجة ولا دلالة. وقد ملؤا الطوامير[٢] وسطروا الأساطير في الاحتجاج على ذلك، والنقض على مخالفيهم. ومنهم من يزيد على هذه الجملة ويذهب إلى أنه مستحيل من طريق العقول أن يتعبد الله تعالى بالعمل بأخبار الآحاد"[٣].

في القرن العاشر ميلادي ظهر من الرافضة من يدعوا إلى رفض الاحتجاج بالسنة النبوية بدعوى أن الحجة في القرآن فقط، فتصدى لهذه الدعوى الإمام السيوطي فألف كتابه "مفتاح الجنة بالاحتجاج بالسنة" رداً عليه، قال في مقدمته:" اعلموا يرحمكم الله أن من العلم كهيئة الدواء ومن الآراء كهيئة الخلاء لا تذكر إلا عند داعية الضرورة، وأن مما فاح ريحه في هذا الزمان وكان دراسا بحمد الله تعالى منذ أزمان، وهو أن قائلا رافضيا زنديقا أكثر في كلامه أن السنة النبوية والأحاديث المروية زادها الله علوا وشرفا لا يحتج بها، وأن الحجة في القرآن خاصة، وأورد على ذلك حديث ما جاءكم عني من حديث فاعرضوه على القرآن فإن وجدتم له أصلا فخذوا به وإلا فردوه، وهكذا سمعت هذا الكلام بجملته منه وسمعه منه خلائق غيري، فمنهم من لا يلقى لذلك بالا، ومنهم من لا يعرف أصل هذا الكلام ولا من أين جاء، فأردت أن أوضح للناس أصل ذلك، وأبين بطلانه وأنه من أعظم المهالك"[٤].

أما في عصرنا الحاضر فقد أضاف الشيعة المعاصرون لهذه للطرق طريقة أخرى لرد السنة النبوية، فقد ذهب عدد من علمائهم إلى دراسة كتب السنة النبوية المطهرة وتأليف مؤلفات خاصة بها، لا للوصول إلى الحق ولكن لإيراد الشبهات حول عدالة رواة الحديث من الصحابة وغيرهم من الرواة، أو حول ما تحتويه من علوم أو للتنقيب فيها لعلهم يستندوا بها على صحة معتقداتهم.

وبالعموم وإن تنوعت طرق الاثنا عشرية في رد السنة النبوية، فإن الاثنا عشرية لا تقيم وزناً لمرويات الصحابة ولا تعترف بها.

---

(١) انظر: أوائل المقالات في العقائد والمختارات: المفيد، ص١٣٩، انظر: الصلة بين التشيع والاعتزال: محمد الجدعاني، ٨٤/٢.

(٢) الطوامير مفردها الطامور والطومار وهو الصحيفة.(انظر: المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى وأخرون، ٥٦٥/٢).

(٣) رسائل المرتضى : الشريف المرتضى ،٢٤/١.

(٤) مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة : جلال الدين السيوطي ، ص٢.

إذ يقول شيخ الشيعة المعاصر محمّد آل كاشف الغطاء بأن الشيعة:" لا يعتبرون من السنة إلا ما صحّ لهم من طرق أهل البيت عليهم السلام عن جدهم ﷺ، يعني:ما رواه الصادق عن أبيه الباقر عن أبيه زين العابدين عن الحسين السبط عن أبيه أمير المؤمنين عن رسول الله سلام الله عليهم جميعاً". ويضيف الغطاء قائلاً:"أمّا ما يرويه مثل: أبي هريرة، وسمرة بن جندب، ومروان بن الحكم، وعمران بن حطان الخارجي وعمرو بن العاص ونظائرهم فليس لهم عند الإمامية من الاعتبار مقدار بعوضة وأمرهم أشهر من أن يذكر، كيف وقد صرّح كثير من علماء السنة بمطاعنهم، ودل على جائفة جروحهم"(١).

ويذكر الشيعي صالح الورداني بأن الشيعة:" لا تأخذ برواية أي صحابي، لأن لها رؤيتها في الصحبة تختلف عن رؤية السنة، فليس كل صحابي عند السنة هو صحابي عند الشيعة، بالإضافة إلى أن فكرة عدالة جميع الصحابة فكرة مرفوضة وغير معترف بها"(٢)

ويضيف قائلاً:" من هنا فإن الشيعة لا تأخذ بروايات صحابة معترف بهم من قبل السنة مثل معاوية وابن عمر وأبي هريرة، وابن العاص، والمغيرة بن شعبة، وأبي بكر، وعمر، وعثمان، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، وخالد بن الوليد، وأنس بن مالك، والأشعث بن قيس، وطلحة بن عبيد الله، و عبد الله بن عمرو، ومن النساء عائشة وحفصة وغيرهما"(٣).

ويقول عبد الهادي الفضلي(٤):" إن تعميم الحكم وهو اعتبار قول الصحابي سنة كسنة النبي ﷺ إلى جميع أفراد الصحابة مما لا يجوز نسبته إلى رسول الله ، ولا يصح القول به ، وذلك أن الواقع الذي أبان عنه القرآن الكريم ينفي صحة نسبة العدالة لجميع أفراد الصحابة..."(٥).

يتضح مما سابق أمران:

- إن الشيعة لا تعترف بالسنة النبوية، بل تردها بالكلية لورودها من طرف الصحابة ﵃، ولهم بذلك بديل عنها الأقوال المنسوبة للأئمة زوراً وبهتانا.
- الطعن في الصحابة الكرام ﵃، وخاصة من اشتهر برواية الحديث أمثال أبو هريرة ﵁، وأم المؤمنين عائشة ﵂ ، وبذلك أسقطوا جميع ما رووه عن النبي ﷺ.

لذا فإن الحديث عن موقف الشيعة من سنة أهل السنة والجماعة سيركز حول المطالب التالية:-

---

(١) أصل الشيعة وأصولها: محمد آل كاشف الغطاء، ص ٢٣٦.

(٢) عقائد السنة وعقائد الشيعة : صالح الورداني ، ص ١٠٩

(٣) المصدر السابق، ص ١١٠.

(٤)هو عبد الهادي بن ميرزا محسن بن سلطان بن محمد الفضلي ، ولد سنة ١٣٥٤ ه بقرية صبحة العرب إحدى القرى القريبة من البصرة بالعراق ، نشأ في البصرة على يد والده الميرزا محسن الفضلي ، وقرأ على يده كتب النحو والصرف والمنطق والبلاغة ثم رحل إلى النجف لإكمال دراسته ثم قدم إلى السعودية وعمل أستاذا في جامعة الملك عبد العزيز إلى ١٤٠٩ هـ بعد حصوله على التقاعد، يقيم الأن في مدينة الدمام بالسعودية . انظر سيرته الذاتية على موقعه: (www.alfadhli.org بتاريخ ٢٠١١/١١/٥)

(٥) دروس في أصول فقه الإمامية: عبد الهادي الفضلي ، ص١٧٦-١٧٨.

المطلب الأول: مفهوم الاثنا عشرية للصحابي:

عمد الاثنا عشرية في تعريفهم للصحابي إلى إيراد تعريف أهل السنة له ثم نقد هـذا التعريـف[١]، وخلط الحق بالباطل، لكي لا يصبح معنى لتعريف الصحابة سوى أنهم عاشروا الرسول منـافقين ورحـل عنهم وهم كافرون به، حيث ترى الاثنا عشرية بأن الصحابي بمفهوم أهل السنة يطلق على البار و الفاجر والمسلم والفاسق ممن لقي النبي ﷺ.

فيقول الشيعي أحمد حسين يعقوب[٢] :" من هم الصحابة عند الشيعة، الصحبة تشمل كل من صحب النبي ، أو رآه ، أو سمع منه ، فهي تشمل المؤمن والمنافق، والعادل والفاسق ، والبر والفاجر...فالصحبة ليست بمجردها عاصمة تلبس صاحبها أبراد العدالة"[٣].

ويقول الشيعي إدريس الحسيني المغربي[٤]:" إن كلمة" صحابي" في عهد رسول الله كانت تأخذ طابعًا أدبيًا يشترك فيها البر والفاجر ، المؤمن والمنافق . ولم تكن العدالة منحة رخيصة عند الصحابي في عهد رسول الله بل هي أمر له صلة بعمل الإنسان ..."[٥]

ويقول علامة الشيعة على الحسيني الميلاني ناقداً تعريف أهل السنة للصـحابي بـأن:" التعريـف الأصح عامّاً، يعمُّ المنافق والمؤمن بالمعنى الأخص، يعمّ البرّ والفاجر، يعمّ من روى عن رسول الله ومن لم يرو عن رسول الله، يعمّ من عاشر رسول الله ولازمه ومن لم يعاشـره ولـم يلازمـه، لأنّ المـراد والمقصود والمطلوب هو مجرّد الإلتقاء برسول الله، ولذا يقولون بأنّ مجرَّد رؤية رسـول الله ﷺ محققـة للصحبة، مجرّد الرؤية!،.. فكلّ من شهد الشهادتين، ورأى رسول الله ولو لحظةً، ومات على الشـهادتين، فهو صحابي. فلاحظوا، كيف يكون قولهم بعدالة الصحابة أجمعين، كأنّهم سيقولون بعدالة كلّ مـن كـان

---

(١) الصحابي بمفهوم أهل السنة : هو (من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ومات على الإسلام) ، الإصابة في تميز الصـحابة ﷺ: ابن حجر العسقلاني، ٤/١.

(٢) أحمد حسين يعقوب: هو أحمد حسين يعقوب ، محامي متقاعد في الستينات من عمره ، ولد في الأردن ، بمدينة جرش عـام ١٩٣٩ م في أسرة شافعية المذهب حصل على الثانوية العامة من مصر، وأكمل دراسة الحقوق في جامعة دمشق وسجل للدراسات العاليـة، دبلـوم القـانون العـام فـي الجامعـة اللبنانيـة ، انظـر نبـذة مـن حياتـه علـى الـرابط: http://www.albainah.net/index.aspx?function=Item&id=2882&lang (بتاريخ ٢٠٠١/١١/٥)

(٣) نظرية عدالة الصحابة : أحمد حسين يعقوب ، الناشر: مؤسسة الفجر، لندن، ص٥٩-٦٠.

(٤) هو إدريس الحسيني ولد في المغرب بمدينة " مولاي ادريس " سنة ١٩٦٧ م من اسرة مالكية المذهب ، يقال عن المتشيع أنه كاتب قدير !!! له عدة مؤلفات وصحافي بارز كتب في العديد من الصحف ، تلقى دراسته الابتدائية والثانوية بالمغرب ثم هاجر الى المشرق ودرس بالحوزة العلمية في الشام بعد تشيعه .انظر ترجمته على هذا الرابط: http://www.albainah.net/index.aspx?function=Item&id=3415&lang (بتاريخ ٢٠١١/١١/٥)

(٥) الخلافة المغتصبة : إدريس الحسيني المغربي، الناشر: مركز الأبحاث العقائدية ، قم ، ص٩١-٩٢.

يسكن مكة، وكلّ سكّان المدينة المنورة، وكلّ من جاء إلى المدينة أو إلى مكّة والتقى برسول الله ولو لحظة، رأى رسول الله ورجع إلى بلاده، فهو صحابي، وإذا كان صحابيّاً فهو عادل..." (١).

بينما يذكر الشيعي مرتضى العسكري بأن لفظ الصحابي عند الشيعة لفظ مستحدث أحدثته مدرسة الخلافة، وهو بمعنى المسلمين(٢).

وبالعموم فإن مفهوم الصحابي بمنظور الاثنا عشرية هو: كل من لقي النبي ﷺ مؤمناً ووالى علياً ونصره على أعدائه(٣).

يقول مرتضى العسكري:" لمّا كان في الصحابة منافقون لا يعلمهم إلاّ الله، وقد أخبر نبيّه بأنّ علياً لا يحبّه إلاّ مؤمن ولا يبغضه إلاّ منافق...، **لهذا كله فهم يحتاطون في أخذ معالم دينهم من صحابي عادى عليّاً ولم يواله، حذراً من أن يكون الصحابي من المنافقين الذين لا يعلمهم إلاّ الله"(٤).**

وبناءً على هذا التعريف يكون كل الصحابة من المنافقين حسب تعريف الشيعة السابق، فأبو بكر الصديق والفاروق عمر وعثمان ﷺ ليسوا بصحابة، وأمهات المؤمنين كذلك وكل صحابي لم يوال علياً، حتى الذي اعتزل الفتنة منهم ليس بصحابي، هذا فضلاً عنمن قاتل علياً ﷺ أيام الفتنة، بل قل إن الصحابة كلهم منافقين لأنهم والوا أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ولم يوالوا علياً ﷺ.

يقول الشيعي صالح الورداني:" إنَّ تعريف الصحابي عندهم يفرض الفرز والتمييز،فالصحابي هو من طالت صحبته للرسول ﷺ وحسنت...، إنَّ الشيعة وفق ما سبق ، ووفق المواقف ، والسلوكيات التي ارتبطت بالصحابة قبل وفاة الرسول ، وبعد وفاته قد أخرجوا الكثير من دائرة الصحبة ، فأخرجوا الخلفاء الثلاثة ، ومن تحالف معهم ضد آل البيت مثل : أبو عبيدة ، وطلحة ، وسعد ، وخالد ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعمرو بن العاص ، والمغيرة بن شعبة، وأبي هريرة، وغيرهم وهم على الأغلب من المهاجرين. واعترفوا بكثير من الصحابة ممن أحسنوا الصحبة، والتزموا بنهج الرسول ومنهم : عمار ابن ياسر ، وأبو ذر الغفاري ، وسلمان الفارسي، وحذيفة ، وأبو خزيمة، وخباب، والمقداد وهؤلاء جميعًا يروى عنهم ، وهم موضع احترام الشيعة وتقديرهم...،ويكفرون ويضللون من انحرف عن الصراط، وأعرض عن الحق، واتبع هواه، وباع دينه بدنياه من" (٥).

---

(١) محاضرات في الاعتقادات: علي الحسيني الميلاني ، الناشر: مركز الأبحاث العقائدية ، الطبعة الأولى ، ١٤٢هـ قم- إيران، ٥٥٨/١-٥٦٠، سلسلة الكتب العقائدية.

(٢) معالم المدرستين : مرتضى العسكري ، ٨٩/١ .

(٣) انظر:الصحابي وعدالته: مرتضى العسكري، الناشر: مركز الأبحاث العقائدية، سلسلة الكتب العقائدية، ص٣٣، انظر : عدالة الصحابة : محمد السند ، الناشر: مركز الأبحاث العقائدية، سلسلة الكتب المؤلفة في رد الشبهات، ص ٢٣٧

(٤) المرجع السابق ، ص٣٣.

(٥) المناظرات: صالح الورداني، ص١٣١.

ويقول صدر الدين علي خان الشيرازي[١] عن عدالة الصحابة:" حكم الصحابة عندنا في العدالة حكم غيرهم ، ولا يتحتم الحكم بالإيمان والعدالة بمجرد الصحبة ، ولا يحصل بها النجاة من عقاب النار وغضب الجبار إلا أن يكون مع يقين الإيمان ، وخلوص الجنان ، فمن علمنا عدالته، وإيمانه ، وحفظه وصية رسول الله في أهل بيته ، وأنه مات على ذلك كسلمان ، وأبي ذر ، وعمار والبناه ، وتقربنا إلى الله تعالى بحبه، ومن علمنا أنه انقلب على عقبه ، وأظهر العداوة لأهل البيت –عليهم السلام– عاديناه لله تعالى ، وتبرأنا إلى الله منه"[٢] .

وبناءً على ما سبق فإن الاثنا عشرية خصوا بلفظ الصحابة أشخاصاً بأعينهم؛ لأن الصحابة في نظرهم قد ارتدوا بسبب توليهم لأبي بكر وعمر وعثمان إلا ثلاثة نفر من الصحابة استثنتهم الشيعة من المرتدين –بزعمهم–، وحتى هؤلاء النفر من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم لم يسلموا من ذم و قدح الشيعة لهم ، فهذا شيخهم المفيد يروي عن عمرو بن ثابت قال : سمعت أبا عبد الله يقول :" إن النبي ﷺ لما قبض ارتد الناس على أعقابهم كفاراً إلا ثلاثاً: سلمان، والمقداد، وأبو ذر الغفاري. إنه لما قبض رسول الله ﷺ جاء أربعون رجلاً إلى علي بن أبي طالب فقالوا: لا والله لا نطيع أحداً طاعة بعدك أبداً ، قال : ولم؟ قالوا : إنا سمعنا من رسول الله فيك يوم غدير خم ، قال وتفعلون ؟ قالوا: نعم قال: فأتوني غدا محلقين ، قال : فما أتاه إلا هؤلاء الثلاثة ، قال: وجاءه عمار بن ياسر بعد الظهر فضرب يده على صدره ، ثم قال له :مالك أن تستيقظ من نومة الغفلة، ارجعوا فلا حاجة لي فيكم أنتم لم تطيعوني في حلق الرأس فكيف تطيعوني في قتال جبال الحديد ، ارجعوا فلا حاجة لي فيكم"[٣].

مناقشة مفهوم الصحابي عند الاثنا عشرية:

لقد انتهج الاثنا عشرية منهج الكفار من أهل الكتاب في تلبيس الحق بالباطل و محاولة طمس الحقائق الواضحة في فضل الصحابة وتهالكهم في طاعة الله و رسول الله ﷺ ورضى الرحمن عليهم، قال تعالى مبيناً ذلك المنهاج الفاسد: ﴿يَا أَهْلَ الكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الحَقَّ بِالبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران:٧١] وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الحَقَّ بِالبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٤٢]، ولقد اعتمد الشيعة على هذا المنهاج لنشر عقائدهم الفاسدة، فتعمدوا إدخال المنافقين والكفار ممن ارتد بعد وفاة الرسول ﷺ ضمن الصحابة الكرام، ليوهموا العامة من الناس ومن تبعهم من عوامهم أنهم يقولون الحق،

---

(١) صدر الدين الشيرازي: هو علي خان الشيرازي المدني الحسني، ويعرف بابن المعصوم ، له من الكتب : سلافة العصر ، الدرجات الرفيعة ، وأنوار الربيع ، وشرح للصحيفة السجادية ، توفى سنة ١١٢٠ هـ(انظر: الفوائد الرجالية، محمد بحر العلوم، ٢٤٥/٣).

(٢) الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة: صدر الدين علي خان الشيرازي، الطبعة الثانية ، الناشر: مكتبة بصيرتي ، ١٣٩٧هـ، ص١١.

(٣) الاختصاص: المفيد ، ص٦، انظر لمزيد من الطعن في سلمان وأبو ذر والمقداد ﷺ في بحار الأنوار : ٣٥٣/٢٢-٣٧٣،٣٧٤، أصول الكافي : الكليني ، ٤٠١/١، كتاب الحجة باب أن حديثهم صعب مستصعب ، اختيار معرفة الرجال ، الطوسي ، ٦٠/١.

وفي الحقيقة لهم مقصد خبيث أرادوا من خلاله تكفير كل الصحابة ﷺ وإخراجهم عن دائرة الصحبة، لــذا فإن من الواجب أن نبين مفهوم الصحابي عند أهل السنة وضوابط ذلك المفهوم ومن ثــم الأسـباب التــي دعت أهل السنة إلى توثيق الصحابة وتعديلهم والذي بدوره ينسف كل افتراءات الشيعة علــى الصــحابة الكرام رضوان الله تعالى عليهم.

أولاً: مفهوم الصحابي وضوابطه عند أهل السنة والجماعة:

يقول الحافظ ابن حجر في تعريف الصحابي: وأصحّ ما وقفت عليه من ذلك: أنّ الصحابي من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ومات على الإسلام"[1][2]

فمن خلال التعريف السابق لصحابي نستطيع أن نستنتج الضوابط التي تميز الصحابي من غيــره، **وما يهمنا الضوابط التي تخرج الرجل من الصحبة وهي[3]:**

١. كل من لقي النبي ﷺ كافراً وإن أسلم بعد موته. فهناك من لقي النبي فهذا لا يــدخل فــي مســمى الصحبة ولا يكون له شرفُ الصحبة.

٢. كل من لقي النبي ﷺ متظاهراً بالإسلام وثَبَتَ نِفاقُه. فإذا ثبت نفاقُ الشــخصِ خــرج مــن مســمى الصحبة. لأن الضابط من لقي النبي مؤمناً به فلا بد من حصول الإيمان، ومن ثبت نفاقه فلــيس بمــؤمن ولثبوتُ النفاق لا بُدَّ فيهِ من وجود النَّصِّ على نفاق المذكور من رسول الله، أو مــن تــواترِ ذلــك مــن النصوص الواردة عن الصحابة المشهود لهم بالفضل في حياته ممن أَعْلَمَهُم رسولُ الله ﷺ بذلك مثل حذيفة ابن اليمان ﷺ.

٣. كل من لقي رسول الله ﷺ قبلَ البِعْثَةِ ثم سمع به وآمن ؛ ولكنه لم يلقَهُ حالَ إيمانه ، فهذا لا يُعَدُّ في الصحابة.

٤. مِن ارْتَدَّ ومات على الرِّدَّة خَرَجَ من مُسَمّى الصحبةِ ولو كان مُصاحباً لرسول الله حالَ إيمانه مــا دامَ قَدِ ارتد ومات على الردة، والأحاديث الواردة عن النبي ﷺ في ذكر ارتداد بعض أصحابه مثل:" أنــه يُرد أقوامٌ عن حوضه فيقول: أصحابي فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك "[4]، وهــؤلاء جمــعٌ مــن الأعرابِ الذين لَقوا رسول الله وآمنوا به ثم لما توفي رسول الله ارتدوا على أعقــابهم وخرجــوا مــن الإسلام وقد قاتلهم أبو بكر الصديق ﷺ.

فبهذه الضوابط يبطل تلبيس الشيعة والإيهام بأن تعريف أهل الســنة لصــحابة يشــمل المنــافق والفاسق والكافر، ومن جهة أخرى فإن الصحابة الذين يتحدث عنهم الشيعة هم عظماء الصحابة و أوائــل

---

(١) الإصابة في تميز الصحابة ﷺ: ابن حجر العسقلاني، ٤/١.

(٢) هذا التعريف دأب الاثنا عشرية بإيراده في كتبهم ومن ثم نقده بادعاء أنه يشمل المنافق والكافر والفاسق غير أن المدقق والمتأمل فيه يجد خلاف ما يدعون.

(٣) عدالة الصحابة رضي الله عنهم في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية ودفع الشبهات: عماد الســيد محمــد إســماعيل الشربيني، ص١١، المكتبة الشاملة.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الرقاق، باب في الحوض وقول الله تعالى[إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الكَــوْثَرَ]، حــديث رقــم: ٦٥٨٢، ١٢٠/٨، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل ، باب إثبات حوض نبينا ﷺ، حديث رقم: ٢٢٩٧، ص٩٤١ .

من آمن وهاجر مع النبي ﷺ، وحارب معه بداية من غزوة بدر وأحد والأحزاب وفتح مكة وانتهاء بـآخر غزوات النبي ﷺ.

يقول الخطيب البغدادي بهذا الخصوص:" فقد تقرر للأمة عرف في أنهم لا يستعملون هذه التسمية إلا فيمن كثرت صحبته واتصل لقاؤه ولا يجرون ذلك على من لقي المرء ساعة ومشى معه خطى وسمع منه حديثا وجب لذلك أن لا يجرى هذا الاسم في عرف الاستعمال إلا على من هذه حاله، ومع هـذا فـإن خبر الثقة الأمين عنه مقبول ومعمول به وإن لم تطل صحبته ولا سمع منه إلا حديثا واحدا، ومن الطريق إلى معرفة كونه صحابيا تظاهر الأخبار بذلك وقد يحكم بأنه صحابي إذا كان ثقة أمينا مقبـول القـول إذا قال صحبت النبي ﷺ وكثر لقائي له فيحكم بأنه صحابي في الظاهر لموضع عدالته وقبول خبره" (١).

وفي الحقيقة إن ما يقوم به علماء الاثنا عشرية من تلبيس الحق في الباطل ينم عن خبث وتبيـت نية السوء لهدم أسس الإسلام والمصدر الثاني للتشريع، بل قل هدم الإسلام بالكامل وذلك لأنهـم يعلمـون أنهم لا يتحدثون عن صحابة عاديين بل يتحدثون عن أوائل من أمن من الصحابة، ومـن جمـع القـرآن وروى سنة رسول الله ﷺ، فحينما يعدوا المنافقين والكفار من ضمن الصحابة، فإنما يجعلوهم متساويين مع الصحابة، وإذا تساوى الجميع فإنه من السهل أن يطلق العنان للتكفير واللعن بكل سهولة، وهذا يدل علـى الخبث والمكر وعظم الضلال فمن يوهم الناس وهو أعلم الناس بمن يتحدث ويخفي الحقيقة بأنـه يتحـدث عن كبار الصحابة لا عن المنافقين والكفار ويضل الناس بذلك التلبيس أعظم جرماً ممن ضل وزاغ عنهـا وبذلك استحق اليهود أن يكونوا من المغضوب عليهم، وإنا لنرجو الله أن يكون كل مـن يـؤذي صـحابة رسول الله من الملعونين، يقول الله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الجاثية:٢٣] .

ثانياً: عدالة الصحابة.

لقد جاءت عدالة الصحابة ﷺ ورضا الرحمن عليهم من خلال الكتاب والسنة المطهرة وإجمـاع الأمة والعقل الصريح، لذا فإن الرد على الاثنا عشرية سيكون من خلال بيان تلك الوجوه.

١.الرد عليهم من خلال الكتاب:

أ- يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآَزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الكُفَّارَ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح:٢٩] .

قال الإمام مالك، رحمه الله تعالى:" بلغني أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة الذين فتحوا الشام يقولون: "والله لهؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا. وصدقوا في ذلك، فإن هذه الأمة معظمة في الكتـب

(١) الكفاية في علم الرواية : أحمد بن على بن ثابت الخطيب البغدادي، تحقيق: أبو عبد الله السروقي، وإبـراهيم المـدني، الناشر: المكتبة العلمية، المدينة المنورة، ص٥١-٥٢.

المتقدمة، وأعظمها وأفضلها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد نوه الله بذكرهم في الكتب المنزلة والأخبار المتداولة ؛ ولهذا قال هاهنا: ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ﴾ ، ثُمَّ قال: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ﴾ : ﴿أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾ أي: فراخه، ﴿فَآزَرَهُ﴾ أي: شده ﴿فَاسْتَغْلَظَ﴾ أي: شب وطال، ﴿فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ﴾ أي: فكذلك أصحاب محمد ﷺ آزروه وأيدوه ونصروه فهم معه كالشطء مع الزرع، ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الكُفَّارَ﴾"[١]. وقال الإمام ابن كثير معقباً على قول الإمام مالك:" ومن هذه الآية انتزع الإمام مالك رحمه الله بتكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة، قال: لأنهم يغيظونهم، ومن غاظ الصحابة فهو كافر لهذه الآية[٢].

وقال ابن الجوزي في زاد المسير:" هذه الآية وصف لجميع الصحابة عند الجمهور "[٣].

ب- قال تعالى:﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ(٨) وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ(٩) وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ(١٠) ﴾ [الحشر:٨-١٠].

ففي هذه الآيات بين الله تعالى أحوال وصفات المستحقين للفيء، وهم ثلاثة أقسام: القسم الأول :﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ﴾ ، والقسم الثاني: :﴿الَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ ، والقسم الثالث: ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ ﴾ ، ولقد استنبط الإمام مالك من هذه الآيات الكريمة، أن الذي يسب الصحابة ليس له من مال الفيء نصيب لعدم اتصافه بما مدح الله به القسم الثالث في قولهم:﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾[٤] .

ولقد قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها:" أمروا أن يستغفروا لأصحاب رسول الله ﷺ فسبوهم"[٥].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال :" لا تسبوا أصحاب محمد، فإن الله قد أمر بالاستغفار لهم، ولقد علم أنهم سيقتتلون"[٦].

---

(١) تفسير القرآن العظيم : ابن كثير، ٣٦٢/٧.

(٢) المرجع السابق.

(٣) زاد المسير في علم التفسير: عبد الرحمن بن على بن محمد الجوزي، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، بيروت، ١٤٠٤هـ ، ٤٤٦/٧.

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، ٧٣/٨.

(٥) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب التفسير، حديث رقم:(٣٠٢٢).

(٦) انظر: منهاج السنة النبوية: ابن تيمية، ١٤/٢، وقد صحح إسناده شيخ الإسلام ابن تيمية،(انظر: المرجع السابقة:٢٢/٢)

ت- وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ(٩)﴾. [الحشر].

روى السيوطي بخصوص هذه الآية عن ابن مردويه عن ابن عمر: أنه سمع رجلاً وهو يتناول بعض المهاجرين فقرأ عليه ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ ...﴾ الآية، ثم قال: هؤلاء المهاجرون، فمنهم أنت؟ قال: لا . ثم قرأ عليه ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ...﴾ الآية، ثم قال: هؤلاء الأنصار، فأنت منهم ؟قال: لا. ثم قرأ عليه ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ ...﴾ الآية، أفمن هؤلاء أنت ؟قال: أرجو. قال: لا. ليس من هؤلاء من يسب هؤلاء"(١).

ث- لقد جاءت آيات تخبر برضا الله عن الصحابة ووعدهم بالحسنى منها: قوله تعالى:﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ﴾ [التوبة:١٠٠]وقال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح:١٨] .وقال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾. [الحديد: ١٠]. فهذه الآيات ظاهرة الدلالة على تزكية الله لهم ، تزكية لا يخبر بها، ولا يقدر عليها إلا الله. وهي تزكية بواطنهم وما في قلوبهم(٢)، قال الإمام ابن تيمية:" والرضا من الله صفة قديمة، فلا يرضى إلا عن عبد علم أنه يوافيه على موجبات الرضا – ومن رضي الله عنه لم يسخط عليه أبداً- فكل من أخبر الله عنه أنه رضي عنه فإنه من أهل الجنة "(٣). وقال ابن حزم:" فمن أخبر الله عز وجل أنه علم ما في قلوبهم ، ورضي عنهم، وأنزل السكينة عليهم، فلا يحل لأحد التوقف في أمرهم أو الشك فيهم البتة"(٤).

ج- كذلك شهادة القرآن بأنهم خير أمة وأنهم شهداء على الناس وذلك لعدالتهم من هذه الآيات : قوله تعالى:﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِالله ...﴾ [آل عمران:١١٠] وقوله تعالى:﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[البقرة:١٤٣]

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور: جلال الدين السيوطي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٤٢٤هـ -٢٠٠٣م، ٣٨٤/١٤.

(٢) اعتقاد أهل السنة في الصحابة رضي الله عنهم: د.محمد بن عبد الله الوهيبى، الناشر: وكالة المطبوعات والبحث العلمي، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٦هـ، ص٧.

(٣) الصارم المسلول على شاتم الرسول: شيخ الإسلام ابن تيمية، دراسة وتحقيق: محمد عبد الله الحلواني ، ومحمد كبير أحمد شودري، الطبعة الأولى ، الناشر: دار ابن حزم ، بيروت، ١٤١٧هـ، ص٥٧٣-٥٧٤.

(٤) الفصل في الملل والنحل: ابن حزم، ٢٦١/٣

. قال الإمام ابن تيمة بخصوص هذه الأيات:" وهم –أي الصحابة– أول من وجه بهذا الخطاب فهم مرادون بلا ريب"(١).

وقد استدل ابن تيمية رحمه الله على كفر من زعم أن الصحابة قد ارتدوا بعد وفاة النبي ﷺ بهذه الآيات قائلاً:" و أما من زعم أنهم ارتدوا بعد رسول الله ﷺ إلا نفرا قليلا يبلغون بضعة عشر نفسا أو أنهم فسقوا عامتهم فهذا لا ريب أيضا في كفره لأنه كذب لما نصه القرآن في غير موضع : من الرضى عنهم و الثناء عليهم بل من يشك في كفر مثل هذا فإن كفره متعين فإن مضمون هذه المقالة أن نقلة الكتاب و السنة كفار أو فساق و أن هذه الآية التي هي ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران : ١١٠] و خيرها هو القرن الأول كان عامتهم كفارا أو فساقا ومضمونها أن هذه الأمة شر الأمم و أن سابقي هذه الأمة هم شرارهم و كفر هذا مما يعلم باضطرار من دين الإسلام"(٢) .

وقال الخطيب البغدادي رحمه الله:" وهذا اللفظ وإن كان عاماً فالمراد به خاصٌ، وقيل: هو وارد في الصحابة دون غيرهم"(٣)ويضيف قائلاً: على أنه لو لم يرد من الله عز وجل ورسوله فيهم شئ مما ذكرنا لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة والجهاد والنصرة وبذل المهج والأموال، وقتل الآباء والأولاد والمناصحة في الدين، وقوة الإيمان واليقين: القطع على عدالتهم والاعتقاد لنزاهتهم، وأنهم أفضل من جميع المعدلين والمزكين الذين يجيئون بعدهم"(٤).

٢. الرد عليهم من خلال السنة النبوية:

لقد أثنى النبي ﷺ على أصحابه ووصفهم بالعدالة فى أحاديث يطول تعدادها منها :

أ- قوله ﷺ:" ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب"(٥)، "ففى هذا الحديث أعظم دليل على أن الصحابة كلهم عدول ليس فيهم مجروح ، ولا ضعيف إذ لو كان فيهم أحد غير عدل ، لاستثنى فى قوله صلى الله عليه وسلم وقال:" ألا ليبلغ فلان وفلان منكم الغائب" فلما أجملهم فى الذكر بالأمر بالتبليغ لمن بعدهم، دل ذلك على أنهم كلهم عدول، وكفى بمن عدله رسول الله ﷺ شرفاً"(٦).

(١) الصارم المسلول : ابن تيمية، ص٥٧٤.

(٢) المصدر السابق: ص٥٩٠.

(٣)الكفاية في علم الرواية: أبو بكر أحمد بن على بن ثابت الخطيب البغدادي، تحقيق: أبوعبد الله السورقي ، إبراهيم حمدي المدني ، الناشر: المكتبة العلمية ، المدينة المنورة، ص٤٦.

(٤) المصدر السابق: ص٩٤.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب ليبلغ العلم الشاهد الغائب، حديث رقم: (١٠٥)

(٦) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: الأمير علا الدين علي بن بلبان الفارسي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الناشر : مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية ، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م، ١/١٦٢.

ب- وقالﷺ:" خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجئ قوم تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِم يَمِيَنهُ ويَمينُهُ شَهَادَتَهُ"[١]، وفي حديث أم المؤمنين عائشة ﷺ:" سأل رجل النبي ﷺ : أي الناس خير؟ فقال : القرن الذي أنا فيه ، ثم الثاني ، ثم الثالث"[٢] ، وهذه شهادة بالخيرية للصحابة وللتابعين حتى القرن الثالث.

ت- وقال ﷺ:" النجومُ أَمنةٌ للسماءِ، فإذا ذهبتِ النجوُمِ، أَتى السماءَ ما تُوعدُ، وأَنا أَمَنةٌ لأصحابي. فإذا ذهبتُ أَتَى أصحابي ما يُوعدونَ، وأصحابي أَمنةٌ لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يُوعَدُون"[٣].

ث- وقال ﷺ:" لا تسبوا أصحابي. لا تَسُبُّوا أصحابي : فوالذى نفسى بيده! لو أن أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مثلَ أُحُدٍ ذهباً، ما أَدركَ مُدَّ أَحَدِهِم، ولا نَصِيَفهُ"[٤].

ج- كذلك قال النبي ﷺ:" الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق. فمن أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله"[٥]. قال الإمام الذهبي رحمه الله بخصوص هذا الحديث:" حب أصحاب النبي ﷺ عنوان محبته، وبغضهم عنوان بغضه، كما جاء في الحديث الصحيح: حب الأنصار من الإيمان وبغضهم من النفاق؛ وما ذاك إلا لسابقتهم ، ومجاهدتهم أعداء الله بين يدي رسول الله ﷺ ، وكذلك حب عليﷺ من الإيمان ، وبغضه من النفاق ، وإنما يعرف فضائل الصحابة من تدبر أحوالهم ، وسيرهم ، وآثارهم في حياة رسول الله ﷺ ، وبعد موته من المسابقة إلى الإيمان ، والمجاهدة للكفار ، ونشر الدين ، وإظهار شعائر الإسلام، وإعلاء كلمة الله ورسوله ، وتعليم فرائضه وسننه ، ولولاهم ما وصل إلينا من الدين أصل ولا فرع، ولا علمنا من الفرائض والسنن سنة ولا فرضاً ، ولا علمنا من الأحاديث والأخبار شيئاً فمن طعن فيهم ، أو سبهم ، فقد خرج من الدين، ومرق من ملة المسلمين"[٦].

---

(١) أخرجه البخارى كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، ومن صحب النبى صلى الله عليه وسلم أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه رقم:(٣٦٥١)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم حديث رقم:(٢٥٣٣).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضل الصحابة ، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، حديث رقم: (٢٥٣٦).

(٣)أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب بيان أن بقاء النبى ﷺ آمان لأصحابه، وبقاء أصحابه أمان للأمة، حديث رقم: (٢٥٣١).

(٤) أخرجه البخارى في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب قول ﷺ "لو كنت متخذاً خليلاً"، من حديث أبى سعيد الخدري رضي الله عنه، حديث رقم: (٣٦٧٣).وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة، حديث رقم:(٢٥٤٠).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة ، باب حب الأنصار من الإيمان حديث رقم: (٣٧٨٣) وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان ، باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي رضي الله عنهم من الإيمان وعلاماته، حديث رقم: (٧٥).

(٦) كتاب الكبائر وتبيين المحارم: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، تحقيق: محي الدين مستو، الناشر:مكتبة دار التراث ، المدينة المنورة، ١٩٩٨م، ص٢٣٧.

ح- كذلك ثبت عنه أنه قال:" يأتي الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقولون: فيكم من صاحب رسول الله ﷺ ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم، ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقال: هل فيكم من صاحب اصحاب رسول الله ؟ فيقولون : نعم ن فيفتح لهم ، ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقال : هل فيكم من صاحب من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ ؟ فيقولون: نعم ، فيفتح لهم"[١]. فهذا الحديث دل على عظم مصاحبة رسول الله ومصاحبة أصحاب رسول الله ومكانتهم عند الناس أجمعين.

خ- وقال الصحابى الجليل سعيد بن زيد بن عمرو، أحد العشرة المبشرين بالجنة رضي الله عنهم لما سمع رجلاً من أهل الكوفة يسب رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ قال:"... والله لمشهد شهده رجل يغبر فيه وجهه مع رسول الله ﷺ: أفضل من عمل أحدكم، ولو عمّر عُمر نوح عليه السلام " [٢].

إلى غير ذلك من الأحاديث الصحيحة المستفيضة التي رواها أصحاب الصحاح، والسنن، والمسانيد، كلها تصرح في الثناء على الصحابة، وتبيّن فضلهم وعدالتهم رضي الله عنهم أفتكون كل هذه الأحاديث الصحيحة في أصح الكتب ، ورواتها قوم يكرهون الكذب، ويتنزهون عنه- كما هو المشهود في تراجمهم، وسيرهم- كاذبة[٣]؟!، وما تدعيه الشيعة من الكذب هو الصدق، سبحانك اللهم هذا بهتان عظيم

٣. الرد عليهم من خلال إجماع الأمة:

أجمعت الأمة على تعديل صحابة رسول الله وفقاً لتعديل الله وسوله ﷺ لهم، وأقوال العلماء في في تقرير هذا الإجماع كثيرة، منها:

يقول ابن الصلاح[٤]:" للصحابة بأسرهم خصيصة، وهى أنه لا يسأل عن عدالة أحد منهم، بل ذلك أمر مفروغ منه لكونهم على الإطلاق معدلين بنصوص الكتاب، والسنة، وإجماع من يعتد به فى الإجماع من الأمة"[٥].

---

(١)أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ رضي الله عنهم، ومن صحب النبي ﷺ أو رأه من المسلمين فهو من أصحابه ، حديث رقم:(٣٦٤٩)

(٢)أخرجه أحمد فى مسنده، حديث رقم:(١٦٢٩)، و أخرجه أبو داود فى سننه ، كتاب السنة، باب فى الخلفاء حديث رقم:(٤٦٥٠)، صححه الألباني.

(٣) مصادر التلقي واصول الاستدلال عند الشيعة الإمامية الاثنا عشرية، إيمان العلواني ، ص٣٩٢.

(٤) ابن الصلاح: عثمان بن عبد الرحمن -صلاح الدين- ابن عثمان بن موسى بن أبي النصر النصري الشهرزوري الكردي الشرخاني، أبو عمرو، تقي الدين، المعروف بابن الصلاح: أحد الفضلاء المقدمين في التفسير والحديث والفقه وأسم الرجال. ولد في شرخان قرب شهرزور وانتقل إلى الموصل ثم إلى خراسان، فبيت المقدس حيث ولي التدريس في الصلاحية. وانتقل إلى دمشق، فولاه الملك الأشرف تدريس دار الحديث، وتوفي فيها عام ٦٤٣هـ. له كتاب منها: معرفة أنواع علم الحديث يعرف بمقدمة ابن الصلاح، والأمالي.(الأعلام: الزركلي، ٤/٢٠٧).

(٥) معرفة أنواع علوم الحديث، "مقدمة ابن الصلاح":عثمان بن عبد الرحمن ابن الصلاح ، تحقيق: نور الدين عتر، الناشر: دار الفكر، سوريا، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، ص٢٩٤.

ويقول ابن عبد البر[1] رحمه الله في خضم حديثه عن رواة الحديث:" وإن كان الصحابة ﷺ قد كفينا البحث عن أحوالهم؛ لإجماع أهل الحق من المسلمين وهم أهل السنة والجماعة على أنهم كلهم عدول..."[2].

وقال ابن جماعة[3]:" الصحابة كلهم عدول مطلقاً ؛ لظواهر الكتاب ، والسنة ، وإجماع من يعتد به بالشهادة لهم بذلك سواء فيهم من لابس الفقنة وغيره..."[4]

وقال الإمام الغزالي[5]: "والذي عليه سلف الأمة، وجماهير الخلق، أن عدالتهم معلومة بتعديل الله عز وجل إياهم وثنائه عليهم فى كتابه، فهو معتقدنا فيهم، إلا أن يثبت بطريق قاطع ارتكاب واحد لفسق مع علمه به، وذلك مما لا يثبت فلا حاجة لهم إلى التعديل – ثم ذكر بعض ما دل على عدالتهم من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ثم قال : فأى تعديل أصح من تعديل علام الغيوب – سبحانه – وتعديل رسوله ﷺ، كيف ولو لم يرد الثناء لكان فيما اشتهر وتواتر من حالهم فى الهجرة، والجهاد، وبذل المهج، والأموال، وقتل الآباء والأهل، فى موالاة رسول الله ﷺ، ونصرته، كفاية فى القطع بعدالتهم"[6].

٤. الرد عليهم من خلال العقل الصريح:

١. لقد صاهر النبي ﷺ أبو بكر وعمر وزوج ابنتاه من عثمان بن عفان رضي الله عنهم وهؤلاء من أبغض الناس عند الاثنا عشرية وقالوا إن بغضهم تقرب إلى الله وإرضاءً له، وعلى ذلك فإما أن يكون

---

(١) ابن عبد البر: يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي، أبو عمر: من كبار حفاظ الحديث، يقال له حافظ المغرب. ولد بقرطبة عام ٣٦٨هـ. ورحل رحلات طويلة في غربي الأندلس وشرقيها. وولي قضاء لشبونة وشنترين. وتوفي بشاطبة عام ٤٦٣هـ له عدة مصنفات منها: الدرر في اختصار المغازي والسير، الاستيعاب، بهجة المجالس وأنس المجالس. (الأعلام: الزركلي، ٢٤٠/٨)..

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب:أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي النمري، تحقيق: عادل مرشد، الطبعة الأولى ، الناشر: دار الأعلام ، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م، ص٢٣

(٣) ابن جماعة : محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعي، بدر الدين، أبو عبد الله: قاض، من العلماء بالحديث وسائر علوم الدين.ولد في حماة عام ٦٣٩هـ . وولي الحكم والخطابة بالقدس، ثم القضاء بمصر، فقضاء الشام، ثم قضاء مصر إلى أن شاخ وعمي. كان من خيار القضاة. وتوفي بمصر عام ٧٣٣هـ، له تصانيف، منها: المنهل الروي في الحديث النبوي، كشف المعاني في المتشابه من المثاني (الأعلام: الزركلي، ٢٩٧/٥-٢٩٨).

(٤) المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي:محمد بن إبراهيم بن جماعة، تحقيق: محيي الدين عبد الرحمن رمضان، ، الطبعة الثانية الناشر: دار الفكر ، دمشق، ١٤٠٦هـ، ١١٢/١.

(٥) الغزالي: أحمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، أبو حامد، حجة الاسلام: فيلسوف، متصوف، له نحو مئتي مصنف. ولد في الطابران- قصبة طوس- بخراسان عام ٤٥٠هـ وتوفي فيها عام ٥٠٥هـ، رحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر، وعاد إلى بلدته. نسبته إلى صناعة الغزل له تصانيف عديدة منها إحياء علوم الدين، تهافت الفلاسفة، الاقتصاد في الاعتقاد، فضائح الباطنية وغيرها.(انظر: الأعلام ، للزركلي، ٢٢/٧).

(٦) المستصفى في علم الأصول:أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، الطبعة الاولى، ١٤١٣هـ، ١٦٤/١.

الرسول صاهر هؤلاء لاستقامتهم ظاهراً وباطنا في حياته وبعد مماته وإما أن يكونوا على خلاف ذلك في حياته وبعد موته ، فإن كانوا على غير الاستقامة مع هذا القرب فأحد الأمرين لازم ، إما عدم علمه بأحوالهم ، أو مداهنته لهم ، وأيًّا كان ، فهو من أعظم القدح في الرسول ﷺ –والعياذ بالله–، وإن كانوا انحرفوا بعد الاستقامة ، فهذا خذلان من الله للرسول في خواص أمته، وأكابر أصحابه ، ومن وعد أن يظهر دينه على الدين كله ، فكيف يكون أكابر خواصه مرتدين ؟ فهذا ونحوه من أعظم ما يقدح به الإمامية في الرسول ﷺ[1].

٢. كذلك علم أن علي ﷺ قد صاهر عمر و زوجه ابنته أم كلثوم، وكذلك قد سمى بنات علي ﷺ كلهم أبنائهم بعمر وأبو بكر[2]، أفكان ذلك برضى منهم واختيارهم ومحبتهم لهم وعلمهم بفضلهم ،أم كان ذلك عن غير إرادتهم وهذا غير معقول إذ كيف يسمي أحد أبنائه بأسماء ألد أعدائه وكيف يصاهر مؤمن كافر على حسب زعمهم ومن المصاهر الإمام المعصوم فيكون بذلك قد خالف أمراً من أوامر الله لأنه زوجة مؤمنة لكافر وهذا محال لأنه معصوم وهذا من أعظم الأدلة على فساد ما ذهبوا إيه من تكفيرهم للصحابة[3].

ولكن لما تأمل الشيعة هذا الدليل حاولوا إبطاله فرووا عن زرارة عن أبي عبد الله –عليه السلام– في تزويج أم كلثوم من عمر فقال:إن ذلك فرج غصبناه[4]. فوقعوا بأشر من تكفير الصحابة، بأن قدحوا في أئمتهم علي بن أبي طالب والحسن والحسين ﷺ بأنهم لا يدافعون عن عرضهم ، ويقرون الفاحشة في أهلهم وهذا من أعظم القدح في الأئمة، التي تنسب لهم الرافضة صنعهم المعجزات لإثبات إمامتهم، ولا يستطيعون أن يحركوا ساكناً لأجل ابنتهم وأختهم، سبحانك اللهم هذا بهتان عظيم[5].

٣. من المعلوم المقطوع به من وقائع التاريخ، وأحداثه المستفيضة المعلومة بالتواتر حال الصحابة وأنهم لم يؤثروا على الله شيئًا ، فقد بلغ المكروه بهم كل مبلغ، وبذلوا النفوس في الله حتى أيد الله تعالى بهم نبيه ، وأظهر بهم دينه ، فكيف يسوغ الطعن فيهم من لم يبلغ رتبتهم ولو ساعة من عمره ؟ أم كيف يجترىء على سبهم وانتقاصهم من يزعم أنه مسلم ؟ ومن يراجع أحداث السيرة وما لقي رسول الله وصحبه من أذى واضطهاد ،حتى رمتهم العرب عن قوس واحدة، وتحملوا اضطهاد قريش في بطحاء مكة، وقاسوا مرارة المقاطعة وشدة الحصار في الشعب، وعانوا من فراق الوطن والأهل والعشيرة فهاجروا إلى الحبشة،

---

(١) منهاج السنة النبوية : لابن تيمية ٤٥٩/٧.

(٢) مختصر التحفة الاثنا عشرية: شاه عبد العزيز غلام حكيم الدهلوي، اختصره وهذبه: محمود الألوسي، ص٣٠٩-٣١٠.

(٣) انظر: مصادر التلقي وأصول الاستدلال العقدية عند الشيعة الإمامية، إيمان العلواني، ص ٣٩٢، ص٣٩٦.

(٤) انظر: فروع الكافي: الكليني، كتاب النكاح، باب تزويج أم كلثوم ، حديث رقم :١، ٣٤٦/٥.قال المجلسي: الحديث حسن (مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول : المجلسي، ٤٢/٢٠).

(٥) انظر: مصادر التلقي وأصول الاستدلال العقدية عند الإمامية : إيمان العلواني ، ص٣٩٧.

والمدينة، وقاموا بأعباء الجهاد وتضحياته، وحاربوا الأهل والعشيرة إلى آخر ما هو مشهور ومعلوم من حالهم ، وكذا من يتأمل شيئًا من هذه الأحوال ، يعرف عظمة ذلك الجيل، وقوة إيمانه ، وصدق بلائه[1]

٤. إن الذين نقلوا لنا تزكية الصحابة هم الذين نقلوا لنا القرآن الكريم، وأركان الدين، وإيمان أصحابه ابتدءا بأبي بكر وإخوانه الخلفاء الراشدين عمر وعثمان وعلي وانتهاء بآخر صحابي، فإن قبلنا نقلهم القرآن وأركان الدين وجب أن نقبل تزكيتهم، وإن لم نقبل كانت النتيجة عدم القبول بالدين كله فلا داعي أن يدعي الإسلام.

٥. كذلك إن الذين تستثنيهم الرافضة من الصحابة بزعم أنهم لم يوالوا أبا بكر وعمر وعثمان ووالوا علياً ﷺ وقالوا بإيمانهم أمثال سلمان الفارسي وعمار والمقداد كانوا عمال وقادة الجيوش في عهد عمر وعثمان ، فسلمان الفارسي كان والي عمر على المدائن في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ ، وعمار الوالي على الكوفة ، والمقداد كان من قادة غزوة قبرص في عهد عثمان ﷺ ، وعلى ذلك يكونوا قد والوا الكفار على علي، فيبطل تعديلكم لهم ويكونوا كسائر إخوانهم من الصحابة الذين أجريتم عليهم ألسنة الكفر – والعياذ بالله–[2].

بل إن علياً ﷺ قد استخلفه أبو بكر على المدينة أثناء حربه على المرتدين، وكان علياً ﷺ يصلي وراء أبي بكر وعمر وعثمان، فيلزم من ذلك أن تكون صلاة علي ﷺ ورائهم باطلة لأنهم كفار، أو أن يكون هؤلاء مؤمنون أعدل العدول لإمامتهم خير المسلمين وهذا هو الصحيح.

٦. كذلك من المعلوم بالضرورة أنَّ هذا الدين قد احتاج مذ أتى النبي ﷺ به إلى من يحمله ، ويبلغه إلى الناس بالحجة والبيان ، فإذا لم يكن الجيل الأول من الأمة الإسلامية، والذي قد مدحه الله سبحانه وتعالى، وزكاه نبي الله ﷺ أهلاً لحمل هذا الدين وتبليغه للناس كافة، فمن يكون أهلاً إذن ؟ وأين هو[3] ؟!

٧. كذلك الطعن في الصحابة وتكفيرهم يترتب عليه آثار وأمور عظيمة منها:

أ- الشك في القرآن الكريم وتكذيبه لأنه أثنى عليهم ومدحهم في عشرات الآيات.

ب- اتهام الله تعالى بأنه لم يختر لنبيه أصحاباً يحفظونه من بعده.

ت- اتهام نبينا بأنه لم ينجح في تربية أصحابه، وغرس العقيدة في نفوسهم.

ث- نزع الثقة بكل ما نقله الصحابة من هذا الدين.

ج- إبطال الدين الذي أراده الله جل وعلا ليكون ديناً أبدياً إلى قيام الساعة؛ لعدم توافر النقل المأمون.

---

(١) مصادر التلقي وأصول الاستدلال العقدية عند الإمامية : إيمان العلواني: ص ٣٩٣.

(٢) انظر: المرجع السابق: ص ٣٩٣.

(٣) المرجع السابق: ص ٤٠٢.

المطلب الثاني: موقف الاثنا عشرية من رواة الحديث من الصحابة.

الشيعة لا تثق بأحد من صحابة رسول الله ﷺ، لا بالسابقين الأولين بالإسلام ولا بمن تأخر منهم، لا برواة الحديث ولا بغيرهم، إذ أنَّ موقفهم منهم قائم على التكفير والتكذيب واللعن، وإذا كان الشيعة الأوائل كانوا يفترون الكذب من الروايات التي تفيد بكفر الصحابة وتكذيبهم لإقناع عوامهم، فإنَّ الشيعة المعاصرين قد انصرفوا إلى تأليف الكتب والمؤلفات في إثبات عدم عدالة الصحابة بل وكفرهم، فمن هذه المؤلفات كتاب الصحابة في حجمهم الحقيقي للهاشمي بن على، والصحابة لعلي الميلاني، والصحابي وعدالته لمرتضى العسكري إلى غير ذلك من المؤلفات، كما ألفت مؤلفات أخرى لمن اشتهر من الصحابة في رواية الحديث ، كان الهدف منها التشكيك في عدالتهم وتكذيبهم فيما رووا عن رسول الله ﷺ، ومن ثم التشكيك في سنة رسول الله ﷺ التي نقلها لنا الصحابة رضي الله عنهم، ولكي تتضح الصورة أكثر أنقل هنا نماذج من أقوال علماء الاثنا عشرية تبين موقف الشيعة من الصحابة ومروياتهم عموماً، ثم أتبعه بنماذج أخرى تبين موقفهم من كبار رواة الحديث على وجه الخصوص وهي في التالي:

يقول الشيعي الهاشمي بن علي صاحب كتاب الصحابة في حجمهم الحقيقي:" إنّ الباحث المتجرّد سيكتشف أنّ الصحابة هم أوّل من خالف الله ورسوله ولم يكونوا جميعاً مطيعين متهالكين في طاعتهﷺ كما يدّعي البعض، وإليك غيض من فيض من هذه المخالفات..."[(1)]، ثم نسج هذا الأفاك من الأكاذيب في ذلك محاولاً قلب الحقائق الواضحة وضوح الشمس من معاناتهم من فجر الإسلام رضوان الله عليهم وتهالكهم وإقبالهم على طاعة رسول الله ﷺ، وكأنه يريد أن يقول لنا هؤلاء لم يهاجروا مع رسول الله ﷺ ولم ينصروه بأنفسهم وأموالهم ولم يتركوا ديارهم لأجل الله ورسوله ﷺ، ولم يفتحوا البلاد بعد رسول الله ، ولم يحاربوا المرتدين بعد وفاة رسول الله ، ولم يصونوا الدين بل حرفوا كتابه، وكذبوا على رسول الله هذه هي الحقائق لدى الاثنا عشرية؟!!!.

ويقول حسين العاملي:" وبالجملة لما رأينا الإله العظيم ورسوله الكريم قد مدحا أهل البيت، وأمرنا بالتمسك بهم كما ذكرناه وذما عامة أصحابه، ونص على ارتدادهم بعده بما نقلناه ازددنا تمسكاً بأهل البيت المطهرين الذي أخبر النبي صلى الله عليه وآله أن المتمسك بهم لن يضل أبداً، ونقلنا أحاديثهم وأخذنا معالم شرعنا عنهم ورفضنا عامة أصحابه، وطرحنا ما تفردوا بنقله، إلا من علمنا منه الصلاح كسلمان والمقداد وعمار بن ياسر وأبي ذر وأشبهاهم من أتقياء الصحابة وأجلائهما لمقررين في كتب الرجال عندنا"[(2)].

ويقول هاشم معروف الحسيني في الصحابة ﷺ:" إن كثير منهم قد أسرفوا في ارتكاب المعاصي والمنكرات، وخالفوا الضرورات من دين الإسلام ...وثبوت العدالة والقداسة لكل من رآه أو سمع حديثه، أو

---

(١) الصحابة في حجمهم الحقيقي: الهاشمي بن على ، الطبعة الأولى ، الناشر: مركز الأبحاث العقائدية، ١٤٢٠هـ، ص٣٩.

(٢) وصول الأخيار إلى أصول الأخبار: حسين العاملي ، تحقيق: عبد اللطيف الكوهكمري، الناشر: مجمع الذخائر الإسلامية، الطبعة الأولى، قم، ١٤٠١هـ ، ص٨٤.

أدرك عصره، ولو طفلا صغيرًا مهما صنع بعد ذلك من المنكرات، واقترف من الذنوب والآثام كما جرى ذلك لكثير منهم ، فهو نوع من التهويش والتضليل الذي لا يقره المنطق ، بل ولا العقل ، ولا تؤيده تلك النصوص ، ولو من بعيد ؛ ذلك لأن من وصفهم الله بتلك الآيات بالشدة على الكفار ، والركوع والسجود ، والهجرة والجهاد ، وغير ذلك من الأوصاف لا ينكر أحد فضلهم ، ولا يتردد في عدالتهم ، ومن المعلوم أنَّ الذين عاصروا الرسول ، ورووا حديثه ، بل وحتى الذين ناصروا دعوته لم تتوفر في أكثرهم تلك الصفات التي اشتملت عليها الآيات الكريمة ، بل من بينهم المنافق ، والفاسق ، والمتخاذل ، والمتستر بالإسلام خوفًا أو طمعًا ، ومن ينتظر الفرص ، ويراقب الظروف ، ويهيئ المناسبات ليقف بدوره في وجه تلك الدعوة المباركة ، ولو بالفتك بالرسول إذا اقتضى الأمر.."(١)

ويقول مرجع الشيعة السابق وزعيم الحوزة العلمية في العراق أبو القاسم الخوئي:" إنّ بعض الصحابة لم يؤمنوا بالله طرفة عين ، وإنما كانوا يظهرون الشهادتين باللسان، وهو ﷺ مع علمه بحالهم لم يحكم بنجاستهم ، ولا بكفرهم..."(٢).

بينما يطلع علينا صدر الدين الشيرازي ليبين لنا عدالة الصحابة من عدمها فيقول:" حكم الصحابة عندنا في العدالة حكم غيرهم، ولا يتحتم الحكم بالإيمان والعدالة بمجرد الصحبة ، ولا يحصل بها النجاة من عقاب النار وغضب الجبار إلا أن يكون مع يقين الإيمان ، وخلوص الجنان ، فمن علمنا عدالته ، وإيمانه ، وحفظه وصية رسول الله في أهل بيته ، وأنه مات على ذلك كسلمان ، وأبي ذر ، وعمار واليناه ، وتقربنا إلى الله تعالى بحبه ، ومن علمنا أنه انقلب على عقبه ، وأظهر العداوة لأهل البيت – عليهم السلام – عاديناه لله تعالى ، وتبرأنا إلى الله منه ، ونسكت عن المجهولة حال"(٣)

ويلخص لنا عالمهم الشيعي عبد الهادي الفضلي موقفهم بوضوح من مرويات الصحابة قائلاً:" ما هو موقفنا –نحن الإمامية– من مرويات أقوال الصحابة التي هي نتائج اجتهاد ورأي ؟ إن الموقف يتمثل في عدم جواز الأخذ بها ، للسببين التاليين:

الأول: وفرة الأحاديث المروية عن طريق أهل البيت التي تغطي كل مسائل الفقه، وحيث تتوفر النصوص الشرعية لا يلتجأ إلى اجتهاد الرأي.

الثاني: منع أئمة أهل البيت عليهم السلام من الأخذ باجتهاد الرأي ، وشجبه بكل قوة "(٤).

من خلال ما سبق لم يعد حاجة لتفصيل القول في موقف الشيعة عن كل راوي من رواة الحديث من الصحابة على حدا ،ولكن لنبين كيف يعمل علماء الاثنا عشرية لهدم المصدر الثاني من مصادر التشريع لدى المسلمين، عن طريق القدح في كبار الرواة من الصحابة الذين لازموا النبي ﷺ في كل مواقفه وانقطعوا إليه ودعى لهم ﷺ بالحفظ والفقه ومات وهو راض عنهم، فقد اخترت من هؤلاء

(١) دراسات في الحديث والمحدثين: هاشم معروف الحسيني ، ص٧٠-٧٦.

(٢) كتاب الطهارة: أبو القاسم الموسوي الخوئي ، الطبعة الثالثة ، الناشر: دار الهادي، ١٤١٠هـ ، ٦٩/٣.

(٣) الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة: صدر الدين علي خان الشيرازي، ص ١١.

(٤) دروس في أصول فقه الإمامية: عبد الهادي الفضلي ، ص١٧٦-١٧٨.

الصحابة رضي الله عنهم الصحابي الجليل أبوهريرة ﷺ، كونه أكثر الرواة روايةً للحديث عن رسـول الله ﷺ، ولاشتمال أحاديثه على أصول الدين وفروعه.

أولاً: سيرة أبو هريرة ﷺ:

أسلم أبو هريرة ﷺ في السنة السابعة للهجرة، وشهد مع النبيﷺ غزوة خيبر[1]، وصحب النبيﷺ مدة تزيد على أربع سنوات [2]، ولقد صح عنه ﷺ أنه قال:" إنكم تزعمون أن أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله ﷺ، والله الموعد، إني كنت آمراً مسكيناً أصحب رسول الله ﷺ على ملء بطني، وكان المهاجرون يشغلهم الصفق بالأسواق، وكانت الأنصار يشغلهم القيام على أموالهم، فحضرت من النبي ﷺ مجلساً، فقال: "من يبسط رداءه حتى أقضي مقالتي، ثم يقبضه إليه، فلن ينسى شيئاً سمعه مني، فبسطت بردة علي حتى قضى حديثه، ثم قبضها إلي، فوالذي نفسي بيده ما نسيت شيئاً سمعته منه بعد"[3]، فبفضل ملازمته للنبي ﷺ طوال فترة الأربعة أعوام التي قضاها معه ودعائه له ﷺ ، وأخذه مما فاته من سماعه عن النبي ﷺ من الصحابة أمثال أبو بكر وعمر وأسامة بن زيد وعائشة رضي الله عنهم [4] ، وتفرغه للعلم والحفظ وتأخر وفاتهﷺ إلى ما بعد سنة خمسين هجرية، كان من أكثر الصحابة رواية لحديث رسول الله ﷺ ، فقد روى عنه نحو خمسة آلاف وثلاثمائة وأربعة وسبعين حديثاً مسنداً -٥٣٧٤- [5] ، ولقد شهد له الصحابة الكرام بحفظه وعلمه أمثال عبد الله بن عمر وطلحة بن عبيد الله رضي الله عنهم وأنه سمع من النبي ما لم يسمعوه[6]، ولقد روى عنه أكثر من عشرين صحابياً، ومئات من ثقات التابعين رضي الله عنهم فقد روى عنه أكثر من ثمان مائة راو[7]، مع كثرة ما روى عنه من الصحابة والتابعين وسيرته العطرة ﷺ نرى فيها مدى عدالته ، ويكفيه عدالة أنه داخل ضمن الآيات التي ترضى عن الصحابة وتشيد بهم.

ثانياً: التحقيق في أحاديث أبي هريرة:

كما ذكرنا سابقاً بأن الأحاديث المنسوبة لأبي هريرة بلغت خمسة آلاف وثلاثمائة وأربعة وسبعون-٥٣٧٤-حديثاً، وعند التحقيق في عدد أحاديثه بدون الأحاديث المكررة نجد أنها أقل من الثلث ولقد تتبع الدكتور محمد عبده يماني أحاديث أبا هريرة فخرج بنتائج هامة تقطع الطريق أمام المشككين في عدالة

---

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة ذات الرقاع، حديث رقم:(٤١٣٥).و تذكرة الحفاظ: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤١٩هـ -١٩٩٨م، ٢٨/١.

(٢)انظر: الإصابة في تمييز الصحابة: أحمد بن على بن حجر أبو فض العسقلاني، الناشر: دار الجيل ، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ،٤٣٤/٧.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام، باب الحجة على من قال إن أحكام النبي كانت ظاهرة...،حديث رقم:(٧٣٥٤)

(٤) سير أعلام النبلاء : الذهبي ، ٦٢٩/٢،

(٥) سير أعلام النبلاء : الذهبي ، ٦٣٢/٢.

(٦) الإصابة في تمييز الصحابة: ابن حجر، ٤٣٨/٧.

(٧) انظر: الإصابة :ابن حجر ، ٤٤١/٧، وتذكرة الحفاظ: الذهبي، ٢٩/١

أبي هريرة ﷺ حيث قال:" قمت بنفسي بالتحقق من هذه المسألة – كثرة رواياته– بواسطة فريق مختص في الحاسب الآلي ظهرت لنا حقائق مهمة عن روايات أبي هريرة، فعندما تتبعنا رواياته وجدنا أن هناك ما يزيد عن ثمانمائة صحابي وتابعي رووا عنه الحديث وكلهم ثقات، لكن القضية الأساسية التي أفادتنا عند استخدام الحاسب الآلي هي انه عندما أدخلت هذه الأحاديث المروية في كتب الحديث الستة وجدنا أن أحاديث أبي هريرة بلغت٥٣٧٤ حديثاً ، ثم وجدنا بعد الدراسة بواسطة الكومبيوتر أن المكرر منها هو ٤٠٧٤ ،وعلى هذا يبقى العدد غير المكرر ١٣٠٠ وهذا العدد تتبعناه فوجدنا أن العديد من الصحابة قد رووا نفس هذه الأحاديث من غير طريق أبي هريرة هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى وبعد أن قمنا بحذف الأحاديث التي رويت من غير طريق أبي هريرة في كتب الصحاح الستة وجدنا أن ما انفرد به أبو هريرة ولم يروه أي صحابي آخر هو اقل من عشرة أحاديث[١].

ثالثاً: موقف الاثنا عشرية من أبي هريرة ﷺ:

لم تمنع صحبة أبو هريرة لرسول الله وخدمته له، وحمله لسنته ولا ثناء إخوانه من الصحابة رضي الله عنهم ولا إشادة التابعين به، لم يمنع كل ذلك الرافضة من النيل منه وكيل الاتهامات عليه وإثارة الشبهات الباطلة حوله، وإسقاطه من دائرة الصحبة، ولكي يكتمل ذلك لهم، عكف عدد من علمائهم على دراسة سيرة أبو هريرة وإثارة الشبهات حولها، ولقد أُلف لأبي هريرة كتب خاصة سميت باسمه تكفره وتشتمه ويختلق أصحابها الأكاذيب والافتراءات ضده، من هذه الكتب: كتاب أبو هريرة، وشيخ المضيرة أبو هريرة[٢]،كل ذلك لزرع الشك في صحة مروياته، ومن خلال ذلك يتم التشكيك في كل كتب السنة التي وردت فيها هذه الروايات.

يقول الشيعي عبد الحسين شرف الدين الموسوي في كتابه أبي هريرة:" هذه دراسة لحياة صحابي روى عن رسول ﷺ فأكثر حتى أفرط وروت عنه صحاح الجمهور وسائر مسانيدهم فأكثرت حتى أفرطت أيضاً، ولا يسعنا إزاء هذه الكثرة المزدوجة إلا أن نبحث عن مصدرها لاتصالها بحياتنا الدينية والعقلية اتصالا مباشراً ولولا ذلك لتجاوزناها وتجاوزنا مصدرها إلى ما يغنينا عن تجشم النظر فيها وفيه. ولكن إسالات هذه الكثرة قد استفاضت في فروع الدّين وأصوله فاحتج بها فقهاء الجمهور ومتكلموهم في كثير من أحكام الله عز وجل وشرائعه ملقين إليها سلاح النظر والتفكير، ولا عجب منهم في ذلك بعد بنائهم على أصالة العدالة في الصحابة أجمعين، وحيث لا دليل على هذا الأصل، لم يكن لنا بد من البحث عن هذا المكثر نفسه وعن حديثه كماً وكيفاً لنكون على بصيرة فيما يتعلق من حديثه بأحكام الله فروعاً وأصولا وهذا ما اضطرنا إلى هذه الدراسة الممعنة في حياة هذا الصحابي وهو أبو هريرة وفي نواحي

---

(١) موقع: مداد القلم، مقالة بعنوان أبو هريرة أمانة الرواية وصدقها ، د. محمد عبده يماني، www.midadulqalam.info/midad/modules.php?file.... (بتاريخ٥/١١/٢٠٠١)

(٢) انظر: أبوهريرة: عبد الحسين شرف الدين الموسوي ، الناشر: مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر ، قم إيران ،و شيخ المضيرة أبوهريرة: محمود أبورية ، الطبعة الثالثة ، الناشر: منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت– لبنان ، ١٣٨٥هـ.

حديثه وقد بالغت في الفحص وأغرقت في التنقيب حتى أسفر وجه الحق في كتابي هذا وظهر فيه صبح اليقين"[١].

يتضح من خلال كلام عبد الحسين أن الهدف من هذه الدراسة النيل من أبي هريرة ومن ثم النيل من كل فروع الدين وأصوله وذلك لأنه:

١. أكثر من روى عن رسول ﷺ.
٢. لاشتمال أحاديثه على أغلب أمور الدين من عقائد وعبادات ومعاملات وسلوك وأخلاق وغير ذلك.

أما عن النتيجة التي توصل إليها ذلك الكاتب من خلال دراسته لشخصية أبي هريرة هو كفره وخلوده في النار، قائلاً:" ولنختم إملاءنا هذا بكلمتين لرسول ﷺ تتعلقان بأبي هريرة ضربهما النبي ﷺ على غرار فذ من أغرته الحكيمة في التدليل على زيغ الزائغين والتحذير منهم. الكلمة الأولى يشترك فيها أبو هريرة والرحال بن عنفوه والفرات ابن حبان؛ وذلك أنهم خرجوا ذات يوم من مجلسه الشريف، فقال ﷺ مشيراً إليهم لضرس أحدكم في النار أعظم من أحد، وأن معه لقفا غادر ، فكان أبو هريرة والفرات يقولان بعدها فما أمنا بعد هذا حتى ارتد الرحال وقتل مع مسيلمة الكذاب.، قلت: كأنهما كانا يحاولان تأويل الحديث فيجعلان المراد منه واحداً منهم بعينه وهو الرحال بقرينة التحاقه بعد النبي ﷺ وقتله مرتداً، وهذا تضليل عن الحقيقة المتبادرة من الحديث عند إطلاقه"[٢] .

أما عن السباب والشتائم لهذا الصحابي الجليل فهي كثيرة، بل هي عندهم من التقرب إلى الله وإعلاء لكلمة الله.

فيروي المجلسي في بحاره عن ابن عمارة عن أبيه، قال : سمعت جعفر بن محمد عليهما السلام يقول : ثلاثة كانوا يكذبون على رسول الله ﷺ: أبو هريرة ، وأنس بن مالك ، وعائشة"[٣].

ويرى محمود أبورية أن علي ﷺ كان يعده من أكذب الناس فيقول:" كان علي سيء الرأي فيه، فقد روى عنه أنه قال : ألا إن أكذب الناس أو قال :أكذب الأحياء على رسول الله لأبي هريرة الدوسي. وقال مرة: لا أحد أكذب من هذا الدوسي على رسول الله"[٤] وهذا ما ذهب إليه محمد صادق الصدر في كتابه الشيعة الإمامية[٥] .

ولقد عد الشيعي الهاشمي بن على أن أبا هريرة كان مخرفاً وليس محدثاً وأن أحاديثه زخرف من الكلام المخالف للكتاب والسنة والعقل ، ولا يمكن أن يكون كلامه كلام شخص عاقل فضلاً عن

---

(١) أبو هريرة:عبد الحسين الموسوي، المقدمة .

(٢) المصدر السابق : ص ٢١٣.

(٣) بحار الأنوار: المجلسي ، باب ما ورد في جميع الغاصبين والمرتدين مجملاً، ما ورد في عائشة وحفصة وبني أمية، حديث رقم:١٥٥، ٦٣٩/٣١.

(٤) شيخ المضيرة أبو هريرة :محمود أبورية ، ص١٣٥، الناشر: منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، الطبعة الثالثة، بيروت –لبنان، وانظر : شرح نهج البلاغة :لابن ابي الحديد ، ٣٦٠/١.

(٥) الشيعة الإمامية : محمد صادق الصدر ، ص١٤٣.

نبي[١]، ثم ذكر هذا الكاتب مجموعة من الأحاديث وتعليقه عليها، منها ما رواه أبو هريرة:" أنّ النبيّ ﷺ قال: إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه ثم لينزعه، فإنّ في إحدى جناحيه داء والأخرى شفاء، فيعلق الهاشمي قائلاً:" لم يذكر لنا أبو هريرة أي نوع من الذباب يقصد، هل الذباب الأزرق أم الذبابة اللّولبيّة أم ذبابة الـ تسي تسي؟!.

بينما نرى شيخهم محمد صادق النجمة يصف أبو هريرة من أعضاء مؤسسة معاوية لوضع الحديث فيقول:" إن أبا هريرة من أعوان معاوية وأصحابه ومن أعضاء مؤسسته لوضع الحديث، وهو من جملة أولئك الذين رووا المطاعن في الإمام علي عليه السلام وأهل بيته عليهم السلام ، وحكوا الفضائل والمناقب لمعاوية والخلفاء الثلاثة، وكان أبو هريرة من الذين اتهموا في زمانه بالكذب وإكثار الحديث، ولكنه كان يتدارك التهم ويبرئ نفسه منها في كل فرصة تسنح له"[٢].

ومؤسسة وضع الحديث برأي النجمة تتكون من:" أم المؤمنين عائشة ،و أبي هريرة ، أنس بن مالك ، وعبد الله بن عمر، و عبد الله بن عمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، وعمرو بن العاص، وسمرة بن جندب"[٣].

المناقشة:

نستنتج من دراسة علماء الشيعة لشخصية أبي هريرة بأن محور دراستهم التشكيكية، كانت تدور حول ثلاث مسائل هي:

١. قولهم إن مرويات أبي هريرة بلغت أكثر من خمسة آلاف حديثاً.
٢. إن هذه الكثرة من الروايات انفرد بها أبو هريرة.
٣. قولهم بقصر مدة صحبة أبو هريرة لرسول الله ﷺ فكيف يكون قد روى عنه هذه الكثرة من الأحاديث؟.

ومن خلال هذه المسائل توصلوا إلى اتهام أبي هريرة بالكذب على رسول الله ﷺ.

وفي الحقيقة إنّ جلالة قدر أبي هريرة وصحبته لرسول الله ﷺ وصدقه في الرواية عن رسول الله ﷺ ، لا تحتاج ليدافع عنها إنسان، فالله هو الذي يدافع عن المؤمنين قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ [الحج:٣٨] ، فهو سبحانه يصنع من خلقه من يدافع عن أصحاب رسول الله ﷺ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، فكلما أثار هؤلاء الفساق الزنادقة التشكيك في الصحابة الكرام أرسل الله من يبطل تلك الشبهات ، ويظهر مدى عظمة أصحاب رسول الله ﷺ.

ونحن لا نريد أن نذكر الروايات والآثار في فضل أبي هريرة وقوة حفظة ومدارسته الحديث مع إخوانه من الصحابة وتلقيه منهم ما فاته من أحاديث رسول الله ﷺ، ولا نريد أن نسرد دعاء النبي ﷺ له

---

(١) انظر: الصحابة في حجمهم الحقيقي :الهاشمي بن على ،ص٧٤.
(٢) أضواء على الصحيحين: محمد صادق النجمة، ص١٠٠.
(٣) المصدر السابق : هامش ص٢٣.

بالحفظ والعلم فقد أغنانا عدد من الباحثين في سرد تلك الفضائل والدفاع عنه[1]، ولكن نقول بكلمات قليلة، لكل من بحث من الشيعة في شخصية أبي هريرة كراوياً للحديث، هل تتبعتم روايات أبي هريرة وأعدادها دون المكرر منها، وهل تتبعتم من شاركه فيها من الصحابة، وكم هي الأحاديث الصحيحة التي رواها أبوهريرة ، ثم بعد ذلك يتم الحديث عن شخصية أبي هريرة ومنزلته بين الصحابة دون الاعتماد على الروايات الموضوعة والضعيفة، ومن ثم الخروج بالنتائج عن تلك الدراسة؟، هذه هي الدراسة الحقيقية لمن أراد أن يدرس شخصية أبي هريرةﷺ وغيرها من الشخصيات، أما أن يطلق علماء الشيعة العنان للتهم والسباب دون دليل ولا برهان فهذا بين البطلان، فكل من له عقل يدرك بأن أصحاب تلك التهم فاسدّي العقل تابعين لهوى أسسوه من أنفسهم، ولا يحتاج لأن يقام عليهم برهان لبيان فساد قولهم، ولكن تبصرة للحق وبما ظهر من العلم الحديث من وسائل علمية حديثة وكذلك اكتشافات علمية تثبت صدق أبي هريرة و صحة أحاديثه عن رسول الله ﷺ ووصول بعض ما رواه إلى مرتبة الإعجاز، فإنه لا بد أن نبين فساد ما افتراه الشيعة على أبي هريرة من خلال النقطتين التاليتين:

أولاً: من خلال دراسة علمية دقيقة أجراها عدد من الباحثين على عدد أحاديث أبو هريرة في الكتب الحديث الستة تبين الأتي:

١. إجمالي عدد أحاديث أبو هريرة في تلك الكتب هو ٥٣٧٤حديثاً مع المكرر، وإجمالي عدد أحاديثه بدون المكرر ١٣٠٠. أي أن ما رواه أبو هريرة عن رسول الله ﷺ١٣٠٠حديث فقط.

٢. بعد تتبع أحاديث أبي هريرة تبين أن أغلب أحاديث أبي هريرة شاركه فيها صحابي أو أكثر في رواياتها ، وهذا يعني أن أحاديث أبي هريرة رويت من طرق أخرى وهذا عند من له علم بعلوم الحديث يرفع من شأن أحاديث أبي هريرة ويزيدها قوة.

٣. عدد الأحاديث التي انفرد بها أبو هريرة ولم يشاركه فيها صحابة آخرون هي ثمانية أحاديث فقط[2] .

وبناءً على هذه الدراسة فإن أبا هريرة يعتبر من المقلين في الرواية عن رسول الله ﷺ، فطوال فترة ملازمته لرسول الله ﷺ والبالغة أربعة أعوام لم ينفرد سوى بثمانية أحاديث فقط .

ثانياً :الرد عليهم من خلال ما تضمنته أحاديث أبي هريرة من حقائق علمية استهزء بها الشيعة.

ومثال ذلك: المثال الذي ضربه الشيعي الهاشمي بن علي،- حديث سقوط الذباب في الشراب-، وزعم من خلاله أن أحاديث أبي هريرة ليس إلا زخرفاً من الكلام وأنه مخرفاً وليس محدثاً[3]، وقوله هذا ما هو إلا سلسلة من حلقات التشكيك التي خاضها أسلافه من المشككين بالسنة النبوية، حيث قال الخطابي عن أمثال هؤلاء: تكلَّم في هذا الحديث من لا خَلاَق له فقال : كيف يجتمع الشفاء و الداء في جناحي

(١) انظر: أبو هريرة صاحب رسول الله ﷺ وخادمه دراسة حديثية تاريخية هادفة ، د. حارث سليمان الضاري ، ، تقديم ا.د. عمر سليمان الأشقر ، ١٤٢٠هـ -١٩٩٩م ص٧ وما بعدها.

(٢)موقع: مداد القلم،مقالة بعنوان أبو هريرة أمانة الرواية وصدقها ، د. محمد عبده يماني، www.midadulqalam.info/midad/modules.php?file... (بتاريخ ٢٠١١/١١/٥).

(٣) الصحابة في حجمهم الحقيقي :الهاشمي بن على ، مركز الأبحاث العقائدية ،ص٧٤.

الذباب... ؟ و هذا سؤال جاهل أو متجاهل ، فإن كثيراً من الحيوان قد جمع الصفات المتضادة، وقد ألف الله بينها و قهرها على الاجتماع"[١].

وقد أجاب ابن الجوزي عن هذا السؤال إجابة قيمة قبل أن يأتي الطب الحديث فيؤكد على إجابته فقال:" و الذبابة تسحق مع الإثمد لجلاء البصر، و ذكر بعض حُذَّاق الأطباء أن في الذباب قوة سُمِّيَّة يدل عليها الورم والحكة العارضة عن لسعه و هي بمنزلة السلاح له، فإذا سقط الذباب في ما يؤذيه تلقَّاه بسلاحه، فأمر الشارع أن يقابل تلك السُمِّيَّة بما أودعه الله تعالى في الجناح الآخر من الشفاء، فتتقابل المادتان فيزول الضرر بإذن الله تعالى"[٢] .

ولقد جاءت الاكتشافات العلمية الحديثة تثبت صحة هذا الحديث وما حمل في طياته من سبق علمي أخبر به أبو هريرة عن رسول الله ﷺ قبل أربعة عشر قرناً، فقد أثبتت هذه الدراسة بأنه في إحدى جناحي الذبابة توجد كائنات دقيقة تغزو الجراثيم وتلتهمها، وتدعى: ملتهمات الجراثيم –بكتريوفاج–، وقد أسهم هذا الاكتشاف في ظهور علاج لعدد من الأمراض[٣]، وهناك بحث كامل حول هذا الحديث منشور ضمن كتاب اسمه الإصابة في صحة حديث الذبابة للدكتور خليل إبراهيم ملا خاطر تطرق فيه إلى الإعجاز الطبي في هذا الحديث، وهذا الاكتشاف لا يبرئ أبو هريرة فحسب بل يلقي بظلاله على إعجاز السنة النبوية التي رواها الصحابة الكرام.

كذلك يقال للشيعة من أحق أن يقدح في رواياته وتوجه إليه الكتابات لبيان حاله والتبرؤ منه وتحذير الناس من رواياته، من لازم النبي ﷺ طول فترة الأربعة سنوات ولم ينفرد سوى بثماني روايات رواها عن النبي ﷺ وبلغت أحاديثه درجة الإعجاز بشهادة الاكتشافات العلمية، أم من لاقى رجل من آل البيت ادعى إمامته لقاه يوماً واحداً وروى عنه سبعين ألف حديث أمثال جابر بن زيد الجعفي[٤]؟!،أم عن شاربي الخمور أم عن من كان كافر بالله منكر البعث والنشور، أم عن من لعنهم أئمة الشيعة أنفسهم وتبرؤوا منهم بشهادة روايات الشيعة، الذين تعدهم الشيعة من أوثق رواتها وروا آلاف الروايات، قال تعالى:﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾[القلم:٣٥-٣٦].

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري:ابن حجر العسقلاني،٢٥١/١٠- ٢٥٢.

(٢) المصدر السابق: ٢٥٢/١.

(٣) انظر: الأربعون العلمية صور الإعجاز العلمي في السنة النبوية المطهرة : عبد الحميد محمود طهماز ، الحديث الرابع والثلاثون.

(٤) انظر: وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة (الإسلامية): الحر العاملي ، ١٥١/٢٠.

المطلب الثالث: موقف الشيعة من الصحيحين.

وكما امتدت أيدي الاثنا عشرية وألسنتهم لتنال من الصحابة رواة الحديث، فقد امتدت أيديهم وألسنتهم أيضاً لتنال من الصحيحين وصاحبيهما، فقد عمد عدد من علماء الاثنا عشرية على دراسة الصحيحين وقاموا بتأليف المؤلفات للتشكيك بهما وزرع الشبهات حولهما، مثل: كتاب أضواء على الصحيحين ، والبخاري وصحيحة ، ونظرة عابرة إلى الصحاح الستة...إلى غير ذلك من المؤلفات والتي كان الهدف منها ثلاث أمور:

١. التشكيك في صحة الصحيحين عن طريق إيراد الشبهات حول صحتهما وتلبيس الحق بالباطل.

٢. إقناع عوام الشيعة بعدم صحة كتب الحديث لدى أهل السنة وتحذيرهم من الاطلاع عليها أوالأخذ بما جاء فيها.

٣. هدم السنة النبوية المصدر الثاني للتشريع، وفي هذا هدم للدين نفسه.

ولقد دأب هؤلاء العلماء على كيل الاتهام والسخرية والاستهزاء على الصحيحين وما جاء فيهما من أحاديث عن النبي ﷺ ، فهؤلاء الذين تجرأوا على أهل بيت النبي ﷺ ويفترون عليهم الكذب كيف لا يتجرءون على من هو دونهم.

فمثلاً صاحب كتاب أضواء على الصحيحين يرى بأن الداعي إلى البحث والتنقيب في الصحيحين أمرين: الأمر الأول: طول الفترة تدوين الحديث عند أهل السنة حيث بدأ بعد قرن واحد من تاريخ صدور الحديث عن رسول الله ﷺ ولم يكن هناك أي كتاب يعتمد عليه في التدوين، الأمر الثاني: ازدياد دواعي جعل الحديث والوضع ، وكثر الوضاعون على لسان النبيﷺ.

وبناءً على ذلك فقد حكم ذلك الكاتب على روايات الصحيحين بالضعف والوهن[1]

وأما عن الشبهات التي استطاع أن يتوصل إليها ذلك الكاتب بعد طول تنقيب في الصحيحين وحياة صاحبيهما والتي من خلالها حكم على أحاديث الصحيحين بالوهن والسقم فهي كما يلي:

١. ضعف بعض رجال الصحيحين وإنهم غير موثقين في علم الرجال: ومن الأمثلة على رواة الحديث الضعفاء عنده: أبو هريرة، وأبو موسى الأشعري، وعمرو بن العاص، وعبد الله بن الزبير، وعمران بن حطان.

٢. العصبية الشديدة التي تحلى بها مؤلفا الكتابين. ومن الأمثلة التي ساقها على ذلك عدم إيراد في صحيحيهما الأحاديث التي ترويها الشيعة في صحة إمامة علي مثل حديث غدير خم ، وكذلك أنه لم يروي عن الإمام جعفر الصادق في صحيحه مع أنه كان ممن عاصره.

٣. الفترة الزمنية الطويلة الممتدة بين زمن صدور الحديث وتاريخ تدوينه، مع النظر إلى دواعي وأسباب الجعل والوضع.

٤. ملاحظة كثرة الأحاديث المخالفة–كما يزعم– للأدلة العقلية والدينية فيهما[2].

---

(١) أضواء على الصحيحين : محمد صادق النجمي ، ص٦٠

(٢) انظر: المصدر السابق: ص٩٣-١٢٥.



أما بخصوص أحاديث الصفات فيرى صاحب الأضواء بأن جميع الأحاديث المروية في كتب أهل السنة حول التوحيد لم يكن سوى التجسيم والتشبيه، ولم يكن هناك حتى حديث واحد ينفي التجسيم ويخالف تلك الأحاديث مفهوما ومضمونا،فيقول:" وكما قلنا: إن التوحيد في هذه الكتب لـم يكـن سـوى التجسـيم والتشبيه"[1]، ويضيف قائلاً:" تبصرة للبصير : عرفنا مما نقلناه من الأحاديث التوحيدية في الصحاح الستة أن مضمون هذه الروايات يحكي لنا إمكان رؤية الله وإثبات المكان له ، وأنه تعالى ذو أعضاء وجـوارح مختلفة تماما كالموجود الطبيعي والمادي ، وأن علماء السنة يعتقدون في صفات الله حسب مـا تقتضـيه رواياتهم ويوصون أتباعهم بالاعتقاد بهذه الصفات والأفكار، ولا بد من الإذعان بأن منشأ هذا الانحـراف في العقيدة والضلالة عن الصراط المستقيم هو ما روته لهم هذه الأحاديث – التي يراهـا علمـاء السـنة صحيحة ومعتمدة – حول مسألة التوحيد التي هي الدعامة الأولى في العقيدة الدينية .وقد اعتـرف بهـذا الموضوع علماء السنة أنفسهم ، واستنادهم إلى هذه الأحاديث في بيان عقيدتهم مجمع عليه ، ونحـن فـي غنى عن تكرار البحث وعن ذكر الدلائل والشواهد الأخرى لأننا قد فصلنا البحث مسبقا وفي هذا الفصـل كذلك"[2] .

وتنتهي أضواؤه على الصحيحين بما استنتجه مؤلف الكتاب من عدم صحة الصحيحين حيث قـال:" نستنتج من المواضيع التي طالعناها معا ووافيناها لقارئنا العزيز ما ملخصه: إننا قد علمنـا حـال هـذين الكتابين اللذين اشتهرا بالصحيحين وتبينت لنا شخصية رواتهما ورجالهما، واتضح بعد ارتفاع الستار عما كان عليه مؤلفيهما من العصبية العمياء ،وفهمنا كيف قام البخاري بتقطيع وتسقيط للأحاديث ونقله بالمعنى ، وقد أثبتنا ذلك بالأدلة والشواهد المسلمة، وعرفنا أيضا مدى اعتبار الصـحيحين مـن حيـث الإسـناد وشخصية مؤلفيهما . وفي هذا الحال كيف يتصور أن يسمى كتابان بالصحيح"[3]

بينما نجد شيخهم حسين غلامي يتهم البخاري بأنه كان في طليعة مـن ضـبط أخبـار التشـبيه والتجسيم في صحيحه: حيث قال:" أخبار التجسيم والتشبيه ، فكان البخاري في طليعة مـن ضـبط هـذه الأخبار التي أخذها عن مشايخه دون واسطة...، فهؤلاء من هذه الطبقة التي أغدق عليها المتوكل بجوائزه لوضع الأخبار في الرد على أخبار المعتزلة والجهمية، إذ جلسوا يحدثون الناس فـي مسـجد الرصـافة ومدينة المنصور"[4].

وفي ختام ذكر تلك الأقوال، أذكر قول فقيه الشيعة وشيخهم حسين العاملي مبين موقف الشيعة مـن كل مرويات أهل السنة:" فصحاح العامة كلها وجميع ما يروونه غير صحيح"[5].

---

(١) المصدر السابق: ص١٨٥.

(٢) المصدر السابق : ص١٨٦.

(٣) المصدر السابق :ص١٢٦

(٤) البخاري وصحيحه : حسين غيب غلامي ، ترجمة كمال السيد، مركز الأبحاث العقائدية ، الطبعة الأولى ، قم – إيران ، ١٤٢٠هـ، ص ٣٥.

(٥) وصول الأخيار إلى أصول الأخبار : حسين بن عبد الصمد العاملي، ص٩٤.

المناقشة:

إن رد علماء الاثنا عشرية لأحاديث رسول الله ﷺ ولا سيما أحاديث الصحيحين منها، ما هو إلا حلقة من سلسلة حلقات رد السنة النبوية بالكامل، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية مبيناً حالهم في رد السنة:" ومع هذا يردون- أي الشيعة- أحاديث النبي ﷺ الثابتة المتواترة عنه عند أهل العلم مثل أحاديث البخاري ومسلم، ويرون أن شعر شعراء الرافضة: مثل الحميري، وكوشيار الديلمي، وعمارة اليمني خير من أحاديث البخاري ومسلم، وقد رأينا في كتبهم من الكذب والافتراء على النبي ﷺ وصحابته، وقرابته أكثر مما رأينا من الكذب في كتب أهل الكتاب من التوراة والإنجيل"(١).

ويبدوا أن واضعي الأصول الشيعية لم يضعوها إلا لمخالفة المسلمين ومخالفة الكتاب والسنة لكي لا يتفقوا مع المسلمين في يوم من الأيام(٢) ، لذلك اختلقوا روايات كثيرة على لسان أئمتهم ،توصي بمخالفة أهل السنة والجماعة وجعلوا ذلك أصلاً من أصول مذهبهم:

فقد روى ابن بابويه عن على بن أسباط أنه قال:" قلت للرضا عليه السلام: يحدث الأمر لا أجد بداً من معرفته، وليس في البلد الذي أنا فيه من أستفتيه من مواليك؟، قال: فقال: ائت فقيه البلد فاستفته في أمرك، فإذا أفتاك بشيء فخذ بخلافه فإن الحق فيه"(٣).

وروي عن الرضا أيضاً:" إذا ورد عليكم خبران متعارضان فانظروا إلى ما يخالف منهما العامة فخذوه، وانظروا بما يوافق أخبارهم فدعوه"(٤).

وروى الحر العاملي في فصوله عن جعفر الصادق أنه قال:" ما خالف العامة ففيه الرشاد"، وقال:" خذ بما فيه خلاف العامة" ، ونسب له كذلك قوله:" ما أنتم والله على شيء مما هم فيه، ولا هم على شيء مما أنتم فيه، فخالفوهم، فما هم من الحنيفية على شيء، وروي عنه أيضاً قوله:" والله ما بقي في أيديهم شيء من الحق إلا استقبال الكعبة فقط"(٥).

والروايات في هذا المعنى كثيرة بلغت حد التواتر كما أفاد بذلك الحر العاملي(٦)، لذا فلا عجب مما ذهب إليه علمائهم المعاصرين من محاولة لإثارة الشبهات حول الصحيحين، لأن في ذلك استكمالاً لمشوار أسلافهم، الذين رأوا الرشاد بمفارقة كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

وبياناً للحقيقة ودفعاً لشبهات الشيعة المعاصرين، فإنَّ الرد عليهم سيكون في الوجوه التالية:-

---

(١) مجموع الفتاوى: ابن تيمية، ٢٨/٤٨١

(٢) انظر: الرد الكافي على مغالطات الدكتور على عبد الواحد في كتابه بين الشيعة وأهل السنة: إحسان إلهي ظهير، ص١٠١.

(٣) عيون أخبار الرضا: الصدوق ابن بابويه، تحقيق: حسين الأعلمي، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤، ٢/٢٧٦.

(٤) الفصول المهمة في أصول الأئمة: للحر العاملي، تحقيق محمد بن محمد الحسين القائيني، الطبعة الأولى ، الناشر: مؤسسة معارف إسلامي إمام رضا ، قم، ١٤١٨هـ، ١/٥٧٨.

(٥) المصدر السابق: ١/٥٧٨.

(٦) المصدر السابق نفسه.

أولاً: لم تأت تسمية كتابي البخاري ومسلم بالصحيحين جزافاً من قبل العلماء، ولكن جاءت هذه الأحكام بعد دراسة واعية على بصيرة وهدى، فقد درس آلاف العلماء من الحفاظ وغيرهم أسانيد البخاري ومسلم دراسة مستفيضة ، وفحصوا أحاديثه أشد الفحص، فخروجوا بتأيد البخاري ومسلم في كل صحيحيهما، وأقوال العلماء في بيان عظمة الصحيحين وتلقي الأمة لهما بالقبول كثيرة نذكر منها ما يلي:

قال الإمام النووي(١):" اتفق العلماء رحمهم الله على أن أصح الكتب بعد القرآن العزيز الصحيحان البخاري ومسلم وتلقتهما الأمة بالقبول. وكتاب البخاري أصحهما وأكثرهما فوائد ومعارف ظاهرة وغامضة. وقد صح أن مسلماً كان ممن يستفيد من البخاري ويعترف بأنه ليس له نظير في علم الحديث"(٢).

وقال أبو المعالي الجويني(٣):" لو حلف إنسان بطلاق امرأته أن ما في كتابي البخاري ومسلم مما حكما بصحته من قول النبي ﷺ لما ألزمته الطلاق ولا حنثته لإجماع علماء المسلمين على صحتهما"(٤) .

وقال الشهرزوري:" جميع ما حكم مسلم بصحته من هذا الكتاب فهو مقطوع بصحته والعلم النظري حاصل بصحته في نفس الأمر وهكذا ما حكم البخاري بصحته في كتابه، وذلك لأن الأمة تلقت ذلك بالقبول سوى من لا يعتد بخلافه ووفاقه في الإجماع"(٥)

وقال ابن الصلاح:" أول من صنف في الصحيح، البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل وتلاه أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، ومسلم مع أنه أخذ عن البخاري واستفاد منه فإنه يشارك البخاري في كثير من شيوخه وكتاباهما أصح الكتب بعد كتاب الله العزيز "(٦).

وقال الشوكاني:" واعلم أن ما كان من الأحاديث في الصحيحين أو أحدهما جاز الاحتجاج به من دون بحث لأنهما التزما الصحة وتلقت ما فيهما الأمة بالقبول "(٧).

---

(١) النووي: يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني، النووي، الشافعي، أبو زكريا، محيي الدين: علامة بالفقه والحديث. ولد في نوا من قرى حوران بسورية عام ٦٣١هـ وتوفي بها عام ٦٧٦هـ، تعلم في دمشق، وأقام بها زمنا طويلا، من كتبه : رياض الصالحين، منهاج الطالبين، المنهاج في شرح صحيح مسلم، والتقري والتيسير.(انظر: الأعلام ، للزركلي، ١٤٩/٨).

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي: النووي، المطبعة المصرية بالأزهر، الطبعة الأولى ، ١٣٤٧هـ -١٩٢٩م، ١/ ١٤.

(٣) أبو المعالي الجويني: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين: أعلم المتأخرين، من أصحاب الشافعي. ولد في جوين من نواحي نيسابور عام ٤١٩هـ ورحل إلى بغداد، فمكة حيث جاور أربع سنين. وذهب إلى المدينة فأفتى ودرس، جامعا لطرق المذاهب. ثم عاد إلى نيسابور، فبنى له الوزير نظام الملك المدرسة النظامية فيها.وكان يحضر دروسه أكابر العلماء.(انظر: الأعلام للزركلي، ١٠٦/٤)

(٤) صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط وحمايته من الإسقاط والسقط: أبوعمر بن الصلاح، تحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، الناشر: دار الغرب الإسلامي ، ١٤٠٤هـ -١٩٨٤م، ٨٥/١-٨٦

(٥) المصدر السابق : ٨٥/١.

(٦) هدي الساري مقدمة فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، أحمد بن حجر العسقلاني ، ص٨ .

(٧) نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد ، الطبعة الأولى، الناشر: دار ابن القيم، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، ١١٩/١.

وقال الإمام النسائي:" ما في هذه الكتب كلها أجود من كتاب البخاري "[١].

وقال صديق حسن القانوجي:"أما الصحيحين فقد اتفق المحدثون على أن جميع ما فيهما من المتصل المرفوع صحيح بالقطع وأنهما متواتران إلى مصنفيهما ، وأنه كل من يهون أمرهما فهو مبتدع ، متبع غير سبيل المؤمنين"[٢].

وقال العلامة أحمد محمد شاكر:" الحق الذي لا مرية فيه عند أهل العلم بالحديث من المحققين وممن اهتدى بهديهم وتبعهم على بصيرة من الأمر: أن أحاديث الصحيحين صحيحة كلها . ليس في واحد منها مطعن أو ضعف. وإنما انتقد الدار قطني وغيره من الحفاظ بعض الأحاديث. على معنى أن ما انتقدوه لم يبلغ في الصحة الدرجة العليا التي التزمها كل واحد منهما في كتابه. وأما صحة الحديث في نفسه فلم يخالف أحد فيها. فلا يهولنك إرجاف المرجفين. وزعم الزاعمين أن في الصحيحين أحاديث غير صحيحة وتتبع الأحاديث التي تكلموا فيها أونقدها على القواعد الدقيقة التي سار عليها أئمة أهل العلم واحكم عن بينة . والله الهادي إلى سواء السبيل"[٣] .

وقال الشيخ الألباني:" ... كيف والصحيحان هما أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى باتفاق علماء المسلمين من المحدثين وغيرهم فقد امتازا على غيرهما من كتب السنة بتفردهما بجمع أصح الأحاديث الصحيحة وطرح الأحاديث الضعيفة والمتون المنكرة على قواعد متينة وشروط دقيقة وقد وفقوا في ذلك توفيقاً بالغاً لم يوفق إليه من بعدهم ممن نحا نحوهم في جمع الصحيح كابن خزيمة وابن حبان والحاكم وغيرهم حتى صار عرفاً عاماً أن الحديث إذا أخرجه الشيخان أو أحدهما فقد جاوز القنطرة ودخل في طريق الصحة والسلامة . ولا ريب في ذلك وأنه هو الأصل عندنا"[٤]

إذاً اتفق علماء الأمة قديماً وحديثاً على أن صحيح الإمام البخاري وصحيح الإمام مسلم هما أصح كتابين بعد كتاب الله عز وجل وأن الأحاديث المسندة المتصلة المذكورة فيهما أحاديث صحيحة ثابتة عن رسول الله ﷺ ولم يشذ في ذلك أحد ممن يعتد به من العلماء ليدل دلالة قاطعة على صحة كل ما جاء بهما وصحة تسميتهما بالصحاح.

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي: النووي ١/١٤ .

(٢) الحطة في ذكر الصحاح الستة: أبو الطيب السيد صديق حسن خان القنوجي، تحقيق: علي حسن الحلبي، الناشر: دار الجيل، ص١٨٦.

(٣) الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث: للحافظ ابن كثير، شرح العلامة أحمد محمد شاكر ، تعليق المحدث ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ١٤١٧هـ -١٩٩٦م، ص١٢٤ .

(٤) مقدمة الألباني لشرح العقيدة الطحاوية، الطبعة الأولى، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت ،١٤١٤هـ ص٢٢.

ثانياً: من خلال دراسة حديثية جديدة ومن خلال مقارنة روايات البخاري ومسلم مع روايات كتب الحديث الأخرى تبين أن جل أحاديث البخاري ومسلم قد رويت إما بطريق أخرى أو بنفس الراوية في كتب الحديث الأخرى، وهذه ميزة جديدة امتاز بها الصحيحين تعلي من شأنهما وتثبت أنهما أصح كتابان بعد كتاب الله عز وجل، والجدول الآتي يتبين فيه نسبة الأحاديث المشتركة بين أحد الصحيحين و كتب الحديث الأخرى.

الكتاب	نسبة الأحاديث المشتركة	عددها	إجمالي عدد الأحاديث
موطأ الإمام مالك	%٧١	٥١٧	٧٣٢
سنن النسائي الصغرى	%٦٨	٣٦٢٢	٥٣٥٢
سنن أبو داود	%٤٧	٢٠٣٢	٤٣٢٦
الترمذي	%٤٦	١٧٠٢	٣٧٣٥

فهذه النسب حسب النتائج التي أعطاها برنامج شركة حرف للكتب التسعة، وهي نتائج تقريبية للأحاديث المرفوعة فقط والغير مكررة(١).

ثالثاً: أما بالنسبة لشبهات التي أثارها صاحب كتاب أضواء على الصحيحين، فنفندها على وجه الاختصار في الأتي:

١. **ثبت من خلال البحث عدالة جميع الصحابة رضوان الله عليهم من خلال الكتاب والسنة وإجماع الأمة والعقل الصريح**، وتبين أن دعوى تكفير الصحابة وتجريحهم ما هي إلا دعوة لهدم الإسلام بالكامل وأنها دعوة لا تخرج إلا من حاقد على الإسلام وأهله، لأن من نقل القرآن والسنة هم الصحابة الكرام رضوان الله تعالى فالكلام على عدالتهم كلام على صحة القرآن والسنة، ومن اتهمهم فقد اتهم الله سبحانه وتعالى بعدم حفظ وحيه – القرآن والسنة– لذا وجب تعديل جميع الصحابة. بما فيهم الصحابة الذين ضرب لهم الأمثلة على عدم قبول رواياتهم.

٢. **أما عن العصبية الشديدة التي اتهم بها البخاري ومسلم**، فهي عصبية طبيعية للحق، فمن شدة تثبت البخاري ومسلم في رواية الأحاديث وضعوا شروطاً عمن يأخذوا منهم الحديث، فقد اشترطا في الحديث الصحيح أن يكون الحديث متصل الإسناد بنقل الثقة عن الثقة من أوله إلى منتهاه سالماً من الشذوذ والعلة (٢)، فأمثال الشيعة الذين اشتهروا بالكذب كيف يأخذ منهم أو يعوّل عليهم في أخذ الدين وهم مشهورون بكل أنواع الكذب، ولعل من اطلع في طيات هذا البحث، يجد بعضاً من أصناف ذلك الكذب.

---

(١) انظر: مقالة بعنوان: عدد الحديث الصحيح إحصاءيات متنوعة، موقع: www.ibnamin.com/num_hadith.htm (بتاريخ: ٢٠١١/١١/٥).

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي: النووي، ١٥/١، وانظر: الباعث الحثيث في أختصار علوم الحديث: ابن كثير، ص١٠٣-١٠٤، والحطة في ذكر الصحاح الستة :صديق حسن خان القنوجي، ١٨٧/١.

أما أنهم لم يرويا عن الإمام جعفر الصادق، فإن كان يقصد أن يروي روايات عنه مباشرة لأنه معصوم كما تزعم الشيعة فالبخاري ومسلم والإمام جعفر نفسه يعلمون أنه ليس بنبي ولا معصوم، بل إنه رجل كباقي البشر يأخذ منه ويرد، وإن كان يقصد أخذ حديث رسول الله ﷺ منه، فجعفر الصادق عدل ثقة ، ولكن كثرة الكذب عليه من الشيعة أدى إلى احتياط الإمام البخاري في الأخذ ممن يروي عنه، لأنهما اشترطا أن لا يخرجا في صحيحهما إلا ما ثبت شدة صحته من الحديث، فقد روي أن البخاري كان يحفظ مائة ألف حديث لكنه لم يخرج في صحيحه إلا ما اعتقد شدة صحته وقد قال الإمام البخاري: لم أخرج في هذا الكتاب إلا صحيحا وما تركت من الصحيح أكثر(١)، ولقد روى أصحاب كتب الحديث الأخرى عن جعفر الصادق رحمه الله وغيرهم من أئمة آل البيت، وهؤلاء لم يشترطوا ما اشترطاه البخاري ومسلم في صحيحهما.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية بهذا الخصوص:" والشيعة لا يكاد يوثق برواية أحد منهم من شيوخهم لكثرة الكذب فيهم ؛ ولهذا أعرض عنهم أهل الصحيح فلا يروي البخاري ومسلم أحاديث علي إلا عن أهل بيته كأولاده مثل الحسن والحسين ومثل محمد بن الحنفية وكاتبه عبيد الله بن أبي رافع أو أصحاب ابن مسعود وغيرهم مثل عبيدة السلماني والحارث التيمي وقيس بن عباد وأمثالهم ؛ إذ هؤلاء صادقون فيما يروونه عن علي ؛ فلهذا أخرج أصحاب الصحيح حديثهم"(٢)

كذلك يقال للشيعة ألستم ترون أن الإمام جعفر الصادق إمام معصوم بعثه الله لعصمة الدين وحفظه، وأنّ حديثه هو حديث النبي ﷺ؟، فإنّ قالوا نعم، قلنا لهم أو يعقل أن يترك الإمام جعفر والأئمة من بعده الإمامين –البخاري ومسلم– يؤلفون الكتب والروايات على رسول الله دون أن يبينوا ذلك للناس، ثم يأتي بعد عدة قرون أفراد من شيعته يبينوا للناس ما سكت عنه أئمتهم؟، أليس هذا من أعظم القدح في الأئمة وعصمتهم، وهل يعقل أن يترك الإمام جعفر والأئمة أتباعهم من غير هدى ولا كتاب منير يهتدون به، ثم يقوم بهذه المهمة غيره من أعدائه ثم يلامون على أنهم لم يروا له في كتبهم ؟!.

٣. أما بخصوص الفترة الزمنية الطويلة الممتدة بين زمن صدور الحديث وتاريخ تدوينه ودواعي أسباب الجعل فيها يؤدي إلى الشك في كل ما روي، فنفندها في التالي:

أ- لقد دل القرآن الكريم على أن السنة وحي وأنها محفوظة بحفظ الله لها بأن قيد لها جهابذة أمثال البخاري ومسلم، أفنوا أعمارهم من أجل صيانتها من الدخيل والتحريف، ومن وصل إلى حقيقة أن السنة وحي وأنها محفوظة بحفظ الله لها فقد وصل إلى الحقيقة الهادية في هذا الموضوع، وعندها يستطيع المرء أن يسأل ما هو ذلك الكتاب الذي يمكن أن يكون قد تحقق فيه موعود الله ، وهذا السؤال موجه للشيعة ، أهو صحيحي البخاري ومسلم الذان تقبلتهما الأمة بالقبول ، أم كتاب الكافي الذي ظهر بعد القرن الرابع

---

(١) هدي الساري مقدمة فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، أحمد بن حجر العسقلاني، ص٥.

(٢) مجموع الفتاوى : ابن تيمية ، ٢٣/١٣، وانظر: منهاج السنة النبوية، ابن تيمية، ٦٧/١.



هجري واختلف أصحابه بقبوله منذ أن صدور إلى الآن، إنَّ كل عاقل سيحكم بالنتيجة التي حكمت بها أمة محمد من أنَّ البخاري ومسلم أصح كتابان بعد كتاب الله[١].

ب- كذلك إيهام محمد صادق النجمي القارئ بأن البخاري ومسلم كانوا أول من كتب السنة تلبيس للحق لإظهار للباطل، لأن من يبحث في شخصية الإمامين لا بد أن يمر بتاريخ تدوين السنة ولا بد أن يمر بأحاديث عبد الله بن عمر بأنه كان يكتب سنة رسول الله ﷺ، كذلك لا بد أن يمر بالمصنفات التي صنفت قبل البخاري مثل كتاب الموطأ للإمام مالك ، ومصنف عبد الرزاق ، ومصنف ابن أبي شيبة ، ومسند الإمام أحمد إلى غير ذلك من المصنفات[٢].

ت- كذلك مما ينبغي علمه أنَّ البخاري ومسلم كانوا حريصين كل الحرص على مشاورة أهل العلم سواهم ، وسماع آرائهم حول ذلك الحديث ، فليس الصحيحين جهداً لشخص واحد دون أي عناية من علماء عصره من شيوخه وأقرانه، فقد قال أبو جعفر العقيلي[٣] :" لما ألف البخاري كتاب الصحيح عرضه على أحمد بن حنبل ويحيي بن معين وعلي بن المديني وغيرهم، فاستحسنوه، وشهدوا له بالصحة إلا في أربعة أحاديث، والقول فيها قول البخاري، وهي صحيحة "[٤].

ث- لو كان ما كتبه البخاري اختلاقاً كما يزعم صاحب أضواء على الصحيحين، لعلمنا ذلك من ملايين المسلمين وألوف العلماء المعتنين بالعلوم الإسلامية وعلوم السنة خاصة ، ولأخبر به أئمة الشيعة أنفسهم ، ولسارعوا إلى تخطئته ، ولما علمنا نقيض ذلك وتلقي الامة لهما بالقبول يؤكد أنهما أصح كتاب بعد كتاب الله.

ج- من قال أن كل علم بينك وبين مصدره الأساسي قرون يكون مختلقاً ، فالكل يعلم أن هناك مؤلفات وصلت إلينا بيننا وبين مؤلفيها مئات القرون، وكذلك هناك أحداث قديمة وأخبار تاريخية كثير لا نشك في صحتها مع تطاول الأزمان، فليس كل أمر مضى عليه زمنٌ طويلٌ أو قصير يكون باطلاً، وإلا لما قبلتَ إلا ما تراه بنفسك، وما تأخذه عن مؤلفه مباشرة، وما تحضره دون أن يكون بينك وبينه وسائط!! وهذا لا يقول به عاقل من البشر!!!.

---

(١) مقالة بعنوان : الجواب على طعون في صحيح البخاري، لدكتور الشريف حاتم بن عارف العوني، ١٤٢٧هـ، انظر موقع: http://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=82710 (بتاريخ:٥/١١/٢٠١١)

(٢) المرجع السابق.

(٣) أبو جعفر العقيلي: محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي المكي، أبو جعفر: من حفاظ الحديث. قال ابن ناصر الدين: له مصنفات خطيرة، منها كتابه في الضعفاء. وكان مقيما بالحرمين، وتوفي بمكة سنة ٣٢٢هـ.(الأعلام : الزركلي، ٦/٣١٩)

(٤) هدي الساري مقدمة فتح الباري: ابن حجر العسقلاني، ص٥.

٤. أما ما ذكره من كثرة الأحاديث المخالفة للأدلة العقلية والدينية فيهما، فلعله يريد أن يذكر ما اتهم به شيخهم حسين غلامي البخاري من أنه كان من طليعة من ضبط أخبار التشبيه، وهذا يرد عليه كل موضع في بحثنا هذا:

أ- فمن خلال هذا البحث تبين أن أوَّل من ضبط نوعا التشبيه- تشبيه المخلوق بالخالق وتشبيه الخالق بالمخلوق- هم الشيعة أنفسهم فعلى يد عبد الله بن سبأ ظهر النوع الأول وتبين أنه لا يزال إلى اليوم وإن لم يطلقوا لفظ الإلوهية على علي والأئمة ، والنوع الثاني ظهر على يد هشام بن الحكم كبير متكلمي الشيعة في عصره ومن تبعة من أئمة التشبيه لدى الشيعة.

ب- كذلك البخاري ومسلم ضبطا ما أثبته الله لنفسه وما أثبته الرسول له وما رواه الصحابة عن رسول الله ﷺ دون زيادة أو نقصان، إثباتاً يليق بجلال وجه الله من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل ولا تحريف، فهذا الكلام واضح يعقله كل من له عقل سليم ، أما من تتلمذ على أيدي المعتزلة وأخذ عنهم تعطيل الباري وأسس عقله على الفرار من التشبيه الذي أظهر أوائلهم ليصل إلى التعطيل، فهذا عقل بين الفساد.

فالبخاري ومسلم رووا تلك الروايات عن صحابة رسول الله ففهموا ما فهمه الصحابة دون قصور في العقل، بل أعطوا العقل منزلته الحقيقية، التي أرادها الله له وجعلوه تبعاً للنقل، لا تبعاً ما تهوى أنفسهم.

ت- كذلك ما هي الأدلة العقلية التي يتحدث عنها الشيعة التي تخالف هذه الأحاديث، أدلة المعتزلة ،أم الباطنية القرامطة أم أدلة أصحاب الحلول والاتحاد، أم أدلة المشبهة من علماء الشيعة الأوائل، فليجيبوا عن أي دليل يتحدثون من هؤلاء، فكل من أسس بدعة بما تهوى نفسه رمى الأصول الثابتة من الكتاب والسنة بأنها تخالف الأدلة العقلية، إنَّ روايات البخاري ومسلم تخالف الأدلة الفاسدة العقلية، أما الأدلة العقلية الصريحة الصحيحة فلا تخالف منها شيئاً، بل إن التقدم العلمي والاكتشافات العلمية تزيد في صحة الصحيين وتثبت إعجازهما، وهذا غير متحقق في غيرهما ، ولعل الفصل القادم سيفضح العقل الشيعي، و يبين كيف أسسوه على مخالفة الكتاب والسنة وردهما.

ث-إن كتب الحديث عند الشيعة فيها مئات الروايات التي تثبت عقيدة التشبيه والتجسيم عند شيعة اليوم، ولعل مابيناه في فصل ظهور التشبيه عند الشيعة يعطي صورة واضحة عن ذلك التشبيه[١] .

---

(١) انظر: ص١٧٣ وما بعدها من هذا البحث.

الفصل الثالث
المصدر الثالث العقل

المبحث الأول: منزلة العقل عند الشيعة

المطلب الأول: العقل في اللغة واصطلاح أهل السنة.
المطلب الثاني: منزلة العقل في الاستدلال على مسائل العقيدة عند أهل السنة.
المطلب الثالث: منزلة العقل عند الاثنا عشرية.

المبحث الثاني: رد الشيعة النقل عند تعارضه مع العقل

المبحث الأول
منزلة العقل عند الشيعة

المطلب الأول : العقل في اللغة واصطلاح أهل السنة.

أولاً : العقل في اللغة:

العقل مصدر عقل، يعقل، عقلاً ، فهو معقول وعاقل[1]، وأصل العقل يرجع إلى: المنع، والإمساك، والحبس.

قال ابن فارس:" العين والقاف واللام أصل واحد منقاس يدل على حبسة في الشيء ... ومن ذلك العقل ، وهو الحابس عن ذميم القول والفعل"[2] ، يقال: عقال البعير، أي الذي يمسكه[3]

ويطلق العقل بمعنى القلب كما في قول عمر بن الخطاب ﷺ في ابن عباس:" ذاكم فتى كهول، إن له لساناً سؤولا، وقلباً عقولا"[4].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:" العقل مصدر عقل، يعقل، عقلاً، إذا ضبط وأمسك ما يعلمه... ومنه سمي العقال عقالاً، لأنه يمسك البعير ويجره ويضبطه ، وقد شبه النبي ﷺ ضبط القلب للعلم بضبط العقال البعير في الحديث المتفق عليه :" استذكروا القرآن فلهو أشد تفصيا[5] من صدور الرجال من النعم في عقلها "[6][7].

إذاً معاني العقل في اللغة تدور حول المنع والحبس والإمساك، وذلك لأن العقل يمنع الرجل من التصرف بعشوائية وخبط من خلال الفهم والإدراك لما يقوم به.

ثانياً: العقل في اصطلاح أهل السنة:

لم يخض السلف الصالح الكلام في أمور حجبت عن الأنام ولم تُبين في صحيح المنقول بل كانت تعريفاتهم للأمور وفق الكتاب والسنة، ويعتبر العقل من الأمور الغيبة التي لم يرد في الكتاب والسنة بيان ماهيته !، بل الوارد في ذلك بيان منزلة العقل، وصفات العقلاء، ولكن لما ابتليت الأمة بأهل البدع وقالوا ما قالوا في العقل؛ بدأ السلف يبينون للناس بطلان كلامهم فاعتمدوا رحمهم الله في فهم معنى العقل على دلالات الوحي، فمنهم من قال :إنها غريزة ، ومنهم من قال آلة تمييز إلى غير ذلك من المعاني[8].

---

(١) انظر: القاموس المحيط: محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، ١٨/٤.

(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة: ابن فارس ، ٦٩/٤.

(٣) انظر: لسان العرب : ابن منظور ، ٤٥٨/١١-٤٦٠.

(٤) رواه الحاكم في مستدركه على الصحيحين، كتاب معرفة الصحابة – ذكر عبد الله بن عمر، ٥٤٠/٣.

(٥) تفصيا: تخلصا وانفلاتا (انظر: المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى وأخرون، ٦٩٢/٢.

(٦) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن ، باب استذكار القرآن وتعاهده، حديث رقم: (٥٠٣٢)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصره، باب الأمر بتعاهد القرآن، حديث رقم:(٧٩٠).

(٧) بغية المرتاد : ابن تيمية ، ص٢٤٩-٢٥٠.

(٨) انظر: منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل وأثر المنهجين في العقيدة ، جابر إدريس على أمير ، ٧٢/١

وعموماً فإن العقل عند السلف يقع بالاستعمال على أربعة معان هي:

١. الغريزة المدركة: وهي التي بالإنسان، وبها يعلم ويعقل.

٢. العلوم الضرورية: وهي التي تشمل جميع العقلاء ، كالعلم بالممكنات والواجبات والممتنعات.

٣. العلوم النظرية: وهي التي تحصل بالنظر والاستدلال.

٤. العمل بمقتضى العلم: وهي الأعمال التي تكون بموجب العلم، من هذا قول الله تعالى: ﴿**وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ**﴾ [الملك:١٠] (١)

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:" بل العقل شرط في معرفة العلوم وكمال وصلاح الأعمال وبه يكمل العلم والعمل؛ لكنه ليس مستقلا بذلك؛ بل هو غريزة في النفس وقوة فيه بمنزلة قوة البصر التي في العين؛ فإن اتصل به نور الإيمان والقرآن كان كنور العين إذا اتصل به نور الشمس والنار "(٢)

ويوضح ابن تيمية بأن مفهوم العقل ينحصر في أمور أربع قائلاً:" فهنا أمور:

أحدها: علوم ضرورية يفرق بها بين المجنون الذي رفع القلم عنه، وبين العاقل الذي جرى عليه العقل، فهو مناط التكليف.

والثاني: علوم مكتسبة تدعو الإنسان إلى فعل ما ينفعه وترك ما يضره، وهذا أيضاً لا نزاع في وجوده ، وهو داخل فيما يحمد بها عند الله من العقل... وما في القرآن من مدح من يعقل وذم من لا يعقل يدخل فيه هذا النوع، وقد عدمه من قال ﴿**وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ**﴾.

والثالث: العمل بالعلم يدخل في مسمى العقل أيضاً، بل هو من أخص ما يدخل في العقل الممدوح.

والرابع: الغريزة التي يعقل بها الإنسان، وهذه مما تتنوع في وجودها... والسلف والأئمة متفقون على إثبات هذه القوى ، فالقوى التي بها يعقل، كالقوة التي بها يبصر، والله تعالى خالق ذلك كله "(٣).

---

(١) انظر: مناهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، عثمان على حسن ، ١٥٨/١-١٥٩

(٢) انظر: مجموع الفتاوى : ابن تيمية، ٣٣٨/٣-٣٣٩، وانظر: درء التعارض بين العقل والنقل: ابن تيمية، ٨٩/١.

(٣) انظر: بغية المرتاد : ابن تيمية ، ص٢٦٠-٢٦٣.

المطلب الثاني: منزلة العقل في الاستدلال على مسائل العقيدة عند أهل السنة.

سلك السلف في تقرير مسائل الاعتقاد والاستدلال عليها المنهج القويم الذي تقبله الفطر السليمة، حيث اعتمدوا على الوحي – الكتاب والسنة – واعتصموا به في كل أمور دينهم، ولا سيما في مسائل الاعتقاد التي لا يجوز الخوض فيها بالعقل المجرد عن الوحي، لذلك كان السلف إذا سُئل أحدهم عن مسألة من مسائل الاعتقاد، أجابوا بنصوص الكتاب والسنة، كما فعل جعفر بن أبي طالب ﷺ مع النجاشي ملك الحبشة وقد سأله عن حقيقة عيسى فأجاب جعفر بما في سورة مريم ، فعقل النجاشي ذلك عنه وكان سبباً في إسلامه[1][2].

فقد كان السلف يرون أن العقل مصدر من مصادر المعرفة الدينية، لكنه ليس مصدراً مستقلاً ، بل محتاج إلى تنبيه الشرع، وإرشاده إلى الأدلة، لأن الاعتماد على محض العقل سبيل التفرق والتنازع [3] ويرون كذلك أن العقل لا ينفك عن الوحي، والوحي جاء بالأدلة العقلية صافية من كل كدر، ومسائل الاعتقاد وردت بها النصوص، وبأدلتها العقلية، وما على العقل إلا فهمها وعقلها[4]، فالله تعالى أنزل الوحي وأنزل الميزان – العقل– فهما في الإنزال أخوان، وفي معرفة الأحكام شقيقان، لذا فإن الشرع الصحيح والعقل الصريح متصادقان، متعاضدان، متناصران، يصدق أحدهما الآخر، ويشهد أحدهما بصحة الآخر [5].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " جعل القرآن إماماً يؤتم به في أصول الدين وفروعه وهو دين الإسلام وهو طريق الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وأئمة المسلمين ، فلم يكن هؤلاء يقبلون من أحد أن يعارض القرآن بمعقوله أو رأي يقدمه على القرآن... ولهذا كان الأئمة الأربعة وغيرهم يرجعون في التوحيد والصفات إلى القرآن والرسول، لا إلى رأي أحد، ولا معقوله، ولا قياسه" [6].

ضوابط الاستدلال بالعقل على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة:-

أولاً: للعقل حدود للمعرفة:

جعل الله تعالى للعقل حداً في إدراكه للأشياء ينتهي إليه[7]، ولو كان العقل يدرك كل مطلوب لاستغنى الخلق به عن الوحي والنبوات، والله تعالى يقول:﴿ **وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا** ﴾ [الإسراء:١٥]

---

(١) انظر: مسند الإمام أحمد، ٢٦٣/٣-٢٦٨، حديث رقم:(١٧٤٠)، قال عنه شعيب الأرنؤوط إسناده حسن ، وصححه الألباني بحاشية فقه السيرة للغزالي ص١٢١هامش رقم١.

(٢) انظر: منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة : عثمان علي حسن ١٨٢،/١،مكتبة الرشيد ، الطبعة الخامسة ، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م

(٣) انظر: مجموع الفتاوى : ابن تيمية ٢٩٦/٣

(٤) انظر: منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة : عثمان علي حسن ١٨٢،/١

(٥) انظر: المصدر السابق: ٣٥٢/١.

(٦) مجموع الفتاوى: ابن تيمية، ٤٧٢/١٦.

(٧) انظر: مصادر الاستدلال على مسائل الاعتقاد: عثمان علي حسن ، ص٧٨-٧٩.

قال تعالى:﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالبَصَرَ وَالفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ [الإسراء:٣٦] قال البغوي في تفسير هذه الآية :" وحقيقة المعنى لا تتكلم أيها الإنسان بالحدس والظن"[(١)] .

لذا منع الإسلام العقل الخوض فيما لا يدركه ولا يكون في متناول إدراكه ككنه الذات الإلهية، وكيفية صفات الله، وماهية الأرواح، ونحو ذلك، فقال النبي ﷺ:" لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال هذا خلق الله الخلق فمن خلق الله فمن وجد من ذلك شيئاً فليقل آمنت بالله"[(٢)].

ومن المسائل التي لا يدركها العقل، مسائل الاعتقاد، ولا سيما التفصيلية منها، فالعقول ما كانت لتعلم بها لولا مجيء الوحي بها، وذكره لأدلتها العقلية، وهذا في غير المسائل الكبار من الإقرار بوجود الله وتوحيده، فإن النفوس مفطورة على معرفة خالقها، ومع ذلك فقد جاء الوحي بها وبأدلتها العقلية[(٣)].

وكذلك فإن كثيراً من مسائل الاعتقاد – بعد معرفتها والعلم بها عند العقول– لا تدرك العقول حقيقتها وكيفياتها، كصفات الله تعالى وأفعاله، فمن رام الخوض في حقيقة صفاته وأفعاله جل وعلا فإما أن يقع في التشبيه، أو يصل إلى تعطيل، غير أن العقل وإن كان لا يدرك ما هي عليه من كيفيات هذه الصفات، إلا أنه لا يحيل ذلك، ولا يمنع إمكان وجودها؛ لأن عدم إدراكه لها إنما هو نتيجة افتقاره إلى وسائل العلم بها ، فالعلم بالشيء فرع عن تصوره، والتصور لا يقوم إلا على معطيات حسية وهذا الأمر متعذر بالنسبة لمسائل الغيب، والشريعة كما قيل جاءت بمحارات العقول لا بمحالاتها[(٤)].

يقول الإمام السفاريني[(٥)] رحمه الله:" إن الله تعالى خلق العقول وأعطاها قوة الفكر، وجعل لها حداً تقف عنده من حيث ما هي مفكرة، لا من حيث ما هي قابلة للوهب الإلهي، فإذا استعملت العقول أفكارها فيما هو من طورها وحدها ، ووفت النظر حقه أصابت بإذن الله تعالى، وإذا سلطت الأفكار على ما هو خارج عن طورها ووراء حدها الذي حده الله لها، ركبت متن عمياء وخبطت خبط عشواء... فإن معرفة الله التي وراء طورها مما لا تستقل العقول بإدراكها من طريق الفكر وترتيب المقدمات ، وإنما تدرك ذلك بنور النبوة "[(٦)].

---

(١)معالم التنزيل "تفسير البغوي": أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، ٩٢/٥.

(٢) متفق عليه. رواه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب ما يكره من كثرة السؤال حديث رقم: (٦٧٥٢)، ورواه مسلم في كتاب الإيمان ، باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها، حديث رقم: (١٣٤).

(٣) انظر: مصادر الاستدلال على مسائل الاعتقاد : عثمان على حسن ، ص٨٤-٨٥.

(٤) المصدر السابق نفسه.

(٥) السفاريني: حمد بن أحمد بن سالم السفاريني، شمس الدين، أبو العون: عالم بالحديث والأصول والأدب، محقق. ولد في سفارين من قرى نابلس سنة ١١١٤هـ، ورحل إلى دمشق فأخذ عن علمائها. وعاد إلى نابلس فدرس وأفتى، وتوفي فيها سنة: ١١٨٨هـ، من كتبه: الدراري المصنوعات في اختصار الموضوعات ، وكشف اللثام شرح عمدة الأحكام ، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية المضية في عقد أهل الفرقة المرضية.(الأعلام : الزركلي، ١٤/٦)

(٦) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المصية في عقد الفرقة المرضية: شمس الدين أبو العون محمد بن أحمد السفاريني، الناشر: مؤسسة الخافقين، دمشق، ١٠٥/١.

ويقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله:" والمنهج الذي سار عليه القرآن – هو المنهج الأقوم- أن يجيب الناس عما هم في حاجة إليه، وما يستطيع إدراكهم البشري بلوغه ومعرفته، فلا يبدد الطاقة العقلية التي وهبها الله لهم فيما لا ينتج ولا يثمر، وفي غير مجالها الذي تملك وسائله، وتحيط به... وليس في هذا حجر على العقل البشري أن يعمل، ولكن فيه توجيهاً لهذا العقل أن يعمل في حدوده، وفي مجاله الذي يدركه، فلا جدوى في التيه . ومن إنفاق الطاقة فيما لا يملك العقل إدراكه؛ لأنه لا يملك وسائل إدراكه"[١]

ثانياً: العقل تابعٌ للوحي وليس مصدرا مستقلاً.

إن الله تعالى أسس دينه على الاتباع، وجعل العقل في ذلك تابعاً له، فليس للعقل المجرد شيء في إثبات العقائد والأحكام، وإنما مرجع ذلك إلى السمع الذي هو المنقول عن الله تعالى وعن رسول الله ﷺ، والعقل آلة فهم للنصوص[٢].

قال الإمام أبو المظفر السمعاني[٣]:" اعلم أن مذهب أهل السنة أن العقل لا يوجب شيئاً على أحد، ولا يرفع شيئاً منه، ولا حظ له في تحليل أو تحريم، ولا تحسين ولا تقبيح، ولو لم يرد السمع ما وجب على أحد شيء، ولا دخلوا في ثواب ولا عقاب. وقال: أهل السنة قالوا: الأصل في الدين الإتباع، والمعقول تبع، ولو كان أساس الدين على المعقول لا ستغنى الخلق عن الوحي وعن الأنبياء، ولبطل معنى الأمر والنهي ، ولقال من شاء ما شاء"[٤].

وقال ابن القيم:" إن عقل رسول الله ﷺ أكمل عقول أهل الأرض على الإطلاق، فلو وزن عقله بعقولهم لرجحها، وقد أخبر الله أنه قبل الوحي لم يكن يدري ما الإيمان، كما لم يكن يدري ما الكتاب، فقال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الكِتَابُ وَلَا الإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشُّورى:٥٢]وقال الله تعالى:﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى(٦) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴾. [الضُّحى:٦-٧]وتفسير هذه الآية بالتي في آخر سورة الشورى، إذا كان أعقل الخلق على الإطلاق إنما حصل له الهدى بالوحي كما قال تعالى﴿ قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ [سبأ:٥٠]فكيف يحصل لسفهاء العقول وأخفاء الأحلام الاهتداء إلى حقائق الإيمان بمجرد عقولهم دون نصوص الوحي"[٥] .

---

(١) في ظلال القرآن: سيد قطب،، الطبعة: الخامسة والعشرون، الناشر: دار الشروق،١٤١٧هـ، ٢٢٤٩/٤.

(٢) انظر: العقيدة السلفية في كلام رب البرية وكشف أباطيل المبتدعة الردية، عبد الله بن يوسف الجديع، الناشر: دار الصميعي للنشر والتوزيع، ص٣٥.

(٣) أبو المظفر السمعاني: هو منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي، أبو المظفر: مفسر، من العلماء بالحديث. ولد في مرو سنة ٤٢٦هـ وتوفي فيها سنة ٤٨٩هـ. كان مفتى خراسان، قدمه نظام الملك على أقرانه في مرو.من تصانيفه: الانتصار لأصحاب الحديث، تفاسير السمعاني، والقواطع في أصول الفقه. (الأعلام ، الزركلي، ٣٠٤/٧).

(٤) الحجة في بيان المحجة و شرح عقيدة أهل السنة: أبو القاسم الأصبهاني،٣١٤/١-٣١٥.

(٥) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة: ابن القيم، ٧٣٤/٢-٧٣٥.

ويقول الإمام الشاطبي[1]رحمه الله:" فالإنسان – وإن زعم في الأمر أنه أدركه وقتله علماً– لا يأتي عليه الزمان إلا وقد عقل فيه ما لم يكن عقل وأدرك من علمه ما لم يكن أدرك قبل ذلك ، كل أحد يشاهد ذلك من نفسه عياناً ، ولا يختص ذلك عنده بمعلوم دون معلوم"[2].

ثالثاً: عرض المعقول على المنقول.

مما يميز منهج أهل السنة ويعصمه من الخطأ أنهم تمسكوا بكتاب الله وسنة رسولهﷺ، وعرضوا ما تنازع الناس فيه على الكتاب والسنة، فما وافقهما كان حقاً وما خالفهما كان باطلاً.

لهذا تضافر كلام السلف بلزوم الكتاب والسنة وعدم تجاوزهما، وأنكروا على من لم يأخذ بهم ويعتمد على رأيه.

فهذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ يحذر من أصحاب الرأي ويصفهم بأعداء السنة قائلاً:" أصحاب الرأي أعداء السنن أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها، وتفلتت منهم أن يعوها ، واستحيوا حين سئلوا أن يقولوا لا نعلم ، فعارضوا السنن برأيهم ، فإياكم وإياهم"[3]

وقال الإمام علي بن أبي طالب ﷺ:" لو كان الدين بالرأي ، لكان مسح أسفل الخف أولى من أعلاه"[4].

وقال عبد الله بن مسعود ﷺ:" لا يأتيكم زمان إلا وهو أشر مما كان قبله، أما إني لا أعني أميراً خيراً من أمير، ولا عاماً خيراً من عام، ولكن علماؤكم وفقهاؤكم يذهبون، ثم لا تجدون منهم خلفاً، ويجيء قوم يفتون برأيهم"[5].

فالسلف رحمهم الله يجعلون كلام الله وكلام رسوله ﷺ هو الأصل الذي يعتمد عليه ، وإليه يرد ما تنازع الناس فيه، فما وافقه كان حقاً، وما خالفه كان باطلا[6] .

فقد كان الإمام الشافعي يقول:" آمنت بالله وبما جاء عن الله على مراد الله ، وآمنت برسول الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله"[7].

---

(١) الشاطبي: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي ،الغرناطي ، المالكي الشهير بالشاطبي، أبو إسحاق، مات في شعبان سنة ٧٩٠هـ من مؤلفاته:عنوان التعريف بأسرار التكليف في الأصول شرح ، الموافقات في الأصول الأحكام، عنوان الاتفاق في علم الاشتقاق، والاعتصام.(معجم المؤلفين: عمر كحالة، ١/١١٨-١١٩).

(٢) الاعتصام : أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: مكتبة التوحيد، ٣٢٢/٢.

(٣) إعلام الموقعين: ابن القيم ، ٥٥/١، قال الإمام ابن القيم رحمه الله : وأسانيد هذه الآثار عن عمر في غاية الصحة.

(٤) رواه أبو دواد في كتاب الطهارة ، باب كيف المسح، حديث رقم:(١٦٢)، صححه الألباني.

(٥) جامع بيان العلم وفضله: يوسف بن عبد الله النميري القرطبي، تحقيق: عبد الرحمن زملي، الناشر: مؤسسة الريان، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، ١٠٤٤/٢.

(٦) انظر: درء تعارض العقل والنقل: ابن تيمة ، ٢٧٧/١.

(٧) مجموع الفتاوى : ابن تيمية ٢/٤.

وقال أبو القاسم الأصبهاني[1]:" قال بعض علماء السنة: كل من صح عنده شيء من أمر رسول الله ﷺ ونهيه ، صغيره وكبيره، بلا معارض له يعرفه من حديث، أو ناسخ له ثم قال : قال رسول الله ﷺ كذا وأنا أقول بخلافه ، فقد تكلم بعظيم، إن كان ذلك الشيء مما لا يضل بتركه، لأن أدنى معاندة النبي ﷺ في أدنى من أمره ونهيه عظيم، فمن قبل عن النبيﷺ فإنما يقبل الله، ومن رد عليه فإنما يرد على الله ، قال الله تعالى:﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ﴾ [النساء:٨٠] "[2]

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:" إن وجوب تصديق كل مسلم بما أخبر الله به ورسوله من صفات ليس موقوفاً على أن يقوم دليل عقلي على تلك الصفة بعينها ، فإنه مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام، أن الرسول ﷺ إذا أخبرنا بشيء من صفات الله تعالى وجب التصديق به وإن لم نعلم ثبوته بعقولنا. ومن لم يقر بما جاء به الرسول حتى يعلمه بعقله فقد أشبه الذين قال الله عنهم ﴿ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللهِ اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ [الأنعام:١٢٤]

ويقول ابن القيم رحمه الله تعالى :يقول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ(١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾. [الحجرات:١-٢]، فإذا كان رفع أصواتهم فوق صوته ﷺ سبباً لحبوط أعمالهم، فكيف تقديم آرائهم وعقولهم وأذواقهم وسياستهم ومعارفهم على ما جاء به ورفعها عليه ، أليس هذا أولى أن يكون حبطاً لأعمالهم"[3]

فبمنهج القرآن الكريم والسنة الموافق لصريح المعقول أغنى الله تعالى السلف عن منهج المتكلمين وشبهاتهم العقلية، فاعتصموا بوحي الله ، وفهموا معناه ، وتوارثوا هذا المنهج جيلاً بعد جيل، فبوحي الله يتكلمون، وله يتعاملون وعند حدوده يقفون ، ولمعانيه يفقهون[4]

ولقد كان السلف رضوان الله عليهم يرون أنه لا تعارض بين العقل والنقل بشرط أن يكون النقل صحيحاً ثابتاً عن الرسول، والعقل صريحاً سالماً من الشبهات، مصدقاً للرسول ومنقاداً لوحي الله وشرعه، فمتى كان ذلك كذلك فإنه لا يمكن أن نتصور المعارضة بينهما.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: " إن المنقول الصحيح لا يعارضه معقول صريح قط"[5] .

---

(١) أبو القاسم الأصبهاني: إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة: من أعلام الحفاظ. كان إماما في التفسير والحديث واللغة. وهو من شيوخ السمعاني في الحديث ولد سنة: ٤٥٧هـ وتوفي سنة ٥٣٥هـ. من كتبه: الإيضاح ، ودلائل النبوة، الحجة في بيان المحجة، (الأعلام : الزركلي، ٣٢٣/١)

(٢) الحجة في بيان المحجة: أبوالقاسم الأصبهاني، ٤٢٥/٢.

(٣) إعلام الموقعين: ابن القيم ، ٥١/٣.

(٤) منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل وأثر المنهجين في العقيدة: جابر إدريس علي أمير،١٦١/١، الطبعة الأولى الناشر: أضواء السلف ، ١٤١٩-١٩٩٨.

(٥) درء تعارض العقل والنقل: ابن تيمية، ١٤٧/١.

وبين ابن تيمية أنه لا يوجد في الكتاب والسنة وإجماع الأمة شيء يخالف العقل الصريح فقال:" وليس في الكتاب والسنة وإجماع الأمة شيء يخالف العقل الصريح، لأنَّ ما خالف العقل الصريح باطل ، وليس في الكتاب والإجماع باطل، ولكن فيه ألفاظ قد لا يفهمها بعض الناس، أو يفهمون منها معنى باطلاً ، فالآفة منهم لا من الكتاب والسنة"(١).

وفي ذلك يقول الإمام أبو القاسم اللالكائي موضحاً منهج السلف في الاستدلال بقوله:" فهلم الآن إلى تدين المتبعين، وسيرة المستمسكين، وسبيل المتقدمين بكتاب الله وسنته، والمنادين بشرائعه وحكمته الذين قالوا:﴿ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران:٥٣] وتنكبوا سبيل المكذبين بصفات الله وتوحيد رب العالمين، فاتخذوا كتاب الله إماماً، وآياته فرقاناً، ونصبوا الحق بين أعينهم عياناً، وسنن رسول الله جنة وسلاحاً، واتخذوا طرقها منهاجاً، وجعلوها برهاناً، فلقوا الحكمة ووقوا من شر الهوى والبدعة لامتثالهم أمر الله في إتباع الرسول، وتركوا الجدل بالباطل ليدحضوا به الحق..."(٢).

هذه أهم الضوابط التي تضبط العقل وتعصمه في أن يتيه في مفاوز لا يهتدى فيها إلى الحق والرشاد، فبهذا الطريق المستقيم الاعتصام بالكتاب والسنة أعطى سلفنا الصالح العقل حقة ومستحقه ، فلم يفرطوا فيه ولم يبالغوا به، بل وضعوه في الموضع الذي أراده الله له، وضع التسليم والانقياد لما أنزله الله من وحيه، والسمع والطاعة لربه خالقه ولرسوله ﷺ.

المطلب الثالث: منزلة العقل عند الاثنا عشرية.

العقل عند الاثنا عشرية يتأرجح بين التفريط فيه والإفراط به، فقد انقسم الاثنا عشرية تجاه العقل إلى فريقين، وذلك تبعاً لموروث كل طائفة منهم، فالذين ورثوا مُخلفات الروايات التي نسبوها زوراً وبهتاناً إلى أئمة آل البيت عطلوا العقل عن وظيفته التي جاء من أجلها، وجمدوا على حرفية تلك الروايات وإن كانت تخالف بديه العقل أو تناقض نفسها بنفسها، بينما ذهب من ورث المعتزلة في أفكارهم إلى تقديس العقل وجعله الأساس في الدين والمصدر الوحيد له، واعتباره الحجة التي ليس ورائها حجة(٣).

فقد اعتبر – الإخباريون- الذين جمدوا على حرفية النصوص، بأن المنهاج العقلي يتعارض مع أصل عقيدة الاثنا عشرية، إذ أن دينهم مبنى على إتباع الإمام المنصوب من الله –بزعمهم- فكيف يكون للدليل العقلي أي وزن أمام قول الإمام والآثار المروية عنه(٤).

ولعل الاختلاف الذي حدث بين طائفتي الشيعة – الإخباريون والأصوليون – في عصرنا الحديث أدى إلى كشف كيف نشأ الدليل العقلي عندهم وممن تلقوه، فيتحدث الإخباري الاستربادي عن نشأة الدليل العقلي مبيناً من هم أوائل الشيعة الذين ظهر على أيديهم المنهاج العقلي قائلاً:" لما نشأ ابن الجنيد ، وابن

---

(١) مجموع فتاوى: ابن تيمية ، ٤٩٠/١١.

(٢) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: أبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الالكائي، تحقيق : أحمد بن مسعود بن حمدان، ٢٠/١.

(٣) انظر: عقائد الإمامية الاثنا عشرية: إبراهيم الزنجاني، ١١٢/١.

(٤) انظر: الصلة بين التشيع والاعتزال: محمد الجدعاني، ٦٧/٢.

أبي عقيل في أوائل الغيبة الكبرى طالعا كتب الكلام، وأصول الفقه للمعتزلة ونسجا في الأكثر على منوالهم ، ثم أظهر الشيخ المفيد حسن الظن بهما عند تلامذته – كالسيد الأجل المرتضى ورئيس الطائفة – فشاعت القواعد الكلامية ، والقواعد الأصولية المبنية على الأفكار العقلية بين متأخري أصحابنا حتى وصلت النوبة إلى العلامة –ابن المطهر الحلي– ، ومن وافقه من متأخري أصحابنا الأصوليين ، فطالعوا كتب العامة لإرادتهم التبحر في العلوم ، أو غيره من الأغراض الصحيحة ، وأعجبتهم كثير من قواعدهم الكلامية والأصولية الفقيهة ،والتقسيمات والاصطلاحات المتعلقة بالأمور الشرعية ، فأوردوها في كتبهم لا لضرورة دعت إليه ،بل لغفلتهم عن أن تلك القواعد والتقسيمات والاصطلاحات لا تتجه على مذهبنا، ولغفلتهم عن استغناء علمائنا عن سلوك تلك الطرق بالأعلام المنصوبة من الله تعالى ، والآثار المنتشرة عن أئمة الهدى"[١].

ويؤكد نعمة الله الجزائري على ما ذهب إليه الاسترابادي قائلاً:" إنَّ أكثر أصحابنا قد تبعوا جماعة من المخالفين من أهل الرأي والقياس ، ومن أهل الطبيعة ، والفلاسفة وغيرهم من الذين اعتمدوا على العقول واستدلالاتها ، وطرحوا ما جاءت به الأنبياء - عليهم السلام - حيث لم يأت على وفق عقولهم ، حتى نقل أن عيسى لما دعا أفلاطون إلى التصديق بما جاء به أجاب : بأنَّ عيسى رسول إلى ضعفة العقول ، و أما أنا و أمثالي فلسنا نحتاج في المعرفة إلى إرسال الأنبياء ، والحاصل أنهم ما اعتمدوا في شيء من أمورهم إلا على العقل ، فتابعهم بعض أصحابنا وإن لم يعترفوا بالمتابعة "[٢].

ويقول محمد جواد مغنية عن جهود المفيد العقلية:" كان له فضل السبق إلى الاعتماد على المنطق والتفكير الحر، فقبل الشيخ المفيد كان المؤمنون لا يتجاوزون حرفية النصوص إلى العقل، وبعده أصبح العقل حليفاً للنصوص الدينية، وأساساً للعقيدة، وإذا قال أغسطين آمن كي تتعقل، فقد قال المفيد تعقل كي تؤمن"[٣].

نخلص مما سبق بأنه لم يكن للمنهاج العقلي عند أوائل الاثنا عشرية أدنى منزلة، إذ أن أوائلهم جمدوا على حرفية النصوص التي اخترعها لهم شيوخهم، حتى جاء عصر المفيد – القرن الرابع هجري – الذي رفض التقبل الحرفي لظواهر النصوص والجمود عليها، فأرسى دعائم جديدة للفكر الشيعي أولى به العقل منزلة خاصة، ثم تبع المفيد تلميذه المرتضى الذي كان قليل التعلق في الاستدلال بالأخبار وإنما يتعلق بالأدلة العقلية[٤]، وهذا واضح من خلال مؤلفات الشيعة قبل عصر المفيد إذ أن الكثير منها في المسائل الكلامية تلتزم حرفية النصوص دون محاكمة أو تمحيص ولا تتعداها غالباً، ولعلَّ ما كتبه

---

(١) الفوائد المدنية: محمد أمين الاسترابادي، تحقيق: رحمة الله الرحمتي الأراكي، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الأولى ، ١٤٢٤هـ، ص١٢٣-١٢٤.

(٢) الأنوار النعمانية :نعمة الله الجزائري، ١٢٩/٣-١٣٠.

(٣) الشيعة في الميزان: محمد جواد مغنية ،ص١١٢.

(٤) انظر: الشيعة في الميزان: محمد جواد مغنية ، ص١١٢، و تأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة: عبد اللطيف الحفظي، ص٤٧٤-٤٧٥ والصلة بين التشيع والاعتزال: محمد الجدعاني،٦٦/١ .

الصدوق في التوحيد ومن قبله الكليني في أصول الكافي يعطي صورة واضحة لذلك، مع أنهما قد تـأثرا بالمعتزلة في عقائدهم إلا أن صدوق الشيعة ابن بابويه كان ينكر الإسراف في استخدام العقل، ويؤكد على ضرورة الاعتماد على أحاديث الرسول والأئمة[1].

ولقد حاول الشيعة الإخباريون الدفاع عن الاعتماد على الأقوال المنسوبة إلى الأئمة، وهـاجموا من اعتمد على العقول ولم يعَّول على آثار المعصوم، ووصفوهم بأنهم وقعوا في البدع والمستحدثات، فقد قال المجلسي عنهم:" ولعمري كيف يجترئون أن يؤولوا النصوص الواضحة الصادرة عـن أهـل بيـت الحكمة بحسن ظنهم بيوناني كافر"[2].

وقال عدنان البحراني ناقداً حجية العقل:" إنَّ العقل لو كان حجة في نفسه لإثبات الأحكام الشرعية ؛ لأدى اختلاف إدراكات العقول إلى اختلاف الأحكام المثبتة ، بها فإذا فرض أنه الرسول البـاطني ، و أن كل ما حكم به فهو حكم الله فقد ثبت مع تصويب الباطل عدم اتحاد حكم الله ، وأدى إلى الاختلاف الشـديد ووقوع التناقض في أحكامه تعالى"[3].

غير أن هذه الانتقادات لم تلق صدى أمام التيار العقلاني الأصولي الجارف، فقد عد الأصـوليون بأن العقل مصدر الحجج، وإليه منتهاها، وهو المصدر الأول والوحيد من مصادر أصول الدين.

فهذا أبو القاسم القمي يقول:" كل ما حكم به العقل فقد حكم به الشرع"[4].

وقد قال بعض متأخريهم:" كل ما وافق العقل فهو صحيح وكل ما خـالف العقـل فهـو باطـل مذموم"[5].

وبالجملة فإن ما استقر عليه حال علماء الاثنا عشرية وخاصة المعاصرين منهم هو الأخذ بالدليل العقلي وعدّه دليلاً قاطعاً ومستقلاً عن الشرع في إفادة الحكم القطعي[6]، لذا فإن الحديث عن العقل ومنزلته عند الاثنا عشرية، سوف يدور حول مفهوم العقل عندهم، ومظاهر غلوهم فيه وهذا ما نبينه في التالي:

---

(١) تأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة: عبد اللطيف الحفظي، ص٤٧٤.

(٢) انظر: الفكر الفلسفي عند الشيعة الاثنا عشرية: ص٣٠٧، نقلاً عن كتاب الصلة بين التشيع والاعتزال: محمد الجدعاني، ٧٧/١.ويقصد باليوناني الكافر: أرسطو مؤسس علم المنطق.

(٣) مشارق الشموس الدرية : عدنان البحراني ص ٧٠.

(٤) العقل عند الشيعة الإمامية:أبو القاسم القمي، ص١٨٧، نقلاً عن الصلة بين التشيع والاعتزال، محمد الجدعاني، ٦٩/٢.

(٥) الشيعة نشأة وتطوراً : إبراهيم اشكاناني، ص٨٧.

(٦) انظر: الصلة بين التشيع والعتزال: محمد بن حامد الجدعاني، ٦٧/١، ٧٥.

أولاً: مفهوم العقل عند الاثنا عشرية:

يقول شيخ الطائفة الطوسي:" اعلم أن العقل: عبارة عن مجموع علوم إذا اجتمعت سميت عقلاً"(١).

وفي كتابه الاقتصاد يقول مؤكداً على هذا التعريف:" العقل هو مجموعة علوم إذا اجتمعت كان الحي عاقلاً وإذا حصل بعضها أو لم يحصل شيء أصلاً لم يكن عاقلاً، والعلوم التي تسمى عقلاً تنقسم إلى ثلاث أقسام:-

أولها : العلم بأصول الأدلة.

ثانيها: ما لا يتم العلم بهذه الأصول إلا معه.

ثالثها: ما لا يتم الغرض المطلوب إلا معه" (٢).

وإلى ذلك ذهب الشريف الرضى إذ يقول في تعريف العقل:" وهو عندنا اسم لعلوم مخصوصة يطول بتعدادها الكتاب. منها العلم بمجاري العادات ، ومنها العلم بالمشاهدات ، وهو أقوى هذه العلوم وأولاها بالتقديم..."(٣).

ويعرف نصير الدين الطوسي العقل بقوله:" والعقل غريزة يلزمها العلم بالضروريات عند سلامة الآلات"(٤). وأيده على ذلك ابن المطهر الحلي حيث قال:" هذا هو المحقق في تفسير العقل"(٥).

المناقشة:

إنَّ تعريف الشيعة السابق للعقل لم يكن أبداً من آراء الشيعة الأوائل ولا الأواخر وإنما هو منقول حرفي من أقوال المعتزلة وأرائهم الكلامية، فإذا ما رجعنا إلى ما قاله القاضي عبد الجبار في العقل وجدناه يقول:" اعلم أن العقل هو عبارة عن جملة من العلوم مخصوصة متى حصلت في المكلف صح منه النظر والاستدلال والقيام بأداء ما كلف"(٦)، ولمثل هذا ذهب أبو على الجبائي من قبل(٧)، وهذا يزيد التأكيد على أن ما يعتقده الشيعة في مسائل التوحيد، وخاصة مسألة الصفات ما هو إلا نسخة مكررة من آراء المعتزلة العقلية لا علاقة لأئمة آل البيت بها، وهذا يبين عظم كذب هذه الطائفة.

وعلى كل حال فإن تعريف الشيعة للعقل وقصره بأنه علوم مخصوصة أو ضرورية تعريف مبتور وناقص، لأنَّ العقل يقع بالاستعمال على أربعة معاني هي: الغريزة المدركة والتي هي في كل

---

(١) الرسائل العشر: الشيخ الطوسي، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي ، قم – إيران، ، مقدمة في المدخل إلى صناعة علم الكلام ص٨٣.

(٢) الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد: الطوسي ، ص١١٧، وانظر: تأثير المعتزلة بالخوارج والشيعة: عبد اللطيف الحفظي، ص٤٧٥.

(٣) المجازات النبوية : الشريف الرضي، تحقيق: د.طه محمد الزيني، الناشر: منشورات مكتبة بصيرتي، قم ، ص١٧٩.

(٤) كشف المراد بشرح تجريد الاعتقاد: العلامة الحلي ، ص٣٣٩.

(٥) المصدر السابق، ص٣٣٩.

(٦) المغني في أبواب التوحيد والعدل: القاضي عبد الجبار، ٣٧٥/١١-٣٧٦.

(٧) مقالات الإسلاميين واحتلاف المصلين : أبو الحسن الأشعري، ١٧٥/٢-١٧٦.

إنسان، والعلوم الضرورية التي تشمل جميع العقلاء، والعلوم النظرية والتي تحصل بالنظر والاستدلال، والأعمال التي تكون بموجب العلم"[١].

فقصر الشيعة ماهية العقل على العلوم الضرورية دون بقية المعاني السابقة، فيه مساواة بين العلم والعقل، وهذا فاسد من وجوه[٢]:

١. إن الشيعة هنا خلطت بين العلم والمعرفة وبين مفهوم العقل فلم تفرق بينهما، حيث جعلت العقل الذي هو أداة للمعرفة هو ذات المعرفة والعلم.

٢. لأن فيه إنكار المعرفة الفطرية، أي: أنه لا يوجد في القلوب معرفة للخالق سبحانه وتعالى قبل النظر في الآيات الكونية والنفسية والتي يتحقق بها العلم التام على حد تعبيرهم، ومعلوم أن الإنسان يولد على نوع من الجبلة التي تعده لقبول الدين.

ثانياً : مظاهر غلو متأخري الشيعة في العقل:-

غلت الاثنا عشرية في تقديس العقل ومنحه السلطة الكاملة دون أن يكون له أيّة ضابط من الضوابط، التي تضبطه وتعصمه من الزيغ والانحراف، وهذا سر انحراف هذه الطائفة عن منهاج ربها وطريقه المستقيم، فقد أطلقت هذه الطائفة للعقل العنان دون أن يكون له عاصم أو مرشد من كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ يوجهه إلى ما ينفعه ويهديه إلى طريق الهدى الرشاد، و زادوا به جنوحاً بأنّ حكَّموه على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فما وافق هوى عقولهم وهو قليل في هذا الباب أخذوا به وقبلوه، وما خالفه وهو في الغالب ردوه وحرفوه، وقد تمثل هذا الغلو في مظاهر عديدة يجب الوقوف عليها ومناقشتهم فيها وهي في الآتي:

١. اعتبار العقل حجة ليس ورائها حجة واجب الامتثال لها:

يقول محمد رضا المظفر عن حجية العقل:" ليس وراء العقل حجة، فإنه تنتهي إليه حجية كل حجة، لأنه هو حجة بذاته ولا يعقل سلخ الحجية عنه، وهل تثبت الشريعة إلا بالعقل، وهل يثبت التوحيد والنبوة إلا بالعقل ، وإذا سلخنا أنفسنا عن حكم العقل فكيف نصدق برسالة ؟ وكيف نؤمن بشريعة؟ بل كيف نؤمن بأنفسنا واعتقاداتها؟ وهل العقل إلا ما عبد به الرحمن ، وهل يعبد الديان إلا به؟" [٣].

ويقول محمد مهدي التراقي[٤]:" العقل هو حجة الله الواجب امتثالها والحاكم العدل الذي تطابق أحكامه الواقع ونفس الأمر فلا يرد حكمه ولولاه لما عرف الشرع"[٥].

---

(١) انظر: بغية المرتاد: ابن تيمية ، ص٢٦٠-٢٦٣.

(٢) تأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة: عبد اللطيف الحفظي، ص٢٢٩، بتصرف.

(٣) عقائد الإمامية الاثنا عشرية : إبراهيم الزنجاني ، ١١٢/١.

(٤) محمد مهدي التراقي: هو محمد مهدي بن أبي ذر الكاشاني الشيعي الشهير بالنراقي ، من فقهاء الشيعة وأصوليهم و أحد أقطابهم في القرن الثالث عشر توفي عام ١٢١١هـ، من آثاره: تجريد الأصول ، والتحفة الرضوية، معتمد الشيعة في أحكام الشريعة.(انظر: مقدمة كتاب جامع السعادات: تقديم محمد رضا المظفر، و معجم المؤلفين: عمر كحالة، ١٢/ ٥٧).

(٥) جامع السعادات: محمد مهدي النراقي، تحقيق: محمد كلانتر، الناشر: دار النعمان للطباعة والنشر، ١١٧/١.

ويقول عبد الهادي الفضلي:" ترجع حجية العقل إلى أن النتائج التي ينتهي إليها العقل في كشوفاته ... وهذا يعني أنها يقينية، أو قُلْ هي قطعية – كما يعبر الأصوليون– وليس وراء اليقين ، أو القطع حجة؛ لأن حجته نابعة من ذاته، وإليه ترجع جميع الحجج"(١) .

ويقول شيخ الشيعة جعفر السبحاني:" نحن نعتمد في أَخذ العقائد والأحكام الدّينيّة علـى حُجّتـين إلَهيّتين هما: العقل والوحي...،إنّ العقل والوحي يؤيّد كلٌ منهما حجيّةَ الآخر وإذا أثبتنا بحكم العقل القطعي حجيّة الوحي فإنّ الوحي بدوره يؤيّد كذلك حجيّة العقل في مجاله الخاصّ به"(٢). فيتضح من قول السبحاني السابق بأن العقل هو من يحكم على النقل، ومن ثم ما حكم العقل بصحته فإن النقل يحكم بصحة ما ذهـب إليه العقل تبعاً له ،أي أن النقل تابع للعقل.

وقد ذهب الشيعي علي حسين مكي إلى جعل الدليل العقلي الدليل الوحيد في إثبات مسائل الإيمان مقابل الأدلة الثلاثة أجمع، فيقول: العقل هو الدليل الوحيد الذي يثبت الإيمان، وهو الطريـق الـذي يـدفع الشبهات، والشكوك، والريب عن النفوس عندما ننطلق في عالم التأكيد، والإثبات للحق ، والواقـع الـذي نريده!!"(٣).

٢. عدم جواز الخطأ على العقل.

ذهبت الشيعة إلى الثقة بالعقل إلى أبعد مدى حتى قالوا أنه لا يجوز على العقل الخطأ ولا يتطرق إليه فساد، وبما أن العقل كذلك فإنهم أخضعوا جميع نصوص النقل إليه فتسلطوا على النقل بـالتحريف أو ما يسمونه تأويل أو برده ورفضه –كما رأينا في فصل القرآن والسنة السابقين– ، وإن كانوا فـي حقيقـة الأمر لم يخضعوا النقل إلا لأرائهم التي سموها عقلاً(٤).

فيقول محمد رضا المظفر:" إن التشكيك في حكم العقل سفسطة ليس ورائها سفسـطة" ويضـيف قائلاً " كل ما يحسن فعله عقلاً يحسن فعله شرعاً(٥).

ويقول محمد مهدي التراقي:" العقل هو حجة الله الواجب امتثاله والحاكم العـدل الـذي تطـابق أحكامه الواقع ونفس الأمر فلا يرد حكمه . ولولاه لما عرف الشرع"(٦)

بينما ذهب محمد تقي المدرسي إلى سرد مميزات الأحكام العقلية بأنها: "

أ- ثابتة جازمة لا تقبل الريب إذ أن ذاتها الكشف، والكشف يعني ملامسة الواقع ، وشهوده فكيـف تجـد النفس الواقع ثم يتشكك فيه ؟ ومن هنا فإن الحكم بقبح الظلم ، وحسن التضـحية ، وجمـال الآداب ليسـت أحكامًا تقبل الريب ، والذي يرتاب فيها يحاول الفرار عنها بتغيير موضوعاتها بحيث تصبح الأحكام ليست

(١) دروس في أصول فقه الإمامية: عبد الهادي الفضلي، ص٢٣٩-٢٤١.

(٢) العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت: جعفر السبحاني، ص١٩.

(٣) معتقدات الشيعة عرض موضوعي ميسر: علي السيد حسين يوسف مكي، الطبعة الأولـى، الناشـر: منشـورات دار الإرشاد، بيروت لبنان، ٢٠٠٣م، ص٣٦.

(٤) انظر: الصلة بين التشيع والاعتزال: محمد الجدعاني، ١٠٥/٢.

(٥) أصول الفقه: محمد المظفر، ٢٦٥/٢.

(٦) جامع السعادات: محمد مهدي التراقي، ١١٧/١.

هي التي تغيرت بل موضوعاتها فقط تبدلت ، فمثلاً: الذي يقول إن الظلم حسن يغير معنى الظلم حتى يجعله يساوي معنى العدل ثم يقول بأنه حسن.

ب- شاملة لا تخصص، فإذا كانت الرذيلة قبيحة فلن تفترق أن تكون صادرة من كبير ، أو صغير ، وفي أي عصر ، وأي زمان.

ت- أن أحكام العقل تتفق عليها عقول البشر ، فالعقل هو العقل في أي رأس عاش وفي أي مخ سكن، وما من فضيلة أو رذيلة هنا فهي في كل مكان، ولدى كل إنسان فضيلة ، أو رذيلة ، ولذلك كانت الحجة بين العباد العقل.

ث- أن أحكام العقل لا تتطور حسب تطور الأوضاع الاقتصادية ، أو الاجتماعية ، أو الفسيولوجية ، وما أشبه ؛ لأنها تكشف عن الحقائق الخارجية"[١].

٣. وجوب معرفة الله بالعقل لا بالوحي.

جعلت الشيعة الطريق الوحيد لمعرفة الله بالنظر والعقل، لا بما دل عليه الوحي، وفي ذلك يقول محمد المظفر:" إن الذي نعتقده أن عقولنا هي التي فرضت علينا النظر في الخلق ومعرفة خالق الكون كما فرضت علينا النظر في دعوى من يدعي النبوة وفي معجزاته. ولا يصح عندها تقليد الغير في ذلك مهما كان ذلك الغير منزله...، بل يجب عليه بحسب الفطرة العقلية المؤيدة بالنصوص القرآنية أن يفحص ويتأمل وينظر ويتدبر في أصول اعتقاداته، المسماة بأصول الدين التي أهمها التوحيد والنبوة والإمامة والمعاد ومن قلد آباءه أو نحوهم في اعتقاد هذه الأصول فقد ارتكب شططا وزاغ عن الصراط المستقيم "[٢].ويعقب قائلاً :" وبالاختصار عندنا هنا إدعاءان: وجوب النظر والمعرفة في أصول العقائد ولا يجوز تقليد الغير فيها. إنّ هذا الوجوب عقلي قبل أن يكون وجوباً شرعياً ، أي لا يستقي علمه من النصوص الدينية وإن كان يصح أن يكون مؤيداً بها بعد دلالة العقل[٣].

وسُئل الشريف المرتضى عن طريق معرفة الله هل هو بالعقل أم بالسمع فأجاب:" إن الطريق إلى معرفة الله تعالى هو العقل، ولا يجوز أن يكون السمع، لأن السمع لا يكون دليلاً على الشيء إلا بعد معرفة الله وحكمته، وإنه لا يفعل القبيح ولا يصدق الكذابين، فكيف يدل السمع على المعرفة. ووجه دلالته مبني على حصول المعارف بالله حتى يصح أن يوجب عليه النظر. ورددنا على من يذهب من أصحابنا إلى أن معرفة الله تستفاد من قول الإمام، لأن معرفة كون الإمام إماماً مبنية على المعرفة بالله تعالى"[٤]

وقال علامة الشيعة الحلي في نهج الحق:" الحق أن وجوب معرفة الله تعالى مستفاد من العقل وإن كان السمع قد دلَّ عليه بقوله: فاعلم أنه لا إله إلا الله، لأَن شكر المنعم واجب بالضرورة وآثار النعمة

(١) الفكر الإسلامي في مواجهة حضارية، محمد تقي المدرسي ، الطبعة الثانية، الناشر: دار الجيل ، بيروت، ص ٣٠-٣١.

(٢) عقائد الإمامية: محمد رضا المظفر، ٣١-٣٢

(٣) المصدر السابق نفسه.

(٤) رسائل الشريف المرتضى: الشريف المرتضى، ١ /١٢٧

علينا ظاهرة، فيجب أن نشكر فاعلها، وإنما يحصل بمعرفته، ولأن معرفة الله تعالى واقعة للخوف الحاصل من الاختلاف، ودفع الخوف واجب بالضرورة"[(١)]

ويقول الزنجاني:" من الواجب أن يتدبر المسلم أصول دينه وعقائده بالتتبع وإعمال الفكر وأخذ العقيدة بهذه الأصول عن طريق العقل...، وفهم الأمور وأخذها بميزان البصيرة والأصول المنطقية الصحيحة... فإن الواجب يقضي بأن تجيء المعرفة بأصول الدين الخمسة عن طريق الدليل والإيمان العقلي "[(٢)].

ويقول محمد الريشهري في موسوعة عقائد الإمامية:" فإن العقل لا يسمح للإنسان مطلقاً بأن يصبح مقلداً في المبادئ والأسس العقائدية ، وذلك لأن الأصول العقائدية تستلزم العلم ، والتقليد لا يكسب علماً "[(٣)].

إذاً ترى الشيعة أن معرفة الله وأصول الاعتقاد لا تتم إلا عن طريق العقل، أما الأدلة النقلية تكون تبعاً للعقل وهي من باب التأيد فحسب لا إثباتها كأصول يرجع إليها في الاعتقاد[(٤)].

٤. الحكم بكفر من ترك النظر[(٥)] العقلي.

يقول الشريف المرتضى بأن من لم يعرف الله بالنظر العقلي وقلد في ذلك يعد كافراً بالله ، حيث قال:" اعلم أن معتقد الحق على سبيل التقليد غير عارف بالله تعالى ولا بما أوجب عليه من المعرفة به فهو كافر لإضاعته المعرفة الواجبة ولا فرق في إضاعته الواجب عليه من المعرفة بين أن يكون جاهلاً معتقد الحق وبين أن يكون شاكاً غير معتقد لشيء أو بين أن يكون مقلدا لأن خروجه من المعرفة على الوجوه كلها حاصل في إطاعته لها ثابتة وهو كافر لأن الإخلال بمعرفة الله ومعرفة من يجب العلم به لا يكون إلا كفراً" [(٦)].

بينما ذهب المقداد السيوري إلى أنه مستحقاً للعقاب الدائم فقال:" لما وجبت المعارف المذكورة بالدليل السابق اقتضى ذلك وجوبها على كل مسلم أي مقر بالشهادتين ليصير بالمعرفة مؤمناً لقوله تعالى ﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات:١٤] نفى عنهم الإيمان مع كونهم مقرين

---

(١) نهج الحق وكشف الصدق: للعلامة الحلي، ص ٥١.

(٢) عقائد الإمامية : الزنجاني ، ص١١١-١١٢.

(٣) موسوعة العقائد الإسلامية : محمد الريشهري ، تحقيق: مركز بحوث دار الحديث، الطبعة الأولى، الناشر:دار الحديث للطباعة والنشر ، ١٤٢٥هـ ١/٣٠.

(٤) الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد: الطوسي، ص٢٥-٢٦.

(٥) النظر بمفهوم الاثنا عشرية:" إجراء عملية عقلية في المعلومات الحاضرة ؛ لأجل الوصول إلى المطلوب ، والمطلوب: هو العلم بالمجهول الغائب ، بتعبير أدق إنّ الفكر هو: حركة العقل بين المعلوم والمجهول". (انظر: المنطق : محمد رضا المظفر، ص٢٥).

(٦) رسائل الشريف المرتضى: الشريف المرتضى، جوابات المسائل الرسية الأولى، ٢/٣١٦-٣١٧.

بالإلهية والرسالة لعدم كون ذلك بالنظر والاستدلال وحيث أن الثواب مشروطاً بالإيمان كان الجاهل بهذه المعارف مستحقاً للعقاب بالإجماع"(١).

المناقشة:

إنَّ الناظر إلى مذهب الشيعة في العقل ومظاهر غلوهم فيه يجد أنه لا يختلف عن مذهب المعتزلة بحال من الأحوال، إذ هم في هذا الباب – كغيره من الأبواب- عالة على المعتزلة، فإذا ما نظرنا إلى مظاهر غلو المعتزلة في العقل نجد مدى التطابق التام بين الشيعة والمعتزلة في ذلك الغلو، فمثلاً العقل عند المعتزلة هو مصدر اليقين القاطع، وهو الحجة والبرهان كما يقول الجاحظ:" فما الحكم القاطع إلا للذهن، وما الاستبانة الصحيحة إلا للعقل"(٢) ويقول بشر بن المعتمر:

لله در العقل من رائد	وصاحب في العسر واليسر
وحاكم يقضي على غائب	قضية الشاهد للأمر(٣)

كذلك معرفة الله جعلتها المعتزلة لا تنال إلا بالعقل، فيقول القاضي عبد الجبار:" ومعرفة الله لا تنال إلا بحجة بالعقل"(٤) . بل إنهم جعلوا معرفة الله أول واجبات الإنسان التي يجب أن يعمل عقله فيها ، فيقول القاضي عبد الجبار:" فإن قيل فأول ما يجب على الإنسان أن يفعله ما هو؟ قيل له: النظر والتفكير في طريق معرفة الله تعالى"(٥) ، وقد ترتب عند المعتزلة تكفير من ترك النظر العقلي، فهذا أبو هاشم الجبائي يقول: إن المعرفة واجبة فإذا لم تحص فضدها النكرة والنكرة كفر"(٦) .

وكذلك ترى المعتزلة عدم جواز الخطأ على العقل حتى إنَّ القاضي عبد الجبار يرى أن القول بجواز الخطأ على العقل شبهة من الشبهات التي يجب دفعها وأنه إن وقع خطأ فما ذلك إلا نتيجة عوارض تعرض للعقل أما إذا سلم من هذه العوارض فإنه لا يمكن أن يتطرق إليه خطأ بحال من الأحوال(٧) .

فمن خلال هذا التطابق بين أقوال المعتزلة وأقوال الشيعة، ألا نستنتج بأن معتقد الشيعة في التوحيد والعدل والعقل ما هو إلا نسخة مكررة من أقوال المعتزلة وأرائهم لا علاقة لأئمة آل البيت به كما تزعم الاثنا عشرية؟!.

وعلى كل حال فإن اقتفاء الشيعة لآثار المعتزلة وتبني أفكارهم في ذلك الغلو لا يغني من حقيقة فساد تلك المعقولات التي أسسوها من عند أنفسهم وسموها قطعيات، وجعلوا النصوص تبعاً لها ، فنهجوا

---

(١) النافع يوم الحشر: الحلي ، ص٢٢، وانظر الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد: الطوسي ، ص١٦١، والرسالة السعدية: ابن المطهر الحلي، ص٣-١٣ .

(٢) انظر: الحيوان، الجاحظ، ٢٠٧/١.

(٣) المصدر السابق: ٢٩١/٦.

(٤) فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة: القاضي عبد الجبار، ص١٣٩.

(٥) رسائل العدل والتوحيد: القاضي عبد الجبار ، ١٧٠/١.

(٦) درء تعارض العقل والنقل: ابن تيمية، ٣٥٧/٧.

(٧) انظر: المغني في أبواب التوحيد والعدل : القاضي عبد الجبار، ١٥١/١٢.

بذلك نهج من استغنى عن النبوة بهواه، وعن الوحي برأيه ، حتي ثقل عليهم الإيمان بحقائق أسماء الله وصفاته، وما علموا أن الواجب على المؤمن إذا سمع شيئاً من أمور الدين، فوعاه قلبه وفهمه، أن يحمد الله على هذه النعمة والمنة والتوفيق، وإن لم يستطع فهمه وإدراكه، فليؤمن بذلك وليصدق به – وهو مقتضى الإيمان بالله ورسالاته – ويكتفي بذلك بأن ربه وخالقه بكل شيء عليم ، وعلى كل شيء قدير.

فالعقول قاصرة عن تحصيل المعرفة الدينية ، فما قامت الحجة على الخليقة إلا ببعثة الرسل ونزول الكتب؛ لكن العقل شرط في التكليف ، وآلة للتمييز بين القبيح والحسن بين السنة والبدعة، لكنه يحتاج دائماً إلى هداية الوحي، وتنبيه الرسل؛ لتقويمه وتأديبه(١).

والمقصود من ذلك كله أن العقل مصدر من مصادر المعرفة الدينية، لكنه ليس مصدراً مستقلاً، بل يحتاج إلى تنبيه الشرع، وإرشاده إلى الأدلة، لأن الاعتماد على محض العقل، سبيل التفرق والتنازع، وهو حال الشيعة وفرقها؛ فلا تكاد تجد مسألة من مسائلهم والتي يسمونها قطعيات إلا واشتد بينهم فيها النزاع(٢).

وبالعموم فإننا هنا نجمل بعض الردود التي تبين فساد الغلو في العقل والاعتماد عليه دون الشرع:

أولاً: قال الله سبحانه وتعالى حكاية لسؤال الملائكة أهل النار وجوابهم: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى﴾ [**الزُّمر:٧١**] ، وقال سبحانه: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ [**الأنعام:١٣٠**] . فلو كان العقل الحجة التي تنتهي إليها الحجج لما كان هناك فائدة من إرسال الرسل وإنزال الكتب ولوقعت الحجة به، ولاحتج به الله تعالى عليهم على كفرهم – مع العلم بأنهم كان لهم عقولاً عمروا الأرض بها ، وكانوا أكثر أموالا وجمعا –.

ثانياً: لقد أمر الله سبحانه وتعالى في أكثر من أية أن نطيع الرسول ﷺ ونستجيب له ونرد ما تنازعنا إليه، فقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب:٣٦] ، وقال الله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء:٥٩] ، وقال سبحانه: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ [النور:٥٤]، ولم يحل الشارع الحكيم إلى العقل شيء، ولم يجعل الله سبحانه وتعالى العقل مصدراً للتشريع، ولم يترتب الثواب والعقاب على المعقولات المجردة، إنما أحال إلى الكتاب والسنة، فعلم بذلك وجوب ضبط العقل بنصوص الوحي.

---

(١) انظر: منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، عثمان على حسن، ١/١٨٠.

(٢) انظر: المصدر السابق، ١/١٨١.

ثالثـاً: "قال تعالى: ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الكِتَابَ بِالحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [البقرة:٢١٣]، وقال سبحانه:﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ بِالحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ﴾ [النساء:١٠٥] ، وقال سبحانه: ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ ﴾ [النساء:٥٩] ، فكيف يحكم بين الناس في مواطن الخلاف والنزاع كلام وخطاب ليس فيه علم ولا هدى ينتفع به أولوا الألباب كما زعم هؤلاء أن الكتب الإلهية لا يحتج بها في مثل هذه الأبواب فكيف تكون حاكمة بين الناس فيما اختلفوا فيه وأي اختلاف أعظم من الاختلاف في أجل الأمور وهو معرفة الله تعالى واليوم الآخر"(١)

وهب أنا رددنا الأمر عند النزاع إلى عقول الرجال وآرائهم ومقاييسهم فهل نجد حلاً لذلك النزاع ؟ لم نجد إلا مزيداً من الاختلاف والاضطراب والشك والارتياب، وهذا معلوم من خلال استقراء جميع المسائل الخلافية ، فلا يمكن الحكم بين الناس في موارد النزاع والاختلاف على الإطلاق إلا بكتاب منزل من السماء يرجع الجميع إلى حكمه، وإلا فكل واحد من أرباب المعقولات يقول عقلي أولى بالثقة به من عقل منازعي، وهذا يدلي بمعقول وهذا يدلي بمعقول(٢).

يقول الإمام ابن القيم:" إن المعقولات ليس لها ضابط ولا هي محصورة في نوع معين ، فإنه ما من أمة من الأمم إلا ولهم عقليات يختصمون إليها ويختصون بها. فللفرس عقليات، وللهند عقليات، وللمجوس عقليات، وللصابئة عقليات، وكل طائفة من هذه الطوائف ليسوا متفقين على العقليات، بل فيها من الاختلاف ما هو معروف عند المعتنين به، ونحن نعفيكم من هذه المعقولات واضطرابها ونحاكمكم إلى المعقولات التي في هذه الأمة، فإنه ما من مدة من المدد إلا وقد ابتدعت فيها بدع يزعم أربابها أن العقل دل عليها"(٣). أفنترك حكم الله ورسوله ونركن إلى الشك والاضطراب والاختلاف ؟ سبحانك اللهم هذا بهتان عظيم.

رابعـاً: في بيان حال الرسول ﷺ مع الصحابة وكذلك حال السلف مع من كان يسألهم عن مسائل الاعتقاد، فلم يكن الرسول ﷺ يشتغل بتعليم أصحابه التكلم بالجوهر ، والعرض ، والحدوث والقدم، بل كانوا يستدلون على المطالب الإلهية ، والمعارف الشرعية بما في الكتاب والسنة، وذلك لاشتمالها على تلك المطالب وأدلتها، وكذلك حال السلف إذا سئل أحدهم عن مسألة من مسائل الاعتقاد ، أجاب بنصوص الكتاب والسنة ، فدل ذلك على أن الوحي جاء بالأدلة العقلية صافية من كل كدر وما على العقل إلا فهمها وعقلها(٤).

خامساً: يقال للشيعة "إن دور هذا العقل أن يتلقى عن الرسالة؛ ووظيفته أن يفهم ما يتلقاه عن الرسول. ومهمة الرسول أن يبلغ، ويبين، ويستنقذ الفطرة الإنسانية مما يرين عليها من الركام. وينبه العقل

---

(١) الصواعق المرسلة: ابن القيم، ٧٤٦/٢.

(٢) انظر: الصواعق المرسلة: ابن القيم، ٥٣٨/٢.

(٣) المصدر السابق: ٧١١/٢.

(٤) انظر: منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، عثمان على حسن، ١٨١/١-١٨٢.

الإنساني إلى تدبر دلائل الهدى وموحيات الإيمان في الأنفس والآفاق؛ وأن يرسم له منهج التلقي الصحيح، ومنهج النظر الصحيح؛ وأن يقيم له القاعدة التي ينهض عليها منهج الحياة العملية، المؤدي إلى خير الدنيا والآخرة. وليس دور العقل أن يكون حاكماً على الدين ومقرراته من حيث الصحة والبطلان، والقبول أو الرفض، بعد أن يتأكد من صحة صدورها عن الله؛ وبعد أن يفهم المقصود بها: أي المدلولات اللغوية والاصطلاحية للنص ولو كان له أن يقبلها أو يرفضها بعد إدراك مدلولها، لأنه هو لا يوافق على هذا المدلول! أو لا يريد أن يستجيب له ما استحق العقاب من الله على الكفر بعد البيان. فهو إذن ملزم بقبول مقررات الدين متى بلغت إليه عن طريق صحيح، ومتى فهم عقله ما المقصود بها وما المراد منها."[1].

سادساً: إن أدلة العقل غير ثابتة ولا جازمة ولا تفيد اليقين،" فالذين لم يحصل لهم اليقين بالأدلة العقلية أضعاف الذين حصل لهم اليقين بالأدلة السمعية، والشكوك القادحة في العقليات أكثر بكثير من الشكوك القادحة في السمعيات، فأهل العلم، والكتاب، والسنة متيقنون لمراد الله ورسوله، جازمون به، معتقدون لموجبه اعتقاداً لا يتطرق إليه شك ولا شبه"[2]. أما أصحاب العقليات فلا يستطيع أحد أن يجزم أن معقولاته يقينية، وما أجمل قول ابن الحديد وهو يكذب من أوجب معرفة الله بالنظر لا بالوحي:

فيك يا أغلوطة الفكر ... حار أمري وانقضى عمري
سافرت فيك العقول فما ... ربحتْ إلا أذى السفر
فلحى الله الأولى زعموا ... أنك المعروف بالنظر
كذّبوا، وإن الذي ذكروا ... خارج عن قوة البشر[3].

يقول الإمام ابن القيم:" إنَّ أصحاب القرآن والإيمان قد شهد الله لهم وكفى به شهيدا بالعلم واليقين والهدى وأنهم على بصيرة وبينة من ربهم وأنهم هم أولو العقل والألباب والبصائر وأن لهم نورا على نور وأنهم المهتدون المفلحون، قال تعالى في حق الذين يؤمنون بالغيب ولا يعارضونه بعقولهم وآرائهم:﴿ الم(١) ذَلِكَ الكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ(٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ(٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالآَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ(٤) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ(٥) ﴾. [البقرة] وقال: ﴿ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ العَزِيزِ الحَمِيدِ﴾ [سبأ:٦]. هذا دليل ظاهر أن الذي نراه معارضا للنقل ويقدم العقل عليه ليس من الذين أوتوا العلم في قبيل ولا دبير ولا قليل ولا كثير، وقال: ﴿ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى﴾ [الرعد:١٩] . وهذه شهادة من الله على عمى هؤلاء وهي موافقة لشهادتهم على أنفسهم بالحيرة والشك وشهادة المؤمنين عليهم"[4].

---

(١) في ظلال القرآن: سيد قطب، ٨٠٦/٢.
(٢) الصواعق المرسلة: ابن القيم، ٦٦٣/٢.
(٣) شرح الطحاوية في العقيدة السلفية: ابن ابي العز الحنفي، ص١٤٧.
(٤) الصواعق المرسلة: ابن القيم، ٨٥٠/٣.

سابعـــاً: يقال للشيعة:" إن طالب الهدى في غير القرآن والسنة قد شهد الله ورسوله له بالضـــلال فكيف يكون عقل الذي قد أضله الله مقدما على كتاب الله وسنة رسوله قال تعالى في أرباب العقول التـــي عارضوا بها وحيه: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية:٢٣]، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:١٥٣] وقال فيمن قدم عقله على مـــا جاء به:" ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾ [النَّجم:٢٣]، وروى الترمـــذي وغيره من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال سمعت رسول الله يقول إنها ستكون فتنة قلت فما المخرج منها يا رسول الله قال كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل لـــيس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله وهو حبـــل الله المتـــين وهـــو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسن ولا يخلـــق علـــى كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه ولا يشبع منه العلماء وهو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: إنا سمعنا قرآنا ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ [الجنّ:١-٢] من قال به صدق ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل ومن دعى إليـــه هـــدي إلـــى صراط مستقيم(١) "(٢) .

ثامنـــاً: يقال للشيعة الذين لا يتصورون تطرق الخطأ إلى العقل: إنّ كلامكم هذا المتضمن الفصل بين الخطأ والعقل أمر صعب التصور إذ الخطأ من العاقل أمر لا يمكن إنكاره ومرده أولاً وآخـــراً إلـــى النظر العقلي وهو بهذا الوصف طريق غير آمن في مجال العقيدة وإلا فإننا لو سلمنا لكم بوجهة نظـــركم فمعنى هذا أننا ندعي العصمة للعقل(٣).

تاسعـــاً: إن تكفير الشيعة لمن ترك النظر باطل ومردود، و" الدليل على إبطال قولهم هـــو إنـــا نقول: حقيقة الإيمان العائد إلى المعتقد هي طمأنينة النفس وسكون القلب إلى معرفة ما يعتقد بإسناد ذلـــك إلى دليل يصلح له وهذا لا يعدم في حق أحد من العامة وبيان ذلك: أنه لو قيل لأحد من العوام: بم عرفت ربك؟ لقال: بأنه انفرد ببناء هذه السماء ورفعها فلا يشاركه في هذا موصوف بجســم ولا جـــوهر وهـــذا مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ [الغاشية:١٨] ومن سائر الآيات التي فيها ذكـــر الســـماء والاعتبار بها وهذا الآيات هي الأصل عند العلماء وإنما ينفردون عن العامة في هذا ببسيط البيان الملـــيح والتشقيق والغامض الدقيق وفي بيان حكم يدركها العامي فهما بجنانه ويقصر عن شرحها بلسانه"(٤) ، فمن

---

(١)أخرجه الترمذي في سننه: كتاب فضائل القرآن ، باب ما جاء في فضل القرآن، حديث رقم:(٢٩٠٦)، وأخرجه الدرامي في سننة، كتاب فضائل القرآن ، باب فضل من قرآ القرآن، حديث رقم:(٣٣٧٤)، قال حسين الدراني: إسناده حسن.

(٢) الصواعق المرسلة: ابن القيم، ٨٤٦/٣.

(٣) الصلة بين التشيع والاعتزال: محمد الجدعاني، ١٠٥/٢.

(٤) درء تعارض العقل والنقل: ابن تيمية، ٤٤٥/٧.

القبيح الباطل تكفير من حكم الشارع بغيمانه وهم المؤمنون عامة وغيرهم الـــذين لـــم يســـلكوا الطـــرق المبتدعة[١]، ولأن جمهور أهل العلم يقولون بصحة إيمان العامة المقلدين وأما مسالة هل هم عصاة أم غير عصاة في تركهم الاستدلال بعد الحكم بصحة إيمانهم ففيه خلاف والأقرب قول الجمهور أن النظر يجـــب على بعض الناس دون البعض فمن حصلت له المعرفة والإيمان بدونه لم يجب عليه ومن لم تحصـــل لـــه المعرفة والإيمان إلا به وجب عليه[٢] .

(١) المصدر السابق: ٧/٤٤٢.

(٢) المصدر السابق نفسه: ٧/٤٠٥.

المبحث الثاني

رد الشيعة النقل عند تعارضه مع العقل.

نتج عن تقديس الشيعة للعقل وتقديمه على النقل موقفاً مخزياً من النقل، فقد أصَّل الشيعة لهم أصولاً اتخذوها ديناً وشرعاً، عارضوا بها نصوص الكتاب والسنة؛ فإن وافقت النصوص ما أصلوه بعقولهم احتجوا به، وإن خالفت كانت لهم معها إحدى طرق ثلاث:

الأولى: رد النصوص وتكذيبها وخاصة إذا كانت أحاديث.

الثانية: تحريف النصوص بالتلاعب بها وإدخال العبارات بينها لصرفها عن ظواهرها التي وضعت لها أو تحريفها بالتأويل الفاسد.

الثالثة: ابتداع أصول جديدة للاستدلال والتلقي.

يقول محقق الشيعة الحلي:" إذا تعارض ما ذكرتموه –النقل– مع ما ذكرنا من الدليل العقلي فالترجيح لجانب العقل لوجهين : أحدهما: أن النقل يتوقف ثبوته على العقل، فلو طرح العمل بدليل العقل لأجله لزم إطراح الدليلين معا. والثاني: أن دلالة العقل لا تحتمل التأويل ، والنقل محتمل للتأويل، فوجب العمل بما لا يحتمل ، وتنزيل المحتمل على التأويل ، توفيقا بين الدليلين"(١).

ويقول الشيعي محمد حسين المبارك مقرراً مبدأ رد النقل عند تعارضه مع العقل:" لو تعارض عقلك مع النقل الذي هو قول الله ورسوله ، هل نأخذ بما يقبله عقلك ، وإن كان مخالفًا للنقل من الكتاب والسنة ، أو نأخذ بالنقل الذي هو الكتاب والسنة ، ويكون عقلك غير مطمئن ، ولا مصدق ، فيكون ظاهرك مؤمنًا ، وباطنك غير مصدق ، والإيمان معناه التصديق بالجنان، و الإقرار باللسان ، وهذا هو النفاق ، والمنافقون في الدرك الأسفل من النار...، وأما قولهم: إذا تعارض النقل مع العقل فنحن نأخذ ما أتى ، وما جاء عن الله الذي خلق العقل، ورسوله، ونرفض العقول كلها، ونرمي بها في بحر القلزم، لكن بشرط أن يكون قول الله ، أو قول رسوله ، بمعنى لا يكون مكذوبًا على الله ، أو على رسوله ؛ لأنه قال: ستكثر علي الكذابين ، وليس ممكنًا أن نرجح الفرع على الأصل، فالعقل وذلك مثل نور الشمس من الشمس، فمن شعاع من العقل الكلي الذي هو عقل محمد يرجح نور الشمس على قرص الشمس" (٢).

وينقل يوسف البحراني شهرة تقديم العقل على النقل بين صفوف علماء الشيعة قائلاً :" قد اشتهر بين أكثر أصحابنا الاعتماد على الأدلة العقلية في الأصول والفروع وترجيحها على الأدلة النقلية، ولذا تراهم في أصول الدين وأصول الفقه متى تعارض الدليل العقلي والسمعي قدموا الأول واعتمدوا عليه وتأولوا الثاني بما يرجع إليه وإلا طرحوه بالكلية"(٣).

(١) المسلك في أصول الدين: المحقق الحلي ، تحقيق: رضا الأستادي، الناشر: مجمع البحوث الإسلامية، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ، ، ص٦١.

(٢) العقل المجرد : محمد حسين المبارك ، ص٢٢، الطبعة الأولى ، دار البيان العربي ، بيروت ، ١٤١٤هـ.

(٣) الحدائق النضرة في أحكام العترة الطاهرة، المحقق يوسف البحراني ، ١٢٥/١، المقدمة العاشرة، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم.

ويقول محمد جعفر شمس الدين مقرراً مبدأ رد النقل عند تعارضه مع العقل:" وأما الرواية التي استدلوا بها على مدعاهم، والتي تقول بأن الله ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا فيكفي في ردها ، وإسقاطها عن الاعتبار، مخالفتها لحكم العقل باستحالة الحركة على الله سبحانه"(١).

ويقول صالح الورداني بأن الشيعة:" يعتقدون أن كل ما ورد من النقل مما ظاهره خلاف ذلك مثل قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه:٥] ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٣] ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر:٢٢] ﴿يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح:١٠] ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللهُ﴾ [آل عمران:٥٤] ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ﴾ [يونس:٩٩] ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلُوا﴾ [البقرة:٢٥٣] وغير ذلك. يجب تأويله ورده إلى ما حكم به العقل أو يكال علمه إليه تعالى"(٢).

والعمل بتلك الطرق الثلاث التي ذكرناها سابقاً في رد نصوص الوحي من أسس المذهب الشيعي، إذ بدونها لا يستطيعوا أن يثبتوا أي معتقد من معتقداتهم التي ذهبوا إليها وخاصة في مسألة الصفات، والأمثلة على استخدامهم هذه الطرق الثلاثة منتشرة في طيات هذا البحث ولا داعي لتكرارها، ولكن نبين هنا كيف استخدموا هذه الطرق في رد نصوص القرآن والسنة بإيجاز لكي يتضح معالم ردهم للنقل وهي كالتالي:-

أولاً : طرق رد نصوص القرآن الكريم:

١. **تحريف الآيات بإدخال عبارات بينها أو التلاعب في عباراتها لكي تتفق مع ما أصلوه من بدع،** فمن الأمثلة على ذلك ما نسب إلى أمير المؤمنين علي ﷺ قال وهو يخاطب أحد الزنادقة لإقناعه بالإسلام: "وأما قوله: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [القصص:٨٨] فإنما نزلت كل شيء هالك إلا دينه" (٣)، وما رووه عن الرضا علي بن موسى في قول الله سبحانه:﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الغَمَامِ وَالمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾ [البقرة:٢١٠]. قال الرضا: "إنها هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله بالملائكة في ظلل من الغمام، وهكذا نزلت"(٤) ، وهذا التلاعب في الآيات لكي تتفق مع ما ذهبوا إليه من تعطيل لصفات الله تعالى.

٢. **تأويل الآيات وصرفها عن ظاهرها الذي أنزلت به،** فمن الأمثلة عليها، قول محقق الشيعة الحلي:" لما منع العقل من إجراء الألفاظ على ظاهرها -يقصد آيات الصفات- وجب تنزيلها على المجاز، فالمراد بالوجه الذات كقولهم : هذا وجه الصواب. وباليدين القوة كما يقال :لا يد لي بكذا . وبالساق : شدة الأمر

(١) دراسات في العقيدة الإسلامية: محمد جعفر شمس الدين ، ص١٧٥.

(٢) عقائد السنة وعقائد الشيعة التقارب والتباعد : صالح الورداني، الطبعة الأولى، الغدير للدراسات والنشر ، لبنان- بيروت، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م، ص٦٧-٦٨.

(٣) الاحتجاج : الطبرسي، ص٢٥٣.

(٤) التوحيد: الصدوق ابن بابويه: ص ١٦٣، بحار الأنوار: ٣١٩/٣، والاحتجاج: الطبرسي، ص٢٥٣.

كما يقال : شمرت الحرب عن ساق . وبالاستواء على العرش: الاستيلاء كما يقال: اسـتوى بشـر علـى العراق، والجبار المذكور بالخبر[1] يحتمل أن يكون إشارة إلى جبار من كفار البشر..."[2]

ما قاله علي الحسيني الصدر:" ورد في القرآن الكريم من وصفه تعالى بشيء من تلك الصفات كقوله عـزّ اسمه: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ﴾ [المائدة:١١٩] ، وقولـه تعـالى: ﴿وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ ...﴾ [الفتح:٦]، وقوله تعالى:" ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزُّخرف:٥٥] ونحو ذلك ، فهي مؤوّلـة بأنّ المراد في جملة منها غاياتها ونتائجها دون مباديها ونفس حالاتها، فغاية الرضا مثلا الإكرام والإحسان ، وغاية الغضب مثلا العقاب والعذاب ، فيكون رضاه تعالى بمعنى إكرامه، وغضبه بمعنى معاقبته، ولـذا قيل في حقّه تعالى: خذ الغايات واترك المبادئ"[3]إلى غير ذلك من تلك التأويلات الفاسدة.

٣. **اختلاق الآيات والسور بزعم بأنَّ الصحابة قد أسقطوها من القرآن الكريم،** ومن الأمثلة على ذلـك سورة النورين، وسورة الولاية التي يدعي الشيعة أنها حذفت من القرآن الكريم، فقد ذكـر هـذه السـورة عالمهم الخوئي في كتابه منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، وهذا نص سورة الولاية التي يزعمون أنها حذفت من القرآن:" بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحيمِ يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا آمِنُوا بِـالنَّبِيِّ وَ الْـوَلِيِّ اللـذَيْنِ بَعَثْناهُمـا يَهْدِيانِكُمْ إِلى صِراطٍ مُسْتَقيمٍ نَبِيٌّ وَ وَلِيٌّ بَعْضُهُما مِنْ بَعْضٍ ، وَ أَنَا الْعَليمُ الْخَبيرُ ، إِنَّ الَّذينَ يُوفُـونَ بِعَهْـدِ اللَّهِ لَهُمْ جَنّاتُ النَّعيمِ ، فَالَّذينَ إِذا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آياتُنا كانُوا بِآياتِنا مُكَذِّبينَ ، إِنَّ لَهُمْ في جَهَنَّمَ مَقـامٌ عَظـيمٌ ، نُودِيَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيمَةِ أَيْنَ الضّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ لِلمُرْسَلينَ ، ما خَلَفَهُمُ الْمُرْسَلينَ إِلاّ بِالْحَقِّ ، وَ مـا كـانَ اللّـهُ لِيُنْظِرَهُمْ إِلى أَجَلٍ قَريبٍ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَ عَلِيٌّ مِنَ الشّاهِدينَ"[4].

ثانياً: طرق رد السنة النبوية.

١. **رد كل نصوص السنة النبوية والزعم بأنها من أراء الصحابة وأقوالهم الذين هم عند الشيعة كفار مرتدين،** فمن الأمثلة على ذلك: ما قاله عالم الشيعة عبد الهادي الفضلي:" ما هو موقفنا –نحن الإماميـة– من مرويات أقوال الصحابة التي هي نتائج اجتهاد ورأي ؟ إن الموقف يتمثل في عدم جواز الأخذ بها"[5]، وما أكد عليه صالح الورداني بقوله:" لا تأخذ الشيعة برواية أي صحابي ، لأن لها رؤيتها فـي الصـحبة تختلف عن رؤية السنة ، فليس كل صحابي عند السنة هو صحابي عند الشيعة ، بالإضافة إلى أن فكـرة عدالة جميع الصحابة هي فكرة مرفوضة وغير معترف بها"[6].

---

(١) يشير الحلي إلى الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه عن أنس عن النبي ﷺ : لا تزال جهنم { تقول هل من مزيد } حتى يضع رب العزة فيها قدمه فتقول قط قط وعزتك ويزوى بعضها إلى بعض رواه شعبة عن قتادة.(أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الإيمان والنذور، باب الحلف بعزة الله وصفاته وكلماته ، حديث رقم: ٦٦٦١، ١٣٤/٨.

(٢) المسلك في أصول الدين: المحقق الحلي، ص٦١-٦٣.

(٣) العقائد الحقة : على حسين الصدر، ص ١٨٠-١٨١.

(٤) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: حبيب الله الهاشمي الخوئي، ٢١٧/٢.

(٥) دروس في أصول فقه الإمامية: عبد الهادي الفضلي، ص١٧٦-١٧٨.

(٦) عقائد السنة وعقائد الشيعة : صالح الورداني ،ص ١٠٩

٢. **تأليف سنة جديدة والزعم بأنها من عند الله سبحانه وتعالى،** حيث عدوا أهوائهم وأرائهم التي نسبوها إلى أئمة آل البيت بأنها أقوال النبي ﷺ ، وأنها قول الله جل وعلا، ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في كتاب الكافي أنَّ أبا عبد الله قال:"حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدي، وحديث جدي حديث الحسين، وحديث الحسين حديث الحسن، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين، وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله ﷺ، وحديث رسول الله قول الله عز وجل"(١). وما قاله عالمهم محمد رضا المظفر: إنَّ الأئمة من آل البيت عليهم السلام ليسوا هم من قبيل الرواة عن النبي والمحدثين عنه ليكون قولهم حجة من جهة أنهم ثقاة في الرواية بل لأنهم هم المنصوبون من الله تعالى على لسان النبي لتبليغ الأحكام الواقعة ، فلا يحكمون إلا عن الأحكام الواقعية عند الله تعالى كما هي... وعليه فليس بيانهم للأحكام من نوع رواية السنة وحكايتها ، ولا من نوع الاجتهاد في الرأي والاستنباط من مصادر التشريع ، بل هم أنفسهم مصدر للتشريع ، فقولهم سنة لا حكاية سنة..."(٢).

الخلاصة: يتضح مما سبق بأن منهج الشيعة في العقل والنقل، منهج قائم على رد نصوص الكتاب والسنة الصحيحة والتشكيك فيها، وهو منهج قائم على أن ما أسسته عقولهم هو الأصل وما سواه فرع لذلك الأصل، ويجب إخضاع ذلك الفرع لذلك الأصل بأي وسيلة من الوسائل، فإن وافقها وهو مستحيل في هذا الباب أخذوا به، وإن خالفها وهو في الغالب فلهم معه ثلاث طرق إما تحريفه أو رده بالكامل، أو تأليف الأكاذيب ما يناسب تلك العقول والزعم بأنها من النقل ومن عند الله.

ولقد صدق الإمام أحمد قوله فيهم لما سُئل عنهم وعن الجهمية فقال رحمه الله "... مختلفون في الكتاب، مخالفون للكتاب، مجمعون على مفارقة الكتاب ، يقولون على الله وفي الله، وفي كتاب الله بغير علم، ويتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم، فنعوذ بالله من فتن المضلين"(٣).

المناقشة:

إن أهل الرفض في مغالتهم للعقل وتشريفهم له قد أساؤوا إلى العقل أيما إساءة حيث أوغلوا به في مفاوز لا يهتدى فيها إلى الحق والرشاد ، ولم ولن يصلوا إلى ربع معشار ما عليه أهل السنة والجماعة من تكريمهم للعقل وتشريفه، فأهل السنة والجماعة من السلف وأئمة أهل العلم والإيمان متفقون على أن المنقول الصحيح عن النبي ﷺ موافق لصريح المعقول، وأن الرسول ﷺ لم يأت بشيء يستحيل على العقل فهمه وقبوله.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:" النصوص الثابتة في الكتاب والسنة لا يعارضها معقول بيّنٌ قط ، ولا يعارضها إلا ما فيه اشتباه واضطراب، وما علم أنه حق لا يعارضه ما فيه اضطراب واشتباه ، ولو

---

(١) أصول الكافي، كتاب فضل العلم، باب رواية الكتب والحديث١/٥٣.

(٢) أصول الفقه : محمد رضا المظفر، ٢/٥٧-٥٨.

(٣) الرد على الزنادقة والجهمية : الإمام أحمد بن حنبل الشيباني أبو عبد الله، تحقيق: محمد حسن راشد، الناشر: المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٩٣هـ، ص٦.

لم يعلم أنه حق بل نقول قولاً عاماً كلياً: إن النصوص الثابتة عن الرسولﷺ لم يعارضها قط صريح معقول فضلاً عن أن يكون مقدماً عليها ، وإنما الذي يعارضها شبه وخيالات مبناها على معان متشابهة وألفاظ مجملة ، فمتى وقع الاستفسار والبيان ظهر أن ما عارضها شبه سوفسطائية لا براهين عقلية"(١).

ويقول قوام السنة الأصبهاني:" ولا نعارض سنة النبي ﷺ بالمعقولات ، لأن الدين إنما هو الانقياد والتسليم دون الرد إلى ما يوجبه العقل، لأن العقل ما يؤدي إلى قبول السنة ، فأما ما يؤدي إلى إبطالها فهو جهل لا عقل"(٢).

ولقد ناقش السلف الصالح أسياد الشيعة-المعتزلة- فيما ذهبوا إليه من ردهم للنقل، وبينوا بطلان مذهبهم من خلال الكتاب والسنة والعقل الصريح ، حتى انهار بنيانهم وخر عليهم السقف واندرسوا فيما مضى، فجاء أصحاب الرفض ليبنوا أصولهم على تلك الأنقاض، مستخدمين سلاح الكذب على الرسول ﷺ ، ليخدعوا به جهال الناس، فكان لزاماً أن نرد عليهم وفق منهج أهل السنة في الرد على أهل البدع ونبين بطلان مذهبهم من خلال الكتاب والسنة و العقل الصريح الموافق للنقل الصحيح، وأقوال أئمة أهل السنة، مع بيان تناقضات معقولات الاثنا عشرية، وهو في التالي:

أولاً : الرد عليهم من خلال الكتاب(٣) .

١. حثّ الله تعالى على النظر والتفكر والتدبر في كتاب الله المشهود الذي هو الكون، وفي كتابه المتلو الذي هو القرآن، مخاطباً بذلك أولي النهى والألباب والعقول، وكم من آية في القرآن قد ختمت بقوله:﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:٤٤] ، ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [هود:٢٤] وقال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد:٢٤] ، وقال تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء:٨٢] ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون:٦٨]،فلو كان في القرآن ما يخالف قضايا العقول لما أمر بهذا التدبر والتفكر ، الذي يكشف عن مواطن الضعف والقصور والتعارض، فلما أمر بذلك لزم أن يكون منزها عن التعارض في نفسه، وعن التعارض مع العقل الصحيح .

٢. قال تعالى: ﴿ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾ [النَّجم:٢٣]، فهذا شاهد بأن كل من خالف الشرع المنزل فإنما يتبع ظنه وهواه، وإن سماه معقولاً أو مكاشفة أو حقيقة أو برهانا أو يقينا ، فإن الأسماء لا تغير من حقائق الأشياء.

٣. الآيات التي دلت على قطع الحجة ، وإسقاط المعذرة بإرسال الرسل وإنزال الكتب، قال تعالى : ﴿ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء:١٦٥] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التوبة:١١٥] ، فلو كان في العقول ما ينافي المنزل من الكتاب والحكمة، ولما قامت به الحجة وسقطت به المعذرة.

---

(١) درء تعارض العقل والنقل : ابن تيمية ، ١٥٥/١-١٥٦.

(٢) الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة : أبو القاسم الأصبهاني، ٥٤٩/٢.

(٣) انظر: منهج الاستدلال في مسائل الاعتقاد ، عثمان على حسن ، ٣٧٧/١.

ثانياً : الرد عليهم من خلال السنة الشريفة.

١. روي عن النبي ﷺ أنه قال:" قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك"[١] ففي هذا الحديث إثبات كون الشريعة المنزلة واضحة المعالم وبينة القسمات ، وأنّ طريقة السلف أسلم ، وأنهم لم يخوضوا في معارضة الشريعة بالآراء والأقيسة ونحوها، والسلامة أعظم الغايات التي يطالبها المسلم لدينه وعرضه وماله، وما سواها هو التعرض للهلاك والبوار[٢].

٢. وروي عن عائشة أنها قالت قال رسول الله ﷺ:" من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد"[٣] فيتبين من هذا الحديث أن كل أمر مخالف للكتاب والسنة فهو مردود على صاحبه، وإنّ زخرف قوله وسماه معقولاً، قال الإمام النووي رحمه الله بخصوص هذا الحديث:" هذا الحديث مما ينبغي حفظه و استعماله في إبطال المنكرات، وإشاعة الاستدلال به"[٤].

٣. في بيان حال الصحابة رضوان الله عليهم مع النبي ﷺ، الذين علموا أنه رسول الله الصادق فيما يخبر به، ويعلمون أن ما ناقض خبره فهو باطل، فكانوا رضوان الله عليهم يردون ما أشكل عليهم من أمور دينهم إليه ﷺ ، ولا يقولون إن عقولهم حجة فيعارضوا بها أخباره بالأمور التي يحتج بها المعارضون ويسمونها عقليات أو براهين، ولو كان للعقل وزن أمام قول الله ورسوله لجاء الأثر يدل على ذلك[٥] ، والأمثلة على رد ما أشكل إلى النبي ﷺ كثيرة نذكر منها :

- لما أخبر رسول الله ﷺ بأنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة ، قالت له حفصة ﷺ أليس الله تعالى يقول:﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴾ ،فقال ﷺ :"ألم تسمعي قول الله تعالى ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾[٦] فأشكل عليها رضي الله عنها الجمع بين النصين لما ظنت أن الورود في الآية هو الدخول في النار[٧].
- لما نزل قول الله تعالى:﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ قال الصحابة: وأينا يا رسول الله لم يلبس إيمانه بظلم ؟ قال رسول الله ﷺ:" ذلك الشرك ، ألم تسمع قول العبد الصالح ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [٨]، فلما أشكل على الصحابة رضي الله عنهم المراد بالظلم سألوا النبي ﷺ ، فبين لهم بأن المراد بالظلم الرافع للأمن والهداية على الإطلاق هو الشرك.

---

(١) أخرجه ابن ماجة في صحيحه ، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، حديث رقم: (٤٣)، صححه الألباني

(٢) انظر: منهج الاستدلال في مسائل الاعتقاد ، عثمان على حسن ، ٣٧٩/١.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الصلح ، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فهو مردود ، حديث رقم:(٢٦٩٧) ، ومسلم في صحيحه كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ، حديث رقم:(١٧١٨).

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي: النووي ، ١٢/١٦.

(٥) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية: ٢٨/١٣.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل أهل الشجرة، حديث رقم:(٢٤٩٦).

(٧) انظر: الصواعق المرسلة: ابن القيم، ١٠٥٤/٣.

(٨) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى ولقد أتينا لقمان الحكمة، حديث رقم:(٣٤٢٨).

يقول الإمام ابن تيمية بهذا الخصوص :" فكان من الأصول المتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان أنه لا يقبل من أحد قط أن يعارض القرآن برأيه ولا ذوقه ولا معقوله ولا قياسه ولا وجده، فإنهم ثبت عنهم بالبراهين القطعيات، والآيات البينات أن الرسول جاء بالهدى ودين الحق، وأن القرآن يهدي للتي هي أقوم"(١).

ثالثاً : الرد عليهم من خلال العقل الصريح .

١. أن مورد مناط التكليف هو العقل، ويدور معه وجودا وعدما، وذلك ثابت بالاستقراء التام، فلو جاءت الشريعة على خلاف ما تقتضيه العقول لكان لزوم التكليف على العاقل أشد من لزومه على المعتوه والنائم والصبي ، إذ لا عقل لهؤلاء يصدق أو لا يصدق ، فلو سقط التكليف عن هؤلاء لكان سقوطه عن العقلاء أولى وأخلق، وذلك مناف لوضع الشريعة ، فكان ما يؤدي إليه باطلاً(٢).

٢. لو كان في الشريعة ما يناقض العقل ، لكان الكفار أول من رد الشريعة به ؛لأنهم كانوا في غاية الحرص على ردّ ما جاء به الرسول ﷺ حتى كانوا يفترون على الشريعة وصاحبها الكذب، فيقولون: سحر وساحر ، وكهانة وكاهن ، وشعر وشاعر، ونحو ذلك"(٣).

٣. أرسل الله الرسل إلى عباده قطعاً للحجة، والحجة إنما تدرك دلالتها بالعقل ، فلو كان فيما جاؤوا به ما ينافي العقول لما كان إرسال الرسل قطع للحجة (٤).

٤. إن الشيعة في تقديمهم عقولهم وأهوائهم على النقل، واشتراطهم انتفاء المعارض العقلي ، إذا تتلى عليهم آيات الله تزيدهم ريباً وشكاً ونفاقاً ، لأنهم يشترطون انتفاء المعارض العقلي أو حكم المعصوم الغائب، أما المؤمنين فإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا قال تعالى:﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال:٢-٤] .وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة:١٢٤-١٢٥] (٥)، وهذا هو واقع حالهم من خلال زعمهم تحريف كتاب الله والشك في آياته، ورد سنة رسولهﷺ بزعم أن الصحابة ارتدوا وكفروا بعد رسول الله، كل ذلك بسبب ما أسسوه في عقولهم من بدعة الإمامة.

---

(١) مجموع الفتاوى: ابن تيمية، ٢٨/١٣.

(٢) انظر: الموافقات: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي ، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، الطبعة الأولى، الناشر: دار ابن عفان، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، ٢٠٨/٣-٢٠٩.

(٣) انظر: المرجع السابق ٢٠٩/٣-٢١٠.

(٤) منهج الاستدلال في مسائل الاعتقاد : عثمان على حسن ، ٣٨٣/١.

(٥) انظر : درء تعارض العقل والنقل، ٣٣٦/٥-٣٣٧.

٥. إن تقديم العقل على الشرع قدح في العقل نفسه، إذ أن العقل دّلنا على عصمة الوحي، ولم يدلنا على عصمة نفسه، فتقديم ما ليس بمعصوم – وهو العقل – على ما هو معصوم- وهو الوحي- طعن في الوحي والعقل جميعاً[١].

رابعاً: الرد عليهم من خلال أقوال علماء أهل السنة:

ناقش أهل السنة والجماعة من عارض النقل بالعقل، منذ أن أخذ أصحاب الأهواء الفاسدة تلك المعقولات من فلاسفة اليونان أمثال أرسطوا وأفلاطون وغيرهما، وألفوا في الرد عليهم العديد من المؤلفات لإبطال منهجهم وبيان فساده، ولعل كتاب شيخ الإسلام ابن تيمية درء تعارض العقل والنقل[٢]، ومن بعده كتاب تلميذه ابن القيم الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، يعدان من أجل الكتب المصنفة في إبطال مناهج المتكلمين ونصرة منهج أهل السنة والجماعة[٣]، وهنا نبين نماذج من ردود علماء أهل السنة على هؤلاء المبتدعة:

١. قال الإمام مالك رحمه الله ضارباً مثلاً على تناقضات عقول أصحاب الأهواء:" أو كلما جاء رجل أجدل من الآخر رد ما أنزل جبريل على محمد ﷺ"[٤].

٢. ويقول الإمام الطحاوي رحمه الله :" فمن رام علم ما حظر عنه علمه، ولم يقنع بالتسليم فهمه، حجبه مرامه عن خالص وصافي المعرفة، وصحيح الإيمان ، فيتذبذب بين الكفر والإيمان، والتصديق والتكذيب ، والإقرار والإنكار، موسوساً، تائها، شاكاً، لا مؤمنا مصدقا، ولا جاحدا مكذبا" . قال شارح الطحاوية:" وهذه حالة كل من عدل عن الكتاب والسنة إلى علم الكلام المذموم..."[٥]

٣. ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية:" الفرقان بين الحق والباطل والهدى والضلال والرشاد والغي وطريق السعادة والنجاة وطريق الشقاوة والهلاك : أن يجعل ما بعث الله به رسله وأنزل به كتبه هو الحق الذي يجب إتباعه، وبه حصل الفرقان والهدى والعلم والإيمان، فيصدق بأنه حق وصدق وما سواه من كلام سائر الناس يعرض عليه، فإن وافقه فهو حق وإن خالفه فهو باطل، وإن لم يعلم هل وافقه أو خالفه لكون ذلك الكلام مجملا لا يعرف مراد صاحبه أو قد عرف مراده ولكن لم يعرف هل جاء الرسول

---

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل : ابن تيمية ١٧٠/١.

(٢) قال الإمام ابن القيم في مدح هذا الكتاب :" فإنه كتاب لم يطرق العالم له نظيراً في بابه، فإنه هدم قواعد أهل الباطل من أسها ، فخرت عليهم سقوفه من فوقهم، وشيد فيه قواعد أهل السنة والحديث وأحكمها ، ورفع أعلامها ، وقررها بمجامع الطرق التي تقرر بها الحق من العقل والنقل والفطرة ، فجاء كتاباً لا يستغنى عنه من نصح نفسه من أهل العلم ، فجزاه الله عن أهل العلم والإيمان أفضل الجزاء، وجزى العلم والإيمان به كذلك " طريق الهجرتين وباب السعادتين، ابن القيم، ، تحقيق : عمر بن محمود ،الطبعة الثانية، دار ابن القيم ، ١٤١٤هـ، ص ١٥٥.

(٣) منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل: جابر إدريس على أمير ، ٤٧٧/٢.

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: أبو القاسم هبة الله اللالكائي ، ١٤٤/١.

(٥) شرح الطحاوية في العقيدة السلفية:ابن أبي العز الحنفي، ص ١٤١

بتصديقه أو تكذيبه فإنه يمسك فلا يتكلم إلا بعلم . والعلم ما قام عليه الدليل، والنافع منه ما جاء به الرسول"[١].

٤. ويقول ابن تيمية:" وأهل الضلال الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا يتمسكون بما هو بدعة في الشرع ومشتبه في العقل، تجعل منه دينا وأصول دين ثم يعرضون على ذلك القرآن والحديث، فإن وافقه احتجوا به اعتضادا لا اعتمادا، وإن خالفه فتارة يحرفون الكلم عن مواضعه ويتأولونه على غير تأويله، وهذا فعل أئمتهم ...، و يجعلون كلام الله ورسوله الذي يخالفها من المتشابه الذي لا يعرف معناه إلا الله أو لا يعرف معناه إلا الراسخون في العلم، والراسخون عندهم من كان موافقا لهم على ذلك القول؛ وهؤلاء أضل ممن تمسك بما تشابه عليه من آيات الكتاب، وترك المحكم كالنصارى والخوارج وغيرهم ؛ إذ كان هؤلاء أخذوا بالمتشابه من كلام الله وجعلوه محكما وجعلوا المحكم متشابها. وأما أولئك – كنفاة الصفات من الجهمية ومن وافقهم من المعتزلة وغيرهم وكالفلاسفة – فيجعلون ما ابتدعوه هم برأيهم هو المحكم الذي يجب اتباعه وإن لم يكن معهم من الأنبياء والكتاب والسنة ما يوافقه ويجعلون ما جاءت به الأنبياء وإن كان صريحا قد يعلم معناه بالضرورة يجعلونه من المتشابه ؛ ولهذا كان هؤلاء أعظم مخالفة للأنبياء من جميع أهل البدع"[٢].

٥. وقال ابن تيمية: " كل من خالف ما جاء به الرسول لم يكن عنده علم بذلك ولا عدل بل لا يكون عنده إلا جهل وظلم وظن﴿ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾ [النَّجم:٢٣وذلك لأن ما أخبر به الرسول فهو حق باطنا وظاهرا فلا يمكن أن يتصور أن يكون الحق في نقيضه؛ وحينئذ فمن اعتقد نقيضه كان اعتقاده باطلا والاعتقاد الباطل لا يكون علما وما أمر به الرسول فهو عدل لا ظلم فيه فمن نهى عنه فقد نهى عن العدل ومن أمر بضده فقد أمر بالظلم ؛ فإن ضد العدل الظلم فلا يكون ما يخالفه إلا جهلا وظلما ظنا وما تهوى الأنفس وهو لا يخرج عن قسمين أحسنهما أن يكون كان شرعا لبعض الأنبياء ثم نسخ وأدناهما أن يكون ما شرع قط؛ بل يكون من المبدل فكل ما خالف حكم الله ورسوله فإما شرع منسوخ وإما شرع مبدل ما شرعه الله ؛ بل شرعه شارع بغير إذن من الله كما قال : ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشُّورى:٢١] ..."[٣] .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية عائباً تصورات عقول أمثال هؤلاء، ممن قدم عقله على كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ:" فيا ليت شعري بأي عقل يوزن الكتاب والسنة، فرضي الله عن الإمام مالك بن أنس حيث قال: "أو كلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ما جاء به جبريل إلى محمد ﷺ لجدل هؤلاء"[٤].

---

(١) مجموع الفتاوى : ابن تيمية، ١٣/١٣٥-١٣٦.

(٢) المصدر السابق، ١٣/١٤٢-١٤٣.

(٣) المصدر السابق نفسه، ١٣/٦٤

(٤) المصدر السابق نفسه، ٥/٢٩.

٦. ويقول الإمام ابن القيم:" إنَّ المعارضة بين الوحي والعقل نتيجة جهلين عظيمين: جهل بالوحي وجهل بالعقل ، أما الجهل بالوحي فإن المعارضة لم يفهم مضمونه وما دل عليه، بل فهم منه خلاف الحق الذي دل عليه وأريد به ، ثم عارض ما دلَّ عليه بالرأي والمعقول ، ونحن ننزل معه درجة ونبين أن المعقول الذي ذكره لا يصلح لمعارضة المعنى الباطل الذي فهمه من الوحي، فضلاً عن المعنى الصحيح الذي دلَّ عليه الوحي، فإنه يستحيل أن يعارض معارضة صحيحة البتة بل هو الحق الذي ليس بعده إلا الضلال ، والله تعالى هو الحق ، وكلامه حق ، ورسوله حق ، ودينه حق ، وما خالف ذلك فهو الباطل المحض الذي لا يقوم على صحته دليل بل الأدلة الصحيحة التي تنتهي مقدماتها إلى الضروريات تدل على بطلانه، أما الجهل بالعقل فإنه لا يتصور أن يعارض العقل الصحيح الوحي أبداً ، ولكن الجاهل يظن أن تلك الشبهة عقلية، وهي جهلية خيالية..."(١).

٧. يقول ابن أبي العز الحنفي:" العاقل يعلم أن الرسول معصوم في خبره عن الله تعالى ، لا يجوز عليه الخطأ، فيجب عليه التسليم له والانقياد لأمره ، وقد علمنا بالاضطرار من دين الإسلام أن الرجل لو قال للرسول ﷺ: هذا القرآن الذي تلقيه علينا والحكمة التي جئتنا بها قد تضمن كل منهما أشياء كثيرة تناقض ما علمناه بعقولنا ، ونحن إنما علمنا صدقك بعقولنا ، فلو قبلنا جميع ما تقوله مع أن عقولنا تناقض ذلك لكان قدحا في ما علمنا به صدقك ، فنحن نعتقد موجب الأقوال المناقضة لما ظهر من كلامك ، وكلامك نعرض عنه ، لا نتلقى منه هديا ولا علما ، لم يكن مثل هذا الرجل مؤمنا بما جاء به الرسول ، ولم يرض منه الرسول بهذا ، بل يعلم أن هذا لو ساغ لأمكن كل أحد أن لا يؤمن بشيء مما جاء به الرسول ، إذ العقول متفاوتة، والشبهات كثيرة، والشياطين لا تزال تلقي الوساوس في النفوس، فيمكن كل أحد أن يقول مثل هذا في كل ما أخبر به الرسول وما أمر به ! ! وقد قال تعالى:﴿ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا البَلَاغُ ﴾ وقال:﴿ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا البَلَاغُ المُبِينُ ﴾ وقال تعالى:﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ .وقال تعالى :﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾ ﴿ حم *وَالكِتَابِ المُبِينِ ﴾ وقال تعالى: ﴿ تِلْكَ آَيَاتُ الكِتَابِ المُبِينِ ﴾ وقال الله تعالى:﴿ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ وقال تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ ونظائر ذلك كثيرة في القرآن..."(٢).

٨. وقال ابن أبي العز الحنفي:" كل من قال برأيه وذوقه وسياسته مع وجود النص ، أو عارض النص بالمعقول فقد ضاهى إبليس ، حيث لم يسلم لأمر ربه حيث قال: ﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾ [ص:٧٦] "(٣).

---

(١) الصواعق المرسلة: ابن القيم، ١٢٠٧/٤.

(٢) شرح العقدية الطحاوية: ابن أبي العز الحنفي ، ص١٤٠ .

(٣) المصدر السابق ، ص١٤٦.

خامساً: الرد عليهم من خلال بيان تناقض عقولهم في فهم صفات الله تعالى:

١. ثبت من خلال البحث بأن عقول أوائل الشيعة في صفات الله، مخالف تماماً لما عليه عقول أواخرهم، إذ أن أوائلهم كانوا على التشبيه بسبب ما أسسته عقولهم في ذلك، حيث رأوا أنه يستحيل على الله أن يخاطبنا إلا بما نعقل، لذا أوجبوا أن تكون صفاته سبحانه وتعالى من جنس ما عليه صفاتنا، بينما ذهب أواخرهم ممن تأثر بالمعتزلة إلى نفي الصفات عن الله بزعم أن ثبوت الصفات له يؤدي إلى التشبيه والتجسيم في الذات الإلهية، وهذا التناقض بين أوائل الشيعة وأواخرهم ليدلل على فساد معقولاتهم التي ذهبوا إليها والتي كانت نتيجة تقديم أرائهم وأقوالهم الكلامية على كلام الله ورسوله وتأثرهم بأهل الديانات الآخرى.

٢. كذلك وكما اختلفت عقول أوائل الشيعة وأواخرهم في صفات الله، اختلفت أيضاً عقول متأخريهم في بيان المراد من الصفات الواردة في الكتاب والسنة، هل هي تعود إلى نفي معنى السلب كما ذهب لذلك ابن بابويه، أم أنها اعتبارات عقلية تحدثها عقولنا كما أفاد بذلك شيخهم المفيد، وهذا الاختلاف والتناقض في بيان مفهوم الصفات يدل على فساد تلك العقول وعدم اهتدائها إلا إلى الباطل والضلال.

٣. كذلك مما يبين تناقضات عقولهم واختلالها، ما ذهب إليه المفيد في كتابه الذي أسماه تصحيح اعتقادات الإمامية والذي ذهب فيه إلى انتقاد شيخه ابن بابويه في اعتقاداته مع أن ابن بابويه كان يعتمد على الروايات المنسوبة لأئمة أل البيت، حيث اتهمه بأنه من قليلي الفطنة بسبب اعتماده على مرويات الأئمة ، فقال عنه:" أصحابنا المتعلقين بالأخبار أصحاب سلامة وبعد ذهن وقلة فطنة يمرون على وجوههم فيما سمعوه من الأحاديث ولا ينظرون في سندها ولا يفرقون بين حقها وباطلها" [١].

٤. ومما يبين اختلال عقولهم، تجدد الاختلافات بين الإخباريين والأصوليين، على أصول الاعتقاد المعول العمل عليها هل هي أقوال المعصوم وما جاء عنه، أم ما دلَّ عليه العقل وما أخبر به.

كل هذه التناقضات والاختلافات بين عقول الاثنا عشرية أنفسهم، وبين غيرها من العقول التي قدمت الآراء والأهواء على صحيح المنقول، يلخصها لنا شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله:" وقد تأملت ذلك في عامة ما تنازع الناس فيه، فوجدت ما خالف النصوص الصحيحة الصريحة شبهات فاسدة يعلم بالعقل بطلانها، بل يعلم بالعقل ثبوت نقيضها الموافق للشرع، وهذا تأملته في مسائل الأصول الكبار ، كمسائل التوحيد ، والصفات ، ومسائل القدر ، والنبوات ، والمعاد ، وغير ذلك . ووجدت ما يعلم بصريح العقل لم يخالف سمع قط..."[٢]، ولعل ما سنناقشهم فيه من أدلتهم العقلية على نفيهم للصفات، سوف يؤكد ما ذهب إليه الإمام ابن تيمية من أن العقل الصريح لا يعارض النقل الصحيح إطلاقاً[٣].

---

(١) تصحيح اعتقادات الإمامية : المفيد ، ٨٨

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، ١٤٧/١.

(٣) انظر: ص٤٠٢ وما بعدها من هذا البحث.

الباب الرابع:
أدلة الشيعة الاثنا عشرية في نفي الصفات

الفصل الأول: الأدلة النقلية

المبحث الأول: الأدلة من القرآن الكريم.
المبحث الثاني: الأدلة من السنة الشيعية.

الفصل الثاني: الأدلة العقلية

المبحث الأول: إثبات الصفات يؤدي إلى القول بتعدد القدماء.
المبحث الثاني: إثبات الصفات يؤدي إلى التجسيم والتشبيه.
المبحث الثالث: إثبات الصفات يؤدي إلى التركيب والتكثر في الذات الإلهية.

الفصل الأول
الأدلة النقلية

المبحث الأول

الأدلة من القرآن الكريم

المطلب الأول: أدلة الشيعة من القرآن الكريم.

بالرغم من نظرة الشك والريبة التي نظرها الشيعة الاثنا عشرية للقرآن الكريم، ورفضهم لكل آيات الصفات وتسلطهم عليها بالتأويل الفاسد بما يخدم موقفهم في نفي الصفات عن الله تعالى، إلا أنهم نظروا في آيات الذكر الحكيم لعلهم يجدوا ما يسندوا به مذهبهم في التعطيل ، فوجودا الآيات التي تنزه الله تعالى عن النقص والتمثيل فاستدلوا بها على إثبات نفي الصفات ، مثل قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشُّورى:١١] ،وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه:١١٠] ، وزعموا أن هذه الآيات من المحكمات التي يجب رد كل آيات الصفات إليها لأنها من المتشابه، ثم الفهم منها معنى يخالف ما عليه تلك الآيات، زاعمين أن التمسك بظواهر آيات الصفات يؤدي إلى التجسيم والتشبيه في الذات الإلهية والله ليس كمثله شيء[١].

يقول الشيعي محمد جعفر شمس الدين:" إن جميع الآيات التي استدل به مثبتة الصفات لا يمكن قبولها على ظاهرها، بالجمود على حقائق الألفاظ الواردة فيها. وذلك لأمرين: الأول: لمصادمتها مع حكم العقل باستحالة أن يكون الله تعالى جسمًا. الثاني: ولكونها من متشابه الآيات الذي يعارض المحكم من الآيات، كقوله تعالى﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشُّورى:١١]، فلا بد من إرجاع المتشابه إلى المحكم وعرضه عليه، لذلك أول العلماء جميع آيات الصفات، بصرفها عن ظاهرها، لتكون موافقة مع حكم العقل، ومحكم الآيات "[٢]، ويضيف قائلاً:" والحقيقة أن المجسمة، حيث جمدوا على ظاهر ألفاظ هذه الآيات، ومن دون تحكيم للعقل، بل ولا تدقيق في النواحي اللغوية والنحوية، التي لو حاولوا إعمالها ، لما وقعوا فيما وقعوا فيه من سخف"[٣].

وفي موضع أخر يقول:" أما كتاب الله فيكفينا منه آية واحدة فقط ، وهي قوله تعالى:﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشُّورى:١١] ، فإننا لو اقتصرنا على هذه الآية فقط، لكانت كافية في الدلالة على نفي كونه تعالى جسماً مركباً من الأعضاء والأجزاء ، وحاصلاً في المكان والجهة إذ لو كان جسماً مركباً مثلاً لسائر الأجسام فيلزم حصول الأمثال والأشباه له" [٤].

---

(١) انظر: العقائد الإسلامية : تأليف مركز المصطفى للدراسات الإسلامية، ٥١/٢، و التوحيد بحوث تحليلية في مراتبه ومعطيات: جواد علي كيسار، ٤٦٦/٢-٤٦٧.

(٢) انظر: دراسات في العقيدة الإسلامية: محمد جعفر شمس الدين، ص١٥١.

(٣) المصدر السابق: ص١٧٠.

(٤) المصدر السابق نفسه: ص١٤٧.

ويقول الشيعي الأسعد بن علي:" إن بعض الاتجاهات تجمدت في حدود حرفية بعض الآيات لتثبت لله يداً ورجلا ووجهاً ، وتنسب له الاستواء على العرش، بمعانيها الحقيقية غافلين عن الآيات المحكمة الأخرى والكثيرة التي تنزّه الله عن الجسمية والتشبيه وتجزم أنه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وأنه ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ "[1].

ويرى علامة الشيعة الطبطبائي أن القرآن فيه من البيان كل شيء، فالدليل الذي يوجب صرف آيات الصفات عن ظاهرها هو قوله تعالى:﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، ضارباً مثال على ذلك بقوله:" فمثلا قوله تعالى:﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه:٥] يشتبه المراد من كيفية الاستواء لكن إذا رُجع إلى قوله تعالى:﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشُّورى:١١]،عُلم أن المراد من الاستواء هو التسلط على الملك والإحاطة على الخلق، دون التمكن والاعتماد على المكان الذي يستلزم التجسيم المستحيل"[2] .

وفي كتابه الميزان قال الطبطبائي:" إنّ من الضروري الثابت بالضرورة من الكتاب والسنة أنّ الله سبحانه وتعالى لا يوصف بصفة الأجسام، ولا ينعت بنعوت الممكنات مما يقضي بالحدوث ويلازم الفقر والحاجة والنقص، فقد قال تعال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ [الشُّورى:١١]، وقال تعالى : ﴿وَاللهُ هُوَ الغَنِيُّ﴾ [فاطر:١٥]، وقال تعالى: ﴿اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزُّمر:٦٢]، إلى غير ذلك من الآيات ، وهي آيات محكمات ترجع إليها متشابهات القرآن . فما ورد من الآيات وظاهرها إسناد شيء من الصفات أو الأفعال الحادثة إليه تعالى، ينبغي أن يرجع إليها، ويفهم منها معنىً من المعاني لا ينافي صفاته العليا وأسماءه الحسنى تبارك وتعالى"[3] .

بينما ذهب الشيعي جواد على كيسار إلى تأييد ما قاله الرازي بخصوص آية:﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، حيث قال–الرازي–:" احتج علماء التوحيد قديماً وحديثاً بهذه الآية في نفي كونه تعالى جسماً مركباً من الأعضاء والأجزاء وحاصلاً في مكان والجهة ، وقالوا : لو كان جسماً مركباً من الأعضاء والأجزاء وحاصلاً في المكان والجهة ، وقالوا : لو كان جسماً لكان مثلاً لسائر الأجسام فيلزم حصول الأمثال والأشباه، وذلك باطل بصريح قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾"[4].

وجاء في كتاب مطارحات في الفكر والعقيدة:" إنّ ما من منطوق في الشرع مخالف في ظاهره لما أدّى إليه البرهان، إلاّ إذا اعتُبر وتصفحت سائر أجزائه، وُجد في ألفاظ الشّرع ما يشهد بظاهره لذلك التأويل أو يقارب أن يشهد، تتأكد صحة ذلك من خلال تتبع الآيات المتشابهة في تفسير أهل البيت عليهم

(١) التجديد الكلامي عند الشهيد الصدر: الأسعد بن علي ، مركز الأبحاث العقائدية، سلسلة الرحلة إلى الثقلين، ص٤٠.

(٢) الإمامة الإلهية بحوث سماحة الأستاذ آية الله الشيخ محمد السند : محمد علي بحر العلوم، مركز الأبحاث العقائدية ، سلسلة الكتب العقائدية، ص ٣٩-٤٠.

(٣) الميزان في تفسير القرآن : محمد حسين الطباطبائي، الناشر: جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم ، ١٠٣/٢.

(٤) التوحيد بحوث تحليلية في مراتبه ومعطياته : جواد على كسار، ٤٦٦/٢.

السلام التي تدل بظاهرها على التشبيه أو التجسيم ونحوهما. فإنَّ الأصل في تفسيرها ردّها إلى المحكم كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾"[1].

وفي الحقيقة من يدقق في أقوال علماء الشيعة السابقة، يجده أنهم لم يستدلوا بأي أية من آيات الذكر الحكيم، بل استدلوا بشبه التجسيم والتي هي من الأدلة العقلية على نفيهم للصفات، والتي سنناقشهم فيها ونبين بطلانها من خلال عرضنا لأدلتهم العقلية التي استدلوا بها على نفي الصفات.

المطلب الثاني: المناقشة:

من يطالع كتب العقائد لدى الاثنا عشرية، ويبحث عن أدلتهم النقلية في نفي الصفات، لا يجد لديهم سوى الشبهات العقلية المسمى بالدليل العقلي يبتدئوا بها الاستدلال، وبعض روايات مصاغة بأسلوب عقلي بحت منسوبة زوراً وبهتاً إلى أئمة آل البيت لا يصح الاستدلال بها كما سيأتي بيانه، وهذا ما يلمسه القارئ في طريقة احتجاجهم على مذهبهم في التعطيل، كما في النكت الاعتقادية للمفيد[2]، ونهج الحق وكشف الصدق لابن المطهر [3]، وغيرهما من كتبهم الكلامية حيث اعتمدوا المنهج العقلي الكلامي في تقرير صفات الله سبحانه وتعالى[4]. ويتبين من خلال عرضنا السابق للأدلة التي استدل بها الاثنا عشرية على نفي الصفات، بأنهم قاموا بضرب آيات الكتاب بعضها ببعض، وقالوا بأن آيات الصفات من المتشابه الذي يجب أن يرد إلى المحكم وأن ظاهر هذه الآيات يؤدي إلى معنى كفري يجب تنزيه الله جل وعلا عنه، فضلوا بهذا المنهج السقيم عن طريق الله المستقيم، وإنما أوقع هؤلاء في مثل هذا المنهج ما تصوره بعقولهم التي عارضوا بها كتاب الله، أن إثبات الصفات لله تعالى يؤدي بزعمهم إلى أن يكون الله جسماً مماثلاً للأجسام والله منزه عن ذلك لأنه ليس كمثله شيء.

يقول شارح الطحاوية: "يجب أن يعلم أن المعنى الفاسد الكفري ليس هو ظاهر النص ولا مقتضاه، وأن من فهم ذلك منه فهو لقصور فهمه ونقص علمه

وكم من عائب قولاً صحيحاً ... وآفته من الفهم السقيم"[5].

ويضيف قائلاً:" فكيف يقال في قول الله، الذي هو أصدق الكلام وأحسن الحديث، وهو الكتاب الذي ﴿أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود:١]. إن حقيقة قولهم إن ظاهر القرآن والحديث هو الكفر والضلال، وإنه ليس فيه بيان لما يصلح من الاعتقاد، ولا فيه بيان التوحيد والتنزيه؟!"[6].

---

(١) مطارحات في الفكر والعقل، إعداد مركز الرسالة ، ص٢٣، سلسلة الكتب العقائدية (٦٣)، قم .

(٢) النكت الاعتقادية : المفيد، ص١-٣١، الفصل الأول في معرفة الله تعالى وصفاته الثبوتية والسلبية.

(٣) نهج الحق وكشف الصدق :لابن المطهر الحلي، تقديم رضا الصدر، تعليق: عين الله الحسني الأرموي، ص٥٣-١٣٧، مؤسسة دار الهجرة ، قم.

(٤) انظر أمثلة على اعتمادهم للمنهج العقلي: كتاب الاقتصاد الهادي إلى طريق الرشاد: أبوجعفر محمد بن الحسن الطوسي، ص ٣٣، عقائد الإمامية : محمد المظفر: ص ٣٨-٤٠، والتوحيد بحوث تحليلية في مراتبه ومعطياته، جواد علي كيسار، ١٤٦/١، وصفات الله عند المسلمين: حسن العياش، ص ٣٧.

(٥) شرح العقيدة الطحاوية في العقيدة السلفية: ابن أبي العز الحنفي ، ص١٥٤.

(٦) المرجع السابق نفسه.

وبما أن الاثنا عشرية اعتمدوا على هذا المنهج السقيم في فهم نصوص الكتاب ،وقسموا آيات القرآن إلى متشابه ومحكم، وعدوا الآيات التي تنزه الباري عز وجل من المحكمات وآيات الصفات من المتشابه، فإن مناقشتهم فيما ذهبوا إليه تنقسم إلى قسمين:

١. مناقشتهم في تقسيم آيات الصفات إلى متشابه ومحكم.

٢. مناقشتهم في استدلالهم بآيات التنزيه على نفي الصفات.

أولاً: مناقشتهم في تقسيم آيات الصفات إلى متشابه ومحكم.

١. **إن آيات الصفات ليست من المتشابه، فالسلف تكلموا في آيات الصفات وفسروا معانيها، وكفوا عن تأويلها الذي هو بيان كيفيتها،** لأنهم يؤمنون بأن كيفيات الصفات من الأمور المغيبة التي استأثر الله تعالى بعلمها، وقد ذم السلف تأويلات الجهمية وأتباعهم من الشيعة، لأنها تؤدي إلى تحريف النصوص، وتعطيل الرب تعالى عن أوصافه، وقد ثبت عن غير واحد من أئمة السنة نفي علم الناس بكيفية الصفات ، وقد فرقوا بين المعنى المعلوم – وهو ما يدل عليه ظاهر اللفظ – وبين الكيف المجهول[١].

٢. **يقال للشيعة أن مسألة صفات الله تعالى من المسائل الاعتقادية ، والمسائل الاعتقادية آياتها محكمة** ، إذ لو كانت من المتشابه لما كانت من العقائد التي يحكم العقل بضرورة كونها محكمة لأن العقائد قطعيات لا مجال فيها للتردد أو التأويل.

٣. **إن آيات الصفات قد بلغت حداً من الكثرة – كما هو معلوم – فلو كانت من المتشابه الذي يحتاج إلى تأويل في معرفة معناها وفهم المراد منها، لبلغنا عن الصحابة والتابعين وتابعيهم – الذين هم سلف الأمة وخيرتها – تأويل هذه الصفات** . وليس من المعقول أن تكون آيات الصفات من المتشابه ، ثم يسكت أمثال هؤلاء عن الخوض في تأويلها. ولما لم يرد مثل هذا التأويل عنهم دل ذلك على أن آيات الصفات من المحكم. ومما يبين ذلك الآثار الواردة عن الصحابة والتابعين وتابعيهم وغيرهم من علماء السلف التي تؤكد أنهم كانوا يثبتون الصفات لله تعالى عز وجل كما جاءت في الكتاب والسنة ، دون تأويل لها عن معناها المعلوم في لغة القرآن الكريم والسنة النبوية.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان ذلك:" فالسلف من الصحابة والتابعين وسائر الأمة قد تكلموا في جميع نصوص القرآن، آيات الصفات وغيرها ، وفسروها بما يوافق دلالتها ، ورووا عن النبي ﷺ أحاديث كثيرة توافق القرآن: وأئمة الصحابة في هذا أعظم من غيرهم مثل عبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن عباس ، كانا هما وأصحابهما من أعظم الصحابة والتابعين إثباتا للصفات، ورواية لها عن النبي ﷺ، ومن له خبرة في الحديث والتفسير يعرف هذا ... ولو كان معنى هذه الآيات منفيا أو مسكوتا عنه لم يكن ربانيو الصحابة، أهل العلم بالكتاب والسنة أكثر كلاما فيه "[٢].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى: ابن تيمية، ١٧ / ٤٢٤ ، ٣٠٧/١٣ .

(٢) مجموع الفتاوى : ابن تيمية ، ٣٠٧/١٣



٤. **لو سلمنا جدلا أن الصفات من المتشابه، فإن الراسخين في العلم يعلمونه، فقد علمه الرسول ﷺ، وعلمه الربانيون من أصحابه رضي الله عنهم** ، والله عز وجل ما أنزل شيئاً في القرآن الكريم إلا لينتفع به عباده، ويدل به على معنى أراده سبحانه وتعالى ، فلو كانت آيات الصفات من المتشابه الذي يجب رده إلى المحكم المتمثل في قوله تعالى﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ لأخبرنا بذلك النبي ﷺ ولتحدث عنه الربانيون من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ، بل كيف لم يعلم سلف الأمة أن آيات الصفات من المتشابه، حتى جاء الشيعة من خلفهم فأخبرونا بذلك ؟. سبحانك اللهم هذا بهتان مبين.

٥. **يقال للشيعة ماذا تعنون بالتشابه في آيات الصفات، فإن أردتم من أطلاق التشابه على نصوص الصفات مريدين بذلك حقائقها وكيفياتها التي هي عليها فهذا قد يسوغ، لأن حقائق الأسماء والصفات وما هي عليه من كيفيات لا يعلمها إلا الله تعالى، وإن أردتم إطلاق التشابه لنفي معنى الصفات فهذا لا يسوغ**، فإنا نعلم معنى السمع والبصر والعلم ، ونعلم معنى أن له يدين وعينين ووجهاً، كل هذا نعلم معناه بمقتضى لغة التخاطب، ولا يقتضي علمنا بمعاني هذه النصوص أن تكون مثل ما في الشاهد من سمع المخلوق وبصره وعلمه ، ويديه وعينيه ووجهه ، بل بينها من التباين والاختلاف ما لا يقدر أحد من الخلق قدره، فالتباين الذي بين صفات المخلوق وصفات الخالق كالتباين بين الذاتيين(١)، بل يوجد بين صفات المخلوقين من التباين والاختلاف فمثلاً: رجل الفيل لا تشبه بحال رجل النملة.

٦. **إنَّ رد الشيعة لنصوص الصفات المحكمة غاية الإحكام، والمُبينة بأقصى غاية البيان بأن الله موصوف بصفات الكمال،** ونعوت الجلال من العلم والقدرة والوجه واليدين والغضب و الرضا والرحمة والحكمة وغيرها من الصفات التي حصل العلم الضروري بها بإخبار الرسول ﷺ بها وبيانه لها، بما اشتبه عندهم من نصوص التنزيه؛ مثل قوله تعالى:﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ، بعدما استخرجوا منها احتمالات وتحريفات ما أنزل الله بها سلطان ولا جاء بها بيان(٢) ، ما هو إلا إتباع للهوى وزيغ عن الحق حذر الله تعالى منه، قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ مِنْهُ آَيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [آل عمران:٧] .

يقول شارح الطحاوية في هذا الصدد :" كل فريق من أرباب البدع يعرض النصوص على بدعته، وما ظنه معقولا، فما وافقه قال عنه محكم وقبله واحتج به!! وما خالفه قال: إنه متشابه، ثم رده، وسمى رده تفويضاً، أو حرفه وسمى تحريفه تأويلاً !! لذلك اشتد إنكار أهل السنة عليهم (٣).

ثانياً: مناقشتهم في استدلالهم بآيات التنزيه على نفي الصفات.

إن الاحتجاج بالآيات التي تنزه الله عز وجل عن النقص ومماثلة المخلوقين على نفي الصفات عن الله تعالى باطل ومردود، فهذه الآيات لم تنفي صفات الله تعالى التي جاءت بها نصوص الكتاب والسنة،

---

(١) انظر: منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة:عثمان علي حسن، ٤٨٩/٢.

(٢) انظر: المرجع السابق، ٤٩٢/٢.

(٣) شرح الطحاوية في العقيدة السلفية: ابن أبي العز الحنفي :ص٢٨٨.

وإنما نفت التشبيه والتجسيم الذي أحدثه أوائل الشيعة في هذه الأمة، كذلك لم يرد في الكتاب والسنة، كما إنه لم يرد عن واحد من الصحابة أو السلف أن هذه الآيات تفيد بنفي الصفات عن الله تعالى، بل الوارد أن هذه الآيات نزهت الله على أن يماثله أحد من مخلوقاته في ذاته أو صفاته أو أفعاله، وأثبتت صفات الكمال لله تعالى على الوجه الذي يليق بجلاله وعظمته.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية مبيناً خطأ من استدل بآيات التنزيه لنفي الصفات عن الله تعالى:" وأقصى ما يذكره المتكلف هو الاحتجاج بالنصوص الدالة على تنزيه الباري كقوله: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ و﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ و﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ وهذه النصوص تدل على نفي التشبيه والتجسيم، ولكنها لا تدل على نفي الصفات التي جاءت بها النصوص"[1].

وفي موضع آخر يقول:" ولهذا لما كان النفاة يعتمدون على ما ينفي التمثيل كقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وقوله :﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ وهذا لا يدل على مقصودهم في اللغة التي نزل بها القرآن، بل هو على نقيض مقصودهم أدل، فإن هذا يدل على ثبوت شيء موصوف بصفات الكمال لا مماثل له في ذلك وهم لم يثبتوا ذلك – احتاجوا إلى أن يفتروا على اللغة بعد أن افتروا على العقل فصاروا مفترين على الشرع والعقل واللغة فيقول أحدهم : لو كان موصوفا بالعلو لكان جسما ولو كان جسما لكان مماثلا لسائر الأجسام والله قد نفى عنه المثل، فهذا أعظم ما يعتمدون عليه من جهة السمع"[2].

ويقول ابن أبي العز الحنفي:" ولكن النفاة قد جعلوا قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ مستندا لهم في رد الأحاديث الصحيحة ، فكلما جاءهم حديث يخالف قواعدهم وآراءهم ، وما وضعته خواطرهم وأفكارهم ردوه بـ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، تلبيسا منهم وتدليسا على من هو أعمى قلبا منهم ، وتحريفا لمعنى الآي عن مواضعه ففهموا من أخبار الصفات ما لم يرده الله ولا رسوله ، ولا فهمه أحد من أئمة الإسلام ، أنه يقتضي إثباتها التمثيل بما للمخلوقين ! ثم استدلوا على بطلان ذلك بـ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ تحريفا للنصين!! ويصنفون الكتب، ويقولون: هذا أصول دين الإسلام الذي أمر الله به وجاء من عنده"[3].

والآية التي احتج بها علماء الاثنا عشرية المتمثلة في قوله تعالى:﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، لنفي الصفات عن الله تعالى، بزعم أن إثبات هذه الصفات يؤدي إلى أن يكون الله جسماً مماثلاً للأجسام والله منزه عن ذلك لأنه ليس كمثله شيء، فإننا نجد بأن هذه الآية من أعظم الحجج عليهم لا لهم، وبيان ذلك نوضحه في التالي:

---

(١) مجموع الفتاوى : ابن تيمية ، ٣٦٨/٦، بتصرف.

(٢) درء تعارض العقل والنقل : ابن تيمية ، ٣٤٩/٣.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية: ابن أبي العز الحنفي ، ٢٩٠.

١. لا يوجد في اللغة ما يدل على أن كل جسم مماثل للآخر، ولا توجب لغة العرب أن كل ما يشار إليه مثل كل ما يشار إليه[1]، فجسم البعوضة ليس مماثلاً لجسم الجمل ، وليس جسم الإنسان كجسم الأسد وإن اشتركت هذه المخلوقات في مسمى الجسمية فهي مختلفة عند العقلاء[2]

٢. ليس في الآية ما يدل على نفي صفات الله كما تصور الشيعة بل الآية حجة عليهم من وجهين، أحدهما: وذلك أن أولها الذي استدلوا به المتمثل في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، دليل على تنزيه الله عن المماثلة التي نفاها الله تعالى عن نفسه، فالله تعالى ليس له مثيل ولا نظير في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، واتصافه بالصفات التي وصف بها نفسه لا يسمى مماثلة إذ لو كان كذلك لنزه الله نفسه عن ذلك غاية التنزيه كما نزهها عن صفات النقص والعيوب بل صفاته تعالى صفات كمال لا تماثل صفات المخلوقين.

ثانيهما: إن قوله تعالى: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ، يتضمن إثباتاً ، لاسمين من أسماء الله الحسنى ، فالله هو السميع ، وهو البصير. وهما يتضمنان إثبات لصفتين من صفات الله ، هما السمع والبصر ، فهو السميع ذو سمع، سميع بسمع خلافاً للشيعة الذين يعطلون صفات الله ويقولون سميع بلا سمع، بصير بلا بصر. وهذا القول جهل وضلال وإلحاد في أسماء الله تعالى ، فمن الإلحاد في أسماء الله تعالى تعطيل ما دلت عليه من المعاني التي هي صفات لله تعالى ، إذن قوله تعالى:﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشُّورى:١١]، حجة على الشيعة لا حجة لهم[3] .

وفي الحقيقة أن هذه الآية من أعظم الآيات التي استدل بها السلف في وإثبات صفات الكمال لله تعالى كما وردت في الكتاب والسنة، وتنزيهه عن صفات النقص كما نزه نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ وفق قوله تعالى:﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشُّورى:١١]، فهي قاعدة من قواعد السلف في تقرير منهجهم في الصفات، والرد على أهل البدع من المعطلة والمشبهة المخالفين لصحيح المنقول وصريح المعقول وهذه بعض من أقوالهم في ذلك:

قال الإمام أحمد رحمه الله:" ليس كمثله شيء في ذاته كما وصف نفسه قد أجمل الله الصفة فحد لنفسه صفة ليس يشبهه شيء وصفاته غير محدودة ولا معلومة إلا بما وصف به نفسه، قال: فهو سميع بصير بلا حد ولا تقدير ولا يبلغ الواصفون صفته ولا نتعدى القرآن والحديث فنقول كما قال ونصف بما وصف به نفسه ولا نتعدى ذلك ولا يبلغ صفته الواصفون نؤمن بالقرآن كله محكمه ومتشابهه ولا نزيل عنه صفة من صفاته بشناعة شنعت "[4].

---

(١) انظر: نقض تأسيس الجهمية : ابن تيمية ، ٥٣٢/١-٥٣٣.

(٢) منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل واثر المنهجين في العقيدة: جابر إدريس على أمير ٨٤٤/٢.

(٣) موقف الشيعة الاثنا عشرية من الصفات الإلهية: د. صالح الرقب، ص ٣٩٢.

(٤) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول: الشيخ حافظ بن أحمد الحكي، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، الطبعة الثالثة، الناشر: دار ابن القيم للنشر والتوزيع ، ١٤١٥هـ -١٩٩٥م.ص٣٦٥.

وقد استدل بهذه الآية الإمام البغوي لتقرير قاعدة الجمع بين الإثبات والتنزيه ثم قال:" وعلى هذا مضى سلف الأمة وعلماء السنة ، تلقوها جميعاً بالإيمان والقبول وتجنبوا فيها عن التمثيل والتأويل..."[١]

وقال الإمام أبو القاسم الأصبهاني رحمه الله وهو يصف منهج السلف في الإثبات والتنزيه:" قال أهل السنة : نصف الله بما وصف به نفسه ونؤمن بذلك ، إذ كان طريق الشرع الإتباع لا الابتداع ؛ مع تحقيقنا أن صفاته لا تشبهها صفات ، وذاته لا تشبهها ذوات ، وقد نفى الله تعالى عن نفسه التشبيه بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾،فمن شبه الله بخلقه فقد كفر، وأثبت لنفسه صفات فقال: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾، وليس في إثبات الصفات ما يفضي إلى التشبيه، كما أنه ليس في إثبات الذات ما يفضي إلى التشبيه ، وفي قوله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، دليل على أنه ليس كذاته ذات، ولا كصفاته صفات..."[٢]

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي:" هذه الآية ونحوها، دليل لمذهب أهل السنة والجماعة، من إثبات الصفات، ونفي مماثلة المخلوقات. وفيها رد على المشبهة في قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وعلى المعطلة في قوله: ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾"[٣] .

---

(١) شرح السنة: الحسين بن مسعود البغوي ، ١٧١/١، تحقيق زهير الشاويش ، وشعيب الأرنؤوط، الطبعة الثانية، الناشر: المكتب الإسلامي ، دمشق- سوريا، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

(٢) الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة: لأبي القاسم إسماعيل بن محمد الأصبهاني، تحقيق محمد أبو رحيم ، الناشر: دار الراية للنشر والتوزيع، ١٨٦/٢.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م، ص٧٥٤.

المبحث الثاني
الأدلة من السنة

المطلب الأول: أدلة الشيعة على نفي الصفات من السنة:

أسس الشيعة الاثنا عشرية دينهم على التلقي عن الإمام المعصوم الذي لا تجوز مخالفته والاعتماد على غيره في تلقي أمور دينهم، فبنو بذلك معالم سنة جديدة، ردوا من خلالها سنة رسول الله ﷺ جملةً وتفصيلاً ، لمخالفتها ما أسسوه بعقولهم وأهوائهم من عقائد فاسدة وخاصة مسألة الصفات منها، ولورود هذه السنة من طريق أصحاب رسول الله ﷺ، الذين ليس لمروياتهم مقدار بعوضة من الصحة عند الشيعة[١]، فمنهجهم في أصحاب رسول الله ﷺ كما هو معلوم قائم على السب واللعن والتكفير[٢].

وبعد أن سنحت لهم الفرصة بانتهاء عهد تولي الأئمة بوفاة الإمام الحادي عشر– الحسن العسكري– دون أن يعقب خلفاً له، ووجود دولة بني بويه الشيعية في القرن الرابع هجري، وتوطيد العلاقة بينهم وبين المعتزلة، وفتح باب التتلمذ على أيديهم، وتلقي معتقدهم في التوحيد والعدل منهم، واستقرار عقائدهم نوعاً ما، بدأ شيوخ الشيعة في تأليف الروايات، والكتب في الدفاع عن تلك العقائد الفاسدة ونسبها إلى أئمة آل البيت، فألَّف الكليني كتابه الكافي، وألَّف ابن بابويه كتابه التوحيد، وبذلك امتازوا عن المعتزلة بأن جاءوا بسنة جديدة نسبوها زوراً وبهتاناً إلى أئمة أل البيت استندوا عليها في إثبات عقائدهم ، ولكي لا يوصفوا بالتبعية للمعتزلة.

غير أن الجو الذي كُتبت فيه هذه الروايات كان مشحوناً بأجواء من الخلاف والصراع بينهم على مسائل العقيدة و التوحيد فجاءت الروايات تفيد بذلك الاختلاف وتثبت وقوعهم في التشبيه والتجسيم[٣].

ويبدوا أن آثار ذلك التشبيه لازال عالقاً في أذهان من صاغ تلك الروايات، إذ أنهم حديثو عهد بالتعطيل والتشبيه والتجسيم متغلغل بين عامتهم خاصة القميين منهم[٤] ، فأبى علماء الشيعة إلا أن يرضوا عامتهم بألوان من التشبيه والتجسيم تمثلت في الروايات التي غالوا فيها في أئمة آل البيت.

ومن يقف على كتب الروايات عند الاثنا عشرية ويبحث عن أدلتهم في نفي الصفات يجد نفسه أمام ثلاث أصناف من الروايات:

- روايات تصرح بالتعطيل ونفي الصفات عن الله تعالى.
- روايات تصرح بالتشبيه والتجسيم في الذات الإلهية.
- روايات تنزه الله عن التشبيه والتجسيم وتثبت الصفات له سبحانه وتعالى وهي قليلة.

---

(١) انظر: أصل الشيعة وأصولها: محمد حسين آل كاشف الغطاء ، ص٢٣٦.

(٢) انظر: الشيعة والسنة: إحسان إلهي ظهير، ص٢٧-٤٣.

(٣) انظر: التوحيد: الصدوق ، ٤٧ وما بعدها.

(٤) انظر: رسائل المرتضى : الشريف المرتضى، ٣/٣١٠.

وفي الحقيقة إنّ بداية التحول الحقيقي لهذه الطائفة، في معتقدهم في الصفات، كان يتم من خلال تأليف الروايات ونسبها إلى أئمة آل البيت، والجمود على حرفية تلك النصوص وعدم المناقشة فيها أو تمحيصها والحكم عليها، لأنها من أقوال المعصوم الذي لا يجوز عليه الكذب ولا يجوز مخالفته، وهذا ما قرره أحد شيوخ الشيعة المعاصرين بقوله:" ومن هنا نجد الكثير من مؤلفات الشيعة قبل عصر المفيد في المسائل الكلامية تلتزم حرفية النصوص دون محاكمة أو تمحيص ولا تتعداها غالباً ولعل ما كتبه الصدوق في التوحيد، ومن قبله الكليني في أصول الكافي يعطي صورة واضحة لذلك[١]

فتعرض أصحاب هذه الروايات لانتقاد علماء الشيعة الذين تأثروا بالفكر العقلاني المعتزلي، وبدأنا نرى ظهور التيار الفكري الأصولي والنشاط التحرري من تلك النصوص، حيث كانت بدايته على يد الحسن بن عقيل العماني المعاصر للكليني المحدث المتوفي سنة ٣٢٩هـ، ثم تبعه ابن الجنيد[٢] .

ومع اقتراب نهاية القرن الرابع هجري فتر الميل إلى الحديث لدى الشيعة الاثنا عشرية في العراق ونهضت بدلاً منه مدرسة كلامية أرسى دعائمها شيخهم المفيد الذي توسط بين الاتجاهين[٣] ، فألف كتابه تصحيح عقائد الإمامية، انتقد فيه شيخة الصدوق ووصمه بالتمسك بحرفية النصوص واتهمه بالعمل بأحاديث غير معمول بها أو أخبار غير صحيحة السند، وأنه عمل بظواهر الأحاديث المختلفة والشاذة[٤] .

بل تعدى انتقاده لشيخه الصدوق إلى انتقاد أصحاب الحديث كلهم حيث قال:" وأصحاب الحديث ينقلون الغث و السمين، ولا يقتصرون في النقل على المعلوم، وليسوا بأصحاب نظر، وتفتيش، ولا فكر فيما يرونه وتمييز، فأخبارهم مختلطة، لا يتميز منها الصحيح من السقيم إلا بنظر في الأصول ، واعتماد على النظر الذي يوصل إلى العلم بصحة المنقول"[٥] ثم تبع المفيد تلميذه الشريف المرتضى الذي رفض شطراً كبيراً من الحديث الشيعي وبخاصة أخبار الأحاد[٦] ، إلى أن وصل الأمر إلى نصير الدين الطوسي الذي سعى عملياً في إضعاف الأخذ بالروايات من خلال تقليل الاهتمام بالحديث والمحدثين، حيث ربط هذا الصنيع بالمعاش من أجل تشجيع الميل الكلامي والفلسفي بين العلماء، فقد كان يأمر بصرف ثلاثة

(١) انظر: فلاسفة الشيعة : عبد الله نعمة ، ص٤٦٣، نقلاً عن الصلة بين التشيع والاعتزال: محمد بن حامد الجدعاني، ٨٤/٢.

(٢) انظر: الصلة بين التشيع والاعتزال: محمد الجدعاني، ٨٤/٢.

(٣) انظر: الاجتهاد: دراسة فقهية لظاهرة الاجتهاد الشرعي ، عبد الهادي الفضلي، الطبعة الأولى ، الناشر: الغدير للدراسات والنشر، ١٤٢١هـ، ص٣٦.

(٤) انظر: تصحيح اعتقادات الإمامية: المفيد ، ص٨٨.

(٥) المسائل السروية: المفيد ، تحقيق: صائب عبد الحميد ، الطبعة الثانية، الناشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت -لبنان، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م، ص٧٣.

(٦) انظر: رسائل المرتضى، جواب المسائل التبانيات ، ٢١/١، ٢٤، ٢٥. ومسألة في إبطال العمل بأخبار الآحاد ضمن نفس الرسائل، ٣٠٩/٣-٣١١.

دراهم يومياً لمن يدرس الفلسفة، ودرهمين للأطباء، ودرهم واحد للفقهاء، ونصف درهم للمحدثين[1] ولقد ظل أصحاب هذا الاتجاه العقلي مسيطرين على طائفة الاثنا عشرية إلى أواخر القرن العاشر الهجري.

و مع بداية القرن الثاني عشر ظهر التيار الإخباري بقيادة محمد أمين الأستربادي ، فدعا إلى التمسك الشديد بالأخبار والروايات، ورفض التطورات التي تمت تحت ظل العقل، والأصول[2].

ولكن هذا التيار لم يدم طويلاً ،إذ حصل بينه وبين التيار الأصولي صراعات وصلت إلى حد التكفير والتشهير والتحذير والطعن في الديانة، وبمقتل الميرزا محمد الإخباري سنة ١٢٤١هـ في الكاظمية بعد صدور فتوى من الأصوليين بقتله انقرض التيار الإخباري وتلاشى ، فعادة سيطرة المدرسة الأصولية على الفكر الشيعي.

غير أن ما يميّز هذه المدرسة اعتمادها على الروايات المنسوبة للأئمة بجانب اعتمادها على المنهج العقلي في إثبات أصول الدين، وخاصة في نفي الصفات الإلهية، حيث يقول عالم الشيعة الزنجاني:" هل يبقى مجال للبحث عن الصفات؟ وهل له طريق إلا الإذعان بكلمة أمير المؤمنين رضي الله عنه: كمال الإخلاص نفي الصفات"[3]

ويقول حسن العايش عن مستند الشيعة في توحيد الصفات: "أما توحيد الصفات فهو أن يعتقد كون الصفات عين الذات هو الوارد عن الأئمة أي أنه ليس قولاً استنبطته العقول دون وجود مستند له من روايات أهل البيت بل الروايات تؤكد أن صفاته عين ذاته..."[4] ، ثم يستدرك قائلاً:" والعقل يحكم باتحاد الصفات الإلهية مع الذات ، حتى مع عدم ورود هذه النصوص الصريحة في ذلك عن أهل البيت "[5]

وبالرغم من ريبة الأصوليين الأوائل من تلك الروايات وعدم اهتمامهم بها والتعويل عليها بسبب ضعفها ووهنها سنداً ومتناً هذا فضلاً على تناقضها فيما بينها، واعتمادهم على الدليل العقلي بدلاً منها ، إلا أن الأصوليين المعاصرين زاوجوا بين الاعتماد على الدليل العقلي و الأخذ بما يناسبهم من هذه الروايات دون تمحيصها أو الحكم عليها، وطرحوا جانباً الروايات الأخرى التي تخالفها، دون أن يكون هناك معيار لهذا الرفض، حيث يقول الشيعي عبد الهادي الفضلي بهذا الخصوص:" وهذا ما انتهجه الإمامية – وبخاصة الأصولية منهم – في رفض غير قليل مما رواه المحمدون الثلاثة في جوامعهم الحديثية –الكافي ومن لا يحضره الفقيه، والتهذيب ، والاستبصار– وبهذه الجرأة والإقدام الغيور لله ولرسوله تطرح أمثال هذه الإسرائيليات المدونة في الصحاح التي سربت فكرة التجسيم اليهودي إلى فكرنا العقائدي فلوثته بما يتنافى ونقاء العقيدة الإسلامية الحقة"[6].

---

(١) انظر: الصلة بين التشيع والاعتزال: محمد بن حامد الجدعاني، ٨٥/٢.

(٢) انظر: مصادر التلقي وأصول الاستدلال العقدية عند الإمامية الاثنا عشرية: إيمان العلواني، ص ٣٥.

(٣) عقائد الإمامية الاثنا عشرية: إبراهيم الزنجاني، ص٢٨.

(٤) صفات الله عند المسلمين: حسن العايش ، ص٣٧

(٥) المصدر السابق : ص٣٩.

(٦) خلاصة علم الكلام: عبد الهادي الفضلي، ص٢٤٦-٢٤٧.

الروايات التي اعتمد عليها الشيعة الاثنا عشرية في نفي الصفات عن الله تعالى:

من خلال النظر في الروايات التي اعتمد عليها الشيعة في نفي الصفات عن الذات الإلهية، نجد أنها تنقسم إلى قسمين:

١- روايات تفيد بالنفي المطلق للصفات.

٢- روايات تفيد بعينية الصفات للذات.

أولاً: الروايات التي تفيد بالنفي المطلق للصفات، من الأمثلة عليها:

١. روى صدوق الشيعة بسنده عن فتح بن يزيد الجرجاني، قال: كتبت إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام أسأله عن شيء من التوحيد فكتب قال جعفر: وإن فتحا أخرج إلي الكتاب فقرأته بخط أبي - الحسن عليه السلام: بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الملهم عباده الحمد، وفاطرهم على معرفة ربوبيته، الدال على وجوده بخلقه، وبحدوث خلقه على أزله، وبأشباههم على أن لا شبه له، المستشهد آياته على قدرته، الممتنع من الصفات ذاته ومن الإبصار رؤيته، ومن الأوهام الإحاطة ... أول الديانة معرفته، وكمال المعرفة توحيده، وكمال التوحيد نفي الصفات عنه، لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف، وشهادة الموصوف أنه غير الصفة، و شهادتهما جميعا على أنفسهما بالبينة الممتنع منها الأزل، فمن وصف الله فقد حده ومن حده فقد عده، ومن عده فقد أبطل أزله..."[(١)].

٢. وروي عن محمد بن علي القاساني، قال: كتبت إليه عليه السلام: أن من قبلنا قد اختلفوا في التوحيد، قال: فكتب عليه السلام: سبحان من لا يحد، ولا يوصف، ليس كمثله شيء، وهو السميع العليم أو قال البصير[(٢)].

٣. وروي عن محمد بن يحيى بن عمر بن على بن أبي طالب -عليه السلام- قال: سمعت أبا الحسن الرضا عليه السلام أنه قال :"...أول عبادة الله معرفته، وأصل معرفة الله توحيده، ونظام توحيد -الله نفي الصفات عنه لشهادة العقول أن كل صفة وموصوف مخلوق وشهادة كل مخلوق أن له خالقا ليس بصفة ولا موصوف، وشهادة كل صفة وموصوف بالاقتران، وشهادة الاقتران بالحدث، وشهادة الحدث بالامتناع من الأزل الممتنع من الحدث....، ولا ديانة إلا بعد المعرفة ولا معرفة إلا بالإخلاص، ولا إخلاص مع التشبيه، ولا نفي مع إثبات الصفات للتشبيه فكل ما في الخلق لا يوجد في خالقه، وكل ما يمكن فيه يمتنع من صانعه، لا تجري عليه الحركة والسكون، وكيف يجري عليه ما هو أجراه، أو يعود إليه ما هو ابتدأه، إذاً لتفاوتت ذاته، ولتجز أكنهه، ولامتنع من الأزل معناه..."[(٣)].

٤. ونسب إلى أمير المؤمنين على ﷺ أنه قال:" ... أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه، لشهادة

---

(١) التوحيد : الصدوق ، باب التوحيد و نفي التشبيه، حديث رقم ١٤، ص٥٦-٥٧.

(٢) المصدر السابق: باب أنه عز وجل ليس بجسم ولا صورة، حديث رقم ٩، ص ١٠٠.

(٣) المصدر السابق نفسه ، باب التوحيد ونفي التشبيه، حديث رقم ٢، ص ٣٥-٣٦.

كل صفة أنها غير الموصوف، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة، فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثناه، ومن ثناه فقد جزأه، ومن جزأه فقد جهله، ومن جهله فقد أشار إليه، ومن أشار إليه فقد حده، ومن حده فقد عده، ومن قال فيم فقد ضمنه، ومن قال علام فقد أخلى منه(١).

هذه نماذج من الروايات التي استدل بها الاثنا عشرية على نفي الصفات عن الله تعالى، ومن الملاحظ أن أغلب هذه الروايات جاءت من طريق صدوق الشيعة ابن بابويه، الذي كان يميل إلى النفي المطلق للصفات، عبر قوله:" كل ما وصفنا الله تبارك وتعالى به من صفات ذاته، فإنما نريد بكل صفة منها نفي ضدها عنه تعالى."(٢).

ثانياً : الروايات التي تفيد بعينية الصفات للذات. ومن الأمثلة عليها:

١. وروى الكلينى عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:" لم يزل الله عزّ وجلّ ربّنا والعلم ذاته ولا معلوم، والسمع ذاته ولا مسموع، والبصر ذاته ولا مبصر، والقدرة ذاته ولا مقدور، فلمّا أحدث الأشياء وكان المعلوم، وقع العلم منه على المعلوم، والسمع على المسموع، والبصر على المبصر، والقدرة على المقدور..."(٣).

٢. وروي عن محمّد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال في صفة القديم:" إنّه واحد صمد أحدي المعنى، ليس بمعاني كثيرة مختلفة قال: قلت: جعلت فداك يزعم قوم من أهل العراق أنّه يسمع بغير الذي يبصر، يبصر بغير الذي يسمع قال: كذبوا وألحدوا وشبّهوا، تعالى الله عن ذلك، إنّه سميع بصير يسمع بما يبصر، ويبصر بما يسمع..."(٤).

٣. وروي عن هشام بن الحكم عن أن زنديقاً سأل أبا عبد الله عليه السلام فقال له:" أتقول: إنّه سميع بصير؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام: هو سميع بصير، سميع بغير جارحة، وبصير بغير آلة، بل يسمع بنفسه ويبصر بنفسه وليس قولي: إنّه سميع بنفسه أنّه شيء والنفس شيء آخر، ولكنّي أردت عبارة عن نفسي إذ كنت مسؤولاً، وإفهاماً لك إذ كنت سائلاً، فأقول يسمع بكلّه لا أنّ كلّه له بعض، لأنّ الكل لنا له بعض، ولكن أردت إفهامك والتعبير عن نفسي، وليس مرجعي في ذلك كلّه إلاّ أنه السميع البصير العالم الخبير بلا اختلاف الذات ولا اختلاف المعنى"(٥).

---

(١) نهج البلاغة: مجموع ما اختاره الشريف الرضي من خطب منسوبة للإمام علي، ١٤/١.

(٢) الاعتقادات في دين الإمامية:الصدوق ابن بابويه ، ص٢٧ .

(٣) أصول الكافي: الكليني، كتاب التوحيد ، باب صفات الذات، حديث رقم:١، ١٠٧/١، قال المجلسي وغيره من علماء الشيعة بأن **الحديث مجهول**، (انظر: كسر الصنم: آية الله العظمى أبو الفضل ابن الرضا البرقعي، مراجعة: عمر محمود أبو عمر، الطبعة الاولى، الناشر: دار البيارق، ١٤١٩هـ -١٩٩٨م، ص٩٤).

(٤) المصدر السابق، كتاب التوحيد ، باب آخر وهو من الباب الأول ، حديث رقم١، ١٠٨/١، **الحديث لا اعتبار له** بسبب محمد بن عيسى بن عبيد فاسد العقيدة ، (انظر: كسر الصنم: البرقعي ، ص٩٥)

(٥) المصدر السابق نفسه، كتاب التوحيد ، باب آخر وهو من الباب الأول، حديث رقم ٢، ١٠٨/١-١٠٩، **الحديث مجهول السند** كما قال المجلسي وغيره من علماء الشيعة،(انظر: كسر الصنم: البرقعي ص٩٥).

المطلب الثاني: المناقشة:

تبين من خلال البحث بأن للشيعة سنة خاصة يستشهدون بها في الدلالة على معتقداتهم الفاسدة خالفوا بها إجماع المسلمين الذين يرون أن السنة ما صحت نسبته للرسول ﷺ، وأن ما يضيفونه لأئمتهم من الأكاذيب والأقاويل السخيفة التي تناسب ضلالاتهم ومعتقداتهم الفاسدة قد خالفوا بها الكتاب والسنة والعقل الصريح وإجماع أمة المسلمين.

وجلاء للحقيقة فإن الروايات التي استشهد بها الشيعة على نفي الصفات والتي ذكرنا أمثلة عليها فيما سبق فلا يصح الاستدلال بها وهي متهافتة من جميع الوجوه ، فمن جهة السند فكل رواة هذه الروايات إما كذاب أو ضعيف أو مجهول الحال، أما من جهة المتن فمتونها شبهات عقلية رددها المعتزلة وصاغها الشيعة على هيئة روايات، يضاف إلى ذلك كله مخالفة هذه الروايات لأقوال أئمة الشيعة الذين يدعون الانتساب لهم، وتناقضها مع رواياتهم الأخرى، وبيان تهافت هذه الروايات من الوجوه السابقة نذكره في التالي:-

أولاً : الرد عليهم من خلال بيان حال تلك الروايات سنداً ومتباً .

١. **الرد عليهم من خلال بيان حال الرواة –السند- .**

- مما يبين تهافت هذه الروايات وكذبها، بأن كل من يستشهد بها من علماء الشيعة ومراجعهم ، ويجعلها عمدته في كتبه، لا يأتي على ذكر الحكم على رواتها ولا يبين حال رجال تلك الروايات، كما هو المعمول به في كتب أهل السنة من الحكم على الروايات التي يستشهد بها.
- من خلال التدقيق في أحوال رجال القسم الأول من الروايات – النفي المطلق لصفات- والتي جاء أغلبها من طريق صدوق الشيعة ابن بابويه، يتبين أن رجال هذه الروايات إما مجهول الحال أو كذاب، أو من وصف بالغلو والتهالك في المذهب، يضاف إلى ذلك بأن أغلب شيوخ الصدوق الذين روى عنهم تلك الروايات مجهولي الحال ولم يرد فيهم توثيق، كما ذكر ذلك عالمهم الخوئي في ترجمته لمحمد بن إسماعيل البرمكي حيث قال: " وطريق الصدوق إليه: على بن أحمد ، ومحمد بن أحمد بن موسى ، ومحمد بن أحمد السناني ، والحسين بن إبراهيم بن أحمد بن هشام المكتب عن محمد بن إسماعيل البرمكي ، والطريق غير صحيح لان مشايخ الصدوق المذكورين لم يرد فيهم توثيق"[١]. فعلى ذلك تكون الروايتان الأولى والثانية غير صحيحة لورودها من طرف مشايخ الصدوق المجهولين.

كذلك باقي سلسلة الرواة فهم إما مجهولين أو ضعفاء كذابين، وهذه نماذج من أراء بعض علماء الشيعة لمن عثر له على ترجمة:

الرواي الفتح بن يزيد الجرجاني: قال عنه ابن الغضائري:" الرجل مجهول الحال والإسناد إليه مدخول"[٢]

---

(١) انظر معجم رجال الحديث : الخوئي ، ١٠٠/١٦.

(٢) انظر : المصدر السابق، ٢٦٥/١٤

الراوي علي بن العباس الخراذيني: قال الشيعي النجاشي:" علي بن العباس الخراذيني الرازي : رمي بالغلو وغمز عليه، ضعيف جدًا .

وقال عنه ابن الغضائري: " علي بن العباس الجراذيني أبو الحسن الرازي : مشهور ، له تصنيف في الممدوحين والمذمومين يدل على خبثه وتهالك في مذهبه ، لا يلتفت إليه ولا يعبأ بما رواه " [١].

الراوي سهل بن زياد: قال النجاشي عنه:" سهل بن زياد أبو سعيد الآدمي الرازي ، كان ضعيفا في الحديث ، غير معتمد عليه فيه، وكان أحمد بن محمد بن عيسى يشهد عليه بالغلو والكذب وأخرجه من قم إلى الري وكان يسكنها .

وقال عنه ابن الغضائري :" سهل بن زياد أبو سعيد الآدمي الرازي : كان ضعيفا جدا فاسد الرواية والمذهب ، وكان أحمد بن محمد بن عيسى الأشعري أخرجه عن قم وأظهر البراءة منه ونهى الناس عن السماع منه والرواية عنه ، ويروى المراسيل ، ويعتمد المجاهيل ".

وقد ضعفه الخوئي، واستدل على ضعفه بشهادة أحمد بن محمد بن عيسى، وابن الوليد، وابن بابويه، وابن نوح[٢].

فبهذه النماذج من أراء علماء الشيعة في من عرفت له ترجمة، نرى فيها رواتهم إما كذاب أو موصوف بالغلو والضعف أو مجهول الحال، أما عن أحوال باقي الرجال فلا يكاد يتم العثور على ترجمة له يتم من خلالها بيان حاله، وهذه الحالة المنتشرة في معظم رواياتهم التي يستدلون بها على نفي الصفات، مما جعلت بعض علماء الشيعة يتأسفون على ذلك، فهذا محمد الصدر يقول:" إنه من المؤسف القول إنَّ أعلامنا الأوائل، إذ ألفوا في علم الرجال وصنفوا في تراجم الرواة اقتصروا في ذلك – في كتبهم –على الرجال الرواة للأحاديث الفقهية التشريعية التي تتعرض للأحكام الشرعية، وأولوها العناية الخاصة بصفتها محل الحاجة بالنسبة إلى إطاعة الأوامر الإسلامية، ولكنهم أهملوا إهمالاً يكاد يكون تامًا ذكر حال الرجال الذين وجدت لهم روايات في حقول أخرى من المعارف الإسلامية كالعقائد والتاريخ والملاحم ...وغيرها ممن قد يربوا عددهم على رواة الروايات الفقهية، فإن صادف –من حسن حظ الرواي– أنه روى في التاريخ والفقه معًا، وجدنا له ذكر في كتبهم، أمَّا إذا لم يرو شيئًا في الفقه فإنه يكون مجهولا"[٣].

- أما بخصوص القسم الثاني من رواياتهم –عينية الصفات للذات– والتي جاءت من طرف الكليني ، فقد حكم عليها علماء الشيعة أنفسهم بالضعف والكذب، فقد حكم المجلسي على جميع تلك الروايات إما بضعف الرواة أو جهالتهم أو بفساد عقيدتهم[٤].

---

(١) انظر : معجم رجال الحديث ، الخوئي ، ٧٢/١٣-٧٣.

(٢) انظر: المصدر السابق، ٣٥٤/٩-٣٥٦.

(٣) تاريخ الغيبة الصغرى ، محمد الصدر ، الناشر: دار المعارف للمطبوعات ، بيروت ، ١٤١٢هـ ، ص٤٤-٤٥.

(٤) انظر: كسر الصنم ، آية الله العظمى أبو الفضل ابن الرضا البراقعي، ص٩٤-٩٥.

والخلاصة من حال أسانيد الشيعة قد لخصها لنا شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله:" من أين لكم أن الذين نقلوا هذه الأحاديث في الزمان القديم ثقات، وأنتم لم تدركوها، ولم تعلموا أحوالهم ولا لكم كتب مصنفة تعتمدون عليها في أخبارهم التي يميز بها بين الثقة وغيره، ولا لكم أسانيد تعرفون رجالها"(١) .

وبذلك يكون كل روايات الشيعة التي يستدلوا بها في باب الصفات من جهة السند لا اعتبار لها ولا وزن بشهادة علماء الشيعة أنفسهم الذين حكموا عليها بالضعف والكذب.

٢. الرد عليهم من خلال بيان حال متونها.

من خلال استقراء متون الروايات سابقة الذكر، نجد أن الصيغة التي ألفت بها تلك الروايات قد احتوت على الشبهات العقلية التي أسسها المعتزلة لنفي الصفات عن الله تعالى، فما هي إلا ترديد لشبهات عقلية مصاغة بالصيغة الروائية، فمثلاً ما نسبوه إلى أبي الحسن الرضا قوله :" ...فمن وصف الله فقد حده ومن حده، فقد عده، ومن عده فقد أبطل أزله..."(٢) و كذلك ما نسب له أيضاً لما سئل عن قوما يقولون:إنه عالم بعلم، وقادر بقدرة، وحي بحياة، وقديم بقدم، وسميع بسمع، فقال من قال بذلك ودان به فقد اتخذ مع الله آلهة أخرى(٣).ما وهو إلا ترديد لشبه المعتزلة القائلة: بأن إثبات الصفات يؤدي إلى تعدد القدماء في الذات الإلهية وإبطال قدم الله جل وعلا أزليته، وإبطال إنفراد الله بالأزلية والقدم.

وكذلك فإنّ شبهة التشبيه التي اعتمدها المعتزلة في نفي الصفات هي نفسها التي أوردوها في هذه الروايات ، فمن الأمثلة على ذلك ما نسبوه للإمام الرضا قوله :" لا إخلاص مع التشبيه، ولا نفي مع إثبات الصفات للتشبيه، فكل ما في الخلق لا يوجد في خالقه، وكل ما يمكن فيه يمتنع من صانعه، لا تجري عليه الحركة والسكون، وكيف يجري عليه ما هو أجراه"(٤)،وما نسب إلى الإمام جعفر لما سئل عن قول أهل العراق أنه يسمع بغير الذي يبصر أنه قال :" كذبوا وألحدوا وشبّهوا، تعالى الله عن ذلك"(٥)

وكذلك شبه التركيب والتبعيض التي استدل بها المعتزلة في نفي الصفات هي نفسها رددها علماء الشيعة على لسان أئمتهم ، فمن ذلك ما نسبوه لأبي عبد الله قوله:"... يسمع بكلّه لا أنّ كلّه له بعض، لأنّ الكل لنا له بعض" (٦) وما نسب إلى أمير المؤمنين علي ﷺ قوله :" فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثناه، ومن ثناه فقد جزأه، ومن جزأه فقد جهله(٧) ،وما نسب إلى أبي الحسن الرضا أنه قال:" كيف يجري عليه ما هو أجراه، أو يعود إليه ما هو ابتدأه، إذاً لتفاوتت ذاته، ولتجز أكنهه، ولامتنع من الأزل معناه..."(٨)

---

(١) منهاج السنة النبوية:ابن تيمية:٧/٢٩٤.

(٢) التوحيد: الصدوق ، باب التوحيد و نفي التشبيه،ص ٥٦-٥٧.

(٣) أصول الكافي: الكليني ، كتاب التوحيد ، باب صفات الذات، ١/١٠٧.

(٤) التوحيد : الصدوق ، باب التوحيد ونفي التشبيه، ص ٣٥-٣٦.

(٥) أصول الكافي: الكليني، كتاب التوحيد ، باب آخر وهو من الباب الأول، حديث رقم ٢، ١/١٠٨-١٠٩

(٦) المصدر السابق نفسه

(٧) نهج البلاغة: الشريف الرضي، ١/١٤.

(٨) التوحيد: الصدوق ، باب التوحيد ونفي التشبيه، ص ٣٥-٣٦.

وبناءً على ماسبق يكون حال متون هذه الروايات قد عرف جهة مصدره وأنه من تأليف شيوخ الشيعة الذين تأثروا بالمعتزلة ونقلوا عنهم هذه الشبهات فصاغوها على هيئة روايات نسبت زوراً وبهتاناً إلى أئمة أل البيت وقد تبين من خلال البحث كيف سرقت الشيعة أفكار المعتزلة ونسبتها لنفسها.

ثانياً : الرد عليهم من خلال أقوال أئمتهم .

من خلال التنقيب في الكم الهائل من روايات الاثنا عشرية نجد أن هناك روايات أفادت بالعقيدة الصحيحة، وأوصت بعدم تجاوز الكتاب والسنة، ولو حمل الشيعة هذه الروايات على ماهية عليه وأخذوا بها لما ضلوا في التوحيد وفي باب صفات الله خاصة، فمن هذه الروايات:

١. روي عن الإمام علي ﷺ قوله :"....ما دلّك القرآن عليه من صفته عزّ وجلّ فاتّبعه، ليوصل بينك وبين معرفته، وأتمّ به، واستضيء بنور هدايته فإنها نعمة وحكمة أوتيتهما فخذ ما أوتيت وكن من الشاكرين،وما دلّك الشيطان عليه مما ليس في القرآن عليك فرضه، ولا في سنّة الرسول وأئمة الهدى أثره، فكِل علمه إلى الله عزّ وجلّ، فإنّ ذلك منتهى حقّ الله عليك. واعلم أن الراسخين في العلم هم الذين أغناهم الله عن الاقتحام في السدد المضروبة دون الغيوب فلزموا الإقرار بجملة ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب"(١)

٢. وروي عن محمد بن أبي عمير، قال: دخلت على سيدي موسى بن جعفر عليهما السلام، فقلت له: يا ابن رسول الله علمني التوحيد فقال: يا أبا أحمد لا تتجاوز في التوحيد ما ذكره الله تعالى ذكره في كتابه فتهلك"(٢).

٣. وروى عبد الرحيم بن عتيك القصير أنه قال: كتبت على يدي عبد الملك بن أعين إلى أبي عبد الله عليه السلام: أن قوما بالعراق يصفون الله بالصورة وبالتخطيط فإن رأيت – جعلني الله فداك – أن تكتب إلي بالمذهب الصحيح من التوحيد؟ فكتب إلي: سألت رحمك الله عن التوحيد وما ذهب إليه من قبلك فتعالى الله الذي ليس كمثله شئ وهو السميع البصير، تعالى عما يصفه الواصفون المشبهون الله بخلقه المفترون على الله، فاعلم رحمك الله أن المذهب الصحيح في التوحيد ما نزل به القرآن من صفات الله عز وجل، فانف عن الله تعالى البطلان والتشبيه فلا نفي ولا تشبيه. هو الله الثابت الموجود تعالى الله عما يصفه الواصفون، ولا تعدوا القرآن فتضلوا بعد البيان"(٣) .

٤. وعن إبراهيم بن محمد الخزاز ومحمد بن الحسين قالا: دخلنا على أبي الحسن الرضا عليه السلام فحكينا له أن محمد صلى الله عليه وآله رأى ربه في صورة الشاب الموفق في سن أبناء ثلاثين سنة وقلنا: إن هشام بن سالم وصاحب الطاق والميثمي يقولون: إنه أجوف إلى السرة والبقية صمد؟ فخر ساجدا لله ثم قال: سبحانك ما عرفوك ولا وحدوك فمن أجل ذلك وصفوك، سبحانك لو عرفوك لوصفوك بما وصفت به

---

(١) التوحيد : الشيخ الصدوق، باب التوحيد ونفي التشبيه، حديث رقم:١٣، ص٥٥.

(٢) المصدر السابق: الشيخ الصدوق، باب التوحيد ونفي التشبيه، حديث رقم ٣٢، ص٧٦.

(٣) أصول الكافي : الكليني، كتاب التوحيد، باب النهي عن الصفة بغير ما وصف به نفسه تعالى، حديث رقم:١، ١/١٠٠، قال المجلسي: الحديث مجهول(مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول : المجلسي، ١/٣٤٥)..

نفسك، سبحانك كيف طاوعتهم أنفسهم أن يشبهوك بغيرك، اللهم لا أصفك إلا بما وصفت به نفسك ولا اشبهك بخلقك، أنت أهل لكل خير، فلا تجعلني من القوم الظالمين.."[١].

٥. وروي عن محمد بن حكيم قال: كتب أبو الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام إلى أبي: أن الله أعلا وأجل وأعظم من أن يبلغ كنه صفته، فصفوه بما وصف به نفسه، وكفوا عما سوى ذلك[٢].

٦. و روي عن المفضل أنه قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن شئ من الصفة فقال: لا تجاوز ما في القرآن[٣]

٧. وروي عن الإمام علي بن موسى الرضا انه قال: "من وصف الله بخلاف ما وصف به نفسه فقد أعظم الفرية على الله"[٤].

ثالثاً: الرد عليهم من خلال بيان تناقض رواياتهم.

من عظيم بلاء هذه الطائفة كثرة اختلافاتهم وتناقضهم في كل عقائدهم، فلا يكاد يخلو موضوع من موضوعات العقيدة إلا وله ما يناقضه سواء من أخبار رواياتهم أو من أقوال علمائهم، مع أنهم أسسوا دينهم على إتباع أقوال الأئمة المعصومين كما يزعمون ، فمن خلال النظر في كتبهم لاستقراء موقفهم من الصفات الإلهية يتبين وجود أخبار كثيرة عن أئمتهم أثبتت الصفات لله تعالى من يد ووجه وساق وغيرها من الصفات، مع أن أخبار النفي قد عدت إثبات هذه الصفات يؤدي إلى التشبيه والتجسيم في الذات الإلهية، بل من الشرك الذي يجب نفيه عن الله ،وعند تدقيق النظر أكثر في أخبارهم نرى ورود روايات تصف صفات الخالق جل وعلا بصفات بالمخلوقين وتجعلها مماثل لها، وكل هذا التشبيه إذا كان الأمر يتعلق بالأئمة وإثبات إمامتهم، وقد ذكرنا العديد من هذه الروايات خلال هذا البحث، ونورد هنا عدداً أخر منها، لنبين مدى تناقض أخبارهم في توحيد الصفات، وأنها جمعت بين النقيضين، غلو في الإثبات وغلو في النفي، مما يطرحها بالكلية ولا يعوَّل عليها بشيء ، فمن هذه الأخبار:

١. روى الكليني في أصوله عن أبي الجارود عن أبي جعفر قال:قال رسول الله ﷺ المتحابون في الله يوم القيامة على أرض زبرجدة خضراء في ظل عرشه عن يمينه–وكلتا يديه يمين–وجوههم أشد بياضا وأضوء من الشمس الطالعة يغبطهم بمنزلتهم كل ملك مقرب وكل نبي مرسل يقول الناس"[٥]

والشاهد في هذه الرواية : إثبات صفة اليد لله تعالى وأن كلتا يداه يمين.

---

(١) أصول الكافي : الكليني، كتاب التوحيد، باب النهي عن الصفة بغير ما وصف به نفسه تعالى، حديث رقم ٣، ١/١٠١، قال المجلسي: الحديث ضعيف، (مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول : المجلسي، ١/٣٤٧).

(٢) المصدر السابق ، كتاب التوحيد، باب النهي عن الصفة بغير ما وصف به نفسه تعالى: حديث رقم٦، ١/١٠٢، قال المجلسي: الحديث ضعيف، (مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول : المجلسي، ١/٣٥١).

(٣) المصدر السابق نفسه ، كتاب التوحيد، باب النهي عن الصفة بغير ما وصف به نفسه تعالى: حديث رقم٧، ١/١٠٢، ، قال المجلسي: الحديث ضعيف، (مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول : المجلسي، ١/٣٥١).

(٤) بحار الأنوار: المجلسي،باب نفي الرؤية، حديث رقم ٣١، ٤/٥٣.

(٥) أصول الكافي: الكليني، كتاب الإيمان والكفر، باب الحب في الله والبغض في الله ، حديث رقم٧، ٢/١٢٦. قال المجلسي: الحديث ضعيف، (مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول : المجلسي، ٨/٢٦١).

٢. وروى كذلك عن علي بن محمد،عن سهل بن زياد،عن محمد بن عيسى قال:كتبت إلى أبي الحسن علي بن محمد عليهما السلام:جعلني الله فداك يا سيدي قد روي لنا:أن الله في موضع دون موضع على العرش استوى،وأنه ينزل كل ليلة في النصف الأخير من الليل إلى السماء الدنيا، وروي:أنه ينزل عشية عرفة ثم يرجع إلى موضعه،فقال بعض مواليك في ذلك:إذا كان في موضع دون موضع فقد يلاقيه الهواء ويتكنف عليه والهواء جسم رقيق يتكنف على كل شئ بقدره فكيف يتكنف عليه جل ثناؤه على هذا المثال؟ فوقع عليه السلام:علم ذلك عنده وهو المقدر له بما هو أحسن تقديرا واعلم أنه إذا كان في السماء الدنيا فهو كما هو على العرش والأشياء كلها له سواء علما وقدرة وملكا وإحاطة"[١]

والشاهد في هذه الرواية : ثبوت صفة الاستواء لله تعالى ، وصفة النزول إلى السماء الدنيا.

٣. وروى صدوق الشيعة في كتابه التوحيد عن محمد بن علي الحلبي عن أبي عبد الله في قوله عز وجل: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ قال: تبارك الجبار ثم أشار إلى ساقه فكشف عن الأزرار قال: ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون. قال:أفحمه القوم ودخلتهم الهيبة وشخصت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة و قد كانوا يدعون الى السجود وهم سالمون[٢] .

والشاهد في هذه الرواية : ثبوت صفة الساق لله تعالى مع مخالفتنا لهذه الرواية لما ما فيها من تمثيل.

٤. وروي عن عطاء عن أبي جعفر عن أبيه عن آبائه عن علي عن رسول الله ﷺ في حديث طويل قال فيه:...، ثم أن الله أوحى إلى جبرائيل بعد ذلك أن أهبط إلى آدم وحواء فنحهما عن مواضع قواعد بيتي لأني أريد أن أهبط في ظلال من ملائكتي إلى أرضي فارفع أركان بيتي لملائكتي ولخلقي من ولد آدم ... قال ثم أن جبرئيل أتاهما فأنزلهما من المروة وأخبرهما أن الجبار تبارك وتعالى قد هبط إلى الأرض فرفع قواعد البيت الحرام بحجر من الصفا وحجر من المروة وحجر من طور سينا وحجر من جبل السلام

الشاهد في هذه الرواية: نزول الجبار تبارك وتعالى إلى الأرض مع ما في هذه الرواية من التشبيه.

٥. وروى شيخهم المفيد عن جابر بن يزيد عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تبارك وتعالى..عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا قال:يجلسه على العرش معه"[٣]

الشاهد في هذه الرواية: جلوس الحسين على العرش مع ما في هذه الرواية من غلوا في الأئمة ولكن لا بأس عند شيخهم المفيد أن يرويها بشيء من التجسيم ليبين عظمة الأئمة مع أنه كان ينكر أن يكون لله عرش و يأول معنى العرش بالملك .

---

(١) المصدر السابق، كتاب التوحيد، باب الحركة والانتقال، حديث رقم ٤، ١٢٦/١. قال المجلسي: سنده صحيح على الظاهر، (مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول : المجلسي، ٦٦/٢).

(٢) التوحيد:الصدوق، باب تفسير قوله عز وجل يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود، حديث رقم ٢، ص١٥٥، و بحار الأنوار: المجلسي ، ٧/٤.

(٣) الاختصاص: الشيخ المفيد ، ص١٨.

٦. كذلك روي في كتاب دعاء السجاد عدد من الأدعية تثبت صفة الوجه لله تعالى وصفة الرؤية، من هذه الأدعية:

أ- قال في مناجاة المتوسلين: ...وأقررت أعينهم بالنظر إليك يوم لقائك[١].

ب-وقال في مناجاة المحبين :...ولا تصرف عني وجهك،...وشوقته إلى لقائك ورضيته بقضائك ومنحته بالنظر إلى وجهك[٢].

ت-وفي مناجاة الزاهدين قال:...وأقرر أعيننا يوم لقائك برؤيتك[٣].

ث-وفي مناجاة المفتقرين قال:" ..وشوقي إليك لا يبله إلا النظر إلى وجهك[٤].

فهذه الروايات وغيرها الكثير أثبتت صفات ينفونها عن الله تعالى، ولا يستطيعون أن ينكروها لأنها في أمهات كتبهم الروائية التي يعدونها من الصحاح، فإن قالوا بأن هذه الروايات غير صحيحة – وهذا من باب إقامة الحجة عليهم–[٥]، فليأتوا بالدليل عليها أنها غير صحيحة وليأتوا أيضاً بالدليل على غيرها من الروايات– روايات النفي– أنها صحيحة، فإن قالوا بأن هذه الروايات مردودة لمخالفتها لحكم العقل، قلنا لهم إذاً عمدتكم العقل وليس هذه الروايات، وبهذا يبطل الدليل الروائي عندهم، وكذلك نقول لهم بأي عقل سنقيس صحة رواياتكم بعقول أوائلكم المشبه الذين أنكروا روايات التعطيل وقالوا بأنها مخالفة لمعقولاتهم، أم بعقولكم، فبأي العقلين سنحكم على هذه الروايات؟!

---

(١) الصحيفة السجادية: الإمام زين العابدين، تحقيق: محمد باقر الموحد الابطحي الإصفهاني، الطبعة الأولى، الناشر: مؤسسة الإمام المهدي ، قم –إيران، ١٤١١هـ، ص ٤١٥.

(٢) المصدر السابق: ص ٤١٣.

(٣) المصدر السابق نفسه : ص ٤٢٢.

(٤) المصدر السابق نفسه: ص ٤١٥.

(٥) إيرادنا للأدعية التي جاءت في كتاب الصحيفة السجادية هو من باب إقامة الحجة على الشيعة وبيان تناقضهم من خلال ما جاء في رواياتهم إذ أن كثير مما جاء في هذه الصحيفة مما هو كذب على الإمام زين العابدين ، وفي ذلك يقول الإمام ابن تيمية:" وقد وقع في هذا كثير من أهل الكلام والوعاظ وكانوا يدعون بالأدعية المأثورة في صحيفة على بن الحسين وإن كان أكثرها كذباً على علي بن الحسين.."(انظر: منهاج السنة النبوية: ابن تيمية، ٦/٣٠٦).

الفصل الثاني
الأدلة العقلية

المبحث الأول : إثبات الصفات يؤدي إلى القول بتعدد القدماء.

المبحث الثاني : إثبات الصفات يؤدي إلى التجسيم والتشبيه.

المبحث الثالث : إثبات الصفات يؤدي إلى التركيب والتكثر في الذات الإلهية.

المبحث الأول

إثبات الصفات يؤدي إلى القول بتعدد القدماء.

انطلق الاتجاه الفلسفي الشيعي في مناقشة مثبتين الصفات، بالقول بأن أخص وصف لله تعالى هو القدم إذ به يخالف غيره ويتميز عنه[١]، وبناءً عليه فإن الصفات الإلهية إما أن تكون محدثة أو قديمة فإن كانت محدثة فلا يصح أن يوصف الله تعالى بها لأن ذاته ليست محلاً للحوادث، وإن كانت قديمة فيجب أن تكون مثلاً لله تعالى لاتصافها بالقدم الذي هو أخص صفات الباري جل وعلا، وهذا يوجب إذا كان الله تعالى عالماً قادراً لذاته أن تكون هذه المعاني أيضاً قادرة عالمة وذلك محال، لأنه يستلزم أن تكون هذه الصفات ذواتاً مستقلة فيتعدد القدماء ويحصل الشرك المنافي للتوحيد ، وبناءً على ذلك رؤوا أن النصارى أثبتوا آلهة ثلاثة قديمة بينما المثبتين للصفات أثبتوا أكثر من ذلك[٢].

ولقد دأب علماء الاثنا عشرية على إيراد مثل هذه الأغلوطات في بحوثهم العقدية لإثبات نفي الصفات عن ذات الله سبحانه وتعالى، و أقوالهم في ذلك كثير نختار منها الآتي:

- يقول صاحب كنز الفوائد في بيان صفات الذات و الدليل عليها:" وقولنا حي باق وقادر وعالم وكذلك موجود وقديم فهذه الصفات استحقها لنفسه لا لمعنى آخر والدليل على ذلك أنه لو كان حيا بحياة وباقيا ببقاء وقادرا بقدرة وعالما بعلم كان حياته وبقاؤه وقدرته وعلمه لا يخلو عن حالين إما أن تكون معاني قديمة معه وإما أن تكون حادثة فلو كانت قديمة لشاركته في أخص صفاته وماثلته فيبطل التوحيد وقد تقدمت الأدلة على صحته، وأيضا فلو ماثلت الصفة الموصوف لم تكن صفة له بأولى من أن يكون هو صفة لها. وإن كانت هذه المعاني الموصوف بها أعني الحياة والبقاء والقدرة والعلم حادثة وجب أن يكون قبل حدوثها غير مستحق للوصف بها. وقد ثبت الأدلة على أنه سبحانه لم يزل حيا باقيا قادرا عالما. ولو كانت أيضا حادثة لم يكن لها غناء عن محدث أحدثها. ولا يصح أن يكون محدثا غيره تعالى لأنه الفاعل الأول والقديم الذي لم يزل فكيف يفعل الحياة لنفسه من ليس بحي أو يحدث القدرة من ليس بقادر. والعاقل يعلم أن هذا مستحيل باطل[٣].
- يقول على الحسيني الصدر مستدلاً بحكم العقل على نفي الصفات:" إنّه لو كانت تلك الصفات زائدة على الذات لكانت أحد إثنين : إمّا قديمة وإمّا حادثة، وكلاهما محالٌ. أمّا استحالة الأوّل؛ فلأنّـه يستلزم

---

(١) انظر: كنز الفوائد : أبو الفتح الكراجكي ، ٧٤/١، والاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد : الطوسي، ص٦٢، ٧٨، ٨١، والرسالة السعدية : ص٥١، ونهج الحق وكشف الصدق ، ص٦٤، وكشف المراد شرح تجريد الاعتقاد : ص٣١٤، ورسائل الشريف المرتضى ، جمل العلم والعمل، ١٠/٣-١١.

(٢) انظر :التوحيد بحوث تحليلية في مراتبه ومعطياته : جواد علي كيسار، ١/ ١٤٢ الرسالة السعدية: العلامة الحلي ، تحقيق عبد الحسين محمد بقال، الطبعة الأولى، قم ، ١٤١٠هـ، ض٥١، كلام المقارن بحوث مقارنة في عقائد الإسلامية: على باني الكليكاني، ص ٧١، والصلة بين التشيع والاعتزال: محمد الجدعاني، ١٧٥/٢.

(٣) كنز الفوائد: أبو الفتح الكراجكي، ٧٥/١.

تعدّد القدماء، وهو باطل مخالف للعقل بواسطة لزومه التسلسل، ومخالف للإجماع أيضاً، ولهـذا كفـرت النصارى بقولهم بِقِدَم الأقانيم.(١)

- ويقول محمد جعفر شمس الدين:" يمكن الاستدلال بالعقل على ما اخترناه من جهات: الأولـى: إن هذه الصفات، لو كانت زائدة على الذات، فهي إما قديمة أو حادثة، وكلا الأمرين يستلزم محذوراً. وذلك، لأنها لو كانت قديمة لكان معنى ذلك تعدد القدماء بتعدد الصفات. وتعدد القدماء مستحيل، إذ لا قـديم إلا اللّه. وهي لو كانت حادثة للزم قيام الحادث بالقديم، والقديم يستحيل أن يكون محلاً للحوادث، إضافة إلـى أن الذات تحتاج في إثبات هذه الصفات لها إلى علة، والحاجة فقر ينزّه عنه الغني المطلق..."(٢).
- بينما يذهب على الرباني الكلبايكانى إن إثبات الصفات لله تعالى ينافى التوحيد الذاتى، وأنّه أشنع مـن عقيدة النصارى في القول بالأقانيم الثلاثة، و قد كفّرهم القرآن في قوله ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ [المائدة:٧٣] "(٣).

- يقول حسين الدرازي:" إن تعدد الصفات مستلزم لتعدد القدماء، وهو كفر، وبه كفرت النصارى وقد اعترف بذلك الامام الرازي حيث قال: ولقد كفرت النصارى باثبات ثلاثة قدماء وأصحابنا قد اثبتوا تسعة وسبعة، وأما ما أجاب به الاشاعرة من أن الكفر إثبات ذوات قديمة لا إثبات ذات واحدة وصفات قديمـة فتكلف وتحكم إذ الوحدانية تقتضي نفي الشريك مطلقاً"(٤).
- ويقول هاشم معروف الحسني:" إن الصفات لو كانت غير الذات لا تخلو، أمـا أن تكـون قديمـة أو حادثة. فلو كانت قديمة للزم تعدد القديم، وهو أسوأ من قول النصارى الذين أثبتوا ثلاثـة قـدماء: الاب، والابن، وروح القدس. وأصحاب هذا القول يلزمهم أكثر من ذلك. ولو كانت حادثة يلزم خلو الذات عـن هذه الصفات ولو آناً ما. ويلزم افتقار ذاته الى العلم ليصح وصفه بالعالم. وافتقارها الى القـدرة ليصـح وصفه بالقادر وهكذا بقية الصفات. فيكون ناقصاً بذاته، وكاملاً بغيره. ولا يمكن لأحد أن يلتزم بذلك"(٥).
- ويقول على الحسيني الصدر:" الحكم العقلي الجزمي بكون صفاته عين ذاته وخلاصة تقريره كمـا يلي: إنّه لو كانت تلك الصفات زائدة على الذات لكانت أحد اثنين: إمّا قديمة وإمّا حادثة، وكلاهما محالٌ. أمّا إستحالة الأوّل؛ فلأنّه يستلزم تعدّد القدماء ، وهو باطل مخالف للعقل بواسـطة لزومـه التسلسـل ،

---

(١) العقائد الحقة: على الحسيني الصدر ، ص ١٨٢ ،وانظر: بينات من الهدى : محمد الرصافي مقداد ، مركـز الأبحـاث العقائدية ، ص٣٣ ،انظر نهج الحق وكشف الصدق:الحسن بن يوسف المطهـر الحلـي،ص٦٤، الشـيعة بـين الأشـاعرة والمعتزلة:هاشم معروف الحسني ص ١٦٦.

(٢) دراسات في العقيدة الإسلامية ، محمد جعفر شمس الدين ، ص١٨٧

(٣) كلام المقارن بحوث مقارنة في عقائد الاسلامية: على رباني الكليكاني، ص ٧١

(٤) القول الشارح: حسين الدرازي ، ص١٣ ، وانظر :نور الافهام : السيد حسين اللوساني ، تحقيق السيد إبراهيم اللواساني ،مؤسسة النشر الإسلامي ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٥هـ، ١٢٩/١، وانظر :شرح أصول الكـافي ، مـولى محمـد صـالح المازندراني، تحقيق: أبو الحسن الشعراني، الطبعة الأولى ، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ١٤٢١هـ–٢٠٠٠م، ٢٤٨/٣.

(٥) الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة: هاشم معروف الحسيني، ص١٦٦-١٦٧.

ومخالف للإجماع أيضاً، ولهذا كفرت النصارى بقولهم بِقِدَم الأقانيم وأمّا استحالة الثاني: فلأنّه يلزم منه كون الله تعالى محلا للحوادث ، وهو باطل قطعاً كما ثبت قبلا، فيستحيل بحكم العقل زيادة الصفات على الذات ، فيحكم العقل والعقلاء بكون تلك الصفات الذاتية عين ذاته القدسية"(١).

نستنتج من أقوال علماء الشيعة السابقة بأن دليل تعدد القدماء الذي استدلوا به على نفي الصفات عن الذات الإلهية، مبني على ثلاث مقدمات ونتيجة هي:

١. قولهم بأن أخص وصف لله تعالى هو القدم وأن ثبوت صفات قديمة يقتضي المماثلة بين الصفات والذات.

٢. وقولهم بأن الصفات إما أن تكون حادثة أو قديمة ، والجواب في كلا الأمرين محال في حق الله تعالى.

٣. وقولهم بأن من يثبت صفات قديمة لله تعالى هو مماثل لما تقول به النصارى من تعدد الأقانيم بل هو أشنع منه.

والنتيجة التي توصلوا إليها بناءً على تلك المقدمات وجوب عينية الصفات للذات.

لذلك فإن مناقشتهم فيما ذهبوا إليه مبني على بيان فساد تلك المقدمات، والذي بدوره سيؤدي إلى فساد تلك النتيجة وفساد دليل تعدد القدماء.

المناقشة:

قبل البدء في مناقشة دليل تعدد القدماء، يجب أن نبين كيف نشأ هذا الدليل وممن تلقاه علماء الشيعة؟.

نشأت شبهة تعدد القدماء على يد المعتزلة بسبب كثرة مناقشتهم للنصارى، وذلك أن النصارى قالوا: إن كلمة الله التي بها خلق كل شيء تجسدت بإنسان، فكان من ردود أهل السنة – لبيان باطلهم – أن بينوا تهافت قولهم: إن كلمة الله بها خلق كل شيء؛ لأن الخالق هو الله وهو خلق الأشياء بقوله "كن " وهو كلامه ،وكلامه الذي به خلقت الأشياء ليس هو الخالق لها، بل به خلق الله الأشياء، فضلال النصارى أن جعلوا الكلمة هي الخالق . والكلمة مجرد صفة والصفة ليست خالقة وإن كانت الصفة مع الموصوف فهذا هو الخالق ليس هو المخلوق به، والفرق بين الخالق للسموات والأرض والكلمة التي بها خلقت السموات والأرض أمر ظاهر معروف كالفرق بين القدرة والقادر ولكن النصارى جعلوا الصفة غير الموصوف، وجعلوها خالقة بل جعلوها حلت في أحد المخلوقات، فلما تناظر معهم المعتزلة وعرفوا مقالتهم نشأت لديهم شبهة تعدد القدماء وأن إثبات صفة لله يلزم منه أن تكون قديمة وإذا كانت غير الموصوف لزم تعدد

(١) العقائد الحقة دراسة علمية جامعة في أصول الدين الإسلامي على ضوء الكتاب والسنة والعقل: على الحسين الصدر ، ص ١٨٢-١٨٣. وانظر : عقائد السنة وعقائد الشيعة التقارب والتباعد: صالح الورداني ، ص٦٧.

القدماء، فظنوا أن تحقيق التوحيد والخلوص من شرك النصارى لا يتم إلا بنفي جميع الصفات عن الله تعالى[1].

فيقول القاضي عبد الجبار: "لو كان يعلم بعلم لكان علمه لابد من أن يكون موجودا، لأن المعدوم لا يجوز أن يعلم به العالم من حيث يؤدي إلى أن يعلم الشيء ويجهله على وجه واحد إذا عدم العلم والجهل والمعدوم الموجود، أما أن يكون محدثا أو قديما، ولو كان علمه محدثا لأدى إلى أن يكون أحدثه من قبل أن يعلمه ومن ليس بعالم لا يجوز أن يفعل العلم، وهذا فاسد، ولو كان قديما لوجب أن يكون وجوده واجبا يستغني عن موجد وفاعل، وهذا موجب إنه مساو لله في الإلهية، وأن لا يكون الله ﷻ بأن يكون إلها أولى من علمه وقدرته القديمتين، وفساد ذلك يبين إنه تعالى عالم لذاته وقادر لذاته على ما قلناه."[2]. ويضيف عبد الجبار قائلاً:" وربما قيل في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ [المائدة:٧٣]، كيف يصح ذلك وليس في النصارى من يقول هذا القول، بل يقولون الإله واحد، لكنه يوصف بأنه ثلاثة أقانيم: أب، وابن، وروح القدس. وجوابنا: أنه تعالى لم يحك عنهم أنهم يقولون ثالث ثلاثة آلهة. بل قال: أنهم يقولون ثالث ثلاثة. وهو معنى قولهم إذا أثبتوا: ابنا، وأبا، وروحا، قديمات. وعلى هذا الوجه يقول في هؤلاء المشبهة، أنهم يثبتون معبودهم ثالثا ورابعا وعاشرا؛ إذا قالوا: إن معه علما وقدرة وحياة قديمة، ولا معتبر بالعبارات في ذلك، ولو لم يصح ما ذكرناه لقطعنا على أنه كان فيهم من يقول ذلك ولم نعلمه، ولذلك قال بعده: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [المائدة:٧٥]."[3]

ولما خالط الشيعة المعتزلة وتتلمذوا على أيديهم نقلوا مقالتهم وألفوا الروايات ضمنوها تلك الشبهة ونسبوها زوراً وبهتاناً إلى أئمة آل البيت، وقالوا بأنّ النقل والعقل دلهم على هذا التوحيد وجحدوا تتلمذهم على أيدي المعتزلة.

وعلى كل حال فإن إنكار فضل المعتزلة عليهم ، بسبب ما ابتدعوه من بدعة اتباع أقوال الأئمة فإن ذلك لا يغني من حقيقة تهافت ذلك الدليل، ولقد بين علماء أهل السنة بطلان دليلهم الذي ابتدعوه من عدة وجوه نوضحها في التالي:

---

(١) انظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة: د. عبد الرحمن بن صالح المحمود، الطبعة الأولى، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م ، ١٠٩٠/٣-١٠٩١، حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين: عبد الرحمن السلمي، الناشر: دار المعلمة للنشر والتوزيع، ص: ٢٨٤-٢٨٥، والصلة بين التشيع والاعتزال: محمد الجدعاني، ١٧٥/٢.

(٢) رسائل العدل والتوحيد: القاضي عبد الجبار، دراسة وتحقيق: د.محمد عمارة، الناشر: دار الشروق، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، ٢١٢/١-٢١٣.

(٣) تنزيه القرآن عن المطاعن: القاضي أبو الحسن عبد الجبار، الناشر: دار طلاب المعرفة، ص: ١٠٥.

أولاً: ثبوت الصفات بالكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة:

لقد جاء في كتاب الله فضلاً عن سنة الرسول ﷺ أن الله تعالى موصوف بصفات الكمال القائمة بذاته تعالى، كقوله تعالى:" ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ﴾ [البقرة:٢٥٥]، وقوله تعالى:﴿إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو القُوَّةِ المَتِينُ﴾ [الذاريات:٥٨]، وقوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف:١٥٦]، وقوله تعالى: ﴿أَنَّ القُوَّةَ للهِ جَمِيعًا﴾ [البقرة:١٦٥]، وقوله تعالى: ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللهِ﴾ [هود:١٤]، فهذه الآيات وغيرها من الآيات الصريحة في إثبات صفات الله جل وعلا، ولم يرد في كتاب الله ولا سنة رسول الله ﷺ أن إثبات هذه الصفات يؤدي إلى تعدد القدماء، هذا فضلاً على أنه لم يتعرض أحد من السلف لهذه النصوص بالتحريف أو بالنفي، بحجة أنها تستلزم تعدد القدماء، بل أثبتوا لله تعالى ما أثبته لنفسه من غير تحريف ولا تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل[1].

ثانياً: بيان بطلان قول الشيعة بأن القدم أخص وصف لله تعالى.

إن القديم ليس من أسماء الله تعالى الحسنى، حيث لم يرد ذكره في الكتاب والسنة[2]، والقديم في لغة العرب التي أنزل الله تعالى بها القرآن الكريم: هو المتقدم على غيره، يقال: هذا قديم للعتيق ، وهذا حديث للجديد، ولم يستعمل اسم القديم إلا في المتقدم على غيره، لا فيما لم يسبقه عدم، وقد أنكر كثير من السلف والخلف إدخال القديم في أسماء الله الحسنى؛ لأن أسماء الله تعالى هي الأسماء الحسنى التي تدل على خصوص ما يمدح به[3].

يقول الإمام ابن تيمية في ردّه على المعتزلة: "القديم عند جمهورهم هو أخص وصف الإله، فمن أثبت له صفة قديمة، فقد أثبت لله مثلا قديما ويسمونه ممثلا بهذا الاعتبار، ومثبتة الصفات لا يوافقونهم على هذا بل يقولون: أخص وصفه ما لا يتصف به غيره مثل كونه رب العالمين، وأنه بكل شيء عليم، وأنه على كل شيء قدير، وأنه إله واحد ونحو ذلك؛ والصفة لا توصف بشيء من ذلك، ثم من هؤلاء الصفاتية من لا يقول في الصفات إنها قديمة بل يقول: الرب بصفاته قديم، ومنهم من يقول: هو قديم وصفته قديمة، ولا يقول: هو وصفاته قديمان. ومنهم من يقول: هو وصفاته قديمان؛ ولكن قوله: ذلك لا يقتضي مشاركة الصفة له في شيء من خصائصه، فإن القدم ليس من خصائص الذات المجردة بل من بالقدم."[4].

ويقول الإمام ابن القيم الجوزية:"ومن ذلك قول هؤلاء: أخص صفات الإله؛ القديم. فإذا أثبتم له صفات قديمة لزم أن تكون آلهة قديمة، ولا يكون الإله واحد. فيقال لهؤلاء المدلسين الملبسين على أمثالهم

---

(١) انظر: بيان تلبيس الجهمية: ابن تيمية، ٤٦٣/١، وحقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين: عبد الرحمن السلمي، الناشر: دار المعلمة للنشر والتوزيع، ص: ٢٨٥.

(٢) انظر: منهاج السنة : ابن تيمية ، ٤٩٥/٢.

(٣) انظر: شرح الطحاوية في العقيدة السلفية: ابن أبي العز الحنفي، ص٥٢.

(٤) الرسالة التدمرية: ابن تيمية، ص٧٤.

من أشباه الأنعام: المحذور الذي نفاه العقل والشرع والفطرة، وأجمعت الأنبياء على بطلانه؛ أن يكون مع الله آلهة أخرى؛ لا أن يكون إله العالمين الواحد القهار حيا قيوما سميعا بصيرا متكلما آمرا ناهيا فوق عرشه، له الأسماء الحسنى والصفات العلى. فلم ينف العقل والشرع والفطرة أن يكون للإله الواحد صفات كمال يختص بها لذاته"(١).

ثالثاً: بيان بطلان ما أورده الشيعة من أغاليط أوجبوا بها عينية الصفات للذات.

إن قول الشيعة بأن الصفات لو كانت غير الذات لا تخلو من أمرين ، أما أن تكون قديمة أو حادثة، وكلا الأمرين يستلزم محذوراً في حق الله، لذا فإنه يجب القول بعينية الصفات للذات، من أغاليط المسائل التي نأى عن مثلها أهل السنة، والتي هدفها تعطيل الباري عز وجل من صفاته، فكان السائل إذا أورد مثل هذه الأسئلة يوقف ويستفسر عن أسألته وماذا يعني بها، ومن ثم يكون الجواب تبعاً لذلك المعنى.

فيقال لهم: أما قولكم إن الله تعالى لو كان له صفات غير الذات فإما أن تكون قديمة أو حادثة ، فهذا نوافقكم عليه فإنه لا ثالث لهذين القسمين. وأما قولكم: لا يمكن أن تكون الصفات محدثة ؛ فهذا نوافقكم عليه أيضاً ، فإن الصفة ليست بحادثة بل هي قديمة بقدم الموصوف.

بقي الآن قولكم : أنه لا يمكن أن تكون هذه الصفات قديمة لأنه يوجب تعدد القدماء: فنقول لكم إن لفظكم هذا فيه إجمال، لا نجيبكم عليه حتى نعرف مرادكم منه؛ فإن أردتم بأن الصفات قديمة بمعنى قائمة بنفسها مستقلة عن الموصوف؛ فالصفات ليست قديمة بهذا الاعتبار، بل هي صفة القديم.

وإن أردتم قديمة بمعنى أنه لا ابتداء لها، ولم يسبقه عدم مطلق، فالصفات قديمة بقدم موصوفها، وإذا كان قدمها تابعاً لقدم موصوفها: فليس هناك تعدد قدماء كما تزعمون ، بل هناك قديم وصفته، ولا يلزم من كون الصفة قديمة لقدم موصوفها أن يكون هناك تعدد، وإلا للزم أن تكون صفة الإله إله ، وصفة الإنسان إنساناً (٢) وبطلان هذا لا شك فيه عند من له شيء من العقل ، وما يؤدي إلى الباطل فهو باطل ؛ وبذلك يبطل تعدد القدماء الذي تزعمونه من إثبات الصفات(٣) .

أما ما ذهبوا إليه من وجوب عينية الصفات للذات بسبب تلك الأغلوطة، فإنه يقال لهم إن قولكم هذا فيه إجمال لا بد من الاستفسار عنه، فإن أردتم به أن الصفات ليست مباينة للموصوف فصحيح وإن أردتم أن نفس الذات هي نفس الصفات فهذه مكابرة، وهو مرادهم بقولهم إن الذات والصفات شيء واحد(٤) .

---

(١) الصواعق المرسلة: ابن قيم الجوزية، ٩٣٨/٣.

(٢) انظر: منهاج السنة النبوية : ابن تيمية، ٧٢/٢.

(٣) المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها: عواد بن عبد الله المعتق، الطبعة الرابعة، الناشر:مكتبة الرشيد، الرياض، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م ، ص ٨٤.

(٤) انظر : درء تعارض العقل والنقل: ابن تيمية، ٢/٢٣٠-٢٣١، ٣/٢٠-٢٥.

رابعاً: بيان بطلان ما زعموه من مماثلة مثبتي الصفات لما تقول به النصارى.

١. كفر النصاري مبنى على تعدد الذوات لا على تعدد الصفات القائمة بالذات الواحدة.

ولقد كفر الله تعالى النصارى لإثباتها ثلاثة ذوات قدماء متغايرة، وقد أجازوا عليها الانتقال والانفكاك، وهذا لم يقل به أحد من العقلاء، لا من المسلمين الموحدين ولا من غيرهم[١].

يقول الإمام القرطبي:"إن النصارى مجمعون على التثليث، فقالوا الابن إله، والأب إله، وروح القدس إله، فالإله عندهم يتعدد، ويسمون الإلهة أقانيم، ويعنون الأقانيم: الوجود والحياة والعلم. ولقد كفرهم الله تعالى بقولهم هذا[٢].

ويقول فخر الدين الرازي:" إن الله تعالى إنما كفر النصارى، لأنهم أثبتوا صفات ثلاثة هي في الحقيقة ذوات، آلا ترى أنهم جوزوا انتقال أقنوم الكلمة من ذات الله إلى بدن عيسى عليه السلام، والشيء الذي يكون مستقلا بالانتقال من ذات إلى ذات أخرى يكون مستقلا بنفسه قائما بذاته، فهم وإن سموها صفات إلا إنهم قائلون في الحقيقة بكونها ذوات، ومن أثبت كثرة في الذوات المستقلة بأنفسها فلا شك في كفره، فلم قلتم إنَّ من أثبت الكثرة في الصفات لزمه الكفر"[٣].

٢. مثبتو الصفات لا يثبتون ذواتاً حتى يلزم منه تعدد القدماء:

فمثبتو الصفات لم يقولوا بوجود موجودات منفصلة قديمة مع الله تعالى، إنما أثبتوا لله صفات الكمال القائمة به كالحياة، والعلم، والقدرة. وصفات الكمال ليست خارجة عن مسمى اسم الله تعالى، وإذا قالوا بأنها صفات زائدة على الذات، فمراده من هذا القول: أنها زائدة على الذات المجردة عن الصفات التي يثبتها النفاة، لا بمعنى أنها زائدة على الذات المتصفة بالصفات. فاسم الله تعالى يتناول الذات المتصفة بالصفات، وليس هو اسما للذات المجردة حتى يقولوا: نحن نثبت قدماء كثر مع الله تعالى. وإن الله عز وجل لم يكفر النصارى بقولهم: القدماء ثلاثة، بل كفرهم بقولهم إنه ثالث ثلاثة آلهة: هو، والمسيح، وأم المسيح[٤].

ولما استدلَّ الجهمية على نفي الصفات بنفس حجة الشيعة والمعتزلة فإن الإمام أحمد بن حنبل رد عليهم بما يقطع حجتهم ويجعلها داحضة، فقال رحمه الله:" قالت الجهمية لما وصفنا الله بهذه الصفات: إن زعمتم أن الله لم يزل ونوره، والله وقدرته، والله وعظمته، فقد قلتم بقول النصارى حين زعمتم أن الله لم يزل ونوره، ولم يزل وقدرته. قلنا:"لا نقول إن الله لم يزل وقدرته، ولم يزل ونوره، ولكن نقول: لم يزل الله بقدرته ونوره، لا متى قدر، ولا كيف قدر. فقالوا: لا تكونون موحدين أبدا حتى تقولوا: كان الله ولا شيء. فقلنا: نحن نقول قد كان الله ولا شيء. ولكن إذا قلنا: إن الله لم يزل بصفاته كلها، أليس إنما نصف

---

(١) انظر: الأربعين في أصول الدين: فخر الدين الرازي ص ١٦٥، المواقف:الإيجي ٦٧/٣، منهاج السنة النبوية:ابن تيمية ٤٨٩/٢-٤٩٦.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن:القرطبي ٢٣/٦.

(٣) الأربعين في أصول الدين: فخر الدين الرازي ص ١٦٥.

(٤) انظر منهاج السنة النبوية:ابن تيمية ٤٩٤/٢- ٤٩٥.

إلها واحداً بجميع صفاته. وضربنا لهم في ذلك مثلا، فقلنا: أخبرونا عن هذه النخلة: أليس لها جذع وكرب وليف وسعف وخوص وجمار واسمها اسم شيء واحد، وسميت نخلة بجميع صفاتها. فكـذلك الله – ولـه المثل الأعلى– بجميع صفاته إله واحد. لا نقول إنه كان في وقت من الأوقات ولا يقدر حتى خلق قـدرة، والذي ليس له قدرة هو عاجز. ولا نقول: قد كان في وقت من الأوقات ولا يعلم حتى يخلق لنفسه علمـا. والذي لا يعلم هو جاهل. ولكن نقول:لم يزل الله عالما قادرا مالكا لا متى ولا كيف. وقد سمى الله رجـلا كافرا اسمه الوليد بن المغيرة المخزومي فقال:﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ [المدَّثر:١١]، وقد كان هـذا الـذي سماه وحيداً له عينان وأذنان ولسان وشفتان، ويدان، ورجلان، وجوارح كثيرة،فقد سماه الله وحيداً بجميـع صفاته، فكذلك الله –وله المثل الأعلى– هو بجميع صفاته إله واحد".(١)

٣. ما ادعته الشيعة بأن النصارى كفروا بأن قالوا القدماء ثلاثة ومثبتو الصفات قالوا بأكثر مـن ذلـك ادعاء باطل.

فإن الله لم يكفر النصارى بقولهم: القدماء ثلاثة، بل قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ(٧٣) أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ(٧٤) مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ(٧٥) ﴾ [المائدة: ٧٣-٧٥]، فقد بين سـبحانه أنهـم كفـروا بقولهم: ﴿ إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ [المائدة:٧٣]، لقوله بعد ذلك: ﴿ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [المائدة:٧٣]، ولم يقل: ما من قديم إلا قديم واحد، ثم أتبع ذلك بذكر حال المسيح وأمه لأنهما هما الآخران اللذان اتخـذوهما إلهـين، كما بين ذلك في الآية الأخرى بقوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ [المائدة:١١٦]، فهذه الآية موافقة لسياق تلك الآية، وفي ذلك بيان أن الذين قالوا: إن الله ثالث ثلاثة قالوا إنه ثالث ثلاثة آلهة: هو، والمسيح، وأم المسيح، وليس في القرآن ذكر قدماء ثلاثة ولا صفات ثلاثة، بل ليس في الكتاب ولا في السنة ذكر القديم في أسماء الله تعالى، وإن كان المعنى صحيحا، لكن المقصود هنا بيان أن ما ذكروه لم يكفر الله تعالى النصارى به(٢).

فانظر إلى هذا التلبيس والتدليس الذي يوهم السامع أنهم أثبتوا قدماء مع الله، وإنما أثبتـوا قـديما واحدا بصفاته وصفاته داخلة في مسمى اسمه، إنما أثبتوا إلها واحدا، ولم يجعلوا كل صفة من صفاته إلها، بل هو الإله الواحد بجميع أسمائه وصفاته، وهذا بعينه متلقى عن عباد الأصنام المشركين بالله المكـذبين لرسوله، حيث قالوا: يدعو محمد إلى إله واحد. ثم يقول: يا الله، يا رحمن، يا سميع، يا بصير. فيدعو آلهة متعددة. فأنزل الله عز و جل: ﴿ قُلِ ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الإسراء:١١٠]،

(١) الرد على الجهمية والزنادقة فيما شكوا فيه من متشابه القرآن وتأوله على غير تأويله:أحمد بن حنبل، تحقيق: صبري بن سلامة شاهين، الطبعة الأولى، الناشر: دار الثبات للنشر والتوزيع،١٤٢٤هـ–٢٠٠٣م، ص١٤٠–١٤١.

(٢) انظر: منهاج السنة النبوية: ابن تيمية، ٤٩٤/٢–٤٩٥.

أي إنكم إنما تدعون إلها واحدا له الأسماء الحسنى، فأي اسم دعوتموه فإنما دعوتم المسمى بـذلك الاسـم، فأخبر سبحانه أنه إله واحد وإن تعددت أسماؤه الحسنى المشتقة من صفاته، ولهذا كانت حسنى، وإلا فلـو كانت كما يقول الجاحدون لكماله؛ أسماء محضة فارغة من المعاني ليس لها حقائق، لـم تكـن حسـنى، ولكانت أسماء الموصوفين بالصفات والأفعال أحسن منها[١].

٤. "هب أنَّ النصارى كفروا بقولهم إنه ثالث ثلاثة قدماء، فالصفاتية لا تقول إن الله تاسع تسعة قدماء بل اسم الله تعالى عندهم يتضمن صفاته فليست صفاته خارجة عن مسمى اسمه بل إذا قال القائـل آمنـت بالله أو دعوت الله كانت صفاته داخلة في مسمى اسمه وهم لا يطلقون عليها أنها غير الله فكيف يقولـون إن الله تاسع تسعة أو ثالث ثلاثة وقد قال النبي ﷺمن خلف بغير الله فقد أشرك وثبت في الصحيح الحلـف بعزة الله ولعمر الله فعلم أن الحلف بذلك ليس حلفا بما يقال إنه غير الله" [٢].

---

(١) الصواعق المرسلة: ابن قيم الجوزية، ٩٣٧/٣-٩٣٨.

(٢) منهاج السنة النبوية: ابن تيمية، ٤٩٦/٢.

المبحث الثاني

إثبات الصفات يؤدي إلى التجسيم والتشبيه.

وصل بنا البحث إلى شبه ثانية نقلها متأخرو الاثنا عشرية من المعتزلة بعد أن أظهر أوائلهم التشبيه بشقيه – تشبيه المخلوق بالخالق وتشبيه الخالق بالمخلوق –، ويعد دليل التشبيه من أهم مرتكزات الاثنا عشرية في نفي الصفات عن الله تعالى لا سيما الصفات الخبرية منها، فقد ألف شيوخ الشيعة المعطلة الكثير من الروايات وأوردوا هذه الشبهة فيها بحجة أن إثبات الصفات لله تعالى يؤدي إلى التشبيه والتجسيم، فقد عقد صدوق الشيعة ابن بابويه في كتابه التوحيد بابين الأول " باب التوحيد ونفي التشبيه"[١] والأخر " باب أنه عز وجل ليس بجسم ولا صورة"[٢] تضمن فيه العديد من الروايات التي تنفي الصفات عن الله تعالى، ولقد ذكرنا جزءاً منها في الفصل السابق، ولكن نذكر هنا رواية يتجلى فيها ذلك الدليل بوضوح، وهي ما رواه الفتح بن يزيد الجرجاني، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام أنه قال :"... يا فتح كل جسم مغذى بغذاء إلا الخالق الرزاق، فإنه جسّم الأجسام، وهو ليس بجسم ولا صورة، لم يتجزأ، ولم يتناه، ولم يتزايد، ولم يتناقص، مبرئ من ذات ما ركب في ذات من جسمه وهو اللطيف الخبير السميع البصير الواحد الأحد الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد، منشئ الأشياء ومجسم الأجسام، ومصور الصور، لو كان كما يقول المشبهة لم يعرف الخالق من المخلوق، ولا الرازق من المرزوق، ولا المنشئ من المنشأ لكنه المنشئ، فرق بين من جسمه وصوره وشيئه وبينه إذ كان لا يشبهه شيء قلت: فالله واحد والإنسان واحد، فليس قد تشابهت الوحدانية؟ فقال: أحلت ثبتك الله إنما التشبيه في المعاني فأما في الأسماء فهي واحدة وهي دلالة على المسمى..."[٣].

ولقد تجاوز متأخروا الاثنا عشرية حدود هذه الروايات وإن تضمنت ذلك الدليل، واعتمدوا على دليل التشبيه والتجسيم في نفي الصفات عن الله تعالى، وزعموا أن من يثبت لله تعالى الصفات التي وصف بها نفسه في كتابه العزيز ووصفه بها رسوله ﷺ بأنه من أهل التشبيه والتجسيم وحكموا عليه بالكفر والخلود في النار[٤].

يقول محمد جعفر شمس الدين:" لقد وردت بعض الآيات الكريمة في كتاب اللّه، مضيفة بعض الأعضاء، كاليد والوجه وغيرهما إلى اللّه سبحانه، وقد جمد المجسمة على ظواهر هذه الألفاظ، وتمسكوا بها كأدلة على ما ذهبوا إليه، من إثبات الجسمية للّه"[٥].

---

(١)التوحيد: الصدوق ، ص٣١-٨٢.

(٢) المصدر السابق : ص٩٨-١٠٤

(٣) المصدر السابق نفسه: ص٦١.

(٤) انظر: دراسات في العقيدة: محمد جعفر شمس الدين، ص ١٤٦-١٥٠. الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة:هاشم معروف، ص ١٤٦-١٤٧.

(٥) دراسات في العقيدة: محمد جعفر شمس الدين ، ص١٤٩.

ويقول محمد صادق النجمة عن الأحاديث المثبتة لصفات:" إن في جميع الأحاديث المروية في كتب أهل السنة حول التوحيد نوع من الإيهام أو التصريح بإثبات التجسيم ، ولم يكن هناك حتى حديث واحد ينفي التجسيم ويخالف تلك الأحاديث مفهوما ومضمونا، وكما قلنا : إن التوحيد في هذه الكتب لم يكن سوى التجسيم والتشبيه"[١]

ويقول شيخ الشيعة على آل محسن:" إن إثبات اليد والوجه والساق وغيرها لله تعالى هو عين التشبيه والتكييف، فإن اليد وإن اختلفت صُوَرها إلا أن حقيقتها واحدة، ولولا ذلك لما سُمّيتْ يداً، وكذلك الوجه والساق والعين وغيرها، فأهل السنة شبهوا الله بخلقه، وجعلوه جسماً وإن نفوا عنه الجسمية، فإنهم ينفون التسمية، ويثبتون الماهية"[٢].

ولقد عمد الاثنا عشرية كما مر بنا إلى تأويل الآيات التي ظاهرها خلافاً لمعقولاتهم خصوصاً إذا كان الظاهر كما يزعمون يحمل على عدة معاني في اللغة لأنها تستلزم التجسيم على الله تعالى وهو باطل، فالعقل يقبّح كون الله عز وجل له جسم، لاستلزام الجسمية للتحيز، والنقص والفقر والحاجة، ولما انفك عن الحوادث، والله تعالى منزه من ذلك[٣].

وبعد أن وصلت عقول الاثنا عشرية الزائغة إلى أن إثبات الصفات يؤدي إلى التجسيم، ساقوا الأدلة العقلية على نفي ذلك التجسيم.

فيقول صدوق الشيعة ابن بابويه:" و الدليل على أن الله تبارك وتعالى ليس بجسم أنه لا جسم إلا وله شبه إما موجود أو موهوم، وما له شبه من جهة من الجهات فمحدث بما دل على حدوث الأجسام، فلما كان الله عز وجل قديما ثبت أنه ليس بجسم"[٤] .

ويقول علي الحسيني الصدر مستدلاً بدليل التشبيه والتجسيم على نفي الصفات الفعلية:" من حيث إنّ هذه الأمور الحادثة – الصفات الفعلية – توجب الانفعال والتأثّر ، والانفعال ممتنع عليه ؛ لأنّه من صفة المادّيات، والله تعالى ليس مادّياً فلا يكون منفعلاً أو متغيّراً ولا يكون محلا للحوادث مضافاً إلى أنّ تلك الحوادث هي من لوازم الجسم والله تعالى منزّه عن الجسمية. بالإضافة إلى أنّ تلك الأمور عوارض مخلوقة حادثة ، والخالق القديم يستحيل عليه أن يتّصف ذاتاً بالصفات المخلوقة الحادثة ، فلا تكون الحوادث عارضة عليه، ثمّ إنّ ما ورد في القرآن الكريم من وصفه تعالى بشيء من تلك الصفات كقوله عزّ اسمه : ﴿ **رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ** ﴾ [المائدة:١١٩]، وقوله تعالى: ﴿ **وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ**... ﴾ [الفتح:٦]، وقوله تعالى:﴿ **فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ** ﴾ [الزُّخرف:٥٥] ونحو ذلك، فهي مؤوّلة بأنّ

(١) أضواء على الصحيحين : محمد صادق النجمي ، ص١٨٥.

(٢) كشف الحقائق: على آل محسن، الطبعة الثانية ، الناشر: دار الميزان للطباعة والنشر ، بيروت– لبنان، ١٤١٩هـ–١٩٩٩م، ص٢٢٠.

(٣) انظر دراسات في العقيدة: محمد جعفر شمس الدين ص١٣٦. الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة:هاشم معروف والمعتزلة ص ١٤٣-١٤٦.

(٤) التوحيد: الصدوق ، ص٢٩٩-٣٠٠.

المراد في جملة منها غاياتها ونتائجها دون مباديها ونفس حالاتها ، فغاية الرضا مثلا الإكرام والإحسان ، وغاية الغضب مثلا العقاب والعذاب ، فيكون رضاه تعالى بمعنى إكرامه، وغضبه بمعنى معاقبته ، ولذا قيل في حقّه تعالى: خذ الغايات واترك المبادئ"(١)

ويقول علامة الشيعة الطبطبائي : إنّ من الضروري الثابت بالضرورة من الكتاب والسنة أنّ الله سبحانه وتعالى لا يوصف بصفة الأجسام ، ولا ينعت بنعوت الممكنات مما يقضي بالحدوث ويلازم الفقر والحاجة والنقص..."(٢)

يقول محمد جعفر شمس الدين:"ويمكن الاستدلال على استحالة أن يكون اللّه جسماً بعدة أمور: هو انه لو كان اللّه سبحانه جسماً، للزم من ذلك عدة أمور باطلة، أهمها اثنان:

أحدهما: أنه يكون عند ذلك متحيزاً، والمتحيز يحتاج إلى حيز ومكان. والحاجة فقر ينزّه عنه الغني المطلق.

ثانيهما: إنه لو كان سبحانه جسماً، لما انفك عن الأكوان الحادثة، وكل ما لا ينفك عن الحوادث فهو حادث"(٣).

ويقول محمد حسن المظفر:" أطبق العقلاء على ذلك، إلاّ أهل الظاهر كداود، والحنابلة كلّهم، فإنّهم قالوا: إنّ الله تعالى جسمٌ يجلس على العرش، ويفضل عنه من كلّ جانب ستّة أشبار بشبره، وإنّه ينزل في كلّ ليلة جمعة على حمار و ينادي إلى الصباح، وحَملوا آيات التشبيه على ظواهرها والسبب في ذلك قلّة تمييزهم، وعدم تفطّنهم بالمناقضة التي تلزمهم، وإنكار الضروريات التي تُبطل مقالتهم. فإنّ الضرورة قاضية بأنّ كلّ جسم لا ينفكّ عن الحركة والسكون، وقد ثبت في علم الكلام أنّهما حادثان، والضرورة قاضية بأنّ ما لا ينفكّ عن المُحدَث فإنّه يكون مُحدَثاً، فيلزم حدوثُ الله تعالى.

والضرورة الثانية: قاضية بأنّ كلّ مُحدَث فله مُحدِث، فيكون واجب الوجود مفتقراً إلى مؤثِّر، ويكون ممكناً، فلا يكون واجباً وقد فُرض أنّه واجب، وهذا خُلف"(٤).

الخلاصة مما سبق:

زعم الاثنا عشرية بأن إثبات الصفات يؤدي إلى خلع الصفات البشرية على الذات الإلهية، وقالوا: لو قامت به الصفات لكان جسماً، ولو كان جسماً لكان مماثلاً لسائر الأجسام ، فيجوز عليه ما يجوز عليها ، ويمتنع عليه ما يمتنع عليها ، وذلك ممتنع على الله تعالى(٥) .

---

(١) العقائد الحقة: علي الحسيني الصدر، ص ١٨٠-١٨١.

(٢) الميزان في تفسير القرآن : الطبطبائي ، ١٠٣/٢.

(٣) دراسات في العقيدة : محمد جعفر شمس الدين ، ص١٤٦ ،وانظر : كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد : العلامة الحلي ، ص ٢٢٧.

(٤) دلائل الصدق : محمد حسن المظفر، ١٨٨/٢-١٨٩.

(٥) انظر: مقالة نفاة الصفات وأدلتهم في ، مجموع الفتاوى : ابن تيمية ، ٧٠/٣.

ولقد رمى الاثنا عشرية أهل السنة الذين يثبتون ما أثبته رسوله ﷺ بالمشبهة والمجسمة ، وحملوا عليهم حملة منكرة يلمزونهم ويضللونهم ويكفرونهم، ومن شدة حنق هذه الطائفة على أهل السنة بأنهم خلطوا أقوال الشيعة الأوائل – المشبهة- بأقوال أهل السنة ونسبوا إليهم وقوعهم في التشبيه والتجسيم، ورووا الروايات التي وضعها أوائلهم في التشبيه، والتي لازال جزء كبير منها موجوداً في كتبهم المعتمدة، ونسبوها إلى أهل السنة، كل ذلك انتصاراً لمذهبهم في التعطيل، ومحاولة لتنفير الناس عن المنهج القرآني النبوي السلفي[١]

المناقشة:-

في البدء ينبغي أن يلاحظ أنّ هذا الدليل لم يكن من أراء الشيعة الاثنا عشرية بل مضوا فيه على تقليد شيوخهم المعتزلة الذين ذهبوا إلى أن إثبات الصفات لله تعالى يؤدي إلى التماثل والتشابه بين صفات الخالق وصفات المخلوقين، حيث يقول القاضي عبد الجبار: "الذاتين إذا اشتركا في صفة من صفات الذات، فقد علم أن ذات أحديهما يجب أن تستحق سائر ما تستحقه الأخرى؛ لأن ما أوجب استحقاقه لأحديهما يوجب استحقاقها للآخر. ولو جوزنا اشتراكهما في صفة الذات، وإن افترقا في صفة أخرى، لأوجب ذلك كون أحدهما مخالفا لما هو موافق له، وإلى أن يوافقه بنفس ما يخالفه، ويستحيل في الذات الواحدة الخلاف و الوفاق، كما يستحيل أن نوجب الحدوث والقدم... فقد ثبت أن الاشتراك في صفة الذات يوجب الاشتراك في سائر صفات الذات، والأحكام الراجعة إلى الذات. فأما وجوب الاتفاق فيما لا يرجع إلى الذات فغير واجب"[٢].

ولقد نشأ هذا الدليل عند المعتزلة بسبب ما أظهره الشيوخ الشيعة الاثنا عشرية الأوائل من التشبيه والتجسيم في حق الباري عز وجل، حيث غالوا في إثبات الصفات لله سبحانه و تعالى، وقالوا بأنّا لا نعقل من صفات الله تعالى إلا ما نحن عليه من الصفات إذ أنه يستحيل على الله أن يخاطبنا إلا بما نعقل، فلما تناظر المعتزلة معهم، نشأت لديهم شبهة التجسيم وقالوا بأن إثبات الصفات لله تعالى يؤدي إلى أن تكون صفات الله، مثل صفاتنا ولوجب أن يكون القديم تعالى جسماً محلاً للأعراض التي هي الصفات وذلك محال في حق الله تعالى، فذهبوا إلى نفي الصفات عن الله تعالى بسبب ما ظهره الشيعة من التشبيه ومن ثم صار من أدلتهم على نفي الصفات، ولقد نقل علماء المعتزلة مقالة شيوخ الشيعة الأوائل في التشبه وحملوا عليهم بسبب ما جنحوا إليه من التشبيه[٣].

إذاً شبهة التشبيه مردها إلى تنجس عقول المعتزلة وتلطخها بأقذار مشبهة الشيعة الأوائل، فنفوا بسبب تلك الأقذار صفات الخالق جل وعلا اعتقاداً منهم أنهم ينزهون الله عن التشبيه ، يقول الشيخ محمد الشنقيطي رحمه الله بهذا الصدد :" التعطيل سببه اعتقاد التشبيه أولا ،...إن كل هذا الشر إنما جاء من

(١) انظر: أسماء الله وصفات في معتقد أهل السنة والجماعة : عمر سليمان الأشقر، الناشر: دار النفائس ، الطبعة الثانية، عمان ، الأردن ، ١٤١٤-١٩٩٤، ص١٧٣.

(٢) المغني في أبواب التوحيد والعدل: القاضي عبد الجبار، ٢٥٢/٤.

(٣) انظر : الانتصار الخياط ، ص١٤ وما بعدها.

مسألة هي نجس القلب وتلطخه وتدنسه بأقذار التشبيه فإذا سمع ذو القلب المتنجس بأقذار التشبيه صفة من صفات الكمال التي أثنى الله بها على نفسه كنزوله إلى سماء الدنيا في ثلث الليل الأخير وكاستوائه علـــى عرشه وكمجيئه يوم القيامة وغير ذلك من صفات الجلال والكمال، أول ما يخطر في ذهـــن المســـكين أن هذه الصفة تشبه صفة الخلق فيكون قلبه متنجسا بأقذار التشبيه لا يقدر الله حق قدره ولا يعظـــم الله حـــق عظمته حيث يسبق إلى ذهنه أن صفة الخالق تشبه صفة المخلوق فيكون أولا نجس القلب متقـــذر بأقـــذار التشبيه يدعوه شؤم هذا التشبيه إلى أن ينفي صفة الخالق جل وعلا عنه بادعاء أنها تشبه صفات المخلوق فيكون أولا مشبها وثانيا معطلا فصار ابتداء و انتهاء متهجما على رب العالمين"[١].

وبالعموم فقد ناقش علماء أهل السنة والجماعة ذلك الدليل وبينوا بطلانه من عدة وجوه هي:

أولاً: ليس للشيعة نفاة الصفات على صحة ذلك الدليل أي دليل من الكتاب والسنة ولا من ســـلف الأمة، فلو كان قولهم صواباً لوجدنا نصوص القرآن والسنة تؤيده وتأمر به، فإن القضية الكبـــرى التـــي جاءنا بها الوحي الإلهي الرباني هي تعريف العباد بربهم ، فكيف يكون طريق معرفة الله وتوحيده هو نفي الصفات، ثم لا يأمرنا الله به، لا أمر إيجاب، ولا أمر استحباب، ولا يخبرنا أن ظاهر صفاته يـــؤدي إلـــى التشبيه والتجسيم في حقه سبحانه وتعالى، وكيف يكون هذا هو الطريق الحق في معرفة الله ، ثم لا يعلمه الرعيل الأول من هذه الأمة إلى أن نبتت هذه النابتة التي ادعت أنها تعلم ما لم يعلمه الصحابة والتـــابعون لهم بإحسان والأئمة الأعلام[٢].

ثانياً: إنّ إثبات الصفات لله تعالى ثابت بالقرآن الكريم والسنة النبوية، ولم يتعرض لها أحـــد مـــن الصحابة الكرام بالنفي بحجة أنها تستلزم التشبيه والتجسيم، بل كانوا يقرؤون القرآن، ويسمعون أحاديث الصفات التي صحت عن النبي ﷺ، ولا يقابلونها إلا بالتصديق والتنزيه، فصفات الباري تعالى تليق بذاتـــه وجلاله، وصفات المخلوقين تناسب ضعفهم وعجزهم، والفرق بين صفة الخالق وصفة المخلوق، كما بـــين الخالق والمخلوق. وعلى هذا النهج سار من بعدهم من السلف الصالح. بل كان السلف ينكر بدعـــة نفـــي الصفات ويكفرون القائلين بها[٣].

قال نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري رحمهما الله تعالى:"من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومـــن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه"[٤].

---

(١) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات:محمد الأمين الشنقيطي ، ص٣٦، تحقيق عطية محمد ســـالم ، دار الســـلفية ، الطبعة الرابعة ، الكويت.

(٢) أسماء الله وصفاته في معتقد أهل السنة والجماعة ، الدكتور عمر سليمان الأشقر ، ص١٧٥ بتصرف.

(٣) انظر: الصواعق المرسلة: ابن قيم الجوزية، ٩٢٤/٣، الصفدية: ابن تيمية، ١٠٣/١، منهاج السنة النبوية: ابن تيميـــة، ١٩٨/٢.

(٤) اجتماع الجيوش الإسلامية: ابن القيم، ص١٦٨، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول فـــي التوحيـــد: حافظ بن أحمد حكمي، تحقيق: عمر محمود أبوعمر، الطبعة: الثالثة، الناشر: دار ابن القيم، المملكـــة العربيـــة الســـعودية ، ١٤١٥هـ -١٩٩٥م، ٣٦٥/١.

وقال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: "آمنا بالله، وبما جاء عن الله على مراد الله، وآمنا برسول الله، وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله صلى الله عليه سلم. وقال: لله تعالى أسماء وصفات جاء بها كتابه وأخبر بها نبيه ﷺ أمته، لا يسع أحدا من خلق الله قامت عليه الحجة ردها، لأن القرآن نزل بها، وصحَّ عن رسول الله ﷺ القول بها فيما روى عنه العدول، فإن خالف ذلك بعد ثبوت الحجة عليه فهو كافر أما قبل ثبوت الحجة عليه فمعذور بالجهل، لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل ولا بالرؤية والفكر ولا يكفر بالجهل بها أحد إلا بعد انتهاء الخبر إليه بها، وتثبت هذه الصفات وينفي عنها التشبيه كما نفى التشبيه عن نفسه تعالى فقال سبحانه:﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ [الشُّورى:١١]"(١).

ثالثاً: إن لفظ "التشبيه" في الدليل الشيعي لفظ مجمل يحتاج إلى توضيح، فإن أرادوا بالتشبيه أن الله تعالى لا يتصف بشيء من صفات المخلوقين، ولا يماثله شيء من المخلوقات في صفاته، وخصائصه تعالى تختلف عن خصائص غيره من الموجودات فهذا نوافقهم عليه فالذي يجب نفيه عن الخالق تعالى هو اتصافه بشيء من خصائص المخلوقين، كما أن المخلوق لا يتصف بشيء من خصائص الخالق، وأيضا الذي يجب نفيه إثبات شيء من الصفات للعبد يماثل فيه صفات الرب عز وجل، وأما إذا قيل: العبد حي والرب حي، والعبد عالم والرب عالم، والعبد قادر والرب قادر، أو قيل للعبد قدرة، وللرب قدرة، ولهذا علم ولهذا علم، كان نفس علم الرب تعالى لم يشركه فيه العبد، ونفس علم العبد لا يتصف به الرب تعالى، تعالى عن المشابهة والمماثلة لصفات عباده، وكذلك سائر الصفات، وإذا اتفق العلماء في مسمى العلم، والعالمان في مسمى العالم، فمثل هذا التشبيه ليس هو المنفي لا بالشرع ولا بالعقل، ولا يمكن نفي ذلك إلا بنفي وجود الله العالم الحي القادر. وهذا لا يقوله عاقل.(٢)

ولقد بين الإمام أحمد المراد بالتشبيه فقال رحمه الله:" المشبه الذي يقول بصر كبصري، ويد كيدي، وقدم كقدمي. ومن قال هذا فقد شبه الله بخلقه... وأما التشبيه في اللغة فإنه قد يقال بدون التماثل في شيء من الحقيقة، كما يقال للصورة المرسومة في الحائط إنها تشبه الحيوان، ويقال: هذا يشبه هذا في كذا وكذا، وإن كانت الحقيقتان مختلفتين. ولهذا كان أئمة أهل السنة ومحققو أهل الكلام يمنعون من أن يقال: لا يشبه الأشياء بوجه من الوجوه؛ فأن مقتضى هذا كونه معدوما، ومنهم طوائف يطلقون هذا. لكن من هؤلاء من يريد بنفي التشابه نفي التماثل."(٣)

رابعاً: لفظ التجسيم في الدليل الشيعي لفظ مجمل لم يرد في الكتاب والسنة، فلا يجاب عليه حتى يعرف المراد منه، فإن أردوا بالجسم المركب الذي كانت أجزاؤه مفرقة فجمعت، أو ما يقبل التفريق والانفصال، أو المركب من مادة وصورة أو المركب من الأجزاء المفردة التي تسمى الجواهر الفردة، فالله تعالى منزه عن ذلك كله، عن أن يكون كان متفرقا فاجتمع، أو أن يقبل التفريق والتجزئة التي هي مفارقة

---

(١) معارج القبول: حافظ حكمي، ٣٦٥/١.

(٢) انظر: منهاج السنة النبوية ٥٩٥/٢-٥٩٦، الصفدية: ابن تيمية، ١٠٠/١.

(٣) بيان تلبيس الجهمية: ابن تيمية، ٤٧٦/٢-٤٧٧.

بعض الشيء بعضا وانفصاله عنه، أو غير ذلك من التركيب الممتنع عليه. وإن أردوا بالجسم ما يشار إليه أو ما يرى أو ما تقوم به الصفات والله تعالى يرى في الآخرة، وتقوم به الصفات، ويشير إليه الناس عند الدعاء بأيديهم وقلوبهم ووجوههم وأعينهم، فإن أردوا بقولهم: ليس بجسم هذا المعنى قيل لهم هذا المعنى الذي قصدتم نفيه بهذا اللفظ معنى ثابت بصحيح المنقول، وصريح المعقول، وأنتم لم تقيموا دليلا على نفيه، وأما اللفظ فبدعة نفيا وإثباتا فليس في الكتاب ولا السنة، ولا قول أحد من سلف الأمة وأئمتها إطلاق لفظ الجسم في صفات الله تعالى لا نفيا ولا إثباتا"[١]

يقول الإمام ابن القيم:" واعلم أن لفظ الجسم لم ينطق به الوحي إثباتاً ، فيكون له الإثبات، ولا نفياً، فيكون له النفي..."[٢]

خامساُ: إنَّ "الاعتماد في تنزيه الباري على نفي الجسم طريقة مبتدعة في الشرع متناقضة في العقل، فلا تصح لا شرعا ولا عقلا. أما الشرع فإنه لم يرد بذلك كتاب ولا سنة، ولا قول أحد من السلف والأئمة. بل الكلام في صفات الله بنفي الجسم أو إثباته بدعة عند السلف والأئمة، ولو كان ذلك مما يعتمد في الشرع لدل الشرع عليه. وقد عاب الله على اليهود ما وصفوه به من النقائص، كقولهم: إن الله فقير، وقولهم: يد الله مغلولة، وقولهم: استراح. والتوراة مملوءة من الصفات، فلم يعب عليهم ما فيها، ولا ذكر أنهم حرفوا ذلك. وكثير من أهل الكلام يرد على اليهود بالطريقة المبتدعة ويدع طريقة القرآن"[٣].

سادساً: إن إثبات الصفات لله لا يلزم منه التماثل بين الله والمخلوقين، لكون المخلوقين متصفين بهذه الصفات، لأن الصفات التي يتصف بها القديم لا يمكن أن تكون كصفات المحدثات. ويقال لهم أيضا: أنتم تثبتون لله تعالى الأسماء الحسنى مثل: حي وعليم وقدير، والعبد يسمى بهذه الأسماء. وإن كان ما تثبتونه لا يلزم منه مماثلة الله تعالى لعباده، فيلزمكم إثبات الصفات لله تعالى إذ هي مسمى أسمائه، وإثباتها لا يقتضي ذلك. وإن نفيتم بحجة التشبيه والمماثلة فيلزمكم نفي الأسماء بنفس الحجة[٤].

سابعاً: إن حقيقة صفات المخلوقين تختلف كلية عن حقيقة صفات الخالق فلا تماثل بينهما وإن اشتركتا في المسمى، يقول ابن تيمية: "فهذه الصفات لها ثلاث اعتبارات: تارة تعتبر مضافة إلى الرب. وتارة تعتبر مضافة إلى العبد. وتارة تعتبر مطلقة لا تختص بالرب ولا بالعبد. فإذا قال العبد: حياة الله وعلم الله وقدرة الله وكلام الله ونحو ذلك فهذا كله غير مخلوق، ولا يماثل صفات المخلوقين. وإذا قال:

---

(١) منهاج السنة النبوية: ابن تيمية ١٣٤/٢– ١٣٥، انظر: نفس المرجع السابق، ٢١١/٢، ٢١٢.

(٢) مختصرالصواعق المرسلة: ابن القيم، ١٧٥/١، وانظر: بيان تلبيس الجهمية ، ابن تيمية، ٣٩/١، ٤٧.

(٣) الصفدية: ابن تيمية، ٣٣/٢. وانظر: درء تعارض العقل والنقل: ابن تيمية، ١٢٧/١–١٢٩. بيان تلبيس الجهمية: ابن تيمية، ٢٧٢/١. الصواعق المرسلة: ابن قيم الجوزية، ٩٣٩/٣–٩٤٣.

(٤) انظر: منهاج السنة النبوية:ابن تيمية، ١١٥/٢–١١٦، الرسالة التدمرية: له، ص٢٣–٢٤، شرح الطحاوية في العقيدة السلفية: ابن أبي العز الحنفي، ص٥٨.

علم العبد وقدرة العبد وكلام العبد، فهذا كله مخلوق. ولا يماثل صفات الرب. وإذا قال: العلم والقدرة والكلام، فهذا مجمل مطلق لا يقال عليه كله إنه مخلوق ولا إنه غير مخلوق"(١).

ثامناً: إنَّ وصف الله تعالى بصفة يتصف بها المخلوق، لا يقتضي التشبيه والتجسيم، فالشيعة نفاة الصفات يوافقون أهل السنة على أن الله تعالى موجود حي عليم قدير سميع بصير متكلم. والمخلوق يقال له:موجود حي عليم قادر سميع بصير متكلم. ولا يقال:هذا تشبيه باطل يجب نفيه. وهذا الأمر مما يدلّ عليه الكتاب والسنة وصريح العقل، فلقد سمى الله تعالى نفسه بأسماء، وسمى بعض عباده بأسماء، وسمى صفاته بأسماء، وسمى ببعضها صفات خلقه. وليس المسمى كالمسمى. فمثلا سمى الله تعالى نفسه حيا قال تعالى:﴿ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ﴾ [البقرة:٢٥٥]، وسمى بعض عباده حيا، فقال:﴿ يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَيُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ﴾ [الرُّوم:١٩]، وسمى نفسه عليما فقال:﴿ إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [الشُّورى:٥٠]، وسمى بعض عباده عليما فقال:﴿ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ [الذاريات:٢٨]، وسمى نفسه حليما فقال:﴿ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة:٢١٨]، وسمى بعض عباده حليما فقال:﴿ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ [الصَّفات:١٠١]، وسمى نفسه سميعا بصيرا فقال:﴿ إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء:٥٨]، وسمى بعض عباده سميعا بصيرا فقال:﴿ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [الإنسان:٢]، ومن المعلوم أنه لا يماثل الحي الحي، ولا العليم العليم، ولا الحليم الحليم، ولا السميع البصير السميع البصير. كما أن الله سمى صفاته بأسماء، وسمى صفات عباده بنظير ذلك، فقد وصف الله تعالى نفسه بالعلم فقال:﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة:٢٥٥]وقال:﴿ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ [النساء:١٦٦]، ووصف بعض عباده بالعلم فقال:﴿ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ العِلْمِ﴾ [غافر:٨٣]، وليس العلم كالعلم. ووصف نفسه بالقوة فقال:﴿ إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو القُوَّةِ المَتِينُ﴾ [الذاريات:٥٨]، وقال في صفة الإنسان:﴿ اللهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ [الرُّوم:٥٤]، وليست القوة كالقوة.(٢)

تاسعاً:إنَّ المحقق المنصف يدرك بأدنى تأمل بطلان مقالة الشيعة الذين ينفون صفات الباري بدعوى أن إثباتها يقتضي تشبيه الخالق بالمخلوق، " فإن وجود الباري يخصه، وكذلك أسماؤه وصفاته خاصة به دون خلقه ، ولا يقتضي الاتفاق في الاسم العام عند الإطلاق تماثل صفات الخالق والمخلوق في مسمى ذلك الاسم عند إضافته إلى الباري أو تخصيصه وتقييده به، وهذا المنهج لا يرتضيه العقلاء في الأسماء المشتركة فيما بين المخلوقات، فإذا قيل : إنّ العرش موجود ، والقمر موجود ، والفيل موجود ، والبعوض والنمل والذباب كلها موجودة ، فهل يجوز لأحد أن يقول : إن وجود هذه المخلوقات متساوي ،

---

(١) مجموع الفتاوى: ابن تيمية، ١٢/٦٦.

(٢) انظر: منهاج السنة النبوية: ابن تيمية، ٢/١١٢-١١٣، الرسالة التدمرية: ابن تيمية: ١٤-١٧، شرح الطحاوية في العقيدة السلفية: ابن أبي العز الحنفي، ص٥٨.

وإنه شيء واحد ؟ فإذا كان هذا مرفوضاً ، فإن التباين الذي بن الخالق والمخلوق أعظم من التبـاين بـين المخلوق والمخلوق..." [1] .

عاشراً: إنّ التشبيه والتجسيم المخالف للعقل والنقل لا يقول به أحد من الطوائف أكثر من طوائف الشيعة، وهذه كتب علماء الفرق والمقالات كلها تخبر عن أئمة الشيعة المتقدمين من المقـالات المخالفـة للعقل والنقل في التشبيه والتجسيم بما لا يعرف نظيره عن أحد من سائر الطوائف".[2] لقد أثبت كتب الاثنا عشرية ذلك التشبه والتجسيم ونقلت مقالة أوائلهم في ذلك التشبيه والتجسيم، ولا يـزال التشـبيه بنوعيـه والتجسيم موجود فيهم بسبب مغالاتهم في أئمتهم ورفعهم لمرتبة الألوهية، وكتبهم خير شاهدة على ذلـك، حيث تكثر فيها الروايات التي تبين اعتقاد أئمة الشيعة التجسيم في الله تعالى.

يقول ابن تيمية:"أهل السنة أحق بتنزيهه عن مشابهة المخلوقات من الشيعة فـإن التشـبيه والتجسـيم المخالف للعقل والنقل لا يعرف في أحد من طوائف الأمة أكثر منه في طوائـف الشـيعة، وهـذه كتـب المقالات كلها تخبر عن أئمة الشيعة المتقدمين من المقالات المخالفة للعقل والنقل في التشبيه والتجسيم بما لا يعرف نظيره عن أحد من سائر الطوائف، ثم قدماء الإمامية ومتأخروهم متناقضون فـي هـذا البـاب فقدماؤهم غلوا في التشبيه والتجسيم ومتأخروهم غلوا في النفي والتعطيل فشـاركوا فـي ذلـك الجهميـة والمعتزلة، دون سائر طوائف الأمة، وأما أهل السنة..فجميع أئمتهم وطوائفهم المشهورة متفقون على نفي التمثيل عن الله تعالى"[3] .

الحادي عشر: إن المذهب الحقيقي أن يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، يقول شيخ الإسلام:"ومذهب سلف الأمة وأئمتها أن يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، يثبتون لله ما أثبته من الصفات، وينفون عنه مماثلة المخلوقات، يثبتون له صفات الكمال، وينفـون عنه ضروب الأمثال، ينزهونه عن النقص والتعطيل وعن التشبيه والتمثيل إثبات بلا تشبيه وتنزيـه بـلا تعطيل، وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ردٌ على الممثلـة، وقولـه: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾، ردٌ علـى المعطلة".[4] فأهل السنة والجماعة متفقون على أن الله تعالى ليس كمثله شـيء لا فـي ذاتـه، ولا فـي صفاته، ولا في أفعاله. وهم يثبتون صفات الله تعالى بلا تمثيل، وينزهونه عن مشابهة الخلق بلا تعطيـل كما قال تعالى:﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ [الشُّورى:١١] .

---

(١) أسماء الله وصفاته في معتقد أهل السنة والجماعة ، الدكتور عمر سليمان الأشقر، ص١٧٦

(٢) منهاج السنة النبوية: ابن تيمية ١٠٣/٢.

(٣) المرجع السابق، ١٠٢/٢-١٠٣.

(٤) المرجع السابق، ١١١/٢.

المبحث الثالث

إثبات الصفات يؤدي إلى التركيب والتكثر في الذات الإلهية.

تلقف الشيعة الاثنا عشرية دليل التركيب من فلاسفة المعتزلة وجعلوه أساساً في معرفة ما لا يوصف به الله، فكل ما أدى إلى التركيب والتكثر في الذات الإلهية – حسب فهمهم – قالوا بامتناع أن يتصف الباري به[١] ، وقد زعموا أن الله تعالى لو كان متصفاً بهذه الصفات وكانت قائمة بذاته، كانت حقيقة الإلهية مركبة، وكل مركب محتاج إلى جزئه، وجزء غيره، فيكون الله تعالى محتاجا إلى غيره، فيكون ممكنا. ويلزم القول بالزيادة أن يكون الله مركّباً من ذات وصفات قديمة، ولكنّه تعالى يستحيل أن يكون مركّباً؛ لأنّ كلّ مركّب محتاج إلى جزئه، وكلّ محتاج يكون ممكناً[٢].

ولقد كثرت أقوال علمائهم في تقرير دليل التركيب والاستدلال به على نفي الصفات عن الله تعالى، نذكر منها ما يلي:

يقول المقداد السيوري عن الله تعالى:" ليس بمركب، والمركب هو ماله جزء، ونقيضه البسيط وهو ما لا جزء له ثم التركيب قد يكون خارجياً كتركيب الأجسام من الجواهر الأفراد وقد يكون ذهنياً : كتركيب الماهيات والحدود من الأجناس والفصول والمركب بكلا المعنيين : مفتقر إلى جزئه لامتناع تحققه وتشخيصه خارجاً وذهنا بدون جزئه ، وجزؤه غيره لأنه يسلب عنه فيقال: الجزء ليس بكل، وما يسلب عنه الشيء فهو مغاير له فيكون المركب مفتقراً إلى الغير فيكون ممكناً فلو كان الباري جلت عظمته مركباً لكان ممكنا وهو محال" [٣]

ويقول ابن المطهر الحلي في معرض رده على من يثبت الصفات لله تعالى ولم يجعلها عين ذاته:" إنه لو كان الله تعالى موصوفاً بهذه الصفات وكانت قديمة بذاته كانت حقيقة الإلهية مركبة، وكل مركب محتاج إلى جزئه وجزء غيره فيكون الله تعالى محتاجاً إلى غيره فيكون ممكناً، وإلى هذا أشار مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: حيث قال : " أول الدين معرفته وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه ومن قرنه فقد ثناه ومن ثناه فقد جزأه ومن جزأه فقد جهله "[٤]

ويقول محمد رضا المظفر:" كما لا ينقضي العجب من قول من يذهب إلى أنّ صفاته الثبوتية زائدة على ذاته، فقال بتعدّد القدماء ووجود الشركاء لواجب الوجود، أو قال بتركيبه تعالى عن ذلك" [٥].

---

(١) الصلة بيت التشيع والاعتزال: محمد الجدعاني، ١٧٨/٢.

(٢) انظر: كشف الفوائد:العلاّمة الطوسي الحلّي،الباب الثاني، الوحدانية،، ص ١٩٧.

(٣) النافع يوم الحشر : الحلي، شرح المقداد السيوري، ص٤٩-٥٠.

(٤) نهج الحق وكشف الصدق: الحسن بن يوسف المطهر الحلي، ص٦٥.

(٥) عقائد الإمامية : محمد رضا المظفر ، ص٣٨.

وقال محمد حسن المظفر في كتابه دلائل الصدق بأنه :" لو كانت الصفات زائدة على ذاته تعالى لزم التركيب في حقيقة الإله ؛ لأنّ الذات في نفسها ـــ مع قطع النظر عن الحياة والعلم والقدرة، وغيرهـــا من الصفات ـــ خالية عن مقتضيات الإلهية، فإذا كان الإله هو المركّب من الذات والصفات، ولا إلـــه إلاّ الله، كان الله سبحانه مركّباً، والتركيب ينفي الوجوب..."(١)

ويقول الشيعي مروان خليفات :" ونحن لو نظرنا لمنهج السلفية الذي اختطـــوه لأنفســـهم – كـــل القرآن حقيقة– وجدناه يتعارض مع البداهة العقلية بل إنه مناقض لنفسه فإن إثبات هذه الصفات لله يستلزم التركيب لذاته فهو مركب من وجه ويدين ورجلين...وهذا مرفوض لأن كل مركب مخلـــوق والمركـــب يحتاج إلى من يركبه. وكما قلت: إن منهج هؤلاء، الذي يدعو إلى الجمود على ظـــواهر الألفـــاظ دائمـــا، وعدم تجاوز حرفيتها، منهج يبطل نفسه بنفسه، لا سيما إذا طبقناه على بعض آيات الصـــفات التـــي لهـــا تركيبها وصياغتها الخاصة "(٢).

ويقول رضا الصدر:" لو كانت الصفة زائدة على الذات لكان الواجب فاقداً لكمال في ذاته، فلـــزم تركبه من الوجود والعدم ، وذلك مستحيل لأصل اجتماع النقيضين"(٣)

ولقد دأب الاثنا عشرية في تعريفهم لتوحيد بوصف ذاته سبحانه وتعالى بالبساطة وعدم تركبها ، فيقول محمد مهدي النراقي عن التوحيد في الفعل:" وهو أما توحيد في أصل الذات بمعنـــى عـــدم تركبـــه خارجي وعقلي في ذاته تعالى وعينية وجوده وصفاته لذاته، ويلزمه كونه تعالى صرف الوجود وبحتـــه ، أو توحيد في وجوب وجوده بمعنى نفي الشرك في وجوب الوجود عنه"(٤)

ويقول جعفر السبحاني:" نحن نعتقد أنَّ الله تعالى موصوف بكل الصفات الكماليـــة ، وانَّ العقـــل والوحي معًا يدّلان على وجود هذه الكمالات في الذات الإلهية المقدسة ، وعلى هذا الأساس فإنَّ الله عالم قادر حي سميع بصير و .. و ..وهذه الصفات تتفاوت فيما بينها من حيث المفهوم ، فما نفهمه من لفظة " عـــالم " غير ما نفهمه من لفظة " قادر. " ولكن النقطة الجديرة بالبحث هو أنَّ الصفات كما هي متغايرة مـــن حيـــث المفهوم هل هي في الواقع الخارجي متغايرة أم متحدة ؟ يجب القول في معرض الإجابة على هذا الســـؤال : حيث إنَّ تغايرها في الوجود وفي الواقع الخارجي يستلزم الكثرة والتركيب في الذات الإلهية المقدسة ، لـــذلك يجب القول حتمًا بأنَّ هذه الصفات مع كونها مختلفة ومتغايرة من حيث المعنى والمفهوم إلا أنَّها في مرحلـــة العينية الخارجية والواقع الخارجي مّتحدة، وبتعبير آخر: إن الذات الإلهية في عين بساطتها واجدة لجميـــع هذه الكمالات ، لا أنَّ بعض الذات الإلهية " علم " وبعضها الآخر " قدرة " والقسم الثالث هو " الحياة " بل هـــو

---

(١) دلائل الصدق : محمد حسن المظفر ، ٢٩٥/٢.

(٢) وركبت السفينة ، مروان خليفات ص١١١، الناشر: مركز الغدير للدراسات الإسلامية، سلسلة الرحلـــة إلـــى الثقلـــين، مركز الأبحاث العقائدية.

(٣) الفلسفة العليا : آية الله رضا الصدر، الطبعة الأولى، الناشر: دار الكتاب اللبناني، ١٤٠٦هـــ-١٩٨٦م، ص ٢٨٨.

(٤) جامع السعادات: محمد مهدي النراقي، ١٣٢/١.

سبحانه – كما يقول المحققون ــ علم كله ، وقدرة كله ، وحياة كله... وعلى هذا الأساس فإنَّ الصفات الذاتية لله تعالى مع كونها قديمة وأزلية فهي في نفس الوقت عين ذاته سبحانه لا غيرها "(١).

المناقشة:-

ظهرت شبه التركيب بعد أن طالع المعتزلة كتب الفلاسفة اليونانين وأدلتهم الكلامية، حيث كان الفلاسفة يرون أن الله تعالى واجب الوجود بذاته، لا يجوز أن يكون أجزاء فهو ذات واحدة لا كثرة فيها بوجه من الوجوه، وأن الصفات ليست وراء الذات معاني قائمة بذاتها بل هي نفسها ذاته(٢)، فهذا أفلوطين(٣) وهو الذي تأثر به المعتزلة أكثر من تأثرهم بغيره من فلاسفة اليونان، يتحدث عن تعالية الله تعالى، ويمنع أن نطلق عليه صفة من الصفات ؛ لأننا بذلك نشبهه تعالى بالأفراد، فلا نقول أن لله تعالى علماً لأنه هو العلم (٤)، ويرى الشهرستاني:" إن المعتزلة وافقوا الفلاسفة على هذا القول"(٥) لذلك سمى شيخ الإسلام ابن تيمية هذه الشبهة" فلسفية معتزلية"(٦).

وبعد تحول الشيعة إلى عقيدة المعتزلة، بدأنا نرى ظهور هذه الشبهة في كتب الشيعة المتأخرين، وكعادتهم جعلوا لها قسطاً من الروايات نسبت زوراً وبهتاناً إلى أئمة آل البيت.

وبالعموم فإن الأدلة على بطلان هذه الشبهة كثير، نجمل بعض منها في التالي:

أولاً: إن التركيب في اللغة له معنيان، أحدهما: بمعنى أنه ينفصل بعضه عن بعض، كما تنقسم الأجسام، كالخبز واللحم والثياب ونحو ذلك. وثانيهما: بمعنى أنه ينفصل منه بعض أو جزء، كما ينفصل عن الحيوان من عضلاته. وهذان المعنيان اتفق المسلمون على نفيه عن الله تعالى، فإن ذاته المقدسة لا تقبل الانقسام والتبعيض والانفصال.(٧)

ثانياً: إن مثبتي الصفات لا يسلمون لكم أن إثبات المعاني يعني أن هناك تركيبا من أجزاء بحال، وإنما ذات قائمة بنفسها مستلزمه للوازمها التي لا يصح وجودها إلا بها. أما إثبات ذات مجردة عن الصفات اللازمة لها فان العقل لا يتصور وجودها. وليست صفات الموصوف أجزاء له ولا أبعاضا يتميز

---

(١) العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت: جعفر السبحاني، ص٤٧-٤٨.

(٢) المعتزلة: زهدي جاد الله ، ص٦٢.

(٣) فليسوف ولد بأسيوط سنة ٢٠٥م، وهلك سنة ٢٧٠م، مؤسس الأفلاطونية الجديدة، ألم بفلسفة الهند وفارس . من مؤلفاته: التوسعات، اشتهر بنظرية الفيض التي تفسر الخلق بأن الواحد الله فاضت عنه المخلوقات، انظر: الموسوعة العربية الميسرة ، ص١٨٢.

(٤) المعتزلة: زهدي جاد الله ص٦٣، وانظر: المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها:عواد بن عبد الله المعتق، ص ٨٥.

(٥) نهاية الإقدام في علم الكلام: الشهرستاني، تصحيح وتحرير: الفرد جيوم ، ص ٩١، وانظر: الملل والنحل : الشهرستاني ، ٣٠/١.

(٦) بيان تلبيس الجهمية:ابن تيمية ٦٠٥/١.

(٧) انظر: بيان تلبيس الجهمية:ابن تيمية ٤٧٤/١-٤٧٥، مجموع الفتاوى ٣٤٦/٦.

بعضها عن بعض، أو تتميز الصفات عن الموصوف حتى يصح أن يقال: هي ذات مركبة أو غير مركبة، فإثبات التركيب أو نفيه فرع عن تصوره، وتصور التركيب هنا منتف.[١]

ثالثاً: ولو سلمنا جدلاً أن إثبات الصفات يسمى تركيبا، فليس مستلزما للإمكـان ولا للحـدوث، حتى يقال إنه مفتقر إلى ما تركب منه، فمن المعلوم بالضرورة أن الخـالق عـز وجـل لا يفتقـر إلـى المخلوق، فهو سبحانه الحي القيوم، الفرد الأحد الصمد، الغني عن العالمين، وهو القائم بنفسـه الموجـود بذاته، ومن كان هذا غناه فلا يتصور عاقل افتقاره إلى غيره، وهل يقال في شأنه:إنه مفتقر إلى نفسـه، أو هو محتاج إلى نفسه، لأن نفسه لا تقوم إلا بنفسه؟ وإذا كان هذا في نفسه، فإن القول في صفاته القائمـة بنفسه الداخلة في مسمى نفسه، هو القول في نفسه بلا فرق.[٢]

رابعاً: إن التركيب الذي تنفون معناه عن الله تعالى، ورتبتم على ذلك نفي الصفات يقال لكم في شأنه: لقد دلَّ الوحي والعقل والفطرة على إثباته، ولم يدل على نفيه، وتسميتكم لـه بالمركـب تسـمية باطلة، فليست موافقة للغة العرب، أو لغة أحد من الأمم، فلا يسمى مثل هذا في اللغة تركيبا، فالمركب في اللغة هو:الذي ركبه مركب، وهذا المعنى ممتنع في الموجود القائم بنفسه الغني عما سواه، الفاعل لكل مـا عداه، فكل ما سواه مخلوق له، وإذا قدر أنه متصف بصفات متعددة فلا يقال أن أحداً ركبـه، ولا ركبهـا فيه.[٣]

خامساً: إذا كان إثبات الصفات لله تعالى تركيبا، ثم نفيتم هذا التركيب في حق الله تعـالى فإنـه يقال لكم:إن هذا معناه إثبات ذات مجردة عن الصفات. وعلى هذا فالله –تعالى عن قولكم علوا كبيـرا– لا يبصر ولا يسمع، ولا يعلم ولا يتكلم، ولا يريد، ولا يقدر، وليس له حياة ولا مشيئة. وعلى مذهبكم يكـون المخلوق المتصف بهذه الصفات أعظم وأجل من الله تعالى، وهذا غاية الكفر والتعطيـل. والصـواب أن يقال: إن التركيب الاعتباري، يفرضه الذهن فحسب، وليس له وجود في الخارج، إذ ليس في الخارج ذات مجردة عن الصفات.[٤]

سادساً: يقال للشيعة: أنتم تقولون الله عالم وقادر وخالق وسميع وبصير، وغيرها من أسـماء الله التي تثبتون لله تعالى، وهذه يجزم العقل بداهة بأنها معان متعددة، فمفهوم كونه عالم يختلـف عـن مفهوم كونه قادر ويختلف عن مفهوم كونه سميعا بصيرا، فعلى هذا يلزمكم أن يكون مركبا من ذاته وهذه المعاني المتعددة، فإن قلتم:هذا ليس بتركيب، بل توحيد حقيقة، قلنا لكم:إن اتصاف ذات الله تعالى بالصفات القائمة بها لا يعد تركيبا، بل توحيد حقيقة[٥].

---

(١) انظر: مختصر الصواعق المرسلة:ابن قيم الجوزية، ١/١٩٦-١٩٧.

(٢) انظر: بيان تلبيس الجهمية:ابن تيمية ١/٦٠٧، مجموع الفتاوى: ابن تيمية، ٦/٣٤٨-٣٥٠.

(٣) انظر :الصفدية:ابن تيمية ١/١١٧.

(٤) انظر: مختصر الصواعق المرسلة:ابن قيم الجوزية، ١/١٧٩-١٨٠

(٥) انظر: بيان تلبيس الجهمية: ابن تيمية، ١/٦٠٥، مجموع الفتاوى: ابن تيمية، ٦/٣٤٥.

الخاتمة

الحمد لله الذي بحمده تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على النبي الأمين، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين، وعلى آله ، وأصحابه أجمعين، وبعد:

فقد يسر الله لي بفضله وتوفيقه إتمام هذا البحث ، والذي أسأله سبحانه وتعالى الهادي إلى سبيل الرشاد أن أكون قد وفقت فيه، بحسن عرض موقف الشيعة من الصفات الإلهية، وحسن الرد عليهم ، فما كان فيه من خير فمن الله وحده وبتوفيقه وفضله، وما كان فيه من زلل أو خطأ فمن نفسي ومن الشيطان

وأختم هذا البحث بأهم ما توصلت إليه من نتائج ، ثم أعقبها بالتوصيات:

أولاً: أهم النتائج.

١. تدين الشيعة الاثنا عشرية بالفضل الكبير لشيخهم المفيد فقد استطاع أن يجمع بين تيارات الشيعة المختلفة وأصل لعقائدهم، واستطاع تجديدها، وقسم أصول دين الشيعة إلى خمسة أصول، مجاراة للمعتزلة في أصولهم الخمسة.

٢. أثرت بدعة الإمامة في كل أصول دين الشيعة الاثنا عشرية حتى إنه يمكن القول بأن أصول الدين عند الاثنا عشرية هو أصل واحد وهو الإمامة والباقي فروع عنها.

٣. تطور مفهوم الشعية من الصفات الإلهية، وفقاً لما تأثرت به هذه الطائفة من أصحاب البدع والأهواء الذين انخرطوا في ركابهم لهدم الإسلام وتخريبه، فقد أتبث أوائل الشيعة الصفات لله تعالى وقالوا بأنها ما قام بالذات الإلهية وشابهت به صفات المخلوقين، واعتبروا أن العقل وأئمة آل البيت دلهم على ذلك، بينما ذهب متأخروهم إلى نفي قيام الصفات بالذات الإلهية وزعموا أن العقل وأئمة آل البيت دلهم على ذلك، فأثبتوا على أنفسهم التناقض والاضطراب، وعلى عقائدهم الفساد والبطلان.

٤. إنّ المذهب الصحيح في فهم صفات الله هو مذهب السلف، القائم على أن المراد من الصفات الإلهية بأنها ما قام بالذات الإلهية مما يميزها عن غيرها ، ووردت به نصوص الكتاب والسنة، وهذا المراد موافق لما جاءت به لغة العرب، إذ لا يعقل وجود ذات لا صفات لها، فالسلف يتوسطون بين ضلالتين ضلالة التشبيه وضلالة التعطيل، فلا يشبهون الله بأحد من خلقه ولا يعطلونه سبحانه وتعالى عن الصفات، لذا فإن كثير من علماء أهل السنة قد رددوا كثيراً في مدوناتهم أنّ المشبه يعبد صنماً ، والمعطل يعبد عدماً.

٥. تبعاً لتناقض المعتزلة واختلافهم في المراد من صفات الله الواردة في الكتاب والسنة ، تناقض متأخروا الاثنا عشرية واختلفوا كذلك ، فقد ذهب صدوق الشيعة ابن بابويه تبعاً لما أخـذه عـن النظام والجاحظ إلى أن المراد منها: نفي ما يقابلها من الصفات، بينما ذهب مفيد الشيعة ومن تبعه إلى أن المراد منها أنها وجوه واعتبارات عقلية تحدثها عقولنا لا حقيقة لها في واقع الأمر، جرياً على تعريف أبو على الجبائي وأبو هذيل العلاف لها، وهذا يثبت عدم علاقـة أئمـة آل البيـت بمعتقدات الاثنا عشرية التي تدعيها عليهم.

٦. إن تقسيم الشيعة الاثنا عشرية لصفات الله تعالى إلى صفات سلبية وصفات ثبوتيـة وتقسـيم الصفات الثبوتية إلى صفات ذات وصفات فعل، ما هو إلا تفصيل للقول في نفي الصـفات عـن الذات الإلهية، فقد اعتبروا أن ثبوت مثل هذه الصفات لله تعالى يقتضي التشبيه والتجسيم، وتـارة أخرى يقولون أنه يقتضي التركيب والتكثر في الذات الإلهية وهذا كله يقتضي نسب النقائص فـي حق الله تعالى ينزه منه، فاعتمدوا على وصف الله تعالى بصـفات السـلوب والإسـهاب بهـا، وتصوروا أنهم بذلك ينزهون الله تعالى، ومعلوم أن من سلك مثل هذا الطريق فقد خالف الطريقة التي بعث الله بها أنبياءه وأنزل بها كتبه المشتملة على الإثبات المفصل والنفي المجمل، بل إنهـم بهذه الطريقة أساؤوا الأدب مع الله تعالى وأثبتوا امتناع وجوده.

٧. إن الطريق الصحيح في فهم صفات الله هو عدم تجاوز كتاب الله وسنة رسـوله ﷺ إذ لا أحـد يوصف الله اعلم من الله، ولا يصفه في خلقه أحد أعلم من رسوله ﷺ. ولا يقال في صفاته: هي مجاز بل صفاته كلها حقيقة على ما يليق بالله سبحانه، كما أن صفات خلقه حقيقة، حقيقة تناسب حـالهم وضـعفهم وحدوثهم. فليست الحقيقة كالحقيقة كما هو الشأن في الذات.

٨. ثبت بالدليل القاطع من خلال إجماع أصحاب كتب الفرق وكتب الروايات المعتمدة عند الشيعة الاثنا عشرية بأنّ أوائل الاثنا عشرية كان لهم فضل السبق بإظهار نـوعي التشـبيه فـي الملـة الإسلامية ، فالنوع الأول من التشبيه والذي هو تشبيه المخلوق بالخالق قد أظهره عبد الله بن سبأ مؤسس الفكر الشيعي، أما النوع الثاني من التشبيه والذي هو تشبيه الخالق بالمخلوق فقـد فتـق الكلام فيه وهذبه هشام بن الحكم ورفاقه من شيوخ الشيعة الأوائل، وكل من ينكر مـن الشـيعة وقوع متقدميهم في التشبيه إنما يناقض نفسه وما ثبت تارخياً وما أثبتته رواياتهم من وقوعهم في التشبيه والتجسيم.

٩. بالرغم من تبني متأخري الشيعة مقالة التعطيل إلا أن التشبيه بنوعيه لا يزال موجود بينهم إلى يومنا هذا فقد جعل شيوخ الشيعة للأئمة من الخصائص والصفات مثل ما للخالق عز وجل وإن لم يعطوهم اسم الإلوهية، كذلك تسبب غلوهم بأئمة آل البيت إلى أن يصـفوا الله تعـالى بصـفات

المخلوقين، وهذا ثابت من خلال المئات من الروايات التي غالوا فيها بأئمة آل البيت، وواقع حالهم ، فكانوا ممن اختص بالجمع بين النقيضين غلو في التشبه وغلو في التعطيل.

١٠. مر تحول الشيعة من التشبيه إلى التعطيل بمرحلتين، مرحلة بداية متمثلة في اعتناق أفراد من الشيعة لذلك الفكر، ومرحلة استقرار أصبح فيه مذهب الطائفة بأكملها التعطيل.ولكل مرحلة أسبابها الخاصة التي دفعت إلى ذلك التحول .

١١. يبدوا أن اتهام الشيعة بسرقة عقائد المعتزلة قد حدث مبكراً، فقد أرقت تلك التهمة شيخ الشيعة المفيد، فأخذ بالدفاع عن نفسه وطائفته بالإنكار وبتأليف الروايات التي تفيد بأن نفي الصفات إنما أخذوه عن أئمة آل البيت، مع أنه قد تتلمذ على أيدي شيوخ المعتزلة البارزين، أمثال أبي عبد الله الملقب بالجعل وأبي الحسن الرماني .

١٢. تبين من خلال البحث مدى دقة الشيعة في النقل الحرفي لمعتقدات المعتزلة في التوحيد والعدل، بحيث أنك لا تجد فرق يذكر بين الطائفتين، فمثلاً الأدلة العقلية التي ساقها المعتزلة في نفي صفات الله تعالى هي نفسها الأدلة التي ساقها الشيعة ، غير أنهم زادوهم بدعة بأنّ صاغوا تلك الأدلة على هيئة روايات نسبوها زوراً وبهتاناً لأئمة آل البيت لكي لا يوصفوا بالتبعية للمعتزلة بأي حال من الأحوال، والسبب في ذلك أن مذهبهم قائم على التلقي عن الإمام المعصوم الذي لا تجوز مخالفته أو تقديم غيره عليه.

١٣. نتيجة معارضة القرآن الكريم لعقائد الشيعة ، فإنهم قد اضطروا إلى الزعم بتحريف القرآن الكريم، وذهبوا إلى اللعب في آيات الذكر الحكيم بإدخال العبارات بها، والزعم بأن الأئمة قاموا بتصحيحها ، كما استعانوا بالتأويل المعتزلي الباطل الذي هو صرف اللفظ من ظاهره إلى المجاز وكذلك التأويل الباطني في صرف الآيات عما أنزلت عليه كل ذلك لكي يتوافق القرآن مع أهوائهم التي جاءوا بها.

١٤. ردت الشيعة الاثنا عشرية كل السنة النبوية بزعم أن رواتها من الصحابة رضوان الله عليهم قد ارتدوا بعد رسول الله ، واستعاضوا عنها بما نسبوه لائمة آل البيت من روايات جعلوها مصدراً من المصادر التي يتلقى منها الاعتقاد، لذلك نادراً ما تجد حديث منسوب لرسول الله ﷺ وإن وجد فهو حديث مكذوب عليه.

١٥. بالرغم من زعم الشيعة أن مذهبهم متلقى من مذهب آل البيت واعتقادهم بأن الإمام جاء لعصمة الدين من وقوع الخلل فيه إلا أنهم إلى الآن لم يستطيعوا أن يخرجوا لنا كتاب يحوي صحيح المنقول عن آل البيت، وهذا من عظيم تناقض هذه الطائفة ويثبت أن ما يعتقدونه وما يرونه من الروايات المنسوبة إلى أئمة آل البيت لا يساوي الحبر الذي كتب عليه إذ كيف يستدل بشيء غير معلوم صحته؟!.

١٦. نتج عن اختلاف الشيعة في العصر الحديث وافتراقهم إلى أصولية وإخبارية، إلى كشف كيف نشأ الدليل عقلي عندهم وممن تلقوه ، فقد رأى الإخباريين أن الدليل العقلي يتعارض مع أصل عقيدة الاثنا عشرية، ورأوا أن ابن الجنيد ، وابن أبي عقيل قد أخذوا عن المعتزلة الدليل العقلي ثم أظهر شيخهم المفيد حسن الظن بهم وأخذ عنهم ذلك الدليل وتبعه على ذلك علماء الشيعة.

١٧. ذهبت الشيعة المتأخرين إلى المغالة في العقل وجعله الحجة التي ليس ورائها حجة ومنعوا عدم جواز الخطأ في العقل، وقدموا أهوائهم وأرائهم الكلامية التي سموها عقلاً على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وهذا سر انحراف هذه الطائفة عن منهاج ربها وضلالها الضلال المبين.

١٨. فاز أهل السنة والجماعة نتيجة اعتصامهم بالوحي الصحيح الموافق للعقل الصريح بالاستقامة في الدين وصحة الاعتقاد علماً وعملاً ، كما سلمت عقيدتهم من الاضطراب والتناقض الذي وقع فيه الشيعة الاثنا عشرية نتيجة تقديمهم أهوائهم وأرائهم التي جعلوها ديناً وعارضوا بها كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ففسدت عقائدهم علماً وعملاً حيث أدرجوا في مسمى التوحيد نفي صفات الله تعالى، كما أهملوا توحيد الإلوهية فأوقعهم فساد اعتقادهم علماً بجميع ألوان الشرك عملاً.

ثانياً: التوصيات.

١. دراسة أصل العدل عند الشيعة الاثنا عشرية، لما فيه خدمة للإسلام والمسلمين، وذلك من خلال بيان أن العقائد التي تفتخر الشيعة بتلقيها من أئمة آل البيت ما هي إلا نسخة مسروقة من أراء المعتزلة ، مع بيان فساد ذلك الأصل من خلال عرضه على الكتاب والسنة.

٢. عمل دراسة خاصة بأئمة آل البيت توضح عقيدتهم في التوحيد والعدل ، وتبين من خلالها ومخالفة الشيعة لأئمتهم في التوحيد والعدل من خلال ما جاء من روايات صحيحة من طرف أهل السنة والجماعة، وما أثبتته روايات الشيعة نفسها في ذلك.

٣. التركيز على دراسة كتب الروايات المعتمدة عند الشيعة الاثنا عشرية وبيان حال رجال ورواتها وما تضمنته في طياتها من ألوان الكفر والإلحاد.

الفهـارس العامـة

أولاً : **فهرس الآيات القرآنية**.

ثانياً : **فهرس الأحاديث النبوية**.

ثالثاً : **فهرس الأعلام المترجم لهم**.

رابعاً : **فهرس الفرق والمذاهب**.

خامساً : **فهرس المصادر والمراجع**.

سادساً : **فهرس الموضوعات**.

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

م	الآيـة	رقمها	الصفحة
	سورة البقرة		
١.	﴿اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾	١٥	١٤٩
٢.	﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾	٢٥	١٦٤
٣.	﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾	٤٢	٣١٥
٤.	﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾	٤٤	٣٦٩
٥.	﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آَمَنُوا قَالُوا آَمَنَّا...﴾	٧٦	٣٠٩
٦.	﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ...﴾	٧٩	٢٩٠
٧.	﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آَيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا...﴾	١٠٦	٢٢٨
٨.	﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ...﴾	١٠٧	٧٢
٩.	﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى...﴾	١١١	٩٣
١٠.	﴿وَللهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ ...﴾	١١٥	١٤٣-٢٧٥
١١.	﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾	١١٧	١٥٥
١٢.	﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ...﴾	١٢٧	١١٨
١٣.	﴿قُولُوا آَمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ...﴾	١٣٦	٢٩٣
١٤.	﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ...﴾	١٤٣	٣١٩
١٥.	﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾	١٦٣	٦٣-٦٥
١٦.	﴿أَنَّ الْقُوَّةَ للهِ جَمِيعًا﴾	١٦٥	١٥٧-٤٠٣
١٧.	﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللهُ﴾	١٩٧	١١٨
١٨.	﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ...﴾	٢١٠	٢٢٣ - ٣٦٦
١٩.	﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ...﴾	٢١٣	٣٦١
٢٠.	﴿وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾	٢١٦	١١٨
٢١.	﴿وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾	٢١٨	٤١٥

م	الآيـة	رقمها	الصفحة
٤٤.	﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾	١٧٣	٢٥٢
٤٥.	﴿لَقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾	١٨١	١١٨- ١٥٢
٤٦.	﴿وَللهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾	١٨٩	٧٢
سورة النساء			
٤٧.	﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ ...﴾	١٣	٢٨٢ - ٢٩٠
٤٨.	﴿إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾	٥٨	٤١٥
٤٩.	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ... ﴾	٥٩	٢٨٢-٢٩١-٣٦١
٥٠.	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللهِ ...﴾	٦٤	٢٩٠- ٢٩١
٥١.	﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ...﴾	٦٥	٢٨٢-٢٩٠
٥٢.	﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ... ﴾	٦٩	٢٩١
٥٣.	﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ و...﴾	٨٠	٢٨٢-٣٥٠
٥٤.	﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾	٨٢	٤٢-٢٥٥- ٣٦٩
٥٥.	﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾	٨٩	٢٢٩
٥٦.	﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ بِالحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ ...﴾	١٠٥	٣٦١
٥٧.	﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى ...﴾	١١٥	٢٩١
٥٨.	﴿يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾	١٤٢	١٤٩
٥٩.	﴿وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾	١٦٤	١٥١
٦٠.	﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ ...﴾	١٦٥	٣٦٩
٦١.	﴿لَكِنِ اللهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ...﴾	١٦٦	١١٨- ١١٩
سورة المائدة			
٦٢.	﴿اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ...﴾	٣	٨٨ - ٨٩
٦٣.	﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾	١٥	٣٧٨

م	الآيـة	رقمها	الصفحة
٦٤.	﴿ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ... ﴾	١٧	٩٦
٦٥.	﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ... ﴾	١٨	٩٥
٦٦.	﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا.. ﴾	٦٤	١٤٣-٢٤٥-٢٥٠
٦٧.	﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ... ﴾	٧٣-٧٥	٤٠٠-٤٠٢-٤٠٦
٦٨.	﴿ وَاللهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾	٧٦	١١٨
٦٩.	﴿ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ ﴾	٩٩	٣٧٤
٧٠.	﴿ وَإِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ... ﴾	١١٦	٤٠٦
٧١.	﴿ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾	١١٩	٣٦٧-٤٠٩
	سورة الأنعام		
٧٢.	﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾	١٨	١٣٦
٧٣.	﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ... ﴾	٤٤	٩٠
٧٤.	﴿ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ... ﴾	٥٠	٧٥
٧٥.	﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ... ﴾	٥٩	٧٥
٧٦.	﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ ﴾	٦٥	٢٦٨-٢٧٢
٧٧.	﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ... ﴾	٨٢	٣٧٤
٧٨.	﴿ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ ﴾	٩١	١٤٤
٧٩.	﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾	١٠٣	٢٣٩
٨٠.	﴿ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ ... ﴾	١٢٤	٢٩١-٣٥٠
٨١.	﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ... ﴾	١٥٣	٣٦٣
٨٢.	﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾	١٥٨	١٥٦
٨٣.	﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾	١٥٩	٤
	سورة الأعراف		
٨٤.	﴿ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴾	٦	٢٩٠-٢٩٣

م	الآيـة	رقمها	الصفحة
٨٥.	﴿ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ﴾	٢٢	١٥١
٨٦.	﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا...﴾	٢٨	٧٦
٨٧.	﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ...﴾	٢٩	٦٩
٨٨.	﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ ...﴾	٥٤	٢٥٧
٨٩.	﴿ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ﴾	١٠١	١٢
٩٠.	﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾	١٥٦	٤٠٣
٩١.	﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ...﴾	١٥٨	٢٩١
٩٢.	﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ...﴾	١٧٢-١٧٣	١٤ - ٢٥٠
٩٣.	﴿ وَللهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا...﴾	١٨٠	٧٢-١٥٧-٢٤٣
٩٤.	﴿ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾	١٨٣	١٢٢
٩٥.	﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ...﴾	١٨٨	٧٥
	سورة الأنفال		
٩٦.	﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ...﴾	٢ - ٤	٨٧-٣٧١
٩٧.	﴿ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾	٦٢	٨٩
	سورة التوبة		
٩٨.	﴿ فَإِذَا انْسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ...﴾	٥	٨٧
٩٩.	﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ...﴾	١١	٨٧
١٠٠.	﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللهِ...﴾	١٧	٦٩
١٠١.	﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ...﴾	١٨	٦٩
١٠٢.	﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ...﴾	٣١	٧٢-٢٧٩
١٠٣.	﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ...﴾	١٠٠	٣١٨
١٠٤.	﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ﴾	١٠٥	١٥١-١٥٦-٢٢٢

م	الآيـة	رقمها	الصفحة
١٠٥.	﴿ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ... ﴾	١١٥	٣٦٨
١٠٦.	﴿ وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ... ﴾	١٢٤- ١٢٥	٣٧٠
١٠٧.	﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾	١٢٨	٢٠٤-٢١٣-٢١٧
	سورة يونس		
١٠٨.	﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾	٣	٢٥٦
١٠٩.	﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ... ﴾	٢٦	٢٧١-٢٧٢
١١٠.	﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ... ﴾	٣٩	١١٧
١١١.	﴿ إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا ... ﴾	٤٤	٩٦
١١٢.	﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ ﴾	٩٩	٢٣٨-٣٦٥
	سورة هود		
١١٣.	﴿ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾	١	٣٧٩
١١٤.	﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ... ﴾	٧	٢٦٤
١١٥.	﴿ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللهِ ﴾	١٤	١٥٦- ٤٠٢
١١٦.	﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾	٢٤	٣٦٨
١١٧.	﴿ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ.... ﴾	٣١	٧٥
١١٨.	﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾	٣٧	١٤٣
	سورة يوسف		
١١٩.	﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾	١٠٦	٦٣-٦٥
١٢٠.	﴿ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ و... ﴾	١١١	٣٧٣
	سورة الرعد		
١٢١.	﴿ اللهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى ... ﴾	٢	٩٣-٢٥٦
١٢٢.	﴿ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى ﴾	١٩	٣٦١

م	الآيـة	رقمها	الصفحة
	سورة الحجر		
١٢٣.	﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾	٩	٨٨-٢٠٦-٢٢٠- ٢٨٠
	سورة النحل		
١٢٤.	﴿ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾	٣٥	٢٩٠-٣٧٣
١٢٥.	﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللهَ ... ﴾	٣٦	١٤ - ٦١
١٢٦.	﴿ وَقَالَ اللهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ... ﴾	٥١	٦٣ - ٦٥
١٢٧.	﴿ ونَزَّلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ ... ﴾	٨٩	٣٧٨
١٢٨.	﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الكَذِبَ ﴾	١١٦	١٠٦
	سورة الإسراء		
١٢٩.	﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾	١٥	٣٤٥
١٣٠.	﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ... ﴾	٣٦	٣٤٦
١٣١.	﴿ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي القُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ... ﴾	٤٦	٦٤
١٣٢.	﴿ سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴾	٧٧	٢٧٨
١٣٣.	﴿ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴾	٧٩	٢٦٥
١٣٤.	﴿ قُلِ ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ ... ﴾	١١٠	٢٤٢-٤٠٥
	سورة الكهف		
١٣٥.	﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالغَدَاةِ وَالعَشِيِّ... ﴾	٢٨	٢٦٦-٢٧٠
	سورة مريم		
١٣٦.	﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾	٦٥	١٣١
١٣٧.	﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا﴾	٦٩	٤
١٣٨.	﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴾	٧١	٣٦٩

م	الآيـة	رقمها	الصفحة
	سورة طه		
١٣٩.	﴿الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى﴾	٥	١٣٥-١٤٣- ٢٣٢-٢٣٨-٢٥٦
١٤٠.	﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾	٣٩	١٥١
١٤١.	﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾	٤٦	١٥١
١٤٢.	﴿وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾	٨١	١٤٨
١٤٣.	﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾	١١٠	٣٧٧
١٤٤.	﴿وَعَنَتِ الوُجُوهُ لِلْحَيِّ القَيُّومِ﴾	١١١	١١٨
	سورة الأنبياء		
١٤٥.	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ...﴾	٢٥	١٤
١٤٦.	﴿قُلْ إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ ...﴾	٤٥	٢٧٩
١٤٧.	﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾	١٠٧	٨٩
١٤٨.	﴿وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾	١١٢	١٠٦
	سورة الحج		
١٤٩.	﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى ...﴾	٨ - ٩	٩٢
١٥٠.	﴿إِنَّ اللهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا...﴾	٣٨	٣٢٩
١٥١.	﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾	٧٨	١٧
	سورة المؤمنون		
١٥٢.	﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الفُلْكِ﴾	٢٨	٢٥٨
١٥٣.	﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا القَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الأَوَّلِينَ﴾	٦٨	٣٦٧
١٥٤.	﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ﴾	٨٦	٦٣-٢٦٣
١٥٥.	﴿قُلْ لِمَنِ الأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ...﴾	٨٤ - ٨٥	٦٢-٦٤
١٥٦.	﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾	٨٨	٦٣-٢٤٨

م	الآيـة	رقمها	الصفحة
١٥٧.	﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ...﴾	١١٧	٦٢-٩٢
	سورة النور		
١٥٨.	﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللهَ وَيَتَّقْهِ ...﴾	٥٢	٢٨٩
١٥٩.	﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ...﴾	٦٣	٢٨٨
	سورة الفرقان		
١٦٠.	﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ ..﴾	٢٧ - ٢٩	٢٨٨
١٦١.	﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ....﴾	٥٩	١٥٧
	سورة الشعراء		
١٦٢.	﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾	١٠	١٤٩
١٦٣.	﴿إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾	١٥	١٥٠
١٦٤.	﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾	٢١٤	١٥ - ١٨
١٦٥.	﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ﴾	٢١٨	١٥٠
	سورة القصص		
١٦٦.	﴿تِلْكَ آيَاتُ الكِتَابِ الْمُبِينِ﴾	٢	٣٧٧
١٦٧.	﴿هَذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ﴾	١٥	٤
١٦٨.	﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾	٦٢	١٤٩
١٦٩.	﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾	٦٥	١٤٩- ١٥٥
١٧٠.	﴿وَهُوَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الحَمْدُ فِي الأُولَى وَالآخِرَةِ ..﴾	٧٠	٩٢
١٧١.	﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾	٨٨	١٤١-٢٢٢-٢٦٦
	سورة الروم		
١٧٢.	﴿يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَيُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ﴾	١٩	٤١٣
١٧٣.	﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ...﴾	٣١-٣٢	١٧
١٧٤.	﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللهِ﴾	٣٨	٢٦٥

م	الآيـة	رقمها	الصفحة
١٧٥.	﴿ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللهِ﴾	٣٩	٢٦٩
١٧٦.	﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾	٤٠	١٤٣
١٧٧.	﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾	٤٧	٨٨
١٧٨.	﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ...﴾	٥٤	٤١٣
سورة لقمان			
١٧٩.	﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾	١٣	٣٦٨
سورة السجدة			
١٨٠.	﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا ... ﴾	٤	٢٥٥
١٨١.	﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا ...﴾	١٣	٨٨
سورة الأحزاب			
١٨٢.	﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللهِ وَالحِكْمَةِ ...﴾	٣٤	٢٨١
١٨٣.	﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا ...﴾	٣٦	٣٥٨
١٨٤.	﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ...﴾	٤٠	٨٨
١٨٥.	﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللهَ ...﴾	٦٦- ٦٨	٢٨٨
١٨٦.	﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾	٧١	٢٨٠
سورة سبأ			
١٨٧.	﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ ...﴾	٣	١٣١
١٨٨.	﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ...﴾	٦	٣٦٠
١٨٩.	﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي...﴾	٥٠	٣٤٦
١٩٠.	﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم...﴾	٥٤	٤
سورة فاطر			
١٩١.	﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾	١١	١٥٠

م	الآيـة	رقمها	الصفحة
١٩٢.	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾	١٥	١٥٨ - ٣٧٧
١٩٣.	﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ...﴾	٣٢	٨٧ - ٨٨
	سورة يس		
١٩٤.	﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا ...﴾	٧١	٢٤٣-٢٤٨
١٩٥.	﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾	٨٢	١٥٤
	سورة الصافات		
١٩٦.	﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَسْتَكْبِرُونَ...﴾	٣٥ - ٣٦	٦٣
١٩٧.	﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾	٨٣	٤
١٩٨.	﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾	١٠١	٤١٣
	سورة ص		
١٩٩.	﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾	٥	٦٣
٢٠٠.	﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ﴾	١٧	١٤١- ٢٤٤
٢٠١.	﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ...﴾	٢٨	٩٤
٢٠٢.	﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ...﴾	٧٥	١١٦-١٤٢- ١٥٢-٢٤٤
٢٠٣.	﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾	٧٦	٣٧٨
	سورة الزمر		
٢٠٤.	﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللهُ وَحْدَهُ...﴾	٤٥	٦٣
٢٠٥.	﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ ...﴾	٥٦	١٤١
٢٠٦.	﴿اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾	٦٢	٣٧٧
٢٠٧.	﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ ...﴾	٦٧	١٤٢-١٤٩- ٢٤٥-٢٤٨
	سورة غافر		

م	الآية	رقمها	الصفحة
٢٠٨.	﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا... ﴾	٧	١١٨
٢٠٩.	﴿ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ العِلْمِ ﴾	٨٣	٤١٣
	سورة فصلت		
٢١٠.	﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ ﴾	١١	١٥٥
٢١١.	﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ﴾	١٥	١٥٠
٢١٢.	﴿ لَا يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ... ﴾	٤٢	٢٠٥-٢١٩
٢١٣.	﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ ﴾	٤٧	١٤٩
	سورة الشورى		
٢١٤.	﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾	١١	١٣١-١٥٢- ٣٣٧-٤١١
٢١٥.	﴿ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾	١٢	١٤٩
٢١٦.	﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللهُ... ﴾	٢١	٧١-٣٧١
٢١٧.	﴿ إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾	٥٠	٤١٣
٢١٨.	﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا... ﴾	٥٢	٣٤٦
	سورة الزخرف		
٢١٩.	﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ ﴾	٢٨	٧٩
٢٢٠.	﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا ... ﴾	٤٥	٦٢
٢٢١.	﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾	٥٥	٣٦٥-٤٠٧
٢٢٢.	﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾	٥٧	٢١٨
	سورة الجاثية		
٢٢٣.	﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ... ﴾	٢١	٩٥
٢٢٤.	﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ ... ﴾	٢٣	٣١٥-٣٦١

م	الآيـة	رقمها	الصفحة
	سورة محمد		
٢٢٥.	﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾	٢٤	٣٦٧
	سورة الفتح		
٢٢٦.	﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾	١	٨٨
٢٢٧.	﴿وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾	٢	٨٨
٢٢٨.	﴿وَيَنْصُرَكَ اللهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾	٣	٨٨
٢٢٩.	﴿وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ ...﴾	٦	٣٦٥-٤٠٧
٢٣٠.	﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾	١٠	١٤٢-١٤٩- ٢٣٧-٢٤٣
٢٣١.	﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ...﴾	١٨	٣١٧
٢٣٢.	﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ...﴾	٢٩	٣١٥
	سورة الحجرات		
٢٣٣.	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ...﴾	١ – ٢	٣٤٨
٢٣٤.	﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾	١٤	٣٥٦
٢٣٥.	﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا...﴾	١٥	٨٦
	سورة ق		
٢٣٦.	﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ...﴾	٣٨	١٣١
	سورة الذاريات		
٢٣٧.	﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾	٢٨	٤١٣
٢٣٨.	﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾	٤٧	١٤١-١٤٩-٢٤٤
٢٣٩.	﴿إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾	٥٨	١١٨-١٥٤- ٤٠١-٤١٣
	سورة النجم		

م	الآيـة	رقمها	الصفحة
٢٧٠.	﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾	١٧	٢٠١
٢٧١.	﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ،إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾	٢٢-٢٣	١٣٤
سورة الإنسان			
٢٧٢.	﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾	٢	٤١٣
٢٧٣.	﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ ﴾	٩	٢٦٨
سورة الفجر			
٢٧٤.	﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾	٢٢	١٤٧-٢٣٧-٣٦٤
سورة الليل			
٢٧٥.	﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾	٢	٨٢
٢٧٦.	﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾	٢٠	٢٦٦
سورة الضحى			
٢٧٧.	﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى(٦) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾	٦ – ٧	٣٤٦
سورة العصر			
٢٧٨.	﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾	٢	٢٥٠
سورة الكوثر			
٢٧٩.	﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾	٣	٢١٨
سورة الإخلاص			
٢٨٠.	﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾	١	٢٢٩
٢٨١.	﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾	٣	١٣٠
٢٨٢.	﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾	٤	١٣٠
٢٨٣.	﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ* اللهُ الصَّمَدُ ....﴾	١ – ٤	١٥٢

ثانياً : فهرس الأحاديث النبوية

ثالثاً: فهرس الأعلام المترجم لهم

رابعاً: فهرس الفرق والمذاهب.

خامساً: فهرس المصادر والمراجع.

- القرآن الكريم.

أولا: مصادر ومراجع أهل السنة:

١. الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة: أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري الحنبلي، تحقيق: عثمان عبد الله أدم الأثيوبي، الناشر: دار الراية ، الرياض، ١٤١٨هـ.

٢. الإبانة في أصول الديانة: أبو الحسن الأشعري، الطبعة الأولى ، الناشر: دار ابن زيدون للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان.

٣. إبطال التأويلات لأخبار الصفات: القاضي أبي يعلى محمد بن الحسين بن محمد الفراء، تحقيق: محمد بن حمد الحمود النجدي، الناشر: دار إيلاف الدولية للنشر والتوزيع.

٤. ابن سبأ حقيقة لا خيال: د. سعد الهاشمي ، الناشر: مكتبة الدار، المدينة المنورة ، ١٤٠٦هـ.

٥. أبو هريرة صاحب رسول الله ﷺ وخادمه دراسة حديثية تاريخية هادفة: د. حارث سليمان الضاري ، تقديم ا.د. عمر سليمان الأشقر، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٦. الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين السيوطي الشافعي، الناشر: مطبعة حجازي، القاهرة-مصر.

٧. الإحكام في أصول الأحكام: على بن محمد الآمدي، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، الطبعة الأولى ، الناشر: دار الصميعي للنشر والتوزيع ، الرياض – السعودية، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٨. الإحكام في أصول الدين :أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم، تحقيق الشيخ أحمد شاكر، الطبعة الأولى، الناشر: دار الحديث ، القاهرة، ١٤٠٤هـ.

٩. الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، الطبعة: الأولى، الناشر: دار الراية – الرياض، سنة النشر:١٤١٢هـ.

١٠. الأربعون العلمية صور الإعجاز العلمي في السنة النبوية المطهرة : عبد الحميد محمود طهماز، الناشر: دار القلم.

١١. الأربعين في أصول الدين: فخر الدين الرازي محمد بن عمر بن الحسين، تحقيق: د. أحمد حجازي السقا، الناشر: مكتبة كليات الأزهر، القاهرة – الأزهر.

١٢. إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول :محمد بن على الشوكاني ، تحقيق : سامي بن العربي الأشري، الطبعة الأولى ، الناشر: دار الفضيل، الرياض ،١٤٢١هـ -٢٠٠٠م.

١٣. الاستيعاب في معرفة الأصحاب: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي النمري، تحقيق: عادل مرشد، الطبعة الأولى ، الناشر: دار الأعلام ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

١٤. إسلام بلا مذاهب: د. مصطفى الشكعة ، طبعة مزيدة ومنقحة الطبعة: الحادية عشر، الناشر : الدار المصرية اللبنانية ، ١٤١٦هـ -١٩٩٦م.

١٥. أسماء الله وصفاته في معتقد أهل السنة والجماعة: الدكتور عمر سليمان الأشقر، دار النفائس ، الطبعة الثانية، عمان ، الأردن ، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

١٦. الأسماء والصفات: أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: عبد الله بن محمد الحاشدي، الطبعة الأولى ، الناشر: مكتبة السوادي، جدة.

١٧. إشارات المرام من عبارات الإمام أبي حنيفة النعمان في أصول الدين:كمال الدين أحمد بن حسن البياضي، تخريج: أحمد فريد المريدي، الطبعة الأولى، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ٢٠٠٧م.

١٨. الإصابة في تمييز الصحابة: أحمد بن على بن حجر أبو فض العسقلاني، الطبعة الأولى ، الناشر: دار الجيل ، بيروت ، ١٤١٢هـ.

١٩. أصول الدين: أبو منصور عبد القاهر البغدادي، الطبعة الأولى ، الناشر: مدرسة الآلهيات بدار الفنون التركية، استانبول – تركيا ، ١٣٤٦هـ - ١٩٢٨م.

٢٠. أصول مذهب الشيعة الأمامية ألاثني عشرية عرض ونقد: د. ناصر بن عبد الله بن علي القفاري، الطبعة: الثالثة، الناشر: دار الرضا، الجيزة ، ١٤١٨هـ.

٢١. الاعتصام: أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: مكتبة التوحيد.

٢٢. اعتقاد أهل السنة في الصحابة رضي الله عنهم: د.محمد بن عبد الله الوهيبى، الناشر: وكالة المطبوعات والبحث العلمي، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٦هـ.

٢٣. الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تقديم وتخريج: أحمد عصام الكاتب، الطبعة الأولى ، الناشر: دار الأفاق الجديدة ، بيروت، ١٤٠١هـ -١٩٨١م.

٢٤. اعتقادات فِرق المسلمين والمشركين: محمد بن عمر الحسين الرازي، تحقيق: علي سامي النشار، الناشر : دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٢هـ.

٢٥. إعجاز القرآن: للباقلاني، تحقيق أحمد صقر، الطبعة الثانية، الناشر: دار المعارف، مصر،١٩٧١م.

٢٦. إعلام الموقعين عن رب العالمين: أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن القيم ، تحقيق: طـه عبد الرؤوف سعد، الناشر: دار الجليل ، بيروت ، ١٩٧٣م.

٢٧. الأعلام قاموس التراجم: بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلـي، الطبعـة: الخامسـة عشرة، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان ، ٢٠٠٢م .

٢٨. إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان: شمس الدين مابن القيم الجوزية، تحقيق :محمد حامـد الفقـي، الطبعة الثانية، الناشر: دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٩٥هـ– ١٩٧٥م.

٢٩. الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، يحيى بن أبي الخير العمراني، تحقيق: سعود بن عبد العزيز الخلف، الناشر: أضواء السلف ، الرياض ، ١٩٩٩م.

٣٠. الانتصار والرد على ابن الروندي الملحد ما قصد به من الكذب على المسلمين والطعن عليهم: أبو الحسين عبد الرحيم الخياط، تحقيق: نيبرج، الطبعة الثانية، الناشر: أوراق ثقافية، بيروت، ١٤١٣هـ.

٣١. انظر ميزان الاعتدال: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: علي معوض وعادل الموجـود، الناشر: دار الكتب العلمية، ١٩٩٥م.

٣٢. انظر: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: سامي النشار، الطبعة: الثامنة، الناشر: دار المعارف.

٣٣. الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث: للحافظ ابن كثير، شرح أحمد محمد شـاكر، تعليـق: المحدث ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى ، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيـع ، ١٤١٧هـ–١٩٩٦م، الرياض.

٣٤. البرهان في علوم القرآن: بدر الدين محمد عبد الله الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبـراهيم، ، الطبعة الثانية، الناشر: مطبعة عيسى الحلبي ، مصر ١٣٩١هـ–١٩٧٢م.

٣٥. بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، الناشـر: مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

٣٦. بيان الدليل على بطلان التحليل: ابن تيمية، (المكتبة الشاملة).

٣٧. بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية: شيخ الإسلام أحمد بن تيميـة، تصـحيح وتكميـل وتعليق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، الطبعة الأولى، الناشر: مطبعـة الحكومـة، مكـة المكرمـة، ١٣٩٢هـ.

٣٨. البيهقي وموقفه من الإلهيات:أحمد بن عطية بن على الغامدي، الطبعة الثانيـة ، الناشـر: عمـادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ –٢٠٠٢م.

٣٩. تأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة أسبابه ومظاهره: عبد اللطيف بن عبد القادر الحفظي، الطبعة الأولى،الناشر: دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٤٠. تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضي الزبيدي، الناشر: مكتبة الحياة للطباعة والنشر.

٤١. تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك: لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الثانية ، الناشر: دار المعارف بمصر، القاهرة.

٤٢. تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد و تاريخ المذاهب الفقهية: محمد أبو زهرة، الناشر: دار الفكر العربي.

٤٣. تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قاطانها العلماء: أبو بكر أحمد بن على الخطيب البغدادي، تحقيق: د.بشار عواد معروف، الطبعة الأولى ، دار الغرب الإسلامي ، ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م.

٤٤. تاريخ مدينة دمشق: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ، ابن عساكر، تحقيق: محب الدين أبو سعيد بن غرامة العمري، الناشر: دار الفكر ، بيروت، ١٩٩٥.

٤٥. التأويل خطورته وآثاره:الدكتور عمر بن سليمان الأشقر، الطبعة الأولى ، ١٤٢١هـ

٤٦. تأويل مختلف الحديث: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق: محمد محيي الدين الأصفر، ، الطبعة الثانية الناشر: المكتب الإسلامي ، بيروت، ١٤١٩هـ -١٩٩٩م.

٤٧. التبصير في الدين وتميز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكة: طاهر بن محمد الاسفراييني، تحقيق كمال يوسف الحوت ، الطبعة الأولى ، الناشر:عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٨٣م.

٤٨. تثبيت دلائل النبوة: للقاضي عبد الجبار بن أحمد الهمداني، تحقيق عبد الكريم عثمان، الناشر: دار العربية للطباعة والنشر ، بيروت- لبنان.

٤٩. التحبير في علم التفسير ، جلال الدين السيوطي، تحقيق عبد القادر فريد ، الناشر: دار العلوم للطباعة والنشر الطبعة الأولى، الرياض- السعودية، ١٤٢٥هـ- ١٩٨٢م .

٥٠. التحف في مذاهب السلف: محمد بن على الشوكاني ، تحقيق طارق السعود، الطبعة الثانية، الناشر: دار الهجرة بيروت ، ١٤٠٨هـ -١٩٨٨م.

٥١. تدريب الراوي في شرح تقريب النووي: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف ، الناشر: مكتبة الرياض الحديثة.

٥٢. تذكرة الحفاظ : محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: زكريا عميرات، الطبعة الأولى ، الناشر: دار الكتب العلمية ، بيروت- لبنان، ١٤١٩هـ -١٩٩٨م.

٥٣. التعريفات: علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري،الطبعة الأولى، الناشر: دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٥هـ.

٥٤. تفسير الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الطبعة الأولى ، الناشر: مؤسسة الرسالة ، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م.

٥٥. تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: سامي محمد سلامة، الطبعة الثانية ، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع ، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.

٥٦. تقريب التهذيب: أحمد بن على بن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، الناشر: دار المعرفة، بيروت.

٥٧. تلبيس إبليس:جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن على الجوزي، الطبعة الأولى ، الناشر : دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت – لبنان ، ١٤٢١هـ -٢٠٠١م.

٥٨. تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل: محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية – لبنان، ١٤٠٧هـ.

٥٩. التمهيد في الرد على الملحدة المعطلة و الرافضة والخوارج والمعتزلة : أبو بكر محمد بن الطيب بن الباقلاني، ضبطه وقدم له وعلق عليه محمود الخضري ومحمد عبد الهادي أبو ريدة، الناشر: دار الفكر العربي، القاهرة، ١٣٦٦هـ-١٩٤٧م.

٦٠. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد : أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكريم البكري، الناشر: مؤسسة القرطبة .

٦١. تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة : لأبي الحسن على بن محمد بن عراق الكناني ، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف وعبد الله محمد الصديق، الناشر: دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان.

٦٢. تنزيه القرآن عن المطاعن: القاضي أبو الحسن عبد الجبار، الناشر: دار طلاب المعرفة.

٦٣. تهذيب اللغة: لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري ، تحقيق: إبراهيم الإبياري، الناشر: دار الكاتب العربي،١٩٦٧م.

٦٤. التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل: أبو بكر محمد بن إسحق بن خزيمة، تحقيق: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، الطبعة الخامسة ، الناشر: مكتبة الرشد ، الرياض، ١٤١٤هـ -١٩٩٤م.

٦٥. التوقيف على مهمات التعاريف: محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق : د. محمد رضوان الداية ، الطبعة الأولى، الناشر: دار الفكر المعاصر ، بيروت ، دمشق ، ١٤١٠هـ.

٦٦. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م.

٦٧. جامع البيان في تأويل القرآن،" تفسير الطبري": محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي ، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الطبعة الأولى، الناشر: مؤسسة الرسالة ، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٦٨. جامع الرسائل: تقي الدين أبو العباس أحمد ين عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، ، الطبعة الأولى، الناشر: دار العطاء ، الرياض، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

٦٩. جامع بيان العلم وفضله: يوسف بن عبد الله النميري القرطبي، تحقيق: عبد الرحمن زملي، الطبعة الأولى ، الناشر: مؤسسة الريان ، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٧٠. الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي تحقيق: هشام سمير البخاري، الناشر: دار عالم الكتب، الرياض ، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م

٧١. جمهرة اللغة، محمد بن الحسن بن دريد الأزدي البصري، الطبعة الأولى ، الناشر: دار صادر، ١٣٤٥هـ.

٧٢. حجة الله البالغة: شاه ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي، تحقيق: سيد سابق، الناشر: دار الكتب الحديثة، القاهرة.

٧٣. الحجة في بيان المحجة و شرح عقيدة أهل السنة: أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل الأصبهاني، تحقيق: محمد ربيع بن هادي المدخلي ، الناشر: دار الراية للنشر والتوزيع ، الرياض، السعودية، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

٧٤. الحركات الباطنية في العالم الإسلامي : د. محمد أحمد الخطيب، الطبعة الأولى ، الناشر: مكتبة الأقصى، عمان – الأردن، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٧٥. الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري : آدم متيز ، تعريب محمد عبد الهادي أبوريدة، الطبعة الثالثة.

٧٦. الحطة في ذكر الصحاح الستة: أبو الطيب السيد صديق حسن خان القنوجي، تحقيق: علي حسن الحلبي، الناشر: دار الجيل.

٧٧. حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين: عبد الرحمن السلمي، الناشر: دار المعلمة للنشر والتوزيع.

٧٨. الحور العين عن كتب العلم الشرائف دون النساء العفائف، أبوسعيد نشوان الحميري ، تحقيق:كمال مصطفي ، الطبعة الثانية ، الناشر: دار أزال للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت –لبنان ، ١٩٨٥م.

٧٩. الدر المنثور في التفسير بالمأثور: جلال الدين السيوطي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الطبعة الأولى ، الناشر: مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية ، القاهرة، ١٤٢٤هـ– ٢٠٠٣م.

٨٠. درء تعارض العقل والنقل: ابن تيمية، تحقيق د. محمد رشاد سالم، الطبعة الثانية، الناشر: دار الكنوز الأدبية ، الرياض، ١٣٩١هـ.

٨١. دراسات في الفرق والمذاهب القديمة المعاصرة: عبد الله أمين، الطبعة الأولى، الناشر: دار الحقيقة للطباعة والنشر ، ١٤٠٦هـ– ١٩٨٦م.

٨٢. دراسات في توحيد الأسماء والصفات الإلهية : د.سعد عبد الله عاشور و أ.د. جابر زايد السميري ، الطبعة الثالثة ، مكتبة ومطبعة دار المنارة ، ١٤٢٩هـ– ٢٠٠٨م.

٨٣. ذم التأويل: عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، تحقيق: بدر بن عبد الله البدر، الناشر: الدار السلفية، الطبعة الأولى ، الكويت، ١٤٠٦هـ.

٨٤. رد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد: عثمان بن سعيد الدارمي، تحقيق: محمد حامد الفقي، الطبعة: الأولى، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ١٣٥٨هـ.

٨٥. الرد على الأخنائي واستحباب زيارة خير البرية الزيار الشرعية: تقي الدين أحمد بن تيمية ، تحقيق عبد الرحمن بن يحي المعلمي اليماني، المطبعة السلفية، القاهرة.

٨٦. الرد على الجهمية: عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد الدرامي، تحقيق : بدر عبد الله البدر، ، الطبعة الثانية الناشر: دار ابن الأثير ، الكويت، ١٩٩٥م .

٨٧. الرد على الزنادقة والجهمية: الإمام أحمد بن حنبل الشيباني أبو عبد الله، تحقيق: محمد حسن راشد، الناشر: المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٩٣هـ.

٨٨. رسائل العدل والتوحيد: القاضي عبد الجبار، دراسة وتحقيق: د.محمد عمارة، الناشر: دار الشروق، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ–١٩٨٨م.

٨٩. الرسالة التدمرية: ابن تيمية ، تحقيق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة، بيروت، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

٩٠. الرسالة: الإمام محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق أحمد محمد شاكر، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

٩١. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: أبو الفضل شهاب الدين محمود الألوسي البغدادي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان.

٩٢. السنة: لأبي بكر احمد بن محمد ابن هارون بن يزيد الخلال، تحقيق: عطية الزهراني، الطبعة الأولى ، الناشر: دار الراية للنشر والتوزيع ، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

٩٣. سنن ابن ماجة: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه محمد ناصر الألباني، الطبعة الأولى، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض.

٩٤. سنن أبي داود : أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، اعتنى به : فريق بيت الأفكار الدولية، الرياض.

٩٥. سنن الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، الطبعة الثانية ، الناشر: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، ١٣٩٧هـ -١٩٧٧م.

٩٦. السنن الكبرى: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، الطبعة الأولى ، الناشر: مجلس دائرة المعارف النظامية ، ١٣٤٤هـ.

٩٧. سنن النسائي: أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: فريق بيت الأفكار الدولية، ، الناشر: بيت الأفكار الدولية – الرياض.

٩٨. سير أعلام النبلاء: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق شعيب أرنؤوط وموحد العرقوسي، الطبعة الأولى ، الناشر: مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٥هـ -١٩٨٤م.

٩٩. شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب : سعيد بن علي بن وهف القحطان ، راجعه عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين. (المكتبة الشاملة).

١٠٠. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: أبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الالكائي، تحقيق : أحمد بن مسعود بن حمدان، الناشر: دار طيبة، الرياض، ١٤٠٢هـ.

١٠١. شرح الأصول الخمسة: القاضي عبد الجبار تعليق: أحمد بن الحسين أبي هاشم، تحقيق: د.عبد الكريم عثمان، الطبعة الثالثة ، الناشر: مكتبة وهبة ، ١٤١٦هـ -١٩٩٦م .

١٠٢. شرح الرسالة التدمرية: محمد بن عبد الرحمن الخميس، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، طبعة جديدة، الرياض ، ١٤٢٢هـ.

١٠٣. شرح السنة: الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق زهير الشاويش ، وشعيب الأرنؤوط، الطبعة الثانية، الناشر: المكتب الإسلامي ، دمشق- سوريا، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

١٠٤. شرح الطحاوية في العقيدة السلفية : علي بن علي الحنفي بن أبي العز الحنفي، تحقيق أحمد شاكر ، الطبعة الأولى، الناشر: مكتبة الرياض الحديثة ، الرياض ، ١٤١٨هـ.

١٠٥. شرح العقيدة الطحاوية: ابن أبي العز الحنفي، تحيق جماعة من العلماء تخريج: ناصر الدين الألباني: الطبعة المصرية الأولى، الناشر دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، المكتب الإسلامي،١٤٢٦هـ -٢٠٠٥م.

١٠٦. شرح القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى: محمد بن صالح العثيمين، تقديم: عبد العزيز بن باز، الطبعة: الأولى، الناشر: مكتبة الصفا – القاهرة، ١٤٢٩هـ.

١٠٧. شرح علل الترمذي: للحافظ عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، تحقيق: نور الدين عتر، الناشر: دار الملاح للطباعة والنشر.

١٠٨. الشريعة: أبو بكر محمد بن الحسين الآجري، تحقيق: محمد حامد الفقي، الطبعة الأولى ، الناشر: دار الكتب العلمية ، بيروت ،١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

١٠٩. الشفا بتعريف حقوق المصطفى: القاضي عياض ، تحقيق: محمد أمين قرة علي وآخرون، الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر، دمشق ، ١٣٩٢هـ .

١١٠. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل: أبو عبد الله محمد بن قيم الجوزية، تحقيق: أحمد بن شعبان بن أحمد، الناشر: مكتبة الصفا، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٤٢٩هـ.

١١١. الشيعة والتشيع فرق وتاريخ ،إحسان إلهي ظهير، ص١٤، الطبعة الأولى، لاهور- باكستان ، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.

١١٢. الشيعة وتحرف القرآن: محمد مال الله ، تقديم: محمد أحمد النجفي، الناشر: دار الوعي الإسلامي، بيروت ، ١٤٠٢هـ -١٩٨٢م.

١١٣. الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها : أحمد بن فارس ، الناشر: المكتبة السلفية ، مطبعة المؤيد ، القاهرة ، ١٣٢٨-١٩١٠م .

١١٤. الصارم المسلول على شاتم الرسول : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: محمد عبد الله عمر الحلواني، ومحمد كبير شودري، الناشر: دار ابن حزم، الطبعة الأولى، بيروت ، ١٤١٧هـ.

١١٥. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الناشر : مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية ، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.

١١٦. صحيح البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، تصحيح محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢هـ.

١١٧. صحيح مسلم بشرح النووي:أبو زكريا يحي بن شرف النووي، المطبعة المصرية بالأزهر، الطبعة الأولى ، ١٣٤٧هـ -١٩٣٩م.

١١٨. صحيح مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، عني به: أبو صهيب الكرمي، إخراج وتنفيذ فريق بيت الأفكار الدولية، الناشر: بيت الأفكار الدولية، ١٤١٩هـ -١٩٩٨م.

١١٩. الصفات الإلهية تعريفه و أقسامها: محمد بن خليفة بن علي التميمي ،أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

١٢٠. الصفات الإلهية في الكتاب والسنة في ضوء الإثبات والتنزيه: د. محمد أمان بن علي الجامي، (المكتبة الشاملة).

١٢١. الصفات الخبرية بين المثبتين والمؤولين بياناً وتفصيلاً :د.جابر زايد عيد السميري، الطبعة الأولى ،الدار السودانية للكتب ، الخرطوم، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

١٢٢. الصفدية: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق : محمد رشاد سالم، الناشر: دار الهدي النبوي، مصر- المنصورة.

١٢٣. الصلة بين التشيع والاعتزال: محمد بن حامد بن منور الجدعاني، رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ١٤١٩هـ.

١٢٤. الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ابن القيم الجوزية، تحقيق: د. علي بن محمد الدخيل الله ، الناشر: دار العاصمة ، الطبعة الثالثة، الرياض، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م .

١٢٥. صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط وحمايته من الإسقاط والسقط: أبوعمر بن الصلاح، تحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، الناشر: دار الغرب الإسلامي ، ١٤٠٤هـ -١٩٨٤م.

١٢٦. طبقات المعتزلة: أحمد بن يحيي بن المرتضى، تحقيق : مؤسسة ديقلد -فلزر، الطبعة الثانية ، بيروت -لبنان، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

١٢٧. طريق الهجرتين وباب السعادتين، ابن القيم، تحقيق: عمر بن محمود ،الطبعة الثانية، دار ابن القيم، ١٤١٤هـ.

١٢٨. عدالة الصحابة رضي الله عنهم في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية ودفع الشبهات: عماد السيد محمد إسماعيل الشربيني، المكتبة الشاملة.

١٢٩. العقد الفريد: أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ، تحقيق: د. مفيد محمد قميمة ، الطبعة الأولى ، الناشر : دار الكتب العلمية ، بيروت –لبنان، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٣م.

١٣٠. العقيدة السلفية في كلام رب البرية وكشف أباطيل المبتدعة الردية، عبد الله بن يوسف الجديع، الناشر: دار الصميعي للنشر والتوزيع.

١٣١. عقيدة الشيعة : دوايت م. رونلدس ، تعريب ع . م ، مؤسسة المفيد للطباعة والنشر ،الطبعة الأولى، بيروت ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م.

١٣٢. العقيدة رواية أبي بكر الخلال ، أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، تحقيق عبد العزيز عز الدين السيروان، دار قتيبة – دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ .

١٣٣. العقيدة في الله : د. عمر سليمان الأشقر، الطبعة الرابعة، الناشر: دار النفائس للنشر والتوزيع عشر – الأردن ١٤٢٢هـ –٢٠٠١م.

١٣٤. العلو للعلي الغفار: أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق:أشرف بن عبد المقصود، الناشر: مكتبة أضواء السلف، الرياض.

١٣٥. الفتاوى الكبرى: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: محمد عبد القادر عطا و مصطفى عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ–١٩٨٧م.

١٣٦. فتح الباري بشرح صحيح البخاري:أحمد بن على بن حجر العسقلاني، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، تحقيق: محب الدين الخطيب، الناشر: دار المعرفة، بيروت –لبنان ، ١٣٧٩هـ.

١٣٧. فتنة مقتل عثمان بن عفان ﷺ ، د. محمد عبد الله الغبان، الطبعة الأولى ، الناشر : مكتبة العبيكان، الرياض ، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.

١٣٨. فجر الإسلام: أحمد أمين، الطبعة الأولى، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ٢٠٠٦م.

١٣٩. الفرق الكلامية الإسلامية: د.علي عبد الفتاح المغربي، الناشر: مكتبة وهبي للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ–١٩٨٢م.

١٤٠. الفرق بين الفرق: عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد ، الناشر: مكتبة محمد صبيح وأولاده، القاهرة – مصر.

١٤١. فرق معاصرة تنسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها: د. غالب بن علي عواجي، الطبعة الرابعة، الناشر: المكتبة العصرية الذهبية ، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

١٤٢. الفصل في الملل والأهواء والنحل : أبي محمد على بن حزم الظاهري، الطبعة: الثانية، الناشر :دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان ، ١٣٩٥هـ –١٩٧٥م.

١٤٣. فضائح الباطنية: محمد بن محمد أبوحامد الغزالي، تحقيق عبد الرحمن بدوي، الناشر مؤسسة دار الكتاب الثقافية.

١٤٤. فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة: القاضي عبد الجبار وآخرون، تحقيق فؤاد سيد ، الناشر: الدار التونسية للنشر.

١٤٥. الفقه الأكبر: أبوحنيفة النعمان ، تحقيق محمد عبد الرحمن الخميس ، الناشر: مكتبة الفرقان ، الإمارات العربية ، ١٤١٩هـ.

١٤٦. الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم: محمد بن أسحق النديم، تحقيق: رضا تجدد، الناشر: دار المعرفة – بيروت، ١٣٩٨هـ –١٩٧٨م.

١٤٧. الفوائد المجموعة في الأحاديث الضعيفة والموضوعة، محمد بن على الشوكاني، تحقيق رضوان جامع رضوان، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة.

١٤٨. في ظلال القرآن: سيد قطب، الطبعة الخامسة والعشرون ، الناشر: دار الشروق، ، ١٤١٧هـ.

١٤٩. القاموس المحيط: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، الطبعة الثالثة ، الناشر: المطبعة الأميرية ، ١٣٩٩هـ–١٩٧٩م.

١٥٠. قراءة في عقيدة الشيعة الإمامية: فؤاد بن عبد العزيز الشلهوب المكتبة الشاملة.

١٥١. الكافي تحقيق المجلسي والبهبودي هدية الدمشقية: عبد الرحمن دمشقية، المكتبية الشاملة ، مكتبة الرافضة مؤلفات الشيخ عبد الرحمن دمشقية.

١٥٢. رسائل العدل والتوحيد ، تحقيق: د. محمد عمارة، الطبعة الثانية، الناشر: دار الشروق، القاهرة، ١٤٠٨هـ –١٩٨٨م .

١٥٣. الحيوان : أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، الطبعة الثانية ، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، ١٣٨٥هـ – ١٩٦٥م .

١٥٤. الكبائر وتبيين المحارم: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، تحقيق: محي الدين مستو، الناشر: مكتبة دار التراثر ، المدينة المنورة، ١٩٩٨م.

١٥٥. الكفاية في علم الرواية: أبو بكر أحمد بن على بن ثابت الخطيب البغدادي، تحقيق: أبوعبد الله السورقي ، إبراهيم حمدي المدني ، الناشر: المكتبة العلمية ، المدينة المنورة.

١٥٦. الكليات في معجم المصطلحات والفروق اللغوية:أبو البقاء بن الحسين الكفوي، تعليق : عدنان درويش و محمد المصري، الطبعة الثانية، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

١٥٧. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين النهدي ، ضبط الشيخ بكري حياني و تصحيح الشيخ صفوة السقا ، الناشر: مؤسسة الرسالة.

١٥٨. لسان العرب : الإمام جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري الإفريقي المصري ، تحقيق :عامر أحمد حيدر، الطبعة: الأولى ،الناشر: دار الكتب العلمية ، بيروت- لبنان، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .

١٥٩. لسان الميزان: أحمد بن على بن حجر ، تحقيق : دائرة المعارف النظامية، الناشر: مؤسسة العلمي للمطبوعات ، بيروت ، ١٤٠٦هـ -١٩٨٦م.

١٦٠. لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير: محمد لطفي الصباغ، الطبعة الثالثة، الناشر: المكتب الإسلامي، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

١٦١. لمعة الاعتقاد: ابن قدامة المقدسي ، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة، بيروت ، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

١٦٢. لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية: شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، الناشر: مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م.

١٦٣. متشابه القرآن: القاضي عبدد الجبار، تحقيق: عدنان محمد زرزور، الناشر: دار التراث، القاهرة.

١٦٤. مجاز القرآن : لأبي عبيدة معمر المثنى التيمي،، تحقيق محد فؤاد سركين، دار الفكر ، الطبعة الثانية، ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م.

١٦٥. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت – لبنان ، ١٤١٤هـ -١٩٩٤م.

١٦٦. مجموع الفتاوى : لشخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية الحراني ، تحقيق: أنور الباز وعامر الجزار، الطبعة الثالثة ،الناشر : دار الوفاء، ١٤٢٦هـ -٢٠٠٥م.

١٦٧. مجموع فيه الصفات الإلهية ومعه موقف الطوائف من توحيد الأسماء والصفات: محمد بن خليفة بن على التميمي، الطبعة الأولى ، الناشر: أضواء السلف ، الرياض ، ١٤٢٢هـ -٢٠٠٢م.

١٦٨. المحدث الفاصل بين الراوي والواعي: للقاضي الحسن بن عبد الرحمن الرامهرزي، تحقيق: محمد عجاج الخطيب، الطبعة الأولى، الناشر: دار الفكر للطبعاة والنشر والتوزيـــع، بيــروت، ١٣٩١هـــــ – ١٧٧١م.

١٦٩. مختار الصحاح: الإمام محمد بن أبي بكر الرازي، الناشر: دار الكتب العلمية للطباعـــة والنشـــر، بيروت– لبنان.

١٧٠. مختصر التحفة الإثنى عشرية: شاه عبد العزيز غلام حكيم الدهلوي، اختصـــره وهذبـــه: محمـــود شكري الألوسي.

١٧١. مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة : محمد بن أبي بكر "ابـــن القـــيم الجوزيـــة"، اختصره: الشيخ محمد الموصلي، الناشر: مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.

١٧٢. مروج الذهب ومعادن الجوهر، أبو الحسن على بن الحسن بن على المسعودي، الطبعـــة الثانيـــة، الناشر: الشركة العالمية للكتاب.

١٧٣. المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة، تحقيق عبد الإلـــه بـــن ســـليمان الأحمدي، الناشر: دار طيبة، الطبعة الثانية، الرياض، السعودية، ١٤١٦هـــ– ١٩٩٥م .

١٧٤. مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة، د.ناصر القفاري، الطبعة الثانية، الناشر: دار طيبة للنشـــر والتوزيع، ١٤١٣هـــ.

١٧٥. المستصفى في علم الأصول: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، تحقيق: محمد عبد الســـلام عبـــد الشافي، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـــ.

١٧٦. مشكل الحديث وبيانه: أبو بكر محمد بن فورك،الطبعة الأولى، الناشر: مطبعـــة جمعيـــة دائـــرة المعارف العثمانية، ١٣٦٢١هـــ.

١٧٧. مصادر الاستدلال على مسائل الاعتقاد: عثمان علي حسن، الطبعة الأولى ، الناشر: دار الـــوطن ، الرياض، ١٤١٣هـــ.

١٧٨. مصادر التلقي وأصول الاستدلال العقدية عند الإمامية الإثنى عشرية ، إيمـــان صـــالح العلـــواني، رسالة ما جستير قدمت لجامعة :أم القرى ، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٧هـــ .

١٧٩. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي :أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، الطبعة الخامسة، الناشر: المطبعة الأميرية ، القاهرة ، ١٩٢٢م.

١٨٠. مع الشيعة في الأصول والفروع : د. على السالوس، الطبعة السابعة، الناشر دار الفضيلة بالرياض، ١٤٢٤هـ -٢٠٠٣م.

١٨١. معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد: حافظ بن أحمد حكمي، تحقيق: عمر محمود أبوعمر، الطبعة: الثالثة، الناشر: دار ابن القيم، المملكة العربية السعودية ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

١٨٢. المعارف: لابن قتيبة أبي محمد عبد الله بن مسلم، تحقيق، د. ثروت عكاشة، الطبعة الرابعة، الناشر: دار المعارف.

١٨٣. معالم التنزيل " تفسير البغوي ": أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون، الطبعة الأولى، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

١٨٤. المعتزلة بين القديم والحديث : محمد العبده وطارق عبد الحليم، الناشر: دار الأرقم، الطبعة الأولى، برمنجهام، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧م.

١٨٥. المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها: عواد بن عبد الله المعتق، الناشر: مكتبة الرشيد، الرياض ، الطبعة الرابعة ، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

١٨٦. المعتزلة: زهدي جار الله ، الناشر: الأهلية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٧٤م.

١٨٧. المعتمد في أصول الدين: القاضي أبو يعلي محمد بن الحسين بن محمد بن الفراء الحنبلي، تحقيق: وديع زيدان حداد ، الناشر: دار المشرق، بيروت، ١٩٧٤م .

١٨٨. معجم التعريفات: على بن محمد السيد الشريف الجرجاني، تحقيق محمد صديق المنشاوي، الناشر: دار الفضيلة للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٤م ، القاهرة – مصر.

١٨٩. معجم المؤلفين ، عمر كحالة، الناشر: مكتبة المثنى، بيروت –لبنان.

١٩٠. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

١٩١. المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى وآخرون، تحقيق: مجمع اللغة، الطبعة: الرابعة، الناشر: مكتبة الشروق الدولية، جمهورية مصر العربية ، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

١٩٢. معجم مقاييس اللغة : أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق عبد السلام هارون، الناشر دار الفكر، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

١٩٣. معرفة أنواع علوم الحديث، مقدمة ابن الصلاح:عثمان بن عبد الرحمن ابن الصلاح ، تحقيق: نور الدين عتر، الناشر: دار الفكر، سوريا، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

١٩٤. المغني في أبواب التوحيد والعدل: القاضي أبي الحسن عبد الجبار، تحقيق: محمود محمد قاسم، مراجعة د. إبراهيم مدكور، إشراف:د. طه حسين، الناشر: الدار المصرية، للتأليف والترجمة.

١٩٥. مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة: جلال الدين السيوطي، االناشر: إدارة المطبعة المنيرية.

١٩٦. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة: ابن القيم الجوزية، الناشر: دار الكتب العلمية ، بيروت.

١٩٧. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين: أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، الطبعة الثانية ، الناشر: مكتبة النهضة المصرية، القاهرة – مصر، ١٣٨٩هـ–١٩٦٩م

١٩٨. مقالة التشبيه وموقف أهل السنة منها :جابر بن أدريس بن علي أمير ، أضواء السلف ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢هـ–٢٠٠٢م.

١٩٩. مقدمة نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار: محمد علي بن محمد الشوكاني ، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد، الطبعة الأولى ، الناشر: دار ابن القيم، ١٤٢٦هـ–٢٠٠٥م.

٢٠٠. الملل والنحل : أبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني ، تحقيق أمير علي مهنا وعلي حسن فاعور، الطبعة الثالثة، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت- لبنان ،١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٢٠١. المنار المنيف في الصحيح والضعيف: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الحنبلي الدمشقي ، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية، ١٤٠٣هـ .

٢٠٢. مناهج الإسلاميين في إثبات وجود الله ووحدانيته دراسة ونقداً: د. صالح حسين الرقب، رسالة دكتوراة ، مقدمة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة السعودية العربية، ١٤١٢هـ.

٢٠٣. مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزرقاني، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، الطبعة الأولى ، الناشر: دار الكتاب العربي.

٢٠٤. منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية: أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق : د. محمد رشاد سالم ، الطبعة الأولى، الناشر: مؤسسة قرطبة، ١٤٠٦هـ -١٩٨٦م.

٢٠٥. منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة : عثمان علي حسن، الطبعة الخامسة ، الناشر: مكتبة الرشيد ، ١٤٢٧هـ–٢٠٠٦م.

٢٠٦. منهج التلقي والاستدلال بين أهل السنة والمبتدعة: أحمد بن عبد الرحمن الصويان، سلسلة تصدر عن المنتدى الإسلامي.

٢٠٧. منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل وأثر المنهجين في العقيدة: جابر إدريس علي أمير، الطبعة الأولى، الناشر: أضواء السلف، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٢٠٨. منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات:محمد الأمين الشنقيطي، تحقيق عطية محمد سالم، الطبعة الرابعة، الناشر: دار السلفية، الكويت.

٢٠٩. المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي: محمد بن إبراهيم بن جماعة، تحقيق: محيي الدين عبد الرحمن رمضان، الناشر: دار الفكر، الطبعة الثانية، دمشق، ١٤٠٦هـ.

٢١٠. المنية والأمل : القاضي عبد الجبار ، جمع أحمد بن يحيي المرتضى، تحقيق: عصام الدين محمد على، الناشر: دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٥م.

٢١١. الموافقات: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي ، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، الطبعة الأولى، الناشر: دار ابن عفان، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

٢١٢. المواقف في علم الكلام : عضد الله والدين القاضي عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، الناشر: علم الكتب، بيروت.

٢١٣. الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، ناصر القفاري وناصر العقل،الطبعة الأولى ، الناشر: دار الصميع ، الرياض ، ١٤١٣هـ.

٢١٤. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والاحزاب المعاصرة: مانع حماد الجهني، الطبعة الرابعة، الناشر: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢٠هـ.

٢١٥. الموضوعات، الإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ، تحقيق : عبد الرحمن محمد عثمان، الطبعة الأولى، الناشر: محمد عبد المحسن صاحب المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م.

٢١٦. موقف ابن تيمية من الأشاعرة: د. عبد الرحمن بن صالح المحمود، الطبعة الأولى، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

٢١٧. موقف الشيعة من صفات الله الذاتية: د. صالح الرقب، غزة – فلسطين، ١٤٣٠هـ -٢٠٠٩م.

٢١٨. موقف الشيعة من صفات الله تعالى عرض ونقد: د. صالح الرقب، غزة– فلسطين، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

٢١٩. موقف شيخ الإسلام من الرافضة: عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله، الطبعة الأولى، الناشر: دار الفضيلة، الرياض – السعودية ، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.

٢٢٠. ميزان الاعتدال: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: علي معـــوض وعـــادل الموجـــود، الناشر: دار الكتب العلمية، ١٩٩٥م.
٢٢١. نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ، د. على سامي النشار، الطبعة الثامنة ، الناشر : دار المعارف
٢٢٢. نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار: محمد بن على بن محمد الشوكاني، تحقيق: أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، الناشر: دار ابن القيم، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ -٢٠٠٥م.
٢٢٣. هدي الساري مقدمة فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، أحمد بن حجر العسقلاني.
٢٢٤. الوسيط في المذاهب و المصطلحات الإسلامية: د.محمد عمارة، الناشر: نهضـــة مصـــر للطباعـــة والنشر، القاهرة،٢٠٠٠م.
٢٢٥. الوشيعة في كشف شنائع وضلالات الشيعة: د. صالح الرقب، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
٢٢٦. الوشيعة في نقد عقائد الشيعة: موسى جار الله ، الطبعة الأولى ، الناشر: سهيل أكاديمي ، لاهور – باكستان ، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
٢٢٧. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: لأبي العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيـــق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر، بيروت.
٢٢٨. اليمانيات المسلولة: زين العابدين بن يوسف الكوراني، تحقيق د. المرابط محمد مسلم المجتمعي ، الطبعة الأولي ، الناشر: مكتبة الإمام البخاري ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

ثانياً: مراجع ومصادر الشيعة:

١. أبوهريرة: عبد الحسين شرف الدين الموسوي ، مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر ، قم – إيران.
٢. الاجتهاد: دراسة فقهية لظاهرة الاجتهاد الشرعي ، عبد الهادي الفضلي، الطبعة الأولى ، الناشـــر: مؤسسة الغدير للدراسات والنشر ، ١٤٢١هـ.
٣. أحاديث في الدين والثقافة الاجتماع: حسن الصفار، تقديم د. عبد الهادي الفضلي .
٤. الاحتجاج: الطبرسي، تعليق: محمد باقر الخرسان، الناشر: دار النعمان للطباعة والنشر، النجـــف، ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م.
٥. الاختصاص: الشيخ المفيد، تحقيق: علي أكبر الغفاري والسيد محمود الزرندي، الطبعـــة الثانيـــة ، الناشر: دار المفيد للطباعة والنشر ، بيروت – لبنان، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.
٦. اختيار معرفة الرجال، المعروف برجال الكشي: الشيخ الطوسي ، تحقيق: مهدي الرجائي، الناشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ١٤٠٤هـ.

٧. الأخيار إلى أصول الأخبار: حسين العاملي، تحقيق: عبد اللطيف الكوهكمري، الطبعة الأولى ، الناشر: مجمع الذخائر الإسلامية ، قم، ١٤٠١هـ .

٨. أدوار علم الفقه وأطواره: علي بن محمد رضا بن هادي آل كاشف الغطاء ، مؤسسة آل كاشف الغطاء ، النجف.

٩. أربع رسائل، مسألة في البَداء نسمات الهدى ونفحات المهديّ البلاغ المبين الردّ على الوهّابيّة: محمّد جواد البلاغي ، تصحيح السيد محمد علي الحكيم ، مركز الأبحاث العقائدية.

١٠. الأربعين في إمامة الأئمة الطاهرين:محمد طاهر بن محمد القمي الشيرازي ، تحقيق مهدي الرجائي، الناشر: المطبعة الأميرية ، قم ، ١٤١٨هـ.

١١. الإستبصار فيما اختلف من الأخبار: أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق: حسن الموسوي الخرسان، الطبعة الرابعة، الناشر: دار الكتب الإسلامية – طهران ١٣٩٠هـ.

١٢. أصل الشيعة وأصولها : محمد حسين آل كاشف الغطاء ، تحقيق علاء آل جعفر، الطبعة الأولى ، الناشر: مؤسسة الإمام علي، قم، ١٤١٥هـ -١٩٩٤م.

١٣. الأصول الأصيلة: الفيض الكاشاني، تحقيق: جلال الدين الحسيني الأرموي،الناشر : سازمان جاب دانشكاه، إيران ، ١٣٩٠هـ.

١٤. أصول الحديث: عبد الهادي الفضلي، الطبعة الثانية، الناشر: مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر، ١٤١٦هـ.

١٥. الأصول الستة عشر: عدة محدثين ، تحقيق: ضياء الدين المحمودي، الطبعة الأولى ، الناشر: دار الحديث للطباعة والنشر ، قم – إيران، ١٤٢٣هـ.

١٦. الأصول العامة للفقه المقارن: محمد تقي الحكيم، الطبعة الثانية، الناشر: مؤسسة آل البيت للطباعة والنشر، ١٩٧٩م.

١٧. أصول الفقه: محمد رضا المظفر، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، ١٣٧٠هـ.

١٨. أضواء على الصحيحين: محمد صادق النجمة، ترجمة الشيخ يحيى كمالي البحراني، الطبعة الأولى ، الناشر: إسلام مؤسسة المعارف ، قم ، إيران ، ١٤١٩هـ.

١٩. أضواء على عقائد الشيعة الإمامية: الشيخ جعفر سبحاني، الطبعة الأولى، الناشر: مؤسسة الإمام الصادق، قم ، ١٤٢١هـ.

٢٠. الاعتقادات في دين الإمامية: الشيخ الصدوق، تحقيق عصام عبد السيد، الطبعة الثانية ، الناشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان ، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.

٢١. إعلام الخَلَف بمن قال بتحريف القرآن من أعلام السّلف: أبو عمر صادق العلائي، دار الأمير، المكتبة الشاملة الشيعية.

٢٢. أعيان الشيعة: محسن الأمين، تحقيق حسن الأمين، الناشر: دار التعارف للمطبوعات، بيروت– لبنان، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

٢٣. الإلهيات: جعفر السبحاني، الطبعة الأولى ، الناشر: الدار الإسلامية للطباعة والنشر ، ١٤٠٩هـ– ١٩٨٩م.

٢٤. الإلوهية عند الفرق الإسلامية الشيخ مالك مهدي السويعدي، مكتبة العقائد الإسلامية، شبكة البتول.

٢٥. الإمامة الإلهية بحوث سماحة الأستاذ آية الله الشيخ محمد السند: محمد علي بحر العلوم، مركز الأبحاث العقائدية ، سلسلة الكتب العقائدية.

٢٦. الإمامة وأهل البيت: محمد بيومي مهران، الطبعة الثانية، الناشر: مركز الغدير للدراسات الإسلامية، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.

٢٧. الإمامة وأهل البيت: محمد بيومي مهران، الطبعة الثانية ، الناشر:مركز الغدير للدراسات الإسلامية ، ١٤١٥هـ– ١٩٩٥م.

٢٨. أمل الآمل: محمد بن الحسن الحر العاملي، تحقيق: أحمد الحسيني، الناشر: دار الكتاب الإسلامي.

٢٩. إن الدين عند الله الإسلام ، مرتضى المطهري الطبعة الأولى، الناشر: منشورات الربيع للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤١٤هـ.

٣٠. الأنوار النعمانية: نعمة الله الجزائري، الطبعة الرابعة ، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ١٤٠٤هـ.

٣١. أهمية الحديث عند الشيعة: الشيخ آقا مجتبى العراقي ، الطبعة الأولى، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٢١هـ.

٣٢. أوائل المقالات في المذاهب والمختارات: محمد بن محمد بن النعمان الملقب بالمفيد ، تحقيق إبراهيم الأنصاري الزنجاني، الطبعة:الثانية، الناشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان ، ١٤١٤هـ –١٩٩٣م.

٣٣. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: محمد باقر المجلسي ، تحقيق إبراهيم الميانجي و محمد الباقر البهبودي، الطبعة الثانية، الناشر: مؤسسة الوفاء ، بيروت – لبنان ، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

٣٤. بحث حول الولاية: محمد باقر الصدر، الطبعة الثانية ، الناشر : دار التعارف للمطبوعات ، بيروت –لبنان ، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٣٥. البخاري وصحيحه: حسين غيب غلامي ، ترجمة كمال السيد، ، الطبعة الأولى ، الناشر: مركز الأبحاث العقائدية قم – إيران ، ١٤٢٠هـ.

٣٦. بداية الحكمة: محمد حسين الطبطبائي، تحقيق عباس علي الزراعي السبزواري، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي ،١٤١٨هـ.

٣٧. بداية المعارف الإلهية في شرح عقائد الإمامية: محسن الخزاري ،الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي، الطابعة الخامسة، ١٤١٨هـ.

٣٨. بصائر الدرجات: محمد حسن الصفار، تحقيق: الحاج ميرزا حسن كوجه باغي، الناشر: منشورات الأعلمي، طهران، ١٤٠٤هـ.

٣٩. البيان في تفسير القرآن: الخوئي، الطبعة الرابعة ، الناشر: دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت–لبنان، ١٣٩٥هـ١٩٧٥م.

٤٠. بينات من الهدى: محمد الرصافي مقداد ، مركز الأبحاث العقائدية

٤١. تاريخ الشيعة بين المؤرخ والحقيقة : الدكتور نور الدين الهاشمي، سلسلة الرحلة إلى الثقلين ، مركز الأبحاث العقائدية.

٤٢. تاريخ الغيبة الصغرى ، محمد الصدر ، دار المعارف للمطبوعات ، بيروت ، ١٤١٢هـ .

٤٣. التجديد الكلامي عند الشهيد الصدر: الأسعد بن علي، مركز الأبحاث العقائدية، سلسلة الرحلة إلى الثقلين.

٤٤. التشيع ظاهرة طبيعية في إطار الدعوة الإسلامية: محمد باقر الصدر، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٩٧هـ–١٩٧٧م.

٤٥. التشيع من رئى التسنن: محمد رضا المدرسي اليزدي ، ترجمة عبد الرحيم الحمراني، الطبعة الأولى ، الناشر: صحيفة المعرفة ، نينوى، ١٤٢٦هـ.

٤٦. تصحيح اعتقادات الإمامية: محمد بن محمد بن النعمان المفيد، تحقيق: حسين دركاهي، الطبعة: الثانية ، الناشر: دار المفيد للطباعة والنشر ، بيروت –لبنان ، ١٤١٤هـ –١٩٩٣م.

٤٧. تفسير بيان السعادة في مقامات العبادة : سلطان محمد بن حيدر الخرساني ، الناشر: مؤسسة الأعلمي، بيروت.

٤٨. تفسير الصافي: الفيض الكاشاني، تصحيح: حسين الأعلمي، الناشر: منشورات مكتبة الصدر، طهران، ١٤١٦هـ.

٤٩. تفسير العياشي: محمد بن مسعود العياشي، تحقيق: هاشم الرسولي المحلاتي، الناشر: المكتبة العلمية الإسلامية ، طهران.

٥٠. تفسير الفرات الكوفي: تحقيق محمد الكاظم، الناشر: المطبعة التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد ، طهران، ١٤١٠هـ.

٥١. تفسير القمي: على إبراهيم القمي، تحقيق طيب الموسوي الجزائري، الناشر: مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ .

٥٢. تفسير الميزان: محمد حسين الطبطبائي، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية – قم.

٥٣. تفسير مجمع البيان: أبي على الفضل بن حسن الطبرسي، تحقيق: لجنة من العلماء والمحققين، الطبعة الأولى النشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت– لبنان.

٥٤. تفسير مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار، أبو الحسن العاملي، الطبعة الأولى، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت ، ١٤١٩هـ.

٥٥. تفسير نور الثقلين: عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي، تحقيق: هاشم الرسولي المحلاتي، الناشر: مؤسسة إسماعليان للطباعة والنشر، قم – إيران، ١٤١٢هـ.

٥٦. تلامذة المجلسي: أمجد الحسيني، الناشر: مكتبة آية الله المرعشي، الطبعة الأولى، قم ، ١٤١٠هـ.

٥٧. تهذيب الأحكام: أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي،تحقيق: حسن الموسوي الخرساني، الطبعة الرابعة ، الناشر: دار الكتب الإسلامية ، طهران.

٥٨. التوحيد بحوث تحليلية في مراتبه ومعطياته تقريراً لدروس السيد كمال الحيدري ، جواد على كسار ، مؤسسة الإمام الجواد للفكر والثقافة.

٥٩. التوحيد: أبي جعفر محمد علي بن الحسين بن بابويه القمي، تحقيق: هاشم الحسيني المطهراني ، الناشر: منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية ، قم.

٦٠. جامع الرواة وإزاحة الاشتباه عن الطرق والإسناد: محمد بن على الأردبيلي الغروي الحائري ، الناشر : مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم –إيران ، ١٤٠٣هـ.

٦١. جامع السعادات ، محمد مهدي التراقي ، تحقيق وتعليق محمد كلانتر ، تقديم محمد رضا المظفر ، الناشر : مطبعة النعمان للطباعة والنشر ، النجف.

٦٢. الحدائق الناضرة: يوسف البحراني، الطبعة الأولى ، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، ، قم.

٦٣. الحق المبين في تصوبة المجتهدين وتخطئة الإخبارين ، جعفر آل كاشف الغطاء ، مؤسسة كاشف الغطاء ، النجف ، ١٤٢٠هـ.

٦٤. حقيقة التشيع ونشأته : الاستاذ صباح البياتي، سلسلة الرحلة إلى الثقلين ، إعداد مركز الأبحاث العقائدية ، المكتبة العقائدية.

٦٥. حقيقة الشيعة الإثنى عشرية: أسعد وحيد القاسم ، الطبعة: الأولى ، الناشر : دار الزهراء للطباعة والنشر ، مهر –قم، ١٤١٢هـ –١٩٩٢م.

٦٦. الحكايات: محمد بن محمد بن النعمان المفيد، تحقيق: محمد رضا الحسيني، الطبعة الأولى ، الناشر: دار المفيد للطباعة والنشر ، بيروت – لبنان.

٦٧. الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة: صدر الدين محمد الشيرازي، الطبعة الرابعة ، الناشر: دار إحياء التراث العربي ، بيروت –لبنان ، ١٤١٠هـ.

٦٨. خاتمة مستدرك الوسائل: حسين النوري الطبرسي ، تحقيق مؤسسة آل البيت لإحياء التراث ، الطبعة الأولى ، الناشر: مؤسسة آل البيت ، قم ، إيران، ١٤١٦هـ.

٦٩. الخرائج والجرائح ، قطب الدين الراوندي، تحقيق: مؤسسة الإمام المهدي، الطبعة الأولى، الناشر: مؤسسة الإمام المهدي، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٩هـ.

٧٠. الخصال: الصدوق أبي جعفر محمد بن على بن الحسين بن بابويه، تحقيق : على أكبر غفاري ، الناشر: منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم، ١٤٠٣هـ .

٧١. الخلافة المغتصبة: إدريس الحسيني المغربي، الناشر: مركز الأبحاث العقائدية ، قم .

٧٢. دراسات في الحديث والمحدثين : هاشم معروف الحسني، الطبعة الثانية ، الناشر : دار التعارف للمطبوعات ، بيروت – لبنان.

٧٣. دراسات في العقيدة الإسلامية : محمد جعفر شمس الدين ، الطبعة الثانية، بيروت ، ١٩٧٩م.

٧٤. دراسات في علم الدراية تلخيص مقباس الهداية: للمامقاني ، تلخيص: على أكبر غفاري، الطبعة الأولى، الناشر: جامعة الإمام الصادق ، إيران ، ١٣٦٩هـ .

٧٥. الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة : صدر الدين علي خان الشيرازي، الطبعة الثانية ، الناشر: مكتبة بصيرتي، ١٣٩٧هـ.

٧٦. الدرر النجفيه : يوسف البحراني، الناشر: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث.

٧٧. دلائل الإمامة: أبو جعفر محمد بن جرير بن رستم الطبري الصغير، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية ، مؤسسة البعثة.

٧٨. الذريعة إلى تصانيف الشيعة: أغا برزك الطهراني ، الطبعة الثالثة ، الناشر: دار الأضواء ، بيروت لبنان ، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

٧٩. رجال ابن داود :الحسن بن على بن داود الحلي ، تحقيق : محمد صادق بحر العلوم، الناشر: منشورات مطبعة الحيدرية ، النجف ، قم –إيران، ١٣٩٢هـ -١٩٧٢م.

٨٠. رجال الطوسى: أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي ، تحقيق جواد القيومي الأصفهاني، الطبعة الأولى ، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي ، ١٤١٥هـ.

٨١. رجال النجاشي: أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن العباس النجاشي ، تحقيق: موسى الشبيري الزنجاني ، الطبعة: الخامسة ، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، ١٤١٦هـ.

٨٢. الرجعة أو العودة إلى الحياة الدنيا بعد الموت :مؤسسة الرسالة ، مركز الأبحاث العقائدية، سلسلة كتب العقيدة.

٨٣. الرد على شبهات الوهابية: غلام رضا كاردان ، مركز الأبحاث العقائدية، سلسلة الكتب المؤلفة في الرد على الشبهات.

٨٤. رسائل الشريف المرتضى: الشريف المرتضى، تقديم السيد أحمد الحسيني ، منشورات دار القرآن الكريم، قم ، ١٤٠٥هـ.

٨٥. الرسائل العشر: الشيخ الطوسي، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي، قم، إيران.

٨٦. رسائل الكركي: المحقق الكركي، تحقيق محمد الحسون، إشراف السيد محمود المرعشي ، الطبعة الأولى ، الناشر: مكتبة آية الله العظمة المرعشي النجفي، قم ، ١٤٠٩هـ.

٨٧. رسائل المرتضى : الشريف المرتضى ،تحقيق السيد أحمد الحسيني، دار القرآن الكريم ، قم ، ١٤٠٥هـ.

٨٨. الرسالة السعدية: العلامة الحلي، تحقيق عبد الحسين محمد بقال، الطبعة الأولى، قم، ١٤١٠هـ.

٨٩. ركبت السفينة: مروان خليفات، الناشر: مركز الغدير للدراسات الإسلامية، سلسلة الرحلة إلى الثقلين، مركز الأبحاث العقائدية.

٩٠. روضات الجنات: الخونساري، الناشر: الدار الإسلامية، بيروت – لبنان.

٩١. الشافي في الإمامة: الشريف المرتضى، تحقيق: عبد الزهراء الحسيني الخطي، الطبعة الثانية ب، الناشر: مؤسسة الصادق ، طهران– إيران ، ١٤١٠هـ.

٩٢. شرح أصول الكافي، مولى محمد صالح المازندراني، تحقيق : أبو الحسن الشعراني، الطبعة الأولى ، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ١٤٢١هـ–٢٠٠٠م.

٩٣. شرح البداية في علم الدراية: لزين الدين العاملي المعروف بالشهيد الثاني ، تحقيق محمد رضا الحسيني الجلالي، الطبعة الأولى، الناشر: منشورات الفيروزآبادي قم ، ١٤١٤هـ .

٩٤. الشواهد المكية: نور الدين العاملي، تحيق رحمة الله الأراكي،الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، ١٤٢٤هـ.

٩٥. شيخ المضيرة أبوهريرة: محمود أبورية، الطبعة الثالثة، الناشر: منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت– لبنان ، ١٣٨٥هـ.

٩٦. الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة: هاشم معروف الحسيني ، الطبعة الأولى ، الناشر: دار القلم، بيروت – لبنان ، ١٩٧٨م.

٩٧. الشيعة في الإسلام: محمد حسين الطبطبائي، ترجمة جعفر بهاء الدين.

٩٨. الشيعة في التاريخ: محمد حسين العاملي، الناشر: مكتبة النجاح .

٩٩. الشيعة في الميزان: محمد جواد مغنية، الطبعة الرابعة ، الناشر: دار التعارف للمطبوعات ، بيروت – لبنان، ١٣٩٩هـ –١٩٧٩م.

١٠٠. الصحابة في حجمهم الحقيقي: الهاشمي بن على، الطبعة الأولى، الناشر: مركز الأبحاث العقائدية، ١٤٢٠هـ.

١٠١. الصحابي وعدالته: مرتضى العسكري، الناشر: مركز الأبحاث العقائدية، سلسلة الكتب العقائدية.

١٠٢. طرائف المقال في معرفة طبقات الرجال: علي أصغر بن محمد شفيع للبروجرودي، تحقيق مهدي الرجائي، الطبعة الأولى ، الناشر: مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي ، قم.

١٠٣. عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى: مرتضى العسكري، الطبعة السادسة، الناشر: نشر التوحيد، ١٤١٣–١٩٩٢م.

١٠٤. عدالة الصحابة: محمد السند، الناشر: مركز الأبحاث العقائدية، سلسلة الكتب المؤلفة في رد الشبهات.

١٠٥. العقائد الإسلامية: عرض مقارن لأهم موضوعاتها من مصادر السنة والشيعة: مركز المصطفى للدراسات الإسلامية ، بإشراف: السيستاني.

١٠٦. عقائد الإمامية الإثنا عشرية: إبراهيم الزنجاني، الناشر: انتشارات حضرت مهدي، الطبعة الخامسة، قم –إيران ، ١٤٠٢هـ–١٩٨٢م.

١٠٧. عقائد الإمامية: محمد رضا المظفر، تقديم: د. حامد حنفي داود ، الناشر: انتشارات أنصاريان، قم – إيران.

١٠٨. العقائد الحقة دراسة علمية جامعة في أصول الدين الإسلامي على ضوء الكتاب والسنة والعقل: على الحسين الصدر، الطبعة الأولى، الناشر: دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٦هـ–٢٠٠٦م .

١٠٩. عقائد السنة وعقائد الشيعة التقارب والتباعد: صالح الورداني، الطبعة الأولى، الناشر: الغدير للدراسات والنشر، بيروت – لبنان ، ١٤١٩هـ –١٩٩٩م.

١١٠. العقل المجرد: محمد حسين المبارك، الطبعة الأولى ، الناشر:دار البيان العربي ، بيروت ، ١٤١٤هـ.

١١١. العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت: جعفر السبحاني، ترجمة جعفر الهادي، مؤسسة الإمام الصادق ، قم – إيران ، ١٤١٩هـ–١٩٩٨م.

١١٢. عيون أخبار الرضا: الصدوق ابن بابويه، تحقيق: حسين الأعلمي، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت –لبنان، ١٤٠٤هـ–١٩٨٤.

١١٣. الغيبة الصغرى والسفراء الأربعة: الشيخ فاضل المالكي، الطبعة الأولى، الناشر: مركز الأبحاث العقائدية، قم – إيران ، ١٤٢٠هـ .

١١٤. الغيبة الصغرى والسفراء الأربعة : الشيخ فاضل المالكي، الطبعة الأولى، الناشر: مركز الأبحاث العقائدية، قم – إيران، ١٤٢٠هـ.

١١٥. الغيبة: أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق عباد الله الطهراني والشيخ على أحمد ناصح ، الطبعة الأولى ، الناشر: مؤسسة المعارف الإسلامية ، قم –إيران.

١١٦. فرق الشيعة، الحسن بن النوبختي ، الطبعة الثانية، الناشر: دار الأضواء للطباعة والنشر، بيروت – لبنان ، ١٤٠٤هـ– ١٩٨٤م.

١١٧. فرق الشيعة: الحسن بن موسى النوبختي و سعد بن عبد الله القمي، تحقيق: د. عبد المنعم الحنفي ، الناشر: دار الرشيد، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.

١١٨. الفلسفة العليا: آية الله رضا الصدر، الطبعة الأولى، الناشر: دار الكتاب اللبناني، ١٤٠٦هـ– ١٩٨٦م.

١١٩. الفصول المختارة:محمد بن محمد بن النعمان المفيد ، تحقيق: على مير شريفي، الناشر: دار المفيد ، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ –١٩٩٣م.

١٢٠. الفصول المهمة في أصول الأئمة: للحر العاملي، تحقيق محمد بن محمد الحسين القائيني، الطبعة الأولى ، الناشر: مؤسسة معارف إسلامي إمام رضا ، قم، ١٤١٨هـ.

١٢١. الفكر الإسلامي في مواجهة حضارية: محمد تقي المدرسي، الطبعة الثانية، الناشر: دار الجيل، بيروت.

١٢٢. فهرست أسماء مصنفي الشيعة المشتهر برجال النجاشي: أبو العباس احمد بن على بن احمد بن العباس النجاشي، تحقيق: موسى الشبيري الزنجاني، الطبعة الخامسة ، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي.

١٢٣. الفهرست: أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي ، تحقيق: جواد القيومي، الطبعة الأولى ، الناشر: مؤسسة نشر الفقاهة ، ١٤١٧هـ.

١٢٤. الفوائد الرجالية: السيد بحر العلوم ، تحقيق: محمد صادق بحر العلوم وحسين بحر العلوم، الناشر: مكتبة الصادق، الطبعة الأولى، طهران.

١٢٥. الفوائد المدنية: محمد أمين الاسترابادي، تحقيق: رحمة الله الرحمتي الأراكي، الطبعة الأولى، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٢٤هـ.

١٢٦. في ظلال الوحي: علي فضل الله الحسيني، الناشر: مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت– لبنان.

١٢٧. قلائد الخرائد في أصول العقائد: محمد الحسيني القزويني، الناشر: مطبعة الإرشاد ، بغداد، ١٩٧٢م.

١٢٨. القول الشارح : حسين بن محمد الدرازي، المكتبة الشاملة الشيعية.

١٢٩. الكافي: أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني، تحقيق: علي أكبر الغفاري، الطبعة الخامسة ، الناشر : دار الكتب الإسلامية ، طهران ، ١٣٨٨هـ .

١٣٠. كامل الزيارات: جعفر بن محمد بن قولويه ، تحقيق: جواد القيومي، الناشر: مؤسسة نشر الفقاهة، ١٤١٧هـ.

١٣١. كتاب الطهارة: أبو القاسم الموسوي الخوئي، الطبعة الثالثة ، الناشر: دار الهادي، ١٤١٠هـ.

١٣٢. كسر الصنم أو ما ورد في الكتب المذهبية من الأمور المخالفة للقرآن والعقل، آية الله العظمى السيد أبو الفضل ابن الرضا البراقعي، نقله إلى العربية: عبد الرحيم ملا زاده البلوشي، راجعه وعلق عليه وقدمه، عمر بن محمود أبو عمر، الطبعة الأولى ، الناشر: دار البيارق ، ١٤١٩هـ -١٩٩٨م.

١٣٣. كشف الحقائق: على آل محسن، الطبعة الثانية، الناشر: دار الميزان للطباعة والنشر، بيروت – لبنان ، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

١٣٤. كشف الغمة في معرفة الأئمة: أبي الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الإربلي، الطبعة الثانية، الناشر: دار الأضواء ، بيروت – لبنان ، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

١٣٥. كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد: العلامة الحلي، تحقيق حسن زاده الآملي، الناشر: مؤسسة نشر الإسلامي، الطبعة السابعة، قم، ١٤١٧هـ.

١٣٦. كفاية الأثر على الأئمة الإثنا عشر: علي بن محمد بن علي الخزاز القمي الرازي، تحقيق عبد اللطيف الحسيني الخوئي، الناشر: انتشارات بيدار، قم ، ١٤٠١هـ.

١٣٧. كلام المقارن بحوث مقارنة في العقائد الإسلامية :علي الكلايكاني ، المكتبة الشاملة الشيعية.

١٣٨. كليات في علم الرجال: الشيخ جعفر السبحاني، الطبعة الثالثة ، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٤هـ.

١٣٩. الكليني والكافي : عبد الرسول الغفاري، الطبعة الأولى ، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي، التابعة لجماعة المدرسين بقم ، ١٤١٦هـ.

١٤٠. كمال الدين وتمام النعمة: الصدوق أبي جعفر محمد بن على بن الحسين بن بابويه، تحقيق: على أكبر غفاري، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي.

١٤١. كنز الفوائد: أبو الفتح الكراجكي، مكتبة المصطفوي، الطبعة الثانية، قم.

١٤٢. الكنى والألقاب: عباس القمي، تقديم: محمد هادي الأميني، الناشر: مكتبة الصدر ، طهران.

١٤٣. لؤلؤة البحرين ، يوسف البحريني ، تحقيق وتعليق محمد صادق بحر العلوم ، الطبعة الثانية، الناشر:دار الأضواء ، بيروت ، ١٤٠٦هـ.

١٤٤. ليالي بيشاور: محمد الموسوي الشيرازي ، المكتبة العقائدية ، مركز الأبحاث العقائدية.

١٤٥. المبدأ والمعاد: صدر الدين محمد الشيرازي، تحقيق: السيد جلال الدين الآشتياني، الطبعة الثالثة ، الناشر: مركز انتشارات دفتر تبليغات إسلامي ، ١٤٢٢هـ

١٤٦. المجازات النبوية : الشريف الرضي، تحقيق: د.طه محمد الزيني، الناشر: منشورات مكتبة بصيرتي، قم .

١٤٧. محاضرات في الاعتقادات: علي الحسيني الميلاني، الطبعة الأولى ، الناشر: مركز الأبحاث العقائدية ، ، ١٤٢هـ قم-إيران، سلسلة الكتب العقائدية.

١٤٨. مختصر مفيد أسئلة وأجوبة في الدين والعقيدة: السيد جعفر مرتضى العاملي، الطبعة الأولى، الناشر: المركز الإسلامي للدراسات ، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

١٤٩. مدينة المعاجر: هاشم البحراني، تحقيق عزة الله المولائي الهمداني، الطبعة الأولى، الناشر مؤسسة النشر الإسلامي، قم ، إيران، ١٤١٣هـ.

١٥٠. مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول:محمد باقر المجلسي، تحقيق: جعفر الحسيني، الناشر: درار الكتب الإسلامية ، طهران، ١٤١٠هـ.

١٥١. المراجعات: عبد الحسين شرف الدين الموسوي، تحقيق: حسين الراضي، الطبعة: الثانية ، الناشر: مركز الأبحاث العقائدية، سلسلة كتب المناظرات، ١٤٠٢هـ.

١٥٢. المسائل السروية: الشيخ المفيد ، تحقيق: صائب عبد الحميد، الناشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ١٤١٤هـ -١٩٩٣م.

١٥٣. المسائل الكعبرية: المفيد، تحقيق: علي أكبر الإلهي الخرساني، الطبعة الثانية ، الناشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت –لبنان.

١٥٤. المسار الفكري بين المعتزلة والشيعة من البداية حتى عصر الشيخ المفيد: رسول جعفريان.

١٥٥. مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل: حسين النوري الطبرسي، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة الأولى، بيروت ، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م.

١٥٦. مستدرك سفينة البحار: على النمازي الشاهرودي ، تحقيق : حسن بن على النمازي، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي ، ١٤١٩هـ.

١٥٧. المسلك في أصول الدين: المحقق الحلي، تحقيق: رضا الأستادي، الطبعة الثانية ، الناشر: مجمع البحوث الإسلامية ، ١٤٢١هـ.

١٥٨. مشارق الشموس الدرية: عدنان البحريني، منشورات المكتبه العدنانية – البحرين.

١٥٩. مطارحات في الفكر والعقل، إعداد مركز الرسالة ، سلسلة الكتب العقائدية، قم.

١٦٠. معارج اليقين في أصول الدين: محمد السبزوار، تحقيق : علاء آل جعفر ، الناشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام ، قم ، ١٤١٠هـ -١٩٩٣م.

١٦١. معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة: أبو القاسم الموسوي الخوئي، الطبعة الخامسة ، ١٤١٣هـ -١٩٩٢م.

١٦٢. من لا يحضره الفقيه: الصدوق، تحقيق على أكبر غفاري، الطبعة الثانية، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي.

١٦٣. مناسك المزار: محمد بن النعمان ابن المعلم المفيد، تحقيق: آية الله السيد محمد باقر الأبطحي، الطبعة الثانية، الناشر: دار المفيد للطباعة والنشر، ١١٤هـ -١٩٩٣م.

١٦٤. المنطق : محمد رضا المظفر، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم.

١٦٥. منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: حبيب الله الهاشمي الخوئي، المكتبة الشاملة الشيعية.

١٦٦. موسوعة العقائد الإسلامية : محمد الريشهري ، تحيق مركز بحوث دار الحديث، الطبعة الأولى ، الناشر: دار الحديث للطباعة والنشر ، ١٤٢٥هـ.

١٦٧. الميزان في تفسير القرآن:محمد حسين الطباطبائي، الناشر: جماعة المدرسين في الحوزة العلمية،قم

١٦٨. النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر : العلامة الحلي ، شرح وتحقيق المقداد السيوري، الطبعة الثانية، الناشر: دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان ، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

١٦٩. نشأة التشيع: السيد طالب الخرساني، الطبعة الأولى، الناشر: انتشارات الشريف الرضي، ١٤١٢هـ- ١٩٩١م.

١٧٠. نشأة الشيعة الإمامية : نبيلة عبد المنعم داود ، الطبعة الأولى ، الناشر: دار المؤرخ العربي ، بيروت- لبنان ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

١٧١. نظرية عدالة الصحابة : أحمد حسين يعقوب، الناشر: مؤسسة الفجر، لندن.

١٧٢. النكت الاعتقادية: المفيد ، تحقيق: رضا المختاري ، الطبعة الثانية ، الناشر : دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

١٧٣. نهاية الحكمة :محمد حسين الطباطبائي، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي، قم – إيران ، ١٤٠٥هـ

١٧٤. نهاية الدراية : السيد حسن الصدر ، تحقيق ماجد الغرباوي ،الناشر: نشر المشعر، قم – إيران.

١٧٥.نهج البلاغة: مجموع ما اختاره الشريف الرضي من خطب منسوبة للإمام علي، شـرح: محمـد عبده، الطبعة الأولى، الناشر: دار الذخائر ، قم – إيران، ١٤١٢هـ.

١٧٦.نهج الحق وكشف الصدق :لابن المطهر الحلي، تقديم رضا الصدر، تعليـق: عـين الله الحسـني الأرموي، الناشر: مؤسسة دار الهجرة ، قم.

١٧٧.نور الإفهام: السيد حسين اللوساني، تحقيق السيد إبراهيم اللواساني، الطبعـة الأولـى ، الناشـر: مؤسسة النشر الإسلامي ، ١٤٢٥هـ.

١٧٨.نور البراهين: نعمة الله الجزائري، تحقيق: مهدي الرجائي، الطبعة الأولى ، الناشر:مؤسسة النشر الإسلامي ، ١٤١٧هـ.

١٧٩.هشام بن الحكم: عبد الله نعمة، الطبعة الثانية، الناشـر: دار الفكـر اللبنـاني، بيـروت –لبنـان، ١٤٠٥هـ–١٩٨٥م.

١٨٠.هوية التشيع: د. أحمد الوائلي، الطبعة: الثالثة، الناشر: دار الصفوة ، بيروت – لبنان، ١٤١٤هـ –١٩٩٤م.

١٨١.وصول الأخيار إلى أصول الأخبار: حسين العاملي ، تحقيق: عبد اللطيف الكـوهكمري، الناشـر: مجمع الذخائر الإسلامية، الطبعة الأولى، قم، ١٤٠١هـ

١٨٢. ينابيع المعاجز وأصول الدلائل: هاشـم الحسـيني البحرينـي، تصـحيح: محمـد بـن الحسـن التفرشي،الناشر: المطبعة العلمية ، قم.

ثالثا: المواقع الإلكترونية:

http://www.alnajaf2012.com

http://www.alhikmeh.com

http://www.alfadhli.org

http://www.albainah.net

http://.www.midadulqalam.info

http://www.midadulqalam.info

http://www.ibnamin.com

http://www.ahlalhdeeth.com

سادساً: فهرس الموضوعات.

ملخص البحث

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد...، فإن هذا البحث والذي بعنوان: " **موقف الشيعة الاثنا عشرية من الصفات الإلهية عرض ونقد**"، قد تناول موضوع صفات الله تعالى عند فرقة الشيعة الإثنا عشرية أكبر الفرق المعاصرة التي تدعي الانتساب إلى الإسلام، بهدف بيان كيف تطور معتقد الشيعة في صفات الله تعالى بدءً من إظهارهم التشبيه في الملة الإسلامية، ووصولاً إلى التعطيل وتبني الطائفة بأكملها لمعتقدات المعتزلة في نفي الصفات، وسرقتها لطرقهم الكلامية، ونسبها لأئمة آل البيت، كذلك بيان المنهج والطريق الذي سلكوه في نفي الصفات الإلهية وتعطيلها، وما صاحب وتبع ذلك من عقائد فاسدة، مع نقد هذا المنهج وما ترتب عليه من العقائد الباطلة، وفق منهج أهل السنة والجماعة.

وقد اشتمل البحث على مقدمة، وفصل تمهيدي، وثلاثة أبواب وخاتمة.

تضمنت المقدمة: الإهداء، والشكر والتقدير، وعرض البحث، وسبب اختيار الموضوع، وأهمية البحث، ومنهج البحث، وطبيعة المنهج المتبع في البحث، والدراسات السابقة، وخطة البحث.

وتضمن الفصل التمهيدي أربعة مباحث هي: تعريف بالشيعة الإثنا عشرية وألقابهم، ونشأة الشيعة، وأبرز الكتب الرئيسية عند الشيعة، وأصول دينهم.

وجاء الباب الأول بعنوان: تعريف الصفات الإلهية وتطور عقيدة الشيعة الاثنى عشرية، وتضمن فصلين هما: الفصل الأول بعنوان: تعريف الصفات الإلهية وأقسامها عند الشيعة، احتوى على مبحثين:الأول: تعريف الصفات الإلهية، والثاني: أقسام الصفات عند الشيعة، و جاء الفصل الثاني بعنوان: تطور معتقد الشيعة في الصفات الإلهية ، احتوى على ثلاث مباحث هي: ظهور التشبيه على يد الشيعة الأوائل، وظهور التعطيل في الشيعة المتأخرين، وتأثر الشيعة بالمعتزلة في نفي الصفات.

وجاء الباب الثاني بعنوان: مصادر الشيعة الإثنا عشرية في نفي الصفات الإلهية وتضمن ثلاثة فصول هم: الفصل الأول جاء بعنوان: المصدر الأول الكتاب، احتوى على ثلاثة مباحث هي: معتقد الشيعة في الكتاب، وتأويل الشيعة لنصوص الصفات، ونماذج على موقف الشيعة من الصفات الواردة في الكتاب، والفصل الثاني جاء بعنوان: المصدر الثاني السنة، احتوى على مبحثين هما، تعريف السنة عند الشيعة الإثنا عشرية، وموقف الشيعة من السنة عند أهل السنة والجماعة، وجاء الفصل الثالث بعنوان:المصدر الثالث العقل احتوى على مبحثين هما: منزلة العقل عند الشيعة، رد النقل عند تعارضه مع العقل.

وجاء الباب الثالث بعنوان أدلة الشيعة في نفي الصفات وهو يشتمل على فصلين هما: الفصل الأول بعنوان: الأدلة النقلية، وقد احتوى على مبحثين هما: الأدلة من القرآن الكريم، و الأدلة من السنة، والفصل الثاني: الأدلة العقلية وقد احتوى على ثلاث مباحث هم: إثبات الصفات يؤدي إلى القول بتعدد القدماء، إثبات الصفات يؤدي إلى التجسيم والتشبيه، إثبات الصفات يؤدي إلى التركيب والتكثر في الذات الإلهية.

وخُتم البحث بأهم النتائج، والتوصيات ، والفهارس.

Abstract

Thanks to Allah and peace be upon his prophet Mohammed .

This research which is entitled " the Altitude of the Twelver Shai'a towards the Divine Qualities , View and Criticism " addresses the issue of Allah qualities and attributes concerning the Twelver Shai'a branch , one of the biggest contemporary branches that claims affiliation to Islam.

It shows the Shai'a belief in the Divine qualities developed from inventing analogy in Islam to disabling Allah Almighty qualities and adopting the whole sect to Al mu'tazielah beliefs in denying these qualities and also steeling their verbal speech to relate it to The Imams of Ahl Bayt .

Moreover it shows the path and the route that they took in denying and disabling these Divine qualities and what follows that from corrupted thoughts and ideas .

The research criticizes this path and it's false beliefs according to Ahl Sonna

The research consists of an introduction , a preparatory chapter , three sections and a conclusion . it was concluded with the most important findings , recommendation and indexes.